الحقايق

في محاسن الأخلاق

قرة العيون

في المعارف والحكم

للعلامة المحدث الفيض الكاشاني قدس سره

ويليه

مصباح الأنظار

دار الكتاب الإسلامي

الحقايق

في محاسن الأخلاق

قرة العيون

في المعارف والحكم

للعلامة المحدث الفيض الكاشاني قدس سره

ويليه

مصباح الأنظار

تحقيق

الحاج محسن عقيل

الطبعَة الأولى

١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م

الحقايق

في محاسن الأخلاق

مقدمة المحقق

المؤلفات الثلاثة التي يحتضنها هذا الكتاب ، مؤلفات ثمينة ، وأسفار قيّمة ، لكونها أولاً تتناول موضوعاً من أهم الموضوعات في واقع الانسان المسلم اليوم ، ألا وهو موضوع علم الأخلاق ، الأخلاق التي هي أسس بناء المجتمع الاسلامي ورفعته وسموه . وكما كانت الأخلاق العامل الأساسي في انتشار الدين الاسلامي وبلوغه أقاصي الغرب والشرق ، هي اليوم العامل الأساسي في بقاء الاسلام ديناً سامياً في أعلى القمم .

ولكونها ثانياً من ما أفاضت به قريحة عالم عَلَمْ أثرى المكتبة الاسلامية بتراثه وأسفاره وتآليفه القيّمة ، وبلغت شُهرته شهرة الشمس المشرقة في وضح النهار ، وهو العالم العَلَمْ المحدّث ، الفيض الكاشاني (قدّس سرّه) .

هاتين الأهميتين استوجبتا منّا اعطاء هذه المؤلفات حقها الكامل من التحقيق والمراجعة ، ويهمنا أن نشير في البدء ـ أمانةً ـ الى أن جهدنا المبذول على هذا الكتاب ، إنما هو تتمة لما قام به المصحح السيد إبراهيم الميانجي الذي تولّى الخطوة الأولى ـ كما أشار في مقدمته في الطبعات السابقة ـ بمقارنة مخطوطة هذا الكتاب ـ مع نسخ مخطوطة أخرى أثمرت نسخته المصححة هذه . وأنصبت جهدنا على هذا الكتاب لإنجاز أربعة أمور ، الأمر الأول : تصحيح ما برز به من أخطاء ناجمة عن سوء الطباعة ، والأمر الثاني : وضع الهوامش له من خلال

إرجاع الايات الكريمة الى مصادرها في القرآن الكريم ، وكذلك إرجاع أحاديث، الى مصادرها في أمّهات كتب الحديث والسنّة النبويّة الشريفة ، والأمر الثالث : إبراز عوامل التنقيط ، والأمر الرابع : عنونة فصوله وتبويبها بالشكل اللائق بهذا الكتاب ، هادفين من وراء ذلك اعطاء هذا الكتاب حقه الذي يستوجبه منّا ، راجين المولى العليّ القدير أن يكون الحقائق والمصباح وقرّة العين لمن أراد الإهتداء والله من وراء القصد .

٢٢/ محرم/ ١٤٠٩

٥/ تشرين أول / ١٩٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نوّر قلوبنا بنور الإيمان وعرّفنا من أسرار الحديث والقرآن والصلاة على محمد سيد المرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين المعصومين أما بعد فيقول الفقير إلى الله محمد بن مرتضى المدعو بمحسن أيّدك الله أني أذكر بعون الله تعالى في هذا الكتاب من أسرار الدين ما يرتقي به من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد إلى معارج اليقين وإنما آخذ من كتاب الله تعالى وسنة سيد المرسلين وأحاديث الأئمة المعصومين وأضيف إليها ما وجد في كتب علماء الدين ولا سيما كتاب إحياء علوم الدين لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي مما يصلح لأن يكون بياناً لمبانيه وتفسيراً لمعانيه بمزيد انتقاء ومزيد منتقى مؤونة الغرابة مخلياً سبل الزوائد وسمّيته بالحقائق ورتبته على ستة مقالات وجعلت في كل مقالة أبواباً وفي كل باب فصولاً ومن الله التأييد المقالة الأولى فيما هو بمنزلة الأصول وفيها ثلاثة أبواب الباب الأول في العلم اعلم أن السبب الباعث على خلق العالم العلوي والسفلي وأفضل ما يتقرب به إلى الله تعالى هو العلم قال الله سبحانه الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً وقال شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً وقال إنما يخشى الله من عباده العلماء وقال هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون وفي الحديث النبوي ص العلماء ورثة الأنبياء وفيه اللهم ارحم خلفائي قيل يا رسول الله ومن خلفاؤك قال الذين يأتون من بعدي ويروون حديثي وسنتي وفي الحديث العلوي إن كمال الدين طلب العلم والعمل به وإن طلب العلم أوجب عليكم من طلب المال وإن المال مقسوم مضمون لكم قد قسمه عادل بينكم وضمنه وسيفي لكم والعلم مخزون عند أهله

وقد أمرتم بطلبه من أهله

فاطلبوه وعن السجاد ع لو يعلم الناس ما في طلب العلم لطلبوه ولو بسفك المهج وخوض اللجج

الصفحة الأولى من النسخة المخطوطة المصرية

الى قوم متدينين عارفين باهل البصيرة ليعرفوهم اياه فان لم يتيسر فليتفحص الى من
غلب على ظنه انه منهم وانه ممن لا يبيع دينه بدنياه فان افتاه بحكم فليسأله هل
هذا الحكم في كتاب الله وسنة رسول الله او حديث احد من المعصومين عليهم السلام
كان فان قال نعم فليعمل به وان قال انه ليس في شيء منها بخصوصه وانما استفاد منها
بدليل او استنباطا او هو مما اجمعوا عليه من غير نص بخصوصه ونحو ذلك سأل غيره حتى يصادف
من اجابه من القرآن والحديث بخصوصه او نص او اشار له الى الاحتياط او التخيير فانه فعل
ذلك فهو المتفقه في تلك المسألة هذا هو الحق المبين ومذهب قدمائنا الاماميين
على ولي الدين وليس لمن انتسب الى اهل البيت عليهم السلام ويسمى بالشيعة والامامي
الاثني عشري الا الاخذ بذلك فان خرج عن هذا الطريق الى شيء من طرق المخالفين
عنه فقد خرج عن صدق هذا الانتساب وهذه التسمية من وجه وان لم يشعر بذلك
ثم لا تظنن ان العلم بصدور نسبة مضمون اخبار المعصومين عليهم السلام اليهم لا يمكن ان يكون
كالعلم بوجودهم في الوضوح والانارة والقوة او تواترها كتواتره والا فهي اخبار احاد
لا يفيد الا الظن كما يكتب فلو تم ذلك فانك تستيقن بان منها ما قوة علمك بها
ما منهم ليس كقوة علمك بوجودهم ولا تواترها كتواتره قطعا بل انك لم تعرف
ان اليقين كالظن له مراتب في القوة والضعف وانه يزداد بازدياد وينقص بالنقص
واعتضاد كل منهما بالآخر وان في الاحكام الشرعية يكتفى باقل مراتبه مع ان اكثر الاحكام
الاحكام يثبت في القوة باقل من اخبار الامامة متنا وسندا فكل ما اطمأنت اليه النفس
من الاخبار يعمل به وكل ما لم تسكن اليه فذلك في سنده روى في الكافي باسناده عن
ابي عبد الله عليه السلام انه سئل عن اختلاف الحديث يرويه من نثق به ومنهم من لا نثق به قال

ومنهم

كما مالم تنزيه العبارات من ... واجتهاد ما ... بلا آثاره ... بواعث عليه الحرص ... زعم انه ... لانه لم يشعر ... فضلا عن ... العلوم ... اذا افتاه ... في ابن ... اخذه لذا ... ذلك ... بامره ... عملوا ... مذهب ... الحقة ... امر ... فوقهم ... التابعين ... انما شانهم ... اخذ من ... لما امروا به ... على ...

الصفحة ١٦ من النسخة المخطوطة الثانية وبهامشها خط المرحوم الشيخ علي الاحسائي

العامي فذلك هو التفقه في تلك المسألة هذا هو الحق المبين وهو مذهب علمائنا الاماميين ولكنهم
المعروف في الدين وليس لمن انتسب الى اهل البيت ع وتسمى بالشيعة والامامي والاخباري الا
الاخذ بذلك فان خرج عن هذا الطريق الى شيء من طرق المخالفين من غير جهة فقد خرج عن حد
هذا الانتساب وهذه التسمية على وجه وان لم يشعر بذلك ثم لا تظنن ان العلم بصدق نسبة
اخبار المعصومين ع اليهم لا بد ان يكون كالعلم بوجودهم في الوضوح والابانة في القوة او تواترها
كتواتره والا فهي اخبار احاد لا يفيد الا الظن كلا كيف ولو زعمت ذلك فاراك تستيقن بامامتهم
[illegible] علمك بامامتهم ليست كقوة علمك بوجودهم ولا تواترها كتواتره قطعا بل اراك تعترف
بعد ان اليقين كالظن له مراتب في القوة والضعف وانه يزداد بازدياد دلائل العقل والشرع
ولعلك [illegible] الاخر وان في الاحكام الشرعية يكتفى باقل مراتبه مع ان اكثر الاخبار الاحكامية
ليست في القوة باقل من اخبار الامامة متنا وسندا فكلما اطمأنت اليه النفس من الاخبار
نعمل به وكلما لم تسكن اليه فنكله الى سبيله روى في الكافي باسناده عن ابي عبد الله ع
عن اختلاف الحديث يرويه من نثق به ومنهم من لا نثق به قال اذا ورد عليكم حديث فوجدتم
له شاهدا من كتاب الله او من قول رسول الله ص والا فالذي جاءكم به اولى به وفيه باسناده
منه ع قال كل شيء مردود الى كتاب الله والسنة وكل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف
وفي عيون الاخبار عن الرضا ع في حديث طويل قال في اخره بعد ذكر العرض على الكتاب
والسنة ثم التخيير والرد الى رسول الله ص وما لم تجدوه في شيء من هذه الوجوه فردوا الينا علمه
فنحن اولى بذلك ولا تقولوا فيه بارائكم وعليكم بالكف والتثبت والوقوف وانتم طالبون باحثون
حتى ياتيكم البيان من عندنا وقد [illegible] على الحمل [illegible] ثم الاخبار بلغت قريبا من حد — في الحديث
التواتر منها ما يدل على جواز الاخذ بها وان صدرت عن تقية ومنها ما يدل على جواز العمل بها
وان لم يصدر عنهم ع في الواقع وهو قول الصادق ع من سمع شيئا من الثواب على شيء
فصنعه كان له اجره وان لم يكن على ما بلغه وذلك لانه تسليم وطاعة وانقياد لا رأي فيه
ولا اجتهاد وقال الصادق ع احتفظوا بكتبكم فانكم سوف تحتاجون اليها وقال للمفضل بث
علمك في اخوانك فان مت فاورث كتبك بنيك فانه ياتي على الناس

الصفحة ١٣ من النسخة المخطوطة المصورة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نوّر قلوبنا بنور الإيمان وعرّفنا أسرار الحديث والقرآن و
الصلوة على محمد سيد المرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين المعصومين
أما بعد فيقول الفقير إلى الله محمد بن مرتضى المدعو بمحسن أيّده الله
إني أذكر بعون الله تعالى في هذا الكتاب من أسرار الدين ما ينتفع به من كان
له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ليرقى إلى معارج اليقين وأتمّ ما أخذته من كتاب الله
تعالى وسنة سيد المرسلين وأحاديث الأئمة المعصومين ع وأضيف إليه ما
وجدت في كتب علماء الدين ولا سيما كتاب إحياء علوم الدين لأبي حامد
محمد بن محمد الغزالي الطوسي مما يصلح لأن يكون بياناً لما أبهمته وتفسيراً لما
بتقرير أنيق ومزيد منتقى موشّى بالفرائد محلّى سبيل الحق واليقين وسميته بالحقائق
ورتبته على ست مقالات وفي كل مقالة أبواب وفي كل باب فصول
التأييد المقالة الأولى في ما هو بمنزلة الأصول وفيها ثلاثة أبواب
الأول في العلم اعلم أن السبب الكلي لخلق العالم العلوي والسفلي وأفضل ما
يتقرب به إلى الله العلي هو العلم قال الله سبحانه وهو الذي خلق سبع سموات
ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن
الله بكل شيء علما وقال شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم

باب الأول في العلم

٢ قد أحاط

الخ

الصفحة الأولى من النسخة المخطوطة المصرية الثانية

الحقايق

في محاسن الأخلاق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نور قلوبنا بنور الايمان ، وعرفنا من أسرار الحديث والقرآن ، والصّلاة على محمّد سيّد المرسلين ، وعلى آله الطيّبين الطاهرين المعصومين .

أما بعد فيقول الفقير إلى الله محمد بن مرتضى المدعو بمحسن أيّده الله إني أذكر بعون الله تعالى في هذا الكتاب من أسرار الدّين ، ما يرتقي به من كان له قلب أو ألقى السّمع وهو شهيد إلى معارج اليقين ، وإنما أخذته من كتاب الله تعالى وسنة سيّد المرسلين وأحاديث الأئمة المعصومين ، وأضفت إليه ما وجدت في كتب علماء الدّين ، ولا سيّما كتاب إحياء علوم الدّين لأبي حامد محمّد بن محمّد الغزالي الطوسي ممّا يصلح لأن يكون بياناً لمبانيه وتفسيراً لمعانيه بتقرير أتقن ، ومزيد متقن ، مؤثراً للفرايد مخلياً سبيل الزوايد ، وسميته بالحقايق ورتبته على ستة مقالات ، في كل مقالة أبواب ، وفي كل باب فصول ، ومن الله التأييد .

المقالة الاولى

فيما هو بمنزلة الاصول وفيها ثلاثة أبواب :

(الباب الاول في العلم)

في العلم اعلم أن السبب الكلي لخلق العالم العلوي والسّفلي وأفضل ما يتقرب به إلى الله العلي هو العلم . قال الله سبحانه : ﴿الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهنّ لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأنّ الله قد أحاط بكل شيء علماً﴾[١] وقال : ﴿شهد الله أنّه لا إله إلاّ هو والملئكة واولوا العلم ﴾[٢] وقال : ﴿إنّما يخشى الله من عباده العلماء﴾[٣] وقال : ﴿هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾[٤] وقال : ﴿وتلك الأمثال نضربها للنّاس وما يعقلها إلاّ العالمون﴾[٥] .

وفي الحديث النّبوي (ص) : « العلماء ورثة الأنبياء »[٦] وفيه« الّلهمّ ارحم خلفائي » ، قيل يا رسول الله : ومن خلفاؤك ؟ قال : « الذين يأتون من بعدي ويروون حديثي وسنتي »[٧] .

وفي الحديث العلوي : « أن كمال الدّين طلب العلم والعمل به ، وأن طلب العلم أوجب عليكم من طلب المال ، وأن المال مقسوم مضمون لكم قد قسمه عادل بينكم وقد ضمنه وسيفي لكم ، والعلم مخزون عند أهله « [وقد امرتم بطلبه من أهله خ فاطلبوه][٨] .

وعن السّجّاد (ع) : «لويعلم النّاس ما في طلب العلم لطلبوه ولو بسفك المهج وخوض اللجج »[٩]

---

(١)سورة الطلاق : آية ١٢ . (٢) سورة آل عمران : آية ١٨ . (٣)سورة فاطر: آية ٢٨ .
(٤)سورة الزمر: آية ٩ . (٥) سورة العنكبوت : آية ٤٣ . (٦)احياء علوم الدين: ج١ ص ١٠ .
(٧) عيون أخبار الرضا (ع): ج ٢ ص ٣٦ . (٨)الكافي : ج ١ ص ٣٠ . (٩)الكافي : ج ١ ص ٣٥ .

وعن الباقر (ع): «عالم ينتفع بعلمه أفضل من سبعين ألف عابد»[1] .

وعن الصّادق (ع): «من علم خيراً فله مثل أجر من عمل به»[2] .

وعن الرّضا عن آبائه عن النّبي (ص) أنه قال: «طلب العلم فريضة على كل مسلم فاطلبوا العلم في مظانه واقتبسوه من أهله فان تعلّمه لله حسنة وطلبه عبادة، والمذاكرة به تسبيح، والعمل به جهاد، وتعليمه من لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة إلى الله تعالى، لأنّه معالم الحلال والحرام، ومنار سبيل الجنّة، والمونس في الوحشة، والصّاحب في الغربة والوحدة، والمحدّث في الخلوة، والدّليل على السّراء والضّراء، والسّلاح على الأعداء، والمزيّن عند الاخلاّء، يرفع الله تعالى به أقواما فيجعلهم في الخير قادة، تقتبس آثارهم، وتقتدي بفعالهم، وينتهى إلى آرائهم، ترغب الملائكة في خلّتهم، وبأجنحتها تمسحهم، وفي صلواتها تبارك عليهم، ويستغفر لهم كلّ رطب ويابس حتّى حيتان البحر وهوامه وسباع البر وأنعامه.

إنّ العلم حياة القلوب من الجهل، وضياء الأبصار من الظلمة، وقوّة الأبدان من الضّعف، يبلغ بالعبد منازل الأخيار ومجالس الأبرار، والدّرجات العلى في الاخرة والاولى، الذكر فيه يعدل بالصيام، ومدارسته بالقيام، به يطاع الرّب ويعبد، وبه توصل الأرحام، ويعرف الحلال والحرام، العلم امام العمل والعمل تابعه، يلهم به السّعداء، ويحرمه الأشقياء، فطوبى لمن لم يحرمه الله تعالى من حظه»[3] والأخبار في فضيلة العلم وشرفه أكثر من أن تحصى.

الفصل الاول

في العلم وفضيلته

اعلم أنّ الشيء النفيس المرغوب فيه ينقسم إلى ما يطلب لذاته وإلى ما يطلب لغيره وإلى ما يطلب لذاته ولغيره، وما يطلب لذاته أشرف وأفضل ممّا يطلب لغيره، وما يطلب لذاته ولغيره أشرف ممّا يطلب لذاته فحسب، والمطلوب لغيره كالدّنانير والدّراهم، فانّهما حجران لا منفعة فيهما ولولا أنّ الله عزّ وجلّ يسّر قضاء الحاجات بهما لكانا والحصى بمنزلة واحدة،

---

(١) الكافي ج ١ ص ٣٣ والدعوات للرّوَاندي ص ٦٢.

(٢) الكافي :ج ١ ص ٣٥. (٣) امالي الطوسي : ص ٥٠٠ وعدة الداعي ص ٧٣.

والذي يطلب لذاته كاللذات، والذي يطلب لذاته ولغيره فكسلامة البدن ، فانّ سلامة الرّجل مطلوبة من حيث إنّه سلامة عن الألم ، ومطلوبة للمشي بها والتوسّل إلى المآرب والحاجات .

وبهذا الاعتبار إذا نظرت إلى العلم رأيته لذيذاً في نفسه فيكون مطلوباً لذاته ؛ ووجدته وسيلة إلى سعادة الدّنيا والآخرة وذريعة إلى القرب من الله فانه لا يتوصّل إليهما إلا به ، وأعظم الأشياء رتبة في حقّ الآدميّ السّعادة الأبديّة والقرب من الله ، وأفضل الأشياء ما هو وسيلة إليهما ولا يتوصّل إليهما إلاّ بالعلم والعمل ، ولا يتوصّل إلى العمل أيضاً إلاّ بالعلم بكيفية العمل ، فأصل السّعادة في الدّنيا والآخرة هو العلم فهو إذن أفضل الأشياء وكيف لا ؟ وقد تعرف فضيلة الشيء بشرف ثمرته ، وقد عرفت أن ثمرة العلم القرب من ربّ العالمين والالتحاق بأفق الملائكة ومقاربة الملأ الأعلى هذا في الآخرة ، وأما في الدّنيا فالعزّ والوقار ونفوذ الحكم على الملوك ولزوم الاحترام في الطباع حتى أن أغبياء الترك وأجلاف العرب يصادفون طباعهم مجبولة على التوقير لشيوخهم ، لاختصاصهم بمزيد علم مستفاد من التجربة ، بل البهيمة بطبعها توقر الانسان لشعورها بتميز الانسان بكمال مجاوز لدرجتها ، هذه فضيلة العلم مطلقاً .

ثم تختلف العلوم باختلاف مراتبها فيتفاوت لا محالة فضائلها بتفاوتها إلى أن ينتهي إلى معرفة الله تعالى بحقيقة اليقين [العلم خ] التي هي أصل كل معرفة راسخة .

قال الصّادق (ع) : « لو يعلم النّاس ما في فضل معرفة الله تعالى ما مدّوا أعينهم إلى ما مّتع به الأعداء من زهرة الحياة الدّنيا ونعيمها ، وكانت دنياهم أقل عندهم مما يطئونه بأرجلهم ، ولنعّموا بمعرفة الله تعالى وتلذّذوا بها تلذّذ من لم يزل في روضات الجنان مع أولياء الله ، إنّ معرفة الله تعالى انس من كل وحشة ، وصاحب من كل وحدة ، ونور من كل ظلمة ، وقوّة من كل ضعف ، وشفاء من كل سقم .

ثم قال : قد كان قبلكم قوم يقتلون ويحرقون وينشرون بالمناشير وتضيق عليهم الأرض برحبها ، فما يردّهم عماهم عليه شيء ممّا هم فيه غير ترة وتروا من فعل ذلك بهم ولا أذى بل ما نقموا منهم إلاّ أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد ، فاسئلوا ربّكم درجاتهم ؛ واصبروا على نوائب دهركم تدركوا سعيهم »[1] .

---

(١) الكافي : ج ٨ ص ٢٤٧ .

الفصل الثاني

العلم علمان

العلم علمان : علم الدّنيا ، وعلم الآخرة . وعلم الدّنيا ما يرتبط به مصالح الدّنيا كالطب والحساب ، وعلم الآخرة علمان : علم يقصد لذاته ، وعلم يقصد للعمل ليتوسّل بـه إلى العلم المقصود لذاته ، فان اريد به الـدّنيا التحق بعلم الـدنيا ، وعلم الاخـرة محمود كله ، وأمـا علم الدنيا فمنـه محمود ومنـه مذمـوم ، أما العلم المقصـود لذاتـه فهو نـور يظهـر للقلب عند تـطهيره وتزكيته من صفاته المذمومة فينكشف من ذلك النور امور كان يسمع من قبل أسمائها ويتوهم لهـا معان مجملة غير متضحة.

فيتضح له ذلك حتى تحصل المعرفة الحقيقية بذات الله سبحـانه وبصفـاته التـامات بقـدر الامكان وبأفعاله وبحكمته في خلق الدنيا والآخرة ، ووجه ترتيبه الاخرة على الـدنيا ، والمعـرفة بمعنى النبوة والنبي ، وبمعنى الامامة والامام ، ومعرفة معنى الوحي والالهام ، ومعنى المـلائكة والشياطين وكيفية معاداة الشيطان للانسان وكيفية ظهور الملك للانبياء ، وكيفية وصول الوحي الى النبي ، وحديث الملك مع الامام والمعرفة بملكوت السماوات والارض، ومعرفة القلب وكيفية تصادم جنود الملائكة والشياطين فيـه ، ومعرفـة الفرق بين لمـة الملك ولمة الشيـطان ، ومعرفـة الاخرة والجنـة والنار وعـذاب القبر والصـراط والميزان والشفـاعة والحسـاب ، ومعنى قولـه عز وجـل : ﴿كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً﴾[1] ومعنى قوله تعـالى :﴿وان الدار الاخـرة لهي الحيوان لـو كـانوا يعلمـون﴾[2] ومعنى لقاء الله عـز وجل والنـظر إلى وجهه الكـريم ، ومعنى القـرب منه ، والمقام في جواره ، ومعنى حصول السعادة بمرافقة المـلأ الاعلى ومقاربـة الملائكـة والنبيين ، ومعنى تفـاوت درجات أهـل الجنة حتى يـرى بعضهم بعضا كمـا يرى الكـواكب الدري في جـو السماء إلى غير ذلك مما يطول تفصيله .

فان للناس في معاني هذه الامور بعد التصديق باصولها مقامات ، فبعضهم يـرى أن جميع ذلـك أمثلة وأن الذي اعـد لعباده الصـالحين مالا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خـطر على قلب بشـر ، وأنه ليس مـع الخلق من الجنة إلا الصفـات والأسماء ، وبعضهم يـرى أن بعضهـا أمثلة وبعضها يوافق حقائقها المفهومة من ألفـاظها ، وكـذا يرى بعضهم أن منتهى معـرفة الله سبحـانه

---

(١)سورة الاسراء: آية ١٤ . (٢)سورة العنكبوت: آية ٦٤.

الاعتراف بالعجز عن معرفته ، وبعضهم يدعي اموراً عظيمة في المعرفة بالله عز وجل ، وبعضهم يقول حد معرفة الله ما انتهى إليه اعتقاد جميع العوام ، وهو أنه سبحانه عالم قادر سميع بصير متكلم مريد .

فنعني بالعلم المقصود لذاته أن يرتفع الغطاء حتى يتضح جلية الحق في هذه الامور اتضاحا يجري مجرى العيان الذي لا شك فيه وهذا ممكن في جوهر الانسان إلا أن مرآة القلب قد تراكم صداها وخبثها بقاذورات الدنيا ، فلا بدّ من تصقيل هذه المرآة عن هذه الخبائث التي هي الحجاب عن الله سبحانه وعن معرفة صفاته وأفعاله ، وإنما تصفيتها وتطهيرها بالكفّ عن الشهوات والاقتداء بالأنبياء والأئمة (ع) في جميع أحوالهم ، فبقدر ما ينجلي من القلب ويحاذي به شطر الحق يتلألأ فيه حقايقه .

ولا سبيل إلى ذلك إلا بالتعلم والهدى والخشية والتقوى والفطنة والذكاء ، وهذه هي العلوم التي لا تسطر في الكتب ولا يتحدث بها من أنعم الله عليه منها بشيء إلا مع أهله وهو المشارك فيه على سبيل المذاكرة وبطريق الاسرار .

وهذا العلم الخفي هو الذي أراده النبي بقوله (ص) : « إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا أهل المعرفة بالله فاذا نطقوا به لم يجهله الا اهل الاغترار بالله عز وجل ولم يتحمّله إلا أهل الاعتراف بالله ، فلا تحقروا عالماً أتاه الله علما فان الله عز وجل لم يحقره إذ أتاه إياه »[١] .

وعن أمير المؤمنين (ع) أنه قال : « إنّ من احّب عباد الله إليه عبداً أعانه الله في نفسه فاستشعر الحزن وتجلبب الخوف فزهر مصباح الهدى في قلبه إلى أن قال: قد خلع سرابيل الشهوات وتخلى من الهموم إلا هما واحداً انفرد به ، فخرج من صفة العمى ومشاركة أهل الهوى وصار من مفاتيح أبواب الهدى ومغاليق أبواب الرّدى ، قد أبصر طريقه ، وسلك سبيله ، وعرف مناره ، وقطع غماره ، واستمسك من العرى باوثقها ، ومن الحبال بأمتنها ، فهو من اليقين على مثل ضوء الشمس »[٢] .

وفي كلام آخر له (ع) : « قد أحيى قلبه وأمات نفسه حتى دقّ جليله ولطف غليظه ، وبرق له لامع كثير البرق ، فأبان له الطريق ، وسلك به السبيل وتدافعته الأبواب إلى باب السلامة ودار الاقامة وتثبّتت « تثبت خ » رجلاه بطمأنينة بدنه في قرار الأمن والراحة بما استعمل قلبه وأرضى

---

(١)احياء علوم الدين : ج ١ ص ٢٤ .

(٢)نهج البلاغة : ص ١١٨ خطبة رقم ٨٧ « صبحي الصالح» .

ربّه »[1] .

وقال (ع) : « اندمجت على مكنون علم لو بحت به لاضطربتم اضطراب الأرشية في الطوى البعيدة »[2] وقال (ع) : « تعلمت من رسول الله (ص) ألف باب من العلم ففتح لي من كل باب ألف باب »[3].

وسأله كميل بن زياد النخعي عن الحقيقة فقال (ع) : « مالك والحقيقة ؟ قال : أولست صاحب سرّك ؟ قال : بلى ولكن يرشح عليك ما يطفح منّي ثمّ أجابه عما سأل »[4] وقال في رواية اخرى أنّه (ع) « أخذ بيدي فاخرجني إلى الجبان فلمّا أصحر تنفس الصعداء ثمّ قال لي : يا كميل بن زياد إن هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها فاحفظ عنّي ما أقول لك :

الناس ثلاثة : فعالم ربّاني ، ومتعلم على سبيل النجاة ، وهمج رعاع أتباع كلّ ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجئوا إلى ركن وثيق الى ان قال هاه إن ههنا لعلما جما وأشار إلى صدره لو أصبت له حملة بلى أصبت لقناً غير مأمون عليه مستعملا آلة الدّين للدنيا ، ومستظهرا بنعم الله على عباده وبحججه على أوليائه ، أو منقاداً لحملة الحق لا بصيرة له في أحنائه[5] ينقدح الشك في قلبه لاول عارض من شبهة الامة لاذا ولاذاك .

أو منهوماً باللذة سلس القياد للشهوة أو مغرى بالجمع والادخار ليسا من رعاة الدين في شيء أقرب شبها بهما الانعام السائمة كذلك يموت العلم بموت حامليه .

اللهم بلى لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة اما ظاهراً مشهوراً أو خائفا مغموراً لئلا تبطل حجج الله وبيّناته ، وكم ذا وأين اولئك ، اولئك هم.والله الاقلون عدداً الأعظمون قدراً بهم يحفظ الله حججه وبيّناته حتى يودعوها نظراءهم ويزرعوها في قلوب اشباههم ، هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة وباشروا روح اليقين واستلانوا ما استوعره المترفون* وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون ، وصحبوا الدنيا بابدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى ، اولئك خلفاء الله في أرضه والدعاة الى دينه آه آه شوقا إلى رؤيتهم »[6] .

---

(١) نهج البلاغة : ص ٣٣٧ خطبة رقم ٢٢٠ . (٢) نهج البلاغة : ص ٥٢ خطبة رقم ٥ . (٣) الارشاد للمفيد : ص ٢٣ .

(٤) رجال النيسابوري كما في الروضات في ترجمة كميل كما في المحجة : ج ١ ص ٦٤ .

(٥) هكذا في النسخ وفي نهج البلاغة : أومنقاداً لحملة الحق لا بصيرة له في أحنائه الخ والظاهر أن المراد منهم هو المقلد إذ لا بصيرة له في دقايق الحق وخفاياه ، لعدم علمه بالبرهان والحجة فينقدح الشك الخ « مج » .

(*) اي استصعبه المتنعمون . (٦) نهج البلاغة : ص ٤٩٥ أبواب الحكم خطبة ١٤٧ .

وعن السجاد (ع) انه قال : « والله لو علم أبو ذر ما في قلب سلمان لقتله ولقد اخا رسول الله (ص) بينهما فما ظنكم بسائر الخلق ، إن علم العلماء صعب مستصعب لا يحتمله [يتحمله خ] الا ملك مقّرب أو نبي مرسل أو عبد مؤمن امتحن الله قلبه للايمان قال : وانّما صار سلمان من العلماء لأنه امرؤ منا أهل البيت فلذلك نسبته إلى العلماء »[1] .

اراد (ع) : « اهل التوحيد والعلم والمعرفة والحكمة لا اهل بيت النسوان والصبيان والأهل والأولاد وفي الحديث النبوي ، أيضاً« سلمان منا أهل البيت »[2] وفيه أيضاً « لو علم أبو ذر ما في بطن سلمان من الحكمة لكفره وفي رواية لقتله »[3] .

وعن السجاد (ع) في أبيات منسوبة اليه :

إني لاكتم من علمي جواهره	كيلا يرى الحق ذو جهل فيفتتنا
وقد تقدم في هذا أبو حسن	إلى الحسين ووصى قبله الحسنا
يا ربّ جوهر علم لو أبوح به	لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا
ولاستحل رجال مسلمون دمي	يرون أقبح ما يأتونه حسنا

وعن الباقر (ع) « الناس كلهم بهايم إلا قليل من المؤمنين »[4] .

أقول : وتصديق ذلك قول الله سبحانه : ﴿أم تحسب أنّ أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضلّ ظيلاً﴾[5] .

وعن الصّادق (ع) » إنّ أمرنا سرّ مستور في سر مقنع بالميثاق من هتكه أذله الله «[6] وقال (ع) : « إنّ أمرنا سرّ مستور في سرٍّ وسرّ مستسر وسرّ لا يفيده إلاّ سر وسرّ على سرّ مقنع بسر»[7]، وقال (ع) : « هو الحقّ وحقّ الحق وهو الظاهر وباطن الظاهر وباطن الباطن ، وهو السّر وسرّ المستسر وسرّ مقنع بالسّر »[8] وقال (ع) مشيراً إلى وجوب كتمان هذا السّر : « التّقيّة ديني ودين آبائي ، فمن لا تقيّة له لا دين له »[9] ، وقال (ع) : « خالطوا النّاس بما يعرفون ودعوهم بما ينكرون ولا تحملوا على أنفسكم وعلينا إن أمرنا صعب مستصعب لا يحتمله إلاّ ملك مقرب أو نبي مرسل أو مؤمن امتحن الله قلبه للايمان »[10].

---

(١) الكافي : ج ١ ص ٤٠١ وبصائر الدرجات ص ٤٥ . (٢) عيون الأخبار: ج ٢ ص ٦٤ .

(٣) الكافي : ج ١ ص ٤٠١ (٤) الكافي : ج ٢ ص ٢٤٢ .

(٥) سورة الفرقان : آية ٤٤ . (٦) بصائر الدرجات: ص ٤٨ .

(٧) بصائر الدرجات : ص ٤٨ . (٨) بصائر الدرجات : ص ٤٩ .

(٩) المحاسن : ص ٢٥٥ ح ٢٨٦ . (١٠) بصائر الدرجات: ص ٤٦ .

الفصل الثالث
العلم المقصود للعمل

وأما العلم المقصود للعمل ليتوسّل به إلى العلم المقصود لذاته فقسمان : أحدهما علم الاخلاق ، والثّاني علم الشّرايع أمّا علم الاخلاق فهو علم أحوال القلب .

أما ما يحمد منها فكالصبر والشّكر والخوف والرجاء والتسليم والرضا والزّهد والتقوى والقناعة والسخاء والعفو والاحسان وحسن الظن وحسن المعاشرة وأداء الامانة والصّدق والاخلاص ومعرفة المنة لله في جميع الأحوال ، فمعرفة حقايق هذه الاحوال وحدودها وأسبابها التي بها تكتسب وثمراتها وعلاماتها ومعالجة ما ضعف منها حتّى يقوى من علم الاخرة .

وأما ما يذم فخوف الفقر وسخط المقدور ، والغلّ ، والحقد والحسد ، والغش وطلب العلو ، وحبّ الثّناء ، وحب طول البقاء في الدّنيا للتمتع ، والكبر ، والرّياء والغضب ، والانفة ، والعداوة ، والبغضاء ، والطمع ، والبخل ، والرغبة ، والبذخ ، والاشر ، والبطر ، وتعظيم الأغنياء ، والاستهانة بالفقراء ، والفخر ، والخيلاء ، والتنافس والمباهاة ، والاستكبار عن الحق ، والخوض فيما لا يعني ، وحبّ كثرة الكلام ، والصّلف ، والمداهنة ، والعجب ، والاشتغال عن عيوب النّفس بعيوب النّاس ، وزوال الحزن من القلب ، وخروج الخشية منه ، وشدّة الانتصار للنفس اذا نالها ذل ، وضعف الانتصار للحقّ ، واتخاذ اخوان العلانية على عداوة السّر ، والأمن من مكر الله في سلب ما أعطى ، والاتكال على الطاعة ، والمكر ، والخيانة ، والمخادعة ، وطول الأمل والقسوة ، والفظاظة ، والفرح بالدّنيا ، والاسف على فواتها ، والانس بالمخلوقين ، والوحشة لفراقهم إلا لاعانة منهم على الدّين ، والجفاء ، والطيش ، والعجلة ، وقلّة الحياء ، وقلة الرّحمة .

وهذه وأمثالها من صفات القلب مغارس الفواحش ومنابت الأعمال المحظورة وأضدادها وهي الأخلاق المحمودة منبع الطاعات والقربات .

فالعلم بحدود هذه الامور وحقايقها وأسبابها وثمراتها وعلاجها هو علم الآخرة وهو فرض عين على من له أهلية ذلك ، وإلا فبقدر حوصلته ، لا يكلّف الله نفساً إلاّ وسعها .

وأما علم الشرايع فهو علم بكيفية العبادة المشروعة من الطهارة ، والصّلاة والزّكاة ،

والصّيام ، والحجّ ، والجهاد ، والأمر بالمعروف ، والنّهي عن المنكر ، وأسرارها ، والعلم بالأحكام المحدودة من الحلال والحرام ، في المكاسب والمعاملات من البيع والشراء ، والرّبا ، والقرض ، والقراض والاجارة ، والشّركة ، والمزارعة ، والمدينة والرهان ، والضمان ، الكفالة ، والوكالة ، والوديعة ، والاقرار ، والصلح ، والعطايا والبر ، والنكاح ، والفراق ، وقسمة المواريث ، والعلم بالحدود ، والتعزيرات ، والقصاص والديات ، وتجهيز الأموات ، والعلم بآداب الأكل والشرب واللباس والمسكن والتّحية ، والضيافة ، والطيب ، والكلام ، والمواخات ، والمعاشرة ، والسّفر ، والحقوق إلى غير ذلك .

وهو أيضاً فرض عين بقدر الاحتياج والذكاء ، وفرض كفاية للفتيا والقضاء وأمّا الطريق إلى تحصيل هذين العلمين أعني علم الأخلاق وعلم الشرايع فهو ممّا نتلو عليك فاستمع ، واتبع سبيل الذين هم مهتدون ، ولا تتّبع أهواء الذين لا يعلمون .

الفصل الرابع
في علم الفقه والتفقه في الدين

اعلم أنّ كلا من العلوم الثّلاثة الاخرويّة يسمّى بعلم الدين وعلم الفقه وتعلمه تسمّى بالتفقه في الدين ، قال الله عزّ وجل : «﴿فلو لا نفر من كلّ فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدّين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلّهم يحذرون﴾»(١) .

وقال الصّادق (ع) لأصحابه : « عليكم بالتفقه في دين الله ، ولا تكونوا أعرابا فانّه من لم يتفقه في دين الله لم ينظر الله اليه يوم القيامة ولم يزك له عملا »(٢) ، وقال (ع) : « ليت السّياط على رؤوس أصحابي حتّى يتفقهوا في الحلال والحرام »(٣) وقال (ع) : « إنّ آية الكذاب أن يخبرك بخبر السّماء والأرض والمشرق والمغرب فاذا سألته عن حرام الله وحلاله لم يكن عنده شيء »(٤) إلى غير ذلك ممّا في هذا المعنى .

فالتّفقه في الدّين عبارة من تحصيل البصيرة في المسائل الدينيّة علمية كانت أو عملية باطنية أو ظاهرية ، متعلقة بالعبادات أو المعاملات ، فرضا معرفتها أو العمل بها أو سنّة أو ادبا ، وغرضنا الان بيان كيفية هذا التحصيل فان الناس اختلفوا فيه حتّى أوقعوا الجماهير في التّيه ونحن بتأييد الله عزّ وجلّ نكشف عن وجه الحقّ فيه النّقاب بحيث لا يبقى معه شك ولا ارتياب

---

(١) سورة التوبة : آية ١٢٢ . (٢) الكافي ج ١ ص ٣١ . (٣) المحاسن : ص ٢٢٩ . (٤) الكافي : ج ٢ ص ٣٤٠ .

فنقول :

إن النّاس كانوا في زمن رسول الله (ص) يأخذون العلم عنه بما يوحى إليه وأما بعده فصاروا فرقتين :

فرقة قالوا بالاجماع الزّور في تعيين الامام باتّباع المتشابهات في العقايد والأحكام مضافا الى المحكمات ابتغاء الفتنة وابتغاء التأويل ، واختيار المدلول قبل اختلاق الدّليل ، وهم أصحاب أبي بكر بن أبي قحافة التيمي ، وعمر بن الخطاب العدوي ومن يحذو حذوهم من الذين قالوا بالاجتهاد والرّأي في كلّ شيء فتتبدل آراؤهم وتختلف علماؤهم إن يتبعون إلاّ الظّن وما تهوى الانفس وإن هم إلا يخرصون وهؤلاء صنفان : مجتهد ومقلد .

أمّا مجتهدهم فكيفيّة التفقه عنده استفراغ الوسع في تحصيل الظنّ فيما يحتاج إليه النّاس من العلوم الدينيّة اصولية كانت أو فروعيّة من القوانين التي وضعوها والقواعد التي اخترعوها للاستعانة بها على الاستنباط من المتشابهات .

وأما مقلدهم فكيفية التفقه عنده بأن يأخذ من مجتهده ما استنبطه بنظره ولو بواسطة أو وسائط .

وفرقة قالوا بالنّص من الله عزّ وجلّ في تعيين الامام والاقتصار على اتباع المحكمات في العقايد والاحكام وقوفا على ما جاء به الوحي والتنزيل ، واتّقاء عمّا كاد يفضي إلى الضّلال والتضليل ، وهم أصحاب أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (ع) الذين لا يقولون إلا على النّصوص بالخصوص في كلّ شيء مسلمين لامامهم الآخد علمه من الله ومن رسوله في كلّ ما أنهاه إليهم في شيء شيء مطيعين لما أمرهم الله تعالى حيث قال : ﴿**فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون**﴾[1] وحيث قال : ﴿**يا أيّها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولى الأمر منكم**﴾[2] .

وأما ما ترى من اجتهاد لبعض متأخري أصحابنا وتدوينهم الاصول وخوضهم في الفضول فانما ذلك لشبهة جرت فيهم من مخالفيهم كما بينّا وجهه في مسفوراتنا مع احتمال أن يكون سبب حدوثه فيهم أولا مصلحة رأوها ، ومماشاة مع مخالفيهم راعوها ، لئلا يزعموا أن دقائق العلم ليست فينا ، ثم صار ذلك شبهة لمن تأخّر عنهم جرت فيهم ، ثمّ سرت في ذويهم وعلى التقديرين فليس ذلك قادحاً في منزلتهم العليا ولا سبباً لالحاقهم بالفرقة الاولى ، حاشاهم عن

---

(١) سورة النحل : آية ٤٣ وسورة الأنبياء : آية ٧ . (٢) سورة النساء : آية ٥٩ .

ذلك ، فان لهم حقوقا جمّة على الفرقة الناجية الجليلة ، بترويجهم المذهب الحقّ بمساعيهم الجميلة ، ورفعهم جل التقية عن كثير من العباد والبلاد جزاهم الله عنا خير الجزاء وحشرهم مع أئمتهم يوم التناد .

وهؤلاء الفرقة الثانية يرجعون إلى امامهم في التفقه حين تيسّر لهم ذلك ، والا فهم أيضاً صنفان بصير ومستبصر ، وبعبارة اخرى فقيه ومتفقه ، وبعبارة ثالثة خاصي وعامي وإن شئت فسمّهما المجتهد والمقلد فلا مشاحة في الالفاظ .

أما بصيرهم وهو الذي له فهم وذكاء وقوّة قدسيّة وزهد في الدنيا وورع في الدّين ، فكيفية التفقه عنده أن يتبع محكمات الكتاب والسّنة ومحكمات أحاديث أهل البيت (ع) ممّا صحّ عنهم فيستفهم منها ما يجب اعتقاده وما يجب أن يعمل به ويشيده بشواهد عقله القويم وفهمه المستقيم ، ويؤيده بواردات ترد على ذهنه المصفّى باعماله الصالحة المرضيّة وقلبه المنور بنور أخلاقه المهذبة الزكية فان شرف العقل لا يخفى ولولاه لما عرف الشرع ، وكانه شرع من داخل كما أنّ الشرع عقل من خارج وهما يتعاضدان ويتظاهران إلى أن يصيرا كانّهما متحدان .

وفي الحديث«ما أدّى العبد فرايض الله حتّى عقل عنه ولا بلغ جميع العابدين في فضل عبادتهم ما بلغ العاقل»[١] والعقلاء هم اولوا الالباب ، ولا تظنن أن خواص المؤمنين إنما آمنوا بالله واليوم الآخر بمجادلات المتكلمين وأدلة المجادلين ، هيهات هيهات ، وإنما عرفوا الله بمثل ما قلنا من تعاضد العقل والشّرع واجتماع النّور الداخل مع النّور الخارج كاجتماع نور العين مع نور الشّمس في الرّؤية ، وإلى مثل هذا العقل اشير بقوله عزّ وجلّ : ﴿**يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور**﴾[٢] يعني نور العقل والشّرع ،وفي الحديث «ليس العلم بكثرة التعلم إنّما هو نور يقذفه الله في قلب من « يشاء خ » يريد الله أن يهديه»[٣] .

فهذا البصير إن تبين له الحكم بحيث لا شبهة فيه ولا ريب يعتريه أخذ به وشكر الله ، وإن اشتبه عليه الأمر وكل علمه إلى الله وإلى إمامه المنصوص عليه من الله وعمل فيه بالاحوط ، ولا يفتى في مثله بالحتم والبتّ .

قال الصادق (ع) : « اما أنه شر عليكم أن تقولوا بشيء ما لم تسمعوه منا»[٤]، وقال (ع) «كلّ علم لا يخرج من هذا البيت فهو باطل ، وأشار بيده إلى بيته » .[٥] .

---

(١) الكافي : ج١ ص١٣ . (٢) سورة النور : آية ٣٥ . (٣) البحار : ج١ ص ٢٢٥ . (٤) الكافي : ج٢ ص٤٠٢ .
(٥) بصائر الدرجات : ص ٥٣١ « ولكن ذكره عن أبي جعفر (ع) » .

فلا يخترع من تلقاء نفسه قاعدة كلية غير منقحة ولا مسموعة ليقع الاختلاف فيه كقاعدة حجّية خبر الواحد أو عدم حجّيته على الاطلاق التي لم يتحرّر محل التنازع فيها قطّ ولن يتحرّر إلى غير ذلك من القوانين المسماة عند أهلها باصول الفقه بل يطلب في كلّ مسألة أهمّته رواية خاصة يجوز التعويل عليها ، ودراية ناصّة تطمئن النفس اليها ، ولا يحكم بالمتشابه إلاّ بالتشابه ، لأنّه المحكم فيه ولا يجوز « وكيف يجوز خ » ان يجعل المتشابه محكما وقد جعله الله متشابها ، فلا ينبغي تأويله ولا ردّه إلى أحد الطرفين كما يفعله الذي في قلبه زيغ .

وذلك لأن الله سبحانه جعل الامور ثلاثة كما ورد في الحديث النّبوي (ص) : « أمر بين رشده فيتبع وبيّن غيّه فيجتنب ، ومتشابهات بين ذلك يرد حكمها إلى الله وإلى الرّاسخين في العلم العالمين بتأويله »(١)، فكيف يطلب التثني فيما حكم الله فيه بالتّثليث مع أنّ في المتشابه حكما ومصالح يمتحن الله بها أصناف عباده ، ولا يجمع أيضاً بين الاخبار المتعارضة إلا بما أشار إليه المرويّ عنهم عليهم السلام من التفصيل الذي ينتهي إلى التخيير وبذلك ينجو البصير من الخلاف والاختلاف ، والقول بالرّأي والجزاف فلا اجتهاد عنده ولا رأي ولا إجماع بل ليس معوله إلاّ على الرّواية والدّراية والسّماع .

ومعنى الاجماع عنده ليس إلاّ اتفاق قدماء الأصحاب على العمل بالنّص المشهور بحيث صار من الضّروريّات حتى عند الجمهور كمسح الرجلين ونزع الخفين عند الوضوء فالاجماع عنده تابع للنص مؤيّد له لا النّص مستنبط من الاجماع كما اشتهر بين طائفة من أهل الخلاف والنزاع .

وإليه اشير في كلام الصّادق (ع) في خبر تعارض الأخبار : خذ بالمجمع عليه بين أصحابك فانّ المجمع عليه لا ريب فيه .

وأما عوام هذه الفرقة فكيفيّة تفقّههم أن يأخذوا مسائلهم عن خواصهم ولو بواسطة او وسايط إلاّ أنّ اليوم اشتبه عايهم الأمر غاية الاشتباه لالتباس من ليس من الخواص بالخواص وإدخالهم أنفسهم في جملتهم فصارت العوام حائرين بائرين لا يهتدون إلى شيء ولا يدرون ايا من أي ، فالحزم لهم أن يرجعوا في ذلك إلى قوم متديّنين عارفين بأهل البصيرة ليعرّفوهم إياهم ، فان لم يتيسر فليستفت العاميّ من غلب على ظنه أنّه منهم وأنّه ممّن لا يبيع دينه بدنياه ، فان أفتاه بحكم فليسأله هل هذا الحكم في كتاب الله أو سنة رسول الله أو حديث أحد من المعصومين (ع) فان قال : نعم فليعمل به ، وإن قال : إنّه ليس في شيء منها بخصوصه وإنّما

(١) الكافي : ج ١ ص ٦٨ .

يستفاد بالاستنباط أو هو ممّا اجمعوا عليه من غير نص بلغني فيه او نحو ذلك سأل غيره حتى يصادف من أجابه من القرآن والحديث بخصوص أو نصوص أو أشار له إلى الاحتياط او التخيير فإن فع' العاميّ ذلك فهو المتفقه في تلك المسألة .

هذا هو الحق المبين ، ومذهب قدمائنا الاماميين ، وعليه المعوّل في الدّين وليس لمن انتسب إلى أهل البيت (ع) ويسمّى بالشّيعة والامامي والاثني عشري إلا الأخذ بذلك ، فان خرج عن هذا الطريق إلى شيء من طرق المخالفين من غير عذر فقد خرج صدق هذا الانتساب وهذه التّسمية على وجهه وإن لم يشعر بذلك .

ثمّ لا تظنن أنّ العلم بصدق نسبة مضمون أخبار المعصومين (ع) إليهم لا بدّ أن يكون كالعلم بوجودهم في الوضوح والانارة والقوة أو تواترها كتواتره وإلا فهي أخبار آحاد لا تفيد إلاّ ظنا ، كلا كيف ولو زعمت ذلك فما أراك تستيقن بامامتهم لأنّ قوة علمك بامامتهم ليست كقوة علمك بوجودهم ولا تواترها كتواتره قطعا بل أراك لم تعرف بعد إن اليقين كالظن له مراتب في القوة والضّعف وأنّه يزداد بازدياد نوري العقل والشّرع ، واعتضاد كلّ منهما بالآخر ، وانّ في الأحكام الشّرعيّة يكتفي بأقلّ مراتبه مع أنّ أكثر الأخبار الاحكامية ليست في القوة بأقلّ من أخبار الامامة متنا وسنداً فكلّما اطمأنت إليه النفس من الاخبار تعمل به وكلّ ما لم تسكن إليه فذره في سنبله .

روي في الكافي بإسناده عن أبي عبد الله (ع) : « أنّه سئل عن اختلاف الحديث يرويه من نثق به ومنهم من لا نثق به قال : إذا ورد عليكم حديث فوجدتم له شاهداً من كتاب الله أو من قول رسول الله (ص) وإلاّ فالذي جاءكم به اولى به »(١) .

وفيه بإسناده عنه (ع) قال : « كلّ شيء مردود إلى الكتاب والسّنة وكلّ حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف »(٢) .

وفي عيون الأخبار عن الرّضا (ع) في حديث طويل قال في آخره بعد ذكر العرض إلى الكتاب ثمّ السنّة ثمّ التخيير والرّد إلى رسول الله (ص) : « وما لم تجدوه في شيء من هذه الوجوه فردوه إلينا علمه فنحن أولى بذلك ولا تقولوا فيه بآرائكم وعليكم بالكف والتثبت والوقوف وأنتم طالبون باحثون حتّى يأتيكم البيان من عندنا »(٣) .

---

(١) الكافي : ج ١ ص ٦٩ . (٢) الكافي : ج ١ ص ٦٩ . (٣) عيون الأخبار : ج ٢ ص ٢٠ .

وقد ورد في الحثّ على العمل بأخبارهم (ع) أخبار بلغت قريباً من مبلغ التّواتر ، منها ما يدلّ على جواز الأخذ بها وإن صدرت عن تقيّة ، ومنها ما يدلّ على جواز العمل بها وإن لم يصدر عنهم (ع) في الواقع .

وهو قول الصّادق (ع) : « من سمع شيئاً من الثّواب على شيء فصنعه كان له أجره وإن لم يكن على ما بلغه »(١) وذلك لأنّه تسليم وطاعة وانقياد لا رأي فيه ولا اجتهاد .

وقال الصّادق (ع) : « احتفظوا بكتبكم فانّكم سوف تحتاجون إليها »(٢) ، وقال لمفضل بن عمر : « اكتب وبث علمك في إخوانك فان مت فاورث كتبك بنيك ، فانّه يأتي على النّاس زمان هرج لا يأنسون فيه إلا بكتبهم »(٣) .

وقال صاحب زماننا (ع) : « وأمّا الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فانّهم حجّتي عليكم وأنا حجة الله عليهم »(٤) ، وبالجملة قد أذنوا في الأخذ بالأخبار والكتب والتسليم والانقياد ولم يأذنوا في الاخذ بالآراء والاجتهاد ، بل نهوا فليس لنا إلاّ الاتباع والاقتصار على السّماع من دون ابتغاء الدّليل ، والله يقول الحقّ وهو يهدي السّبيل .

الفصل الخامس

في النهي عن المناظرة والمجادلة

ومن فضل الله علينا ولطفه بنا وله الحمد أضعاف ما حمده الحامدون أن جعل لنا إماما بعد إمام ظاهراً فينا وإن كان مستوراً على أعدائنا إلى أن انقضى من الهجرة النّبويّة مأتان وستّون سنة ، ثّم جعل للاخير بعد غيبته سفراء إلى قريب من تمام ثلاثمأة وثلاثين سنة وكان أصحابنا في هذه المدّة المديدة يأخذون العلوم الدّينيّة ظاهرها وباطنها من معدنها على اطمئنان من قلوبهم وانشراح من صدورهم بقدر قابليتهم ومرتبتهم ومنزلتهم ، فأغناهم الله بذلك عن تقليد من لا يجوز تقليده ونجّاهم به من حيرة الحيران .

وبعد انقضاء هذه المدة كانوا يرجعون إلى الاصول المأخوذة عنهم المشتملة على أكثر ما يحتاج إليه النّاس حتّى شذ مسألة ضرورية لا يكون فيها حكم جزئي أو كلي عنهم (ع) وفق له من وفق .

---

(١) الكافي : ج ٢ ص ٨٧ . (٢) الكافي : ج ١ ص ٥٢ . (٣) الكافي : ج ١ ص ٥٢ .

(٤) الاحتجاج : ج ٢ ص ٢٨٣ والامامة والتبصرة ص ٦٢ .

قال أمير المؤمنين (ع) : «يا معشر شيعتنا والمنتحلين ولايتنا إيّاكم وأصحاب الرّأي فانهم أعداء السّنن تفلّتت منهم الأحاديث أن يحفظوها ، وأعيتهم السنة أن يعوها فاتخذوا عباد الله خولا وماله دولا ، فذلت لهم الرّقاب وأطاعهم الخلق أشباه الكلاب ، ونازعوا الحق وأهله فتمثلوا بالائمة المعصومين الصّالحين « الصادقين خ » وهم من الجهال الملاعين فسئلوا عما لا يعلمون فانفوا ان يعترفوا بأنهم لا يعلمون فعارضوا الدّين بآرائهم وضلوا فأضلّوا ، أما لو كان الدين بالقياس لكان باطن الرجلين أولى بالمسح من ظاهرهما »[1] .

وعن الباقر (ع) : «من أفتى النّاس برأيه فقد دان الله بما لا يعلم ، ومن دان الله بما لا يعلم فقد ضاد الله حيث أحلّ وحرّم فيما لا يعلم »[2] .

وعن الصّادق (ع) أنّه قيل له ترد علينا أشياء لا نعرفها في كتاب ولا سنّة فننظر فيها ؟ قال : « لا ، أما أنك لو أصبت لم تؤجر وإن أخطأت كذبت على الله »[3] .

وقال أمير المؤمنين (ع) في ذم اختلاف العلماء في الفتيا : « ترد على أحدهم القضية في حكم من الاحكام فيحكم فيها برأيه ثم ترد تلك القضية بعينها على غيره فيحكم فيها بخلاف قوله ، ثم يجتمع القضاة بذلك عند إمامهم الذي استقضاهم فيصوب آراءهم جميعاً وإلههم واحد وكتابهم واحد ، ونبيّهم واحد أفأمرهم الله سبحانه بالاختلاف فأطاعوه ؟ أم نهاهم عنه فعصوه ؟ أم أنزل الله سبحانه دينا ناقصاً فاستعان بهم على إتمامه ؟ أم كانوا شركاء له فلهم أن يقولوا وعليه أن يرضى ؟ أم أنزل الله ديناً تامّا فقصّر الرّسول عن تبليغه وأدائه والله سبحانه يقول : ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء ، وفيه تبيان لكلّ شيء﴾[4] وذكر أن الكتاب يصدق بعضه بعضاً وأنّه لا اختلاف فيه فقال سبحانه : ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾[5] وأن القرآن ظاهره أنيق ، وباطنه عميق لا تفني عجائبه ، ولا تنقضي غرائبه ، ولا تنكشف الظلمات إلا به »[6] .

وعنه (ع) : «اعلموا عباد الله أن المؤمن (من خ) يستحل العام ما استحلّ عاما أوّل ، ويحرم العام ما حرمّ عاما أول ، وأن ما أحدث النّاس لا يحلّ لكم شيئاً مما حرّم الله عليكم ، ولكن الحلال ما أحل الله والحرام ما حرم الله »[7] .

---

(١) البحار : ج ٢ ص ٨٤ عن التفسير المنسوب للامام العسكري(ع) .

(٢) الكافي : ج ١ ص ٥٧ . (٣) الكافي : ج ١ ص ٥٦ . (٤) سورة الانعام : آية ٣١ .

(٥) سورة النساء : آية ٨٢ . (٦) نهج البلاغة : ص ٦٠ خطبة ١٨ . (٧)نهج البلاغة : ص ٢٥٤ خطبة ١٧٦ .

الفصل السادس

في علم الكلام

وأما علم الكلام فحاصل ما يشتمل عليه من الأدلة التي ينتفع بها فالقرآن والأخبار مشتملة عليه وما خرج عنهما فهو إما مجادلة مذمومة ، وإمّا مشاغبة بالتعلق بمتناقضات الفرق ، وتطويل بنقل المقالات التي أكثرها ترهات وهذيانات تزدريها الطباع وتمجها الاسماع ، وأكثرها خوض فيما لا يتعلق بالدّين .

ولم يكن شيء من ذلك مألوفا في العصر الأول ، وكان الخوض فيه بالكلية من البدع ، ولكن اليوم صار ممّا لا بدّ منه حراسة لقلوب العوام من تخييلات المبتدعة ، وإنّما حدث ذلك بحدوث البدع كما حدث حاجة الانسان على استيجار البدرقة في طريق الحجّ لحدوث ظلم العرب وقطعهم الطريق ، ولو تركت العرب عداوتهم لم يكن استيجار الحراس من شروط طريق الحجّ

والمتكلم إن تجرد للمناظرة ولم يسلك طريق الآخرة ولم يشتغل بتعهد القلب وإصلاحه لم يكن من جملة علماء الدّين أصلا ، إذ ليس عند المتكلم من الدّين إلّا العقيدة التي يشاركه ساير العوام فيها ، وهي من جملة أعمال ظاهر القلب واللسان وإنّما يتميّز عن العامي بصفة المجادلة والحراسة ، فان معنى معرفة الله سبحانه وصفاته وأفعاله وجميع ما أشرنا إليه من العلوم الدّينية فلا يحصل من علم الكلام بل يكاد أن يكون الكلام حجابا ومانعاً عنه وإنّما الوصول إليه بالمجاهدة التي جعلها الله سبحانه مقدمة للهداية حيث قال تعالى : ﴿**والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا**﴾(١) .

قال أمير المؤمنين (ع) : « من طلب الدّين بالجدل تزندق »(٢) ، وروي أنّ رجلا قال للحسين بن عليّ (ع) : « اجلس حتى نتناظر في الدين قال : يا هذا انا بصير بديني ، مكشوف عليَ هداي ، فان كنت جاهلا بدينك فاذهب واطلبه مالي وللممارات »(٣) .

وعن الباقر (ع) : «الخصومة تمحق الدين وتحبط العمل وتورث الشّك »(٤) ، وعن الصّادق (ع) « لا يخاصم إلّا شاك أو من لا ورع له »(٥) وعن الكاظم (ع) أنّه قال لعلي ابن يقطين : « مر

---

(١) سورة العنكبوت : آية ٦٩ . (٢) كتاب الاعتقادات ص ٧٤ الملحق بشرح باب حادي عشر .
(٣) مصباح الشريعة باب ٤٨ . (٤) التوحيد: ص ٤٥٨ ح ٢١ . (٥) التوحيد: ص ٤٦٠ ح ٣٠ .

أصحابك أن يكفوا عن ألسنتهم ويدعوا الخصومة في الدّين ، ويجتهدوا في عبادة الله عزّ وجلّ »[1] .

وعن الرّضا (ع) أنّه سئل في مكاتبته أنّهم نهوا عن الكلام في الدّين فتأوّل مواليك المتكلمون بأنّه إنما نهي من لا يحسن أن يتكلم فامّا من يحسن أن يتكلم فلم ينهه ، فهل ذلك كما تأوّلوا ؟ فكتب (ع) : «المحسن وغير المحسن لا يتكلم فيه فان اثمه أكبر من نفعه »[2] .

الفصل السابع

الجدال التي هي احسن والتي ليست بأحسن

إنما منعوا من الجدال والمناظرة لأنّ لهما آدابا وشروطاً لا بدّ من مراعاتها وآفات يجب التجنب عنها ، وقل من يهتدي إليها ويوفق لما يجب ، وإلا فالجدال بالتي هي أحسن مأمور به .

قال أبو محمّد الحسن العسكري (ع) : ذكر عند الصّادق (ع) « الجدال في الدّين وأن رسول الله (ص) والأئمة (ع) قد نهوا عنه فقال الصّادق (ع) : لم ينه عنه مطلقاً ولكنه نهى عن الجدال بغير التي هي أحسن أما تسمعون الله يقول : ﴿**ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن**﴾[3] وقوله : ﴿**ادع إلى سبيل ربّك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن**﴾[4] فالجدال بالتي هي أحسن قد امر به العلماء بالدين ، والجدال بغير التي هي أحسن محرم حرم الله على شيعتنا وكيف يحرمّ الله الجدال جملة ؟ وهو يقول : ﴿**وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى**﴾[5] قال الله تعالى : ﴿**تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين**﴾[6] فجعل علم الصّدق الاتيان بالبرهان ، وهل يؤتى بالبرهان إلاّ في الجدال التي هي أحسن .

قيل يابن رسول الله : فما الجدال التي هي أحسن والتي ليست بأحسن ؟

قال : أمّا الجدال بغير التي هي أحسن فان تجادل مبطلا فيورد عليك باطله فلا تردّه بحجة قد نصبه الله ولكن تجحد قوله أو تجحد حقا يريد ذلك المبطل أن يعين به باطله فتجحد ذلك

---

(١) التوحيد : ص ٤٦٠ ح ٢٩ .

(٢) التوحيد : ص ٤٥٩ ح ٢٦ . (٣) سورة العنكبوت : آية ٤٦ . (٤) سورة النحل : آية ١٢٥ .

(٥) سورة البقرة : آية ١١١ . (٦) سورة البقرة : آية ١١١ .

الحق مخافة أن يكون له عليك فيه حجة ، لأنّك لا تدري كيف المخلص منه فذلك حرام على شيعتنا أن يصيروا فتنة على ضعفاء إخوانهم ، وعلى المبطلين أما المبطلون فيجعلون ضعف الضعيف منكم إذا تعاطى مجادلته وضعف في يده حجة له على باطله ، أمّا الضعفاء فتغتم قلوبهم لما يرون من ضعف المحق في يد المبطل .

وأما الجدال بالتي هي أحسن وهو ما أمر الله به نبيّه أن يجادل بها من جحد البعث بعد الموت واحياء الله له فقال الله حاكيا عنه : **﴿وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم﴾**[1] وقال الله في الرد عليه **﴿قل﴾** يا محمد : **﴿يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً﴾**[2] إلى آخر السّورة ، فأراد الله من نبيّه أن يجادل المبطل الذي قال : كيف يجوز أن يبعث هذه العظام وهي رميم ؟ فقال الله : **﴿قل يحييها الذي أنشأها أول مرة﴾** أفيعجز من ابتدأه لا من شيء « من لا شيء خ » أن يعيده بعد أن يبلى ؟ بل ابتداؤه أصعب عندكم من إعادته .

ثم قال : **﴿الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فاذا أنتم منه توقدون﴾**[3] اي إذا كمن النار الحارة في الشجر الأخضر الرطب ثم يستخرجها فعرفكم أنه على إعادة ما بلى أقدر ، ثم قال : **﴿أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم﴾**[4] إى إذا كان خلق السموات والأرض اعظم وأبعد في أوهامكم وقدركم أن تقدروا عليه من إعادة البالي فكيف جوزتم من الله خلق هذا الأعجب عندكم والأصعب لديكم ولم تجوزوا منه ما هو أسهل عندكم من إعادة البالي .

قال الصادق (ع) : فهذا الجدال بالتي هي أحسن ، لأن فيها قطع عذر الكافرين ، وإزالة شبههم وأما الجدال بغير التي هي أحسن فان تجحد حقا لا يمكنك أن تفرق بينه وبين باطل من تجادله ، وإنما تدفعه عن باطله بأن تجحد الحق ، فهذا هو المحرم لأنك مثله جحد هو حقا وجحدت أنت حقا آخر »[5] .

---

(١) سورة يس : آية ٧٨ . (٢) سورة يس : آية ٧٩ ـ ٨٠ . (٣) سورة يس : آية ٨٠ .
(٤) سورة يس : آية ٨١ . (٥) الاحتجاج : ج ١ ص ١٥ .

الفصل الثامن
العلم النافع وعلاماته

وللعلم النافع صفات وعلامات وآداب فعن الصادق (ع) في قول الله تعالى : ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾[1] قال : « يعني بالعلماء من صدق فعله قوله ومن لم يصدّق فعله قوله فليس بعالم »[2] .

وعنه (ع) : «اطلبوا العلم وتزينوا معه بالحلم والوقار ، وتواضعوا لمن تعلمونه العلم ، وتواضعوا لمن طلبتم منه العلم ، ولا تكونوا علماء جبارين فيذهب باطلكم بحقكم »[3] .

وعن الرضا (ع) قال : « إن من علامات الفقه الحلم والصمت »[4] .

وعن الصادق « الرضا خ » (ع) قال قال أمير المؤمنين (ع) : «ألا اخبركم بالفقيه حق الفقيه ؟ من لم يقنط الناس من رحمة الله ، ولم يؤمنهم من عذاب الله ، ولم يرخص لهم في معاصي الله ، ولم يترك القرآن رغبة عنه إلى غيره ، الا لاخير في علم ليس فيه تفهم ، ألا لاخير في قراءة ليس فيها تدبر ، الا لاخير في عبادة لافقه فيها ، ألا لاخير في نسك لا ورع فيه »[5] .

يعني أن الفقيه حقيقة ليس إلا من يكون عالما بالمراد من الوعد والوعيد جميعاً عارفا بالمقصود من الأوامر والنواهي جملة بملاحظة بعضها إلى بعض ، وإنما عرف الفقيه بهذه العلامات السّلبية لأن أكثر من يسمّى عند الجمهور بهذا الاسم في كل زمان يكون موصوفا بأضدادها ، فكأنه (ع) عرض بالعلماء السّوء والفقهاء الزور وقد أبطل بكل علامة مذهباً من المذاهب الباطلة أو أكثر في الاصول والفروع .

---

(١) سورة فاطر : آية ٢٨ .

(٢) الكافي : ج ١ ص ٣٦ وعدة الداعي ص ٧٩ قوله : من صدق قوله فعله : المراد به من يكون ذا علم ومعرفة ثابتة مستقرة استقراراً لا يغلبه معه هواه والمعرفة الثابتة المستقرة كما تدعو الى القول والإقرار باللسان تدعو الى الفعل والعمل بالأركان ، والعالم بهذا المنى له خشية من ربه تؤدبه الى الطاعة والانقياد قولاً وفعلاً (مرآة) .

(٣) الكافي : ج ١ ص ٣٦ وأمالي الصدوق ص ٢٩٤ ج ٩ وروضة الواعظين ص ١٠ ودعائم الاسلام ج ١ ص ٨٠ .

(٤) الكافي : ج ١ ص ٣٦ . (٥) الكافي : ج ١ ص ٣٦ ومعاني الاخبار ص ٢٢٦ وتحف العقول ص ١٤٤ .

فبالأولى أبطل مذهب المعتزلة القائلة بايجاب الوعيد وتخليد صاحب الكبيرة في النار ، ومذهب الخوارج المضيقين في التكاليف الشّرعية .

وبالثانية مذهب المرجئة ومن يجري مجراهم من المغترين بالشفاعة وصحة الاعتقاد .

وبالثالثة مذهب الحنابلة والاشاعرة ومن يشبههم كأكثر المتصوفة .

وبالرابعة مذهب المتفلسفة الذين اعرضوا عن القرآن وأهله وحاولوا اكتساب العلم والعرفان من كتب قدماء الفلاسفة ومذهب الحنفيّة الذين عملوا بالقياس وتركوا القرآن والحديث ، والعلم الذي ليس فيه تفهم كالعلم الظني والتقليدي ومجرد حفظ الأقوال والروايات فانها ليس بعلم في الحقيقة .

وعن الباقر (ع) : «أنه سئل عن مسألة فاجاب فيها فقال الرّجل : إن الفقهاء لا يقولون هذا فقال : يا ويحك فهل رأيت فقيهاً قط إن الفقيه حق الفقيه الزاهد في الدنيا والراغب في الاخرة المتمسك بسنّة النبي (ص) »[١] .

وعن الصادق (ع) قال : « طلبة العلم ثلاثة فاعرفهم باعيانهم وصفاتهم : صنف يطلبه للجهل والمراء ، وصنف يطلبه للاستطالة والختل ، وصنف يطلبه للفقه والعقل .

فصاحب الجهل والمراء موذي مماري متعرض للمقال في أندية الرّجال بتذاكر العلم وصفة الحلم قد تسربل بالخشوع وتخلى من الورع فدق الله من هذا خيشومه وقطع منه حيزومه .

وصاحب الاستطالة والختل ذو خب وملق يستطيل على مثله من أشباهه ويتواضع للاغنياء من دونه فهو لحلوائهم هاضم ولدينه « لدينهم خ » حاطم ، فأعمى الله على هذا خبره « خيره خ » وقطع من آثار العلماء أثره .

وصاحب الفقه والعقل ذو كآبة وحزن وسهر قد تحنك في برنسه ، وقام الليل في حندسه يعمل ويخشى وجلا داعياً مشفقا ، مقبلا على شأنه ، عارفا بأهل زمانه مستوحشا من أوثق إخوانه فشدّ الله من هذا أركانه ، وأعطاه يوم القيامة أمانه »[٢] .

وعن النبي (ص) العلماء رجلان : « رجل عالم أخذ بعلمه فهذا ناج ، وعالم تارك لعلمه

---

(١)الكافي : ج ١ ص ٧٠.　　(٢) الكافي : ج ١ ص ٤٩ .

فهذا هالك ، وان أهل النّار ليتاذّون من ريح العالم التارك لعلمه ، وان اشدّ أهل النّار ندامة وحسرة رجل دعى عبداً إلى الله فاستجاب له وقبل منه فأطاع الله فأدخله الله الجنة ، وأدخل الدّاعي النّار بتركه علمه واتباعه الهوى وطول الامل أما اتباع الهوى فيصدّ عن الحق وطول الامل ينسي الآخرة »[1] .

وعنه (ص) : « منهومان لا يشبعان طالب دنيا وطالب علم فمن اقتصر من الدنيا على ما أحل الله له سلم ، ومن تناولها من غير حلّها هلك إلاّ ان يتوب أو يراجع ، ومن أخذ العلم من أهله وعمل بعلمه نجا ، ومن أراد به الدّنيا فهي حظه »[2] .

وعن السجاد (ع) : «مكتوب في الانجيل لا تطلبوا علم ما لا تعلمون ولما تعملوا بما علمتم ، فانّ العلم إذا لم يعمل به لم يزدد صاحبه إلا كفرا ، ولم يزدد من الله إلا بعدا »[3] .

وعن الباقر (ع) : «من طلب العلم ليباهي به العلماء أو يماري به السفهاء أو يصرف به وجوه الناس فليتبوأ مقعده من النار ، إنّ الرّياسة لا تصلح إلا لأهلها »[4] .

وعن الصادق (ع) : «العلم مقرون بالعمل فمن علم عمل ومن عمل علم ، والعلم يهتف بالعمل فان أجابه وإلا ارتحل عنه »[5] .

وعنه (ع) : «إذا رأيتم العالم محبّاً للدنيا فاتهموه على دينكم فان كلّ محبّ لشيء يحوط ما أحب »[6] .

الفصل التاسع
في آداب المعلم

ينبغي للمتعلم أن يطهّر نفسه أولا من رذائل الأخلاق ومذموم الأوصاف إذ العلم عبادة القلب وصلاة السّرو قربة الباطن إلى الله ، فكما لا تصح الصّلاة التي هي وظيفة الجوارح الظاهرة إلا بتطهير الظاهر عن الأحداث والأخباث فكذلك لا يصحّ عبادة الباطن وعمارة القلب بالعلم إلا بعد طهارته من خبائث الاخلاق وأنجاس الاوصاف .

---

(١) الكافي : ج ١ ص ٤٤ .
(٢) الكافي : ج ١ ص ٤٦ . (٣) الكافي : ج ١ ص ٤٤ . (٤)الكافي : ج ١ ص ٤٧ .
(٥) الكافي : ج ١ ص ٤٤ عن الامام علي (ع) كما في عدة الداعي ص ٧٨ . (٦) الكافي : ج ١ ص ٤٦ .

قال النّبي (ص) : « بني الدّين على النّظافة »[1] وهو كذلك ظاهراً وباطنا وقال الله تعالى : ﴿إنما المشركون نجس﴾ تنبيها للعقول على أن الطهارة والنجاسة غير مقصورتين على الظواهر المدركة بالحس فالمشرك قد يكون نظيف الثوب مغسول البدن ولكنه نجس الجوهر أي باطنه ملطخ بالخبائث ، والنجاسة عبارة عما يجتنب ويطلب البعد منه وخبائث صفات الباطن أهمّ بالاجتناب فانها مع خبثها في الحال مهلكات في المال .

ولذلك قال رسول الله (ص) : « لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب »[2] والقلب بيت هو منزل الملائكة ومهبط أثرهم ومحلّ استقرارهم والصّفات المردية مثل الغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب وأخواتها كلاب نابحة فأنّى تدخله الملائكة وهو مشحون بالكلاب ، ونور العلم لا يقذفه الله عز وجل في القلب إلاّ بواسطة الملائكة .

الفصل العاشر

الاخلاص بالعلم لله

وينبغي للمعلم أن يخلص تعليمه لله من غير طمع ، وأن يشفق على المتعلم وينصحه ويقتصر على قدر فهمه ، وأن يبذل العلم لأهله ويمنع غير أهله .

فعن الصادق (ع) قال : « قام عيسى بن مريم خطيباً في بني إسرائيل فقال : يا بني اسرائيل لا تحدثوا الجهال بالحكمة فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم »[3] وأن لا يقول ما لا يعلم .

سئل الباقر(ع) : « ما حق الله على العباد ؟ قال : «أن يقولوا ما يعلمون ويقفوا عند ما لا يعلمون »[4] وعن الصادق (ع) قال : « إن الله خصّ عباده بآيتين من كتابه أن لا يقولوا حتى يعلموا ولا يردّوا مالا يعلموا » وقال : ﴿الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق﴾[5] وقال : ﴿بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله﴾[6] »[7] .

---

(١) احياء علوم الدين : ج ١ ص٤٨ . (٢) من لا يحضره الفقيه : ج ١ ص ١٥٩ .
(٣)الكافي :ج ١ ص ٤٢ . (٤) الكافي :ج ١ ص ٤٣ والمحاسن : ص ٢٠٤
(٥) سورة الاعراف : آية ١٦٩ . (٦) سورة يونس :آية ٣٩ . (٧) الكافي : ج ١ ص ٤٣ .

وعنه (ع): «إياك وخصلتين ففيهما هلك من هلك : إياك أن تفتي النّاس برأيك ، وأن تدين بما لا تعلم »[1] .

وعن الباقر (ع) : «من أفتى الناس بغير علم ولا هدى من الله لعنته ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ولحقه وزر من عمل بفتياه »[2] .

اريد بالعلم ما يستفاد من الأنوار الالهية والالهامات الحقّة كما هو للأئمة (ع) ، وبالهدى ما يسمع من أهل بيت النّبوة كما هو لنا ، وبملائكة الرحمة الهادون لنفوس الأخيار الى مقاماتهم في درجات الجنان ، وبملائكة العذاب السّائقون لنفوس الأشرار إلى منازلهم في دركات الجحيم والنيران .

وعن الصادق (ع) « إذا سئل رجل منكم عما لا يعلم فليقل لا أدري ولا يقل الله اعلم فيوقع في قلب صاحبه شكا ، وإذا قال المسؤول لا أدري فلا يتّهمه السّائل »[3] .

القصل الحادي عشر

في آداب المتعبد

وينبغي لمن أراد العبادة لله سبحانه أن يحصل أوّلا العلم بكيفية تلك العبادة من مأخذه ، ومأخذ العلوم جميعاً أهل بيت النّبوة الذين هم مهابط الوحي وينابيع الحكمة الآخذين علومهم من الله سبحانه .

سئل الباقر (ع) عن قول الله تعالى : ﴿فلينظر الانسان إلى طعامه﴾[4] ما طعامه ؟ قال (ع) : « علمه الذين يأخذه عمن يأخذه »[5] ولما كان تفسير الآية ظاهراً لم يتعرض له وإنما تعرض لتأويلها .

وعن النّبي (ص) : «من عمل بغير علم كان ما يفسد أكثر ممّا يصلح »[6].

وعن الصّادق (ع) : «العامل على غير بصيرة كالسّائر على غير الطريق لا يزيده سرعة السّير

---

(١) الكافي : ج ١ ص ٤٢ والمحاسن: ص ٢٠٤ . (٢) الكافي : ج ١ ص ٤٢ والمحاسن : ص ٢٠٥ .
(٣) الكافي : ج ١ ص ٤٢ والمحاسن : ص ٢٠٦ . (٤) سورة عبس : آية ٢٤ .
(٥) الكافي : ج ١ ص ٥٠ . (٦) الكافي : ج ١ ص ٤٤ .

إلا بعداً »[1] .

والسر في ذلك أن إصلاح القلب وتطهيره بالعبادات الجسمانية وتصفية النفس وتهذيبها بالأعمال البدنية ليست مقصودة بالذات ، لانها كالاعدام للملكات ، والعدم لا يكون مطلوبا إلا بالعرض إنما المطلوب أن ينكشف له المعارف الحقيقيّة من العلم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر لكل إنسان بحسب عقله وفهمه على تفاوت مراتبهم في ذلك ، ولا تنكشف هذه المعارف إلّا بأن يقع ذلك الاصلاح والتطهير على وجهه مأخوذاً عن صاحب الشرع صلوات الله عليه مع اعتقاد صحيح ولو بالسّماع منه ، فمن اقتصر في سلوكه على مجرّد العمل والرياضة والمجاهدة من غير بصيرة ولا معرفة ، فالتصفية تصير وبالا عليه إذ تتحرك النفس بالخواطر الوهميّة ويستولي عليها الوساوس النفسانية ، فيشوش القلب حيث لم يتقدم له رياضة النفس بالعلوم الحقة ، والأفكار الصحيحة ولم يأخذ كيفية العبادة عن صاحب الشرع وخلفائه (ص) ، فيتشبث بالقلب خيالات ، فاسدة وتصورات باطلة وأوهام كاذبة وربّما يتخيّل في ذات الله سبحانه وصفاته اعتقادات فاسدة من باب الكفر والزندقة وفي زعمه أنّها صحيحة حقة نعوذ بالله منه ، وربّما يقتدي به غيره فيتعدى شره ويصير من الجاهلين المتنسكين القاصمين للظهر .

ثم مع ذلك قلّ ما يخلو من إعجاب بنفسه وافتخار بعلمه واغترار بعبادته ونظراً إلى سائر الناس بعين الاحتقار والازدراء وربّما يتشحن باطنه بأمراض نفسانية وهو غافل عنها غير ملتفت إلى معالجتها وإزالتها ، وربّما يظن الرّزايل فضايل والعيوب كمالات كما أخبر الله سبحانه : **﴿قل هل ننبّئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدّنيا وهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعا﴾**[2] .

قال أمير المؤمنين (ع) : « قصم ظهري رجلان عالم متهتّك وجاهل متنسّك فالجاهل يغير « يغترخ ل » الناس بتنسّكه والعالم ينفرهم بتهتكه »[3] .

وقال الصادق (ع) : « لا يقبل الله عملا إلا بمعرفة ولا معرفة إلا بالعمل « بعمل » فمن عرف دلته المعرفة على العمل ، ومن لم يعمل فلا معرفة له ألا إن الايمان بعضه من بعض »[4] .

---

(١) الكافي : ج ١ ص ٤٣ وأمالي الشيخ المفيد : ص ٤٢ وعن رسول الله (ص) « والعامل على غير بصيرة كالسائر على غير طريق لا يزيده سرعة السير من الطريق إلّا بعداً » عدة الداعي ص ٧٤ .

(٢) سورة الكهف : آية ١٠٣ ـ ١٠٤ . (٣) العوالي : ج ٤ ص ٧٧ ح ٦٤ . (٤) امالي الصدوق : ص ٣٤٤ ح ١٩ .

معناه أنّ كل معرفة تثمر حالا وصفاء في النفس ، وكل حال تحمل صاحبه على عمل وعبادة ، وكل عبادة تثمر حالا آخر وصفاء غير الأول ، وهو يثمر معرفة اخرى سوى الاولى ، وهكذا يتكامل ايمان المرء بالمعرفة والعبادة حتى بلغ الغاية وخلص من التعب والمشقة واستقر في مقام الأمن والراحة واصلا إلى عين اليقين .

ومثل ذلك مثل من يمشي بسراج في ظلمة ، فكلّما أضاء له من الطريق قطعة مشى فيها فيصير ذلك المشي سبباً لاضاءة قطعة اخرى منه وهكذا ، وفي الحديث النبوي (ص): «من عمل بما علم ورثه الله علم ما لا يعلم »[١] .

الفصل الثاني عشر

في ذم اهل البدع والاهواء

قد ورد في ذمّ أهل البدع والاهواء والجهّال المتشبهين بالعلماء أخبار كثيرة عن أئمة الهدى سلام الله عليهم ولنورد منها نبذا تكون انموذجا لما سواها .

فعن الصادق (ع) قال : « قال رسول الله (ص) : إذا رأيتم أهل البدع والريب من بعدي فأظهروا البراءة منهم وأكثروا من سبّهم والقول فيهم والوقيعة ، وباهتوهم حتى لا يطمعوا في الفساد في الاسلام ويحذرهم الناس ولا يتعلّمون من بدعهم يكتب الله تعالى لكم بذلك الحسنات ويرفع لكم به الدرجات »[٢] .

وقال (ص) : « إذا ظهرت البدع في امّتي فليظهر العالم علمه فمن لم يفعل فعليه لعنة الله »[٣] .

وقال (ص): «إن عند كلّ بدعة تكون من بعدي يكاد بها الايمان وليّا من أهل بيتي « موكلا به خ » يذب عنه ينطق بالهام من الله ويعلن الحق وينوره ويردّ كيد الكائدين يعبر عن الضعفاء فاعتبروا يا اولي الابصار وتوكلوا على الله »[٤] .

وقال (ص) : « كلّ بدعة ضلالة وكلّ ضلالة في النّار »[٥] .

---

(١) البحار : ج ٤٠ ص ١٢٨ .

(٢) الكافي : ج ٢ ص ٣٧٥ . تنبيه الخواطر ص ٣٩٧ .

(٣)الكافي : ج ١ ص ٥٤ . (٤) الكافي : ج ١ ص ٥٤ . (٥) الكافي : ج ١ ص ٥٦ وأمالي المفيد : ص ١١ .

وقـال أمير المؤمنين (ع) في خـطبة لـه : « إنما بـدؤ وقوع الفتن اهـواء تتبع وأحكـام تبتدع يخالف فيها كتاب الله يتولى فيها رجال رجالا ، فلو أن الباطل خلص لم يخف على ذى حجى ، ولـو أنّ الحقّ خلص لم يكن اختـلاف ولكن يؤخـذ من هـذا ضغث ومن هـذا ضغث فيمـزجـان ويجيئـان معـا ، فهنــالـك استحــوذ الشيـطان على اوليـــائـه ونجى الـــذين سبقت لهم من الله الحسنى »[1] .

وقال (ع) : « إنّ من أبغض الخلق إلى الله تعالى لرجلين : رجل وكله الله إلى نفسه فهو جائر عن قصد السّبيل مشغوف بكلام بـدعة[2] قـد لهج بـالصّوم والصّـلاة فهو فتنـة لمن افتتن به ضال عن هدى من كان قبله ، مضلُّ لمن اقتدى به في حياته وبعد موته حمّال خـطايا غيـره رهن بخطيئته .

ورجل قمش[3] جهلا في جهال النّاس عان[4] بأغباش الفتنة قـد سمّاه أشبـاه الناس عـالما ولم يغن فيه يوماً سالماً ، بكر فاستكثر ما قل منه خير ممّا كثر حتّى إذا ارتـوى من آجن[5] واكتنز من غير طائل جلس بين الناس قاضياً ضـامناً لتخليص مـا التبس على غيره ، وإن خـالف قاضيـاً سبقـه لم يأمن ان ينقض حكمـه من يـأتي بعـده كفعله بمن كـان قبله ، وإن نـزلت بـه احـدى المبهمات المعضلات هيّأ لها حشوا من رأيه ثمّ قـطع به ، فهـو من لبس الشبهات في مثـل غزل العنكبـوت لا يدري أصـاب أم أخطأ لا يحسب العلم في شيء ممّـا انكر ، ولا يـرى أن وراء ما بلغ فيه مذهباً ، إن قاس شيئاً بشيء لم يكذب نظره ، وإن أظلم عليه امر اكتتم به لمـا يعلم من جهل نفسه ، يكنّ الصّواب لكيلا يقال له لا يعلم ، ثمّ جسر فقضى .

فهو مفتاح عشوات ، ركاب شبهات ، خبّاط جهلات ، لا يعتذر فيما لا يعلم فيسلم ، ولا

---

(١) الكافي : ج ١ ص ٥٤ .

(٢) في نهج البلاغة هكذا مشغوف بكلام بدعة ودعاء ضلالة ، فهو الخ وبالمعجمة والمهملة ما قرء أيضاً قوله تعالى : ﴿قد شغفها حباً﴾ .

والظاهر أن المصنف ر(ره) نقل هذا الحـديث عن الكافي وكم من اختـلاف فيه بـين ما نقله الكليني (قـد) وما نقله السيد (ره) في النهج .

(٣) القمش جمع المتفرق من هاهنا وهاهنا .

(٤) من قولهم عنى فيهم أسيراً أي أقام فيهم على اسارة أو من عنى بمعنى تعب وفي بعض نسخ النهج غار من الغرور وهو الغفلة وفي بعضها عاد من العدو بمعنى السعي أو من العدوان والاغباش ظلمة آخر الليل .

(٥) في نسخ النهج من ماء آجن ، والماء الاجن المتغير الطعم واللون .

يغض في العلم بضرس قاطع فيغنم ، يذري الروايات ذرو الريح الهشيم[1] تبكي منه المواريث ، وتصرخ منه الدّماء ، ويستحلّ بقضائه الفرج الحرام ، ويحرّم بقضائه الفرج الحلال ، لاملىء باصدار ما عليه ورد ولا هو أهل « ابهل خ » لما منه فرط من ادعائه علم الحقّ »[2] وقال (ع) : «إلى الله أشكو من معشر يعيشون جهالا ويموتون ضلالا ، ليس فيهم سلعة أبور من الكتاب إذا تلى حق تلاوته ، ولا أنفق سلعة وأغلا ثمنا من الكتاب إذا حرّف عن مواضعه ، ولا عندهم أنكر من المعروف ، ولا أعرف من المنكر »[3] .

وعن الصّادق (ع): «إن أصحاب المقائيس طلبوا العلم بالمقائيس فلم يزدهم المقائيس من الحق إلا بعداً ، وإنّ دين الله لا يصاب بالمقائيس »[4] .

وعن الكاظم (ع) : «من نظر برأيه هلك ومن ترك كتاب الله وقول نبيّه كفر »[5].

ولما كان غرضنا في هذا الكتاب مقصوراً على حقايق العلوم الدّينيّة اكتفينا بذلك ولم نتعرّض لأزيد منه ولا للعلوم الاخر .

وعن أمير المؤمنين (ع) أنه قال : « العلم اكثر من أن يحاط به فخذوا من كل علم أحسنه »[6] وزاد في رواية اخرى : « فان النحل يأكل من كل زهر أزينه فيتولد جوهران : أحدهما فيه شفاء للناس ، والآخر يستضاء به »[7].

أقول : وتصديق ذلك في قول الله سبحانه : ﴿فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه اولئك الذين هديهم الله واولئك هم أولوا الألباب﴾[8] .

الباب الثاني

في العقايد

في العقايد اعلم أن العقايد لا يجوز أخذها إلا بوحي من الله سبحانه بواسطة الأنبياء ثم

---

(١) وفي بعض الروايات يذرو بالواو والهشيم النبت اليابس المنكسر؛ فالمعنى أن الريح كما لا تبالي في اطارة الهشيم وتبديده وتمزيقه كذلك يفعل هذا الجاهل في الروايات .

(٢) الكافي : ج ١ ص ٥٥ (٣) نهج البلاغة : ص ٦٠ خطبة رقم ١٧ .

(٤) الكافي : ج ١ ص ٥٦ والمحاسن : ص ٢١١ . (٥) الكافي : ج ١ ص ٥٦ .

(٦) غرر الحكم : ص ٨٣ ح ١٨٩٩ . (٧) غرر الحكم : ص ٢٧٣ ح ٥١٦٨ . (٨) سورة الزمر : الاية ١٧ ـ ١٨ .

الأوصياء مع ما فطر الناس عليه من المعرفة ، قال الله تعالى : ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدّين القيّم﴾[1] فقد ورد ، ، أن المراد بها المعرفة ، وفي رواية التوحيد ، وفي الحديث النبوي (ص) : « كلّ مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه »[2] .

والفطرة في الاصل الجبلة ، وهي عبارة عن العقل المطبوع الذي هو شرع من داخل كما أنّ الشرع عقل من خارج ، فان العقل كالسّراج والشّرع كالزّيت يمده فما لم يكن زيت لم يشعل السراج ، وما لم يكن سراج لم يضيء الزيت ، وأيضاً العقل كالبصر والشرع كالشعاع ولم ينفع البصر ما لم يكن شعاع من خارج ولن يغني الشعاع ما لم يكن بصر ﴿قد جآءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور باذنه﴾[3] فسحقا لأقوام عزلوا عقولهم وأعرضوا عن رسلهم واتبعوا اهواءهم فضلوا وأضلوا .

ثم إن أعقل العقلاء نبينا (ص) وخير الشرايع شرعه وإنّما أرسله الله وانزل معه الكتاب ليقوم الناس بالقسط . فصدع بأمر الله وهدى الخلق إلى صراط الله ، وأرشدهم الى معرفة صانعهم ويرم اخر هم ببيان وبرهان ناسبا عقولهم ، ونبّههم على أدلة وحجج بلغت إليها أفهامهم وأتى كل طائفة من ذلك بما يصلح لعقله وفهمه من برهان وخطابة وجدال بالتي هي أحسن ومعجزة لمن له المعجزة أبين ليكونوا على بصيرة من أمرهم وليهلك من هلك عن بيّنة ويحيى من حيّ عن بينة .

ثم أكمل لهم امور دينهم بحيث لم يحتج امّته إلى آثار السّالفين فيما يهمهم ويعينهم من أمر الدّين وليس لقائل أن يقول : إنّ ثبوت الأنبياء والشرايع يتوقف على ثبوت الصانع وصفاته الكمالية فكيف يعرف الصّانع وصفاته بالأنبياء والشرايع وذلك لأنه لو لم يكن صاحب هذا الكلام والبيان مقبول القول ومعصوم الفعال لكان فيها الحجة من حيث مطابقتها لمقتضى العقول السليمة ، فان براهينه هي المتبعة وبيّناته وحججه هي الملزمة على أن ما يتوقف عليه الشرع من معرفة الصانع وصفاته يجري مجرى الضروريات التي يحكم بها كلّ من له أدنى مسكة ، قال الله عزّ وجلّ : ﴿ولئن سألتهمُ من خلق السموات والأرض ليقولن الله﴾[4].

---

(١) سورة الروم : آية ٣٠ .
(٢) احياء علوم الدين : ج ٣ ص ١٥ .
(٣) سورة المائدة آية ١٦ .
(٤) سورة لقمان : آية ٢٥ .

فقد ثبت أنّ ما ورد في الشرع كاف في الاهتداء إلى سبيل الحق مع ما جبل عليه أهل السّلامة من العقل المطبوع ، فلا حاجة إلى تكلفات المتكلفين على اختلاف طبقاتهم وتشعب آرائهم وتناقض أهوائهم في إبداء الأدلة وأنّها من الحجج على امور الدين .

فانّهم جمعوا بين الجهل وسوء الأدب ، أما الجهل ، فلكونهم ما عرفوا موضع الدلالة فيما نصبه الحق دليلا ، وأما سوء الأدب فمعارضتهم له سبحانه بما دخلوا فيه ممّا يزعمونه دليلاً فجعلوا نظرهم في الدين أتّم في الدلالة ممّا دلّ عليه الحق تعالى عن ذلك ، أفأنزل الله دينا ناقصا فاستعان بهم على اتمامه أم أنزل الله دينا تاما فقصّر الرّسول عن تبليغه وأدائه والله سبحانه يقول : **﴿ما فرّطنا في الكتاب من شيء﴾**[١] وفيه **﴿تبياناً لكل شيء﴾**[٢] .

وقال أمير المؤمنين (ع) : « القرآن ظاهره أنيق وباطنه عميق لا تفنى عجائبه ولا تنقضي غرائبه ولا تنكشف الظلمات إلا به »[٣] .

الفصل الاول

في الثقلين

لما ثبت أن خير هاد إلى الله سبحانه نبيّنا (ص) وقد ثبت أنه ترك من بعده لخلافته الثقلين : كتاب الله ، وعترته المصطفين وما أوصى امّته في ذلك إلا بالتمسك بهما كما استفاض به الأخبار من طريقي العامة والخاصّة جميعاً على اختلاف في اللّفظ واتفاق في المعنى .

وفي رواية «إنّي تارك فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلوا بعدي : كتاب الله وعترتي أهل بيتي فانهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض»[٤] ومعنى عدم افتراقهما أن علم الكتاب كله هو عند العترة فمن تمسك بهم فقد تمسك بهما جميعاً .

وفي رواية « إنّي امرؤ مقبوض وأوشك أن ادعى فاجيب وقد تركت فيكم الثقلين »[٥]، وفي اخرى « الأكبر منهما كتاب الله طرف بيد الله وطرف بأيديكم فتمسّكوا به لا تزلوا ولا تضلوا ، والأصغر منهما عترتي لا تقتلوهم ولا تقهروهم فانّي سألت اللطيف الخبير أن يردا عليّ الحوض

---

(١) سورة الانعام : آية ٣٨ .

(٢) سورة النحل : آية ٨٩ . (٣) ارشاد القلوب : ص ٨ .

(٤) اكمال الدين : ج ١ ص ٢٣٧ . (٥) اكمال الدين : ج ١ ص ٢٣٦ .

فأعطاني فقاهرهما قاهري وخاذلهما خاذلي ووليّهما وليّي وعدوّهما عدوّي »[1] وفي رواية « وهما الخليفتان بعدي »[2] .

وسئل أمير المؤمنين (ع) عن معنى الحديث من العترة ، فقال : « أنا والحسن والحسين والتسعة من ولد الحسين (عليهم السلام) تاسعهم مهديهم وقائمهم لا يفارقون كتاب الله ولا يفارقهم حتّى يردا على رسول الله حوضه »[3] ، وفي رواية« من جعلهما أمامه قاداه إلى الجنة ومن جعلهما خلفه ساقاه إلى النار » .

وفي الخبر المستفيض : « إنّ مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق »[4] .

وفي الكافي عن الباقر (ع) قال : قال رسول الله (ص) : « أنا أوّل وافد على العزيز الجبار يوم القيامة وكتابه وأهل بيتي ثمّ امّتي ثم أسالهم ما فعلتم بكتاب الله وأهل بيتي »[5] .

وعن الصادق (ع) عن آبائه قال : قال رسول الله (ص) : « أيّها الناس إنكم في دار هدنة وأنتم على ظهر سفر والسّير بكم سريع وقد رأيتم الليل والنهار والشمس والقمر يبليان كل جديد ويقربان كلّ بعيد ويأتيان بكل موعود ، فأعدّوا الجهاز لبعد المجاز ، قال : فقام المقداد بن الاسود فقال : يا رسول الله ما دار هدنة ؟ قال : دار بلاغ وانقطاع ، فاذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن فانه شافع مشفع وما حل[6] مصدّق ومن جعله أمامه قاده إلى الجنة ومن جعله خلفه ساقه إلى النار .

وهو الدّليل يدلّ على خير سبيل ، وهو كتاب فيه تفصيل وبيان وتحصيل وهو الفصل ليس بالهزل ، وله ظهر وبطن فظاهره حكم وباطنه علم ظاهره أنيق وباطنه عميق ، له تخوم وعلى تخومه تخوم ، لا تحصى عجائبه ولا تبلى غرائبه ، فيه مصباح الهدى ومنار الحكمة ، ودليل على المعرفة لمن عرف الصّفة فليجل جال بصره ، وليبلغ الصفة نظره ينج من عطب ، ويخلص من نشب ، فانّ التفكر حياة قلب البصير كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور ، فعليكم

---

(١) الطرائف : ص ٢٨ ـ ٢٩ كما في البحارج ٢٣ ص ١٠٩ . . (٢) اكمال الدين : ح ١ ص ٢٣٦ .

(٣) اكمال الدين : ج ١ ص ٢٤٠ . (٤) امالي الطوسي : ص ٥٩ . (٥) الكافي : ج ٢ ص ٦٠٠ .

(٦) اي يمحل بصاحبه اذا لم يتبع ما فيه ، اعني يسعى به الى الله تعالى ، وقيل معناه خصم مجادل كذا في الصافي .

بحسن التخلص وقلة التربص »[1] .

وعنه (ع) قال : قال رسول الله (ص) : « القرآن هدى من الضّلالة وتبيان من العمى واستقالة من العثرة ونور من الظلمة وضياء من الاحداث وعصمة من الهلكة ورشد من الغواية وبيان من الفتن وبلاغ من الدّنيا إلى الآخرة ، وفيه كمال دينكم وما عدل أحد عن القرآن إلا إلى النار »[2] .

وعن الأئمة المعصومين سلام الله عليهم « من لم يعرف أمرنا من القرآن لم يتنكب الفتن »[3] .

وعنهم (ع) « من أخذ دينه من كتاب الله وسنّة نبيّه (ص) زالت الجبال قبل أن يزول ، ومن أخذ دينه من أفواه الرجال ردته الرّجال »[4] .

قال محمّد بن يعقوب الكليني (ره) بعد نقل هذا الحديث : « ولهذه العلة انبثقت على أهل دهرنا بثوق هذه الأديان الفاسدة والمذاهب المستبشعة « المستشنعة خ » التي قد استوفت شرايط الكفر والشرك كلها ؛ وذلك بتوفيق الله عزّ وجلّ وخذلانه .

فمن أراد الله توفيقه وأن يكون ايمانه ثابتا مستقراً سبب له الأسباب التي تؤديه إلى أن يأخذ دينه من كتاب الله وسنّة نبيّه (ص) بعلم ويقين وبصيرة ، فذلك أثبت في دينه من الجبال الرّواسي .

ومن أراد الله خذلانه وأن يكون دينه معاراً مستودعا نعوذ بالله منه سبب له أسباب الاستحسان والتقليد والتأويل من غير علم وبصيرة ، فذاك في المشيّة إن شاء الله تبارك وتعالى أتّم إيمانه وإن شاء سلبه إيّاه ولا يؤمن عليه أن يصبح مؤمنا ويمسي كافرا ، ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا ، لأنّه كلما رأى كبيراً من الكبراء مال معه ، وكلما رأى شيئا استحسن ظاهره قبله .

وقد قال العالم (ع) : إن الله تعالى خلق النّبيين على النّبوة فلا يكونون إلا أنبيآء ، وخلق الأوصياء على الوصيّة فلا يكونون إلا أوصياء ، وأعار قوما ايمانا فان شاء تمّمه لهم وإن شاء سلبهم إيّاه ، قال : وفيهم جرى قوله : ﴿فمستقر ومستودع﴾[5] »[6] .

---

(١) الكافي : ج ٢ ص ٥٩٨ . (٢) الكافي : ج ٢ ص ٦٠٠ .
(٣) الكافي : ج ١ ص ٧ (٤) الكافي : ج ١ ص ٧ .
(٥) سورة الانعام : آية ٩٨ . (٦) الكافي : ج ١ ص ٧ و ٨ . .

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري قال : « لما أنزل الله على نبيّه (ص) : ﴿يا أيّها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولى الأمر منكم﴾[1] قلت : يا رسول الله عرفنا الله ورسوله فمن أولي الأمر الذين قرن الله طاعتهم بطاعتك ؟ فقال (ص) : هم خلفائي يا جابر وأئمة المسلمين بعدي أوّلهم عليّ بن أبي طالب ثم الحسن ثم الحسين ثم عليّ بن الحسين ثم محمّد بن علي المعروف في التوراة بالباقر وستدركه يا جابر فاذا لقيته فاقرأه منّي السّلام ثم الصّادق جعفر بن محمّد ثم موسى بن جعفر ثم علي بن موسى ثم محمّد بن عليّ ثم علي بن محمّد ثم الحسن بن عليّ ثم كنيي وسميّي حجة الله في أرضه وبقيته في عباده ، ابن الحسن بن عليّ ذلك الذي يفتح الله تعالى ذكره على يده مشارق الأرض ومغاربها ، ذاك الذي يغيب عن شيعته وأوليائه غيبة لا يثبت فيها على القول بامامته إلا من امتحن الله قلبه للايمان .

قال جابر : قلت له : يا رسول الله فهل ينتفع شيعته به في غيبته قال اي والذي بعثني بالنّبوة يستضيئون بنوره وينتفعون بولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشّمس وإن تجللها سحاب يا جابر هذا من مكنون سرّ الله ومخزون علم الله فاكتمه إلا عن أهله »[2] .

الفصل الثاني

في طريق فهم العقايد

اعلم أن الناس في فهم العقايد وقبولها على طبقات ومنازل بعضها فوق بعض ليسوا في درجة واحدة . وإنّما كلف الله عباده بقدر ما أعطاهم من العقل والفهم والوسع .

قال الباقر (ع) : « إن المؤمنين على منازل ، منهم على واحدة ، ومنهم على اثنتين ومنهم على ثلاث ، ومنهم على أربع ، ومنهم على خمس ، ومنهم على ستّ ، ومنهم على سبع ، فلو ذهبت تحمل على صاحب الواحدة ثنتين لم يقو ، وعلى صاحب الثنتين ثلاثا لم يقو »[3] وساق الحديث .

وقال الصادق (ع) : « الايمان حالات ودرجات وطبقات ومنازل ، فمنه التام المنتهي تمامه ، ومنه الناقص البيّن نقصانه ، ومنه الرّاجح الزائد رجحانه »[4] .

---

(١) سورة النساء : آية ٥٩ .

(٢) كمال الدين : ج ١ ص ٢٥٣ . (٣) الكافي : ج ٢ ص ٤٥ . (٤) الكافي : ج ٢ ص ٣٤ .

وقال أيضاً « لو علم الناس كيف خلق الله هذا الخلق لم يلم أحد أحداً »(١) .

فينبغي أن يقدم إلى الصّبي في أول نشوه وتميزه « خ ل » ترجمة العقايد ليحفظها حفظا ثم لا يـزال ينكشف معناه في كبـره شيئاً فشيئـاً فابتـداؤه الحفظ ، ثم الفهم ، ثم الاعتقـاد والايقـان والتصديق به وذلك ممّا يحصل في الصّبي بغير برهان ، فمن فضل الله على قلب الانسان شرحه في أول نشوه للايمان من غير حـاجة إلى حجـة وبرهـان وكيف ينكر ذلـك وجميع عقـايد العـوام مباديها التلقين المجرد والتعليم المحض .

نعم يكون الاعتقاد الحاصل بمجرد التقليد غير خال عن نوع من الضعف في الابتداء على معنى أنه يقبل الازالة بنقيضه لو القى إليه ولا بد من تقويته وإثباته في نفس الصّبي والعامي حتّى يترشح بـه ولا يتزلـزل ، وليس الطريق في تقـويته وإثبـاته أن يعلم صنعـة الجدل والكـلام ، بل يشتغل بتلاوة القرآن وتفسيره ، وقراءة الحديث ومعانيه ، ويشتغل بوظائف العبادات .

فلا يزال يقوى اعتقاده ويزداد رسوخا بما يقرع سمعه من أدلة القرآن وحججـه ، وبما يـرد عليه من شواهد الأحاديث وفوائدها ، وبما يسطع عليه من أنوار العبادات ووظائفها ، ومـا يسري إليـه من مشاهـدة الصّالحين ومجـالستهم ورؤيـة سيمـاهم وسيـرتهم وهيئـآتهم في الخضـوع لله والخوف منه والاستكـانة لـه ، فيكون أول التلقين كـالقاء بـذر في الصّدر وتكـون هذه الاسبـاب كالسّقي والتربية له حتّى ينمو ذلك البذر ويقوى ويرتفع شجرة طيّبة راسخـة أصلها ثـابت وفرعهـا في السّماء .

وينبغي أن يحرس سمعه من الجدل والكلام غاية الحراسة فان ما يشوشها الجدل أكثر ممّا يمهّده ، وما يفسده أكثر ممّا يصلحه ، والمشاهدة تفكيك في هذا بيانا وناهيك بالعيان بـرهانـا ، فقس عقيـدة أهـل الصّـلاح والتّقى من عـوام النـــاس بعقيـدة المتكلمين والمتجــادلين ، فتـرى اعتقادهم العامي في الثبات كالطود الشامخ لا تحركه الدّواعي « الدّواهي خ » والصواعق وعقيـدة المتكلم الحارس اعتقاده بتقسيمات الجدل كخيط مرسل في الهواء تفيأه الـريح مـرّة هكذا ومـرّة هكذا إلا من سمع منهم دليل الاعتقاد فتلقفـه تقليدا كمـا تلقف نفس الاعتقاد تقليـدا ، ولا فرق بين التقليد في تعلم الدليـل أو تعلم المدلـول فتلقن الدّليـل شيء والاستقلال بـالنظر شيء آخـر بعيد عنه .

---

(١) الكافي : ج ١ ص ٤٤ ح ١ .

ثم الصّبي إذا وقع نشؤه على هذه العقايـد إن اشتغل بكسب الـدّنيا لم ينفتـح له غيـرها ، ولكنه سلم في الآخرة باعتقاد الحق إذ لم يكلف الشرع العرب أكثـر من التّصديق الجـزم بظاهـر هذه العقايد ، فامّا البحث والتفتيش وتكلف نظم الأدلة فلم يكلفوا أصلا .

وإن إراد أن يكون من سالكي طريق الآخرة وكان أهلا لذلك وساعده التـوفيق حتّى اشتغل بالعمل ولازم التقوى ونهى النفس عن الهوى واشتغل بالرّياضة والمجاهدة، انفتح له أبواب « من خ ل » الهداية ويكشف عن حقايق هذه العقيدة بنور إلهي يقذف في قلبه بسبب المجاهدة تحقيقاً لوعده تعالى إذ قال : ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا﴾[1] وهو الجوهر النفيس الذي هـو غايـة مقصد الصّديقين والمقرّبين ، وله درجات بحسب درجات المجاهدة ودرجات الباطن في النّظافة والطهارة عما سوى الله وفي الاستضاءة بنور اليقين .

وذلـك كتفاوت الخلق في أسـرار الطبّ والفقـه وسائـر العلوم ، إذ تختلف ذلك بـاختلاف الاجتهاد واختلاف الفطر في الذكاء والفطنة ، فكما لا تنحصر تلك الدّرجات فكذلك هذه ، وأما تفصيل متعلقات العقايد للخواص وكيفية المجاهدة لهم فقد أشرنـا إليهما في الفصـل الثالث من الباب الأول .

الفصل الثالث
اقل ما يجب اعتقاده

قال حجة الفرقة الناجية نصير الحق والدّين محمّد بن الحسن الطوسي طاب ثراه : أقل ما يجب اعتقاده على المكلف هو ما ترجمه قول لا إله إلا الله محمد رسول الله (ص) ثم إذا صدّق الرّسول فينبغي أن يصدّقه في صفـات الله واليوم الآخـر وتعيين الامام المعصـوم ، كل ذلـك بما يشتمل عليه القرآن من غير مزيد وبرهان .

أمّا في صفات الله فبانّه حيّ قادر عالم مريد متكلم ليس كمثله شيء وهو السّميع البصير ، وأما في الآخرة فبالايمان بالجنة والنار والصراط والميزان والحساب والشفاعة وغيرها ، ولا يجب عليه أن يبحث عن حقيقة الصّفات وأنّ الكلام والعلم وغيرهما حادث أو قديم ، بل لو لم تخطر هذه بباله ومات مات مؤمنا ، فان غلب على قلبه شـك أو إشكال فـان أمكن إزالته بكـلام قريب

---

(١) سورة العنكبوت : آية ٦٩ .

من الأفهام وإن لم يكن قويا عند المتكلمين ، ولا مرضياً ، فذاك كاف ولا حاجة إلى تحقيق الدليل .

فان الدّليل لا يتم إلاّ بذكر الشبهة والجواب ومهما ذكرت الشبهة لا يؤمن أن يتشبّث بالخاطر والقلب فيظنها حقّة لقصوره عن إدراك جوابها ، إذا الشّبهة قد تكون جليّة والجواب دقيقا لا يحتمل عقله ، ولهذا ورد الزجر عن البحث والتفتيش والكلام وإنما زجروا ضعفاء العوام وأمّا أئمة الدّين فلهم الخوض في غمرة الاشكالات .

ومنع العوام عن الكلام يجري مجرى منع الصبيان عن شاطىء الدّجلة خوفا من الغرق ، ورخصة الأقوياء فيه تضاهي رخصة الماهر في صنعة السّباحة إلاّ أنّ ههنا موضع غرور ومزلة قدم ، وهو أن كلّ ضعيف في عقله يظن انه يقدر على إدراك الحقايق كلها وانه من جملة الأقوياء ، فربما يخوضون ويغرقون في بحر الجهالات من حيث لا يشعرون ، والصّواب منع الخلق كلهم إلا الشاذ النادر الذي لا يسمح الأعصار إلا بواحد منهم أو اثنين من « ممن خ » تجاوز سلوك أهل العلم في الايمان المرسل والتصديق المجمل بكل ما أنزل الله وأخبر به رسول الله (ص) فمن اشتغل في الخوض فيه فقد أوقع نفسه في شغل شاغل .

إذ قال رسول الله (ص) حيث رأى أصحابه يخوضون بعد أن غضب حتّى احمرت وجنتاه : أفبهذا امرتم ؟ تضربون كتاب الله بعضه ببعض انظروا فما أمركم الله به فافعلوا وما نهاكم عنه فانتهوا . فهذه تنبيه على منهج الحق .

وفي مصباح الشريعة قال الصادق (ع) : « اتق الله وكن حيث شئت ومن أيّ قوم شئت فانه لا خلاف لأحد في التقوى والمتقى محبوب عند كل فريق وفيها جماع كل خير ورشد إلى أن قال :

فالزم ما أجمع عليه أهل الصفاء والتقى من اصول الدّين وحقايق اليقين والرضا والتسليم ولا تدخل في اختلاف الخلق ومقالاتهم فيصعب عليك ، وقد اجتمعت الامة المختارة بأن الله واحد ليس كمثله شيء وأنه عدل في حكمه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ولا يقال له في شيء من صنعه لم ولا كان ولا يكون شيء إلاّ بمشيّته وانّه قادر على ما يشاء ، وصادق في وعده ووعيده وأنّ القرآن كلامه ، وأنه كان قبل الكون والمكان والزمان ، وأنّ إحداثه وافناءه غيره سواء لا يزداد باحداثه علما ولا ينقص بافنائه « بفنائه خ ل » ملكه عزّ سلطانه وجلّ سبحانه ، فمن أورد

عليك ما ينقض هذا الاصل فلا تقبله وجرّد باطنك لذلك ترى بركاته وتفوز مع الفائزين »[١] .

الفصل الرابع

في الاسرار التي يكتمها العلماء

اعلم أن الأسرار التي يكتمها العلماء « عن خ ل » من العوام ، منها ما يقصر عن إدراكه أفهامهم ولا يبلغ إليه عقولهم وذلك كالرّوح فانه من عالم الملكوت ، والعوام لم يتجاوز علمهم عن عالم الملك فاذا أفشوه إليهم يصير فتنة لهم قال الله تعالى : ﴿**ويسئلونك عن الرّوح قل الرّوح من امر ربّي وما اوتيتم من العلم إلا قليلا**﴾[٢] .

ومنها ما هو مفهوم في نفسه لا يكل الفهم عنه ولكن ذكره يضر باكثر المستمعين وسرّ القدر من هذا القبيل ولهذا منع من إفشائه ، ولا استبعاد في أن يكون ذكر بعض الحقايق مضراً ببعض الخلق كما يضر نور الشمس بابصار الخفافيش ، وكما يضرّ ريح الورد بالجعل .

ومنها ما يكون بحيث لو ذكر صريحا لفهم ولم يكن فيه ضرر ولكن يكنى عنه على سبيل الاستعارة والرّمز ليكون وقعه في قلب المستمع أغلب وله مصلحة في أن يعظم وقع ذلك الأمر في قلبه كما لو قال قائل : رأيت فلانا يقلّد الدّر في أعناق الخنازير وكنى به عن افشاء العلم وبث الحكمة إلى غير أهلها ، فالمستمع قد يسبق إلى فهمه ظاهره والمحقق إذا نظر وعلم أن ذلك الانسان لم يكن معه درّ ولا كان في موضعه خنزير تفطن لدرك السر والباطن فيتفاوت الناس بذلك .

وكذلك ما ورد في الحديث «أما يخشى الذي رفع رأسه قبل الامام أن يحول الله رأسه رأس حمار؟»[٣] وذلك من حيث الصّوره لم يكن ولا يكون ولكن من حيث المعنى وهو كائن إذ حقيقة الحمار وخاصيته هي البلادة والحمق وهو المقصود دون الشكل الذي هو قالب المعنى إذ من غاية الحمق أن يجمع بين الاقتداء وبين التقدم فانّهما متناقضان ، وهذا النوع يرجع إلى التعبير عن المعنى بالصّورة التي تتضمن عين المعنى أو مثله .

ومن هذا القبيل قوله تعالى : ﴿**فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين**﴾[٤] فانه تمثيل لتأثير قدرته فيهما وتأثرهما بالذات عنها بأمر المطاع وإجابة المطيع والطائع .

---

(١) مصباح الشريعة : ص ٥٩. (٢) سورة الاسراء ص ٨٥. (٣) إحياء علوم الدين : ج ١ ص ٩٤.
(٤) سورة فصلت : آية ١١.

ومنه قوله عزّ وجل : ﴿إنّما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول لـه كن فيكون﴾[1] وهـو نوع من الكلام باطنا من دون حرف وصوت ، ومنه التّعبير عن الصّراط بالجسر الممدود بين الحنة والنـار وعن الميزان بذي الكفتين إلى غير ذلك .

ومنها مثل ما يدرك الانسان الشيء جملة ثم يدركه تفصيلا بالتحقيق والذوق بأن يصير حالا مـلابسا لـه فيتفاوت العلمـان ، فيكون الأول كـالقشر والثـاني كـاللّب والأول كـالـظاهـر والاخـر كالباطن ، وذلك كما يتمثل للانسـان في عينه شخص في الـظلمة أو على البعد فيحصل لـه نوع علم فاذا رآه بالقرب أو بعد زوال الظلمة أدرك تفرقة بينهما ولا يكون الأخير ضد الأول ، بـل هو استكمال له فكذلك في العلم والايمان والتصديق ومن هذا القبيل أكثر العقايد .

الفصل الخامس

في تقليد العوام للعلماء

في تفسير الامام أبي محمّد العسكري (ع) :« في قوله تعالى :﴿ومنهم اميّون لا يعلمـون الكتاب إلا أماني﴾[2] قال رجل للصادق (ع) « إذا كان هؤلآء القوم من اليهود لا يعرفـون الكتاب إلا بمـا يسمعـونـه من علمـائهم لا سبيـل لهم إلى غيـره فكيف ذمّهم الله بتقليدهم والقبـول من علمـائهم ؟ وهل عـوام اليهود إلا كعـوامنا يقلّدون علمـائهم ، فـاذا لم يجـز لأولئك القبـول من علمائهم لم يجز لهؤلاء القبول من علمائهم .

فقـال (ع) : بين عوامنـا وعلمائنـا وبين عوام اليهـود وعلمائهم فـرق من جهة وتسـوية من جهة ، فامّا من حيث استووا فان الله قد ذمّ عوامنا بتقليدهم علمائهم كما ذمّ عوامهم ، وأمـا من حيث افترقوا فلا قال : بين لي يا بن رسول الله :

قال (ع) : إن عوام اليهود كانوا قد عرفوا علمائهم بالكذب الصّراح وبأكل الحرام والرّشى وبتغيير الأحكام عن واجبها بالشفاعات والعنايات والمصانعات وعرفوهم بـالتعصب الشديـد الذي يفـارقون بـه أديانهم وأنّهم إذا تعصّبـوا أزالوا حقـوق من تعصبوا عليـه واعطوا مـا لا يستحقه من تعصبّوا له من أموال غيرهم وظلموهم من أجلهم وعرفوهم يقارفون المحرمات واضطروا بمعارف قلوبهم إلى أن من فعل « مثل خ ل » مـا يفعلونه فهـو فاسق ، ولا يجـوز أن يصدق على الله ولا

---

(١) سورة النحل: آية ٤٠ . (٢) سورة البقرة : آية ٧٨ .

على الـوسايط بين الخلق وبين الله فلذلـك ذمّهم لما قلدوا من قـد عرفـوا ومن قد علمـوا أنـه لا يجوز قبول خبره ولا تصديقـه في حكايتـه ولا العمل بمـا يؤدّيه إليهم عمّن لا يشـاهدونـه ووجب عليهم النظر بأنفسهم في أمر رسول الله (ص) إذ كانت دلايله أوضح من أن يخفى وأشهـر من أن لا يظهر لهم .

وكذلك عوام امّتنا إذا عرفوا من فقهائهم الفسق الظاهـر والعصبيّة الشـديدة والتكـالب على حطام الدنيا وحرامها وإهلاك من يتعصّبون عليه وإن كان لاصلاح أمره مستحقا ، وبالترفق بـالـبـر والاحسان على من تعصّبوا له وإن كان للأذلال والاهانة مستحقاً ، فمن قلد من عوامنا مثل هؤلاء الفقهاء فهم مثل اليهود الذين ذمّهم الله بالتقليد لفسقة علمائهم .

فاما من كان من الفقهاء صائنا لنفسه حافظاً لدينه مخالفا لهواه مطيعا لأمر مولاه فللعوام أن يقلدوه ، وذلـك لا يكون إلا بعض فقهـاء الشيعة لا جميعهم فـان من ركب القبـايـح والفـواحش مراكب فسقة العامّة فلا تقبلوا منهم عنّا شيئاً ولا كرامة لهم »[1] .

الباب الثالث

في معرفة النفس

في معرفة النفس ونعني بها الجوهر اللطيف الملكوتي الذي يستخدم هذا البدن الجسماني في حاجاته مسخّرا له تسخير المولى لخدمه ، وهو ذات الانسان وحقيقته العـالمة بـالمعلومات ، ولـه في هـذا البـدن جنـود جسمـانيـة هي الأعضـاء ، وجنـود روحـانيـة هي القـوى قـال الله تعـالى : ﴿وفي أنفسكم أفـلا تبصرون﴾[2] وقـال نبينـا (ص) : « من عـرف نفسـه فقـد عـرف ربّه »[3] ، وقال « أعرفكم بنفسه أعرفكم بربّه »[4] وقد يسمى هـذا الجوهـر الملكوتي بـالرّوح لتـوقف حياة البـدن عليه ، وبـالقلب لتقلبه في الخـواطر ، وبـالعقل لاكتسابه العلوم واتصـافـه بالمدركات وقد تستعمل هذه الالفاظ الأربعة في معان اخر تعرف بالقرائن .

ثم النفس توصف باوصاف مختلفة بحسب اختـلاف أحوالهـا ، فاذا سكنت تحت الأوامـر والنـواهي وزايلهـا الاضـطراب بسبب معـارضـة الشهـوات سميت النفس المـطمئنة قـال الله

(١)الاحتجاج : ج ٢ ص ٢٦٢ ـ ٢٦٣ . (٢) سورة الذاريات : آية ٢١ .
(٣) مصباح الشريعة : ص ١٣ . (٤) روضة الواعظين : ص ٢٠ .

تعالى :﴿يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية﴾[1] وإذا لم يتم سكونها ولكنها صارت مدافعة للشهوة والغضب ومعترضة عليهما سمّيت النفس اللوامة لأنها تلوم صاحبها عند تقصيره في عبادة مولاها قال الله تعالى :﴿ولا اقسم بالنفس اللوامة﴾[2] وإن تركت الاعتراض واذ عنت وأطاعت لمقتضى الشهوات ودواعي الشيطان سميت الامارة بالسوء ، قال الله تعالى اخباراً عن يوسف (ع) :﴿وما ابرىء نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربّي﴾[3] .

الفصل الاول
في الغضب والشهوة

اعلم أن جند الغضب والشهوة قد ينقادان للقلب انقياداً تاماً فيعينانه على طريقه الذي يسلكه ويحسنان مرافقته في السفر الذي هو بصدده ، وقد يستعصيان عليه استعصاء بغي وتمرّد حتى يهلكاه ويستعبداه ، وفي ذلك هلاكه وانقطاعه عن سفره الذي به وصوله إلى سعادة الأبد ، وللقلب جند آخر وهو العلم والحكمة والتفكر وحقه أن يستعين بهذا الجند ، فانّه حزب الله على الجندين الأخرين فانهما قد يلتحقان بحزب الشيطان ، فان ترك الاستعانة وسلط على نفسه جند الغضب والشهوة هلك يقينا وخسر خسراناً مبينا ، وذلك حال أكثر الخلق فانّ عقولهم صارت مسخرة لشهواتهم في استنباط الحيل لقضاء الشهوة وكان ينبغي ان تكون الشهوة مسخرة لعقولهم فيما يفتقر العقل إليه .

الفصل الثاني
تركيب الانسان من اربع شوائب

ثم اعلم أن الانسان قد اصطحب في تركيبه وخلقته اربع شوائب فلذلك اجتمعت عليه أربعة أنواع من الأوصاف وهي الصّفات السبعية والبهيمية ، والشيطانية ، والربانية .

فهو من حيث سلط عليه الغضب يتعاطى أفعال السّباع من العداوة والبغضاء والتّهجم على الناس بالضرب والشتم .

ومن حيث سلطت عليه الشهوة يتعاطى افعال البهايم من الشرّه والحرص والشبق وغيره .

ومن حيث انه في نفسه أمر ربّاني كما قال الله تعالى :﴿قل الرّوح من أمر ربّي﴾[4] فانه

---

(١) سورة الفجر : آية ٢٨ .(٢)سورة القيامة : آية ٢ . (٣)سورة يوسف :آية ٥٣ . (٤) سورة الاسراء : آية ٨٥ .

يدعي لنفسه الرّبوبيـة ويحب الاستيلاء والاستعـلاء والتخصيص والاستبداد بـالامور كلهـا والتفرد بالرّبانية والانسلال عن ربقة العبـودية والتـواضع ، ويشتهي الاطـلاع على العلوم كلّها بـل يدعي لنفسه العلم والمعرفة والاحاطـة بحقايق الامـور ويفرح إذا نسب إلى العلم ويحـزن إذا قرن إلى الجهل والاحاطة بجميع الحقايق والاستيلاء بالقهر على جميع الخلايق من أوصاف الربوبية وفي الانسان حرص على ذلك .

ومن حيث يختص عن البهايم بالتميـز مع مشـاركته لهـا في الغضب والشهوة حصلت فيـه شيـطانية فصـار شريـرا يستعمل التميـز في استنباط وجـوه الحيل والشّـر ويتوصّـل إلى الأغراض بالمكر والحيلة والخداع ، ويظهر الشر في معرض الخير وهذه أخلاق الشياطين .

وكل انسان ففيه شوب من هذه الاصول الأربعة أعني الربانية والشيطانية والسبعية والبهيمية وكـل ذلك مجمـوع في القلب وكان المجمـوع في إهاب الانسـان خنزيـر ، وكلب ، وشيطان ، وحكيم .

فالخنزير هو الشهوة فانه لم يكن الخنزير مذموما للونـه وشكله وصرتـه ، بل لجشعـه وكلبه وحرصه .

والكلب هـو الغضب فان السبـع الضاري أو الكلب العقـور ليسـا كلبـا ولا سبعـا بـاعتبـار الصورة واللون والشكل بـل روح معنى السّبعية الضـراوة والعدوان والعقـر ، وفي باطن الانسـان ضراوة السّبع وغضبه وحرص الخنـزير وشبعـه « شبقه خ » فـالخنزيـر يدعـو بالشـرة إلى الفحشاء والمنكر ، والسّبع يدعو بالغضب إلى الظلم والايذاء .

والشيطان لا يزال يهيّج شهوة الخنزير وغيظ السّبع ويغري أحدهما بالاخر ويحسن لهمـا ما هما مجبولان عليه .

والحكيم الذي هو مثال العقل مأمور بأن يدفع كيد الشيطان ومكره بـأن يكشف عن تلبيسه ببصيرته النافذة ونـوره المشرق الـواضح وأن يكسـر شره هـذا الخنزيـر بتسليط الكلب عليه ، إذ بالغضب يكسر سورة الشهوة ويـدفع ضـراوة الكلب بتسليط الخنزيـر عليه ويجعـل الكل مقهـوراً تحت سياسته فان فعل ذلك وقدر عليه اعتدل الأمر وظهر العـدل في مملكة البـدن وجرى الكـل على الصراط المستقيم ، وإن عجز عن قهـرها قهـروه واستخدمـوه فلا يـزال في استنباط الحيـل وتدقيق الفكر ليشبع الخنزير ويرضي الكلب فيكون دائما في عبـادة كلب أو خنزيـر ، وهذا حـال أكثر الناس مهما كان أكثر هممهم البطن والفرج ومناقشة « منافسة خ » الاعداء .

الفصل الثالث

نتائج الانقياد للشهوة والغضب

أما طاعة خنزير الشهوة فيصدر منها صفة الوقاحة والخبث والتبذير والتقتير والرياء والهتكة والمجانة والعبث والحرص والجشع والملق والحسد والشماتة وغيرها .

وأما طاعة كلب الغضب فينتشر منها إلى القلب صفة التهور والنذالة والبذخ والصّلف والاستشاطة والتكبر والعجب والاستهزاء والغمز والاستخفاف وتحقير الخلق وإرادة الشر وشهوة الظلم وغيرها .

وأما طاعة الشيطان بطاعة الشهوة والغضب فيحصل منها صفة المكر والخداع والحيلة والدهاء والجربزة والتلبيس والغش والخبّ والخناء وامثالها .

ولو عكس الأمر وقهر الجميع تحت سياسة الصفة الربانية لاستقر في القلب من الصّفات الرّبانية العلم والحكمة واليقين والاحاطة بحقايق الأشياء ومعرفة الامور على ما هي عليه والاستيلاء على ذلك كله بقوة العلم والبصيرة واستحقاق التقدم على الخلق كمال العلم وجلالته ، ولاستغنى عن عبادة الشهوة والغضب ، ولانتشر إليه من ضبط خنزير الشهوة وردّه إلى حد الاعتدال صفات شريفة مثل العفة والقناعة والهدو والزهد والورع والتقوى والانبساط وحسن الهيئة والحياء والظرف(1) والمساعدة وأمثالها ، ويحصل فيه من ضبط قوة الغضب وقهرها وردّها إلى حدّ الواجب صفة الشجاعة والكرم والنجدة وضبط النفس والصبر والحلم والاحتمال والعفو والثبات والنبل والشهامة والوقار وغيرها .

والقلب في حكم مرآة قد اكتنفته هذه الامور المؤثرة فيه وهذه الآثار على التوالي واصلة إلى القلب .

أما الاثار المحمودة التي ذكرناها فانها تزيد مرآة القلب صفاء « جلاء خ ل » واشراقاً ونوراً وضياء حتّى يتلألأ فيه جلية الحق وينكشف فيه حقيقة الامر المطلوب في الدّين ، وإلى مثل هذا القلب الاشارة بقوله (ص) : « من كان له من قلبه واعظ كان عليه من الله حافظاً »(2) ، وبقوله

---

(1) ظرف الرجل بالضم ظرافة فهو ظريف اذا حسن أدبه . م .

(2) احياء علوم الدين : ج ٣ ص ١٢ .

(ص) : « **إذا أراد الله بعبده خيراً جعل له واعظا من قلبه** »[1] **وهذا القلب هو الذي يستقر فيه الذكر قال الله تعالى** : ﴿**ألا بذكر الله تطمئن القلوب**﴾[2] .

وأما الآثار المذمومة فانّها مثل دخان مظلم يتصاعد إلى مرآة القلب ولا يزال يتراكم عليه مرّة بعد اخرى إلى أن يسودّ ويظلم ويصير بالكليّة محجوبا عن الله تعالى ، وهو الطبع والرّين قال الله تعالى : ﴿**كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون**﴾[3] وقال الله ﴿**ان لو نشاء أَصَبْنَاهُمْ بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون**﴾[4] فربط عدم السماع والطبع بالذنوب كما ربط السماع بالتقوى حيث قال تعالى : ﴿**واتقوا الله واسمعوا**﴾[5] ﴿**فاتقوا الله وأطيعونِ**﴾[6] ﴿**واتقوا الله ويعلمكم الله**﴾[7] .

ومهما تراكمت الذنوب طبع على القلب وعند ذلك يعمى القلب عن إدراك الحق وصلاح الدين ويستهين بالآخرة ويستعظم أمر الدّنيا ويصير مقصور الهم عليه فاذا قرع سمعه أمر الاخرة وما فيها من الأخطار دخل من اذن وخرج من الاخرى ولم يستقر في القلب ولم يحركه إلى التوبة والتدارك ، اولئك الذين يئسوا من الاخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور وهذا هو معنى اسوداد القلب بالذنوب كما نطق به القرآن والسنة .

قال أمير المؤمنين (ع) : « إن الايمان ليبدو لمعة بيضاء فاذا عمل العبد الصّالحات نما وزاد حتّى يبيض القلب كله ، وإن النفاق ليبدو نكتة سوداء فاذا انتهك الحرمات زادت حتّى يسوّد القلب كله فيطبع على قلبه فذلك الختم ، وتلا : ﴿**كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون**﴾[8]

وقال الباقر (ع) : « إن القلوب ثلاثة : قلب منكوس لا يعي شيئاً من الخير وهو قلب الكافر ، وقلب فيه نكتة سوداء والخير والشر فيه يعتلجان فأيّهما كانت منه غلب عليه ، وقلب مفتوح فيه مصابيح تزهر لا يطفى نوره إلى يوم القيامة وهو قلب المؤمن »[9] .

وقال الصادق (ع) : « إن القلب ليكون في الساعة من الليل والنهار ليس فيه ايمان ولا كفر

---

(١) احياء علوم الدين : ج ٣ ص ١٢ . (٢) سورة الرعد : آية ٢٨ . (٣) سورة المطففين : آية ١٤ .

(٤) سورة الاعراف : آية ١٠٠ . (٥) سورة المائدة : اية ١٠٨ (٦) سورة الشعراء : آية ١٠٨ .

(٧) سورة البقرة : اية ٢٨٢ . (٨) اورد صدر الحديث الشريف الرضي (رحمه الله في النهج باب مختار غريب كلامه

(٨) تحت رقم ٥ وفي كنز العمال ح ١٧٣٤ .

(٩) معاني الأخبار ص ٣٩٥ والكافي : ج ٢ ص ٤٢٣ .

كالثوب الخلق ثم قال إذا « أماخ » تجد ذلك من نفسك قال : ثم تكون النكتة من الله في القلب بما شاء من كفر وايمان »[1] .

الفصل الرابع

القلب مثال قبة لها ابواب

إن القلب مثاله مثال قبة لها أبواب تنصب إليه الأحوال من كل باب ، أو مثال هدف تنصب إليه السّهام من الجوانب ، أو مثال مرآة منصوبة يجتاز عليها أصناف الصّور المختلفة فيتراءى فيها صورة بعد صورة أو مثال حوض ينصب فيه مياه مختلفة من أنهار مفتوحة إليه ومداخل هذه الاثار المتجددة فيه في كلّ حال إما من الظاهر فالحواس الخمس ، وإما من الباطن فالخيال والشهوة والغضب والاخلاق المركبة في مزاج الانسان ، فانه إذا أدرك بالحواس شيئاً حصل منه أثر في القلب ، وكذلك إذا هاجت الشهوة مثلا بسبب كثرة الاكل أو بقوة المزاج ، والاثار تبقى وينتقل الخيال من شيء إلى شيء وبحسب انتقال الخيال ينتقل القلب من حال إلى حال .

فالقلب دائما في التغير والتأثر من هذه الاسباب ، وأخص الاثار الحاصلة فيه هي الخواطر ، وأعني بالخواطر ما يعرض فيه الافكار والأذكار اما على سبيل التجدد ، وإما على سبيل التذكر ، والخواطر هي المحركات للارادات ، فان النية والعزم والارادة إنما تكون بعد خطور المنويّ بالبال لا محالة ، فمبدء الافعال الخواطر ، ثم الخاطر يحرك الرغبة والرغبة تحرك النّية والعزم ، والعزم والنّية تحركان الاعضاء .

والخواطر المحركة للرغبة تنقسم إلى ما يدعو إلى الشر أعني ما يضر في العاقبة ، وإلى ما يدعو إلى الخير أعني ما ينفع في الآخرة ، فهما خاطران مختلفان فالخاطر المحمود يسمّى إلهاما والمذموم يسمى وسوسة وسبب الخاطر الداعي إلى الخير يسمّى ملكا ، والسبب الداعي إلى الشر يسمى شيطانا ، واللطف الذي به يتهيّأ القلب لقبول إلهام الملك يسمى توفيقا ، والذي به يتهيّأ لقبول وسواس الشيطان يسمى إغواء وخذلانا ، والملك عبارة عن خلق خلقه الله لافاضة الخير وإفادة العلم وكشف الحق والوعد بالمعروف ، والشيطان عبارة عن خلق شأنه الوعد بالشر والأمر بالفحشاء والتخويف عند الهمّ بالخير وبالفقر ، والقلب متجاذب بينهما .

---

(١) الكافي : ج ٢ ص ٤٢٠ .

قال النبي (ص) : « في القلب لمّتان : لمة[١] من الملك إيعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنّه من الله فليحمد الله ، ولمّة من العدو ايعاد بالشر وتكذيب بـالحق ونهي عن الخير ومن وجد ذلك فليتعوّذ من الشيطان ثم تلا : ﴿الشيطان يعدكم الفقر﴾[٢] الآية »[٣] .

وقال (ص) : « قلب المؤمن بين اصبعين من أصابع الرّحمـان »[٤] يقلبه كيف يشـاء . كنّى بـه عن سرعـة التقلب والقدرة على التحـريك والتغييـر بـاستسخـار الملك والشيـطان ، فـانّهمـا مسخّران بقدرته في تقليب القلوب كما أنّ أصابعك مسخرة لك في تقليب الأجسام مثلا .

والقلب بأصل الفطرة صالح لقبول آثار الملائكة ولقبول آثار الشيطان قبولاً متساويا ، وإنّما يترجح أحدهما على الآخر باتباع الهوى والاكباب على الشهوات وبمخالفتهما فمهمـا غلب على القلب ذكر الدّنيا ومقتضيات الهوى وجد الشيطان مجالاً فـوسوس ، ومهمـا انصرف إلى ذكـر الله ارتحل الشيطان وضاق مجاله وأقبل الملك وألهم ، فـالتطارد بين جنـدي الملائكـة والشيطان في معـركة القلب دائم الى ان ينفتـح القلب لأحدهمـا فيسكن ولا يستـوحش ويكـون اجتيـاز الثـاني اختـلاسا ، قـال الله تعالى : ﴿ان الـذين اتقوا إذا مسهّم طـائف من الشيـطان تـذكـروا فـاذا هم مبصرون﴾[٥] .

الفصل الخامس

مكائد الشيطان

اعلم أنه قد تلتبس لمّة الشيطان بلمّة الملك فان من مكـايد الشيـطان أن يعرض الشـر في مكـان « معرض خ » الخيـر كما يقـول للعالم بـطريق الوعظ أمـا تنظر إلى الخلق وهم مـوتى من الجهل هلكى من الغفلة قد أشرفوا على النار ؟ أما لك رحمة على عباد الله تنقذهـم من المعاطب بنصحك ووعظك ؟ وقد أنعم الله عليك بقلب بصير ولسان زلق ولهجة مقبولـه فكيف تكفر نعمـه وتتعرض لسخطه وتسكت عن إشاعة العلم ودعوة الخلق الله سبحانه إلى الصراط المستقيم ؟ فـلا يزال يقرر ذلك في نفسه ويستجرّه بلطائف الحيل إلى أن يشغل بوعظ الناس .

---

(١)معناه النزول به والقرب منه ، وقيل : اللمة الهمة تقع في القلب فما كان من خطرات الخير فهو من الملك ، وما كان من خطرات الشر فهو من الشيطان (مجمع) .

(٢) سورة البقرة : آية ٢٦٨ . (٣) احياء علوم الدين : ج ٣ ص ٢٧ .

(٤) العوالي : ج ١ ص ٤٨ واحياء علوم الدين : ج ١ ص ٩٤ . (٥)سورة الأعراف : آية ٢٠١ .

ثم يـدعوه إلى أن يتـزين لهم ويتصنّع بتحسين اللّفظ وإظهـار الخير ويقـول : إن لم تفعل ذلك سقط وقع كـلامك عن قلوبهم ولم يهتـدوا إلى الحق ، فلا يـزال يقرّر ذلـك وهو في أثنـائه يؤكـد شـوائب الـرّيـا وقبـول الخلق ولـذة الجـاه والتعـزز بكثــرة العلم والنـظر الى الخلق بعين الاحتقار ، فيستدرج المسكين بالنّصح إلى الهلاك فيتكلم وهو يظن أن قصده الخير وإنما قصـده الجاه والقبول ، فيهلك بسببـه وهو يـظن أنه عنـد الله تعالى بمكـان وهو عنـد الله ممّن قال فيهم رسـول الله (ص) : « إن الله ليؤيد هـذا الدّين بـأقوام لا خـلاق لهم ، وإنَّ الله ليؤيد هـذا الـدّين بالرّجل الفاجر »(١) .

الفصل السادس
في القلب لمتان

قـال بعض أهل المعـرفة إن الهـام الملك ووسوسـة الشيطان يقـع في النّفوس على وجـوه وعلامات :

أحـدهـا كـالعلم واليقين الحـاصلين من جـانب يمين النفس ، ويقـابله الهـوى والشهـوة الحاصلتان من جانب الشمال .

وثـانيها كـالنظر إلى آيـات الآفاق والأنفس على سبيـل النظام والاحكـام المزيـل للشكـوك والاوهـام ، والمحصّل للمعـرفـة والحكمـة في القـوة العـاقلة التي هي على الجـانب الأيمن من النفس ، ويقـابله النظر إليهَـا على سبيل الاشتبـاه والغفلة والاعراض عنهـا الناشيـة منهـا الشبهـة والوسواس في الواهمة والمتخيلة التي على جانب الايسر منها ، فان الآيـات المحكمات بمنـزلة المـلائكة المقـدسة من العقـول والنّفـوس الكلّيـة لأنهـا مبادي العلوم اليقينيّـة ، والمتشـابهـات الوهميّات بمنزلة الشياطين والنفوس الوهمانية لأنها مبادي المقدمات السفسطية .

وثـالثها كـطاعة الـرسول المختـار والأئمة الأطهـار في مقابلة أهـل الجحود والانكـار وأهل التعـطيل والتشبيـه من الكفار ، فكـل من سلك سبيل الهـداية فهـو بمنـزلـة المـلائكـة الملهمين للخير ، ومن سلك سبيل الضلال فهوبمنزلةالشياطين المغوين بالشرور .

---

(١) احياء علوم الدين : ج ٣ ص ٢٩ .

ورابعها كتحصيل العلوم والادراكات التي هي في الموضوعات العالية والأعيان الشريفة كالايمان بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر والبعث وقيام الساعة ومثول الخلايق بين يدي الله وحضور الملائكة والنبيّين والشهداء والصّالحين ، في مقابلة تحصيل العلوم والادراكات التي هي من باب الحيل والخديعة والسفسطة والتامل في الامور الدنياوية الغير الخارجة عن دار المحسوسات ، فان الأول يشبه الملائكة الروحانية وجنود الرحمان الذين هم سكان عالم الملكوت السّماوي ، والثاني يشبه الابالسة المطرودة عن باب الله الممنوعة من ولوج السماوات المحبوسة في الظلمات المحرومة في الدنيا عن الارتقاء المحجوبة في الآخرة عن دار النّعيم .

الفصل السابع

في ان الهم بالفعل يؤاخذ به أم لا

اعلم أن ما يخطر بالبال من السيئة فلا مؤاخذة عليه ، لأنه لا يدخل تحت الاختيار وكذلك الميل والهيجان لأنهما أيضاً لا يدخلان تحت الاختيار ، وأمّا الاعتقاد وحكم القلب بانه ينبغي أن يفعل فهذا مردّد بين أن يكون اضطراراً أو اختياراً ، والأحوال تختلف فيه فالاختيار منه يؤاخذ به والاضطراري منه لا يؤاخذ به .

وأما الهمّ بالفعل فانه يؤاخذ به إلا أنه إن لم تفعل فان تركه خوفا من الله وندم على همّه كتبت له حسنة لأنّ همّه سّيئة وامتناعه ومجاهدته نفسه حسنة ، والهمّ على وفق الطبع لا يدل على تمام الغفلة عن الله ، والامتناع بالمجاهدة على خلاف الطبع يحتاج إلى قوة عظيمة فجده في مخالفة الطبع وهو العمل لله سبحانه أشدّ من جدّه في موافقة الشيطان بموافقة الطبع ، فكتبت له حسنة لانه يرجح جهده في الامتناع وهمّه به على همّه بالفعل ، وان تعوّق الفعل لعائق او تركه لعذر لا خوفاً من الله تعالى كتبت عليه سيئة ، فانّ همّه فعل من القلب اختياري .

والدّليل على هذا التفصيل ما ورد عن النبي (ص) : « قالت الملائكة : ربّ ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة وهو أبصر فقال : ارقبوه فان عملها فاكتبوه عليه بمثلها ، وإن تركها فاكتبوه له حسنة إنما تركها لأجلي »[(١)].

وعن أمير المؤمنين (ع) في قوله سبحانه : ﴿ان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله﴾[(٢)] « إن هذه الآية عرضت على الأنبياء والامم السّابقة فأبوا أن يقبلوها من ثقلها ، وقبلها

---

(١) صحيح مسلم : ج١ ص ١١٨ .   (٢) سورة البقرة : آية ٢٨٤ .

رسول الله (ص) وعرضها على امّته فقبلوها ، فلما رأى الله عزّ وجلّ منهم القبول على أنهم لا يطيقونها قال : أما إذا قبلت الآية بتشديدها وعظم ما فيها وقد عرضتها على الامم فابوا ان يقبلوها وقبلتها امّتك فحق علي أن أرفعها عن امتك وقال : لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ، فظهر ان ما لا تدخل تحت الوسع لا يؤاخذ به »[1] .

وعن النبي (ص) « وضع عن امتي تسع خصال : الخطأ ، والنسيان ، وما لا يعلمون ، وما لا يطيقون ، وما اضطروا إليه ، وما استكرهوا عليه ، والطيرة ، والوسوسة في التفكر في الخلق ، والحسد ما لم يظهر بلسان أو يد »[2] .

وعن الباقر (ع) : « إن الله تعالى جعل لآدم في ذرّيته من همّ بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة ومن همّ بحسنة وعملها كتبت له عشراً ومن همّ بسيئة ولم يعملها لم تكتب عليه ، ومن عملها كتبت له سّيئة »[3] .

وفي رواية « إن العبد إذ أذنب ذنبا اجل من غدوة إلى الليل ، فان استغفر الله لم يكتب عليه »[4] .

وسئل الصادق (ع) عن رجل يجيء منه الشيء على حد الغضب يؤاخذه الله به ؟ فقال : « الله أكرم من أن يستغلق على عبده »[5] .

وعنه (ع) « ما من مؤمن إلا وله ذنب يهجره زمانا ثم يلم به ، وذلك قوله تعالى : ﴿إلاّ اللمم﴾[6] قال : واللمم الرّجل يلم بالذنب فيستغفر الله منه »[7] .

وعن الكاظم (ع) « إن الله أيد المؤمن بروح تحضره في كل وقت يحسن فيه ويتقي ، ويغيب عنه في كل وقت يذنب فيه ويعتدي ، فهي معه تهتزّ سرورا عند إحسانه وتسيّخ في الثرى عند اساءته، فتعاهدوا عباد الله نعمه باصلاحكم أنفسكم تزدادوا يقينا وتربحوا نفيسا ثمينا ، رحم الله امرءاً هم بخير فعمله أو همّ بشرّ فارتدع عنه ، ثم قال : نحن نؤيد الرّوح بالطاعة لله والعمل له »[8] .

---

(١) الاحتجاج : ج ١ ص ٣٢٧ . (٢) الكافي : ج ٢ ص ٤٦٣ .
(٣) الكافي : ج ٢ ص ٤٢٨ . (٤) الكافي : ج ٢ ص ٤٣٧ . (٥) الكافي : ج ٨ ص ٢٥٤ ح ٣٦٠ .
(٦) سورة النجم : آية ٣٢ . واللمم مقاربة الذنب كما في المصباح وصغار الذنوب كما في القاموس .
(٧) الكافي ج ٢ ص ٤٤٢ . (٨) الكافي : ج ٢ ص ٢٦٨ .

المقالة الثانية

في مساوي الاخلاق وتهذيبها وفيها اربعة ابواب :

الباب الاول في معنى الخلق وتهذيبه

في معنى الخلق وتهذيبه ، إعلم أن الخلق عبارة عن هيئة راسخة في النفس تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية ، فان كان الهيئة بحيث يصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلا وشرعا سمّيت الهيئة خلقا حسنا ، وإن كانت الصّادر منها أفعالا قبيحة سميت خلقا سّيئا ، وإنما شرطنا الرّسوخ لأن من يصدر عنه بذل المال مثلا على الندور لحاجة عارضة لا يقال خلقه السّخاء ما لم يثبت ذلك في نفسه ثبوت رسوخ ، وإنّما شرطنا السّهولة وعدم الرّوية لأن من تكلف بذل المال لا يقال خلقه السخاء وليس عبارة عن الفعل فربّ شخص خلقه السخاء ولا يبذل إمّا لفقد المال أو لمانع آخر ، وربّما يكون خلقه البخل وهو يبذل لباعث أو رياء فلا بدّ في الخلق الحسن من قوة العلم وقوة الغضب وقوة الشهوة وقوة العدل بين هذه القوى الثلاث .

أما قوة العلم فحسنها وصلاحها في أن تصير بحيث يسهل لها درك الفرق بين الصدق والكذب في الأقوال وبين الحق والباطل في الاعتقادات ، وبين الجميل والقبيح في الافعال ، فاذا تحصلت هذه القوة حصل منها ثمرة الحكمة ، والحكمة رأس الاخلاق الحسنة ، ومن يؤتى الحكمة فقد اوتي خيراً كثيراً .

وأما قوة الغضب والشهوة فحسنهما في أن يقتصر انقباضهما وانبساطهما على حدّ ما تقتضيه الحكمة والدّين .

وأما قوة العدل فهي ضبط قوة الغضب والشهوة تحت إشارة العقل والشرع فالعقل منزلته منزلة الناصح المشير ، وقوته القدرة ومنزلتها منزلة المنفذ الممضى لاشارته والغضب والشهوة تنفذ فيهما الاشارة .

ومثال الغضب مثال كلب الصّيد فانه يحتاج إلى أن يؤدّب حتّى يكون استرساله وتوقفه بحسب الاشارة لا بحسب هيجان النفس .

والشهوة مثالها مثال الفرس الذي يركب في طلب الصّيد فانّه تارة يكون مروّضا وتارة يكون جموحاً فمن استقرت فيه هذه الصّفات واعتدلت فهو حسن الخلق مطلقا ومن اعتدل فيه بعضها دون بعض فهو حسن الخلق بالاضافة إلى ذلك المعنى خاصّة ، وحسن القوة الغضبيّة واعتدالها يعبّر عنه بالشجاعة ، وحسن قوة الشهوة واعتدالها يعبّر عنه بالعفّة فان مالت قوة الغضب عن الاعتدال إلى طرف الزيادة سمّي ذلك تهوّراً وإن مالت إلى الضّعف سمّي جبنا وخوراً[١] ، وان مالت قوة الشهوة إلى طرف الزيادة سميّ شرها وإن مالت الى النقصان سمّي خموداً ، والمحمود هو الوسط وهو العدل ، والطرفان رذيلتان مذمومتان ، والعدل اذا فات فليس له طرفان زيادة ونقصان بل له ضدّ واحد وهو الجور ، وأما الحكمة فيسمّى إفراطها عند الاستعمال في الاغراض الفاسدة خبّا[٢] وجربزة ، ويسمّى تفريطها بلها ، والوسط هو الذي يختص باسم الحكمة .

فاذا امهات الاخلاق الحسنة الجميلة واصولها أربعة : الحكمة والشجاعة والعفة والعدل ولم يبلغ كمال الاعتدال في هذه الأربعة إلا رسول الله (ص) ولهذا قال الله تعالى مثنيا عليه : **﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾**[٣] والناس بعده متفاوتون في القرب والبعد منه فينبغي أن يقتدي به فانه قال : « بعثت لاتمم مكارم الاخلاق »[٤] .

وقد أشار القرآن إلى هذه الاخلاق في أوصاف المؤمنين فقال تعالى : **﴿إنّما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وأنفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون﴾**[٥] .

فالايمان بالله ورسوله من غير ارتياب هو قوة اليقين وهو ثمرة العقل ومنتهى الحكمة ، والمجاهدة بالمال هو السخاء الذي يرجع إلى ضبط قوة الشهوة ، والمجاهدة بالنفس هي

---

(١)الخور بالتحريك الضعف ، ص . (٢) الخب الخدعة .

(٣) سورة القلم : آية ٤ .

(٤) احياء علوم الدين : ج ٣ ص ٤٨ وج ٢ ص ١٤٣ وكنز العمال خ٥٢١٧ .(٥)سورة الحجرات : آية ١٥ .

الشجاعة التي يرجع إلى استعمال قوة الغضب على شرط العقل وحدّ الاعتدال .

وقد وصف الله سبحانه قوما فقال : ﴿اشداء على الكفار رحماء بينهم﴾[1] اشارة إلى إن للشدة موضعا وللرحمة موضعا ، وليس الكمال في الشدّة بكلّ حال ولا في الرحمة بكل حال .

الفصل الاول

في ان الطباع هل تتغير ام لا

اعلم أن بعض من غلبت البطالة عليه استثقل المجاهدة والرياضة والاشتغال بتزكية النفس وتهذيب الاخلاق ولم تسمح نفسه بأن يكون ذلك لقصوره ونقصه ، فزعم أنّ الأخلاق لا يمكن تغييرها ، وأنّ الطباع لا يتغير ، واستدلّ عليه بأمرين :

أحدهما أنّ الخلق هو صورة الباطن كما أن الخلق هو الصورة الظاهرة ، فكما أنّ الخلقة الظاهرة لا يقدر على تغييرها فكذا الخلق الباطن .

والثاني أن حسن الخلق إنما يحصل بقمع الغضب والشهوة وحبّ الدنيا وغيرها وهذا أمر ممتنع والاشتغال به تضييع زمان بغير فائدة ، فان المطلوب هو قطع التفات القلب إلى حظوظ العاجلة وهو محال .

فنقول : لو كانت الاخلاق لا تقبل التغيير لبطلت الوصايا والمواعظ والتأديبات ولما قال الله تعالى : ﴿قد أفلح من زكيها وقد خاب من دسّيها﴾[2] ولما قال رسول الله (ص) : « حسنوا أخلاقكم »[3] وكيف ينكر هذا في حق الآدمي وتغيير خلق البهيمة ممكن ، إذ ينقل الظبية من التوحش إلى الانس والكلب من شره الأكل من الصّيد إلى التأدب والامساك ، والفرس من الجماح الى السلاسة والانقياد ، وكل ذلك تغيير الأخلاق .

والقول الكاشف للغطاء عن ذلك أن نقول : إن الموجودات منقسمة إلى ما لا مدخل للادمي واختياره في أصله وتفصيله كالسماء والكواكب بل أعضاء البدن داخلا وخارجاً وبالجملة كل ما هو حاصل كامل وقع الفراغ من وجوده وكماله .

وإلى ما وجد وجودا ناقصاً وجعل فيه قوة الكمال بعد أن وجد شرطه ، وشرطه قد يرتبط

---

(١) سورة الفتح : آية ٢٩ .

(٢) سورة الشمس : آية ٩ ـ ١٠ . (٣) احياء علوم الدين : ج ٣ ص ٥٤ .

بـاختيار العبـد فان النـواة ليست بتفاح ولا نخـل إلا أنها خلقت خلقـة يمكن أن تصيـر نخـلا إن انضاف إليها التربية ولا تصير تفاحا أصلا ولا بالتربية فاذا صارت النواة متأثرة بالاختيار حتّى تقبل بعض الأحوال دون بعض فكذلك الغضب والشهوة لو أردنا قمعهما وقهرهما بالكلية حتّى لا يبقى لهما أثر لم نقدر عليه أصلا ولو اردنا سلاستهما وقودهما بالـرياضـة والمجاهـدة قدرنـا عليه وقـد امـرنا بـذلك وصـار ذلك سبب نجـاتنا ووصـولنـا إلى الله وليس المـطلوب إلا ذلـك دون القمـع بالكلية .

وهيهات فان الشهوة خلقت لفائدة وهي ضرورية في الجبلة ولو انقطع شهوة الـطعام لهلك الانسان ، ولو انقطع شهوة الوقاع لانقطع النسل ، ولو انعدم الغضب بـالكلية لم يـدفع الانسـان عن نفسه ما يهلكه ، ومهما بقي أصل الشهوة فيبقى لا محالة حبّ المال الذي يوصل إلى الشهوة حتّى يحمل ذلك على امساك المال وليس المطلوب إماطة ذلك بـالكلية بـل المطلوب ردّهـا إلى الاعتدال الذي هو وسط بين الافراط والتفريط .

فالمطلوب في صفة الغضب حسن الحمية وذلـك بان يخلو عن التّهـور وعن الجبن جميعاً وبالجملة أن يكون في نفسه قويا ومع قوته منقاداً للعقل ، ولو بطل الغضب لامتنـع جهاد الكفـار وكيف يقصـد قلع الغضب والشهوة بـالكلية والأنبيـاء (عليهم السلام) لم ينفكـوا عن ذلك قـال سيّدهم (ص) : « إنّما أنـا بشر أغضب كمـا يغضب البشر »[1] وكـان يتكلم بين يديـه بما يكـرهه فيغضب حتّى يحمـر وجنتاه ولكن لا يقـول إلا حقا فكـان الغضب لا يخرجـه عن الحق قـال الله تعالى : ﴿**والكاظمين الغيظ**﴾[2] ولم يقل والفاقدين الغيظ .

وربّمـا تستولي الشهـوة على الانسان بحيث لا يقـوي عقله على دفعهـا عن الانبسـاط الى الفواحش ، وبالرياضـة تعود إلى الاعتـدال فدلّ على أن ذلـك ممكن والتجربـة والمشاهـدة تدل على ذلك دلالة لا شك فيها .

الفصل الثاني
تهذيب الاخلاق بالمجاهدة

قد يكون اعتدال القوتين فـطريا بحيث يخلق الانسـان وينشأ كـامل العقـل حسن الخلق قد كفى

(١)احياء علوم الدين : ج ٣ ص ٥٥ . (٢) سورة آل عمران : آية ١٣٤ .

سلطان الشهوة والغضب على عقله كالأنبياء والأئمة (ع) ، وقد يكون مكتسباً بالمجاهدة والرياضة بحمل النفس على الأعمال التي يقتضيها الخلق المطلوب .

فمن أراد أن يحصل لنفسه خلق الجود مثلا فطريقه أن يتعاطى فعل الجواد وهو بذل المال فلا يزال يواظب عليه تكلّفا مجاهدا لنفسه فيه حتّى يصير ذلك له طبعاً ويتيسر عليه فتصير نفسه جواداً ، ومن أراد خلق التواضع وغلب عليه الكبر فطريقه ان يواظب على افعال المتواضعين مدة مديدة وهو فيها يجاهد نفسه ، ويتكلف الى ان يصير ذلك خلقاً وطبعاً .

وجميع الاخلاق المحمودة شرعا يحصل بهذا الطريق وغايتها أن يصير الفعل الصادر منه لذيذاً ، فالسّخي هو الذي يستلذ بذل المال دون الذي يبذل عن كراهية ، والمتواضع هو الذي يستلذ التواضع ، ولن ترسخ الأخلاق الدينية في النفس ما لم يتعود جميع العادات الحسنة ولم يترك جميع العادات السّيئة ، وما لم يواظب عليها مواظبة من يشتاق معها إلى الأفعال الجميلة ويتنعّم بها ، ويكره الأفعال القبيحة ويتألم بها كما قال رسول الله (ص) : « جعلت قرة عيني في الصّلاة »[1] ومهما كانت العبادات وترك المحظورات مع كراهية واستثقال ، فهو لنقصان ولا ينال كمال السّعادة به .

نعم المواظبة عليه بالمجاهدة خير ولكن بالاضافة إلى تركه لا بالاضافة إلى فعله عن طوع ، ولذلك قال الله تعالى : ﴿وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين﴾[2] وقال النبي (ص) : « اعبد الله في الرضا فان لم تستطع ففي السّر على ما تكره خير كثير »[3] ثم لا يكفي في نيل السّعادة الموعودة على حسن الخلق استلذاذ الطاعة واستكراه المعصية في زمان دون زمان ، بل ينبغي أن يكون كذلك على الدوام وفي جملة العمر ، وكلما كان العمر أطول كانت الفضيلة أرسخ وأكمل ، ولذلك « سئل رسول الله (ص) عن السّعادة فقال : طول العمر في طاعة الله »[4] .

ولذلك كره الأنبياء والأولياء الموت ، فان الدنيا مزرعة الاخرة ، وكلما كانت العبادات أكثر

---

(١) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ٩١ واحياء علوم الدين : ج ٣ ص ٥٧ والكافي : ج ٥ ص ٣٢١ .
(٢) سورة البقرة : آية ٤٥ . (٣) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ٩١ واحياء علوم الدين : ج ٣ ص ٥٧ .
(٤) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ٩٢ واحياء علوم الدين : ج ٣ ص ٥٧ .

لطول العمر كان الثواب أجزل والنفس أزكى وأطهر والأخلاق أقوى وأرسخ وإنما مقصود العبادات تاثيرها في القلب وإنما تتاكد اثارها بكثرة المواظبة على العبادات ، وغاية هذه الاخلاق أن ينقلع عن النفس حبّ الدنيا ويترسخ فيها حبّ الله تعالى ، فلا شيء أحب إليه من الله تعالى ومن لقائه ، وكل صفة تظهر في القلب يفيض أثرها على الجوارح حتّى يتحرك لا محالة على وفقها ، وكل فعل يجري على الجوارح فانه يرتفع منه أثر على القلب .

وطالب تزكية النفس لا ينالها بعبادة يوم ولا يحرمها بعصيان يوم ولكن العطلة في يوم واحد تدعو إلى مثلها ثم تتداعى قليلا قليلا حتّى تأنس النفس بالكسل وتهجر التحصيل راسا ، وصغار المعاصي يجر بعضها إلى بعض حتّى يفوت أصل السعادة بهدم أصل الايمان عند الخاتمة ، فلا ينبغي أن يستهان بقليل الطاعة ولا بصغر المعصية ، فان الجملة الكثيرة منها مؤثرة وإنما اجتمعت الجملة من الاحاد فلكل واحد تاثير ، وربّما تحصل الأخلاق الحسنة بمشاهدة أرباب الأفعال الجميلة ومصاحبتهم وهم قرناء الخير ، والأخلاق السّيئة بمشاهدة أرباب الأعمال السيئة ومصاحبتهم وهم قرناء السوء ، فان الطبع يسرق من الطبع الخير والشر جميعاً .

فمن تظاهرت في حقه الجهات الثلاث حتّى صار ذا فضيلة طبعا واعتياداً وتعلّما فهو في غاية الفضيلة ، ومن كان رذلا بالطبع واتفق له اقران السوء فتعلم منهم وتيسرت له أسباب الشر حتّى تعوّدها في غاية البعد من الله تعالى ، وبين الرتبتين من اختلفت به هذه الجهات ولكل درجة في القرب والبعد بحسب ما يقتضيه صفته وحالته ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾[1] ﴿ وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾[2].

الفصل الثالث
في عيوب النفس والبصيرة بها

اعلم أن الله إذا أراد بعبد خيراً بصره بعيوب نفسه فمن كملت له بصيرته لم تخف عليه عيوبه ، وإذا عرف العيوب أمكنه العلاج ولكن أكثر الناس جاهلون بعيوب أنفسهم يرى أحدهم القذى في عين أخيه ولا يرى الجذع في عين نفسه ، فمن أراد أن يقف على عيب نفسه فليطلب صديقا صدوقا بصيراً متدينا فينصبه رقيبا على نفسه ليراقب أحواله وأفعاله ، فما يكرهه من أخلاقه وأفعاله وعيوبه الباطنة والظاهرة ينبّهه عليه أو يستفيد معرفة عيوب نفسه من لسان

(١) سورة الزلزلة : آية ٧ ـ ٨ . (٢) سورة النحل : آية ٣٣ .

أعدائه ، فان عين السخط تبدي المساوي كما قيل :

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ... ولكنّ عين السخط تبدي المساويا

ولعل انتفاع الانسان بعدوّ شاحن يذكر عيوبه أكثر من انتفاعه بصديق مداهن يثني عليه ويمدحه ويخفي عنه عيوبه إلاّ أن الطبع مجبول على تكذيب العدو وحمل ما يقوله على الحسد ، ولكن البصير لا يخلو عن الانتفاع بقول أعدائه فان مساويه لا بدّ وأن تنتشر على ألسنتهم ، أو يخالط الناس فكل ما يراه مذموما فيما بين الخلق فيطالب نفسه بتركه ؛ وما يراه محموداً يطالب نفسه به وينسب نفسه إليه ، فانّ المؤمن مرآة المؤمن فيرى في عيوب غيره عيوب نفسه .

وليعلم أن الطباع متقاربة في اتباع الهوى فما يتّصف به واحد من الأقران لا ينفك القرين الاخر عن مثله أو عن أعظم منه أو عن شيء منه ، فيتفقد نفسه ويطهرها عن كل ما يذمه من غيره ، وناهيك بهذا تاديباً ، فلو ترك الناس كلهم ما يكرهونه من غيرهم لاستغنوا عن المؤدب قيل لعيسى (ع) : « من أدّبك ؟ فقال : ما أدّبني أحد رأيت قبح الجهل فجانبته »[1] .

الباب الثاني

فيما يؤدي الى مساوي الاخلاق

فيما يؤدي إلى مساوي الاخلاق من البطن والفرج واللسان ، اعلم أن الأخلاق إنما ترسّخ في النفس بتكرير الأعمال ، والأعمال إنما تصدر من القلب بتوسّط الجوارح وكل جارحة تصلح لأن يصدر منه الأعمال الحسنة الجالبة للاخلاق الجميلة وأن يصدر منه الأعمال القبيحة المورثة للاخلاق السّيئة ، فلا بد من مراعاة القلب والجوارح بصرفهما إلى الخيرات ومنعهما من الشرور ، وأعظم المهلكات لابن آدم شهوة البطن والفرج واللسان .

ففي الحديث النبوي (ص) : « من وقى شر قبقبه وذبذبه ولقلقه فقد وقى »[2] والقبقب البطن ، والذبذب الفرج ، واللقلق اللسان أما شهوة البطن فبها اخرج آدم وحوا من دار القرار

(١) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ٩٦ .

(٢) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ١٠٥ واحياء علوم الدين : ج ٣ ص ١٠٤ وارشاد القلوب : ص ١٠٣ .

إلى دار الـذل والافتقار إذ نهيـا عن أكل الشجـرة فغلبتهما شهـوتهما حتّى أكـلا منها فبـدت لهما سوآتهما .

والبطن على التحقيق ينبوع الشهوات ومنبت الادواء والافات ، إذ يتبعها شهوة الفرج وشدّة الشبق إلى المنكوحات ، ثم يتبع شهوة المطعم والمنكح شدة الرغبة في المال والجاه الذين هما الوسيلة الى التوسع في المطعومات والمنكوحات ثم يتبع استكثار المـال والجاه أنـواع الرعـونات وضـروب المنافسـات والمحاسـدات ، ثم يتولـد من ذلك آفـة الريـاء وغائلة التفـاخـر والتكـاثـر والكبرياء ، ثم يتداعى ذلك إلى الحقد والعداوة والبغضاء ، ثم يقضي ذلك بصاحبه إلى اقتحـام البغي والمنكر والفحشاء .

وكل ذلك ثمرة إهمال المعـدة وما يتـولد من بـطر الشبع والامتـلاء ، ولو ذلـل العبد نفسه بالجوع وضيق مجاري الشيطان لأذعنت لطاعة الله ولـم تسلك سبيل البطر والطغيان ولـم ينجـرّ به ذلـك إلى الانهماك في الـدنيا وايثـار العاجلة على العقبى ، ولم يتكـالب كل هـذا التكالب على الدنيا .

قال النبي (ص) : « ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبـه وان كان هو فاعلا لا محالة فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه وثلث لنفسه »[1] .

وقال (ص) : « لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فـان القلب كالـزرع يموت إذا كثـر عليه الماء »[2] .

وقال (ص) : « أفضلكم منزلة عند الله أطولكم جوعـا وتفكراً وأبغضكم إلى الله تعـالى كل نؤوم أكول شروب »[3] .

وقال الصادق (ع) : « إن البطن ليطغى من اكلة ، وأقـرب ما يكـون العبد إلى الله إذا خفّ بطنه وأبغض ما يكون العبد إلى الله إذا امتلأ بطنه »[4] .

وفي مصباح الشريعة قال الصـادق (ع) : « ما من شيء أضـرّ لقلب المؤمن من كثرة الأكـل وهي مـورثة شيئين : قسـوة القلب وهيجان الشهـوة ، والجوع ادام للمؤمن وغـذاء للروح وطعام

---

(١) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ٤٦ واحياء علوم الدين : ج ٣ ص ٧٧ .

(٢) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ٤٦ واحياء علوم الدين : ج ٣ ص ٧٧ .

(٣) احياء علوم الدين : ج ٣ ص ٧٧ . (٤) الكافي : ج ٦ ص ٢٦٩ .

للقلب وصحة للبدن »[1] .

وقال لقمان لابنه : « يا بني إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الأعضاء عن العبادة »[2] .

وبالجملة ففوايد الجوع كثيرة منها صفاء القلب ورقّته والاستلذاذ بالطاعة ، والانكسار المانع عن المعصية والغفلة ، وذكر جوع يوم القيامة ، وكسر شهوة الفرج المستولية بالشّبع ، ودفع النّوم الذي يكلّ الطبع ويضيّع العمر ويفوت القيام والتهجد وتيسر المواظبة على الطاعة لخفة البدن والفراغ عن الاهتمام بالتحصيل والاعداد والأكل ودفع الأمراض الشاغلة عنها ، فورد في الحديث : « المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء »[3] .

الفصل الاول
الاعتدال في شهوتي البطن والفرج

قد علمت أن المقصد الأقصى في جميع الأحوال والأخلاق هو الوسط وما ذكر في فضايل الجوع ربّما يومي إلى أنّ الافراط فيه مطلوب وهيهات ولكن من أسرار حكمة الشريعة أنّ كل ما يطلب الطبع فيه الطرف الاقصى وكان فيه فساد جاء الشرع بالمبالغة والمنع منه على وجه يؤمي عند الجاهل إلى أن المطلوب مضادة ما يقتضيه الطبع بغاية الامكان ، والعالم يدرك أن المقصود هو الوسط لأنّ الطبع إذا طلب غاية الشبع فالشرع ينبغي أن يطلب غاية الجوع حتّى يكون الطبع باعثا والشرع مانعاً فيتقاومان ويحصل الاعتدال ولما بالغ النبي (ص) في الثناء على قيام اللّيل وصيام النهار ثم علم من حال بعضهم أنه يصوم الدّهر كلّه ويقوم الليل كله نهى عنه .

فاذا عرفت هذا فاعلم أن الأفضل بالاضافة إلى الطبع المعتدل أن يأكل بحيث لا يحسّ بثقل المعدة ولا يحسّ بألم الجوع بل ينسى بطنه فلا يؤثر فيه أصلا فان مقصود الأكل بقاء الحياة وقوة العبادة ، وثقل الطعام يمنع العبادة وألم الجوع أيضاً يشغل القلب ويمنع منها ، فالمقصود أن يأكل أكلا معتدلا بحيث لا يبقى للأكل فيه أثر ليكون متشبها بالملائكة ، فانّهم مقدّسون عن ثقل الطعام وألم الجوع ، وإليه الاشارة بقوله تعالى : ﴿كلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾[4] والقوام فيه أن لا ياكل طعاما حتّى يشتهيه ويرفع يده عنه وهو يشتهيه .

---

(١) مصباح التشريعه : ص ٧٧ .

(٢) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ١٠٢ . (٣) مكارم الأخلاق : ص ٣٦٢ . (٤) سورة الاعراف آية ٣١ .

وأما شهوة الفرج فانّما سلطت على الانسان لبقاء النسل ودوام الوجود ولان يدرك لذته فيقيس بها لذّات الآخرة ، فان لذة الوقاع لو دامت لكانت أقوى لذات الأجسام كما أنّ ألم النار أعظم آلام الجسد ، فالترهيب والترغيب يسوقان الخلق إلى سعادتهم وليس ذلك إلاّ بألم محسوس ولذة مدركة فهذه فائدتها ، ولكن فيها من الآفة ما يهلك الدين والدنيا إن لم تضبط ولم تقهر ولم تردّ إلى حدّ الاعتدال فانّ لها أيضاً إفراطا وتفريطاً .

فافراطها ما يقهر العقل حتّى يصرف همة الرّجل إلى التمتع بالنسآء والجواري فيحرم عن سلوك طريق الاخرة ، أو يقهر الدين حتّى يجر إلى اقتحام الفواحش وقد ينتهي هذه الشهوة بمن غلب وهمه على عقله إلى العشق البهيمي الذي ينشأ من استيلاء الشهوة فيسخر الوهم العقل لخدمة الشهوة وقد خلق العقل ليكون مطاعا لا ليكون خادماً للشهوة محتالا لأجلها ، وهو مرض قلب فارغ لا همة له وإنما يجب الاحتراز من أوائله بترْك معاودة النظر والفكر وإلا فاذا استحكم عسر دفعه .

وتفريط هذه الشهوة إما بالعفة الخارجة عن الاعتدال أو بالضّعف عن امتناع المنكوحة وهو أيضاً مذموم وانما المحمود ان تكون معتدلة ومطيعة للعقل والشرع في انبساطها وانقباضها ، ومهما افرطت فكسرها يكون بالجوع والنكاح قال رسول الله (ص) : « معاشر الشباب عليكم بالباءة فمن لم يستطع فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء »[1] .

اعلم أن هذه الشهوة أغلب الشهوات على الانسان وأعصاها عند الهيجان على العقل إلا أن مقتضاها قبيح يستحيى منه ويخشى من اقتحامه ، وامتناع أكثر النّاس عن مقتضاها إما لعجز أو لخوف أو لحياء أو لمحافظة على حشمة ، وليس في شيء من ذلك ثواب ، فانه ايثار حظ من حظوظ النّفس على حظ آخر نعم من العصمة أن لا يقدر ففي هذه العوايق فائدة وهو دفع الاثم فان من ترك الزنا اندفع عنه اثمه باي سبب كان تركه وإنما الفضل والثواب الجزيل في تركه خوفا من الله تعالى مع القدرة عليه وارتفاع الموانع وتيسّر الأسباب لا سيّما عند صدق الشهوة ، وهذه درجة الصّديقين .

ولذلك قال رسول الله (ص) : « من عشق فعف وكتم فمات فهو شهيد »[2] وقال : « سبعة

---

(١) العوالي : ج ١ ص ٢٥٧ ح ٢٧ وصحيح البخاري : ج ٧ ص ٣ واحياء علوم الدين : ج ٣ ص ٩٦.

(٢) احياء علوم الدين : ج ٣ ص ١٠٠ .

يظلّهم الله يوم لا ظلّ إلا ظله ، وعد منهم رجلا دعته امرأة ذات حسب وجمال إلى نفسها فقال : إني أخاف الله رب العالمين وقصة يوسف وامتناعه عن زليخا مع القدرة ورغبتها معروفة ، وقد أثنى الله تعالى بذلك عليه في كتابه وهو امام كل من وفق لمجاهدة الشيطان في هذه الشهوة العظيمة قال الله تعالى : ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم﴾[1] »[2] .

وقال النبي (ص) : « النظرة سهم مسموم من سهام إبليس فمن تركها خوفا من الله أعطاه الله ايمانا يجد حلاوته في قلبه »[3] ، وقال « اتقوا فتنة الدنيا وفتنة النساء فان أول فتنة بني اسرائيل كانت من النساء »[4] .

الفصل الثاني
في اللسان وآفاته

وأما اللسان فانه من نعم الله العظيمة ولطايف صنعه الغريبة فانه صغير جرمه عظيم طاعته وجرمه إذ لا يتبين الايمان والكفر إلا بشهادة اللسان وهما غاية الطاعة والطغيان ، ثم إنه ما من موجود أو معدوم خالق أو مخلوق متخيل أو معلوم مظنون أو موهوم إلا واللسان يتناوله ويتعرض له باثبات أو نفي فان كل ما يتناوله العلم يعبر عنه اللسان إما بحق أو باطل ولا شيء إلا والعلم متناوله وهذه خاصيّة لا توجد في ساير الاعضاء ، فان العين لا تصل إلى غير الألوان والصور ، والاذن لا تصل إلى غير الاصوات ، واليد لا تصل إلى غير الاجسام وكذا ساير الاعضاء .

واللسان رحب الميدان ليس له مرد ، ولا لمجاله منتهى ولا حد ، فله في الخير مجال رحب وله في الشر مجرى سحب ، فمن اطلق عذبة اللسان وأهمله مرخى العنان سلك به الشيطان في كل ميدان وساقه الى شفا جرف هار إلى أن يضطره إلى البوار ولا يكبّ النّاس على مناخيرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم كما ورد في الحديث النبوي (ص) .

ولا ينجي من شر اللسان إلّا أن يقيد بلجام المشرع فلا يطلق إلا فيما ينفع في الدنيا والاخرة ويكف عن كل ما يخشى غايلته في عاجله وآجله ،وعلم مايحمد إطلاق اللسان فيه أو يذم غامض عزيز ، والعمل بمقتضاه على من عرفه ثقيل عسير وأعصى الأعضاء على الانسان

---

(١) سورة النور: آية ٣١.

(٢) احياء علوم الدين : ج ٣ ص ١٠٠ . (٣) احياء علوم الدين : ج ٣ ص ٩٧.

(٤) احياء علوم الدين : ج ٣ ص ٩٧.

اللسان ، فانّه لا تعب في تحريكه ولا مؤنة في إطلاقه وقد تساهـل الخلق في الاحتراز عن آفـاته وغوائله ، والحذر من مصائده وحبائله وأنه أعظم آلة الشيطان في استغواء الانسان .

ولـذلـك قـال النبي (ص) : « من صمت نجـا »[1] وقـال (ص) : « الصمت حكم وقليـل فـاعله »[2] ، أي هو حكمـة وحزم وقـال (ص) : « امسك لسـانك فـانها صـدقة تصـدّق بها على نفسـك ، ثم قال ولا يعـرف عبـد حقيقـة الايمـان حتّى يحـرس « يخـزن خ » لسـانـه »[3] وقـال (ص) : « من رأى موضع كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه »[4] .

ومر أمير المؤمنين برجل يتكلم بفضول الكلام فوقف (ع) فقال : « يا هذا فـانك تملي على حافظيك كتاباً إلى ربك فتكلم بما يعنيك ودع ما لا يعنيك »[5] .

وعن السجاد (ع) قال : « إن لسان ابن آدم يشرف على جميع جوارحه كلّ صبـاح فيقول : كيف أصبحتم ؟ فيقولون : بخير إن تركتنا ويقولون : الله الله فينا ويناشدونه ويقولـون : إنما نثـاب ونعاقب بك »[6] وعن الباقر (ع) : «إن شيعتنا الخرس »[7] .

وعن الصادق (ع) : « ان النوم راحة للبدن والنطق راحة للروح والسكـوت راحة للعقـل »[8]، وقال : « في حكمة « حكم خ » آل داود على العاقل أن يكون عارفا بزمانه مقبلا على شانه حافظا للسـانـه »[9] ، وقـال (ع) قـال لقمـان لابنه : « يـا بني إن كنت زعمت أن الكـلام من فضّـة فـان السكوت من ذهب »[10] وفي مصباح الشريعة قال الصادق (ع) : « الكلام إظهار ما في قلب المرء من الصّفاء والكدر والعلم والجهل »[11] قال أمير المؤمنين (ع) : « المرء مخبوٴ تحت لسانه »[12] .

فزن كلامك واعرضه على العقل والمعرفة فـان كان لله وفي الله فتكلم وإن كـان غير ذلـك فالسّكوت خير منه وليس على الجوارح عبادة أخف مؤنة وأفضل منـزلة وأعـظم قدرا عنـد الله من الكلام في رضاء الله ولوجهه ونشر آلائه ونعمائه في عباده ألا ترى أن الله عزّ وجل لم يجعل فيما

(١) تنبيه الخواطر ج ١ ص ١٠٤ واحياء علوم الدين : ج ٣ ص ١٠٣ وارشاد القلوب : ص ١٠٣ . .

(٢) تنبيه الخواطر ج ١ ص ١٠٤ واحياء علوم الدين : ج ٣ ص ١٠٣ .

(٣) الكافي : ج ٢ ص ١١٤ . (٤) الكافي : ج ٢ ص ١١٦ .

(٥) من لا يحضره الفقيه : ج ٤ ص ٢٨٢ .

(٦) الكافي : ج ٢ ص ١١٥ والخصال : ج ١ ص ٦ (٧) الكافي : ج ٢ ص ١١٣ .

(٨) من لا يحضره الفقيه : ج ٤ ص ٢٨٧ . (٩) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ١٠٦ .

(١٠) الكافي : ج ٢ ص ١١٤ . (١١) مصباح الشريعة . (١٢) روضة الواعظين : ج ١ ص ١٠٩ .

بينه وبين رسله معنى يكشف ما أسر اليهم من مكنونات علمه ومخزونات وحيه غير الكلام ، وكذلك بين الرّسل والامم فثبت بهذا أنه أفضل الوسايل والطف العبادة ، وكذلك لا معصية اثقل على العبد وأسرع عقوبة عند الله وأشدّها ملامة وأعجلها سامة عند الخلق منه .

وسئل السجاد (ع) عن الكلام والسّكوت أيهما أفضل ؟ فقال : « لكل واحد منهما آفات فاذا سلما من الآفات فالكلام أفضل من السّكوت قيل : وكيف ذلك يابن رسول الله ؟ قال : لأن الله عزّ وجلّ ما بعث الأنبياء والأوصياء بالسّكوت إنما بعثهم بالكلام ، ولا استحقت الجنة بالسّكوت ، ولا استوجبت ولاية الله بالسّكوت ولا توقيت النار بالسّكوت ، ولا يجنب سخط الله بالسّكوت إنما ذلك كله بالكلام ما كنت لأعدل القمر بالشمس إنك تصف فضل السكوت بالكلام ، ولست تصف فضل الكلام بالسّكوت »(١) .

اعلم أن آفات اللسان كثيرة منها الخطاء والكذب والغيبة الغير المأذون فيهما وخلف الوعد والنميمة والرياء والنفاق والفحش والمراء وتزكية النفس والخصومة والفضول والخوض في الباطل والتحريف والزيادة والنقصان وايذاء الخلق وهتك العورة وإفشاء السر والسّخرية والاستهزاء وغير ذلك ، وهي سباقة إلى اللسان لا يثقل عليه ولها حلاوة في القلب وعليها بواعث من الطبع ومن الشيطان فالخائض فيها قلما يقدر على أن يلزم اللّسان فيطلقه بما يجب ويكفه عمّا لا يجب ، فان ذلك من غوامض العلم وفي الخوض خطر وفي الصّمت نجاة .

فلذلك عظم فضل الصّمت مع ما فيه من جمع الهمّ ودوام الوقار والفراغ في الفكر والذكر والعبادة والسلامة من تبعات القول في الدنيا ومن حسابه في الآخرة قال الله تعالى : ﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾(٢) وقال تعالى : ﴿لا خير في كثير من نجويهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس﴾(٣) وقال النبي (ص) : « طوبى لمن امسك الفضل من لسانه وأنفق الفضل من ماله »(٤) .

الفصل الثالث
في الكذب والغيبة

إنما قيدنا الكذب والغيبة بغير المأذونين ، لأن من الكذب والغيبة ما يجوز قال الصادق

---

(١) الاحتجاج : ج ٢ ص ٤٥ . (٢) سورة ق : آية ١٨ .
(٣) سورة النساء : آية ١١٤ . (٤) احياء علوم الدين : ج ٣ ص ١٠٩ .

(ع) : « كل كذب مسؤول عن صاحبه إلا في ثلاثة : رجل كائد في حربه فهو موضوع عنه ، ورجل أصلح بين اثنين يلقى هذا بغير ما يلقى به هذا يريد بذلك الاصلاح بينهما ، ورجل وعد أهله شيئاً وهو لا يريد أن يتم لهم [١] ، وكذا ورد عن النبي (ص) وورد « أن في المعاريض لمندوحة عن الكذب »[٢] يعني بالمعاريض التورية وذلك إذا اضطر اليها .

وقال النبي (ص) : « من ألقى جلباب الحياء عن وجهه فلا غيبة له »[٣]، وقال : « ليس لفاسق غيبة » [٤] وقال : « ليّ الواجد يحلّ عرضه وعقوبته »[٥] وقال : « لصاحب الحق مقال »[٦] وقد مرّ الحديث في وجوب غيبة أهل البدع والريب ليحذرهم الناس ، وعن النبي (ص) : « أترعوون عن ذكر الفاجر حتّى لا يعرفه الناس ، اذكروه بما فيه يحذره الناس »[٧]

وفي معنى الغيبة خفاء لا بد أن نكشف الغطاء عنه فقد روي عن النبي (ص) : « إنه قال هل تدرون الغيبة ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : ذكرك أخاك بما يكره ، قيل : أرأيت ان كان في أخي ما أقول ؟ قال : إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، فان لم يكن فيه فقد بهته »[٨] .

وفي مصباح الشريعة قال الصادق (ع) : « صفة الغيبة أن يذكر أحد بما ليس هو عند الله ويذم ما يحمده أهل العلم فيه وأمّا الخوض في ذكر غايب بما هو عند الله مذموم وصاحبه فيه ملوم فليس بغيبة وإن كره صاحبه إذا سمع به وكنت انت معافى عنه خاليا منه وتكون مبينا للحق من الباطل ببيان الله ورسوله ولكن على شرط أن لا يكون للقائل بذلك مراد غير بيان الحق والباطل في دين الله ، وأما إذا أراد به نقص المذكور بغير ذلك المعنى فهو مأخوذ بفساد مراده وإن كان صوابا »[٩] .

أقول : وينبغي تخصيص هذا الحديث بما إذا لم يكن صاحبه عالما بقبحه ساترا على نفسه كارها لظهوره ، ويدلّ على ذلك ما روي عنه (ع) أيضاً أنه قال : « هو أن تقول لأخيك في دينه ما لم يفعل وتبث عليه أمراً قد ستره الله عليه لم يقم عليه فيه حداً»[١٠]

---

(١) الكافي : ج ٢ ص ٣٤٢ . (٢) كنز العمال : خ ٨٢٤٩ وخ ٨٢٥٤ .

(٣) تحف العقول : ص ٣٨ والعوالي : ج ١ ص ٢٦٤ ح ٥٦ . (٤) كنز العمال خ٨٠٧١ .

(٥) احياء علوم الدين : ج ٣ ص ١٤٤ .

(٦) احياء علوم الدين : ج ٣ ص ١٤٤ . (٧) احياء علوم الدين : ج ٣ ص ١٤٤ .

(٨) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ١١٨ واحياء علوم الدين : ج ٣ ص ١٣٦ والترغيب والترهيب ح ٢ ص ٥١٥ .

(٩) مصباح الشريعة : ص ٢٠٤ . (١٠) الكافي : ج ٢ ص ٣٥٧ .

وعن الكاظم (ع) قال : « من ذكر رجلا من خلفه بما هو فيه مما عرفه الناس لم يغتبه ومن ذكره من خلفه بما هو فيه مما لا يعرفه الناس اغتابه ومن ذكره بما ليس فيه فقد بهته »[1] .

وعن الصادق (ع) قال : « الغيبة أن تقول في أخيك ما ستره الله عليه وأما الامر الظاهر فيه مثل الحدة والعجلة فلا »[2] .

وخصّ بعض علمائنا تحريم الغيبة بغيبة من يعتقد الحق لأن أدلة الحكم غير متناولة لأهل الضلال فإن الحكم فيها منوط بالمؤمنين وبالأخ والمراد إخوة الايمان فلا يتناول من لا يعتقد الحقّ ، وعن الصادق (ع) قال : « إن أصل الغيبة يتنوع بعشرة أنواع : شفاء غيظ ، ومساعدة قوم ، وتهمة ، وتصديق خبر بلا كشفه ، وسؤ ظن ، وحسد ، وسخرية ، وتعجب ، وتبرّم ، وتزّين »[3] قال : « وإن اغتبت فبلغ المغتاب فاستحل منه ، وإن لم تبلغه فاستغفر له »[4] ، وساير آفات اللسان مستغن عن البيان .

الباب الثالث
في الغضب

في الغضب والحقد والحسد اعلم أن الغضب شعلة نار اقتبست من نار الله الموقدة إلا أنها لا تطلع إلا على الأفئدة ، وأنها لمستكنة في طي الفؤآد استكنان الجمر تحت الرماد ، وتستخرجها حميّة الدين من قلوب المؤمنين أو حمية الجاهلية والكبر الدّفين من قلوب الجبارين التي لها عرق إلى الشيطان اللّعين ، حيث قال : خلقتني من نار وخلقته من طين ، فمن شأن الطين السكون والوقار ، ومن شأن النار التلظي والاشتغال[5] والحركة والاصطهار[6] ، ومن نتايج هذا الغضب الحقد والحسد ، وبهما هلك من هلك وفسد من فسد ، ومقتضيهما[7] مضغة إذا صلحت صلح لها ساير الجسد .

---

(١) الكافي : ج ٢ ص ٣٥٨.

(٢) الكافي : ج ٢ ص ٣٥٨ . (٣) مصباح الشريعة : ص ٢٠٥ . (٤) مصباح الشريعة : ص ٢٠٥ .

(٥) في النسخة المخطوطة المصححة الاستعار بدل الاشتغال وهو الموافق للقافية واستعيرت النار توقدت وتسعرت أيضاً قال تعالى : وإذا الجحيم سعرت .

(٦) الاصطهار الاذابة ، ومنه قوله تعالى : يصهر به ما في بطونهم والجلود .

(٧) في المخطوطة ومقيضهما وفي المخطوطة الاخرى ومقبضهما .

قال رسول الله (ص) : « الغضب يفسد الايمان كما يفسد الخل العسل »[١]، وقال : « من كف غضبه كف الله عنه عذابه »[٢].

وقال الباقر (ع) : « إن هذا الغضب جمرة من الشيطان توقد في جوف ابن آدم وإن أحدكم إذا غضب احمرّت عيناه وانتفخت أوداجه ودخل الشيطان فيه فاذا خاف أحدكم ذلك من نفسه فليلزم الأرض فان رجز الشيطان يذهب عنه عند ذلك »[٣].

وقال « ايّما رجل غضب على ذي رحم فليدن منه وليمسه فان الرحم إذا مسّت سكنت »[٤].

قال (ع) : « وكان أبي يقول : أي شيء أشد من الغضب إن الرجل ليغضب فيقتل النفس التي حرم الله ويقذف المحصنة »[٥]، وقال (ع) : « من كف غضبه ستر الله عورته »[٦] وقال : « ان في التوراة مكتوب يا ابن آدم اذكرني حين تغضب أذكرك حين غضبي »[٧].

وقال الصادق (ع) : « الغضب مفتاح كل شر »[٨].

وإنما ينبسط الدم عند الغضب إذا غضب الانسان على من دونه واستشعر القدرة عليه فان صدر الغضب على من فوقه وكان معه يأس من الانتقام تولد منه انقباض الدم من ظاهر الجلد إلى جوف القلب وصار خوفا ولذلك يصفرّ اللون ، وإن كان على نظير يشك فيه تردد بين انقباض وانبساط فيحمرّ ويصفر ويضطرب لطلب الانتقام وإنما تتوجه هذه القوة عند ثورانها إلى دفع الموذيات الذي خلقت لأجله قبل وقوعها وإلى التشفي والانتقام بعد وقوعها. والانتقام قوة هذه القوة وشهوتها وفيه لذتها ولا تسكن إلا به ، والناس في هذه القوة على درجات ثلاث في أول الفطرة من التفريط والافراط والاعتدال .

أماالتفريط فبفقد هذه القوة أو ضعفها وذلك مذموم وهو الذي يقال فيه إنه لا حمية له ، وهو ناقص جداً ومن ثمراته عدم الغيرة على الحرم واحتمال الذل من الاخساء وصغر النفس ،

---

(١) الكافي : ج ٢ ص ٣٠٢ واحياء علوم الدين : ج ٣ ص ١٥٦.

(٢) الكافي : ج ٢ ص ٣٠٥ وفيه « من كف غضبه عن الناس كفّ الله تبارك وتعالى عنه عذاب يوم القيامة ».

(٣) الكافي : ج ٢ ص ٣٠٤. (٤) الكافي : ج ٢ ص ٣٠٢.

(٥) الكافي : ج ٢ ص ٣٠٣. (٦) الكافي : ج ٢ ص ٣٠٣ وثواب الاعمال : ص ١٦٣.

(٧) الكافي : ج ٢ ص ٣٠٣. (٨) الكافي : ج ٢ ص ٣٠٣ وتحف العقول : ص ٣٦٢.

والخوروالسّكون عند مشاهدة المنكرات ، وقد وصف الله تعالى خيار الصحابة بالشدة والحمية فقال : ﴿أشدّاء على الكفار رحمآء بينهم﴾[1] وقال : ﴿يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم﴾[2] وإنما الشدة والغلظة من آثار قوة الغضب .

وأما الافراط فهو أن تغلب هذه الصفة حتّى تخرج من سياسة العقل والدين وطاعتهما فلا يبقى للمرء معها بصيرة ونظر وفكر ولا اختيار ، وسبب غلبتها قد يكون فطريا ، وقد يكون اعتياديا بأن يخالط قوماً يتبجحون[3] بتشفي الغيظ وطاعة الغضب ويسمون ذلك شجاعة ورجولية فيقول أحدهم : أنا الذي لا أصبر على المحال ولا احتمل من أحد أمراً ومعناه لا عقل لي ثم يذكره في معرض الفخر بجهله فمن سمعه فيرسخ في نفسه حسن الغضب وحبّ التشبّه بالقوم فيعمى ويصم عن كل موعظة ولا يقدر الاستضاءة بنور عقله لانطفائه بدخان الغضب .

ومن آثار هذا الغضب في الظاهر تغير اللّون وشدّة الرّعدة في الأطراف وخروج الافعال من الترتيب والنظام واضطراب الحركة والكلام حتّى يظهر الزبد على الاشداق وتحمر الأحداق وتنقلب المناخر وتستحيل الخلقة ولو رأى الغضبان في حال غضبه قبح صورته ليسكن غضبه حياء من قبح صورته وقبح باطنه أعظم من قبح ظاهره ، فان الظاهر عنوان الباطن وإنما قبحت صورة الباطن أولا ثم انتشر قبحها إلى الظاهر ثانيا فهذا أثره في الجسد .

وأما اثره في اللسان فانطلاقه بالشتم والفحش وقبح الكلام الذي يستحيي منه ذوو العقول ويستحيي منه قائله عند فتور الغضب وذلك مع تخبط النظم واضطراب اللفظ .

وأما أثره على الأعضاء فالضرب والتهجّم والتمزيق والقتل عند التمكن من غير مبالاة فان هرب منه المغضوب عليه أو فاته بسبب وعجز عن التشفي رجع الغضب على صاحبه فيمزّق ثوب نفسه ويلطم وجهه وقد يعدوعدو الواله السكران والمدهوش المتحير ؛ وربّما سقط سريعا لا يطيق العدو والنهوض لشدة الغضب ويعتريه شبه الغشية ، وربما يضرب الجمادات والحيوان فيضرب القصعة على الأرض ويكسر المائدة إذا غضب عليهما وقد يتعاطى أفعال المجانين فيشتم البهيمة والجماد ويخاطبهما ويقول : إلى متى منك كانه يخاطب عاقلا .

وأما أثره في القلب فالحقد والحسد واظهار السوء والشماتة بالمساءة والحزن بالسرور

---

(١) سورة الفتح : اية ٢٩ . (٢) سورة التوبة : آية ٧٣ وسورة التحريم : آية ٩ .
(٣) تبجح بتقديم المعجمة المشددة على المهملة : افتخر وتعظم وباهى .

والعزم على إفشاء السِّر وهتك الاستار وغير ذلك من القبايح فهذه ثمرة الغضب المفرط وينبغي لصاحبه أن يعالج نفسه من سورة الغضب ويقف على الوسط الحقّ بين الطرفين فهو الصراط المستقيم وهو أدق من الشّعر وأحدّ من السّيف ، فان عجز فليطلب القرب منه قال الله تعالى : ﴿ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة﴾[1] فليس كل من عجز عن الاتيان بالخير كله ينبغي أن يأتي بالشّر كلّه ، ولكن بعض الشر أهون من بعض وبعض الخير أرفع من بعض .

الفصل الاول

دوافع الغضب

اعلم الانسان ما دام يحبّ ما يوافقه ويحتاج إليه ويكره ما يخالفه ويتاذى منه فلا يخلو عن الغيظ والغضب بجبلة طبعه فانه مهما اخذ منه محبوبه أو قصد بمكروه غضب لا محالة ، وهذا يختلف باختلاف الأشخاص وإنما المحبوب الضروري لكل أحد ما أشار إليه رسول الله (ص) بقوله : « من أصبح آمنا في سر به معافا في بدنه ، وله قوت يومه ، فكأنما خيّرت « حيزت خ » له الدنيا بحذافيرها »[2] .

فمن كان بصيراً بحقايق الامور وسلمت له هذه الثلاث وكل ما كان ضرورياً له خاصّة يتصور أن لا يغضب في غيرها أعني يقدر على أن لا يطيع الغضب ولا يستعمله في الظاهر إلا على حد يستحبه الشرع ويستحسنه العقل ، وذلك بالمجاهدة وتكلف التحلم والاحتمال مدّة حتّى يصير الحلم والاحتمال خلقا راسخا فاما قمع أصل الغيظ من القلب وذلك مقتضى الطبع فهو غير ممكن ، نعم يمكن كسر سورته وتضعيفه حتّى لا يشتد هيجان الغيظ في الباطن وينتهي ضعفه إلى أن لا يظهر أثره في الوجه ولكن ذلك شديد جدّاً .

إن قيل : إنما الواجب التألم بفوات المحتاج اليه دون الغضب ، فمن له شاة مثلا وهي قوته فماتت فلا يغضب على أحد وإن كان يحصل فيه كراهة وليس من ضرورة كل كراهة غضب فان الانسان يتألم بالفصد والحجامة ولا يغضب على الفصادِ والحجام ، فمن غلب عليه التوحيد حتّى يرى الأشياء كلها من الله تعالى فلا يغضب على أحد من خلقه ، إذ يراهم مسخرين في قبضة قدرته كالقلم في يد الكاتب ، ومن وقع عليه ملك يضرب رقبته لم يغضب على القلم

---

(١)سورة النساء : آية ١٢٩ . (٢) احياء علوم الدين : ج ٣ ص ١٦١ واماني الطوسي : ص ٥٩٩ .

فيندفع الغضب بغلبة التوحيد ويندفع أيضاً بحسن الظن بالله ، وهو أن يرى أن الكل من الله تعالى وأن الله لا يقدر له إلا بما فيه الخيرة ، وربّما تكون الخيرة في جوعه ومرضه وجرحه وقتله فلا يغضب كما لا يغضب على الفصاد ، لانه يرى أن الخيرة فيه .

فنقول : إنّ هذا على هذا الوجه غير محال ، ولكن غلبة التوحيد على هذا الوجه إنما يكون كالبرق الخاطف لا يدوم ويرجع القلب إلى الالتفات إلى الوسايط رجوعاً طبيعياً لا يندفع عنه ، ولو تصور ذلك على الدّوام لبشر لتصور رسول الله (ص) .

وعن أمير المؤمنين (ع) قال : « كان النبي (ص)لا يغضب للدنيا فاذا أغضبه الحق لم يعرفه أحد ولم يقم على غضبه شيء حتّى ينتصر له »[1] ، فكان يغضب على الحق وإن كان غضبه لله فهو التفات إلى الوسايط على الجملة بل كل من غضب على من يأخذه ضرورة قوته وحاجته التي لا بد له في دينه منها ، فانما غضب لله فلا يمكن الانفكاك عنه نعم قد يفقد أصل الغيظ فيما هو ضروري إذا كان القلب مشغولا بضروري أهم منه ، فلا يكون في القلب متّسع للغضب ، لاشتغاله بغيره ، فان اشتغل القلب ببعض المهمّات يمنع الاحساس بما عداه .

وهذا كما أن سلمان (رض) لما شتم قال : إن خفت موازيني فأنا شرّ ممّا تقول ، وإن ثقلت موازيني لم يضرّني ما تقول ، فقد كان همه مصروفا إلى الآخرة فلم يتأثر قلبه بالشتم ، فاذا يتصور فقد الغيظ إما باشتغال القلب بمهمّ ، أو بغلبة نظر التوحيد ، أو بسبب ثالث وهو أن يعلم أن الله يحب منه أن لا يغتاظ فيطفي شدة حبّه لله غيظه ، وذلك غير محال في أحوال نادرة .

الفصل الثاني
علاج الغضب

قد ثبت أن علاج كل علة بحسم مادتها وازالة أسبابها ، والاسباب المهيجة للغضب هي : الزهو[2] ، والعجب والفخر ، والهزل ، والهزء[3] والذل ، والتعيير ، والمماراة ، والمضادة ،

(١) أخرجه الترمذي في الشمائل.

(٢) الزهو : الكبر والفخر ومنه حديث الشيعة لولا أن يدخل الناس زهو لسلمت عليكم الملائكة قبلا .

(٣) هزل في كلامه من باب ضرب ؛ مزح وهو ضدّ الجد قال تعالى ﴿وما هو بالهزل﴾ . والهزؤ: السخرية والاستخفاف قال تعالى: ﴿لا تتخذوا آيات الله هزواً﴾ .

والغدر ، وشدة الحرص على فضول المال والجاه ، وهي بأجمعها أخلاق ردّية مذمومة شرعا ، ولا خلاص من الغضب مع بقآء هذه الأسباب فلا بد من إزالتها بأضدادها .

فينبغي أن تميت الزهو بالتواضع ، والعجب بالمعرفة بنفسك ، والفخر بمعرفة أنه من الرذايل وإنما الفخر بالفضايل ، وأما الهزل فتزيله بالجد في طلب الفضايل والاخلاق الحسنة ، وأما الهزء فتزيله بالتكرم عن ايذاء النّاس وبصيانة النفس عن أن يستهزء بك ، وأما التعيير فبالحذر من قول القبيح وصيانة النفس عن مر الجواب وأما شدة الحرص على مزايا العيش فتزال بالقناعة بقدر الضّرورة طلبا لعز الاستغناء وترفعا عن ذل الحاجة .

وكل خلق من هذه الاخلاق وصفة من هذه الصفات يفتقر في علاجها إلى رياضة وتحمل مشقة ، وحاصل رياضتها يرجع إلى معرفة غوائلها لترغب النفس عنها وتنفر عن قبحها ، ثم المواظبة على مباشرة الأضداد مدة مديدة حتّى تصير بالعادة معروفة وهينة على النفس ، فاذا انمحت عن النفس فقد زكت وطهرت عن هذه الرذايل،وتخلصت عن الغضب الذي يتولد منها .

وعلاجه عند هيجانه الاستعاذة من الشيطان والجلوس إن كان قائما والاضطجاع إن كان جالساً ، والوضوء والغسل بالماء البارد فان الغضب من النار كذا ورد في الحديث النبوي (ص) وأن يتفكر فيما ورد في فضائل كظم الغيظ والعفو والحلم والاحتمال قال الله تعالى : **﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾**[1] وقال : **﴿الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحبّ المحسنين﴾**[2] وقال : **﴿ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم وما يلقيها الا الذين صبروا وما يلقيها الا ذو حظ عظيم﴾**[3] .

وقال النبي (ص) : « ما جرع عبد جرعة أعظم قدراً من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله »[4] وقال الباقر (ع) : « من كظم غيظا وهو يقدر على إمضائه حشى الله قلبه أمناً وايمانا »[5] وقال الصادق (ع) : « ما من عبد كظم غيظا إلا زاده الله عزا في الدنيا والآخرة »[6] وقال (ع) : « كفى بالحلم ناصراً »[7] وقال « اذا لم تكن حليماً فتحلم »[8] .

---

(١)سورة الاعراف : آية ١٩٩ . .

(٢) سورة آل عمران : آية ١٣٤ . (٣) سورة فصلت : آية ٣٤ ـ ٣٥ . (٤) احياء علوم الدين : ج ٣ ص ١٦٦ وتنبيه الخواطرج ١ ص ١٢٤ .

(٥) الكافي : ج ٢ ص ١١٠ وتنبيه الخواطر : ج ١ ص ١٢٤ . (٦) الكافي : ج ٢ ص ١١٠ .

(٧) الكافي : ج ٢ ص ١١٢ . (٨) الكافي : ج ٢ ص ١١٢ .

وأن يخوف نفسه بعقاب الله أحوج ما يكون إلى العفو ، وأن يحدّث نفسه عاقبة العداوة والانتقام وتشمّر العدو لمقابلته ، وأن يتفكر في قبح صورته عند غضبه بأن يتذكر صورة غيره في حالة الغضب وأن يعلم أن غضبه من تعجبه من جريان الشيء على وفق مراد الله لاعلى وفق مراده .

وعن النبي (ص) : «ألا إن بني آدم خلقوا على طبقات شتى : منهم بطيء الغضب سريع الفيء[1] فتلك بتلك ، ومنهم سريع الغضب بطيء الفيء ، ألا وإن خيرهم البطيء الغضب السريع الفيء وشرهم السّريع الغضب البطيء الفيء »[2] .

الفصل الثالث

الحقد من نتائج الغضب

اعلم ان الغضب اذا لزم كظمه لعجز عن التشفي في الحال رجع إلى الباطن واحتقن فيه فصار حقداً ، ومعنى الحقد أن يلزم قلبه استثقاله والبغضة له والنفار عنه ، وأن يدوم على ذلك ويبقى قال رسول الله (ص) : « المؤمن ليس بحقود »[3] .

والحقد يثمر اموراً منها الحسد وهو أن يحمله الحقد على أن يتمنى زوال النعمة عنه فيغتم بنعمته ان أصابها ويسرّ بمصيبته ان نزلت به ، ومنها أن يزيد على إضمار الحسد في الباطن فيشمت بما يصيبه من البلاء ومنها أن يهجره وينقطع عنه وان طلبه المحقود وأقبل عليه ومنها أن يتكلم فيه بما لا يحل من كذب وغيبة وإفشاء سرّ وهتك ستر وغيره ومنها أن يحاكيه استهزاء به وسخرية منه ومنها ايذاؤه بالضرب وما يولم بدنه ومنها أن يمنعه حقه من صلة الرحم أو قضاء الدين أو رد مظلمة ، وكل ذلك حرام .

واقل درجات الحقد أن يحترز من هذه الآفات ولكن يستثقله بالباطن ولا ينتهي قلبه عن بغضه حتى يمتنع عما كان يتطوع به من البشاشة والرفق والعناية والقيام لحاجاته والمجالسة معه على ذكر الله والمعاونة على المنفعة له أو بترك الدعاء له والثناء عليه والتحريض على بره ومواساته ، فهذا كله ممّا تنقص من درجته في الدين ، ويحول بينه وبين فضل عظيم والأولى أن

(١) في المخطوطتين هنا زيادة : ومنهم سريع الغضب سريع الفيء . و لفظ الحديث مع ذلك لا يخلو من تشويش .

(٢) احياء علوم الدين : ج ٣ ص ١٧١ . (٣) احياء علوم الدين : ج ٣ ص ١٧١ .

يبقى على ما كان فان أمكنه أن يزيد في الاحسان مجاهدة للنفس وإرغاما للشيطان فذلك مقام الصديقين .

قال رسول الله (ص) : « ألا اخبركم بخير خلايق الدنيا والاخرة ، العفو عمن ظلمك ، وتصل من قطعك ، والاحسان إلى من اساء اليك ، وإعطاء من حرمك »[١] وقال (ص) : « عليكم بالعفو فان العفو لا يزيد العبد إلا عزّاً فتعافوا يعزّكم الله »[٢] وقال الباقر (ع) : « الندامة على العفو أفضل وايسر من الندامة على العقوبة »[٣] وعن النبي (ص) : «ان الرفق لم يوضع على شيء إلا زانه ، ولم ينزع من شيء إلا شانه »[٤] وقال الباقر (ع) : «ان لكل شيء قفلا وقفل الايمان الرفق »[٥] وقال (ع) « إن الله رفيق يحبّ الرّفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف »[٦] وقال الصادق (ع) : « من كان رفيقا في أمره نال ما يريد من الناس »[٧] وقال الكاظم (ع) : « الرفق نصف العيش »[٨] .

الفصل الرابع
الحسد من نتائج الحقد

واعلم أن الحسد من نتايج الحقد كما أن الحقد من نتايج الغضب ، ثم للحسد من الفروع الذميمة ما لا يكاد يحصى قال الله تعالى في معرض الانكار . **﴿أم يحسدون الناس على ما آتيهم الله من فضله﴾**[٩] وقال عزّ وجل : **﴿ود كثير من أهل الكتاب لو يردّونكم من بعد ايمانكم كفارا حسداً من عند أنفسهم﴾**[١٠] وقال : **﴿ان تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيّئة يفرحوا بها﴾**[١١] وذكر الله تعالى حسد اخوة يوسف وعبّر عما في قلوبهم وما اداهم اليه من الرضا بقتله ثمّ ما أصابهم من ذلك .

وقال رسول الله (ص) : « الحسد ياكل الحسنات كما تأكل النار الحطب »[١٢] قال

---

(١) الكافي : ج ٢ ص ١٠٧ . (٢) الكافي : ج ٢ ص ١٠٨ .
(٣) الكافي : ج ٢ ص ١٠٨ . (٤) الكافي : ج ٢ ص ١١٩ .
(٥) الكافي : ج ٢ ص ١١٨ . (٦) احياء علوم الدين : ج ٣ ص ١٧٥ والكافي : ج ٢ ص ١١٩ .
(٧) الكافي : ج ٢ ص ١٢٠ .
(٨) تحف العقول : ص ٤٥ . (٩) سورة آل عمران : الآية ١٢٠ .
(١٠) سورة البقرة : الآية ١٠٩ . (١١) سورة آل عمران : الآية ١٢٠ (١٢) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ١٢٦ وارشاد القلوب : ص ١٣٠ والكافي : ج ٢ ص ٣٠٦ وكنز الفوائد : ج ١ ص ١٣٦ .

(ص) : « قال الله تعالى لموسى بن عمران : يابن عمران لا تحسدنّ النّاس على ما اتيتهم من فضلي ولا تمدّن عينيك الى ذلك ولا تتبعه نفسك فان الحسد ساخط لنعمي صادّ لقسمي الذي قسمت بين عبادي ومن يك كذلك فلست منه وليس مني »[١] .

وقال (ص) : « استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان ، فان كل ذي نعمة محسود »[٢] قال (ص) : « ثلاثة لا ينجو منهنّ أحد ، وفي رواية قلما ينجو منهنّ أحد : الظن ، والحسد ، والطيرة وساحدّثكم بالمخرج من ذلك إذا ظننت فلا تحقق وإذا تطيرت فامض ، فاذا حسدت فلاْ تبغ »[٣] قال الصادق (ع) : « آفة الدين الحسد والعجب والفخر »[٤] .

وفي مصباح الشريعة قال الصادق (ع) « الحاسد مضر بنفسه قبل أن يضر بالمحسود كابليس أورث بحسده لنفسه اللعنة ولادم (ع) الاجتباء والهدى والرفع إلى محل حقايق العهد والاصطفاء ، فكن محسودا ولا تكن حاسدا فان ميزان الحاسد أبداً خفيف بثقل ميزان المحسود ، والرزق مقسوم فماذا ينفع الحسد الحاسد وما يضر المحسود الحسد ، والحسد أصله من عمى القلب وجحود فضل الله وهما جناحان للكفر وبالحسد وقع ابن آدم في حسرة الأبد وهلك مهلكا لا ينجو منه ابداً ولا توبة للحاسد لأنّه مصرّ عليه معتقد به مطبوع فيه يبدو بلا معارضة به ولا سبب والطبع لا يتغير عن الأصل وإن عولج »[٥] .

الفصل الخامس

معنى الحسد

معنى الحسد كراهة النعمة على المحسود وحب زوالها منه فان من لم يحب زوالها ولا يكره دوامها عليه ولكن يشتهي لنفسه مثلها يسمى غبطة ، وقد يسمى منافسة قال الله تعالى : ﴿وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾[٦] والغبطة إن كانت في الدّنيا فمباح ، وإن كانت في الدين فمندوب اليها .

---

(١) الكافي : ج ٢ ص ٣٠٧ .

(٢) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ١٢٧ واحياء علوم الدين : ج ٣ ص ١٧٧ وتحف العقول : ص ٤٠ .

(٣) احياء علوم الدين : ج ٣ ص ١٧٧ . (٤) الكافي : ج ٢ ص ٣٠٧ .

(٥) مصباح الشريعة : ص ١٠٤ . (٦) سورة المطففين : الآية ٢٦ .

قال النبي (ص) : « المؤمن يغبط والمنافق يحسد »[1] وقال « لا حسد إلا في اثنين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ، ورجل آتاه الله علما فهو يعمل به ويعلمه الناس »[2] سمّي الغبطة حسداً وهذا كما قد يسمى الحسد منافسة فان أصاب النعمة كافر أو فاجر وهو يستعين بها على تهيّج الفتنة وإفساد ذات البين وايذاء الخلق فلا يضر كراهتها عليه وحب زوالها منه من حيث إنه آلة للفساد لا من حيث إنها نعمة .

واسباب الحسد المذموم العداوة ، والتعزز ، والكبر ، والتعجب ، والخوف من فوت المقاصد المحبوبة ، وحب الرياسة ، وخبث النفس وبخلها ، فانه انما يكره النعمة عليه إما لأنه عدوّه فلا يريد له الخير ، وإما أن يكون من حيث يعلم أنه سيتكبر بالنعمة عليه وهو لا يطيق احتمال كبره وتفاخره لعزة نفسه وهو المراد بالتعزّز ، واما ان تكون في طبعه أن يتكبر على المحسود ويمتنع ذلك عليه بنعمته وهو المراد بالتكبر ، وإما أن تكون النعمة عظيمة والمنصب كبيراً فيتعجب من فوز مثله بمثل تلك النعمة وهو المراد بالتعجب ، وانما يخاف من فوات مقصده بسبب نعمته بأن يتوصل بها إلى مزاحمته في أغراضه ، وإما أن يكون بحبّ الرياسة التي يبتني على الاختصاص بنعمة لا يساوى فيها ، وإما أن لا يكون بسبب من هذه الاسباب بل لخبث النّفس وشحّها بالخير لعباد الله وإن كانت النعمة لا تنتقل اليه .

وقد يجتمع هذه الاسباب أو أكثرها في شخص واحد ، فيعظم الحسد لذلك ويقوي قوة لا يقدر معها على الاختفاء والمجاملة فيهتك حجاب المجاملة ، ويظهر العداوة بالمكاشفة .

الفصل السادس

منشأ الحسد حب الدنيا

هذه الاسباب إنما تكثر بين أقوام تجمعهم روابط يجتمعون بسببها في مجالس المخاطبات ويتواردون على الأغراض فاذا خالف واحد صاحبه في غرض من أغراضه نفر طبعه وأبغضه وثبت الحقد فيه . فعند ذلك يريد أن يستحقره ويتكبر عليه ويكافيه على مخالفته لغرضه ويكره تمكنه من النعمة التي توصله إلى أغراضه ، وإذ لا رابطة بين شخصين في بلدتين متباينتين فلا يكون

---

(١) الكافي : ج ٢ ص ٣٠٧ وفيه « المؤمن يغبط ولا يحسد والمنافق يحسد ولا يغبط » .

(٢) أخرجه ابن ماجة تحت رقم ٤٢٠٨ من حديث عبد الله بن مسعود .

بينهما محاسدة ، نعم إذا تجاوروا في مسكن أو سوق أو مسجد أو مدرسة تواردوا على مقاصد تتناقض فيها أغراضهم فيثور من التناقض التنافر والتباغض ، ومنه تثور بقية الاسباب .

فلذلك ترى العالم يحسد العالم دون العابد ، والعابد يحسد العابد دون العالم ، والتاجر يحسد التاجر دون غيره إلا بسبب آخر سوى الاجتماع في الحرفة ، ويحسد الرّجل أخاه وابن عمّه أكثر ممّا يحسد الأجانب ، والمرأة تحسد ضرتّها وسرية زوجها أكثر مما تحسد ام الزوج وابنته ، وذلك للتزاحم على المقاصد ، نعم من اشتدّ حرصه على الجاه وأحب الصّيت في جميع أطراف العالم بما هو فيه فانه يحسد كل من هو في العالم ممن يساهمه في الخصلة التي يتفاخر لها .

ومنشأ جميع ذلك كله حب الدنيا ، فان الدنيا هي التي تضيق على المتزاحمين ، أما الآخرة فلا ضيق فيها وإنما مثال الآخرة نعمة علم الاخرة فلا جرم من يحب معرفة الله تعالى وصفاته وملائكته وأنبيائه وملكوت أرضه وسمائه لم يحسد غيره إذا عرف ذلك أيضاً ، لان المعرفة لا تضيق على العارفين بل المعلوم الواحد يعرف ألف ألف عالم ويفرح بمعرفته ويلتذّ ولا تنقص لذة أحد بسبب غيره ، بل يحصل بكثرة العارفين زيادة الانس وثمرة الافادة والاستفادة ، ، إذ معرفة الله بحر واسع لا ضيق فيه ، والمنزلة عند الله أيضاً لا ضيق فيها لان أجل ما عند الله من النعم لذة لقائه وليس فيها ممانعة ولا مزاحمة ، بل يزيد الانس بكثرتهم .

نعم إذا قصد العلماء بالعلم المال والجاه تحاسدوا ، لأن المال هو أعيان وأجسام إذا وقعت في يد واحد خلت عنها يد الآخرين ، ومعنى الجاه ملك القلوب ومهما امتلأ شخص بتعظيم عالم انصرف عن تعظيم الاخر أو نقص عنه لا محالة فيكون ذلك سبباً للمحاسدة .

الفصل السابع

الحسد من الامراض العظيمة

اعلم أنّ الحسد من الأمراض العظيمة للقلوب ولا يداوي أمراض القلب إلاّ بالعلم والعمل ، والعلم النّافع لمرض الحسد أن تعرف تحقيقاً أنّ الحسد ضرر عليك في الدّين والدّنيا ، وأنّه لا ضرر به على المحسود في الدين ولا في الدّنيا ، بل ينتفع به فيهما ، ومهما عرفت هذا عن بصيرة ولم تكن عدوّ نفسك ولا صديق عدوّك فارقت الحسد لا محالة .

أما كونه ضرراً عليك في الدين فهو أنك بالحسد سخطت قضاء الله وكرهت نعمته التي

قسمها لعباده وعدله الذي أقامه في مملكته بخفي حكمته ، واستنكرت ذلك واستبشعته وهذه جناية على حدقة التوحيد وقذى في عين الايمان .

وناهيك بها جناية على الدين وقد انضاف إليه أنك غششت رجلاً من المؤمنين ، وتركت نصيحته وفارقت أوليآء الله وأنبيائه في حبهم الخير لعباد الله ، وشاركت إبليس وساير الكفار في حبهم للمؤمنين البلايا وزوال النعم ، وهذه خبائث في القلب تأكل حسنات القلب كما تأكل النار الحطب وتمحوها كما يمحو الليل النّهار .

وأما كونه ضرراً في الدنيا عليك فهو أنك تتألم بحسدك وتتعذب به ولا تزال في كدّ وغم ، إذ اعدآؤك لا يخليهم الله عن نعم يفضيها عليهم ، فلا تزال تتعذب بكل نعمة تريها ، وتتألم بكلّ بليّة تنصرف عنهم ، فتبقى محزوناً مغموماً متشعّب القلب ضيق النفس كما تشتهيه لأعدائك وكما يشتهي أعداؤك لك ، فقد كنت تريد المحنة لعدوّك فتنجزت في الحال محنتك نقداً ولا تزول النعمة من المحسود بحسدك ، إذ لو كانت النعم تزول بالحسد لم يبق الله عليك نعمة ولا على الخلق ولا نعمة الايمان أيضاً لأنّ الكفار يحسدون المؤمنين على الايمان قال الله تعالى : ﴿ودّت طائفة من أهل الكتاب لو يضلّونكم وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون﴾[1] بل ما قدره الله من إقبال ونعمة فلا بد أن يدوم إلى أجل قدره الله ولا حيلة في دفعه ، بل كل شيء عنده بمقدار ، ولكل أجل كتاب ، ومهما لم تزل النعمة بالحسد لم يكن على المحسود ضرر في الدنيا ، ولم يكن عليه إثم في الآخرة .

وأما أنّ المحسود ينتفع في الدين والدنيا فواضح ، أما منفعته في الدين فهو أنه مظلوم من جهتك لا سيّما إذا أخرجك الحسد إلى القول والفعل بالغيبة والقدح فيه وهتك ستره وذكر مساويه ، فهذه هدايا تهديها إليه بانتقاله حسناتك إلى ديوانه حتّى تلقيه مفلسا محروماً عن النعمة كما حرمت في الدنيا عن النعمة فأضفت له نعمة إلى نعمة ، وأضفت لنفسك شقاوة الى شقاوتك .

وأما منفعته في الدنيا فهو أنّ أهمّ أغراض الخلق مساءة الأعداء وغمّهم وشقاوتهم وكونهم معذبين مغمومين ، ولا عذاب أعظم مما أنت فيه من ألم الحسد ، وقد فعلت بنفسك ما هو مرادهم ، فالحسد ينبغي أن يحكّم الحسد فكلما يتقاضاه من قول وفعل فينبغي أن يكلف نفسه

---

(١) سورة آل عمران : آية ٦٩ .

بنقيضها ، فان بعثه الحسد على القدح فيه كلف لسان المدح لـه والثناء عليـه ، وإن حمله على التكبر ألزم نفسه التواضع له والاعتذار إليه ، وإن بعثه على كف الانعام عنه الزم نفسه الزيادة في الانعام ، فمهما فعل ذلك عن تكلف وعرفه المحسود طاب قلبه وأحبّه ، ومهما أحبّه عاد الحاسد وأحبّه وتولد بينهما الموافقة التي تقطع مادة الحسد ويصير ما تكلفه اولا طبعا آخر ، والاصـل في العلاج قمع أسباب الحسد من الكبر وعزة النفس وشدّة الحرص على ما لا يعني كما يأتي بيانه .

الباب الرابع

في الرياء والكبر والعجب وعلاجهم

في الرياء والكبر والعجب اعلم أن الرياء بالعبادة حرام وصـاحبه ممقـوت عند الله قـال الله تعالى :﴿ويل للمصلين الذين هم عن صلوتهم ساهونالذين هم يراؤن ويمنعون المـاعون﴾[١] وقال تعالى :﴿يراؤن النّاس ولا يذكرون الله إلا قليـلا﴾[٢] وقال عـزّ وجلّ :﴿كـالذي ينفق مـاله رئاء الناس﴾[٣] .

وقال رسول الله (ص) : يقول الله تعالى :« من عمل عملا اشـرك فيه غيـري فهو لـه كله وأنـا منه بريء وأنا أغنى الاغنيـاء عن الشرك »[٤] قـال (ص):« ان أدنى الريـاء شرك »[٥] وقـال « سيأتي على الناس زمان تخبث فيه سرائرهم وتحسن فيه علانيتهم طمعاً في الدنيا لا يريدون به ما عند ربهم يكون دينهم رياء لا يخالطهم خـوف فيعمّهم الله بعقاب فيـدعونـه دعاء الغـريق فلا يستجاب لهم »[٦] وقال (ص) :« إن الملك ليصعـد بعمل العبـد متبهّجا بـه فاذا صعـد بحسناتـه يقول الله تعالى : اجعلوها في سجين إنه ليس إياي أراد بها »[٧] .

وقـال أمير المؤمنين (ع) :« اخشـوا الله خشية ليست بتعـذير واعملوا لله في غيـر ريـاء ولا سمعة فانه من عمل لغير الله وكله الله إلى عمله »[٨] وقال (ع) :« ثـلاث علامـات للمرائي ينشط إذا رأى الناس ، ويكسل إذا كان وحده ، ويحب أن يحمد في جميع اموره »[٩] .

---

(١)سورة الماعون : آية ٤ ـ ٧ .

(٢) سورة النساء : آية ١٤٢ . (٣) سورة البقرة : آية ٢٦٤ .

(٤) احياء علوم الدين : ج ٣ ص ٢٧٥ . (٥) احياء علوم الدين : ج ٣ ص ٢٧٥ .

(٦) الكافي : ج ٢ ص ٢٩٦ . (٧) الكافي : ج ٢ ص ٢٩٥ .

(٨) الكافي : ج ٢ ص ٢٩٧ . (٩) الكافي : ج ٢ ص ٢٩٥ .

وعن الباقر (ع) : « الابقاء على العمل أشدّ من العمل ، قيل : وما الابقاء على العمل ؟ قال أن يصل الرّجل بصلة وينفق نفقة لله وحده لا شريك له فكتبت له سراً ، ثم يذكرها فتمحى فتكتب له علانية ، ثم يذكرها فتمحى وتكتب له رياء »[1] .

وقال الصادق (ع) : « قال الله تعالى :أنا خير شريك من أشرك معي غيري في عمل عمله لم أقبله إلا ما كان لي خالصا »[2] وقال : « كلّ رياء شرك إنه من عمل للناس كان ثوابه على النّاس ، ومن عمل لله كان ثوابه على الله »[3] وقال (ع) في قول الله تعالى : **﴿فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾**[4] قال « الرجل يعمل شيئاً من الثواب لا يطلب به وجه الله إنما يطلب تزكية الناس يشتهي أن يسمع به الناس فهذا الذي أشرك بعبادة ربه ثم قال : ما من عبد أسر خيراً فذهبت الايام أبداً حتّى يظهر الله له خيراً ، وما من عبد يسرّ شرّاً فذهبت الأيام حتّى يظهر الله له شرا »[5] .

وقال (ع) « ما يصنع أحدكم أن يظهر حسنا ويسر سيّئا أليس يرجع إلى نفسه فيعلم أن ذلك ليس كذلك والله عزّ وجلّ يقول : **﴿بل الانسان على نفسه بصيرة﴾**[6] إن السريرة إذا صحت قويت العلانية »[7].

وقال : « من أراد الله بالقليل من عمله أظهر الله أكثر مما أراد ومن أراد الناس بالكثير من عمله في تعب من بدنه وسهر من ليله أبى الله عز وجل إلا أن يقلّله في عين من سمعه »[8] .

ولا باس بالسّرور إذا كان قصده إخفاء الطاعة والاخلاص لله لكن لما اطلع الله عليه الخلق وعلم أن الله اطلعهم عليه وأظهر الجميل من حاله فيستدل به على حسن صنيع الله به ونظره له وألطافه به فانّه يستر الطاعة والمعصية ثم الله يستر عليه المعصية ويظهر الطاعة فيكون فرحه بجميل نظر الله له لا بحمد النّاس وقيام المنزلة في قلوبهم وقد قال : **﴿قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا﴾**[9] .

وكذلك إذا استدل باظهار الله تعالى الجميل وستره القبيح عليه في الدنيا أنه كذلك يفعل

---

(١) الكافي : ج ٢ ص ٢٩٦ . (٢) الكافي : ج ٢ ص ٢٩٥ وتفسير العياشي : ج ٢ ص ٣٥٣ .
(٣) الكافي : ج ٢ ص ٢٩٣ . (٤) سورة الكهف : آية ١١٠ .
(٥) الكافي : ج ٢ ص ٢٩٣ . (٦) سورة القيامة : الآية ١٤ .
(٧) الكافي : ج ٢ ص ٢٩٥ . (٨) الكافي : ج ٢ ص ٢٩٦ . (٩) سورة يونس : آية ٥٨ .

به في الآخرة قال رسول الله (ص) : « ما ستر الله على عبد في الدنيا إلا ستر عليه في الاخرة ، فيكون الأول فرحا بالقبول في الحال وهذا التفات إلى المستقبل »[١] وكذا إذا ظن رغبة المطلعين على الاقتداء به في الطاعة فيتضاعف بذلك أجره فيكون له أجر العلانية بما ظهر آخرا ، وأجر السرّ بما قصده أولا ، ومن اقتدى به في طاعة فله أجر أعمال المقتدين به من غير أن ينقص من اجورهم شيء ، وكذا إذا فرح بطاعتهم لله في مدحتهم ويحبّهم للمطيع وبميل قلوبهم الى الطاعة .

روى أن رجلا قال لرسول الله (ص) : « يا رسول الله اسرّ العمل لا احب أن يطلع عليه أحد فيطلع عليه فيسّرني ، قال: لك أجران أجر السرّ وأجر العلانية »[٢] وعن الباقر (ع) : « أنه سئل عن الرجل يعمل الشيء من الخير فيراه إنسان فيسرّه ذلك قال : لا بأس ما من أحد إلا وهو يحب أن يظهر الله له في الناس الخير إذا لم يكن صنع ذلك لذلك »[٣] .

وكذا الكلام في كتمان المعاصي لا لأن يعتقد فيه الورع بل للتحامي عن الهتك أو لأن الستر مأمور به ويعرف بكراهة ظهوزها من الغير أو لأنه يتألم بالذّم فهو مباح لكونه جليّا أو لأن الناس شهداءه كما ورد ، ، أو لأن الذام يصير عاصيا ويعرف بتسوية ذمّه وذم غيره أو لخوف أن يقصد بسوء أو للحياء فهو كرم الطبع كما ورد : الحياء كله خير ، الحياء شعبة من الايمان ، أو لأن لا يقتدي به الغير أو حبّه محبّة النّاس له ليعلم محبة الله له فان من أحبّه الله تعالى جعله محبوبا في قلوب النّاس .

الفصل الاول

الرياء في العبادة

اعلم أن الرياء بالعبادة إنما ينشأ من حب لذة الحمد والفرار من ألم المذمة والطمع لما في أيدي النّاس فمهما عرف العبد مضرّة الرياء وما يفوته من صلاح قلبه وما يحرم عنه في الحال من التوفيق وفي الاخرة من المنزلة عند الله وما يتعرّض له من العقاب والمقت والخزي ، وقابل ما يحصل له من العباد والتزين لهم في الدّنيا بما يفوته من الاخرة وما يحبط عليه من ثواب

---

(١) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ١٨٩ وفي احياء علوم الدين ج ٣ ص ٢٨٧ .

(٢) احياء علوم الدين ج ٣ ص ٢٨٨ . (٣) الكافي : ج ٢ ص ٢٩٧ .

الأعمال لترك الرياء لا محالة مع أن العمل الواحد ربّما كان يترجح به ميزان حسناته لـو خلص ، فاذا فسد بالرياء حوّل إلى كفة السّيئآت فترجح به ويهوى إلى النار هذا .

مع ما يتعرض له في الدنيا من تشتّت الهم بسبب ملاحظة قلوب الخلق ، فان رضاء النّاس غاية لا تدرك وكل ما يرضى به فريق يسخط فريق آخـر ورضاء بعضهم في سخط بعض ، ومن طلب رضاهم في سخط الله سخط الله عليه وأسخـطهم أيضاً عليـه ثمّ أي غرض لـه في مدحهم وايثار ذم الله لأجل حمدهم ولا يزيد حمدهم رزقا ولا أجلا ولا ينفعـه يوم فقـره وفاقتـه وهو يـوم القيامة .

وأما الطمع بما في أيديهم فبأن يعلم أن الله تعـالى هو مسخـر للقلوب بالمنـع والاعطاء ، وأن الخلق مضطرون فيه ولا رازق إلا الله ، ومن طمـع في الخلق لم يخل عن الـذّل والخسّة ، وإن وصل إلى المراد لم يخل عن المنة والمهانة ، فاذا قرّر في قلبـه آفة هـذه الأسباب وضـررها فترت رغبته وأقبل على الله قلبه ، ويكفيه أن النّاس لو علموا ما في باطنه من قصد الرياء واظهار الاخلاص لمقتوه ، وسيكشف الله عن سرّه حتى يبغضه إلى النـاس ، ولو أخلص لله لكشف الله لهم اخلاصه وحبّبه إليهم وسخّرهم له وأطلق ألسنتهم بحمده والثناء عليه ، مـع أنّه لا كمـال في مدحهم ولا نقصان في ذمهم .

ثم ينبغي أن يعـود نفسه إخفـاء العبادات وإغـلاق الأبواب دونهـا كمـا تغلق الأبـواب دون الفواحش حتّى يقنع قلبه بعلم الله واطلاعـه على عبادتـه ، ولا تنازعـه النفس إلى طلب علم غير الله به ، وذلك وإن شق في بداية المجاهدة ، لكن إذا صبـر عليه مـدّة بالتكليف سقط عنـه ثقله وهان عليه بتوسّط ألطاف الله وما يمدّه به عباده من حسن التوفيق والتأييـد ، ولكن الله لا يغيّر مـا بقَـوم حتّى يغيـروا مـا بـأنفسهم ، فمن العبـد المجاهـدة ومن الله الهـدايـة والله لا يضيـع اجـر المحسنين .

وفي مصباح الشريعـة قال الصـادق (ع) : « أكثر مـا يقع الـرياء في النـظر والأكل والكـلام والمشي والمجالسة واللباس والضّحك والصّـلاة والحجّ والجهـاد وقراءة القـرآن وسايـر العبادات الظاهرة ، ومن أخلص لله بـاطنه وخشـع له قلبـه ورأى نفسه مقصّـرا بعد بـذل المجهود ، وجـد الشكر عليه حاصلا ويكون ممن يرجى له الخلاص من الـرياء والنفـاق إذا استقام على ذلـك في كل حال »[1] .

---

(١) مصباح الشريعة : ص ٣٢.

الفصل الثاني

الرياء في امور أخرى

وأما الرياء بغير العبادات فقد يكون مستحبا وقد يكون واجبا إذ يجب على المؤمن صيانة عرضه وأن لا يفعل ما يعاب عليه ، فلا يليق بذوي المروات أن يرتكبوا الامور الخسيسة بأنفسهم عند مشاهدة الناس وإن جاز لهم في الخلوة إلا أن ذلك يختلف باختلاف الأزمنة والبلاد والأشخاص من العباد ، فلا بد من مراعاة ذلك.

فعن الصادق (ع) : « أنه نظر إلى رجل من أهل المدينة قد اشترى لعياله شيئاً وهو يحمله ، فلما رآه الرجل استحيى منه فقال (ع) : اشتريته لعيالك وحملته إليهم ، أما والله لولا أهل المدينة لأحببت أن أشتري لعيالي الشّيء ثمّ أحمله إليهم »(١) .

أراد (ع) لو لا مخافة أن يعيبوني على ذلك ، مع أن جده امير المؤمنين (ع) كان يفعل مثله إلا أنه لما كان في زمان لا يعاب عليه بمثله جاز له أن يرتكبه وكان منقبة له وتعليما .

وروى« أن رسول الله (ص) أراد يوما ان يخرج على أصحابه فكان ينظر في حبّ من الماء ويسوّي عمامته وشعره فقيل له : أوتفعل ذلك يا رسول الله ؟ فقال : نعم إن الله يحب من العبد أن يتزين لاخوانه إذا خرج اليهم »(٢) .

وقال أمير المؤمنين (ع) : « ليتزين أحدكم لأخيه المسلم كما تزين للغريب الذي يحب ان يراه في أحسن الهيئة »(٣) .

وقال الصادق (ع) : « الثوب النّقي يكبت العدو »(٤)، وكل ذلك رياء محبوب .

الفصل الثالث

في الكبر وعلاجه

وأما الكبر فانه من نتايج العجب والتكبر ينشأ من الحقد أو الحسد أو الرياء وقد ذم الله التكبر في مواضع من كتابه .

---

(١) الكافي : ج ٢ ص ١٢٣ .

(٢) مكارم الأخلاق : ص ٣٤ . (٣) الخصال : ج ٢ ص ٦١٢ (في حديث الاربعمائة) .

(٤) الكافي : ج ٦ ص ٤٤١ .

قال الله تعالى : ﴿سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق﴾[1] وقال : ﴿كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار﴾[2] .

وقال رسول الله (ص) : « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبّة من خردل من كبر »[3] وقال : « من تعظم في نفسه واختال في مشيه لقي الله وهو عليه غضبان »[4] وقال الباقر (ع) : « الكبر رداء الله والمتكبر ينازع الله رداءه »[5] وقال الصادق (ع) : « الكبر أن تغمص النّاس وتسفه الحق »[6] ، وفسرّ (ع) في رواية اخرى « سفه الحق بأن يجهل الحقّ ويطعن على أهله »[7] والغمص بتحقير « تحقير خ » الناس والتجبّر عليهم .

وقال (ع) : « ما من أحد تكبر أو تجبّر إلا لذلة وجدها في نفسه »[8] وقال : « إن في جهنم لواديا للمتكبرين يقال له سقر شكى إلى الله شدة حرّه وسأله أن يأذن له أن يتنفس فتنفس فاحرق جهنّم »[9] وقال « إن المتكبرين يجعلون في صور الذر[10] يتوطأهم الناس حتّى يفرغ الله من الحساب »[11] وقال (ع) : « إن في السماء ملكين موكلين بالعباد فمن تواضع رفعاه ومن تكبر وضعاه »[12].

وعن النبي (ص) : « ما تواضع احد لله إلا رفعه الله تعالى »[13] وعنه (ص) قال : « إنه ليعجبني أن يحمل الرّجل الشيء في يده فيكون مهنة[14] لأهله يدفع به الكبر عن نفسه »[15] وعنه (ص) : « انه قال لأصحابه : ما لي لا أرى عليكم حلاوة العبادة قالوا : وما حلاوة العبادة قال : التواضع »[16] وعنه (ص) قال : « إذا رأيتم المتواضعين من امتي فتواضعوا لهم ، وإذا رأيتم

---

(١) سورة الأعراف : آية ١٤٦ (٢) سورة غافر : آية ٣٥ .

(٣) الكافي : ج ٢ ص ٣١٠ واحياء علوم الدين : ج ٣ ص ٣١٤ وتنبيه الخواطر : ج ١ ص ١٩٨ .

(٤) احياء علوم الدين : ج ٣ ص ٣١٧ . (٥) الكافي : ج ٢ ص ٣٠٩ .

(٦) الكافي : ج ٢ ص ٣١٠ . (٧) الكافي : ج ٢ ص ٣١١ .

(٨) الكافي : ج ٢ ص ٣١٢ .

(٩) الكافي : ج ٢ ص ٣١٠ والمحاسن : ج ١ ص ١٢٣ . (١٠) الذر صغار النمل بحيث لا تكاد ترى .

(١١) الكافي : ج ٢ ص ٣١١ والمحاسن : ج ١ ص ١٢٣ (١٢) المحاسن : ج ١ ص ١٢٣ والكافي : ج ٢ ص ١٢٢ .

(١٣) امالي الطوسي : ص ٥٦ (١٤) المهنة الخدمة يقال : هو في مهنة اهله أي في خدمتهم .

(١٥) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ٢٠١ واحياء علوم الدين ج ٣ ص ٣١٩ .

(١٦) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ٢٠١ واحياء علوم الدين ج ٣ ص ٣١٩ .

المتكبرين فتكبّروا عليهم ، فان ذلك لهم مذلة وصغار »[1] .

وعن السجاد (ع) : « أنه مرّ على المجذومين وهو راكب حماره وهم يتغذون فدعوه إلى الغذاء فقال : أما لو لا أني صائم لفعلت ، فلما صار إلى منزله أمر بطعام فصنع وأمر أن يتنوقوا[2] فيه ثم دعاهم فتغذوا عنده وتغذى معهم »[3] وعن الكاظم (ع) قال : « إن التواضع أن تعطي النّاس ما تحب أن تعطاه »[4] .

وفي مصباح الشريعة قال الصادق (ع) : « التواضع اصل كل شرف نفيس ومرتبة رفيعة ، ولو كان للتواضع لغة يفهمها الخلق لنطق عن حقايق ما في مخفيّات العواقب والتواضع ما يكون لله وفي الله وما سواه مكر ومن تواضع لله شرفه الله على كثير من عباده ولأهل التواضع علامات يعرفها أهل السماوات من الملائكة وأهل الارض من العارفين قال الله تعالى : ﴿**وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم**﴾ [5] وأصل التواضع من إجلال الله وهيبته وعظمته وليس لله عبادة يرضاها ويقبلها إلاّ وبابها التواضع ، ولا يعرف ما في حقيقة التواضع إلا المقربون من عباده المتّصلين بوحدانيّته قال الله تعالى : ﴿**وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما**﴾ [6] وقد امر الله عز وجلّ خير خلقه وسيّد بريّته محمداً (ص) بالتواضع فقال عزّ وجلّ : ﴿**واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين**﴾ [7] والتواضع مزرعة الخضوع والخشوع والخشية والحياء وأنّهن لا يأتين إلا منها ولا يسلم الشرف التام الحقيقي إلا للمتواضع في ذات الله »[8] .

الفصل الرابع في التكبر

التكبر قد يكون على الله كما كان لنمرود وفرعون ، وقد يكون على رسله كما كان لمن كان يقول : أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا ، وقد يكون على سائر الناس بأن يستعظم نفسه ويستصغر غيره فاذا سمع الحق من عبد من عباد الله استنكف من قبوله واشمأز بجحده كما يكون لأكثر المناظرين في العلوم للغلبة والافحام ، ثم قد يكون بالعلم ، وقد يكون بالعبادة والورع ، وقد يكون بالحسب والنسب والجمال والمال والقوة وكثرة الانصار والاتباع .

---

(١) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ٢٠١ واحياء علوم الدين ج ٣ ص ٣١٩ .

(٢) تنوق في مطعمه وملبسه تجود وبالغ ، وفي الحديث : تنوقوا بأكفانكم فانكم تبعثون بها .

(٣) الكافي : ج ٢ ص ١٢٣ . (٤) الكافي : ج ٢ ص ١٢٤ .

(٥) سورة لاعراف : آية ٤٦ . (٦) سورة الفرقان : آية ٦٣ .

(٧) سورة الشعراء : آية ٢١٥ . (٨) مصباح الشريعة : ص ٧٢ .

والتكبر بالعلم له سببان : أحدهما أن يكون اشتغاله بما يسمى علما وليس بعلم حقيقي والثاني أن يخوض في العلم وهو خبيث النفس ردي الأخلاق لم يهذب نفسه أولا ولم يزكها بالمجاهدات ولم يروض نفسه في عبادة ربه ، فبقي خبيث الجوهر فاذا خاض في العلم أي علم كان ، صادف العلم من قلبه منزلا خبيثا فلم يطب ثمره ولم يظهر في الخير أثره .

وعلاجه أن يعلم أن الكبر لا يليق إلا بالله تعالى وحده ، وأنه إذا تكبر صار ممقوتا عند الله بغيضاً ، وقد أحب الله منه أن يتواضع فلا بد أن يكلف نفسه ما يحب مولاه وأن يعلم أن حجة الله على أهل العلم أوكد وأنه يحتمل من الجهل ما لا يحتمل عشره من العالم ، وأنه من عصى الله من معرفة وعلم فجنايته أفحش إذ لم يقض حق نعمة الله عليه في العلم .

ولذلك قال رسول الله (ص) : « يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى في النار فيندلق اقتابه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى فيطيف به اهل النار فيقولون مالك ؟ فيقول : كنت آمر بالخير ولا آتيه ، وأنهى عن الشر وآتيه »[1] ، وقد مثل الله علماء اليهود بالحمار[2] ، وبلعم بن باعورا بالكلب[3] ، وقال عيسى بن مريم : « ويل للعلماء السّوء كيف يتلظى عليهم النار »[4] وقال الصادق (ع) : « يغفر للجاهل سبعون ذنبا قبل أن يغفر للعالم ذنب واحد »[5] .

وعلى العابد الورع أن يعلم أنّ من يتقدّم عليه بالعلم لا ينبغي أن يتكبر عليه لما عرف من فضيلة العلم وكما أن العلمُ يمكن أن يكون حجة على العالم ، يمكن أن يكون وسيلة له وكفارة لذنوبه إن الحسنات يذهبن السّيئآت ، وأمر غير العالم في حقه مستور وإنما المدار على الخاتمة فعليه إن رأى من هو شرّ منه أن يقول : لعلّ هذا ينجو وأهلك أنا ، فلا يراه شرّاً منه خائفا من العاقبة ، ويقول : لعلّ برّ هذا باطن فذلك خير له ولا أدري لعلّ فيه خلق كريم بينه وبين الله عز وجلّ فيرحمه ويتوب عليه ، ويختم له بأحسن الأعمال وبرّي ظاهر وذلك شرّ لي لا امن فيما اظهر من الطاعة أن يكون دخلتها الآفات فاحيطتها .

وبالجملة من جوز ان يكون عند الله شقيّا وقد سبق القضاء الازلي بشقوته فما له سبيل إلى

---

(١) احياء علوم الدين : ج ٣ ص ٣٣٩

(٢) ـ حيث قال : مثل الذين حملو التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً .

(٣) ـ في قوله تعالى : مثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث الخ .

(٤) ـ الكافي : ج ١ ص ٤٧ (٥) الكافي : ج ١ ص ٤٧

أن يتكبّر بحال من الأحوال ، نعم إذا غلبه الخوف رأى كل احد خيراً من نفسه ، وذلك هو الفضيلة قال الله تعالى : **﴿والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة﴾**[1] ، أي يؤتون بالطاعات وهم على وجل عظيم من قبولها .

ومن يعتريه الكبر من جهة النسب فليداوِ قلبه بمعرفة أمرين أحدهما أن هذا جهل من حيث تعززه بكمال غيره ولذلك قيل :

لان فخرت بآباء ذوي شرف لقد صدقت ولكن بئس ما ولدوا

والمتكبّر بالنسب إن كان خسيساً في صفات ذاته فمن أين يجبر خسته كمال غيره ، بل لو كان الذي ينسب إليه حيّا لكان أن يقول الفضل لي ومن أنت إنّما أنت دودة خلقت من فضلتي والثاني أن يعرف نسبه الحقيقي فيعرف أباه وجدَّه ، فان أباه القريب نطفة قذرة وجدّه البعيد تراب ذليل ، وعرف الله نسبه فقال : **﴿الذي احسن كلّ شيء خلقه وبدا خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين﴾**[2] وأما الكبر بالجمال فدواؤه ان ينظر إلى باطنه نظر العقلاء ليرى من الفضايح ما يكدر عليه التعزّز بجماله ، فانه وكل به الاقذار في جميع أجزائه : الرّجيع في أمعائه ، والبول في مثانته ، والمخاط في أنفه ، والبصاق في فيه ، والوسخ في اذنه ، والدم في عروقه ، والصّديد تحت بشرته ، والصنان[3] تحت إبطه ، يغسل الغايط كل يوم دفعة أو دفعتين بيده ، يتردّد إلى الخلاء كل يوم مرّة أو مرتين ليخرج من باطنه ما لو رآه بعينه لاستقذره فضلا أن يمسّه أو يشمه ، وفي أول أمره خلق من الاقذار الشنيعة الصّور ، من النطفة ودم الحيض ، وخرج من مجرى البول إلى الرحم مفيض دم الحيض ثم مجرى القذر ، ولو ترك نفسه في حياته يوما لم يتعهده بالتنظيف والغسل لثارت منه الانتان والاقذار ، وسيموت فيصير جيفة اقذر من جميع الاقذار .

وأما التكبر بالقوة ، فيمنعه من ذلك أن يعلم ما سلّط عليه من العلل والأمراض وأنّه لو توجّع عرق واحد من بدنه لصار أعجز من كل عاجز وأذل من كل ذليل ، وأنه لو سلبه الذّباب شيئاً لم يستنقذه منه ، وأن بقة لو دخلت في أنفه أو نملة دخلت في اذنه لقتله ، وان شوكة لو دخلت رجله لأعجزته ؛ وأن حمى يوم تحلّل من قوّته ما لا ينجبر في مدّة ، ثم إنّ أقوى انسان لا

---

(١) سورة المؤمنون : آية ٦٠ (٢) سورة السجدة : آية ٧ و ٨

(٣) الصنان ؛ ذفر الابط بالخصوص ، ورائحة معاطن الجسد اذا تغيرت ؛ ومنه الحديث نعم البيت الحمام يذهب بالصنة .

يكون أقوى من حمار أو فيل أو جمل أو بقر ، وأي افتخار في صفة تسبقه البهايم فيها .

وأما التكبّر بالغنى وكثرة المال والاتباع فذلك تكبر بمعنى خارج من ذات الانسان ، لا كالجمال والقوة والعمل ، وهذا أقبح انواع التكبر ، فأفّ لشرف يسبقه اليهود ، وأفّ لشرف يأخذه السّارق والمتكبر بتمكن السّلطان بنآء امره على قلب هو اشدّ غليانا من القدر فان تغير عليه كان اذل الخلق وكلّ متكبر بأمر خارج من ذاته فهو ظاهر الجهل .

الفصل الخامس

الشفاء من الكبر

اعلم انه لا يتم الشفاء من الكبر إلا باستئصال اصله من سنخه وقلع شجرته من مغرسه في القلب وذلك بان يعرف ربه وأنه لا تليق العظمة والكبرياء إلا به ، وأن يعرف نفسه حقّ المعرفة ليعلم أنّه بذاته أذل من كل ذليل وأقل من كل قليل ، ولا يليق به إلا التواضع والذّل والمهانة وتكفيه آية واحدة من كتاب الله عزّ وجلّ ان فتحت بصيرته ، قال الله تعالى : ﴿**قتل الانسان ما أكفره من أي شيء خلقه ، من نطفة خلقه ، فقدّره ، ثم السّبيل يسّره ، ثمّ أماته فأقبره ، ثمّ إذا شاء أنشره**﴾[1] نعم لو أكمله وفوض إليه الأمر وأدام له الوجود باختياره لجاز أن يطغى وينسى المبدء والمنتهى ، ولكنه سلط عليه في دوام وجوده الأمراض الهائلة والأسقام العظيمة والآفات المختلفة والطبايع المتضادة ، من المرة والبلغم والرّيح والدّم ليهدم البعض من اجزائه البعض شاء أم أبى ، رضى أم سخط .

فيجوع كرها ويعطش كرها ويمرض كرها ويموت كرها ، لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ولا خيراً ولا شرّاً يريد أن يعلم الشيء فيجهله ، ويريد أن يذكر الشيء فينساه ، ويريد أن ينسى الشيء فيغفل عنه فلا يغفل ويريد أن ينصرف قلبه إلى ما يهمه فيحول في أودية الوسواس والأفكار بالاضطرار ، فلا يملك قلبه قلبه ولا نفسه نفسه يشتهي الشيء وربما يكون هلاكه فيه ، ويكره الشيء ويكون حياته فيه ، يستلذ الأطعمة فتهلكه وترديه ، ويستبشع الأدوية وهي تنفعه وتحييه ، ولا يأمن في لحظة من ليله ونهاره أن يسلب سمعه وبصره وعلمه وقدرته وتفلج أعضائه ويختلس عقله ويختطف روحه ويسلب جميع ما يهواه في دنياه ، وهو مضطر ذليل إن ترك ، وإن

---

(١) سورة عبس : الآية ١٧ ـ ٢٢ .

اختطف فهـو عبد مملوك لا يقدر على شيء من نفسه ولا من غيره ، فأي شيء أذل منه لو عرف نفسه ، وأنى يليق الكبر به لو لا جهله ، فهذا وسط أحواله فليتأمل .

وأما آخره ومورده فهو الموت المشار إليه بقوله : ﴿ثم أماته فأقبره﴾[1] فيصير جيفة منتنة قذرة ، ثمّ تبلى أعضـاؤه وصورتـه ، وتفتت أجزاؤه وتنخـر عظامـه فتصير رميمـا رفاتـا ثمّ يصير روثـا في أجواف الدّيدان ، يهرب منه الحيوان ويستقذره كل إنسان وأحسن أحوالـه أن يعود إلى مـا كان ، فيصير ترابا يعمل منه الكيزان ويعمر به البنيان ، فما أحسنه لو ترك ترابا بل يحيى بعد طول البلى ليقاسي شدائد البلاء ، فيخرج من قبره بعد جمع أجزائه المتفـرقة ، ويخـرج إلى أهـوال القيـامة فينظر إلى قيامة قائمة ، وسماء ممزّقة مشققة ، وأرض مبدلة ، وجبال مسيرة ، ونجوم منكـدرة ، وشمس منكسفة ، وأحوال مظلمة وملائكة غلاظ شداد ، وجحيم تزفر ، وجنة ينظر إليهـا المجرم فيتحسرّ ، ويرى صحايف منشورة كتب فيها ما نطق به وعمل من قليل وكثير ونقير وقطمير ، وهـو معنى قوله عزّ وجلّ : ﴿ثمّ إذا شاء أنشره﴾[2] فما لمن هذا حاله والتكبر ، بل ما له وللفرح في لحظة فضلا عن البطر والتجبر .

وأمّا العلاج العملي فهو التواضع بالفعل لله تعالى ، ولسائر الخلق بـالمواظبـة على أخلاق المتواضعين .

فقد ورد أن رسول الله (ص) : « كـان يأكـل على الأرض ويقول : إنمـا أنا عبـد اكل كمـا يأكل العبد »[3] .

وقيل لسلمان : لم لا تلبس جيّداً ؟ فقال : إنما أنا عبد فاذا اعتقت يوماً لبست أشار به إلى العتق في الاخرة ، وللمتواضع امتحانـات يعرف لهـا تواضعـه فلا بـد أن يمتحن نفسه بهـا حتى يطمئن بأنه متواضع ، فانه قد يضمر التّواضع ويدعي البراءة من الكبر فـاذا وقعت الواقعـة عادت النّفس إلى طبعها ، ونسيت وعدها ، ثم المحمود أن يتـواضع في غيـر مذلـة ومن غير تخـاسر ، فان كلا طرفي الامور ذميم ، وأحبّ الامور إلى الله أوسطهـا ، وهو أن يعـطى كلّ ذي حقّ حقّـه وهو العدل .

---

(١) سورة عبس آية ٢١ .
(٢) سورة عبس آية ٢٢ .
(٣) احياء علوم الدين : ج ٣ ص ٣٣٦

الفصل السادس

في العجب

وأمّا العجب فهو إعظام النعمة والركون إليها مع نسيان إضافتها إلى المنعم فان كان خائفاً على زوالها مشفقا على تكدّرها ، أو يكون فرحه بها من حيث إنّه من الله من دون إضافتها إلى نفسه فليس بمعجب ، فان أضاف إلى ذلك أن غلب على نفسه ان له عند الله حقّا وأنّه منه بمكان ويستبعد أن يجري عليه مكروه سمي إدلالا بالعمل ، فكأنه يرى لنفسه على الله دالة ، وكذلك قد يعطي غيره شيئاً فيستعظمه ويمنّ عليه ، فيكون معجباً فان استخدمه أو اقترح عليه الاقتراحات أو استبعد تخلّفه عن قضاء حقوقه كان مدلا عليه قال الله تعالى في معرض الانكار : **﴿ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم﴾**[1] وقال عزّ وجلّ : **﴿وظنوا أنّهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا﴾**[2] وقال تعالى : **﴿وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً﴾**[3] وهذا أيضاً يرجع إلى العجب بالعمل ، وقد يعجب الانسان بعمل هومخطىء فيه كما يعجب بعمل هو مصيب فيه قال الله تعالى : **﴿أفمن زين له سوء عمله فرءاه حسناً﴾**[4] وقال النبي (ص) : « ثلاث مهلكات : شحّ مطاع ، وهوى متّبع ، وإعجاب المرء بنفسه »[5] وقال (ص) : « إذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا وإعجاب كلّ ذي رأي برأيه ، فعليك بخاصة نفسك »[6] وقال (ص) : « لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو أكبر من ذلك العجب العجب »[7] .

وقال الصّادق (ع) : « إنّ الله تعالى علم أنّ الذنب خير للمؤمن من العجب ولولا ذلك ما ابتلى مؤمناً بذنب أبداً »[8] وقال « ان الرجل ليذنب الذّنب فيندم عليه ويعمل العمل فيسرّه ذلك فيتراخى عن حاله تلك فلان يكون على حاله تلك خير له ممّا دخل فيه »[9] وعنه (ع) قال : « اتى عالم عابدا فقال له : كيف صلاتك ؟ فقال : مثلي يسأل عن صلاته وأنا أعبد الله منذ كذا وكذا قال : وكيف بكاؤك ؟ قال : أبكي حتّى تجري دموعي فقال العالم إن ضحكك وأنت خائف أفضل من بكائك وأنت مدلّ إن المدلّ لا يصعد من عمله شيء »[10] .

---

(١) سورة التوبة : آية ٢٥ (٢) سورة الحشر : آية ٢ (٣) سورة الكهف : آية ١٠٤ (٤) سورة فاطر : آية ٨
(٥) العوالي : ج ١ ص ٢٧٣ واحياء علوم الدين : ج ٣ ص ٣٤٤
(٦) احياء علوم الدين : ج ٣ ص ٣٤٤ (٧) احياء علوم الدين : ج ٣ ص ٣٤٥ .
(٨) الكافي : ج ٢ ص ٣١٣ والاختصاص : ص ٢٤٢ (٩) الكافي : ج ٢ ص ٣١٣ (١٠) الكافي : ج ٢ ص ٣١٣

وعن الباقر (ع) قال : دخل رجلان المسجد أحدهما عابد والاخر فاسق فخرجا من المسجد والفاسق صديق والعابد فاسق ، وذلك إنّه دخل العابد المسجد مدلا بعبادته يدلّ بها فتكون فكرته في ذلك ، وتكون فكرة الفاسق في النّدم على فسقه ويستغفر الله ممّا صنع من الذّنب »(١)

وقال النبي (ص) : قال موسى لابليس : « أخبرني بالذنب الذي إذا أذنبه ابن آدم استحوذت عليه فقال : إذا أعجبته نفسه ، واستكثر « واستكبر خ » عمله ، وصغر في عينه ذنبه »(٢) وقال(ص) : « قال الله تعالى لداود : « بشّر المذنبين وأنذر الصّديقين » قال داود : كيف ابشر المذنبين وانذر الصدّقين ؟ قال : يا داود بشر المذنبين أني أقبل التوبة وأعفو عن الذنب ، وأنذر الصدّيقين أن لا يعجبوا بأعمالهم ، فانّه ليس عبد أنصبه للحساب إلا هلك »(٣) .

وعن الكاظم (ع) أنّه سئل عن العجب الذي يفسد العمل ، قال (ع) : « العجب درجات منها أن يزيّن للعبد سوء عمله فرآه حسنا فيعجبه فيحسب أنه يحسن صنعا ومنها أن يؤمن العبد بربه فيمنّ على الله ولله عليه فيه المن »(٤) .

وفي مصباح الشريعة قال الصّادق (ع) : « العجب كل العجب ممن يعجب بعمله وهو لا يدري بم يختم له ، فمن أعجب بنفسه وفعله فقد ضلّ عن نهج الرّشاد وادعى ما ليس له ، والمدعي من غير حق كاذب وإن خفى دعواه وطال دهره فانه أوّل ما يفعل بالمعجب نزع ما اعجب به ليعلم أنه عاجز فقير ويشهد على نفسه لتكون الحجّة عليه أوكد كما فعل ابليس والعجب نبات حبّها الكفر وأرضها النفاق وماؤها البغي وأغصانها الجهل وورقها الضّلالة وثمرها اللعنة والخلود في النار ، فمن اختار العجب فقد بذر الكفر وزرع النّفاق ولا بدّ من أن يثمر ويصير الى النار »(٥) .

الفصل السابع
أفات العجب

اعلم أن آفات العجب كثيرة منها أنه يدعو إلى الكبر لأنه أحد أسبابه كما أشرنا إليه ومنها أنه يدعو الى نسيان الذنوب وما يتذكر منها فيستصغرها ولا يستعظمها فلا يجتهد في تداركها

(١) لكافي : ج ٢ ص ٤١٤ (٢) الكافي : ج ٢ ص ٣١٤ (٣) الكافي : ج ٢ ص ٣١٤
(٤) الكافي : ج ٢ ص ٣١٣ (٥) مضباح الشريعة : ص ٨١

وتلافيها بل يظن أنها تغفر له وأما العبادات فيستعظمها ويتبجح بهـا ويمن على الله بفعلها وينسى نعمة الله عليه بـالتوفيق والتمكين منهـا ، ثم إذا أعجب بها عمي عن آفـاتها ومن لم يتفقـد آفات الأعمال كان أكثر سعيه ضايعاً ، فان الأعمال الظاهرة إذا لم تكن خالصة نقيّة عن الشوايب قلّمـا تنفع .

وإنما يتفقد من يغلب عليه الاشفاق.والخوف دون العجب والمعجب يغتر بنفسـه وبربـه ، ويأمن مكر الله وعذابه ويظن أنه عند الله بمكان وأن له عند الله منّة وحقا بـأعمالـه التي هي نعمة من نعمه وعطيّة من عطاياه ويحوجه العجب إلى أن يثني على نفسه ويحمدها ويزكيها فان أعجب برأيه وعلمه وعقله منعه ذلـك من الاستفادة والاستشـارة والسؤال فيستند بنفسـه وبرأيـه ويستنكف عن سؤال من هو أعلم منه .

وربما يعجب بالـرأي الخطاء الـذي خطر لـه فيفرح بكـونه من خـواطره ولا يفـرح بخاطـر غيره ، فيصرّ عليه ولا يسمع نصح ناصح ولا وعظ واعظ بل ينظر الى غيره بعين الاستجهـال ولو اتهم نفسه ولم يثق برأيه واستضاء بنور القرآن واستعان بعلماء الدين وواظب على مدارسة العلم وسؤال أهل البصيرة لكان ذلك يوصله إلى الحق ، فهذا وأمثاله من آفات العجب ولذلك كان من المهلكاتّ .

ومن أعظم آفاته أنه يفتر في السّعي لظنه أنه قد فاز واستغنى وهو الهلاك الصّريح الـذي لا شبهة فيه .

الفصل الثامن
الاعجاب بأسباب التكبر

اعلم أن الانسان قد يعجب بالأسباب التي بها يتكبر ، وعلاجه مـا ذكرنـا في الكبر ، وقـد يعجب بما لا يتكبر به كعجبه بالرأي الخطاء الذي يزين له بجهله وقـد أخبر رسـول الله (ص) أن ذلك يغلب على آخر هذه الأمة وبـذلك هلك الامم إذا افتـرقت فرقـا ، وكلّ معجب بـرأيه وكـل حزب بما لديهم فرحون ، وجميع أهل البدع والضّلال إنما أصرّوا عليها لعجبهم بآرائهم وهو مـا يسوق إليه الهوى والشبهة مع كون ظنه حقّاً .

وعلاج هذا العجب أشد من غيره لأنّ صاحب الرأي الخطاء جاهل بخطائه ولو عرفه لتركه ولا يعالج الداء الذي لا يعـرف ، والعارف يقـدر على أن يبيّن للجاهـل جهله ويزيله عنـه إلا إذا

كان معجبا برأيه وجهله ، فانه لا يصغي إلى العارف ويتهمه ، وقد سلط الله عليه بلية مهلكة وهو يظنها نعمة ، وكيف يمكن الهرب ممّا هو سبب سعادته في اعتقاده .

وإنما علاجه في الجملة أن يكون متّهما لرأيه أبداً لا يغتر به إلا أن يشهد له قاطع من كتاب الله العزيز أو سنّة رسوله (ص) أو دليل عقليّ صحيح جامع لشروط الأدلة ، ولن يعرف الانسان أدلة الشّرع والعقل وشروطها ومكان الغلط فيها إلا بقريحة تامّة وعقل ثابت وجدّ وتشمير في الطلب وممارسة الكتاب والسنة ومجالسة لأهل العلم طول العمر ومدارسة للعلوم ، ومع ذلك فلا يؤمن عليه الغلط في بعض الامور .

والصّواب لمن لم يتفرغ لاستغراق عمره في العلم أن لا يخوض في المذاهب ولا يصغي إليها ولا يسمعها ولكن يعتقد أن الله واحد لا شريك له ، وأنه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، وأنّ رسوله صادق فيما أخبره به ويتبع أئمة الهدى من أهل بيت النبي صلوات الله وسلامه عليه وعليهم ، ويؤمن بجملة ما جآء به الكتاب والسنة من غير بحث وتفتيش ويشتغل بالتقوى واجتناب المعاصي والشفقة على المسلمين وساير الأعمال المرضية .

الفصل التاسع
علاج العجب

ولما كان علاج كل علّة بمقابلة سببها بضده ، وعلّة العجب الجهل المحض فعلاجه المعرفة المضادة لذلك الجهل فقط ، فلنفرض العجب بفعل داخل تحت اختيار العبد كالعبادات ، فان العجب بهذا أغلب من العجب بالجمال والقوة والنسب وما لا يدخل تحت اختياره ولا يراه من نفسه فنقول :

الورع والتقوى والعبادة والعمل الذي به يعجب إما أن يكون يعجب به من حيث إنه فيه وهو محلّه ومجراه ، أو من حيث إنه منه وبسببه وقدرته وقوته ، فان كان الأوّل فهو جهل لان المحل مسخر وانما يجري فيه وعليه من جهة غيره لا مدخل له في الايجاد والتحصيل فكيف يعجب بما ليس إليه ، وإن كان الثاني فينبغي أن يتأمل في قدرته وإرادته وأعضائه وساير الأسباب التي تمّ بها عمله أنها من أين كانت له فان كان علم أن جميع ذلك نعمة من الله إليه من غير حقّ سبق له ومن غير وسيلة يدلى بها فينبغي أن يكون إعجابه بجود الله تعالى وكرمه وفضله إذ افاض عليه مالا يستحقه وآثره به على غيره من غير سابقة ووسيلة فان قال وفقني للعبادة لحبي له

فيقال : ومن خلق الحب في قلبك ؟ فسيقول : هو فيقال : فالحبّ والعبادة كلاهما نعمتان من عنده ابتدأك بهما من غير استحقاق من جهتك إذ لا وسيلة لك ولا علاقة فيكون الاعجاب بجوده إذ أنعم بوجودك وبوجود صفاتك وبوجود أعمالك وأسباب أعمالك فاذن لا معنى لعجب العابد بعبادته وعجب العالم بعلمه وعجب الجميل بجماله وعجب الغني بغناه ؛ لأن كل ذلك من فضل الله وإنما هو محلّ لفيضان فضل الله وجوده ، والمحل أيضاً من فضله وجوده فانّه هو الذي خلقك وخلق أعضاءك وخلق فيها القوة والقدرة والصّحة وخلق لك العقل والعلم والارادة ، ولو أردت أن تنفي شيئا من ذلك عن نفسك لم تقدر عليه .

ثم خلق الحركات في اعضائك مستبداً باختراعه من غير مشاركة له من جهتك معه في الاختراع إلا أنه خلقها على ترتيبٍ فلم يخلق الحركة ما لم يخلق في العضو قوة وفي القلب إرادة ، ولم يخلق إرادة ما لم يخلق علما بالمراد ، ولم يخلق العلم ما لم يخلق القلب الذي هو محل العلم ، فتدريجه في الخلق شيئاً بعد شيء هو الذي خيل اليك أنّك أوجدت علمك ، وقد غلطت فان تحريك البواعث وصرف العوائق وتهيئة الأسباب كلها من الله تعالى ليس شيء منها إليك .

ومن العجائب أن تعجب بنفسك ولا تعجب بمن إليه الأمر كله ، ولا تعجب بجوده وفضله وكرمه في إيثاره إيّاك على الفسّاق من عباده ، إذ مكنهم من أسباب الشهوات واللذات وزواها عنك ، وصرف عنهم بواعث الخير ودواعيه وسلطها عليك حتّى تيسّر لك وتيسّر لهم الشرّ ، فعل ذلك كله بك وبهم من غير وسيلة سابقة منك ولا جريمة سابقة منهم .

روي أن أيوب على نبّينا وآله وعليه السلام قال : « الهي انك ابتليتني بهذا البلاء وما ورد على أمر إلا آثرت هواك على هواي ، فنودي من غمامة بعشرة آلاف صوت : يا أيوب أنى لك ذلك ؟ قال : فأخذ رماداً فوضعه على رأسه فقال : منك يا رب فرجع عن نسيانه وأضاف ذلك إلى الله تعالى :

ولهذا قال الله تعالى : ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبداً﴾[1] وقال (ص) : « ما منكم من أحد ينجيه عمله قالوا : ولا أنت يا رسول الله ، قال : ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته »[2] .

فإذن هذا هو العلاج القاطع لمادة العجب من القلب ، ومهما غلب ذلك على القلب شغله خوف سلب هذه النعمة عن الاعجاب بها .

---

(١) سورة النور : آية ٢١ (٢) احياء علوم الدين : ج ٣ ص ٣٤٩

المقالة الثالثة

في ذم الدّنيا والاغترار بها وفيها خمسة أبواب

الباب الاول

في معرفة الدنيا والآخرة

في معرفة الدّنيا والآخرة فنقول : دنياك وآخرتك عبارتان عن حالتين من أحوال قليك ، والقريب الداني منها يسمى دنيا وهي كل ما قبل الموت ، والمتراخي المتأخّر يسمى آخرة وهي ما بعد الموت ، فكلّ مالك فيه حظ ونصيب وغرض وشهوة ولذة في عاجل الحال قبل الوفاة فهي الدنيا في حقك إلاّ أن جميع ما لك إليه ميل وفيه نصيب وحظّ فليس بمذموم .

وذلك لأن ما يصحبك في الدّنيا ويبقى معك ثمرته بعد الموت وهو العلم النّافع والعمل الصّالح فهو من الآخرة في الحقيقة وانما يسمى بالدّنيا باعتبار دنوه ، فان العالم قد يأنس بالعلم حتى يصير ذلك ألذ الأشياء عنده ، فيهجر النّوم والمنكح والمطعم في لذته ، لانه أشهى عنده من جميعها ، فقد صار حظاً عاجلا في الدنيا ، ولكنا إذا ذكرنا الدنيا المذمومة لم نعد هذا منها أصلا ، بل قلنا إنه من الآخرة .

وكذلك العابد قد يأنس بعبادته ويستلذها بحيث لو منع عنها لكان ذلك أعظم العقوبات عليه حتى قال بعضهم : ما أخاف من الموت إلاّ من حيث إنّه يحول بيني وبين قيام الليل بل نقول : إن من جملة العمل الصّالح الذي هو من الاخرة التعرض للرّزق .

قال النبيّ (ص) : «العبادة سبعون جزءً أفضلها طلب الحلال »[1] وقال (ص) : « ملعون من ألقى كلّه على الناس »[2] .

وقال أمير المؤمنين (ع)« أوحى الله تعالى إلى داود أنك نعم العبد لولا أنك تأكل من بيت

---

(١) تحف العقول : ص ٣٢ (٢) تحف العقول : ص ٣٢

المال ولا تعمل بيدك شيئاً ، قال : فبكى داود أربعين صباحاً فأوحى الله عزّ وجلّ إلى الحديد أن لن لعبدي داود ، فألان الله له الحديد ، وكان يعمل كلّ يوم درعا فيبيعها بألف درهم ، فعمل ثلاثمأة وستين درعاً فباعها بثلاثمأة وستين ألفاً واستغنى عن بيت المال »[1] .

وعن السّجاد (ع) : « الدنيا دنياءان دنيا بلاغ ودنيا ملعونة »[2] وقال الباقر (ع) : « من طلب الرّزق في الدّنيا استعفافاً عن النّاس وسعياً على أهله وتعطفاً على جاره لقى الله عزّ وجلّ ووجهه مثل القمر في ليلة البدر »[3] .

وقال الصادق (ع) : « الكادّ على عياله كالمجاهد في سبيل الله »[4] وقال: « في رجل قال لأقعدنّ في بيتي ولاصلّينَ ولأصومنّ ولأعبدنّ ربّي ، فأمّا رزقي فسيأتيني قال : هذا أحد الثلاثة الذين لا يستجاب لهم دعوة »[5] .

وقال (ع) : « إن الله ليحب الاغتراب في طلب الرزق »[6] وقال له رجل : « والله إنا لنطلب الدنيا ونحب أن نؤتيها ، فقال (ع) تحب ان تصنع بها ماذا ؟ قال : أعود بها على نفسي وعيالي وأصل بها وأتصدّق بها وأحج وأعتمر ، فقال : هذا ليس طلب الدّنيا هذا طلب الاخرة »[7] .

وقال (ع) : « ليس منّا من ترك دنياه لاخرته ولا آخرته لدنياه »[8] وقال (ع) : « لا تكسلوا لطلب معاشكم فانّ آباءنا كانوا يركضون فيها ويطلبونها »[9] .

« وعن علي بن أبي حمزة قال : رأيت أبا الحسن (ع) يعمل في أرض وقد استنقعت قدماه في العرق ، فقلت جعلت فداك أين الرجال فقال: يا عليّ قد عمل باليد من هو خير مني في أرضه ومن أبي ، فقلت : ومن هو؟ فقال : رسول الله (ص) وأمير المؤمنين (ع) وآبائي (عليهم السلام) كلهم كانوا قد عملوا بأيديهم ، وهو من عمل النّبيين والمرسلين والأوصياء والصّالحين »[10] .

الفصل الاول

ما يبقى مع العبد عند الموت

اعلم انّه لا يبقى مع العبد عند الموت إلا ثلاث صفات : صفاء القلب أعني طهارته من

---

١) الفقيه : ج٣ ص٩٨ والكافي : ج٥ ص٧٤ (٢) الكافي : ج ٢ ص ٣١٧ (٣) الكافي : ج ٥ ص ٧٨
٤) الكافي : ج ٥ ص ٨٨ (٥) الكافي : ج ٥ ص ٧٧ (٦) الفقيه : ج ٣ ص ٩٥ (٧) الكافي : ج ٥ ص ٧٢
٨) الفقيه : ج ٣ ص ٩٤ (٩) الفقيه : ج ٣ ص٩٥ (١٠) الكافي : ج ٥ ص ٧٥

ادناس الدّنيا ، وانسه بذكر الله ، وحبه لله ، وصفاء القلب وطهارته لا يحصل إلا بالكف عن شهوات الدّنيا ، والانس لا يحصل إلا بكثرة ذكر الله والمواظبة عليه ، والحب لا يحصل إلا بالمعرفة ، ولا تحصل المعرفة إلا بدوام الفكر وهذه الصفات الثلاث هي المنجيات المسعدات بعد الموت ، وهي الباقيات الصّالحات .

وقد ورد في الخبر «ان أعمال العبد تناضل[1] عنه فاذا جاء العذاب من قبل رجليه جاء قيام الليل يدفع عنه ، وإذا جاء من قبل يديه جاءت الصّدقة تدفع عنه» الحديث.

وأما الانس والحب فهما يوصلان العبد إلى لذّة اللقاء والمشاهدة وهذه السّعادة تتعجل عقيب الموت إلى أن يدخل الجنة فيصير القبر روضة من رياض الجنّة ، وكيف لا يكون القبر عليه روضة ولم يكن له الا محبوب واحد ، وكانت العوائق تعوقه عن الانس بدوام ذكره ومطالعة جماله ، فارتفعت العوائق وأفلت من السّجن وخلى بينه وبين محبوبه ، فقدم عليه مسروراً سالما من الموانع آمنا من الفراق .

وكيف لا يكون محبّ الدنيا عند الموت معذبا ولم يكن له محبوب إلّا الدّنيا وقد غصب «غضب خ ل» منه وحيل بينه وبينه وسدت عليه طرق الحيلة في الرجوع إليه وليس الموت عدما إنما هو فراق لمحاب الدنيا وقدوم على الله تعالى .

فاذن سالك طريق الاخرة هو المواظب على أسباب هذه الصفات الثلاث وهي الذكر والفكر والعمل الذي يفطمه عن شهوات الدّنيا ويبغض إليه ملاذها ويقطعه عنها ، وكل ذلك لا يمكن إلا بصحة البدن ، وصحة البدن لا تنال إلّا بالقوت والملبس والمسكن ، ويحتاج كلّ واحد إلى اسباب .

فالقدر الذي لا بدّ منه من هذه الثّلاثة إذا أخذه العبد من الدّنيا للاخرة لم يكن من ابناء الدّنيا وكانت الدّنيا في حقّه مزرعة الاخرة ، وإن أخذ ذلك على قصد التنعم وحظ النّفس صار من أبناء الدّنيا والرّاغبين في حظوظها إلا أن الرّغبة في حظوظ الدنيا تنقسم الى ما يعرض صاحبه لعذاب الله في الاخرة ويسمّى ذلك حراما وإلى ما يحول بينه وبين الدرجات العلى ويعرضه لطول الحساب ، ويسمى ذلك حلالا .

والبصير يعلم أن طول الموقف في عرصات القيامة لأجل المحاسبة أيضاً عذاب فمن

---

(١) ناضل عنه دافع وفي الحديث : أفهمت يا هشام فهماً تناضل به أعدائنا ، أي تدافع به أعدائنا .

نوقش في الحساب عذّب فلذلك قال رسول الله (ص) : « في خ » « حلالها حساب و « في خ » حرامها عذاب »[1] ، « بل لو لم يكن الحساب لكان ما يفوت من الدرجات العلى في الجنة وما يرد على القلب من التحسّر على تفويتها بحظوظ حقيرة خسيسة لا بقاء لها هو أيضاً عذاب وقس به حالك في الدنيا إذا نظرت إلى أقرانك وقد سبقوك بسعادات دنياوية كيف يتقطع قلبك عليها حسرات مع علمك بأنها سعادات منصرمة لا بقاء لها ، ومنغصة بكدورات لا صفاء لها ، فما حالك في فوات سعادات لا يحيط الوصف بعظمتها وتتقطع الازمان والدّهور دون غاياتها فكل من كانت معرفته أقوى وأتقن كان حذره من نعيم الدّنيا أشد .

حتّى ان عيسى على نبيّنا وعليه السّلام وضع رأسه على حجر لما نام ثمّ رمى به ، إذ تمثل له إبليس وقال : رغبت في الدنيا .

وحتى أن سليمان على نبيّنا و(ع) في ملكه كان يطعم الناس من لذايذ الأطعمة وهو يأكل خبز الشعير فجعل الملك على نفسه بهذا الطريق امتحاناً وشدّة ، فان الصبر عن لذيذ الاطعمة مع وجودها أشد .

ولهذا زوى الله تعالى الدّنيا عن نبيّنا (ص) فكان يطوي أياماً ؛ ولهذا سلط البلاء والمحن على الانبياء والاولياء ثمّ الامثل فالامثل كلّ ذلك نظرا لهم وامتناناً ليتوفر من الاخرة حظهم كما يمنع الوالد الشفيق ولده لذيذ الفواكه ويلزمه الفصد والحجامة شفقة عليه وحبّاً له لا بخلا به عليه ، وقد عرفت بهذا أن كل ما ليس لله فهو من الدنيا هو لله ليس من الدنيا »[2] .

الفصل الثاني

أعيان الدنيا

قد ظهر ممّا ذكرنا أن الدّنيا حظ نفسك العاجل الذي لا حاجة إليه لامر الاخرة ، ويعبّر عنه بالهوى وإليه أشار قوله تعالى : ﴿ونهى النفس عن الهوى فان الجنّة هي المأوى﴾[3] ومجامع الهوى خمسة امور وهي ما جمعه الله عزّ وجلّ في قوله ﴿إنّما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد﴾[4] والاعيان التي منها تحصل هذه الامور الخمسة سبعة يجمعها قوله تعالى : ﴿زين للناس حبّ الشّهوات من النّساء والبنين والقناطير المقنطرة من

---

(١) تنبيه الخواطر : ج١ ص١٥٢ وإحياء علوم الدين ج٣ ص٢٠٧ .

(٢) تنبيه الخواطر : ج ١ ص١٥٣ ـ ١٥٤ (٣) سورة النازعات : اية ٤٠ ـ ٤١ (٤) سورة الحديد : آية ٢٠

الذّهب والفضّة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحيوة الدّنيا والله عنده حسن المآب﴾[1] فهذه هي أعيان الدنيا إلا أن لها مع العبد علاقتين : علاقة مع القلب وهو حبه لها وحظه منها وانصراف همّه إليها حتى يصير قلبه كالعبد أو المحب المستهتر[2] ، ويدخل في هذه العلاقة جميع صفات القلب المتعلقة بالدنيا كالكبر والغل والحسد والرياء والسّمعة وسوء الظنّ والمداهنة وحب الثّناء وحب التكاثر والتفاخر ، فهذه هي الدنيا الباطنة .

وأمّا الظاهرة فهي الأعيان المذكورة والعلاقة الثانية مع البدن وهو اشتغاله باصلاح هذه الأعيان لتصلح لحظوظه وحظوظ غيره وهي جملة الصناعات والحرف التي الخلق مشغولون بها بحيث نسوا أنفسهم ومالهم ومنقلبهم ولو عرفوا سبب الحاجة إليها واقتصروا عليها لم يستغرقهم أشغال الدّنيا ، وإنما استغرقهم لجهلهم بالدّنيا وحكمتها وحظوظهم منها وتتابعت الاشتغال واتصل بعضها ببعض وتداعت إلى غير نهاية محدودة فتاهوا في كثرة الاشغال ونسوا مقصودها ، وكل ما ورد في ذم الدّنيا يرجع إلى هذا .

الباب الثاني
فيما ورد في ذم الدنيا

فيما ورد في ذم الدّنيا اعلم أن الدّنيا عدوّة لله وعدوّة لأولياء الله وعدوّة لأعداء الله .

أمّا عداوتها لله فانها قطعت الطريق على عباد الله ولذلك لم ينظر الله إليها مذ خلقها .

وأما عداوتها لأولياء الله فانها تزيّنت لهم بزينتها وغمتهم بزهرتها ونضارتها حتّى تجرعوا مرارة الصّبر في مقاطعتها .

وأما عداوتها لأعداء الله فانها استدرجتهم بمكرها ومكيدتها واقتنصتهم[3] بشباكها حتّى وثقوا بها وعوّلوا عليها ، فخذلتهم أحوج ما كانوا إليها ، فاجتنوا منها حسرة يتقطع دونها الأكباد ثمّ حرمتهم عن السّعادة أبد الآباد ، فهم على فراقها يتحسّرون ، ومن مكائدها يستغيثون ولا يغاثون ، بل يقال لهم : ﴿اخسئوا فيها ولا تكلمون﴾[4] ﴿اولئك الذين اشتروا الحيوة الدّنيابالآخرة فلا

---

(١) سورة آل عمران : آية ١٤

(٢) يقال فلان مستهتر بالشراب أي مولع به لا يبالي ما قيل فيه . (٣) قنصه أي صاده واقتنصه اصطاده .

(٤) سورة المؤمنون : الآية ١٠٨ .

يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون﴾[1] .

والآيات الواردة في ذم الدّنيا كثيرة ، وأكثر القرآن مشتمل على ذم الدنيا وصرف الخلق عنها ودعوتهم إلى الآخرة ، بل هو مقصود بعث الأنبياء ولم يبعثوا إلا لذلك فلا حاجة إلى الاستشهاد بآيات القرآن لظهورها ، وإنما نورد بعض الاخبار الواردة فيه ليكون انموذجاً لغيره ممّا لا يحصى .ز

فعن الصادق (ع) قال : « خرج النّبي (ص) فهو محزون فأتاه ملك ومعه مفاتيح خزائن الأرض فقال : يا محمد هذه مفاتيح خزائن الأرض يقول لك ربك : افتح وخذ منها ما شئت من غير أن ينقص شيئاً عندي ، فقال رسول الله (ص) : الدّنيا دار من لا دار له ولها يجمع من لا عقل له ، فقال الملك والذي بعثك بالحقّ نبياً لقد سمعت هذا الكلام من ملك يقوله في السّماء الرّابعة حين اعطيت المفاتيح »[2] .

وعنه (ع) قال : « مرّ رسول الله (ص) بجدي أسك[3] ملقى في مزبلة ميّتاً فقال لأصحابه : كم يساوي هذا ؟ فقالوا : لعله لو كان حيّاً لم يساو قيمته درهماً ، فقال النبيّ (ص) : والذي نفسي بيده الدنيا أهون على الله من هذا الجدي على أهله »[4] .

وعنه (ع) قال : قال رسول الله (ص) : « إنّ في طلب الدنيا إضراراً بالآخرة وفي طلب الآخرة إضراراً بالدنيا فاضروا بالدنيا فانها أحق بالاضرار »[5] .

وعنه (ع) قال : قال رسول الله (ص) : « ما لي وللدنيا إنما مثلي ومثلها كمثل راكب رفعت له شجرة في يوم صائف فقال[6] تحتها ثم راح وتركها »[7] .

وعنه (ع) قال : كتب أمير المؤمنين إلى بعض أصحابه يعظه : « اوصيك ونفسي بتقوى الله من لا يحل معصيته ولا يرجى غيره ولا الغنى إلا به ، فان من اتقى الله عزّ وجلّ قوي وشبع

---

(١) سورة البقرة : الآية ٨٦ . (٢) الكافي : ج ٢ ص ١٢٩

(٣) هكذا في المطبوع وفي نسخة من الخطية وفي هامشها الاسك مقطوع الاذنين وفي النسخة الاخرى من الخطية : ابسل بدل اسك قال في القاموس : أبسله أسلمه للهلكة وفي مجمع البحرين في قوله تعالى : ابسلوا بما كسبوا ، أي ارفضوا واسلموا للهلكة ، والجدي : الذكر من اولاد المعز

(٤) الكافي : ج ٢ ص ١٢٩ (٥) الكافي : ج ٢ ص ١٣١ (٦) من القيلولة .

(٧) الكافي : ج ٢ ص ١٣٤ وتنبيه الخواطر : ج ١ ص ١٤٧ وروضة الواعظين : ص ٤٨٢

وروي ورفع عقله عن أهل الدّنيا ، فبدنه مع أهل الدّنيا وقلبه وعقله معاين الاخرة فأطفأ بضوء قلبه ما أبصرت عيناه من حبّ الدنيا فقذّر حرامها وجانب شبهاتها ، وأضر والله بالحلال الصّافي إلا ما لا بد له منه من كسرة يشدّ بها صلبه ، وثوب يواري عورته من أغلظ ما يجد وأخشنه ، ولم يكن له فيما لا بد منه ثقة ولا رجاء فوقعت ثقته ورجاؤه على خالق الأشياء ، فجدّ واجتهد وأهب بدنه حتى بدت الأضلاع وغارت العينان ، فابدل الله له من ذلك قوة في بدنه وشدة في عقله وما ذخر له في الاخرة أكثر .

فارفض الدّنيا فان حبّ الدنيا يعمي ويصمّ ويبكم ويذلّ الرّقاب ، فتدارك ما بقي من عمرك ولا تقل غداً وبعد غدٍ فانما هلك من كان قبلك باقامتهم على الاماني والتسويف حتى أتيهم أمر الله بغتة وهم غافلون ، فنقلوا على أعوادهم إلى قبورهم المظلمة الضيقة ، وقد أسلمهم الأولاد والأهلون فانقطع إلى الله بقلب منيب من رفض الدّنيا وعزم ليس فيه انكسار ولا انخزال[1] أعاننا الله وإياك على طاعته ووفقنا وإيّاك لمرضاته »[2] .

وقال أمير المؤمنين (ع) في صفة الدّنيا : « ما أصف من دار أولها عناء وآخرها فناء ، في حلالها حساب وفي حرامها عقاب ، من استغنى فيها فتن ومن افتقر فيها حزن ومن ساعاها فاتته ، ومن قعد عنها اتته ، ومن أبصر بها بصرته ومن أبصر إليها أعمته »[3] .

وعن الباقر (ع) قال : قال عليّ بن الحسين (ع) : « إن الدنيا قد ارتحلت مدبرة والاخرة قد ارتحلت مقبلة ولكل واحد منهما بنون فكونوا من أبناء الاخرة ولا تكونوا من أبناء الدّنيا ، ألا وكونوا من الزاهدين في الدّنيا الرّاغبين في الاخرة ألا إن الزّاهدين في الدنيا اتخذوا الأرض بساطا ، والتراب فراشاً والماء طيباً وقرضوا من الدّنيا تقريضا ، ألا ومن اشتاق إلى الجنّة سلا[4] عن الشهوات ومن أشفق من النّار رجع عن المحرمات ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصائب .

ألا ان لله عباداً كمن رأى أهل الجنّة في الجنّة مخلدين وأهل النار في النار معذّبين شرورهم مأمونة ، وقلوبهم محزونة أنفسهم عفيفة وحوائجهم خفيفة صبروا أياما قليلة فصاروا

---

(١) الانخزال الانقطاع . م . (٢) الكافي : ج ٢ ص ١٣٦

(٣) نهج البلاغة ج ١ ص ١٠٦ خطبة ٨٢

(٤) سلوت عنه سلواً من باب قعد صبرت عنه . م .

بعقبى راحةٍ طويلة ، أمّا الليل فصافون أقدامهم تجري دموعهم على خدودهم وهم يجارون إلى ربّهم يسعون في فكاك رقابهم ، واما النّار فحلماء علماء بررة اتقياء كأنّهم القداح قد براهم الخوف من العبادة ينظر إليهم النّاظر فيقول : مرضى وما بالقوم من مرض أم خولطوا فقد خالط القوم أمر عظيم من ذكر النار وما فيها »[١] .

وعن عليّ بن الحسين (ع) : « أنّه سئل أيّ الاعمال أفضل عند الله تعالى ؟ فقال ما من عمل بعد معرفة الله ومعرفة رسوله أفضل من بغض الدّنيا وأنّ لذلك لشعباً كثيرة وللمعاصي شعباً .

فأوّل ما عصي الله به الكبر وهو معصية إبليس حين أبى واستكبر وكان من الكافرين والحرص وهي معصية آدم وحواء حين قال الله تعالى لهما : ﴿كلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين﴾[٢] فأخذا ما لا حاجة بهما إليه فدخل ذلك على ذرّيتهما إلى يوم القيامة ، وذلك إنّ أكثر ما يطلب ابن آدم ما لا حاجة به إليه ثم الحسد وهي معصية ابن آدم حيث حسد اخاه فقتله فتشعب من ذلك حبّ النساء وحبّ الدنيا وحبّ الرّياسة وحبّ الراحة وحبّ الكلامِ وحبّ العلوّ والثروة فصرن سبع خصال فاجتمعن كلهنّ في حب الدّنيا فقال الانبياء والعلماء بعد معرفة ذلك حبّ الدّنيا رأس كلّ خطيئة والدنيا دنياءان دنيا بلاغ ودنيا ملعونة »[٣] .

وعن الباقر (ع) أنه قال لجابر :«يا جابر من دخل قلبه صافي خالص دين الله شغل عما سواه ، يا جابر ما الدنيا وما عسى أن يكون الدنيا هل هي إلا طعام أكلته أو ثوب لبسته أو امرأة أصبتها ، يا جابر إن المؤمنين لم يطمئنوا إلى الدنيا ببقائهم فيها ولم يأمنوا قدومهم الاخرة ، يا جابر الاخرة دار قرار والدنيا دار فناء وزوال ، ولكن أهل الدنيا أهل غفلة ، وكان المؤمنين هم الفقهاء وأهل فكرة وعبرة لم يصمّهم عن ذكر الله ما سمعوا باذانهم ، ولم يعمهم عن ذكر الله ما رأوا من الزينة بأعينهم ، ففازوا بثواب الاخرة كما فازوا بذلك العلم الحديث »[٤] .

وعن الصّادق (ع) :«إذا أراد الله بعبد خيرا زهده في الدّنيا وفقّهه في الدّين وبصره عيوبها ، ومن اوتيهنّ فقد اوتي خير الدنيا والاخرة »[٥] :

وقال (ع) : « ألا انه حرام عليكم أن تجدوا طعم الايمان حتّى تزهدوا في الدّنيا »[٦]

---

(١) الكافي : ج ٢ ص ١٣١ (٢) سورة الاعراف : آية ١٩ (٣) الكافي : ج ٢ ص ١٣٠
(٤) الكافي : ج ٢ ص ١٣٢ (٥) الكافي : ج ٢ ص ١٣٠ (٦) الكافي : ج ٢ ص ١٣٠

وقال : « إذا تخلى المؤمن من الدّنيا سما[1] ووجد حلاوة حبّ الله وكان عند أهل الدّنيا كانه قد خولط ، وانما خالط القوم حلاوة حبّ الله فلم يشتغلوا بغيره »[2] .

وقال: « إن القلب اذا صفا ضاق به الارض حتّى يسمو »[3] وقال: « جعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزّهد في الدّنيا »[4] ثم قال : « قال رسول الله (ص) : لا يجد الرّجل حلاوة الايمان في قلبه حتّى لا يبالى من أكل الدّنيا »[5] .

وعنه (ص) : « من زهد في الدنيا أثبت الله الحكمة في قلبه ، وأنطق بها لسانه ، وبصّره عيوب الدّنيا داءها ودواءها ، وأخرجه من الدنيا سالما إلى دار السّلام »[6] .

وعن الكاظم (ع) قال : « قال أبوذر (ره) جزى الله الدنيا عني مذمة[7] بعد رغيفين من الشعير اتغدى بأحدهما واتعشى بالاخر وبعد شملتي الصّوف أتزر بأحدهما وأتردى بالاخرى »[8] .

وعن الرّضا (ع) قال : « قال عيسى بن مريم للحواريين : يا بني إسرائيل لا تأسوا على ما فاتكم من الدنيا كما لا يأسى أهل الدنيا على ما فاتهم من دينهم إذا أصابوا دنياهم »[9] .

الفصل الاول

في ذم الدنيا ومضار التعلق بها

وعن النبي (ص) : « لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء »[10] وقال (ص) : « الدنيا سجن المؤمن وجنّة الكافر »[11] وقال (ص) : « الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ما كان لله (منها خ) »[12] وقال (ص) : «يا عجبا كلّ العجب للمصدّق بدار

---

(١) سماسموا : ارتفع . ق . (٢) الكافي : ج ٢ ص ١٣٠
(٣) الكافي : ج ٢ ص ١٣٠ (٤) الكافي : ج ٢ ص ١٢٨
(٥) الكافي : ج ٢ ص ١٢٨ (٦) الكافي : ج ٢ ص ١٢٨ وامالي الطوسي : ص ٥٤٢
(٧) أخذتني منه مذمة ويكسر ذال اي رقه وعار من ترك الحرمة . ق .
(٨) الكافي : ج ٢ ص ١٣٤ (٩) الكافي : ج ٢ ص ١٣٧
(١٠) تنبيه الخواطر : ج ٢ ص ١٣٤
(١١) لعوالي ج ١ ص ٩٥ وتنبيه الخواطر : ج ١ ص ١٢٨ ومكارم الاخلاق ص ٤٣٩ والعقد الفريد ج ٢ ص ٢٦٠
(١٢) احياء علم الدين : ج ٣ ص ١٩٠ .

الخلود وهو يسعى لدار الغرور »[1] وقال (ص) : « الهيكم التّكاثر يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك إلا ما تصدقت فامضيت أو اكلت فافنيت أو لبست فأبليت »[2] .

وقـال (ص) : « من أصبح والـدّنيا اكبـر همه فليس من الله في شيء والـزم الله قلبـه أربـع خصال : همّا لا ينقطع عنه أبداً وشغلا لا يتفـرغ منه أبـداً وفقراً لا ينـال غناه أبـداً وأملا لا يبلغ منتهاه أبداً »[3] .

وقال (ص) : « لتأتينكم بعدي دنيا تـأكل إيمـانكم كما تـاكل النـار الحطب»[4] وقـال « لا تشغلوا قلوبكم بذكر الدّنيا »[5] .

« واوحى الله تعالى إلى موسى لا تركنّن إلى حبّ الدّنيا فلن تأتيني بكبيرة هي أشدّ عليـك منها »[6] .

وقال عيسى (ع) : « ويل لصاحب الدّنيا كيف يموت ويتركها ويأمنها وتغرّه ويثق بها وتخذله ويل للمغترين كيف الزمهم ما يكرهون وفارقهم ما يحبّون وجاءهم مـا يوعـدون ويل لمن اصبـح والدّنيا همّه والخطايا عمله كيف يفتضح غدا بعمله »[7] .

وقال لقمان لابنـه : « يا بني بـع دنياك بـآخرتـك تربحهمـا جميعاً ولا تبـع آخرتـك بدنيـاك فتخسرهما جميعاً »[8] .

« وقيل لحكيم الدّنيا لمن هي ؟ قال لمن تـركها فقيـل والآخرة لمن هي ؟ قـال لمن طلبها وقال حكيم الدّنيا دار خراب وأخرب منها قلب من يعمّرها ، والجنّة دار عمران واعمـر منها فلب من يطلبها »[9] .

الفصل الثاني
بعض الأمثلة التي وردت في صفة الدنيا

ولنذكر بعض الأمثلة التي وردت في صفة الدّنيا ، قال الله تعالى ﴿مثل الحيوة الدنيـا كماء

---

(١) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ١٢٨ واحياء علوم الدين : ج ٣ ص ١٩١
(٢) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ١٣٠ واحياء علوم الدين : ج ٣ ص ١٩١
(٣) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ١٣٠ (٤) احياء علوم الدين : ج ٣ ص ١٩٤ وتنبيه الخواطر : ج ١ ص ١٣٤
(٥) احياء علوم الدين : ج ص ١٩٣ (٦) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ١٣٤ (٧)تنبيه الخواطر : ج ١ ص ١٣٢ .
(٨) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ١٣٧ . (٩) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ١٤٠

أنزلناه من السّماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح﴾[1] .

وقال النّبي (ص) : « الدّنيا حلم[2] وأهلها عليها مجازون معاقبون »[3] وقال (ص) في قلة ما بقي من الدّنيا بالاضافة إلى ما سبق مثل « هذه الدّنيـا مثل ثـوب شق من أوله إلى آخـره فبقي متعلقا بخيط في آخره فيوشك ذلك الخيط أن ينقطع »[4] وقال (ص) : « ما الدنيا في الاخرة إلا كمثل ما يجعل أحدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع إليه »[5] من الاصل

وكتب أمير المؤمنين (ع) إلى سلمان (رض) بمثالها (بمنالها) فقال « مثل الدنيا مثل الحيّة يلين مسها ويقتل سمها ، فاعرض عمّا يعجبك منها لقلة ما يصحبك منها ، وضع عنك همومها لما أيقنت من فراقها ، وكن آنس ماتكون منها أحذر ماتكون منها ، فان صاحبها كلّما اطمأنّ منها إلى سرور أشخصته عنه مكروهة والسلام »[6] .

« وكان الحسن بن عليّ (ع) يتمثل بهذا البيت :

يا أهل لذات دنيا لا بقاء لها ان اغتراراً بظلّ زائل حمق »[7]

وقال الباقر (ع) في حديث جابر : « فانزل الدّنيا كمنزل نزلته ثمّ ارتحلت منه ، أو كمال وجدته في منامك فاستيقظت وليس معك منه شيء ، قال إني انما ضربت لك هذا مثلا لانها عند أهل اللبّ والعلم بالله كفيء الظلال »[8] .

وعنه (ع) : «مثل الحريص على الدّنيا كمثل دودة القزّ كلما ازدادت على نفسها لفّاً كان أبعد لها من الخروج حتّى تموت غمّاً »[9] .

وقال الصّادق (ع) : « مثل الدّنيا مثل ماء البحر كلّما شرب منه العطشان ازداد عطشاً حتى يقتله »[10] .

وروي إن عيسى (ع) « كوشف بالدنيا فرآها في صورة عجوزة شمطاء هتماء[11] عليهـا من

---

(١) سورة الكهف : آية ٤٥ (٢) الحلم بالضم وبضمتين الرؤيا . ق .
(٣) احياء علوم الدين : ج ٣ ص ٢٠٢ وتنبيه الخواطر : ج ١ ص ١٤٥
(٤) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ١٤٨ (٥) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ١٥٠
(٦) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ١٤٧ (٧) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ١٤٥
(٨) الكافي : ج ٢ ص ١٣٣ (٩) الكافي : ج ٢ ص ١٣٤ (١٠) الكافي : ج ٢ ص ١٣٦
(١١) الشمط بالتحريك بياض شعر الرأس يخالط سواده والمرأة شمطاء . والهتماء منكسرة الثنايا من اصولها .

كلّ زينة فقال لها : كم تزوّجت ؟ قالت : لا احصيهم قال : فكلّهم مات عنك أو كلّهم طلقك ؟ قالت : بل كلّهم قتلتهم فقال عيسى (ع) : بؤسا لأزواجك الباقين كيف لا يعتبرون بالماضين كيف تهلكينهم واحداً واحدا ولا يكونون منك على حذر »[1] وقال عيسى (ع) : « الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها »[2].

وقال بعض الحكماء : ما أشبه حال الانسان واغتراره بالدّنيا وغفلته عن الموت وما بعده من الاهوال وانهماكه في اللذات الفانية العاجلة الممتزجة بالكدورات بشخص مدلى في بئر مشدود وسطه بحبل وفي أسفل ذلك البئر ثعبان عظيم متوجه منتظر سقوطه فاتح فاه لالتقامه ، وفي أعلى ذلك البئر جرذان أبيض وأسود لا يزال يقرضان ذلك الحبل شيئاً فشيئاً ولا يفتران عن قرضه آناً من الانات ، وذلك الشخص مع أنه يرى ذلك الثعبان ويشاهد انقراض الحبل آنا فآناً قد أقبل على قليل عسل قد تلطخ به جدار ذلك البئر وامتزج بترابه واجتمع عليه زنابير كثيرة وهو مشغول بلطعه منهمك فيه ملتذّ بما أصاب منه مخاصم لتلك الزّنابير عليه ، قد صرف باله بأجمعه إلى ذلك غير ملتفت إلى ما فوقه وإلى ما تحته .

فالبئر هو الدنيا ، والحبل هو العمر ، والثعبان الفاتح فاه هو الموت ، والجرذان الليل والنهار القارضان للأعمار ، والعسل المختلطة بالتراب هو لذات الدّنيا الممتزجة بالكدورات والآلام ، والزّنابير هم أبناء الدّنيا المتزاحمون عليها ، وما أشد انطباق هذا المثال على الممثل له فنسأل الله الهداية والبصيرة ، ونعوذ به من الغفلة والغواية .

الباب الثالث

في ذم حب المال

في ذم حبّ المال اعلم أن فتن الدّنيا كثيرة الشعب والأطراف واسعة الارجاء والأكناف ولكن الأموال اعظم فتنها وأطمّ محنها وأعظم فتنة فيها انه لا غنى عنها ثمّ إذا وجدت فلا سلامة منها وإن فقد حصل منه الفقر الذي كاد أن يكون كفراً ، وإن وجد حصل منه الطغيان الذي لا تكون عاقبة أمره إلا خسراً .

وبالجملة فهي لا تخلو من الفوايد والآفات ، وفوايدها من المنجيات ، وآفاتها من المهلكات وتمييز خيرها من شرها من المعوصات التي لا يقوى عليها إلا ذوو البصاير في الدين

(١) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ١٤٦ (٢) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ١٤٧

من العلماء الراسخين ، ثمّ للفاقد حالتان : القناعة والحرص ، وللحرص حالتان : طمع فيما في أيدي الناس وتشمر للحرف والصناعات مع اليأس عن الخلق وللواجد حالتان : إمساك وإنفاق ، وللمنفق حالتان : تبذير واقتصاد ، وهذه امور متشابهة وكشف الغطاء عن الغموض فيها مهم .

قال الله تعالى : ﴿إنّما أموالكم وأولادكم فتنة﴾[1] وقال عزّ وجلّ ﴿لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون﴾[2] .

وقال النّبي (ص) : « حبّ المال والشرف ينبتان النفاق كما ينبت الماء البقل »[3] وقال (ص) : « ما ذئبان ضاريان ارسلا في زريبة[4] غنم بأكثر فساداً من حبّ المال والجاه في دين الرجل المسلم »[5] وقال (ص) : « يقول ابن آدم: « ما لي مالي وهل لك من مالك إلا ما تصدقت فامضيت أو أكلت فافنيت أو لبست فأبليت »[6] .

وقال رجل : « يا رسول الله مالي لا احبّ الموت ؟ فقال : هل معك من مال ؟ قال : نعم يا رسول الله قال : قدّم مالك أمامك ، فان قلب المؤمن مع ماله إن قدمه أحبّ أن يلحقه ، وإن خلفه أحبّ أن يتخلف معه »[7] .

الفصل الاول

المال محمود ومذموم

واعلم أن الله سبحانه قد سمى المال خيراً في مواضع فقال : ﴿ان ترك خيراً الوصيّة﴾الآية[8] وقال رسول الله (ص) : « نعم المال الصالح للرجل الصّالح »[9] وكل ما جاء في ثواب الصدقة والحج والانفاق فهو ثناء على المال ، إذ لا يمكن الوصول إليها الآبه .

---

(١) سورة التغابن : آية ١٥ (٢) سورة المنافقون : آية ٩

(٣) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ١٥٥ واحياء علوم الدين ج ٣ ص ١٢٨

(٤) الزرب المدخل وموضع الغنم . ق .(٥) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ١٥٥ والكافي : ج ٢ ص ٢٩٧ واحياء علوم الدين : ج ٣ ص ٢١٨ (٦) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ١٥٦ واحياء علوم الدين ج ٣ ص ٢١٨

(٧) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ١٥٦

(٨) وقال : وانه لحب الخير لشديد .

(٩) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ١٥٨ واحياء علوم الدين ج ٣ ص ٢٢٠

وتحقيق القول فيه أن المال قد يكـون وسيلة إلى مقصود صحيـح ، وقد يكـون وسيلة إلى مقاصد فاسدة ، وهي المقـاصد الصّـادة عن سعادة الابـد ويسد سبيـل العلم والعمل ، فهـو إذن محمود ومذموم ، محمود بـالاضافـة الى المقصود المحمـود ، ومذمـوم بالاضـافة إلى المقصـود المذموم ، ولما كانت الطباع مائلة إلى اتباع الشهـوات القاطعـة لسبيل الله وكـان الله مسهلا لهـا وآلـة إليها عـظم الخطر فيمـا يزيـد على قدر الكفـاية ؛ فـاستعاذ الانبيـاء من شره حتّى قـال نبينا (ص) : « اللهمّ اجعل قوت آل محمد كفافا ، فلم يطلب من الدّنيا مـا لم يتمحض خيره »[1] ، فقال : « اللهم احيني مسكيناً وأمتني مسكيناً »[2] .

الفصل الثاني

فوائد المال وآفاته

اعلم أنّ مثل المال مثل حيّة فيها سمّ وترياق ، ففوائـدها تـرياقهـا وغوائلهـا سمومهـا فمن عرف غوائلها وفوائدها أمكنه أن يتحرز من شرّها ويستدرّ منها خيرها .

واما الفوائد فهي تنقسم إلى دنيوية ودينيّة ، أما الدّنيوية فلا حاجة إلى ذكرهـا فان معـرفتها مشتركة بين أصناف الخلق ، ولولا ذلك لم يتهالكوا على طلبها ، وأما الدينية فهي ثلاثة أنواع :

الأول أن ينفقه على نفسه إما في عبادة او في استعانة على عبادة والثاني ما يصرف إلى النّاس وهي أربعة أقسام : الصّـدقة ، والمـروة ، ووقايـة العرض ، واجـرة الاستخدام أمـا الصدقـة فلا يخفى ثوابها وانها لتطفي غضب الرّب وأما المروة فنعني بها صرف المال إلى الأغنيـاء والأشراف في ضيافة وهدية واعانة وما يجري مجراه ممّا يكتسب به العبد الاخـوان والاصدقـاء ويكتسب به صفة السّخاء ، فانّه لا يوصف بالجود إلا من يصطنـع المعروف ويسلك سبيـل الفتوة والمـروّة ، وهذا أيضاً مما يعظم الثواب فيه فقد وردت أخبار كثيرة في الهداية والضّيافات وإطعام الطعام من غير اشتراط الفقر والفاقة في مصارفها .

وأما وقاية العرض فنعني بها بذل المال لدفع هجو الشعراء وثلب[3] السفهاء وقطع ألسنتهم ودفـع شرهم وهـذا أيضاً مـع تنجـز فـائـدتـه في العـاجلة من الحـظوظ الـدّينيـة قـال رسـول الله

---

(١) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ١٥٩ واحياء علوم الدين ج ٣ ص ٢٢١

(٢) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ١٥٩ واحياء علوم الدين ج ٣ ص ٢٢١ (٣) ثلبه ثلبا : أعابه ونقصه . م .

(ص) : « ما وقى المرء به عرضه فهو له صدقة »[1]

وأما الاستخدام فهو ان الأعمال التي يحتاج اليها الانسان لتهيئة أسبابه كثيرة ولو تولاه بنفسه لضاعت أوقاته وتعذر عليه سبيل الاخرة بالفكر والذكر الذين هما أعلى مقامات السالكين .

النوع الثالث ما لا يصرفه الانسان إلى إنسان معين ولكن يحصل به خير عام ، كبناء المساجد والقناطير والرّباطات ودار المرضى ونصب الجباب في الطرق وغير ذلك من الأوقات المرصدة للخيرات المؤبدّة الدارة بعد الموت المستجلبة بركة ادعية الصّالحين إلى أوقات متمادية .

فهذه جملة فوائد المال في الدين سوى ما يتعلّق بالحظوظ العاجلة من الخلاص من ذل السؤال وحقارة الفقر والوصول إلى العزّ والمجد بين الخلق وكثرة الاخوان والأعوان والأصدقاء والوقار والكرامة في القلوب .

وأما الافات فدينيّة ودنيويّة أما الدينيّة فثلاثة أنواع :

الاول انه تجر إلى المعاصي ، فان الشّهوات متقاضية والعجز قد يحول بين المرء وبين المعصية ومن العصمة أن لا تقدر ، ومهما كان الانسان آيسا عن نوع من المعصية لم تتحرك داعيته إليها فاذا استشعر القدرة عليه انبعثت الداعية ، والمال نوع من القدرة يحرك داعية المعاصي وارتكاب الفجور فان اقتحم ما اشتهاه هلك ، وإن صبر وقع في شدة ، إذ الصّبر مع القدرة أشد وفتنة السّراء أعظم من فتنة الضراء .

الثّاني أن يجر إلى التنعم في المباحات وهذا أقل الدرجات فمتى يقدر صاحب المال على أن يتناول خبز الشعير ويلبس الثوب الخشن ويترك لذائذ الأطعمة كما كان يقدر عليه سليمان في ملكه ، فأحسن أحواله أن يتنعّم بالدنيا ويمرن عليه نفسه فيصير التنعم مألوفا عنده ومحبوباً لا يصبر عنه ويجرّه البعض منه إلى البعض ، وإذا اشتد انسه به وربما لا يقدر على التوصّل إليه بالكسب الحلال فيقتحم الشبهات ويخوض في المرايات والمداهنة والكذب والنفاق وساير الأخلاق الردّية لينتظم له أمر دنياه وتيسّر له تنعمه ، فان من كثر ماله كثرت حاجته الى الناس ، ومن احتاج إلى النّاس فلا بد أن ينافقهم ويعصي الله في طلب رضاهم فان سلم من الافة الاولى

---

(١) احياء علوم الدين : ج ٣ ص ٢٢٢ وتنبيه الخواطر : ج ١ ص ١٦٠

وهي مباشرة المحظورات فلم يسلم عن هذه اصلا ، ومن الحاجة إلى الخلق تثور العداوة والصداقة ويبتني عليه الحسد والحقد والرّياء والكبر والكذب والغيبة والنميمة وساير المعاصي التي تختص بالقلب واللسان ، ولا يخلو عن التعدي أيضاً إلى ساير الجوارح ، وكلّ ذلك يلزمه من شؤم المال والحاجة إلى حفظه وإصلاحه .

الثالث وهو الذي لا ينفك عنه أحد وهو أنه يلهيه اصلاح ماله عن ذكر الله تعالى وكل ما يشغل عن الله فهو خسران .

ولذلك قال عيسى (ع) : « في المال ثلاث خصال : أن يأخذه من غير حله فقيل إن أخذه من حله ، قال : يضعه في غير حقّه فقيل : إن وضعه في حقّه ، فقال : يشغله اصلاحه عن ذكر الله »(١) .

وهذا هو الداء العضال ، فان أصل العبادات ومخها وسرّها ذكر الله تعالى والفكر في جلاله ، وذلك يستدعي قلبا فارغا ، وصاحب الضيعة يمسي ويصبح متفكراً في خصومة الفلاح ومحاسبته وخيانته ، وخصومة الشّركاء ومنازعتهم في الماء والحدود ، وخصومة أعوان السّلطان في الخراج ، وخصومة الاجراء في التقصير في العمارة ، وصاحب التجارة يكون متفكراً في خيانة شريكه وانفراده بالربح وتقصيره في العمل وتضييعه المال ، وكذلك صاحب المواشي وهكذا ساير أصناف الأموال .

وأبعدها عن كثرة الشغل النقد المكنوز تحت الأرض ، ولا يزال بالفكر متردّداً فيما يصرف إليه ، وفي كيفية حفظه وفي الخوف ممن يعثر عليه ، وفي دفع اطماع الناس عنه ، وأودية أفكار أهل الدّنيا لا نهاية لها ، والذي معه قوت يومه أو سنته في سلامة عن جميع ذلك .

فهذه جملة الافات الدينيّة سوى ما يقاسيه أرباب الأموال من الخوف والحزن والغم والهمّ والتعب في دفع الحسادوحفظ الأموال وكسبها ، فاذن ترياق المال أخذ القوت وصرف الباقي في « إلى خ » الخيرات ، وما عداها سموم وآفات .

---

(١) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ١٦٢

الفصل الثالث

الفقر محمود مع القناعة

اعلم أن الفقر محمود ولكن ينبغي أن يكون الفقير قانعا منقطع الطمع عن الخلق غير ملتفت إلى ما في أيديهم ولا حريصاً على اكتساب المال كيف كان ، ولا يمكنه ذلك إلا بأن يقنع بقدر الكفاف ويقصر الأمل ، فان تشوّف[1] إلى الكثرة وطول الأمل فاته عزّ القناعة وتدنّس لا محالة بالطمع وذل الحرص وقلة القناعة وجرّه الحرص والطمع إلى مساوي الأخلاق وارتكاب المنكرات الخارقة للمروّات وقد جبل الادمي على الحرص والطمع وقلة القناعة .

قال رسول الله (ص) : « لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى وراءهما ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب »[2] .

وقال (ص) : منهومان لا يشبعان : « منهوم العلم ومنهوم المال »[3] وقال (ص) : « يشيب ابن آدم ويشب فيه خصلتان : الحرص وطول الأمل »[4].

ولما كان هذه جبلة للادمي مضلّة وغريزة مهلكة أثنى الله تعالى ورسوله على القناعة وقال (ص) : « طوبى لمن هدَى للاسلام وكان عيشه كفافاً وقنع به »[5] وقال(ص) : « ما من احد غنيّ ولا فقير إلاّ ودّ يوم القيامة أنه كان اوتي قوتا في الدنيا »[6] وقال (ص) : «يامعشر الفقراء اعطوا الله الرّضا من قلوبكم تظفروا بثوب فقركم وإلاّ فلا »[7] وقال(ص) : « ليس الغنى غنى كثرة العرض إنّما الغنى غنى النفس »[8] وقال : « انّ روح القدس نفث في روعي إن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب »[9] .

وقال أمير المؤمنين (ع) : « ابن آدم ان كنت تريد من الدّنيا ما يكفيك فان أيسر ما فيها

---

(١) هكذا في النسخة المطبوعة وفي نسخة من المخطوطة قال في القاموس : تشوف تزين والى الخبر تطلع ومن السطح تطاول ونظر وأشرف . وفي المجمع تشوفت الى شيء تطلعت ومنه : النساء يتشوفن من السطوح . وفي النسخة المخطوطة الاخرى : تشوق بدل تشوف .

(٢) تنبيه الخواطر : ج١ص ١٦٣ واحياء علوم الدين : ج٣ص ٢٢٣

(٣) تنبيه الخواطر : ج١ص ١٦٣ واحياء علوم الدين : ج٣ص٢٢٣

(٤) احياء علوم الدين : ج٣ص ٢٢٣ وتنبيه الخواطر : ج١ص ١٦٣ وتحف العقول : ص٤٥

(٥) تنبيه الخواطر : ج١ص ١٦٣ واحياء علوم الدين : ج٣ص ٢٢٣

(٦) احياء علوم الدين : ج٣ص ٢٢٤ (٧) كنز العمال : ح١٦٦٥٥

(٨) احياء علوم الدين : ج٣ص ٢٢٤ وتنبيه الخواطر : ج١ص ١٦٣

(٩) احياء علوم الدين : ج٣ص ٢٢٤ وتنبيه الخواطر : ج١ص ١٦٣

يكفيك ، وان كنت تريد مالا يكفيك فانّ كلّ ما فيها لا يكفيك »[1] .

وقال الباقر (ع) : « إيّاك أن تطمح بصرك إلى من هو فوقك فكفى ما قال الله تعالى لنبيّه (ص) : ﴿فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم﴾[2] وقال : ﴿لا تمدّن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحيوة الدّنيا﴾[3] فان دخلك من ذلك شيء فاذكر عيش رسول الله (ص) فانما كان قوته الشعير وحلواه التّمر ووقوده السّعف إذا وجد (وجده خ) »[4] .

وقال الصّادق (ع) : « إن الله يقول يحزن عبدي المؤمن إن قترت عليه وذلك أقرب له منّي ، ويفرح عبدي المؤمن إن وسعت عليه وذلك أبعد له مني »[5] .

وقال (ع) : « كل ما ازداد العبد إيمانا ازداد ضيقاً في معيشته »[6] وقال تعالى في مناجات موسى : يا موسى إذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحباً بشعار الصالحين وإذا رأيت الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته »[7] .

الفصل الرابع
النجاة من غائلة المال

لا نجاة من غائلة المال إلاّ بالمحافظة على امور :

الأوّل أن يعرف مقصود المال وأنّه لماذا خلق وأنه لم يحتاج إليه حتّى يكتسب ولا يحفظ إلاّ بقدر حاجته .

والثاني أن يراعي جهة دخل المال فيجتنب الحرام المحض وما الغالب عليه الحرام ويجتنب الجهات المكروهة القادحة في المروة .

والثّالث أن يراعي جهة الخرج ويقتصد في الانفاق غير مبذر ولا مقتر قال الله تعالى : ﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً﴾[8] وفي الحديث النبوي «ماعال من اقتصد» [9] .

---

(١) الكافي : ج٢ص ١٣٨ (٢) سورة التوبة : آية ٥٤
(٣) سورة طه : آية ١٣١ . (٤) الكافي : ج٢ ص١٣٧ . (٥) الكافي : ج٢ص١٤١
(٦) الكافي : ج٢ص٢٦١ (٧) الكافي : ج٢ص ٢٦٣
(٨) سورة الفرقان : الآية ٦٧ (٩) احياء علوم الدين : ج ٣ ص٢٢٦

والرابع أن يضع ما اكتسبه من حلّه في حقه ولا يضعه في غير حقه فان الاثم في الأخذ من غير حقّه والوضع في غير حقه سواء .

والخامس أن يصلح نيته في الأخذ والترك والانفاق والامساك ، فيأخذ ما يأخذ ليستعين به على العبادة ويترك ما يترك زهداً فيه واستحقاراً له ، وإذا فعل ذلك لم يضرّه وجود المال .

قال أمير المؤمنين (ع) : « لو أن رجلا أخذ جميع ما في الأرض وأراد به وجه الله فهو زاهد ، ولو أنه ترك الجميع ولم يرد وجه الله فليس بزاهد »[1] .

إن قيل : أيهما أفضل الغنى بنية الاستعانة على العبادة أم الفقر بنية التفرغ لها ؟ .

قلنا : الأفضل منهما ما لا يشغل العبد عن الله ، فان كان الفقر يشغله عن الله فالغنى أولى به ، وإن كان الغنى يشغله عن الله فالفقر أولى به ، وذلك لأن فضل الفقر والغنى بحسب عدم تعلق القلب بالمال وفقده ، فان تساويا فيه تساوت درجتهما إلا أن هذا مزلة الاقدام وموضع الغرور ، فان الغنى ربما يظن أنه منقطع القلب عن المال ويكون حبّه دفينا في باطنه وهو لا يشعر به ، وإنما يشعر به إذا فقده فليجرب نفسه ، وهذا حال كل الأغنياء إلا الأنبياء والأولياء ، وإذا كان ذلك محالاً وبعيداً فلنطلق القول بأن الفقر أصلح لكافة الخلق وأفضل ، لأنّ علاقة الفقير وانسه بالدنيا أضعف غالباً وبقدر ضعف علاقته يتضاعف ثواب تسبيحاته وعبادته ، فان حركات اللسان والأبدان ليست مرادة لأعيانها بل ليتأكد بها الانس بالمذكور ولا يكون تأثيره في آثار الانس في قلب فارغ من غير المذكور كتاثيره في قلب مشغول ، ولهذا ورد في فضل الفقراء على الاغنياء على الاطلاق ما ورد ، ثمّ ليس معنى الفقر أن لا يملك شيئاً البتة .

قال الصادق (ع) في كلام له مع الصّوفية : « ثم علم الله نبيّه كيف ينفق وذلك أنه كانت عنده (ص) أوقية من الذهب فكره أن يبيت عنده فتصدّق بها فأصبح وليس عنده شيء ، وجاءه من يسأله فلم يكن عنده ما يعطيه فلامه السّائل واغتمّ هو حيث لم يكن عنده ما يعطيه وكان رحيماً رفيقاً (ص) فأدّب الله نبيّه بأمره فقال : **﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كلّ البسط فتقعد ملوماً محسوراً﴾**[2] يقول : إن الناس قد يسألونك ولا يعذرونك فاذا أعطيت جميع ما عندك من المال كنت قد حسرت من المال قال: ثمّ من علمتم بعده في فضله وزهده سلمان

---

(١) احياء علوم الدين : ج٣ ص٢٤٧ .

(٢) سورة الاسراء : آية ٢٩

الفارسي وأبي ذر رضي الله عنهما .

فأمّا سلمان فكان إذا أخذ عطاءه رفع منه قوته لسنة حتى يحضر عطاءه من قابل ، فقيل له : يا أبا عبد الله أنت في زهدك تصنع هذا وأنت لا تدري لعلك تموت اليوم أو غداً فكان حوابه أن قال: مالكم لا ترجون لي البقاء كما خفتم عليّ الفناء ، أما علمتم يا جهلة أن النّفس قد تلتات « تلتاث خ » على صاحبها إذا لم يكن لها من العيش ما تعتمد عليه ، فاذا هي احرزت معيشتها اطمأنت .

وأمّا ابو ذرّ فكانت له نويقات وشويهات يحلبها ويذبح منها إذا اشتهى أهله اللحم أو نزل به ضيف أو راى بأهل الماء الذين معه خصاصة نحر لهم الجزور أو من الشاة على قدر ما يذهب عنهم بقرم[1] اللحم فيقسمه بينهم ويأخذ هو كنصيب واحد منهم لا يتفضّل عليهم ، ومن أزهد من هؤلاء ؟ وقد قال فيهم رسول الله (ص) ما قال ولم يبلغ من أمرهما أن صارا لا يملكان شيئاً البتة كما تأمرون النّاس بالقاء امتعتهم وشيئهم « شيئتهم خ » ويؤثرون به على أنفسهم وعيالاتهم .

واعلموا أيها النفر أني سمعت أبي يروي عن آبائه أن رسول الله (ص) قال يوماً : ما عجبت من شيء كعجبي من المؤمن « انه خ » إن قرض جسده في دار الدنيا بالمقاريض كان خيراً له ، وإن ملك ما بين مشارق الارض ومغاربها كان خيراً له ، وكلّ ما يصنع الله به فهو خير له »[2] .

الفصل الخامس
الخلاص من الدنيا بالزهد

قد ظهر ممّا ذكرنا أنه لا خلاص من تبعة الدنيا وغوائلها إلا بالزهد فيها ، وهو أن لا يريدها بقلبه إلا بقدر ضرورة بدنه ، وهو مقام عال قال الله تعالى : ﴿فخرج على قومه في زينته﴾[3] إلى قوله ﴿وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير﴾[4] نسب الزهد إلى العلماء ووصف أهله بالعلم وهو غاية الثناء ، وقال عزّ وجل : ﴿من كان يريد حرث الدّنيا نؤته منها وما له في الاخرة

---

(١) القرم بالتحريك شدة شهوة اللحم حتى لا يصبر عنه م .

(٢) تحف العقول : ص٢٥٨ (٣) سورة القصص : آية ٧٩ (٤) سورة القصص : آية ٨٠.

من نصب﴾[1].

وقال النبي (ص) : « من أصبح وهمّه الدّنيا شتّت الله عليه أمره وفرّق عليه ضيعته وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدّنيا إلا ما كتب له ، ومن أصبح وهمّه الاخرة جمع الله له همّه وحفظ عليه ضيعته وجعل غناه في قلبه واتته الدنيا وهي راغمة »[2] وقال (ص) : « إذا رأيتم العبد قد اعطي صمتا وزهداً في الدنيا فاقتربوا منه فانّه يلقى « يلقن خ » الحكمة »[3] وقال : « ازهد في الدّنيا يحبّك الله ، وازهد فيما أيدي النّاس يحبك النّاس »[4] وقال (ص) : « من أراد أن يؤتيه الله علما بغير تعلّم وهدى بغير هداية فليزهد في الدّنيا »[5].

وللزّهد ثلاث درجات : السفلى أن يكون المرغوب فيه النجاة من النّار وساير عذاب الاخرة ، وهذا زهد الخائفين والثانية أن يزهد رغبة في ثواب الله ونعيم الجنّة ، وهذا زهد الراجين والثالثة وهي المرتبة العليا أن لا يكون له رغبة إلا في الله وفي لقائه ، وهذا زهد العارفين ، والزّهد باعتبار أحكامه ينقسم إلى فرض ونفل وسلامة فالفرض هو الزهد في الحرام ، والنفل هو الزهد في الحلال ، والسّلامة هو الزهد في الشبهات .

وفي مصباح الشريعة قال الصادق (ع) : « الزهد مفتاح باب الاخرة والبراءة من النار ، وهو تركك كل شيء يشغلك عن الله من غير تأسّف على فوتها ولا إعجاب في تركها ولا انتظار فرح منها وطلب محمد عليها ولا عوض لها ، بل ترى فوتها راحة وكونها آفة وتكون ابدا هاربا من الافة معتصماً بالراحة ، والزاهد الذي يختار الاخرة على الدنيا والذلّ على العز ، والجهد على الراحة ، والجوع على الشبع وعافية « عاقبة خ » الآجل على محبة العاجل والذكر على الغفلة وتكون نفسه في الدّنيا وقلبه في الاخرة »[6] .

وسئل الصادق (ع) « عن الزاهد في الدنّيا فقال الذي يترك حلالها مخافة حسابه ويترك حرامها مخافة عذابه »[7] وقال : « ليس الزهد في الدنيا باضاعة المال ولا تحريم الحلال ، بل الزهد في الدنيا أن لا تكون بما في يدك أوثق منك بما عند الله »[8] .

---

(١) سورة الشورى : آية ٢٠

(٢) احياء علوم الدين : ج٤ص ١٠٤ وانظر الكافي : ج٢ص ٣١٩

(٣) ارشاد القلوب : ص١٠٤

(٤) آمالي الطوسي : ص١٣٩ . (٥) احياء علوم الدين : ج٤ص ٢٠٨

(٦) مصباح الشريعة : ص ١٣٧ (٧) عيون أخبار الرضا : ج٢ص ٥٢ (٨) معاني الاخبار : ص٢٥١

وقال أمير المؤمنين (ع) : « الزهد في الدنيا قصر الأمل وشكر كلّ نعمة والورع عن كلّ ما حرّم الله عزّ وجلّ »[1] .

وقال (ع) : « الزّهد كلّه بين كلمتين من القرآن قال الله سبحانه : ﴿لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتيكم﴾[2] ومن لم يأس على الماضي ولم يفرح بالاتي فقد أخذ الزهد بطرفيه »[3] ، ولعمري أنه تمام في معناه .

الفصل السادس
في الجود والبخل

اعلم أنّ من ثمرة الزهد السخاء ، ومن ثمرة الرغبة في الدنيا البخل ، فالمال إن كان مفقوداً ينبغي أن يكون حال العبد القناعة ، وإن كان موجوداً ينبغي أن يكون حاله السّخاء واصطناع المعروف ، فان السخاء من أخلاق الأنبياء وهو أصل من اصول النجاة .

وعنه عبّر النّبي (ص) حيث قال : « السّخاء شجرة من شجر الجنّة أغصانها متدلية على الأرض فمن أخذ منها غصناً قاده ذلك الغصن إلى الجنّة »[4] وقال (ص) : قال جبرئيل : قال : قال الله تعالى « إن هذا دين ارتضيته لنفسي ولن يصلحه إلا السخاء وحسن الخلق فأكرموه بهما ما استطعتم »[5] وقال (ص) : « ما جبل الله أوليائه إلا على السّخاء وحسن الخلق »[6] وقال: « إن من موجبات المغفرة بذل الطعام وإفشاء السّلام وحسن الكلام »[7] وقال : « تجافوا عن ذنب السّخي فان الله أخذ بيده كلّما عثر اقاله »[8] وقال (ص) : « طعام الجواد دواء وطعام البخيل داء »[9] وقال (ص) : « ان السّخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة ، بعيد من النار ، وإن البخيل بعيد من الله بعيد من النّاس بعيد من الجنّة ، قريب من النار »[10]، وجاهل سخي أحب إلى الله من عابد بخيل وادوى الداء البخل وأرفع درجات السخاء الايثار ، وهو أن يجود بالمال مع الحاجة قال الله تعالى في معرض الثناء : ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم

---

(١) معاني الاخبار : ص ٢٥١ (٢) سورة الحديد : آية ٢٣ (٣) نهج البلاغة : قصار الحكم حكمة ٤٣٩ .
(٤) تنبيه الخواطر : ج١ص ١٧٠ (٥) تنبيه الخواطر : ج١ ص١٧٠ (٦) الترغيب والترهيب : ج٣ص ٣٨٣
(٧) تنبيه الخواطر : ج١ص ١٧٠
(٨) تنبيه الخواطر : ج١ص ١٧١ (٩) احياء علوم الدين : ج٣ص٢٣٠
(١٠) تنبيه الخواطر : ج١ص١٧١ وارشاد القلوب : ص ١٣٦

خصاصة﴾[1] وقال النبيّ (ص) : « أيما امرء اشتهى شهوة فرد شهوته وآثر على نفسه غفر له »[2] .

وينبغي للفقير أن لا يمنع بذل قليل ما يفضل عنه ، فان ذلك جهد المقل وفضله أكثر من أموال كثيرة تبذل من ظهر غنى وقال النبيّ (ص) : «درهم من الصّدقة أفضل عند الله من مأة ألف درهم قيل وكيف ذلك يا رسول الله ؟ قال : اخرج رجل من عرض ماله مأة ألف يتصدق بها وأخرج رجل درهما من درهمين لا يملك غيرهما طيبة بها نفسه ، فصار صاحب الدرهم أفضل من صاحب مأة ألف درهم»[3].

واعلم أن الامساك حيث يجب البذل بخل والبذل حيث يجب الامساك تبذير وبينهما وسط هو المحمود وينبغي أن يكون السخاء والجود عبارة عنه إذ لم يؤمر رسول الله (ص) إلا بالسخاء وقيل له : ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كلّ البسط﴾[4] وقال تعالى : ﴿والذين إذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما﴾[8]

فالجود وسط بين الاقتار والاسراف وبين البسط والقبض وهو ان يقدر بذله وامساكه بقدر الواجب ولا يكفي أن يفعل ذلك بجوارحه ما لم يكن قلبه طيّباً به غير منازع له فيه ، بل ينبغي أن لا يكون لقلبه علاقة مع المال إلا من حيث يراد المال له ، وهو صرفه إلى ما يجب صرفه إليه شرعاً أو مروة وعادة ، وواجب المروة والعادة يختلف في الاحوال والاشخاص فيستقبح من الغنى المضايقة ما لا يستقبح من الفقير ، ومع الاهل والاقارب ما لا يستقبح من الاجانب ، ومع الجار ما لا يستقبح مع البعيد ، وفي الضيافة ما لا يستقبح أقل منه في المبايعة والمعاملة إلى غير ذلك .

وبالجملة حد البخل هو امساك المال عن غرض ذلك الغرض وهو أهم من حفظ المال وفي مقابلة السخاء والجود .

الباب الرابع

في ذم حب الجاه

في ذم حب الجاه اعلم أن اصل الجاه هو انتشار الصّيت والاشتهار ، وهو آفة عظيمة وحبّه

---

(١) سورة الحشر : آية ٩

(٢) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ١٧٢ (٣) إحياء علوم الدين : ج ٤ ص ١٩٢ .

(٤) سورة الاسراء : آية ٢٩ . (٥) سورة الفرقان : آية ٦٧

مدموم ، بل المحمود هو الخمول إلا من شهره الله لنشر دينه من غير تكلف طلب للشهرة منه قال الله تعالى : ﴿تلك الدّار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوّاً في الأرض ولا فساداً﴾(١) .

وقال النبيّ « حبّ الجاه والمال ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل »(٢) وقال (ص) : « ما ذئبان ضاريان ارسلا في زريبة غنم بأكثر فساداً من حبّ الجاه والمال في دين الرّجل المسلم »(٣) وقال (ص) : « إنما هلك النّاس باتباع الهوى وحب الثّناء »(٤) وعنه (ص) : « حسب امرء من الشّر إلا من عصمه الله أن يشير النّاس إليه بالأصابع في دينه ودنياه »(٥) .

وعن أمير المؤمنين (ع) : « تبذل ولا تشهر ولا ترفع شخصك لتذكر بعلم واكتم واصمت تسلم ، تسرّ الابرار وتغيظ الفجّار »(٦) .

وقال الصّادق (ع) : « إيّاكم وهؤلاء الرّؤساء الذين يتراسون فوالله ما خفقت النعال خلف رجل إلا هلك وأهلك »(٧) وقال (ع) : « ملعون من تراس ملعون من همّ بها ملعون من حدث بها نفسه »(٨) .

وقال النبي (ص) : « ربّ ذي طمرين لا يؤبه(٩) له لو اقسم على الله لأبرّه لو قال : اللهم (إنّي خ) أسئلك الجنّة لاعطاه الجنّة ولم يعطه من الدّنيا شيئاً »(١٠) وعنه (ص) : « ان اليسير من الرياء شرك وإن الله يحب الاتقياء والاخفياء الذين إذا غابوا لم يفتقدوا وإذا حضروا لم يعرفوا ، قلوبهم مصابيح الهدى ينجون من كلّ غبراء مظلمة »(١١) .

واعلم أن الجاه والمال هما ركنا الدنيا ، ومعنى المال ملك الاعيان المنتفع بها في التوصّل إلى الاغراض والمقاصد وقضاء الشّهوات ، ومعنى الجاه ملك القلوب المطلوب تعظيمها وطاعتها ليتوصل باستعمال أربابها في الأغراض والمقاصد ، وكما انه يكتسب الاموال

---

(١) سورة القصص : اية ٨٣.

(٢) تنبيه الخواطر : ج١ص ١٥٥ واحياء علوم الدين : ج٣ص ٢٦٠

(٣) تنبيه الخواطر : ج١ص ١٥٥ واحياء علوم الدين : ج٣ص ٢٦٠

(٤) احياء علوم الدين : ج٣ص ٢٦٠ (٥) إحياء علوم الدين : ج٣ص ٢٥٨

(٦) عدة الداعي : ص٢٣٤ . (٧) الكافي : ج٢ص ٢٩٧ (٨) الكافي : ج٢ ص٢٩٨

(٩) الطمر بالكسر الثوب الخلق العتيق او الكساء البالي من غير الصوف والابهة بضم الهمزة والتشديد العظمة والكبر والبهاء كذا في مجمع البحرين

(١٠) احياء علوم الدين : ج٣ص ٢٥٩ (١١) احياء علوم الدين : ج٣ص ٢٥٩

بأنواع الحرف والصّناعات فكذلك تكتسب القلوب بانواع من المعاملات ، ولا تصير القلوب مسخرة إلا بالمعارف والاعتقادات ، وكل من اعتقد القلب فيه وصفا من أوصاف الكمال انقاد له وتسخر له بحسب قوة اعتقاده وبحسب درجة ذلك الكمال عنده .

وليس يشترط أن يكون الوصف كمالا في نفسه بل يكفي أن يكون كمالا عنده وفي اعتقاده ، وقد يعتقد ما ليس كمالا كمالا ويذعن قلبه للموصوف بها انقياداً ضروريّاً بحسب اعتقاده ، فان انقياد القلب حال للقلب وأحوال القلب تابعة لاعتقادات القلوب وعلومها وتخيّلاتها. ، وكما أن محب المال يطلب ملك الأرقاء والعبيد فطالب الجاه يطلب أن يسترق الأحرار ويستعبدهم ويملك رقابهم بملك قلوبهم .

بل الرّق الذي يطلبه صاحب الجاه أعظم ، لأن مالك العبد يملكه قهراً والعبد متأب بطبعه ولو خلّي ورايه انسل[١] عن الطاعة ، وصاحب الجاه يطلب الطاعة طوعا ويبتغي أن يكون الاحرار له عبيداً بالطبع والطوع مع الفرح بالعبودية والطاعة له ، فبقدر ما يعتقدون من كماله تذعن[٢] له قلوبهم ؛ وبقدر إذعان القلب يكون قدرته على أرباب القلوب ، وبقدر قدرته يكون فرحه وحبه للجاه .

وللجاه ثمرات كالمدح والاطراء فان المعتقد للكمال لا يسكت عن ذكر ما يعتقده فيثني عليه ، وكالخدمة والاعانة فانه لا يبخل ببذل نفسه في طاعته بقدر اعتقاده وكالايثار وترك المنازعة والتعظيم والتوقير بالمفاتحة بالسّلام وتسليم الصدر في المحافل والتقديم في جميع المقاصد .

ولملك القلوب ترجيح على ملك المال من وجوه :

الاوّل أن التوصّل بالجاه إلى المال أيسر من التوصّل بالمال إلى الجاه ، فالعالم والزاهد الذي يتقرر له جاه في القلوب لو قصد اكتساب المال يتيسرّ له ، فان أموال أرباب القلوب مسخرة للقلوب ومبذولة لمن اعتقد فيه الكمال ، وأما الرّجل الخسيس الذي لا يتصف بصفة كمال اذا وجد كنزاً ولم يكن له جاه يحفظ ماله وأراد أن يتوصّل بالمال إلى الجاه لم يتيسّر له .

والثاني أن المال معرض للتوى[٣] والتلف لأنه يسرق ويغصب ويطمع فيه الملوك والظلمة

(١) في الحديث سيروا وانسلوا فانه اخف عليكم ، أي اسرعوا .م انسل الصوف سقط وتقطع ، المنجد

(٢) الاذعان الانقياد والخضوع والذل ، قال تعالى ، يأتوا اليه مذعنين اي مقرين منقادين غير مستكرهين

(٣) التوى مقصور ويمد هلاك المال وفي الحديث : القصد مثراة والسرف متواة . أي فقر وقلة .

ويحتاج فيه إلى الحفظ والحراسة وتتطرق إليه أخطار كثيرة ، وأما القلوب إذا ملكت لم يتعرض لهذه الآفات فان ذا الجاه في أمن وأمان من الغضب والسرقة فيها ، نعم إنما تغصب القلوب بالتضريب وتقبيح الحال وتغيير الاعتقاد فيما صدق به من أوصاف الكمال وذلك مما يهون دفعه .

والثالث أن ملك القلوب يسري وينمو ويتزايد من غير حاجة إلى تعب ومقاساة لأن القلوب إذا اذعنت لشخص واعتقدت كماله بعلم أو عمل أو غيرهما افصحت الالسنة لا محالة بما فيها ، فتصف بما تعتقده لغيره واستطار في الاقطار فاقتنصت القلوب ودعتها إلى الاذعان والتعظيم ، فلا يزال يسري من واحد إلى واحد ويتزايد ، وليس له مرد معين ، وأما المال فمن ملك منه شيئاً فهو مالكه فقط ولا يقدر على استنمائه إلا بتعب ومقاسات .

وأما حب جمع المال وكنز الكنوز وادّخار الذخاير واستكثار الخزاين وراء جميع الحاجات وحبّ اتساع الجاه وانتشار الصّيت إلى أقاصي البلاد التي يعلم قطعا أنه قط لا يطأها ولم يشاهد أصحابها ليعظموه أو يعينوه على غرض من أغراضه فله سببان : أحدهما جلي ، والاخر خفي يدقّ عن أفهام الازكياء فضلا عن الأغبياء ، وذلك لاستمداده من عرق خفيّ في النفس وطبيعة مستكنّة في الطبع لا يكاد يقف عليه إلا الغواصون .

أما الجلي فهو دفع ألم الخوف ، لأن الشّفيق لسوء الظن مولع ، والانسان وانكان مكتفياً في الحال فانّه طويل الأمل ويخطر بباله أن المال الذي فيه كفايته ربما يتلف فيحتاج إلى غيره ، فاذا خطر ذلك بباله هاج الخوف من قلبه ولا يدفع ألم الخوف إلا الأمن الحاصل بوجود مال آخر يفزع إليه إن أصابت هذا المال جائحة[1] فهو أبداً لشفقته على نفسه وحبه للحياة بقدر طول الحياة وبقدر هجوم الحاجات وبقدر إمكان تطرق الافات إلى الأموال ويستشعر الخوف من ذلك فيطلب ما يدفع الخوف وهو كثرة المال حتى إن اصيب بطائفة من ماله استغنى بالاخرى ، وهذا خوف لا موقف له عند مقدار مخصوص من المال فلذلك لم يكن لميله موقف إلى أن يملك جميع ما في الدّنيا ، ولذلك ورد : « منهومان لا يشبعان : منهوم[2] العلم ومنهوم المال »[3] ، ومثل هذه العلّة تطرد في حبّه قيام المنزلة والجاه في قلوب الأباعد عن وطنه وبلده ، فانه لا يخلو

---

(١) جاحت الافة المال تجوحه جوحا من باب قال اهلكته . م .

(٢) المنهوم في الاصل هو الذي لا يشبع من الطعام ولا يمل عن الاكل وقد مر هذا الحديث عن قريب

(٣) احياء علوم الدين : ج٣ص ٢٢٣ وتنبيه الخواطر : ج١ص ١٦٣

عن تقدير سبب يزعجه[1] عن الوطن أو يزعج اولئك عن أوطانهم إلى وطنه ويحتاج إلى الاستعانة بهم .

وأما السبب الخفي وهو الأقوى أن الرّوح أمر ربّاني يحب الرّبوبية بالطبع ومعنى الربوبيّة التوحدّ بالكمال ، والعبوديّة قهر على النّفس ولكن لما عجزت النفس عن درك منتهى الكمال لم تسقط شهوتها للكمال ؛ فهي محبة للكمال مشتهية له ملتذّة به لذاته لا لمعنى آخر وراء الكمال ، فكل موجود فهو محبّ لذاته ولكمال ذاته ، ومبغض للهلاك الذي هو عدم ذاته أو عدم صفات الكمال من ذاته ، فصار الاستيلاء على الأموال والقلوب محبوباً بالطبع وإن كان لا يحتاج إليها في ملبسه ومطعمه وفي شهوات نفسه ، ولذلك طلب استرقاق العبيد واستعباد أشخاص الأحرار ولو بالقهر والغلبة .

الفصل الأول
طرق الكمال

اعلم أن الكمال الحقيقي الذي يقرب من اتصف به من الله تعالى ويبقى كمالا للنفس بعد الموت ليس إلا العلم بالله وبصفاته وأفعاله وحكمته في ملكوت السماء والأرض وترتيب الدّنيا والآخرة وما يتعلّق به ثم الحريّة أعني الخلاص عن اسر الشهوات وغموم الدنيا والاستيلاء عليها بالقهر تشبّها بالملائكة الذين لا يستفزهم والألفين ولا يستهويهم « لا يسبق بهم خ » الغضب .

وأما ماله منفعة في الاعانة على معرفة الله كمعرفة لغة العرب وتفسير القرآن والفقه والأخبار ومعرفة طريق تزكية النفس لقبول الهداية إلى معرفة الله تعالى كما قال عزّ وجلّ ﴿قد أفلح من زكيها﴾[2] وقال : ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾[3] فهو من حيث إنه وسيلة إلى معرفة الله وإلى تحصيل الحرّية فممّا لا بد منه بالعرض .

وأما القدرة فليس فيها كمال حقيقي للعبد إذ ليس له قدرة حقيقية وإنما القدرة الحقيقية لله تعالى وما يحدث من الأشياء عقيب إرادة العبد وقدرته وحركته فهي حادثة باحداث الله كما حقق في موضعه ، نعم له كمال من جهة القدرة بالاضافة إلى الحال ، وهي وسيلة إلى كمال العلم ، كسلامة أطرافه وقوة يده للبطش ورجله للمشي وحواسّه للادراك ، فان هذه القوى آلة للوصول به إلى حقيقة كمال العلم .

---

(١) ازعجه اقلقه وقلعه من مكانه (٢) سورة الشمس : آية ٩
(٣) سورة العنكبوت : آية ٦٩

وقد يحتاج في استبقاء هذه القوى إلى القدرة بالمال والجاه للتوصّل به إلى المطعم والملبس ، وذلك إلى قدر معلوم فان لم يستعمله للوصول به إلى معرفة الله فلا خير فيه البتة إلا من حيث اللذة الحالية التي تنقضي على القرب .

ولا طريق للعبد إلى اكتساب كمال القدرة الباقية بعد الموت إذ قدرته على أعيان الأموال وعلى استسخار القلوب والابدان تنقطع بالموت ومن ظن ذلك كمالا فقد جهل ، فالخلق كلهم في غمرة هذا الجهل ، فانهم يظنون أن القدرة على الأجساد بقهر الحشمة ، وعلى أعيان الاموال بسعة الغنى ، وعلى تعظيم القلوب بسعة الجاه والمال كمال ، فلما اعتقدوا الكمال ذلك أحبّوه ، ولّما أحبّوه طلبوه ، ولما طلبوه شغلوا به وتهالكوا عليه ، فنسوا الكمال الحقيقي الذي يوجب القرب من الله تعالى ومن ملائكته وهو العلم والحرية .

وهؤلاء هم الذين اشتروا الحياة الدّنيا بالاخرة ، فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون ، وهم الذين لم يفهموا قوله تعالى : ﴿**المال والبنون زينة الحيوة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربّك**﴾[1] .

فالعلم والحرّية هي الباقيات الصّالحات التي تبقى كمالا للنفس ، والجاه والمال هو الذي ينقضي على القرب وهو كما مثله الله تعالى : ﴿**إنما مثل الحياة الدّنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض**﴾[2] الآية ، وكل ما تذوره الرّياح بالموت فهو زهرة الحياة الدّنيا ، وكلما لا يقطعه الموت فهو من الباقيات الصالحات .

فقد عرفت بهذا أن كمال القدرة بالمال والجاه كمال وهمي لا أصل له وأن من قصر الوقت على طلبه وظنه مقصوداً فهو جاهل الا قدر البلغة منها إلى الكمال الحقيقي .

الفصل الثاني
بعض الجاه ضرورة في بعض الاحيان

اعلم انه كما لا بد من ادنى المال لضرورة المطعم والملبس فلا بد من أدنى جاه لضرورة المعيشة مع الخلق ، والانسان كما لا يستغني عن طعام يتناوله فيجوز أن يحبّ الطعام والمال

---

(١) سورة الكهف : آية ٤٦

(٢) سورة يونس : آية ٢٤

الذي يباع به الطعام فكذلك لا يخلو عن الحاجة إلى خادم يخدمه ورفيق يعينه وسلطان يحرسه ويدفع عنه ظلم الاشرار .

فحبّه لان يكون له قلب خادمه من المحل ما يدعوه إلى الخدمة ليس بمذموم وكذا حبّه لان يكون له في قلب رفيقه من المحل ما يحسن به مرافقته ومعاونته ، وكذا حبه لان يكون له في قلب استاذه من المحل ما يحسن به إرشاده وتعليمه والعناية به ، وكذا حبّه لان يكون له من المحل في قلب السلطان ما يحسنه ذلك على دفع الشر عنه .

فان الجاه وسيلة إلى الاغراض كالمال فلا فرق بينهما إلا أنّ التحقيق في هذا يفضي إلى أن لا يكون المال والجاه في أعيانهما محبوبين ، بل ينزل ذلك منزلة حبّ الانسان أن يكون في داره بيت ماء ، لأنه يضطر إليه لقضاء حاجته ويود لو استغنى عن قضاء الحاجة حتى يستغني عن بيت الماء إلا أنه لا يوصف محّبهما بالفسق والعصيان ما لم يحمله الحبّ على مباشرة معصية ولم يتوصّل إلى اكتسابه بكذب وخداع وارتكاب محظور ، وما لم يتوصّل إلى اكتسابه بعبادة .

فان التوصّل إلى المال والجاه بالعبادة جناية على الدين ، وهو حرام وإليه يرجع معنى الرّياء المحظور فاما أن يطلبهما باخفاء عيب من عيوبه ومعصية من معاصيه حتّى لا يعلمه فلا يزول به منزلته فهو مباح أيضاً لان حفظ السّتر على القبايح جايز بل لا يجوز هتك السّتر وإظهار القبيح .

وهذا ليس فيه تلبيس بل هو سدّ طريق العلم بما لا فايدة في العلم به كالذي يخفي عن السّلطان أنه يشرب الخمر ولا يلقى إليه أنه ورع فان قوله إنه ورع تلبيس وعدم إقراره بالشرب لا يوجب اعتقاده الورع بل يمنع العلم بالشرب .

الفصل الثالث

في حب المدح والثناء

وأما حب المدح والثناء فله أسباب :

الأوّل وهو الأقوى شعور النفس بالكمال ، فان النفس مهما شعرت بكمالها ارتاحت واهتزت وتلذذت ، والمدح يشعر نفس الممدوح بكمالها وتعظم اللذة بهذه العلة مهما صدر الثناءُ من بصير خبير لا يجازف في القول ، ولهذه العلة يبغض الذم أيضاً ويكره ، لانّه يشعر

بنقصان في نفسه .

والسبب الثاني أن المدح يدل على أن قلب المادح ملك الممدوح وأنه مريد له ومعتقد فيه ومسخّر تحت مشيته ، وملك القلوب محبوب والشعور بحصوله لذيذ وبهذه العلة تعظم اللذة مهما صدر ممّن يتّسع قدرته وينتفع باقتناص قلبه ، كالملوك والأكابر ، ولهذه العلة أيضاً يكره الذم ويتألم به .

والسبب الثالث أن ثناء المثني ومدح المادح سبب لاصطياد قلب كل من يسمعه لا سيّما إذا كان ذلك ممن يلتفت إلى قوله ويعتقد بثنائه وهذا يختص بثناء يقع على الملأ .

والسّبب الرابع أن المدح يدلّ على حشمة الممدوح واضطرار المادح إلى اطلاق اللسان بالثناء عليه إما عن طوع وإما عن قهر ، فان الحشمة أيضاً لذيذة لما فيها من القهر والقدرة .

وهذه الأسباب قد تجتمع في مدح مادح واحد فيعظم به الالتذاذ ويندفع استشعار الكمال بأن يعلم الممدوح أنه غير صادق في مدحه فان كان يعلم أن المادح ليس يعتقد ما يقوله بطلت اللذة الثانية وهي استيلاؤه على قلبه وبقيت لذة الاستيلاء بالحشمة على اضطرار لسانه إلى النطق بالثناء .

الفصل الرابع
في حب الجاه والمدح والثناء

اعلم أن من غلب على قلبه حبّ الجاه صار مقصوراً لهم على مراعاة الخلق، مشغوفاً بالتودّد إليهم والمراياة لأجلهم ، ولا يزال في أقواله وافعاله ملتفتا إلى ما عظم منزلته عندهم ، وذلك بذر النفاق وأصل الفساد ، ويجرّ ذلك لا محالة إلى التساهل في العبادات والمراياة بها وإلى اقتحام المحظورات للتوصّل بها إلى اقتناص القلوب .

ولذلك شبه رسول الله (ص) « حبّ الشرف والمال ، وإفسادهما للدين بذئبين ضاريين[1] ، وقال(ص) :«إنه ينبت النفاق كما ينبت الماء البقل »[2] إذ النفاق هو مخالفة الظاهر للباطن بالقول والفعل ، وكل من طلب المنزلة في قلوب النّاس فيضطر إلى النفاق معهم وإلى

---

(١) الذئب الضاري الذي اعتاد اكل لحوم الناس وقد مر الحديث بلفظه عن قريب

(٢) تنبيه الخواطر : ج١ص ٢٥٦

التظاهر بخصال حميدة وهو خال عنها ؛ وذلك عين النفاق .

وعلاجه العلمي أن يعلم أن السّبب الذي لاجله أحبّ الجاه وهو كمال القدرة على أشخاص النّاس وعلى قلوبهم إن صفى وسلم فآخره الموت ، فليست من الباقيات الصالحات بل لو سجد له كل من على وجه الأرض وإلى خمسين سنة لا يبقى الساجد ولا المسجود له ، ويكون حاله كحال من مات قبله من ذوي الجاه مع المتواضعين له فهذا ينبغي أن يترك به الدين الذي هو الحياة الابدية التي لا انقطاع لها ومن فهم الكمال الحقيقي والكمال الوهمي كما سبق صغر الجاه في عينه إلا أن ذلك انما يصغر في عين من ينظر إلى الآخرة كأنه يشاهدها ويستحقر العاجلة ، ويكون الموت كالحاصل عنده .

وأبصار أكثر الخلق ضعيفة مقصورة على العاجلة لا يمتد نورها إلى مشاهدة العواقب كما قال الله تعالى : **﴿بل تؤثرون الحياة الدنيا والاخرة خير وأبقى﴾**[١] وقال : **﴿كلا بل تحبّون العاجلة وتذرون الاخرة﴾**[٢] إلى غيرها من الايات .

فمن هذا حده فينبغي أن يعالج قلبه في حبّ الجاه بالعلم بالافات العاجلة ، وهو أن يتفكر في الاخطار التي يستهدف لها أرباب الجاه في الدنيا ، فان كل ذي جاه محسود مقصود بالايذاء وخائف على الدّوام على جاهه ومحترز من أن يتغير منزلته في القلوب والقلوب أشد تغيّراً من القدر في غليانه ، وهي مردّدة بين الاقبال والاعراض ، فكل ما يبنى على قلوب الخلق يضاهي ما يبنى على امواج البحر ، فانّه لا ثبات له

والاشتغال بمراعاة القلوب وحفظ الجاه ودفع كيد الحساد ومنع أذى الاعداء اشتغال عن الله وتعرض لمقته في العاجل والاجل كل ذلك غموم عاجلة مكدّرة للذة الجاه فلا يفي في الدّنيا أيضاً مرجوها بمخوفها فضلا عمّا يفوت في الاخرة فهذا ينبغي أن يعالج البصيرة الضعيفة ، وأما من نفذت بصيرته وقوي ايمانه فلم يلتفت إلى الدّنيا ، فهذا هو العلاج من حيث العلم .

وأما من حيث العمل فاسقاط الجاه عن قلوب الخلق بالانس والخمول[٣] والقناعة بالقبول من الخلق والاعتزال عن النّاس والهجرة إلى مواضع الخمول ، فان المعتزل في بيته في البلدة التي هو بها مشهور لا يخلو عن حب المنزلة التي ترسخ له في القلوب بسبب عزلته ، فربّما يظن

(١) سورة الأعلى : آية ١٦ و١٧
(٢) سورة القيامة : آية ٢٠ و٢١ (٣) الخمل الاستتار ومنه رجل خمول

أنه ليس محبّاً لذلك الجاه وهو مغرور وإنما سكنت نفسه لأنها ظفرت بمقصودها .

ولو تغير الناس عما اعتقدوا فيه وذموه او نسبوه إلى أمر غير لايق بـه جزعت نفسـه وتألمت وربما توصلت إلى الاعتذار من ذلك وإماطة ذلك الغبار عن قلوبهم وربّمـا يحتاج في إزالـة ذلك عن قلوبهم إلى كذب وتلبيس ولا يبالي به وبه يتبين أنه بعد محب للجاه والمنزلة .

ولا يمكنه أن لا يحب المنزلة في قلوب الناس ما دام يطمع في الناس ، ولا يقطع الطمـع عن الناس إلا بالقناعة فمن قنع استغنى عن النّاس وإذا استغنى لم يشتغل قلبه بـالنّاس ولم يكن لقيام منزلتـه بالقلوب عنـده وزن ويستعين على جميع ذلـك بالاخبـار الواردة في ذم الجـاه ومدح الخمول مثل قولهم المؤمن لا يخلو من ذلة أو علّة أو قلة إلى غير ذلك .

وحبّ المدح كحبّ الجاه حرمة وإباحة ونفعا وضراً ، وعلاجه علاج حبّ الجاه وعلمه بان الصّفة الممدوح بها إن فقدت فاستهزاء وإن وجدت فالدنيوية كمال وهمي والدينية مـوقوفـة على الخاتمة .

وعلاج كراهة الذم العلم بـان الصّفة المـذموم بهـا إن وجدت فتبصيـر للعيوب وفيـه الفرح والشغل بالازالة وإن فقدت فكفارة للذنوب وفيـه الشّكر لله والتـرحم عليه حيث أهلك نفسـه كما قال النبي (ص) : « اللهمّ اهد قومي فانّهم لا يعلمون »[١] لما ان كسروا رباعيّته[٢] .

والانسـان يفرح بمـا يذم عـدوّه وهو شخص عـدوّه نفسه فينبغي أن يفـرح إذا سمـع ذمّهـا ويشكر الذامّ عليها ويعتقد فطنته وذكائه لما وقف على عيوبها ، فيكون ذلك كالتشفي له من نفسه ويكون غنيمة عنده إذ صار بالمذمة أوضع في أعين النّـاس حتى لا يبتلى بفتنة الجـاه وإذا سبقت « سيقت خ » إليه حسنات لم ينصب فيها فعساه يكون جبراً لعيوبه التي هو عاجـز عن اماطتهـا ، ولو جاهد نفسه طول عمره في هذه الخصلة الواحدة وهي أن يستوي عنده ذامّه ومـادحه ، لكـان لـه شغل شـاغل فيـه لا يتفرغ معـه لغيره ، وبينـه وبين السعادة عقبـات كثيـرة هـذه إحـدى تلك العقبات ولا يقطع شيء منها إلا بالمجاهدة الشديدة في العمر الطويل .

---

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة والحديث في الصحيح انه صلى الله عليه وآله قال حكاية عن نبي من الأنبياء حين ضربه قومه (المعنى) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ٩٩ وفيه : « اللهم اغفر لقومي . . . . ».

(٢) الرباعيية بالفتح السن التي بين الثنية والناب من كل جانب والجمع الرباعيات . م .

الباب الخامس

في ذم الغرور

في ذم الغرور ، وهو سكون النفس إلى ما يوافق الهوى ويميل إليه الطبع عن شبهة وخدعة من الشيطان ، فمن اعتقد أنه على خير إما في العاجل أو في الآجل عن شبهة فاسدة فهو مغرور .قال الله تعالى : ﴿لا تغرنّكم الحياة الدنيا ولا يغرنّكم بالله الغرور﴾[١] وقال عزّ وجلّ : ﴿ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرّتكم الاماني حتّى جاء أمر الله وغرّكم بالله الغرور﴾[٢] .

وقال النبي (ص) : « حبّذا نوم الاكياس وفطرهم كيف يغبنون « يغنون خ » سهر الحمقى واجتهادهم ، ولمثقال ذرة من صاحب تقوى ويقين أفضل من ملاء الارض من المغترّين »[٣] .

وقال (ص) : « الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والاحمق من اتبع نفسه هواه وتمنّى على الله الاماني »[٤] .

ولنمثل للغرور مثلا للايضاح ، أما الغرور بالحياة الدنيا فمثاله ما قال بعض الكفار والعصاة : النقد خير من النسية ، والدّنيا نقد والاخرة نسية فاذن هي خير فلا بد من ايثارها ، وقالوا : اليقين خير من الشك ولذات الدنيا يقين ولذات الاخرة شك فلا تترك اليقين بالشك فهذه أقيسة فاسدة تشبه قياس إبليس حيث قال : ﴿أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين﴾[٥] وإلى هؤلاء الاشارة بقوله تعالى : ﴿اولئك الذين اشتروا الحياة الدّنيا بالاخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون﴾[٦] .

وعلاج هذه الغرور إمّا بتصديق الايمان بان يصدقوا الله في قوله : ﴿ما عندكم ينفد وما عند الله باق﴾[٧] وقوله : ﴿والاخرة خير وأبقى﴾[٨] وقوله : ﴿وما الحيوة الدّنيا إلا متاع الغرور﴾[٩] .

وإما البرهان وهو أن يعرفوا فساد هذا القياس الذي نظمه في قلوبهم الشيطان فان فيه

---

(١) سورة لقمان : آية ٣٣(٢) سورة الحديد : آية ١٤

(٣) احياء علوم الدين : ج٣ ص٣٥٤

(٤) احياء علوم الدين : ج٣ص ٣٥٤ وامالي الطوسي ص٥٤١

(٥) سورة ص : آية ٧٦ (٦) سورة البقرة : آية ٨٦

(٧) سورةالنحل : آية ٩٦ (٨) سورة الاعلى : آية ١٧

(٩) سورة آل عمران : آية ١٨٥

أصلين أحدهما ان الدنيا نقد والاخرة نسيـة وهذا صحيـح والاخر أنّ النقـد خير من النسيـة وهذا محلّ تلبيس ، فليس الامر كـذلك ، بـل إن كان النقـد مثل النسيـة في المقدار والمقصـود فهـو خير ، وإن كان أقلّ منه فالنسية خير ، فان هذا المغرور يبذل في تجارته درهما ليأخذ عشرة نسية ولا يقول : النقد خير من النسية فلا أتركه وإذا حذّره الطبيب الفواكـه ولذايـذ الأطعمة تـركها في الحـال خوفـا من ألم المرض في المستقبـل ، وقد تـرك النقد ورضي بـالنسيـة ، والتجـار كلهم يركبون البحار ويتعبون في الاسفـار نقداً لاجـل الراحـة والربـح نسية ، فـان كان عشـرة في ثاني الحال خيراً من واحد في الحال فانسب لذة الدنيا من حيث مدّتها إلى مدّة الآخرة .

وأمّا قولهم إن اليقين خير من الشك والـدنيا يقين والاخـرة شكّ فهـو أكثر فسـاداً من الاوّل لان كلي أصليه باطل .

إذ اليقين خير من الشك إذا كان مثله والا فالتاجر في سعيه على يقين وفي ربحه على شكّ والمتفقه في اجتهاده على يقين وفي إدراكه رتبة العلم على شكّ والصيّاد في تـردّده في المقتنص على يقين وفي اقتنـاصه الـظفر بـالصّيد على شـكّ ، والمريض من مـرارة الدواء على يقين ومن الشفـاء على شك ، وكـذلك الحـزم[١] داب العقـلاء فمن شـك في الاخـرة فيجب عليـه بحكم الحزم أن يقول الصّبر أياماً قلائل وهو منهى العمر قليل بالاضافـة إلى ما يقـال من أمر الاخـرة ، فان كان ما قيل فيه كذبا فما يفوتني إلا التنعم أيّام حياتي ، وإن كان صـدقا فـأبقى في النّار أبـد الاباد وهذا لا يطاق .

وأما الاصل الثاني وهو أن الاخرة شكّ فهو أيضاً خطاء بل ذلك يقين عند المؤمنين وليقينـه مدركان أحدهما الايمان والتصديق للأنبياء والعلماء والثاني الـوحي والالهام لـلانبياء والاوليـاء إذ كشف لهم حقيقة الاشياء كما هي عليها وشاهدوها بالبصيرة الباطنة كما تشاهد أنت المحسوسات بالبصيرة الظاهرة فيخبرون عن مشاهدة لا عن سماع وتقليد .

واما الغرور بالله فمثاله قول بعضهم في أنفسهم وبألسنتهم انه إن كـان لله معاد فنحن أحقّ بـه من غيرنـا ونحن أوفر حـظا وفيه أسعـد حالا كمـا أخبر الله من قـول الرّجلين المتحـاورين إذ قال ﴿**وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربّي لأجدن خيراً منها منقلباً**﴾[٢] .

---

(١) حزم فلان رأيه حزما أتقنه

(٢) اي كما أعطاني هذه في الدنيا سيعطيني في الاخرة أفضل منها لكرامتي عليه ، ظن الجاهل انه اوتي ما اوتي لكرامته على الله تعالى وهذا معنى الغرور بالله ، والقصة مذكورة تفصيلا في سورة الكهف آية ٣٦ فليراجع .

وهذا قياس من أقيسة ابليس ، وذلك لانهم ينظرون مرّة إلى نعم الله عليهم في الدنيا فيقيسون عليها نعمة الاخرة وينظرون إلى تأخير الله العذاب عنهم فيقيسون عليه عذاب الاخرة كما قال تعالى : ﴿ويقولون في أنفسهم لو لا يعذبنا الله بما نقول﴾ ومرّة ينظرون إلى المؤمنين وهم فقراء شعث غبر[1] فيزدرون بهم ويستحقرونهم فيقولون : ﴿أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا﴾[2] ويقولون : ﴿لو كان خيراً ما سبقونا إليه﴾[3] وقياسهم أنه قد أحسن الله إلينا بنعيم الدنيا وكلّ محسن فهو محبّ وكل محبّ فانّه يحسن في المستقبل أيضاً والتلبيس تحت ظنه إنّ كل محسن محب بل تحت ظنه ان انعامه عليه في الدّنيا إحسان ، فقد اغترّ بالله إذ يظن أنه كريم عنده بدليل لا يدل على الكرامة بل عند ذوي البصاير يدلّ على الهوان ، فان نعيم الدّنيا ولذاتها مهلكات مبعدات من الله تعالى ، وأنّ الله يحمي[4] عبده الدّنيا وهو يحبّه كما يحمي أحدكم مريضه الطعام والشراب وهو يحبّه كما ورد في الخبر .

وهذا المغرور علاجه معرفة دلايل الكرامة والهوان إما بالبصيرة وإما بالتقليد قال الله تعالى : ﴿أيحسبون أنما نمدّهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون﴾[5] وقال : ﴿سنستدرجهم من حيث لا يعلمون﴾[6] وقال : ﴿فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتّى إذا فرحوا بما اوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون﴾[7] .

ومنشأ هذا الغرور الجهل بالله وبصفاته فان من عرفه لا يأمن مكره ولا يفتر بامثال هذه الخيالات وينظر إلى فرعون وقارون وإلى ملوك الارض وكيف أحسن الله إليهم ابتداء ثمّ دمّرهم تدميراً ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين ، ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون .

الفصل الاول
في فرق المغترين

إعلم أن فرق المغترّين كثيرة وجهات غرورهم مختلفة

فمنهم من رأى المنكر معروفاً كالذي يتخذ المساجد ويزخرفها من المال الحرام ومنهم من لم يميز بين ما يسعى فيه لنفسه وما يسعى فيه لله كالواعظ الذي غرضه القبول والجاه ومنهم من

---

(١) شعث الشعر شعثا فهو شعث من باب تعب تغير وتلبد . والغبرة لون الأغبر الشبيه بالغبار
(٢) سورة الأنعام : آية ٥٣ (٣) سورة الاحقاف : آية ١١
(٤) أي يمنع (٥) سورة المؤمنون : آية ٥٥ (٦) سورة الاعراف : آية ١٨٢ (٧) سورة الانعام : آية ٤٤

يترك الاهمّ ويشتغل بغيره كالذي يترك الفرض ويشتغل بـالنّافلة ومنهم من يتـرك اللباب ويشتغـل بـالقشر كـالذي تكـون همّته في الصّـلاة مقصورة على الـوسواس في النّيـة أو تصحيـح مخـارج الحروف حتّى تفوته الجماعة وتخرج الصّلاة عن الوقت ثمّ لا يحضر قلبه في صـلاته ويـزعم أنه إذا أتعب نفسه في تصحيح النية أو الحروف تميّز عن العامة بهذا الجهد .

ومنهم من اغترّ بقراءة القرآن فيهذّه هذا[١] وربّما يختم في اليوم واللّيلة مرّة ولسانه يجـري به وقلبه متردّد في اودية الاماني ومنهم من اغتر بـالصّوم وربمـا صام الـدّهر ولا يحفظ لسـانه عن الغيبة ولا بطنه عن الحرام عند الافطار ثمّ يظن بنفسه الخير .

ومنهم من اغتر بالحجّ فيخرج إلى الحج من غير خروج من المظالم وقضاء الدّيـون وطلب الزاد الحلال ويضيع في الطريق الصّلاة ويعجز عن طهارة الثّوب والبدن ويتعرّض لمكس الظلمة وذلك بعد سقوط حجة الاسلام .

ومنهم من يتقلّد امامة مسجد الجمعة أو أذانـه ويظن أنّـه على خير ولـو أم غيره أو أذّن في وقت غيبته قامت عليه القيامة ولو كان أورع منه وأعلم .

ومنهم من يأمر بـالخير وينسى نفسـه فاذا أمـر عنف وطلب الرّيـاسة والعـزّ وإذا رد عليه إذا باشر منكراً غضب وقال : أنا المحتسب فكيف تنكر عليّ وإنّما غرضه الرّياسة .

ومنهم من أحكم العلوم الشّرعية وتعمّق فيهـا واشتغل بهـا وأهمل تفقـد الجوارح وحفـظها عن المعاصي وإلزامها الطاعات وأهمل تفقد قلبه ليمحو عنه الصفات المذمومة والاخلاق الرّديـة واغتر بعلمه وظن أنّه عند الله بمكان وأنه قد بلغ من العلم مبلغاً لا يعـذب الله مثله بل يقبـل في الخلق شفاعته وأنّه لا يطالبه بذنوبه لكرامته على الله .

ومنهم من يعجب بنفسه ويظن أنه منفك عن الاخلاق المذمومة وأنـه أرفع عنـد الله من أن يبتليه بها وإنما يبتلى بها العوام .

ثمّ إذا ظهر عليه مخائل الكبر والرّياسة وطلب العلو والشّرف قال : ما هذا كبـر وإنما هـذا

---

(١) في الحديث : لا تهذوا القرآن هذّ الشعر ولا تنثروه نثر الرمل • الهذ بالذال المعجمة المشددة سرعة القطع ، ثم استعير لسرعة القراءة يقال . هو بهذا القرآن من باب قتل اي يسرده ويسرع به والمعنى : لا تسرعوا بقراءة القرآن كما تسرعون في قراءة الشعر ولا تفرقوا بعضه عن بعض وتنثروه كنثر الرمل ، ولكن بينوه ورتلوه تـرتيلا كما امر به في قوله تعالى : ورتل القرآن ترتيلا . م .

طلب عزّ الدّين وإظهار شرف العلم ونصرة دين الله وإرغام أنف المخالفين ، ومهما اطلق اللسان بالحسد في أقرانه أو فيمن ردّ عليه شيئاً من كلامه لم يظن بنفسه أنّ ذلك حسد ولكن قال ذلك إنما هذا غضب للحقّ ورد على المبطل في عداوته وظلمه ، ثمّ لو طعن في غيره من أهل العلم لم يكن غضبه مثل غضبه الان ، بل ربّما يفرح به .

وإذا خطر له خاطر الرياء قال : هيهات إنما غرضي من إظهار العلم والعمل اقتداء الخلق بي ليهتدوا إلى دين الله ويتخلصوا من عقاب الله ، ولا يتأمل الغرور أنّه ليس يفرح باقتداء النّاس بغيره كما يفرح باقتدائهم به ، فلو كان غرضه صلاح الخلق لفرح بصلاحهم على يد أيّ من كان ، وربّما يذكر هذا فلا يخليه الشيطان أيضاً بل يقول : إنما ذلك لأنهم إذا اهتدوا بي كان الأجر والثواب لي فانما فرحي بثواب الله لا بقول الخلق ، هذا ما يظنه بنفسه والله مطلع على سريرته .

ومنهم من اشتغل بعلم الكلام والمجادلة في الأهواء والرّد على المخالفين واعتقد أنه لا يكون للعبد عملا إلا بالايمان ولا يصلح إيمان إلا بأن يتعلم جدلهم وما يسمّونه أدلة عقايدهم وظن أنه لا أحد أعرف بالله وصفاته منهم ، وأنه لا ايمان لمن لم يعتقد مذهبهم ولم يتعلم علمهم ، ودعا كل فرقة منهم إلى نفسه وفي الحديث النبوي (ص): «ما ضلّ قوم قط بعد هدى إلا أتوا الجدل وحرموا العمل»[1] .

ومنهم من اشتغل بالوعظ وأعلاهم رتبة من يتكلم في أخلاق النّفس وصفات القلب من الخوف والرجاء والصّبر والشكر ونظائرها ويظن بنفسه أنه إذا تكلم بهذه الصفات ودعى الخلق إليها صار موصوفا بها وهو منفك عنها عند الله إلا عن قدر يسير لا ينفك عنه عوام المسلمين ، والاكياس يمتحنون أنفسهم في هذه الصّفات ويطالبونها بالحقيقة ولا يقنعون منها بالتّزويق[2] .

ومنهم من ظن أنّه حكم العبد بينه وبين الله تعالى يتبع حكمه في مجلس القضاء فوضعوا الحيل في دفع الحقوق وأساءوا تأويل الألفاظ واغتروا بالظواهر وأخطأوا فيها وذلك مثل فتواهم بأن المرأة مهما أبرأت الزوج من الصّداق برء الزوج بينه وبين الله ، وذلك خطاء بل الزّوج قد يسيء إلى الزوجة بحيث يضيق عليها الامور بسوء الخلق فتضطر إلى طلب الخلاص فتبرىء

(١) احياء علوم الدين ج٣ص ٣٦٨ واخرجه ابن ماجة رقم ٨،

(٢) زوق الكلام : حسنه وزينه . البيت : نقشه . المنجد

الزّوج لتتخلص منه وهو ابراء من غير طيبة نفس وقال الله تعالى : ﴿فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا﴾[1] وطيبة النفس غير طيبة القلب ، فالقلب قد تريد مالا تطيب به النفس كالانسان يريد الحجامة بقلبه ولكن تكره بها نفسه فانما طيبة النفس أن تسمح بالابراء لا عن ضرورة تقابله .

وكذلك لو طلب من إنسان مالاً على ملاء من الناس فاستحيى من الناس أن لا يعطيه وكان يودّ أن تكون سؤاله في خلوة حتّى لا يعطيه ولكن خاف مذمّة الناس ، والسؤال في مظنة الحياء والرّياء ضرب للقلب بالسّوط ، ولا فرق بين ضرب الباطن وضرب الظاهر عند الله فان الباطن عند الله ظاهر ، وكذلك من يعطى اتقاء لشر لسانه أو لشرّ سعايته ، فهو حرام عليه .

الفصل الثاني[2]

من المغترين أهل الذكر والتصوف

ومن المغترين قوم يسمّون بأهل الذكر والتصوّف ، يدعون البراءة من التصنع والتكلف ، يلبسون خرقا ويجلسون حلقا ، يخترعون الاذكار ويتغنون بالأشعار ؛ يعلنون بالتهليل وليس لهم الى العلم والمعرفة سبيل ، ابتدعوا شهيقاً ونهيقاً[3] واخترعوا رقصاً وتصفيقاً ، قد خاضوا الفتن

---

(١) سورة النساء : آية ٤

(٢) وللمصنف قدس الله روحه كلمات لطيفة يعجبني نقلها في المقام قال « ره» في كلماته الطريقة على ما حكاه المحدث القمي « ره» في سفينة البحار :

تقبيح ومن الناس من زعم أنه بلغ من التصوف والتأله حداً يقدر معه ان يفعل ما يريد بالتوجه ، وانه يسمع دعاؤه في الملكوت ويستجاب نداؤه في الجبروت ، تسمى بالشيخ والدرويش وأوقع الناس بذلك في التشويش ، فيفرطون فيه أو يفرطون فمنهم من يتجاوز به حد البشر ، وآخر يقع فيه بالسوء والشر ، يحكي من وقايعه ومناماته ما يوقع الناس في الريب ويأتي في اخباره بما ينزل منزلة الغيب ، ربما تسمعه يقول : قتلت البارحة ملك الروم ، ونصرت فئة العراق أو هزمت سلطان الهند ، وقلبت عسكر النفاق أو ضرعت فلاناً يعني به شيخا آخر نظيره أوافنيت بهمانا يريد به من لا يعتقد فيه انه لكبيره

وربما تراه يقعد في بيت مظلم يسرج فيه أربعين يوما يزعم أنه يصوم صوماً ولا يأكل فيه حيوانا ولا ينام نوما ، وقد يلازم مقاما يردد فيه تلاوة سورة أياما ، يحسب أنه يؤدي بذلك دين احد من معتقديه أو يقضي حاجة من حوائج أخيه ، وربما يدعي انه سخر طائفة من الجنة ووقى نفسه بهذه الجنة « افترى على الله كذباً أم به جنة » .

تبديع ومنهم قوم تسموا بأهل الذكر والتصوف أقول : ويسوق كما في المتن الى قوله : وصاحوا الصيحة الشنعاء : ثم يقول : أمن الضرب تتألمون ؟ أم من الرب تتظلمون ؟ أم مع اكفائكم تتكلمون ؟ ان الله لا يسمع بالصماخ فاقصروا من الصراخ ، أتنادون باعداً ؟ أم توقظون راقداً ؟ تعالى الله لا تأخذه السنة ولا تغلطه الألسنة ، سبحوا تسبيح الحيتان في النهر ، وادعوا ربكم تضرعا وخفية دون الجهر انه ليس منكم ببعيد ، بل هو أقرب اليكم من حبل الوريد الخ .

واخذوا بالبدع دون السّنَن ، رفعوا أصواتهم بالنداء وصاحوا الصّيحة الشنعاء .

ومنهم من يدعي علم المعرفة ومشاهدة المعبود ومجاوزة المقام المحمود والملازمة في عين الشهود ، ولا يعرف من هذه الامور إلا الاسماء ولكنه تلقف من الطامات كلمات ترددها لدى الاغبياء كأنّه يتكلم عن الوحي ويخبر عن السّماء وينظر إلى أصناف العباد والعلماء بعين الازدراء يقول في العباد : إنهم اجراء متعبون وفي العلماء إنّهم بالحديث عن الله لمحجوبون ، ويدعي لنفسه من الكرامات ما لا يدّعيه نبي مقرّب ، لا علما أحكم ولا عملا هذب ، يأتي إليه الرعاع الهمج من كلّ فج أكثر من اتيانهم مكّة للحجّ ، يزدحم عليه الجمع ويلقون إليه السّمع .

وربما يخرون له سجوداً كأنّهم اتخذوه معبوداً ، يقبّلون يديه ويتهافتون على قدميه ، يأذن لهم بالشّهوات ويرخّص لهم بالشبهات ، يأكل ويأكلون كما تأكل الانعام ، ولا يبالون من حلال أصابوا أم من حرام ، وهو لحلوائهم هاضم ولدينه وأديانهم حاطم .

ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذّين يضلّونهم بغير علم ، ألا ساء ما يزرون .

= والروايات الواردة في التشنيع على هذه الفرقة الهالكة كثيرة .

منها ما في السفينة أيضاً عن الامام الحسن العسكري (ع) انه قال لابي هاشم الجعفري : يا أبا هاشم سيأتي زمان على الناس وجوههم ضاحكة مستبشرة ، وقلوبهم مظلمة منكدرة ، الّسنة فيهم بدعة ؛ والبدعة فيهم سنة المؤمن بينهم محقر ، والفاسق بينهم موقر ، امراؤهم جائرون ، وعلماؤهم في أبواب الظلمة سائرون ، أغنياؤهم يسرقون زاد الفقراء ، وأصاغرهم يتقدمون على الكبراء ، كل جاهل عندهم خبير ، وكل محيل عندهم فقير ، لا يميزون بين المخلص والمرتأب ، ولا يعرفون الضان من الذئاب .

علماؤهم شرار خلق الله على وجه الأرض ، لأنهم يميلون الى الفلسفة والتصوف وأيم الله انهم من أهل العدوان والتحرف ، يبالغون في حب مخالفينا ، ويضلون شيعتنا وموالينا ، فان نالوا منصباً لم يشبعوا عن الرشا ، وان خذلوا عبدوا الله على الريا ، إلا انهم قطاع طريق المؤمنين « الدين خ » والدعاة الى نحلة الملحدين ، فمن أدركهم فليحذرهم وليصن دينه وإيمانه .

ثم قال : يا أبا هاشم هذا ما حدثني أبي عن آبائه عن جعفر بن محمد (عليهم السلام) وهو من أسرارنا فاكتمه إلا عن أهله .

ومنها ما فيه أيضاً عن النبي (ص) انه قال : لا تقوم الساعة على امتي حتى يقوم قوم من امتي اسمهم الصوفية ليسوا مني ، وانهم يحلقون للذكر ويرفعون أصواتهم يظنون انهم على طريقتي بل همّ اضل من الكفار ، وهم اهل النار لهم شهيق الحمار الخ .

(١) شهيق الحمار آخر صوته وشهق الرجل ردد نفسه مع سماع صوته من حلقه . ونهاق الحمار صوته وقد نهق ينهق نهيقاً ونهاقاً إذا صوت .

الفصل الثالث

من المغترين أرباب الأموال

وأمّا أرباب الأموال ففرقة منهم يحرصون على بناء المساجد والمدارس والرّباط[1] والقناطير[2] وما يظهر للناس كافة بأموال كسبوها من غير حلها ويكتبون أسماءهم بالأحجار عليهم ليتخلد ذكرهم ويبقى بعد الموت أثرهم ويظنون أنهم قد استحقوا المغفرة بذلك وأنّهم مخلصون فيه ، ولو كلف أحد منهم أن ينفق ديناراً ولا يكتب اسمه على الموضع الذي انفق عليه لشق عليه ولم تسمح به نفسه ، والله تعالى مطلع عليه كتب اسمه أم لم يكتب ، فلولا أنه يريد وجه الناس لا وجه الله لما افتقر إلى ذلك وربما يكون في جوار أحدهم أو في بلده فقير وصرف المال إليهم أهم من الصرف الى المساجد وزينتها .

ومنهم من ينفق الأموال في الصّدقات على الفقراء والمساكين ويطلب به المحافل الجامعة والفقراء الذين عادتهم الشكر والافشاء للمعروف ، ويكره التصدق في السّر ويرى إخفاء الفقير لما أخذ منه خيانة عليه وكفرانا .

ومنهم من يحفظ ماله ويمسكه بحكم البخل ثم يشتغل بالعبادات البدنية التي لا يحتاج فيها إلى نفقة كصيام النهار وقيام الليل وختم القرآن وهو يظن أنّه على خير .

ومنهم من لا تسمح نفسه إلا بأداء الزّكاة فقط ، ثم يخرجها من المال الخبيث الرّدي الذي يرغب عنه ويطلب من الفقراء من يخدمه ويتردّد في حاجته ويظن أنّه أداها لله ، وأصناف الغرور لا تحصى .

وفي مصباح الشريعة قال الصّادق (ع) : « المغرور في الدّنيا مسكين وفي الآخرة مغبون لأنه باع الأفضل بالأدنى ، ولا تعجب من نفسك حيث ربّما اغتررت بمالك وصحّة جسمك لعلك تبقى ، وربّما اغتررت بطول عمرك وأولادك وأصحابك لعلك تنجو بهم ، وربّما اغتررت بحالك ونيتك وإصابتك ما مولك وهواك وظننت أنّك صادق ومصيب ؛ وربّما اغتررت بما ترى الخلق من النّدم على تقصيرك في العبادة ولعل الله تعالى يعلم من قلبك بخلاف ذلك ، وربّما أقمت نفسك بالعبادة متكلفا والله يريد الاخلاص ، وربّما افتخرت بعلمك ونسبك وأنت غافل

(١) الرباط واحد الرباطات المبنية للفقراء مولد والجمع ربط بضمتين ورباطات . م .

(٢) القنطرة ما يبنى على الماء للعبور عليه ، والجسر أعم لانه يكون بناء وغير بناء . م .

عن مضمرات ما في علم الله ، وربّما توهمت أنّك تدعـو الله وأنت تدعـو سواه ، وربّمـا حسبت أنك ناصح للخلق وأنت تريدهم لنفسك أن يميلوا إليك ، وربّما ذممت نفسك وأنت تمدحها في الحقيقة .

واعلم أنك لن تخرج من ظلمات الغرور والتمني إلا بصـدق الانابـة إلى الله والاخبات لـه ومعرفة عيوب أحوالك من حيث لا توافق العقل والعلم ولا يحتمله الدّين والشّريعة وسنّن القـدوة وأئمـة الهدى وإن كنت راضيـاً بما أنت فيـه فما أحـد أشقى بعلمك منـك وأضيع عمـرا فأورثت حسرة يوم القيامة »[1] .

---

(١) مصباح الشريعة : ص ١٤٢

المقالة الرابعة

في مكارم الأخلاق وتحصيلها وفيها ستة أبواب .

الباب الاول
في فضيلة الصبر

في الصّبر وهو ثبات باعث الدّين في مقابلة باعث الهوى ، فعلى الشاق كالعبادة والمكروه كالمصيبة صبر مطلقا ، وضدّه الجزع والهلع ، وهو الاسترسال في رفع الصوت وضرب الخدود وشق الجيوب .

وعن شهوة البطن والفرج عفّة وضدّه الشّره[1] ، وفي الغنى ضبط النّفس وضده البطر[2] ، وفي الحرب شجاعة وضدّه الجبن ، وفي كظم الغيظ حلم وضدّه الغضب ، وفي النّوائب سعة الصّدر وضدّه ضيق الصّدر والضّجر والتبرم ، وفي إخفاء الأمر كتمان وضدّه الاضاعة وفي فضول العيش زهد وضدّه الحرص .

ومدد باعث الدّين من الملائكة الناصرين لحزب الله ، ومدد باعث الهوى من الشياطين الناصرين لأعداء الله ، فان ثبت باعث الدين بامداد الملائكة حتّى قهر باعث الهوى واستمرّ على مخالفته ، الحق بالصابرين ، وان تخاذل وضعف حتى غلب الهوى ولم يصبر في دفعه التحق باتباع الشياطين وهذا الثبات إنما يكون بقوة المعرفة التي تسمى إيمانا وهو اليقين بكون الهوى عدوّا قاطعا لطريق الله .

وقد وصف الله تعالى الصّابرين بأوصاف وكرّر ذكر الصّبر في القرآن وأضاف أكثر الخيرات والدّرجات إليه وجعلها ثمرة له فقال عزّ من قائل : ﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما

---

(١) شره كفرح غلب حرصه . م .
(٢) البطر سوء احتمال الغنى والطغيان عند النعمة ويقال هو التجبر وشدة النشاط . م .

صبروا﴾[1] وقال : **﴿وتمّت كلمة ربّك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا﴾**[2] وقال : **﴿ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾**[3] وقال : **﴿اولئك يؤتون أجرهم مرّتين بما صبروا﴾**[4] وقال : **﴿إنّما يوفى الصّابرون أجرهم بغير حساب﴾**[5] .

فما من قربة إلا وأجرها بتقدير وحساب إلا الصبر ، ووعد الصّابرين بأنه معهم فقال : **﴿واصبروا إن الله مع الصابرين﴾**[6] وعلق النصرة على الصّبر فقال : **﴿بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم**[7] **هذا يمددكم ربّكم بخمسة آلاف من الملائكة مسوّمين﴾**[8] وجمع للصابرين بين امور لم يجمعها لغيرهم فقال : **﴿اولئك عليهم صلوات من ربّهم ورحمة واولئك هم المهتدون﴾**[9] واستقصاء الآيات في مقام الصبر يطول .

وقال النبي (ص) : « الصبر نصف الايمان »[10] وقال (ص) : « من أقلّ ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصّبر ومن أعطي حظّه منهما لم يبال ما فاته من قيام اللّيل وصيام النهار »[11] وقال « الصبر كنز من كنوز الجنّة »[12] وسئل (ص) عن الايمان فقال : « الصّبر والسماحة »[13] وقال (ص) : « الصّبر من الايمان بمنزلة الرّأس من الجسد ولا جسد لمن لا رأس له ولا ايمان لمن لا صبر له »[14] .

وقال أمير المؤمنين (ع) : « بني الايمان (الاسلام خ) على أربع دعائم : اليقين والصبر والجهاد والعدل »[15] .

وقال الباقر (ع) : « من لا يعد الصّبر لنوائب الدهر يعجز »[16] وقال (ع) « الجنّة محفوفة

---

(١) سورة السجدة : آية ٢٤

(٢) سورة الاعراف : آية ١٣٧ (٣) سورة النحل : آية ٩٦ (٤) سورة القصص : آية ٥٤

(٥) سورة الزمر : آية ١٠

(٦) سورة الانفال : آية ٤٦ (٧) اي من غضبهم الذي غضبوه ببدر ، وأصل الفور الغليان والاضطراب ، وفي الحديث الحمى من فور جهنم أي من غليانها . م .

(٨) سورة آل عمران : آية ١٢٥ (٩) سورة البقرة : آية ١٥٧

(١٠) ارشاد القلوب : ص ١٢٧ وتنبيه الخواطر : ج١ص٤٠

(١١) احياء علوم الدين : ج١ ص٦٨ وفي مسكن الفؤاد : ص٤١

(١٢) احياء علوم الدنن : ج٤ص ٥٨ (١٣) احياء علوم الدين : ج٤ص٥٨

(١٤) ارشاد القلوب : ص١٢٦ وجامع الاخبار : ص ١١١ . (١٥) نهج البلاغة (قصار الحكم) حكمة رقم ٣٢ تابع الى رقم ١٤ وانظر الكافي : ج٢ ص ٨٧ (١٦) الكافي : ج٢ص٩٣

بالمكاره والصّبر ، فمن صبر على المكاره في الدنيا دخل الجنة ، وجهنّم محفوفة باللذات والشهوات فمن أعطى نفسه لذّتها وشهوتها دخل النار »[1] .

وقال الصّادق (ع) : « من ابتلى من المؤمنين ببلاء فصبر عليه كان له مثل أجر ألف شهيد »[2] وقال (ع) : « إن الله تعالى أنعم على قوم فلم يشكروا فصارت عليهم وبالا ، وابتلى قوما بالمصائب فصبروا فصارت عليهم نعمه »[3] ، والأخبار في فضيلة الصبر أكثر من أن تحصى .

الفصل الاول

في الصبر وأقسامه

اعلم أن ما يلقى العبد في هذه الحياة لا يخلو من نوعين : أحدهما ما يوافق هواه ، والآخر ما يكرهه ، وهو محتاج إلى الصبر في كلّ واحد منهما ، فهو اذن لا يستغني قط من الصبر .

أما ما يوافق هواه كالصحّة والسّلامة والمال والجاه وكثرة العشيرة واتساع الأسباب وكثرة الأتباع والأنصار وجميع ملاذ الدّنيا ، فالصّبر عليها أشدّ لأنه إن لم يضبط نفسه عن الاسترسال والرّكون إليها والانهماك في ملاذّها المباحة لها أخرجه ذلك إلى البطر والطغيان ، فان الانسان ليطغى أن رآه استغنى قال بعض العارفين : البلاء يصبر عليه المؤمن ، والعوافي لا يصبر عليها إلّا صدّيق وذلك لأنّه مقرون بالقدرة ومن العصمة أن لا نقدر ، والجائع عند غيبة الطعام أقدر على الصبر منه إذا حضرته الأطعمة الطيبة اللذيذة وقدر عليها .

وأما ما لا يوافق الهوى والطبع فلا يخلو إما أن يرتبط باختيار العبد كالطاعات والمعاصي ، أو لا يرتبط كالمصائب والنّوائب ، أولا يرتبط أو له باختياره ولكن له اختيار في إزالته كالتشفي بالموذي بالانتقام منه فهي ثلاثة أقسام .

الاول ما يرتبط باختياره وهو سائر أفعاله التي توصف بكونها طاعة أو معصية .

أما الطاعة فالصبر عليها شديد ، لأن النفس بطبعها تنفر عن العبودية وتشتهي الرّبوبيّة كما

---

(١) الكافي : ج٢ ص٨٩

(٢) الكافي : ج٢ ص٩٢ وجامع الاخبار : ص١١٢ (٣) الكافي : ج٢ ص٩٢

سبق بيانه ، ثمّ من العبادات ما يكره بسبب الكسل كالصّلاة ؛ ومنها ما يكره بسبب البخل كالزّكاة ، ومنها ما يكره بسببهما جميعاً كالحج والجهاد ، فالصبر على الطاعة صبر على الشدائد ويحتاج المطيع إلى الصّبر عليها في ثلاثة أحوال .

الاولى قبل الطاعة ، وذلك في تصحيح النية والاخلاص عن شوائب الرياء ودواعي الآفات والثانية حالة العمل كيلا يغفل عن الله في أثناء عمله ولا يتكاسل عن تحقيق آدابه وسننه ويدوم على ذلك إلى الفراغ والثالثة بعد الفراغ من العمل إذ يحتاج إلى الصبر عن افشائه والتظاهر به للسمعة والرّياء وعن النظر إليه بعين العجب وعن كل ما يبطل عمله ويحبط أجره .

فاما المعاصي فاشدّ أنواع الصّبر عنها الصّبر عما كان مألوفا بالعادة ، فان العادة طبيعة ثانية فاذا انضافت إلى الشّهوة تظاهر جندان من جنود الشيطان على جند الله ، فلا يقوى باعث الدين على قمعها .

ثمّ إن كان ذلك الفعل ممّا تيسّر فعله كان الصّبر عنه اثقل على النّفس ، كالصّبر عن معاصي اللسان من الغيبة والكذب والمراء والثناء على النفس تعريضا وتصريحا إلى غير ذلك وأيسر من حركة اللسان حركة الخواطر باختلاج الوساوس الا بأن يغلب على القلب هم آخر في الدين يستغرقه كمن أصبح وهمومه همّ واحد وأكثر جولان الخاطر إنّما يكون في فائت لا تدارك له أو في مستقبل لا بد وأن يحصل منه ما هو مقدّر ، وكيف ما كان هو تضييع زمان وآلة العبد قلبه فاذا غفل القلب في نفس واحد عن ذكر يستفيد به انسا بالله أو فكر يستفيد به معرفة بالله ويستفيد بالمعرفة محبة لله فهو مغبون .

القسم الثاني ما لا يرتبط هجومه باختياره وله اختيار في دفعه كما لو اوذي بفعل أوقول أو جني عليه في نفسه أو ماله فالصّبر على ذلك بترك المكافأة ، قال الله تعالى **﴿ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون﴾**(١) وقال تعالى : **﴿واصبر على ما يقولون واهجرهم هجراً جميلا﴾**(٢) وقال : **﴿ولتسمعنّ من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا أذىً كثيراً وإن تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور﴾**(٣) وقال النبي (ص) : « صل من قطعك واعط من حرمك واعف عمّن ظلمك »(٤) .

---

(١) سورة ابراهيم : آية ١٢ (٢) سورة المزمل : آية ١٠
(٣) سورة آل عمران : آية ١٨٦
(٤) ارشاد القلوب : ص ١٣٥ وانظر تحف العقول ، ص٣٧

القسم الثالث ما لا يدخل تحت الاختيار أوّله وآخره كالمصائب ، مثل موت الأعزّة وهلاك الأموال وزوال الصّحة بالمرض ونحو ذلك وهذا صبر مستنده اليقين .

قال النبيّ (ص) : « أسألك من اليقين ما يهون به على مصائب الدنيا »[1] وقال (ص) : « ما من عبد اصيب بمصيبة فقال كما أمره الله : إنّا لله وإنّا إليه راجعون اللهمّ اجرني في مصيبتي واعقبني خيراً منها ، إلا فعل الله ذلك »[2] وقال (ص) : قال الله عزّ وجلّ : « إذا وجهت إلى عبدي مصيبة في بدنه أو ماله أو ولده ثمّ استقبل ذلك بصبر جميل ، استحييت منه يوم القيامة أن أنصب له ميزانا أو أنشر له ديوانا »[3] .

وقال (ص) : الصبر ثلاثة : « صبر عند المصيبة وصبر على الطاعة وصبر عن المعصية فمن صبر على المصيبة حتّى يردّها بحسن عزائها كتب الله له ثلاثمأة درجة ما بين الدّرجة إلى الدّرجة كما بين السّماء والأرض ، ومن صبر على الطاعة كتب الله له ستّمأة درجة ما بين الدّرجة إلى الدرجة كما بين تخوم الأرض[4] إلى العرش ، ومن صبر عن المعصية كتب الله له تسعمأة درجة ما بين الدّرجة إلى الدّرجة كما بين تخوم الأرض إلى منتهى العرش »[5] .

وقال الباقر (ع) : « الصّبر صبران : صبر على البلاء حسن (صبر خ) جميل وأفضل الصبرين الورع عن محارم الله تعالى »[6] .

الفصل الثاني
الصبر في المصائب

إن قلت : فبما ذا ينال درجة الصّبر في المصائب وليس الامر باختياره فهو مضطر شاء أم أبى ، فان كان المراد به أن لا يكون في نفسه كراهية المصيبة فذلك غير داخل تحت الاختيار .

فاعلم أنّه إنّما يخرج عن مقام الصّابرين بالجزع وشق الجيوب وضرب الخدود والمبالغة

(١) احياء علوم الدين : ج ٤ ص ٦٩ . (٢) احياء علوم الدين : ج ٤ ص ٦٩ .
(٣) احياء علوم الدين : ج ٤ ص ٦٩ .
(٤) التخوم بالضم الفصْل بين الأرضين من المعالم والحدود . ق .
(٥) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ٤٠ وجامع الأخبار : ص ١١١ والكافي : ج ٢ ص ٩١ .
(٦) الكافي : ج ٢ ص ٩١ وتنبيه الخواطر : ج ١ ص ١٦ وانظر كنز الفوائد : ج ١ ص ١٣٩ .

في الشكوى وإظهار الكآبة وتغيير العادة في الملبس والمفرش والمطعم ونحوها ، وهذه الامور داخلة تحت الاختيار فينبغي أن يجتنب جميعها ويظهر الرّضا بقضاء الله تعالى ويبقى مستمرا على عادته ويعتقد أن ذلك كان وديعة فاسترجعت ولا يخرجه عن حدّ الصابرين توجع القلب ولا فيضان العين بالدمع ، فان ذلك مقتضى البشرية ولا يفارق الانسان إلى الموت .

ولذلك لما مات إبراهيم ولد النبيّ (ص) : « فاضت عيناه فقيل له أما نهيتنا عن هذا ؟ فقال : إن هذا رحمة وإنما يرحم الله من عباده الرّحماء »[1] وقال (ص) : « العين تدمع والقلب يحزن ، ولا نقول ما يسخط الرّب »[2] .

بل ذلك أيضاً لا يخرج من مقام الرّضا فان المقدم على الفصد والحجامة راض به وهو متألم بسببه لا محالة ، نعم من كمال الصّبر كتمان المرض والفقر وسائر المصائب وقد قيل : من كنوز البرّ كتمان المصائب والأوجاع والصدقة .

وعن الباقر (ع) قال : « قال رسول الله (ص) : قال الله تعالى : من مرض ثلاثاً فلم يشك الى عواده أبدلته لحما خيراً من لحمه ، ودماً خيراً من دمه ، فان عافيته عافيته ولا ذنب له ، وإن قبضته قبضته إلى رحمتي »[3] .

وفي معناه أخبار اخر ، وفي بعضها فسر التبديل بخير بان يبدله لحما ودماً وبشرة لم يذنب فيها ، وفسر الشكاية بأن يقول ابتليت بما لم يبتل به أحد وأصابني ما لم يصب أحداً قال : وليس الشّكوى أن تقول أسهرت البارحة وحممت اليوم ونحو هذا .

وعن الصّادق (ع) : « من اشتكى ليلة فقبلها بقبولها وأدى إلى الله شكرها كانت كعبادة ستين سنة ، سئل ما قبولها ، قال : يصبر عليها ولا يخبر بما كان فيها فاذا اصبح حمد الله على

---

(١) رواه البزار والطبراني من حديث عبد الرحمن بن عوف قال : بعثت ابنة لرسول الله (ص) ان ابنتي مغلوبة فقال للرسول : قل لها ان الله ما اخذ وله ما أعطى ثم بعثت اليه ثانية فقال لها مثل ذلك ، ثم بعثت إليه الثالثة فجاءها في ناس من اصحابه فأخرجت اليه الصبية ونفسها تقعقع (أي تضطرب) في صدرها ، فرّق عليها فذرفت عيناه ففطن به بعض أصحابه وهم ينظرون اليه حين ذرفت عيناه ، فقال « ما لكم تنظرون رحمة الله يضعها حيث يشاء انما يرحم الله من عباده الرحماء » .

راجع مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٨ ما عثرت على لفظ ما نقاه المصنف .

(٢) الكافي : ج ٣ ص ٢٦٢ وتحف العقول : ص ٣٢ . (٣) الكافي : ج ٣ ص ١١٥ .

ما كان »[1] وسئل الباقر (ع) عن الصبر الجميل فقال : « ذاك صبر ليس فيه شكوى إلى الناس »[2].

وعن النبيّ (ص) : « من إجلال الله ومعرفة حقّه أن لا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك »[3]، وأما الشكاية إلى الله تعالى وسؤاله الرفع فحسن قال يعقوب : إنّما أشكو بثي وحزني إلى الله .

الفصل الثالث

الطريق الى تحصيل الصبر

الطريق إلى تحصيل الصّبر تقوية باعث الدّين وتضعيف باعث الهوى بالمجاهدة والرّياضة وذكر قلّة قدر الشدة ووقتها واضرار الجزع وقبحه ، وأن يكثر فكرته فيما ورد في فضل الصبر وفي حسن عواقبه في الدّنيا والآخرة ، وأن يعلم أن ثواب الصبر على المصيبة أكثر ممّا فات ، وأنّه بسبب ذلك مغبوط بالمصيبة إذ فاته ما لا يبقى معه إلا مدة الحياة الدنيا وحصل له ما يبقى بعد موته أبد الدّهر ، ومن أسلم[4] خسيساً في نفيس فلا ينبغي أن يحزن لفوات الخسيس في الحال .

وأن يعوّد [5] هذا الباعث مصارعة باعث الهوى تدريجا حتى يدرك لذة الظفر بها فيستجري عليها ويقوي منّته[6] في مصارعتها ، فان الاعتياد والممارسة للاعمال الشاقة تؤكد القوى التي تصدر منها تلك الأعمال ، ومن عوّد نفسه مخالفة الهوى غلبها مهما أراد .

ثمّ إن كان ذلك بتعب قويّ فتصبر ؛ وإن كان بيسير فصبر ، وإن كان ذا جهد فرضاء ، وإن كان بتلذذ فشكر وهو بالغيبة عن حظوظ النفس والشهود مع الله وعدم التميز بين الألم واللذّة .

الباب الثاني

في الرضا وطريق تحصيله

في الرّضا والشكر ، أمّا الرّضا فهو ترك الاعتراض والسخط قال الله تعالى : ﴿رضي الله

---

(١) الكافي : ج ٣ ص ١١٦ . (٢) الكافي : ج٢ ص٩٣ .

(٣) احياء علوم الدين : ج ٤ ص ١٢٣ . (٤) قوله : أسلم أي أسلف .

(٥) قوله : وأن يعود : عطف على قوله : وأن يعلم . (٦) المنة بالضم : القوة .

عنهم ورضوا عنه﴾[1] وعن النبي (ص): «انّه سأل طائفة من أصحابه ما أنتم فقالوا : مؤمنون فقال : ما علامة إيمانكم ، قالوا : نصبر عند البلاء ونشكر عند الرخاء ونرضى بمواقع القضاء فقال (ص) : مؤمنون وربّ الكعبة ، وفي خبر آخر قال : حكماء علماء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء »[2] .

وعن السّجاد (ع) « الصّبر والرّضا عن الله رأس طاعة الله ، ومن صبر ورضي عن الله فيما قضى عليه فيما أحبّ أو كره لم يقض الله فيما أحب أو كره إلاّ ما هو خير له »[3] .

وعن الباقر (ع) « أحق خلق الله أن يسلم لما قضى الله ، من عرف الله ومن رضي بالقضاء اتى عليه القضاء وعظم الله أجره ، ومن سخط القضاء مضى عليه القضاء وأحبط الله أجره »[4] .

وعن الصّادق (ع) : «إن أعلم النّاس بالله أرضاهم بقضاء الله »[5] وعنه (ع) : «ان فيما أوحى الله إلى موسى بن عمران يا موسى بن عمران ، ما خلقت خلقاً أحبّ إلي من عبدي المؤمن ، وإني انما ابتليه لما هو خير له ، وأزوي[6] عنه لما هو خير له وأنا أعلم بما يصلح عليه عبدي ، فليصبر على بلائي وليشكر نعمائي وليرض بقضائي أكتبه في الصديقين عندي إذا عمل برضائي وأطاع أمري »[7] .

وعن الكاظم (ع) : «ينبغي لمن يعقل عن الله أن لا يستبطئه في رزقه ، ولا يتّهمه في قضائه »[8] .

وفائدة الرضا في الحال فراغ القلب للعبادة والراحة من الهموم وفي المآل رضوان الله والنجاة من غضبه فقد قال الله سبحانه : «من لم يرض بقضائي ولم يصبر على بلائي فليطلب ربّا سوائي».

والطريق إلى تحصيله أن يعلم أن ما قضى الله سبحانه له فهو الأصلح بحاله وإن لم يبلغ علمه بسرّه ولا مدخل للهمّ فيه ولا يتبدل القضاء به ، فان ما قدر يكون وما لم يقدر لم يكن ،

---

(١) سورة المائدة : آية ١١٩ . (٢) احياء علوم الدين ج ٤ ص ٣١٦ .

(٣) اصول الكافي ج ٢ ص ٦٠ . (٤) اصول الكافي ج ٢ ص ٦٢ . (٥) أصول الكافي ج ٢ ص ٦٠

(٦) أي اضم واقبض ومنه الحديث : ما زوى الله عن المؤمن في هذه الدنيا خير له مما عجل فيها .

(٧) اصول الكافي ج ٢ ص ٦١ . (٨) اصول الكافي ج ٢ ص ٦١ .

وحسرة الماضي وتدبير الآتي يذهبان ببركة الوقت ، فلا فائدة وتبقى تبعة السّخط عليه ، بل ينبغي أن يدهشه الحب عن الاحساس بالألم كما للعاشق والحريص ، وأن يهوّن عليه العلم بجزالة الثواب الشدة كما للمريض والتاجر المتحملين شدة الحجامة والسفر ، فيفوّض أمره إلى الله إنّ الله بصير بالعباد .

وقال الصّادق (ع) : « لم يكن رسول الله (ص) يقول لشيء مضى : لو كان غيره »[1] .

الفصل الأول
الحب والصبر يورثان الرضا

اعلم أنّ من قال ليس فيما يخالف الهوى وأنواع البلاء إلا الصّبر فأمّا الرضاء فلا يتصوّر ، فانما أتى من ناحية انكار المحبّة فأما إذا ثبت تصوّر الحب لله واستغراق الهمّ به فلا يخفى أنّ الحب يورث الرّضاء بأفعال الحبيب ويكون ذلك من وجهين .

أحدهما أن يبطل الاحساس بالألم حتّى يجري عليه المولم ولا يحس به ، ويصيبه جراحه ولا يدرك ألمها ، ومثاله الرّجل المحارب فانه في حال غضبه أو حال خوفه قد تصيبه جراحة وهو لا يحس بها فاذا رأى الدّم استدلّ به على الجراحة ، بل الذي يعدو في شغل قريب قد تصيبه شوكة في قدمه ولا يحس بألمه لشغل قلبه ، وذلك لأن القلب إذا صار مستغرقاً بأمر من الامور مستوفي به لم يدرك ما عداه .

وكذلك العاشق المستغرق الهم بمشاهدة معشوقه أو بحبّه قد يصيبه ما كان يتألم به أو يغتم لولا عشقه ثمّ لا يدرك غمّه وألمه لفرط استيلاء الحبّ على قلبه ، هذا إذا أصابه من غير حبيبه فكيف إذا أصابه من حبيبه ، وجمال الحضرة الرّبوبية وجلالها لا يقاس به جمال ، فمن ينكشف له شيء منه فقد يبهره[2] بحيث يدهش ويغشى عليه ولا يحسّ بما يجري عليه .

وأما الوجه الثاني فهو أن يحس به ويدرك ألمه ولكن يكون راضيا به بل راغباً فيه مريداً له بعقله وإن كان كارهاً له بطبعه ، كالذي يلتمس من الفصاد الفصد والحجامة فانه يدرك ألمه إلاّ أنّه راض به وراغب فيه ومتقلّد منه المنة ، فهذه حالة الرّضا بما يجري عليه من الالم ومهما أصابته بليّة من الله عزّ وجلّ وكان له يقين بأن ثوابه الذي ادّخر له فوق ما فاته رضي به ورغب فيه وأحبه وشكر الله عليه .

---

(١) الكافي ج ٢ ص ٦٣ . (٢) البهر بالفتح والسكون : العجب يقال : بهرا لفلان اي عجبا له م .

هذا إن كان يلاحظ الثواب الـذي يجازى بـه عليه ، ويجـوز أن يغلب الحبّ بحيث يكون حظ المحب في مراد حبيبه ورضاه لا لمعنى آخر وراءه ، فيكون مراد حبيبه ورضاه محبوباً عنـده ومـطلوبا ، وكـلّ ذلك مـوجود في المشـاهدات في حبّ الخلق وقـد تواصفهـا المتواصفـون في نظمهم ونثرهم .

وقد روينا أن أهـل مصر مكثـوا أربعة أشهـر لم يكن لهم غذاء إلاّ النـظر إلى وجه يـوسف الصديق (ع) ، كانوا إذا جاعوا نظروا إلى وجهه فشغلهم جماله عن الاحساس بألم الجوع ، بـل في القرآن ما هو أبلغ من ذلك[1] وهو قطع النّسوة أيديهن لاستهتـارهن بملاحـظة جمالـه حتّى ما أحسن بذلك .

ويروى أن عيسى (ع) : «مر برجل أعمى أبرص مقعد مضـروب الجنبين بفالـج وقد تنـاثر لحمه من الجذام وهو يقول : الحمد لله الذي عافاني ممّا ابتلى به كثيراً من خلقه فقال له عيسى (ع) : يا هذا أي شيء من البلاء تراه مصروفاً عنك ؟ فقال : يا روح الله أنا خيـر ممن لم يجعل الله في قلبه ما جعل في قلبي من معرفته ، فقال : صدقت هات يـدك فناولـه يده فـاذا هو أحسن النّاس وجهاً وأفضلهم هيئة قد أذهب الله عنه ما كان به ، فصحب عيسى (ع) وتعبّد معه»[2] .

الفصل الثاني
في الرضا وان الدعاء غير مناقض له

اعلم ان الدعاء غيـر مناقض للرّضـا وكذلك كراهة المعـاصي ومقت أهلها وحسم أسبـابها والسعي في ازالتهـا بالأمر بالمعـروف والنّهي عن المنكر ، وقـد غلط في ذلك قوم من البطالين المغترين وزعموا أن المعاصي والفجور والكفر من قضاء الله وقدره فيجب الرضا به ، وهذا جهل بالتأويل وغفلة عن أسرار الشرع .

فـأما الـدعاء فقـد تعبّدنـا به وكثـرت أدعية الأنبيـاء والأئمة (ع) وكـانوا في أعلى مقـامـات الـرّضا ، وقـد أثنى الله عزّ وجـل على بعض عباده بقـوله : ﴿يـدعوننـا رغبـاً ورهباً[3]﴾[4] وقـال

---

(١) حيث قال تعالى في سورة يوسف : ﴿فلما رأينه اكبرنه . . . وقطعن ايديهن وقلن حاشى لله ما هذا بشراً ان هذا إلا ملك كريم﴾ .

(٢) احياء علوم الدين ج ٤ ص ٣٢٠ .

(٣) الرغبة السؤال والطلب ، والرهبة الخوف وفي الحديث : لا تجتمع الرغبة والرهبة في قلب الا وجبت له الجنة .

(٤) سورة الانبياء : آية ٩٠ .

: ﴿ادعوني أستجب لكم﴾[1] .

وأمّا انكار المعاصي وكراهتها فقد تعبّد الله عزّ وجلّ به عباده وذمهم على الرضا بها فقال : ﴿ورضوا بالحيوة الدّنيا واطمأنوا بها﴾[2] وقال : ﴿رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم﴾[3] وفي الخبر المشهور : « من شهد منكراً ورضي به فكأنّه قد فعله »[4] ، وفي آخر« لو أن عبداً قتل بالمشرق ورضي بقتله آخر في المغرب كان شريكه في قتله »[5] .

وأمّا الكفّار والفجّار ومقتهم والانكار عليهم فما ورد فيه من شواهد القرآن والأخبار لا يحصى ، وقد ورد : « أوثق عرى الايمان الحبّ في الله والبغض في الله »[6] .

فان قلت : قد وردت الآيات والأخبار بالرّضا بقضاء الله فكراهتها ومقتها كراهة لقضاء الله فكيف السّبيل إلى الجمع بينهما ، وهو متناقض على هذا الوجه وكيف الجمع بين الرّضى والكراهة في شيء واحد ؟

فاعلم أنّ هذا ممّا تلتبس على الضعفاء القاصرين على الوقوف على أسرار العلوم وقد التبس على قوم حتى رأوا السّكوت على (عن خ) المنكرات مقاما من مقامات الرّضا وسمّوه بحسن (حسن خ) الخلق ، وهو جهل محض .

بل نقول : الرضا والكراهة متضادان إذا وردا على شيء واحد على وجه واحد وليس من التضاد في شيء واحد أن يكره من وجه ويرضى به من وجه إذ قد يموت عدوّك الذي هو عدوّ بعض أعداءك وساع في إهلاكه فتكره موته من حيث إنّه مات عدوّ عدوّك وترضاه من حيث إنه مات عدوّك .

وكذلك المعصية لها وجهان : وجه إلى الله عزّ وجل من حيث إنه فعله واختياره وإرادته فترضى به من هذا الوجه تسليماً للملك إلى مالك الملك ورضا بما يفعله فيه ، ووجه من العبد من حيث إنّه كسبه ووصفه وعلامة كونه ممقوتا عند الله وبغيضاً عنده حيث سلط عليه أسباب البعد والمقت فهي من هذا الوجه منكر ومذموم ويشهد لذلك كلّ ما يكره من وجه ويرضى به من وجه ونظائر ذلك لا تحصى .

---

(١) سورة غافر : آية ٦٠ . (٢) سورة يونس : آية ٧ . (٣) سورة التوبة : آية ٨٧ .
(٤) إحياء علوم الدين : ج ٤ ص ٣٢٢ . (٥) روضة الواعظين : ص ٤٦١ . (٦) المحاسن : ج ١ ص ٢٦٣

فواجب على كلّ عبد محب لله عزّ وجلّ أن يبغض من أبغضه الله ويمقت من مقته الله وان اضطره بقهره وقدرته إلى معاداته ومخالفته موافقة للمحبوب باظهار الغضب على من أظهر المحبوب الغضب عليه بابعاده .

وبهذا يجمع بين ما ورد في الحب في الله والبغض في الله مع الرضا بقضاء الله ، وهذا يستمَدّ من سرّ القدر الذي لا رخصة في إفشائه ، وهو أن الشر والخير داخلان في المشية والارادة ولكن الشر مراد مكروه والخير مراد مرضى به ، وكشف الغطاء عنه غير مأذون فيه فالأولى السكوت عنه والتأدّب بادب الشرع ، فقد ظهر الغرض من غير حاجة إلى كشف السّر فيه .

الفصل الثالث

في الشكر وطريق تحصيله

أما الشكر فهو عرفان النعمة من المنعم والفرح به والعمل بموجب الفرح باضمار الخير والتحميد لله واستعمال النعمة في طاعته .

أما المعرفة فبأن يعرف ان النعم كلها من الله تعالى وأنه هو المنعم والوسايط مسخرون من جهته ، وإنما الذي أنعم عليك هو الذي سخرهم لك وألقى في قلوبهم من الاعتقادات والارادات ما صاروا به مضطرين إلى الايصال إليك ، فمن عرف ذلك فكانت معرفته شكر الله وهذا هو الشكر بالقلب .

وأما الفرح بالمنعم مع هيئة الخضوع والتواضع فهو أيضاً في نفسه شكر على حدة كما أن المعرفة شكر ، فان كان فرحك بالنّعم خاصة لا بالنعمة ولا بالانعام ومن حيث إنّه تقدر بها على التوصّل إلى القرب منه والنّزول في جواره ، فهو الرّتبة العليا في الشكر ، وأمارته أن لا تفرح بالدّنيا إلا بما هو مزرعة الآخرة ومعينة عليها ، وتحزن بكل نعمة تلهيك عن ذكر الله وتصدك عن سبيله ، وهذا أيضاً شكر بالقلب .

أمّا العمل بموجب الفرح الحاصل من معرفة المنعم ، فهو القيام بما هو مقصود المنعم ومحبوبه ويتعلّق بالقلب واللسان والجوارح أما بالقلب فقصد الخير وإضماره لكافة الخلق وأما باللسان فاظهار الشكر لله بالتحميد الدال عليه وأما بالجوارح فاستعمال نعم الله في طاعته

والتوقي بالاستعانة بها على معصيته حتّى أن من شكر العينين أن تستر كلّ عيب تراه بمسلم ، ومن شكر الاذنين أن تستر كلّ عيب تسمعه لمسلم ، فيدخل هذا وأمثاله في جملة شكر نعمة هذه الأعضاء .

بل نقول : ومن كفر نعمة العين فقد كفر نعمة الشّمس أيضاً إذ الابصار إنما يتم بهما وإنما خلقتا ليصبر بهما ما ينفعه في دينه ودنياه ويتقي بهما ما يضرّه فيهما ، بل نقول : المراد من خلق الأرض والسّماء وخلق الدّنيا وأسبابها أن يستعين الخلق بها على الوصول إلى الله ، ولا وصول إليه إلا بمحبته والانس به في الدنيا والتجافي[1] عن غرور الدّنيا ، ولا انس الا بدوام الذّكر ، ولا محبة الا بالمعرفة الحاصلة بدوام الفكر ، ولا يمكن الدّوام على الذكر والفكر إلا ببقاء البدن ، ولا يبقى البدن إلا بالأرض والماء والهواء (والنّار خ) ، ولا يتم ذلك إلا بخلق الأرض والسّماء وخلق ساير الأعضاء ، وكل ذلك لاجل البدن والبدن مطية النّفس والرّاجع إلى الله هي المطمئنة بطول العبادة والمعرفة .

فكلّ من استعمل شيئاً في غير طاعة الله فقد كفر نعمة الله في جميع الأسباب التي لا بدّ منها لاقدامه على تلك المعصية قال الله تعالى : ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾[2] وقال عزّ وجلّ : ﴿ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم﴾[3] .

وعن الصادق (ع) قال: قال رسول الله (ص) : « الطاعم الشاكر له من الأجر كأجر الصّايم المحتسب ، والمعافى الشاكر له من الأحر كأجر المبتلي الصابر ، والمعطى الشاكر له من الأجر كأجر المحروم القانع »[4] .

---

(١) في القاموس جفا جفاء وتجافى : لم يلزم مكانه وفي مجمع البيان : التجافي : الارتفاع عن الشيء وفي مجمع البحرين في قوله تعالى ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾قال : اي ترفع وتنبو عن الفرش . وفي حديث المسبوق بالصلاة اذا جلس تتجافى ولا يتمكن من القعود قال : اي يرتفع عن الأرض ويجلس مقعيا غير متمكن .

أقول : ومنه دعاء السجاد (ع) في الليلة السابعة والعشرين من شهر رمضان وكان يدعو به مكرراً من أول الليل الى آخره :

أللهم ارزقني التجافي عن دار الغرور ، والانابة الى دار الخلود ؛ والاستعداد للموت قبل حلول الفوت .

(٢) سورة سبأ : آية ١٣ . (٣) سورة النساء : آية ١٤٧ .

(٤) الكافي : ج ٢ ص ٩٤ .

وعنه (ع) قال : « من اعطي الشكر اعطى الزيادة »[1] قال الله تعالى : ﴿لئن شكرتم لأزيدنّكم﴾[2] وعنه (ع) قال : « ما أنعم الله على عبد من نعمة فعرفها بقلبه وحمد الله ظاهراً بلسانه فتم كلامه حتّى يؤمر له بالمزيد »[3] .

وعن الباقر (ع) قال : « كان رسول الله (ص) عند عايشة ليلتها فقالت : يا رسول الله لم تتعب نفسك وقد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر ؟ فقال (ص) : يا عايشة ألا أكون عبداً شكوراً قال : وكان رسول الله (ص) يقوم على أصابع رجليه فانزل الله سبحانه ﴿طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى﴾[4] .

وعن الصّادق (ع) : « شكر النّعم اجتناب المحارم وتمام الشّكر قول الرّجل الحمد لله ربّ العالمين »[5] .

وسئل (ع) : « هل للشكر حد إذا فعله العبد كان شاكراً ؟ قال : نعم قيل : ما هو ؟ قال : يحمد الله على كلّ نعمة عليه في أهل ومال وإن كان فيما أنعم عليه في مال حق أداه ومنه قوله سبحانه : ﴿سبحان الذي سخّر لنا هذا وما كنا له مقرنين[6] ﴾[7] ومنه قوله : ﴿ربّ انزلني منزلا مباركاً وأنت خير المنزلين﴾[8] وقوله : ﴿ربّ ادخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيراً﴾[9] »[10] .

وعنه (ع) قال : كان رسول الله (ص) « إذا ورد عليه أمر يسرّه قال : الحمد لله على هذه النعمة ، وإذا ورد عليه أمر يغتم به قال : الحمد لله على كل حال »[11] .

وعن الباقر (ع) قال : « إذا ذكر أحدكم نعمة الله فليضع خدّه على التّراب شكراً لله ، فان كان راكباً فلينزل وليضع خدّه على التراب ، وإن لم يكن يقدر على النزول للشهرة فليضع خدّه على قربوسه ، فان لم يقدر فليضع خدّه على كفه ثمّ ليحمد الله على ما انعم عليه »[12].

---

(١) الكافي : ج ٢ ص ٩٥ والمحاسن : ج ١ ص ٣ .
(٢) سورة ابراهيم : آية ٧ . (٣) الكافي : ج ٢ ص ٩٥ . (٤) الكافي : ج ٢ ص ٩٥ والآية سورة طه : اية ٢ .
(٥) الكافي : ج ٢ ص ٩٥ . (٦) اي مطيعين من أقرن له اذا أطاعه . م . (٧) سورة الزخرف : آية ١٣ .
(٨) سورة المؤمنون : آية ٢٩ . (٩) سورة الاسراء : آية ٨٠ .
(١٠) الكافي : ج ٢ ص ٩٦ . (١١) الكافي : ج ٢ ص ٩٧ . (١٢) الكافي : ج ٢ ص ٩٨ .

الفصل الرابع
الشكر ايضاً نعمة من الله

اعلم أنّه لا يبلغ أحد حقيقة الشّكر إلا بان يعلم أن النعم كلها من الله وأن الشكر أيضاً نعمة من الله تحتاج إلى شكر آخر وهكذا .

قال الصّادق (ع) : « أوحى الله عزّ وجلّ إلى موسى (ع) يا موسى اشكرني حق شكري فقال: يا ربّ وكيف أشكرك حقّ شكرك وليس من شكر أشكرك به إلاّ وأنت أنعمت به عليّ قال : يا موسى الآن شكرتني حيث علمت أن ذلك منّي »[1] .

وعن السّجاد (ع) قال : « كان إذا قرأ هذه الآية ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾[2] يقول : سبحان من لم يجعل في أحد من معرفة نعمه إلا المعرفة بالتقصير عن معرفتها كما لم يجعل في أحد من معرفة إدراكه أكثر من العلم بأنّه لا يدركه ، فشكره تعالى معرفة العارفين بالتقصير عن معرفة شكره فجعل معرفتهم بالتقصير شكراً كما علم علم العالمين بانهم لا يدركونه فجعله إيماناً علما منه أنّه قد وسع العباد فلا يتجاوز ذلك فان شيئاً من خلقه لا يبلغ مدى عبادته وكيف يبلغ مدى عبادة من لا مدى له ولا كيف ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً »[3] .

وعن الصّادق (ع) « قال إذا أصبحت وأمسيت فقل عشر مرّات : اللهمّ ما أصبحت بي من نعمة أو عافية في دين أو دنيا فمنك وحدك لا شريك لك لك الحمد ولك الشّكر بها عليّ يا ربّ حتّى ترضى وبعد الرّضا ، فانك إذا قلت ذلك كنت قد أدّيت شكر ما أنعم الله به عليك في ذلك اليوم وفي تلك اللّيلة »[4] .

وفي رواية كان نوح (ع) « يقول ذلك إذا أصبح فسمّي بذلك عبداً شكوراً »[5] .

وعنه (ع) مكتوب في التوراة : « اشكر من انعم عليك وأنعم على من شكرك فانه لا زوال للنعماء إذا شكرت ولا بقاء لها إذا كفرت ، الشكر زيادة في النعم وأمان من الغير ، »[6] يعني من تغير الحال وانتقالها من الصّلاح إلى الفساد .

---

(١) الكافي : ج ٢ ص ٩٨ . (٢) سورة ابراهيم : آية ٣٤ .
(٣) تحف العقول : ص ٢٠٥ . (٤) الكافي : ج ٢ ص ٩٩ . (٥) الكافي : ج ٢ ص ٩٩ .
(٦) الكافي : ج ٢ ص ٩٤ .

وعن السّجاد (ع) قال: « إن الله تعالى يحبّ كلّ قلب حزين ويحبّ كلّ عبد شكور يقول الله تبارك وتعالى لعبد من عبيده يوم القيامة: أشكرت فلانا ؟ فيقول: بل شكرتك يا ربّ فيقول لم تشكرني إذ لم تشكره، ثم قال: أشكركم لله أشكركم للنّاس »[1].

الفصل الخامس
النعم إما دنيوية أو إما دينية

اعلم أن النعم إما دنيويّة كالخلقة السّوية والملاذّ الشّهية وصرف المفاسد والمضار، وإما دينية كالاسلام ومعرفة الأئمة المعصومين (ع) والتوفيق على الطاعة والمعصية عن المعصية والدينية أعظم لايصالها إلى السّعادة الابديّة والانجاء من الشقاوة السّرمدية واشتراك الكفار في الدنيوية واغتنام الأبرار زوال ما لا يهتم منها.

قال الكاظم (ع) « من حمد الله على النعمة فقد شكره، والحمد أفضل من تلك النّعمة »[2].

والطريق إلى تحصيل الشكر المعرفة والتفكر في صنائعه تعالى والنظر إلى الأدنى في الدنيا وإلى الاعلى في الدّين، ويشكر في المصائب على أن لا يصيبه أكبر منها، وأن لا تكون في الدّين، وأن تعجل عقوبته ولا تدخر للاخرة، وأنّها كانت آتية ففرغ منها، وأن ثوابها خير له، وأنها تنقص من القلب حبّ الدنيا فهي في التحقيق نعم إذ لا تخلو عن تكفير الخطيئة أو رياضة النّفس أو رفع الدّرجة ومع ذلك كله فالعافية خير من البلاء.

فعن النبي (ص)« أنّه كان يستعيذ في دعائه من بلاء الدنيا وبلاء الآخرة »[3] وكان يقول هو والأنبياء والأوصياء (ع): ﴿ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة﴾[4] و « كانوا يستعيذون من شماتة الأعداء »[5].

(١) الكافي: ج ٢ ص ٩٩.
(٢) الكافي: ج ٢ ص ٩٦. (٣) احياء علوم الدين: ج ٤ ص ١٢٥. (٤) سورة البقرة: آية ٢٠١.
(٥) انظر إحياء علوم الدين: ج ٤ ص ١٢٥ هامش رقم ٣.

وقال رسول الله (ص) : « سلوا الله العافية فما اعطي عبد أفضل من العافية إلا اليقين »[١] وأشار باليقين إلى عافية القلب من مرض الجهل والشك فان عافية القلب أعلى من عافية البدن .

الباب الثالث

في الرجاء والخوف

في الرّجاء والخوف ، أمّا الرّجاء فهو ارتياح القلب لانتظار محبوب ، فان حصل أكثر أسبابه فالاصدق اسم الرّجاء كتوقع الحصاد[٢] ممن ألقى بذرا جيّداً في أرض صالحة يصلها الماء ، وإن فقد فالغرور والحماقة كما لو ألقي في غير صالحة لا يصلها الماء ، وإن شكّ فيها فالتمني كما إذا صلحت الارض ولا ماء .

وذلك لأن الدنيا مزرعة الاخرة والقلب كالأرض والايمان كالبذر فيه والطاعات جارية مجرى تقليب الأرض وتطهيرها ومجرى حفر الأنهار وسياقة الماء إليها ، والقلب المستهتر بالدّنيا المستغرق بها كالأرض السبخة[٣] التي لا ينمى فيه البذر ويوم القيامة يوم الحصاد ولا يحصد أحد إلا ما زرع ولا ينمى زرع الايمان إلا من بذر الايمان ، وقلّما ينفع إيمان مع خبث القلب وسوء أخلاقه كما لا ينمى بذر في أرض سبخة .

فينبغي أن يقاس رجاء العبد المغفرة برجاء صاحب الزّرع (الأرض خ) فكل من طلب أرضاً طيبة وألقى فيها بذراً جيداً ثمّ أمده بما يحتاج إليه من تنقية الأرض مما يمنع نبات البذر أو يفسده وسوق الماء إليه من أوقاته ثمّ جلس منتظراً من فضل الله دفع الافات المفسدة إلى أن يتم الزرع ويبلغ غايته ، سمي انتظاره رجاء .

وإن بث البذر في أرض سبخة مرتفعة لا ينصب إليها ماء ولم يشتغل بتعهّد البذر أصلا ثم انتظر الحصاد منه سمي انتظاره حمقا وغروراً لا رجاء .

وإن بث[٤] البذر في أرض طيبة ولكن لا ماء لها ولكن ينتظر مياه الامطار حيث لا يغلب

---

(١) الترغيب والترهيب : ج ٤ ص ٢٧٢ .

(٢) الحصاد بالفتح والكسر قطع الزرع وفي الخبر نهى عن حصاد الليل . وانما نهى عنه لمكان المساكين أن يحضروه ؛ وقيل كي لا يصيب الناس الهوام . م .

(٣) السبخة بالفتح أرض مالحة يعلوها الملوحة ولا تكاد تنبت الا بعض الأشجار . م .

(٤) بث الخبر أذاعه ونشره . والشيء : فرقه . المنجد .

الأمطار ولا تمتنع أيضاً سمّي انتظاره تمنّيا لا رجاء ، فاذن اسم الرّجاء إنما يصدق على انتظار محبوب تمهدت جميع أسبابه الداخلة تحت اختيار العبد ولم يبق إلاّ ما ليس يدخل تحت اختياره وهو فضل الله تعالى بصرف القواطع والمفسدات .

فالعبد إذا بثّ بذر الايمان بماء الطاعات وطهّر القلب من شوك الأخلاق الرّدية وانتظر من فضل الله تثبيته على ذلك إلى الموت وحسن الخاتمة المفضية إلى المغفرة كان انتظاره رجاء حقيقيا محموداً في نفسه باعثا له على المواظبة والقيام بمقتضى الايمان في إتمام أسباب المغفرة إلى الموت .

وإن قطع عن بذر الايمان تعهّده بماء الطاعات أو ترك القلب مشحونا برذائل الأخلاق وانهمك في طلب لذّات الدنيا ثمّ انتظر المغفرة فانتظاره حمق وغرور قال الله تعالى : **﴿إنّ الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله﴾**[١] وقال عزّ وجل : **﴿فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا﴾**[٢] .

وقال النبيّ (ص) : « الكيّس[٣] من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ؛ والأحمق من اتبع نفسه هواه وتمنى على الله الأماني »[٤] .

وقيل للصّادق (ع) : « إن قوما من مواليك يلمّون بالمعاصي ويقولون : نرجو فقال (ع) : كذبوا ليسوا لنا بموال ، اولئك قوم ترجحت بهم الأماني من رجى شيئاً عمل له ومن خاف شيئاً هرب منه »[٥] .

وقال (ع) : « لا يكون المؤمن مؤمنا حتى يكون خائفاً راجياً ، ولا يكون خائفاً راجياً حتّى يكون عاملا لما يخاف ويرجو »[٦] .

فاذن العبد المجتهد في الطاعات المجتنب للمعاصي حقيق بأن ينتظر من فضل الله تمام النعمة وما تمام النّعمة إلا بدخول الجنّة ، وأمّا العاصي فاذا تاب وتدارك جميع ما فرط منه من

(١) سورة البقرة : آية ٢١٨ . (٢) سورة الأعراف : آية ١٦٩ . (٣) الكيس : العاقل .
(٤) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ٢٣٥ وامالي الطوسي : ص ٥٤١ .
(٥) الكافي : ج ٢ ص ٦٨ . (٦) الكافي : ج ٢ ص ٧١ .

تقصير فحقيق بأن يرجو قبول التوبة إذا كان كارهاً للمعصية تسوءه السّيئة وتسرّه الحسنة وهو يذم نفسه ويلومها ، ومن يشتهي التوبة ويشتاق إليها فحقيق بأن يرجو من الله التوفيق للتوبة ، لأن كراهيته للمعصية وحرصه على الطّاعة يجري مجرى السّبب الذي قد يفضي إلى التّوبة ، وإنّما الرّجاء بعد تأكّد الأسباب .

الفصل الأول

حال من غلبه الخوف

وأمّا الخوف فهو عبارة عن تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال وبحسب تظاهر أسباب المكروه تكون قوّة الخوف وشدّة تألم القلب ، وبحسب ضعف الأسباب يضعف الخوف ، والخوف من الله تارة يكون بمعرفة الله ومعرفة صفاته ، وتارة يكون بكثرة الخيانة من العبد بمقارفة المعاصي ، وتارة يكون بهما جميعاً وبحسب معرفته بجلال الله وتعاليه واستغنائه وبعيوب نفسه وجناياته تكون قوة خوفه فأخوف النّاس لربّه أعرفهم بربّه وبنفسه ولذلك قال النبيّ (ص) : « أنا أخوفكم لله »[1] وقال الله سبحانه : ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾[2] .

ثمّ بقدر كمال المعرفة يفيض[3] اثر الحرقة من القلب على البدن ، وعلى الجوارح ، وعلى الصّفات ، أما في البدن فبالنحول[4] والصفاء والبكاء ، وأما في الجوارح فبكفها عن المعاصي وتقييدها بالطاعات تلافيا لما فرط واستعداداً للمستقبل ، ولذلك قيل : ليس الخائف من يبكي ويمسح عينيه ، بل من يترك ما يخاف أن يعاقب عليه ، وقال حكيم : من خاف شيئاً هرب منه ، ومن خاف الله هرب إليه ، وأما في الصّفات فهو أن يقمع[5] الشهوات ويكدر[6] اللذات .

فتصير المعاصي المحبوبة عنده مكروهة كما يصير العسل مكروهاً عند من يشتهيه إذا عرف أن فيه سمّا فتحترق الشّهوات بالخوف وتتأدّب الجوارح ويحصل في القلب الذّبول[7] والخشوع والذلة والاستكانة ، ويفارقه الكبر والحقد والحسد بل يصير مستوعب الهمّ بخوفه

---

(١) احياء علوم الدين ج ٤ ص ١٤٥ . (٢) سورة فاطر : آية ٢٨ .

(٣) أفاض السيل يفيض فيضاً كثر وسال من شفا الوادي . م . (٤) النحول : الهزال . م . (٥) قمعه : قهره وذلله . ق.

(٦) كدر الماء مثلثة الدال فهو كدر نقيض صفا . م . (٧) ذبلت بشرته قل ماء جلدته وذهب نضارته م .

والنظر في خطر عاقبته فلا يتفرغ لغيره ولا يكون له شغل إلا المراقبة والمحاسبة والمجاهدة والضّنة[1] بالانفاس واللحظات ، ومؤاخذة النفس في الخطرات والكلمات فيكون ظاهره وباطنه مشغولا بما هو خائف منه لا يتسع فيه لغيره .

هذا حال من غلبه الخوف واستولى عليه ، وأقلّ درجات الخوف مما يظهر أثره في الأعمال أن يمتنع من المحظورات ، ويسمى الكف الحاصل من المحظورات ورعا فان زادت قوته كف عمّا يتطرق إليه إمكان التحريم ، ويسمّى ذلك تقوى ، وقد يحمله على أن يترك ما لا بأس به مخافة ما به بأس وهو الصدق في التقوى .

فاذا انضمّ إليه التجرّد للخدمة فصار لا يبني ما لا يسكنه ، ولا يجمع ما لا يأكله ، ولا يلتفت إلى دنيا يعلم أنها تفارقه ، ولا يصرف إلى غير الله تعالى نفساً من أنفاسه فهو الصّدق وصاحبه جدير بأن يسمى صدّيقاً ويدخل في الصّدق التقوى وفي التقوى الورع وفي الورع العفّة فانّها عبارة عن الامتناع عن مقتضى الشهوات خاصة فاذا الخوف يؤثر في الجوارح بالكف والاقدام .

الفصل الثاني

الرجاء لله يجب ان يكون اقوى من الخوف

اعلم أن العمل على الرجاء أعلى منه على الخوف لان أقربِ العباد إلى الله أحبّهم إليه والحب يغلب بالرّجاء ، ولذلك ورد في الرجاء وحسن الظن رغايب لا سيّما وقت الموت ، قال الله تعالى : **﴿يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إنّ الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرّحيم﴾**[2] فحرّم أصل اليأس وقال : **﴿ان ربّك لذو مغفرة للنّاس على ظلمهم﴾**[3] وعيّر الله قوماً فقال : **﴿وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرديكم﴾**[4] وقال : **﴿وظننتم ظن السوء وكنتم قوماً بوراً﴾**[5] .

وقال النبي (ص) : **« يقول الله عزّ وجلّ : أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء »**[6]

---

(١) الضنين : البخيل الشحيح وفي حديث الدنيا لم يصفها لاوليائه ولم يضنْ بها على أعدائه اي لم يبخل بها عليهم . م .

(٢) سورة الزمر : آية ٥٢ . (٣) سورة الرعد : آية ٦ . (٤) سورة فصلت : آية ٢٣ .

(٥) سورة الفتح : آية ١٢ . (٦) العوالي ج ١ ص ٢٨٩ واحياء علوم الدين ج ٤ ص ١٥٦

وقال (ص) : « لِا يموتنَ احدكم إلا وهو يحسن الظن بالله »[1] ، ودخل (ص) على رجل وهو في النـزع فقال : كيف تجـدك ؟ قال « أجـدني أخاف ذنـوبي وأرجو رحمـة ربّي فقـال (ص) : مـا اجتمعا في قلب عبد في هذا الموطن إلا أعطاه الله ما رجا وآمنه ممّا يخاف »[2] .

وقال أمير المؤمنين (ع) لرجل أخرجه الخوف إلى القنوط لكثرة ذنوبه : « يا هذا يأسـك من رحمة الله أعظم من ذنوبك »[3] .

وفي أخبار يعقوب إنّ الله تعالى أوحى إليه أتـدري لم فرقت بينـك وبين يوسف لقـولك : إني أخـاف أن يأكله الـذّئب وأنتم عنه غـافلون ، لم خفت الذئب ولم تـرجني ؟ ولم نظرت الى غفلة اخوته ولم تنظر إلى حفظي له ؟

وعن البـاقر (ع) قـال : « قال رسـول الله (ص) : قال الله تعـالى : لا يتكل العـاملون على أعمـالهم التي يعملونها لثـوابي فانهم لـو اجتهـدوا واتعبـوا انفسهم أعمـارهم في عبـادتي كـانـو مقصّـرين غير بـالغين في عبادتهم كنـه عبـادتي فيمـا يـطلبـون عنـدي من كـرامتي ، والنعيم في جنّاتي ، ورفيع الدرجات العلى في جواري ولكن برحمتي فليثقوا ، وفضلي فليرجـوا ، وإلى حسن الـظن بي فليطمئنـوا ، فـان رحمتي عنـد ذلـك تـدركهم ومنى يبلغهم رضـواني ومغفـرتي تلبسهَم عفوي فاني أنا الله الرّحمن الرّحيم وبذلك تسمّيت »[4] .

وعنه (ع) قال : وجـدنا في كتـاب عليّ (ع) أن رسول الله (ص) قـال وهو في « على خ » منبره : « والذي لا إله إلاّ هو ما اعطي مؤمن قط خير الدنيـا والاخرة إلاّ بحسن ظنـه بالله ورجـائه له ، وحسن الخلق « خلقه خ » والكف عن اغتياب المؤمنين ، والذي لا إله إلاّ هو لا يعذب الله مؤمناً بعد التوبة والاستغفار إلاّ بسوء ظنّه بالله وتقصيره من رجائه وسوء خلقه واغتيابـه للمؤمنين ، والذي لا إله إلا هـو لا يحسن ظن عبد مؤمن بـالله إلا كان الله عنـد ظن عبده المؤمن ، لان الله كريم بيده الخيرات يستحيي أن يكون عبده المؤمن قد أحسن بـه ظنّه ثم يخلف ظنـه ورجاءه ، فأحسنوا بالله الظن وارغبوا إليه »[5] .

قال الصّادق (ع) : « حسن الظن بالله أن لا ترجو إلاّ الله ولا تخاف إلا ذنبك »[6] .

---

(١) احياء علوم الدين : ج ٤ ص ١٥٦ . (٢) احياء علوم الدين : ج ٤ ص ١٣٥ .

(٣) لم نعثر عليه من كلام امير المؤمنين نعم في خبر حميد بن قحطبة المروي في عيون اخبار الرضا .

(٤) الكافي : ج ٢ ص ٧١ . (٥) الكافي : ج ٢ ص ٧١ . (٦) الكافي : ج ٢ ص ٧٢ .

والطريق إلى تحصيل الرّجاء ذكر سوابق فضل الله من دون شفيع ، وما وعد من جزيل ثوابه من دون استحقاق ، وما انعم بما يمدّ في الدارين من دون سؤال ، وسعة الرحمة وسبقها الغضب .

والأخبار الواردة في سعة رحمته سبحانه أكثر من أن تحصى ولا حاجة بنا إلى ذكرها لأن المحتاج إلى تحصيل الرجاء من غلب عليه الخوف أو اليأس وقليل ما هم ، وأما المنهمكون[1] في طغيان الذنوب والمغترّون بما هم فيه من الفساد والحوب[2] كأكثر أبناء زماننا فلا يزداد سماعهم لها إلاّ في طغيانهم تمادياً ، وفي فسادهم فساداً .

الفصل الثالث

في الرجاء المحمود

اعلم أن الرجاء محمود إلى حد فان جاوز إلى الأمن فهو خسر ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ، وكذا الخوف محمود إلى حدّ فان جاوز إلى القنوط فهو ضلال ومن يقنط من رحمة الله إلا الضالون ، أو إلى اليأس فهو كفر ولا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون والأصلح ان يعتدل .

قال أمير المؤمنين (ع) لبعض ولده : « يا بنيّ خف الله خوفاً ترى أنك إن أتيته بحسنات أهل الأرض لم يتقبلها منك ، وارج الله رجاء كأنك لو أتيته بسيئآت أهل الأرض غفر الله لك »[3] .

وعن الباقر (ع) : « ليس من عبد مؤمن إلا وفي قلبه نوران : نور من خيفة ونور من رجاء لو وزن هذا لم يزد على هذا ولو وزن هذا لم يزد على هذا »[4] .

وقد جمع الله سبحانه بينهما في وصف من أثنى عليهم فقال : ﴿يدعون ربّهم خوفاً وطمعاً﴾[5] وقال : ﴿يدعوننا رغبا ورهبا﴾[6] وأما غلبة الرّجاء في غالب النّاس فمستندها الاغترار

---

(١) الأنهماك : التمادي في الشيء واللجاج فيه ومنه الحديث : من انهمك في أكل الطين فقد شرك في دم نفسه .

(٢) الحوب بالضم الاثم ، وفي الدعاء رب تقبل توبتي واغسل حوابتي ، أي اثمي قال تعالى انه كان حوباً كبيراً .

(٣) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ٥٠ . (٤) الكافي ج ٢ ص ٦٧ .

(٥) سورة السجدة : آية ١٦ . (٦) سورة الأنبياء : آية ٩٠ .

وقلة المعرفة ، بل الأصلح لهم قبل الاشراف على الموت غلبة الخوف وأما عند الموت فالأصلح لهم غلبة الرّجاء وحسن الظنّ ، لأن الخوف جار مجرى السوط الباعث على العمل وقد انقضى وقت العمل وهو لا يطيق هناك أسياط « أسباب » الخوف لأنها تقطع نياط[1] قلبه وتعين على تعجيل موته وأمّا روح الرّجاء فانها تقوي قلبه وتحبب إليه ربّه الذي إليه رجاءه .

وينبغي أن لا يفارق أحد الدّنيا إلاّ محبّاً لله تعالى ليكون محبّاً للقائه ، فان من أحبّ لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن قدم على محبوبه عظم سروره بقدر محبّته ، ومن فارق محبوبه اشتدت محنته وعذابه .

فمهما كان الغالب على القلب عند الموتِ حبّ الأهل والولد والمال والمسكن والرفقاء والأصحاب كانت محابه كلها في الدنيا فكانت الدّنيا جنّته فكان موته خروجاً من الجنّة وحيلولة بينه وبين ما يشتهيه ، فأمّا إذا لم يكن له محبوب سوى الله وسوى ذكره ومعرفته والفكر فيه فالدنيا وعلايقها شاغلة له عن المحبوب ، فالدنيا إذن سجنه ، وموته قدوم على محبوبه وخلاص له من السّجن ، فاذن غاية السعادة أن يموت العبد محبّاً لله تعالى .

الفصل الرابع

الخوف من الله على مقامين

اعلم أن الخوف من الله تعالى على مقامين : أحدهما الخوف من عذابه وهو خوف عموم الخلق وهو حاصل باصل الايمان بالجنّة والنّار وكونهما جزائين على الطاعة والمعصية ، وضعفه بسبب الغفلة وبسبب ضعف الايمان وإنّما تزول الغفلة بالتذكير والوعظ وملازمة الفكر في أهوال القيامة وأصناف العذاب في الآخرة ويزيد أيضاً بالنظر إلى الخائفين ومجالستهم ومشاهدة أحوالهم فان فاتت المشاهدة فالسماع لا يخلو من تأثير .

وأمّا الثاني وهو الأعلى أن يكون الله هو المخوف أعني أن يخاف العبد العبد والحجاب منه ، ويرجو القرب منه وهو خوف العلماء وأرباب القلوب العارفين من صفاته ما يقتضي الهيبة والخوف والحذر المطلعين على سرّ قوله : ﴿ويحذركم الله نفسه﴾[2] وقوله : ﴿واتقوا الله حق

(١) النياط ككتاب عرق غليظ ينصبه القلب الى الوتين فنياط القلب هو ذلك العرق الذي يعلق القلب به . م .

(٢) سورة عمران : آية ٢٨ .

تقاته﴾[1] وقال الله سبحانه : **﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾**[2] وقال عزّ وجلّ : **﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربّه﴾**[3] .

وقال النّبي (ص) : « راس الحكمة مخافة الله »[4] وفي الدّعاء المنسوب إلى السّجاد (ع) «سبحانك عجباً لمن عرفك كيف لا يخافك» .

وقال الصّادق (ع) : « من عرف الله خاف الله ومن خاف الله سخت نفسه عن الدّنيا »[5] وقال (ع) : « إن من العبادة شدة الخوف من الله يقول الله : **﴿إنّما يخشى الله من عباده العلماء﴾** وقال الله تعالى : **﴿فلا تخشوا الناس واخشوني﴾**[6] وقال : **﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً﴾**[7] »[8] .

وقال (ع): « إن حبّ الشرف والذكر لا يكونان في قلب الخائف الهارب »[9] وقال (ع)« المؤمن بين مخافتين ذنب قد مضى لا يدري ما صنع الله فيه ، وعمر قد بقي لا يدري ما يكتسب فيه من المهالك فهو لا يصبح إلّا خائفاً ولا يصلحه إلّا الخوف »[10] وقال (ع) « لا يكون المؤمن مؤمناً حتّى يكون خائفاً راجياً ، ولا يكون خائفاً راجياً حتّى يكون عاملا لما يخاف ويرجو »[11]

وقال (ع): لاسحاق بن عمّار: « يا إسحاق خف الله كأنّك تراه وإن كنت لا تراه فانه يراك ، وإن كنت ترى أنه لا يراك فقد كفرت وان كنت تعلم أنّه يراك ثم برزت له بالمعصية فقد جعلته من أهون النّاظرين إليك »[12] .

وقال(ع) : « من خاف الله أخاف الله منه كلّ شيء ، ومن لم يخف الله أخافه الله من كلّ شيء »[13] .

وعن النبيّ (ص)« ما من مؤمن تخرج من عينيه دمعة وإن كانت مثل رأس الذّباب من خشية الله ثم يصيب شيئاً من حرّ وجهه إلا حرّمه الله على النّار »[14] .

---

(١) سورة آل عمران : آية ١٠٢ . (٢) سورة فاطر : آية ٢٨ .
(٣) سورة البينة : آية ٨ . (٤) احياء علوم الدين : ج ٤ ص ١٥١ .
(٥) الكافي : ج ٢ ص ٦٨ . (٦) سورة المائدة : آية ٤٤ .
(٧) سورة الطلاق : آية ٢ . (٨) الكافي : ج ٢ ص ٦٩ . (٩) الكافي : ج ٢ ص ٦٩ .
(١٠) الكافي : ج ٢ ص ٧١ . (١١) الكافي : ج ٢ ص ٧١ . (١٢) الكافي : ج ٢ ص ٦٨ .
(١٣) الكافي : ج ٢ ص ٦٨ وأمالي الطوسي : ص ١٣٩ (١٤) احياء علوم الدين : ج ٤ ص ١٥٢ .

وقال (ص) : « إذا اقشعرّ قلب المؤمن من خشية الله تحاتت[1] عنه خطاياه كما يتحاتت من الشجر ورقها »[2] .

وروى الصّدوق في عرض المجالس من ليث بن أبي سليم قال : سمعت رجلا من الأنصار يقول : بينما رسول الله (ص) « مستظل بظل شجرة في يوم شديد الحرّ إذ جاء رجل فنزع ثيابه ثمّ جعل يتمرّغ في الرمضاء يكوي ظهره مرّة وبطنه مرّة وجبهته مرّة ويقول : يا نفس ذوقي فما عند الله أعظم مما صنعت بك ورسول الله ينظر إليه ما يصنع ثمّ إن الرّجل لبس ثيابه ثم أقبل فأومى إليه النبيّ (ص) بيده ودعاه فقال له يا عبد الله : لقد رأيتك صنعت شيئاً ما رأيت أحداً من النّاس صنعه فما حملك على ما صنعت ؟ فقال الرّجل : حملني على ذلك مخافة الله ، فقلت لنفسي يا نفسي ذوقي فما عند الله أعظم ممّا صنعت بك ، فقال النبيّ (ص) : لقد خفت ربّك حقّ مخافته وإنّ ربّك ليباهي بك أهل السّماء ، ثم قال (ص) لأصحابه : يا معشر من حضر ادنوا من صاحبكم حتّى يدعو لكم فدنوا منه ، فدعا لهم ، وقال : اللهمّ اجمع أمرنا على الهدى ، واجعل التقوى زادنا ، والجنّة مآبنا »[3] .

وحديث بهلول النّباش مشهور[4] وفي الكتاب المذكور مذكور .

---

(١) تحاتت الشيء اي تناثر ، والحت حك الورق من الغصن وتحات الورق سقطت .

(٢) احياء علوم الدين : ج ٤ ص ١٥٢ . (٣) امالي الصدوق : ص ٢٧٩ .

(٤) ذكره المصنف (قده) في الصافي في تفسير آية : ﴿والذين إذا فعلو فاحشة أو ظلموا أنفسهم الخ﴾ من سورة آل عمران مفصلا ونحن نذكره هنا ملخصا تتميماً للفايدة فنقول :

انه كان ينبش القبور سبع سنين وينزع الاكفان حتى نبش قبر جارية من بنات الانصار وأخذ كفنها ثم جامعها ، ثم ندم على ما فعل واتى النبي (ص) باكياً متضرعاً ولما علم النبي (ص) بحالة بعد الاستعلام نحاه من عنده فيئس وخرج الى بعض الجبال فتعبد فيها ولبس مسحاً وغل يديه جميعاً الى عنقه ونادى :

يا رب هذا عبدك بهلول بين يديك مغلول (الى أن قال) فأسألك باسمك وجلالك وعظم سلطانك أن لا تخيب رجائي سيدي ولا تبطل دعائي ولا تقنطني من رحمتك .

فلم يزل يقول ذلك أربعين يوماً وليلة تبكي له السباع والوحوش ، فلما تمت له أربعون يوماً وليلة رفع يديه إلى السماء وقال :

أللهم ما فعلت في حاجتي أن كنت استجبت دعائي وغفرت خطيئتي فأوح الى نبيك ، وان لم تستجب دعائي ولم تغفر لي خطيئتي واردت عقوبتي فعجل بنار تحرقني أو عقوبة في الدنيا تهلكني وخلصني من فضيحة يوم القيامة =

وعن الباقر (ع) قال : « صلى أميـر المؤمنين (ع) بالنّاس الصّبح بالعراق ، فلمّا انصرف وعظهم فبكى وأبكاهم من خوف الله ثم قال : أما والله لقد عهدت أقواما على عهد خليلي رسول الله (ص) وأنهم ليصبحون ويمسون شعثاً غبراً خمصاً بين أعينهم كركب البعير يبيتون لربهم سجّداً وقياما ، ويراوحون بين أقدامهم وجباههم ، يناجون ربّهم في فكاك رقابهم من النّار ، والله لقد رأيتهم مع هذا وهم خائفون مشفقون »[1] وفي رواية اخرى كأن « زفير النار في آذانهم إذا ذكر الله عندهم مادوا كما يميد الشجر كانما القوم باتوا غافلين ، قال : ثمّ قال : فمارُئي ضاحكا حتّى قبض (ع) »[2] .

وأمّا خوف الملائكة والأنبياء والأولياء وأئمة الهدى (عليهم السلام) كخوف ميكائيل وجبرئيل ونبيّنا وإبراهيم الخليل وداود ويحيى والسجاد وغيرهم صلوات الله عليهم فقد ذكره المحدثون في كتبهم[3] فليرجع إليها من أراد ، فان هذا الكتاب لا يحتمل التطويل بذكره .

= فانزل الله تعالى على نبيه : ﴿والذين اذا فعلوا﴾ الخ فخرج النبي (ص) وهو يتلوها ويتبسم ويقول لاصحابه : من يدلني على هذا الشاب التائب ؟ فدلوه عليه ، فمضى بأصحابه حتى انتهوا اليه ، فاذا هم بالشاب قائم بين الصخرتين مغلولة يداه الى عنقه قد اسود وجهه وتساقطت أشفار عينيه من البكاء وهو يقول :

سيدي قد أحسنت خلقي وأحسنت صورتي ، فليت شعري ماذا تريد بي ؟ أفي النار تحرقني أو في جوارك تسكنني ؟ اللهم انك قد أكثرت الاحسان الي فأنعمت على فليت شعري ماذا يكون آخر أمري ، الى الجنة تزفني أم الى النار تسوقني ؟ اللهم ان خطيئتي أعظم من السماوات والارض ومن كرسيك الواسع وعرشك العظيم ، فليت شعري تغفر خطيئتي أم تفضحني بها يوم القيامة ؟

فلم يزل يقول نحو هذا ويبكي ويحثو التراب على رأسه وقد أحاطت به السباع وصفت فوقه الطير وهم يبكون لبكائه ، فدنى منه رسول الله (ص) فأطلق يديه من عنقه ، ونفض التراب عن رأسه وقال : يا بهلول ابشر فانك عتيق الله من النار .

ثم قال لاصحابه : هكذا تداركوا الذنوب كما تداركها بهلول ، ثم تلا عليه ما انزل الله عز وجل فيه وبشره بالجنة .

(١) الكافي : ج ٢ ص ٢٣٦ .

(٢) الكافي : ج ٢ ص ٢٣٦ .

(٣) وذكره المصنف (قده) في كتابه النفيس « المحجة البيضاء » فمن أراد التفصيل فليرجع اليه .

الفصل الخامس

في الخائفين

اعلم أن الخوف لا يتحقق الاّ بانتظار مكروه ، والمكروه إما ان يكون مكروها في ذاته كالنار وإما أن يكون مكروهاً لأنّه يفضي إلى المكروه كما تكره المعاصي لادائها إلى مكروه في الآخرة ولا بد لكلّ خائف من أن يتمثل في نفسه مكروه من أحد.القسمين ويقوى انتظاره في قلبه حتى يحترق قلبه بسبب استشعاره ذلك المكروه ،ومقام الخائفين يختلف فيما يغلب على قلوبهم من المكروهات المحذورة .

أما الخائفون ممّا يغلب على قلوبهم من المكروه لغيره لا لذاته .

فمنهم من يغلب عليه خوف الموت قبل التوبة ، أو خوف نقض التوبة ، أو خوف ضعف القوة عن الوفاء بتمام حقوق الله ، أو خوف زوال رقة القلب وتبديلها بالقساوة أو خوف الميل عن الاستقامة، أو خوف استيلاء العادة في اتباع الشهوات المألوفة ، أو خوف أن يكله الله إلى حسناته التي اتكل عليها وتغرّر بها في عباد الله أو خوف البطر بكثرة نعم الله عليه ، أو خوف الاشتغال عن الله بغير الله ، أو خوف الاستدراج بتواتر النعم ، أو خوف انكشاف غوائل طاعته حتى يبدو له من الله ما لم يكن يحتسب أو خوف تبعات النّاس عنده في الغيبة والخيانة والغش وإضمار السوء ، أو خوف ما لا يدري أنّه يحدث في بقيّة عمره ، أو خوف تعجيل العقوبة في الدّنيا والافتضاح قبل الموت ، أو خوف الاغترار بزخارف الدنيا ، أو خوف اطلاع الله على سريرته في حال غفلته عنه ، أو خوف الختم له عند الموت بخاتمة السّوء ، أو خوف السّابقة التي سبقت له في الأزل .

فهذه كلها مخاوف العارفين ولكل واحد منها خصوص فائدة وهو سلوك سبيل الحذر عمّا يفضي إلى المخوف ، فمن يخاف استيلاء العادة عليه فيواظب على الفطام عن العادة ، والذي يخاف من اطلاع الله على سريرته يشتغل بتطهير قلبه عن الوساوس وهكذا إلى بقية الاقسام .

وأغلب هذه المخاوف على المتقين خوف الخاتمة ، فان الأمر فيه محظور وأعلى الاقسام وأدلها على كمال المعرفة خوف السابقة ، لأن الخاتمة فرع السّابقة تنفرع عنها بعد تخلل أسباب كثيرة فالخاتمة تظهر ما سبق في القضاء في ام الكتاب .

وإليه الاشارة بما رواه الصّادق (ع) قال : « خطب رسول الله (ص) النّاس ثمّ رفع يده اليمنى قابضاً على كفه ثمّ قال : أتدرون أيّها النّاس ما في كفي ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، فقال (ص) : « أسماء أهل الجنّة وأسماء آبائهم وقبائلهم إلى يوم القيامة ، ثم رفع يده الشّمال فقال : أيّها النّاس أتدرون ما في كفي ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم فقال : أسماء أهل النّار وأسماء آبائهم وقبائلهم إلى يوم القيامة ثمّ قال : حكم الله وعدل حكم الله وعدل حكم الله وعدل فريق في الجنّة وفريق في السّعير »[1] .

وعنه (ع) قال : « يسلك بالسّعيد في طريق الأشقياء حتى يقول الناس ما أشبهه بهم بل هو منهم ، ثمّ يتداركه السّعادة ، وقد يسلك بالشقي طريق السّعداء حتى يقول النّاس ما أشبهه بهم بل هو منهم ثمّ يتداركه الشقاء ، إن من كتبه الله سعيداً وإن لم يبق من الدّنيا إلا فواق ناقة[2] ختم له بالسعادة »[3] .

وأما الخائفون ممّا يغلب على نفوسهم من المكروه لذاته .

فمنهم من يغلب عليه سكرات الموت وشدته ، أو سؤال منكر ونكير ، أو عذاب القبر ، أو هول المطلع ، أو هيبة الموقف بين يدي الله والحياء من كشف الستر والسؤال من النقير والقطمير ، أو الخوف من الصراط وحدّته وكيفية العبور عليه ، أو الخوف من النّار وأغلالها وأهوالها ، أو الخوف من الحرمان عن الجنة دار النعيم والملك المقيم ومن نقصان الدرجات أو الخوف من الحجاب عن الله وهو أعلاها رتبة وهو خوف العارفين وما قبل ذلك خوف العابدين والزاهدين وكافة العاملين .

ولا يخفى أن فضيلة الشيء بقدر اعانته على السعادة ولا سعادة كسعادة لقاء الله ولا وصول إليها إلا بتحصيل محبته والانس به في الدّنيا ، ولا تحصل المحبّة إلاّ بالمعرفة ، ولا تحصل المعرفة إلا بدوام الفكر ، ولا يحصل الانس إلا بالمحبّة ودوام الذكر ، ولا يتيسر المواظبة على الذّكر والفكر إلا بانقلاع حبّ الدّنيا من القلب ، ولا ينقلع ذلك إلا بترك لذات الدّنيا وشهواتها ، ولا يمكن ترك المشتهيات إلا بقمع الشهوات ، ولا تنقمع الشهوة بشيء كما تنقمع بنار

---

(١) انظر المحجة ج ٧ ص ٢٧٤ وسنن الترمزي ج ٨ ص٣٠٨ إحياء علوم الدين : ج ٤ ص ٤٨

(٢) وفي حديث عيادة المريض: العيادة قدر فواق ناقة ، الفواق كغراب وبالفتح ما بين الحلبتين من الوقت لانها تحلب فتترك سويعة يرضعها الفصيل لتدر ثم تحلب ، او ما بين فتح يدك وقبضها على الضرع م .

(٣) انظر المحجة ج٧ ص ٢٧٤ وإحياء علوم الدين : ج ٤ ص١٤٨ .

الخوف .

فالخوف هو النار المقمعة للشّهوات فاذن فضيلته بقدر ما يحرق من الشهوة وبقدر ما يكفّ عن المعاصي ويحثّ على الطاعات ، ويختلف ذلك بحسب اختلاف درجات الخوف كما بيّناه .

الفصل السادس

اسباب سوء الخاتمة

اعلم أن لسوء الخاتمة أسباب مختلفة وترجع إلى ثلاثة .

أما السبب الاول وهو الأعظم فهو أن يغلب على القلب عند سكرات الموت وظهور أهواله إما الشك ، وإما الجحود فتقبض الرّوح في تلك الحالة فيصنير حجابا بينه وبين الله تعالى أبداً ، وذلك يقتضي البعد الدائم والعذاب المخلد ، وسبب ذلك أن يعتقد الرّجل في ذات الله وصفاته وأفعاله خلاف الحقّ إما برأيه ومعقوله ، وإمّا بالتقليد فيكشف له عند سكرات الموت بطلان ما اعتقده جهلا إذ حال الموت حال كشف الغطاء ، فيكون انكشاف بعض اعتقاداته عن الجهل سبباً لبطلان بقية اعتقاداته أو الشك فيها .

فان اتفق زهوق روحه في هذه الخطرة قبل أن ينيب ويعود إلى أصل الايمان فختم له بالسوء وخرجت روحه على الشرك قال الله تعالى : ﴿وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾(١) وقال عزّ وجلّ : ﴿هل ننبئكم بالأخسرين اعمالا الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً﴾(٢) والبله بمعزل عن هذا الخطر أعني الذين آمنوا بالله ورسوله واليوم الآخر ايمانا مجملا ، ولذلك ورد أن أكثر أهل الجنّة البله(٣) وورد المنع عن البحث والنظر والخوض في الكلام والاكتفاء بظواهر الشرع مع اعتقاد نفي للتشبيه ، وذلك لأن الخطر في البحث عن الصفات عظيم وعقباته كؤدة(٤) ومسالكه وعرة(٥) والعقول عن درك جلال الله

---

(١) سورة الزمر : آية ٤٧ . (٢) سورة الكهف : آية ١٠٣ ـ ١٠٤ .

(٣) قال في مجمع البحرين : قيل : البله هنا هم الذين غلبت عليهم سلمة الصدور وحسن الظن بالناس ، لأنهم غفلوا من دنياهم فجهلوا حذق التصرف فيها واقبلوا على آخرتهم فشغلوا أنفسهم بها واستحقوا أن يكونوا أكثر أهل الجنة ، فاما الابله الذي لا عقل له فليس بمراد .

(٤) عقبة كؤد وكأداء : صعبة ق . (٥) الوعر : ضد السهل ق .

قاصرة ، وهداية الله بنور اليقين عن القلوب بما جبلت عليه من حبّ الدّنيا محجوبة .

وما ذكره الباحثون ببضاعة عقولهم المزجاة[1] مضطرب ومتعارض ، والقلوب لما القى اليها في مبدء النّشو ألفة وبه متعلّقة والتعصبات الثائرة بين الخلق مسامير مؤكدة للعقايد الموروثة أو المأخوذة بحسن الظن من المعلّمين في أوّل الأمر ثمّ الطباع بحبّ الدّنيا مشغوفة وعليها مقبلة وشهوات الدّنيا بمخنقها آخذة وعن تمام الفكر صارفة .

فاذا فتح باب الكلام في الله وفي صفاته بالرأي والعقول مع تفاوت النّاس في قرايحهم واختلافهم في طباعهم وحرص كلّ جاهل منهم على أن يدّعي الكمال والاحاطة بكنه الحقّ انطلقت ألسنتهم بما يقع لكل منهم وتعلّق ذلك بقلوب المصغين إليهم ، وتأكد ذلك بطول الالف فيهم وانسدّ بالكلية طريق الخلاص عنهم ، فكانت سلامة الخلق في أن يشغلوا بالأعمال الصّالحة ولا يتعرّضوا لما هو خارج عن حدّ طاقتهم الا من فقهه الله في الدّين ، وعلمه التأويل ، وأشرق نور الحكمة في قلبه ، وذلك هو الكبريت الاحمر .

وأما السبب الثاني فهو ضعف الايمان في الاصل ثمّ استيلاء حب الدنيا على القلب ، ومهما ضعف الايمان ضعف حبّ الله وقوي حبّ الدنيا فيصير بحيث لا يبقى على القلب موضع لحب الله إلا من حيث حديث نفس لا يظهر له اثر في مخالفة النفس والعدول عن طريق الشيطان ، فيورث ذلك الانهماك في اتباع الشهوات حتّى يظلم القلب ويقسو ويسود ويتراكم ظلمة الذنوب على القلب ، ولا يزال يطفي ما فيه من نور الايمان حتى يصير طبعاً ورينا .

فاذا جاءت سكرات الموت ازداد حبّ الله ضعفا لما يبدو من استشعار فراق الدنيا وهي المحبوبة الغالبة على القلب فيتألم القلب باستشعار فراقها ويرى ذلك من الله ، فيختلج ضميره بانكار ما قدر الله من الموت ، فيخشى أن يثور في باطنه بغض الله بدل الحبّ فان اتفق زهوق روحه في تلكَ اللحظة التي خطر فيها هذه الخطرة فقد ختم له بالسوء فمن وجد في قلبه حبّ الله أغلب من حبّ الدنيا وإن كان يحب الدّنيا أيضاً فهو أبعد من هذه الخطرة ولا يحبّ الله إلا من عرفه .

قال الله تعالى : ﴿قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال

---

(١) بضاعة مزجاة اي يسيرة قليلة كما في المجمع ، أو قليلة أو لم يتم صلاحها كما في القاموس .

اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربّصوا حتى يأتي الله بأمره ﴾[١] .

واما السبب الثالث فكثرة المعاصي وإن قوى الايمان ، وذلك لأن مقارفة المعاصي سببها غلبة الشهوات ورسوخها في القلب بكثرة الالف والعادة ، وجميع ما ألفه الانسان في عمره يعود ذكره إلى قلبه عند موته .

فان كان ميله الاكثر إلى الطاعات كان أكثر ما يحضره عند الموت طاعة الله ، وإن كان ميله الاكثر إلى المعاصي غلب على قلبه عند الموت ذكر المعاصي ، فربما تقبض روحه عند غلبة شهوة من شهوات الدّنيا ومعصية من المعاصي ، فيعتقد بها قلبه ويصير محجوباً عن الله[٢] فالذي لا يقارف الذنب إلاّ الفينة[٣] بعد الفينة فهو أبعد من هذا الخطر .

وذلك لأنّه كما أن الانسان يرى في منامه جملة من الاحوال التي عهدها طول عمره وألف فيها حتى أنّه لا يرى إلا ما يماثل مشاهداته في اليقظة وكذلك حاله عند سكرات الموت وما يتقدمه من الغشية ، فانّه شبيه بالنوم قريب منه فيقتضي ذلك المألوفات وعودها إلى القلب فربما يكون غلبة الالف سببا لان يتمثل صورة فاحشة في قلبه ويميل نفسه إليها فربما يقبض روحه

---

(١) سورة التوبة : آية ٢٤ .

(٢) وذلك كما ورد أنه احتضر بعض المترفين وكان كلما قيل له : قل : لا إله إلا الله يقول هذا البيت :

يا رب قائلة يوما وقد تعبت ... اين الطريق الى حمام منجاب

وكان سبب ذلك ان امرأة عفيفة حسناء خرجت الى حمام معروف بحمام منجاب فلم تعرف طريقها وتعبت من المشي فرأته علي باب داره فسألته عن الحمام فأشار الى باب داره ، فلما دخلت اغلق الباب عليها ، فلما عرفت بمكره أظهرت كمال الرغبة والسرور وقالت : اشتر لنا شيئاً من الطيب وشيئاً من الطعام وعجل بالعود فلما خرج والتقاً بها وبرغبتها خرجت وتخلصت منه .

وكما حكى أيضاً ان تلميذاً من تلاميذ الفضيل بن عياض لما حضرته الوفاة دخل عليه الفضيل وجلس عند رأسه وقرأ سورة يس فقال : يا استاذ لاتقرأ هذه فسكت ثم قال له قل لا إله إلا الله فقال لا اقولها وأنا بريء منها ومات على ذلك .

فدخل الفضيل منزله ولم يخرج ثم رآه في النوم وهو يسحب به الى جهنم فقال : بأي شيء نزع الله المعرفة منك ؟ وكنت أعلم تلاميذي فقال : بثلاثة أشياء : اولها النميمة فاني قلت لاصحابي بخلاف ما قلت لك والثاني بالحسد حسدت أصحابي والثالث كان بي علة فجئت الى الطبيب فسألته عنها فقال : تشرب في كل سنة قدحا من خمر فانْ لم تفعل بقيت بك العلة فكنت اشربها . أعاذنا الله من سخطه .

٣) الفينة : الوقت ، ومنه قوله : اعملوا عباد الله والخناق مهمل ، والروح مرسل ، في فينة الا شاد . م .

فيكون ذلك سوء خاتمته وإن كان أصل الايمان باقيا .

ومن أراد أن يكف خاطره عن الانتقال إلى المعاصي والشهوات فلا طريق له إلا المجاهدة طول العمر في فطام نفسه عنها ، وفي قمع الشهوات من القلب ، فهذا هو القدر الذي يدخل تحت الاختيار ويكون طول المواظبة على الخير وتخلية الفكر عن الشواغل عدة وذخيرة لحالة سكرات الموت ، فان المرء يموت على ما عاش عليه ، ويحشر على ما مات عليه كما ورد في الخبر .

ولذلك نقل عن بقال أنه كان يلقن عند الموت كلمتي الشّهادة وهو يقول : خمسة ستّة أربعة ، وكان مشغول القلب بالحساب الذي طال الفه له قبل الموت ، فانما المخوف عند الموت خاطر سوء يخطر فقط ، وهو الذي قال رسول الله (ص) : « إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنّة خمسين سنة حتّى لا يبقى بينه وبين الجنّة إلا فواق ناقة[1] فيختم له بما سبق به الكتاب »[2] .

ولا يتسع فواق ناقة لاعمال توجب الشقاوة بل هي الخواطر التي تضطرب وتخطر القلب خطور البرق الخاطف فلهذا عظم خوف العارفين من سوء الخاتمة لانه لو أراد الانسان أن لا يرى في المنام إلا أحوال الصّالحين وأحوال الطاعات والعبادات عسر عليه ذلك وإن كان كثرة الصّلاح والمواظبة عليه ممّا يؤثر فيه ولكن اضطرابات الخيال لا يدخل بالكلية تحت الضبط وإن كان الغالب مناسبة ما يظهر في النوم لما غلب في اليقظة .

وقد عرفت بهذا أن أعمال المرء كلها ضائعة إن لم يسلم في النفس الاخير الذي عليه خروج الرّوح ، وأن السلامة مع اضطراب أمواج الخواطر مشكل جداً ومن هنا قيل : لا عجب لمن هلك كيف هلك ، ولكني أعجب ممّن نجى كيف نجى .

ولاجل هذا الخطر العظيم كانت الشهادة مطبوعاً (مضبوطاً خ) عليها ، وموت الفجأة مكروهاً أما موت الفجأة فلأنه ربما يتفق عند غلبة خاطر سوء واستيلائه على القلب أما الشهادة فلأنها عبارة عن قبض الرّوح في حالة لم يبق في القلب سوى حبّ الله وخرج حبّ الدنيا والاهل والمال والولد إذ لا يهجم على صف القتال موطنا نفسه على الموت إلاّ محبّاً لله وطالباً لمرضاته وبايعاً دنياه بآخرته راضياً بالبيع الذي بايعه الله به إذ قال الله تعالى : ﴿انّ الله اشترى من المؤمنين

(١) ذكرنا شرحها فيما مر في ص ١٥٩ . (٢) احياء علوم الدين ج ٤ ص ١٥٥ .

أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنّة﴾[١] الآية .

الباب الرابع
في المحبة والانس

في المحبّة والانس اعلم أن المحبة هي الغاية القصوى من المقامات ، والذروة العليا من الدرجات ، فما بعدها مقام إلا وهو ثمرة من ثمراتها كالشوق والانس ، ولا قبلها مقام إلا وهو مقدّمة من مقدّماتها كالصّبر والزّهد ، وساير المقامات وإن اعزّ وجودها فلا يخلو القلوب عن الايمان بامكانها فاما محبة الله عزّ وجل فقد عز الايمان بها حتّى انكر بعض أهل العلم إمكانها وقال : لا معنى لها إلاّ المواظبة على طاعة الله عزّ وجلّ .

وأمّا حقيقة المحبّة فمحال الا مع الجنس والمثل ولما انكروا المحبّة أنكروا الانس والشوق ولذة المناجاة وساير لوازم الحب وتوابعه ، مع أنّ ما ورد في القرآن والحديث وحكاية المحبين ما هو ناص على ثبوت حقيقة المحبة لله عزّ وجل من غير قبول التأويل .

فمن شواهد القرآن في حبّ الله عزّ وجل قوله : **﴿يحبّهم ويحبّونه﴾**[٢] وقوله **﴿الذين آمنوا أشد حبا لله﴾**[٣] وقوله : **﴿قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم﴾**[٤] إلى قوله **﴿أحبّ إليكم من الله ورسوله﴾**[٥] الآية .

وقال النبي (ص) : « لا يؤمن أحدكم حتّى يكون الله ورسوله أحبّ إليه ممّا سواهما »[٦] وقال (ص) : « في دعائه : اللهم ارزقني حبّك وحبّ من يحبك وحبّ ما يقربني إلى حبّك واجعل حبّك احب إليّ من الماء البارد »[٧] .

وفي الخبر المشهور « أنّ إبراهيم (ع) قال لملك الموت اذ جاء لقبض روحه : هل رأيت خليلا يميت خليله ؟ فأوحى الله إليه هل رأيت محبّاً يكره لقاء حبيبه ؟ فقال : يا ملك الموت الان فاقبض »[٨] .

---

(١) سورة التوبة : آية ١١١ .

(٢) سورة المائدة : آية ٥٤ . (٣) سورة البقرة : آية ١٦٥ . (٤) سورة التوبة : آية ٢٤ .

(٥) سورة التوبة : آية ٢٤ . (٦) احياء علوم الدين : ج ٤ ص ٢٧١ . (٧) احياء علوم الدين : ج ٤ ص ٢٧١ .

(٨) احياء علوم الدين : ج ٤ ص ٢٧١

وفي مناجاة موسى يا بن عمران كذب من زعم أنّه يحبّني فاذا جنّه الليل نام عنّي أليس كلّ محب يحب خلوة حبيبه ها أنا ذا يابن عمران مطلع على أحبّائي إذا جنّهم الليل حوّلت أبصارهم إليّ من قلوبهم ومثلت عقوبتي بين أعينهم يخاطبوني عن المشاهدة ، ويكلموني عن الحضور ، يابن عمران هب لي من قلبك الخشوع ، ومن بدنك الخضوع ، ومن عينك الدّموع في ظلم الليل فانك تجدني قريباً .

وروينا أن عيسى (ع) « مرّ بثلاثة نفر قد نحلت أبدانهم وتغيرت ألوانهم ، فقال لهم : ما الذي بلغ بكم ما أرى ؟ ففالوا : الخوف من النّار ، فقال : حقّ على الله أن يؤمن الخائف ، ثمّ جاوزهم إلى ثلاثة اخرى فاذا هم أشدّ نحولا وتغيّراً فقال : ما الذي بلغ بكم ما أرى ؟ قالوا : الشوق إلى الجنّة قال : حق على الله أن يعطيكم ما ترجون ، ثم جاوزهم إلى ثلاثة اخرى فاذا هم أشد نحولا وتغيراً كان على وجوههم المرايا[1] من النور فقال : ما الذي بلغ بكم ما أرى ؟ قالوا : حبّ الله عزّ وجلّ ، فقال : أنتم المقربون أنتم المقربون »[2] .

وفي علل الشرايع عن نبيّنا (ص) : «ان شعيباً (ع) بكى من حب الله عزّ وجل حتّى عمي فرد الله عليه بصره ، ثمّ بكى حتى عمي فرد الله عليه بصره ، ثمّ بكي حتّى عمي فرد الله عليه بصره ، فلما كانت الرابعة أوحى الله إليه يا شعيب إلى متى يكون هذا ابداً منك ان يكن هذا خوفاً من النّار فقد اجرتك ، وإن يكن شوقاً إلى الجنّة فقد أبحتك ، فقال : الهي وسيدي أنت تعلم أني ما بكيت خوفا من نارك ولا شوقا إلى جنتك ، ولكن عقد حبّك على قلبي فلست أصبر أو أراك ، فأوحى الله جلّ جلاله أمّا إذا كان هذا هكذا فمن أجل هذا سأخدمك كليمي موسى بن عمران »[3] .

وقال أمير المؤمنين (ع) في بعض أدعيته : « فهبني يا الهي وسيّدي ومولاي وربّي صبرت على عذابك فكيف أصبر على فراقك »[4] .

وعن ابنه الحسين سيّد الشّهداء (ع) في دعائه يوم عرفة : «أنت الذي ازلت الأغيار عن

---

(1) المرآة بكسر الميم التي ينظر فيها ، وجمعها مراء كجوار ونواص ، والكثير مرايا . م .
(2) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ٢٢٤ .
(3) علل الشرائع : ج ١ ص ٥٧ الباب ٥١ في العلة التي من اجلها جعل الله عز وجل موسى خادماً لشعيب (ع) .
(4) الاقبال : ص ٧٠٨ .

قلوب أحبّائك حتّى لم يحبّوا سواك ولم يلجاوا إلى غيرك »[1] وقال: « يـا مـن أذاق أحـبـاءه حلاوة المؤانسة فقاموا بين يديه متملقين »[2].

وفي المناجاة الانجيلية المنسوبة إلى السّجاد (ع)[3]: وعزّتك لقد أحببتك محبّة استقرت في قلبي حلاوتها وأنست نفسي ببشارتها ومحال في عدل أقضيتك أن يسدّ أسباب رحمتك عن معتقدي محبتك

وفي مناجاته الاخرى:[4] « الهي فاجعلنا من الذين ترسخت أشجار الشوق إليك في حدائق صدورهم وأخذت لوعة محبّتك بمجامع قلوبهم »[5].

قال:[6] « والحقنا بعبادك الذين هم بالبدار إليك يسارعون، وبابك على الدّوام يطرقون، وإياك في الليل والنّهار يعبدون، وهم من هيبتك مشفقون، الذين صفيت لهم المشارب، وبلغتهم الرغائب »[7] قال: « وملأت ضمائرهم من حبّك وروّيتهم من صافي شراب ودّك فبك إلى لذيذ مناجاتك وصلوا، ومنك أقصى مقاصدهم حصلوا »[8].

ثم قال (ع): « فقد انقطعت إليك همتي وانصرفت نحوك رغبتي فانت لا غيرك مرادي ولك لا سواك سهري وسهادي[9] ولقاؤك قرة عيني، ووصلك منى نفسي، واليك شوقي وفي

---

(١) الاقبال: ص ٣٤٩. (٢) الاقبال: ص ٣٤٩.

(٣) ذكرها العلامة المجلسي اعلى الله درجته في التاسع عشر من البحار وهي مناجاة مفصلة وفيها بعد ما ذكره المصنف (قد) قوله:

سيدي لولا توفيقك ضل الحائرون، ولولا تسديدك لم ينج المستبصرون، أنت سهلت لهم السبيل حتى وصلوا، وأنت أيدتهم بالتقوى حتى عملوا، فالنعمة عليهم منك جزيلة، والمنة منك لديهم موصولة، الخ.

وما اشبه بعض الفاظها بالمناجاة الشعبانية التي وردت عن الأئمة المعصومين سلام الله عليهم وانهم كانوا يقرؤونها في شعبان.

(٤) قال العلامة المجلسي (قده) في التاسع عشر من البحار: ومنها المناجاة الخمس عشرة لمولانا علي بن الحسين صلوات الله عليه، وقد وجدتها مروية عنه (ع) في بعض كتب الاصحاب رضوان الله عليهم أقول: هذه الجملات منقولة من المناجاة الثانية عشر.

(٥) الصحيفة السجادية ص ٤٦٦ المناجاة الثانية عشر مناجات العارفين طبع دار الحوراء. (٦) في المناجاة الثامنة

(٧) الصحيفة السجادية ص ٤٥٠ المناجاة الثامنة مناجاة المريدين طبع دار الحوراء.

(٨) الصحيفة السجادية ص ٤٥٠ المناجاة الثامنة مناجاة المريدين طبع دار الحوراء.

(٩) السهر بالتحريك عدم النوم في الليل كله أو بعضه. والسهاد بالفتح الارق، والسهد بضم التنين والهاء: القليل النوم.

محبتك ولهي وإلى هواك صبابتي[١] ، ورضاك بغيتي ، ورؤيتك حاجتي ، وجوارك طلبتي وقربك غاية مسئلتي : وفي مناجاتك روحي وراحتي ، وعندك دواء علتي وشفاء غلتي[٢] وبرد لوعتي[٣] وكشف كربتى ثمّ قال : ولا تقطعني عنك ، ولا تباعدني منك يا نعيمي وجنتي ، ويا دنياي وآخرتي »[٤] .

وقال أيضاً[٥] : « الهي من ذا الذي ذاق حلاوة محبتك فرام[٦] منك بدلا ، ومن ذا الذي انس بقربك فابتغى عنك حولا ، الهي فاجعلني ممن اصطفيته لقربك وولايتك ، واخلصته لودّك ومحبّتك ، وشوقته إلى لقائك ، وارتضيته بقضائك ، ومنحته بالنظر إلى وجهك ، وحبوته برضاك ، وأعذته من هجرك وقلاك »[٧] ثم قال : « وهيمت[٨] قلبه لارادتك واجتبيته لمشاهدتك وأخليت وجهه لك ، وفرغت فؤاده لحبك »[٩] ثم قال: « اللهمّ اجعلنا ممّن دأبهم الارتياح إليك والحنين ، وديدنهم الزفرة والأنين ، وجباههم ساجدة لعظمتك ، ودموعهم سائلة من خشيتك ، وقلوبهم معلقة بمحبتك ، وافئدتهم منخلعة من هيبتك ، يا من أنوار قدسه لأبصار محبيه رايقة ، وسبحات نور وجهه لقلوبْ عارفيه شايقة ، يا منتهى قلوب المشتاقين ، ويا غاية آمال المحبين ، اسألك حبّك وحبّ من يحبّك وحبّ كلّ عمل يوصل إلى قربك ، وأن تجعلك أحبّ إلي ممن (ممّا خ) سواك »[١٠] .

وقال أيضاً[١١] « الهي ما ألذ خواطر الالهام بذكرك على القلوب ، وما أحلى المسير إليك في مسالك الغيوب ، وما أطيب طعم حبّك ، وما أعذب شرب قربك »[١٢] .

قال :[١٣]« وغلّتي لا يبردها إلا وصلك ، ولوعتي لا يطفؤها إلا لقاؤك ، وشوقي إليك لا

---

(١) الصبابة لوعة العشق وحرارته م . (٢) الغلة بالضم : حرارة العطش .
(٣) لوعة الحزن : حرقته واللوعة ما يجد الانسان لولده وحميمه من الحرقة وشدة الحب .
(٤) الصحيفة السجادية ص ٤٥٠ المناجاة الثامنة مناجاة المريدين .
(٥) في المناجاة التاسعة . (٦) الروم : الطلب .
(٧) الصحيفة السجادية ص ٤٥٤ المناجاة التاسعة مناجاة المحسن .
(٨) رجل هائم وهيوم : متحير والهيام بالضم كالجنون من العشق ق .
(٩) الصحفية السجادية ص٤٥٤ (١٠) الصحفية السجادية : ص ٤٥٦
(١١) في المناجاة الثانية عشر . (١٢) الصحيفة السجادية ص ٤٦٧ المناجاة الثانية عشر مناجاة العارفين .
(١٣) في المناجاة الحادية عشر .

يبلّه إلا النظر الى وجهك وقراري لا يقر دون دنوي منك ، ولهفتي لا يردّها إلا روحك ، وسقمي لا يشفيه إلا طبك ، وغمّي لا يزيله الا قربك ، وجرحي لا يبرؤه إلا صفحك ، وصدى قلبي لا يجلوه إلا عفوك ، ووسواس صدري لا يزيحه إلا منك (أمرك خ) »[1] .

وامثال هذا في ادعيتهم أكثر من ان تحصى .

وعن أمير المؤمنين (ع) إنّ الله تعالى شراباً لأوليائه إذا شربوا سكروا ، وإذا سكروا طربوا ، وإذا طربوا طابوا ، وإذا طابوا ذابوا، وإذا ذابوا اخلصوا، وإذا خلصوا طلبوا، وإذا طلبوا وجدوا ، وإذا وجدوا وصلوا ، وإذا وصلوا اتصلوا ، وإذا اتصلوا لا فرق بينهم وبين حبيبهم[2] .

الفصل الأول
المحبة بعد المعرفة والادراك

اعلم أن الحبّ عبارة عن الميل إلى الشيء الملذّ وإنّما يحصل بعد المعرفة بذلك الشيء وإدراكه إما بالحواس أو بالقلب ، وكما كان المعرفة به أقوى واللّذة أشد وأكثر كان الحبّ أقوى ، والبصيرة الباطنة أقوى من البصر الظاهر ، والقلب أشد إدراكا من العين ، وجمال المعاني المدركة بالعقل أعظم من جمال الصور الظاهرة للابصار ، فيكون لا محالة لذة القلوب بما تدركه من الامور الشريفة الالهية التي تجل عن أن تدركها الحواس أتم وأبلغ ، فيكون ميل الطبع السّليم والعقل الصّحيح إليه أقوى .

فلا ينكر إذن حبّ الله تعالى إلاّ من قعد به القصور في درجة البهايم ، فلم يجاوز إدراكه الحواس ، وكما أن الانسان يحبّ نفسه وكمال نفسه وبقاء نفسه ، ويحب غيره لأجل نفسه وكمال نفسه وبقاء نفسه ، فكذلك قد يحبّ غيره لذاته لا لحظ يناله منه وراء ذاته ، بل يكون ذاته عين حظه ، وهذا هو الحبّ الحقيقي البالغ الذي يوثق به .

وذلك كحب الجمال والحسن ، فان كلّ جمال فهو محبوب عند مدرك الجمال وذلك لعين الجمال ، لأن إدراك الجمال فيه عين اللذة ، واللذة محبوبة لذاتها لا لغيرها ولا تظنن أن حبّ الصّور الجميلة لا يتصور إلا لأجل قضاء الشهوة ، فان قضاء الشهوة لذّة اخرى قد تحبّ الصور الجميلة لأجلها ، وإدراك نفس الجمال أيضاً لذيذ فيجوز أن يكون محبوباً لذاته .

---

(١) الصحيفة السجادية ص ٤٦٢ المناجاة الحادية عشر مناجاة المفتقرين

(٢) قال بعض الاعلام : لم نعثر على مصدر لهذه الرواية في كتب أصحابنا الامامية رضوان الله عليهم .

وكيف ينكر ذلك والخضرة والماء الجاري محبوبان لا ليشرب الماء أو يؤكل الخضرة أو ينال منهما حظ سوى نفس الرؤية ، وكان رسول الله (ص) تعجبه الخضرة والماء الجاري ، والطباع السليمة قاضية باستلذاذ النّظر إلى الأنوار والازهار والأطيار المليحة الألوان الحسنة النقش المتناسبة الشكل حتى أن الانسان ليتفرج عنه الغموم بالنظر إليها لا لطلب حظّ وراء النظر .

ثمّ الحسن والجمال ليس مقصوراً على مدركات البصر ولا على تناسب الخلقة إذ يقال : هذا صوت حسن ، وهذا خلق حسن ، وهذا علم حسن ، وهذه سيرة حسنة وليس شيء من هذه الصفات تدرك بالبصر .

بل وليس الحسن والجمال مقصوراً على مدركات الحواس ، بل كثير من خلال الخير مدرك بنور البصيرة الباطنة ، وآية ذلك أن الطباع السّليمة مجبولة على حبّ الأنبياء والأئمة (ع) مع أنّهم لا يشاهدوهم حتّى أن الرّجل قد يجاوز حبّه لصاحب مذهبه حدّ العشق فيحمله ذلك على أن ينفق جميع أمواله في نصرة مذهبه والذّب عنه ويخاطر بروحه في قتال من يطعن في إمامه ومتبوعه .

وجملة خلال الخير ترجع إلى العلم والقدرة ، وهما محبوبان بالطبع وغير مدرك بالحواس ، بل لما وصف النّاس حاتما بالسّخاء وعليّاً (ع) بالشّجاعة أحبّهما القلوب حبّا ضروريّاً ، وليس ذلك عن نظر إلى صورة محسوسة ولا عن حظّ يناله المحبّ منهما ، ومن كانت البصيرة الباطنة أغلب عليه من الحواس الظاهرة كان حبّه للمعاني الباطنة أكثر من حبّه للمعاني الظاهرة .

ثمّ كلّ محبّ اما أن يحب نفسه ، أو يحب غيره ، ومحبّة الغير اما لحسنه وجماله ، أو لاحسانه وكماله ، أو لمجانسة بينه وبين المحبّ .

امّا محبّة النفس فهي أشدّ وأقوى ، لأن المحبة إنما تكون بقدر الملايمة والمعرفة ، ولا شيء أشدّ ملايمة لأحد من نفسه ، ولا هو لشيء أقوى معرفة منه بنفسه ولهذا جعل معرفة نفسه مفتاحا لمعرفة ربّه ، ووجود كلّ أحد فرع لوجود ربّه وظل له ، فمحبّة نفسه ترجع إلى محبّة ربّه وإن لم يشعر المحبّ به .

وأمّا محبّة الغير لحسنه وجماله أو لقربه من الله وكماله ، فذلك لأن الجمال محبوب لذاته

سواء كان جمال الظاهر الصوري أو الباطن المعنوي ، وكذا الكمال ، والله هو الجميل لذاته والكامل بذاته ، وكلّ مليح حسنه من جماله ، وكل كامل فكماله فرع كماله فما أحبّ أحد غير خالقه ، ولكنه احتجب عنه تحت وجوه الأحباب واستار الاسباب .

وكذا الكلام في محبة الغير للاحسان ، فان الاحسان أيضاً محبوب لذاته ، سواء كان متعدّيا إلى المحبّ أم لا ، ولا إحسان إلا من الله ، ولا محسن سوى الله جلّ ثناؤه ، فانه خالق الاحسان وذويه ، وجاعِل أسبابه ودواعيه ، وكلّ محسن فهو حسنة من حسنات قدرته ، وحسن فعاله قطرة من بحار كماله وافضاله .

وأمّا محبة الغير للمجانسة فذلك لأن الجنس يميل إلى الجنس سواء كانت المجانسة لمعنى ظاهر كما أن الصبي يميل إلى الصّبي لصباه ، أو لمعنى خفي كما يتفق بين شخصين من غير ملاحظة جمال ولا طمع في جاه أو مال ، فان الأرواح جنود مجنّدة فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف .

وهذه المحبة فرع لمحبّة النفس فترجع إلى محبّة الله تعالى كما عرفت ، فعلى كلّ وجه ما متعلق المحبّة إلا الله الا أنه لا يعرف ذلك إلا أولياؤه وأحبّاؤه ، كما أشار إليه سيّد الشهداء (ع) في دعاء عرفة بقوله :

« وأنت الذي أزلت الأغيار عن قلوب أحبائك حتّى لم يحبّوا سواك ولم يلجأوا إلى غيرك »[1] فسبحان من احتجب عن أبصار العميان غيرة على جماله وجلاله أن يطلع عليه إلا من سبقت له منه الحسنى الذين هم عن نار الحجاب مبعدون ، وترك الخاسرين في ظلمات العمى يتيهون[2] ، وفي مسارح[3] المحسوسات وشهوات البهايم يتردّدون ﴿يعلمون ظاهراً من الحيوة الدّنيا وهم عن الآخرة هم غافلون﴾[4]

---

(١) الاقبال : ص٣٤٩ دعاء الامام الحسين (ع) يوم عرفة

(٢) قوله تعالى : ﴿يتيهون في الارض﴾ أي يحارون ويضلون يقال : تاه في الارض أي ذهب متحيراً .

(٣) المسارح جمع مسرح وهو الموضع الذي تسرح اليه الماشية

(٤) سورة الروم : اية ٧ .

الفصل الثاني

اجل اللذات واعلاها

اعلم أن أجل اللذات وأعلاها معرفة الله تعالى والنظر إلى وجهه الكـريم ، وأنه لا يتصـور أن يؤثر عليه لذة اخرى الا من حرم هذه اللذة ، وذلك لأن اللذات تابعـة للادراكـات ، والانسان جامع لجملة من القوى والغرايـز ولكلّ قـوة وغريـزة[١] لذة ولـذتها في نيلهـا مقتضى طبعها التي خلقت له فغريزة الغضب خلقت للتشفي والانتقام فلا جرم لـذاتها في الغلبـة والانتقام ، وغـريزة شهوة الطعام خلقت لتحصيل الغذاء الذي به القـوام فلا جـرم لذتهـا في نيل الغـذاء وهكذا سـاير الغرايز .

وفي القلب غريزة تسمّى بالبصيرة الباطنة ، وقد تسمى نور الايمان واليقين يعلم بها حقايق الامور كلها ، فمقتضى طبعها المعرفة والعلم ، والعلم من أخص صفات الـرّبوبيّـة ، وهو منتهى الكمال ، ولذلك يرتاح الطبع إذا اثنى عليه بالذكاء ، وغزارة[٢] العلم ، لانّه يستشعر عنـد سماع الثناء كمال ذاته وجمال علمه ، فيعجب بنفسه ويلتذّ به .

ثمّ ليس لذة العلم بالحراثة والخيـاطة كلذة العلم بسيـاسة الملك ، ولا لـذة العلم بالنحـو والشعـر كلذة العلم بالله وصفـاته ومـلائكته وملكـوت السّماوات والارض ، بـل لذة العلم بقـدر شرف العلم ، وشرف العلم بقدر شرف المعلوم ، فان كان في المعلومات ما هو الأجل والأكمل والأشرف والأعظم فالعلم به ألذ العلوم لا محالة وأشرفها وأطيبها .

وليت شعـري هل في الـوجود شيء أجمـل وأعلى وأشرف وأكمـل من خالق الأشيـاء كلها ومكمّلها ومربّيها ومبديها ومعيدها ومدّبرها ومرتّبها ، فينبغي أن يعلم أنّ لـذّة المعرفـة بالله أقـوى من ساير اللّذات لمن له غريزة المعرفة ، ثمّ من عرف الله عرف أن اللذات المقرونـة بالشّهـوات المختلفة كانها منطو تحت هذه اللذة كما قيل :

كانت لقلبي أهواء مفرقة فاستجمعت إذرأتك العين أهوائي
فصار يحسدني من كنت أحسده فصرت مولى الورى إذ صرت مولائي

---

(١) الغريزة : الطبيعة والقريحة ومنه الحديث : الجبن والبخل والحرص غريزة يجمعها سوء الظن بالله .
(٢) الغزير بتقديم المعجمة : الكثير من كل شيء .

تركت للنّاس دنياهم ودينهم شغلا بذكرك يا ديني ودنيائي

الفصل الثالث

في عدم جواز رؤية الله بالعين والبصر

اعلم أنّه لا فرق في الرّؤية بين الدنيا والاخرة فكما أنّه لا يجوز رؤية الله سبحانه في الدنيا بالعين والبصر ، فكذلك لا يجوز رؤيته في الاخرة بالعين والبصر ، وكما أنه يجوز رؤيته بالقلب والبصيرة لأهل البصائر أعني غاية الانكشاف والوضوح بحيث يتأدي إلى المشاهدة واللقاء ، وكذلك يجوز رؤيته في الدنيا بهذا المعنى .

والحجاب بينه وبين خلقه ليس إلا الجهل وقلة المعرفة ، دون الجسد فان أولياء الله يشاهدونه في الدّنيا في جميع أحوالهم ومتصرّفاتهم وليلهم ونهارهم كما قال الله تعالى : ﴿والشّهداء عند ربّهم﴾[١] وقال : ﴿شهدا الله أنّه لا إله إلا هو والملائكة واولوا العلم قائماً بالقسط﴾[٢] وقال : ﴿إلا من شهد بالحق وهم يعلمون﴾[٣] .

فسمّاهم شهداء لمشاهدتهم له في جميع أحوالهم كما ذكر بقوله عز وجلّ ﴿فأينما تولوا فثم وجه الله﴾[٤] وقال : ﴿هو الأول والاخر والظاهر والباطن﴾[٥] فوصفه بالظاهر وقال : ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم﴾[٦] فلما تحقق أولياء الله بمعاني هذه الآيات شاهدوه بأعين قلوبهم .

«سئل أمير المؤمنين (ع) هل رأيت ربّك حين عبدته ؟ فقال : ويلك ما كنت أعبد ربًا لم أره قيل : وكيف رأيته ؟ قال : ويلك لا تدركه العيون في مشاهدة الابصار ، ولكن رأته القلوب بحقايق الايمان »[٧] .

وقال ابنه الحسين سيّد الشّهداء : « كيف يستدلّ عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك ، أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك ، متى غبت حتّى تحتاج إلى دليل يدل عليك ، ومتى بعدت حتّى تكون الاثار هي التي توصل إليك ، عميت عين لا تراك ولا تزال عليها رقيبا ، وخسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبّك نصيباً »[٨] .

وقال أيضاً : « تعرفت لكل شيء فما جهلك شيء »[٩] وقال أيضاً : « تعرفت إليّ في كلّ

---

(١) سورة الحديد : آية ١٩ (٢) سورة ال عمران : آية ١٨ (٣) سورة الزخرف : آية ٨٦

(٤) سورة البقرة : آية ١١٥ (٥) سورة الحديد : آية ٣ (٦) سورة المجادلة : آية ٧

(٧) الكافي : ج١ص٩٨ والتوحيد : ص١٠٩ (٨) الاقبال : ص٣٤٩ (٩) الاقبال : ص٣٥٠

شيء فرأيتك ظاهراً في كلّ شيء فأنت الظاهر لكل شيء »[1] إلى غير ذلك مما ورد عنهم (ع) في هذا المعنى .

نعم يمكن أن يزيد الانكشاف في الاخرة بقدر زيادة صفاء القلوب وزكائها وتجرّدها عن العلائق الدنيوية .

روى شيخنا الصّدوق طاب ثراه عن أبي بصير عن الصّادق (ع) قال : قلت له : « أخبرني عن الله عزّ وجل هل يراه المؤمنون يوم القيامة ؟ قال : نعم وقد رأوه قبل يوم القيامة فقلت : متى ؟ قال : حين قال لهم ألست بربكم قالوا بلى ثم سكت ساعة ثم قال : وإن المؤمنين ليرونه في الدّنيا قبل يوم القيامة ألست تراه في وقتك هذا ؟ قال : أبو بصير جعلت فداك أفأحدث بها « بهذا خ » عنك فقال : لا ، فانك إذا حدثت به فأنكره منكر جاهل بمعنى ما تقول ثم قدر ان ذلك تشبيه كفر ، وليست الرؤية بالقلب كالرؤية بالعين ، تعالى الله عما يصفه المشبهون والملحدون »[2] .

أراد (ع) بالمشبهين والملحدين أصحاب التيمي والعدوي فانهم يزعمون أن الله سبحانه يجوز رؤيته بهذه العين في الاخرة وإن لم يجز في الدّنيا ، وإن المؤمنين يرون يوم القيامة بالبصر كما يرون القمر ليلة البدر .

وقد سئل الصّادق (ع) عمّا يروون من الرّؤية ، فقال : « الشّمس جزء من سبعين جزء من نور الكرسي ، والكرسي جزء من سبعين جزء من نور العرش ، والعرش جزء من سبعين جزء من نور الحجاب ، والحجاب جزء من سبعين جزء من نور السّتر ، فان كانوا صادقين فليملؤوا أعينهم من الشمس ليس دونها سحاب »[3] .

الفصل الرابع

في طريقة تحصيل المحبة

اعلم أن الطريق إلى تحصيل المحبة وتقويتها ثمّ استعداد الرّؤية واللقاء تحصيل المعرفة وتقويتها ، وذلك بتطهير القلب من شواغل الدنيا وعلايقها والتبتل[4] إلى الله بالذكر والفكر ثمّ

(١) الاقبال : ص٣٥٠ (٢) التوحيد : ص١١٧ (٣) التوحيد : ص١٠٨ والكافي : ج١ص٩٨

(٤) التبتل الانقطاع الى الله واخلاص النية واصل ذلك من البتل وهو القطع . م .

إخراج حبّ غير الله منه ، فان القلب مثل الاناء الذي لا يسع للخل مثلا ما لم يخرج منه الماء ، وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه .

وكمال الحبّ في آن يحب الله بكل قلبه ، وما دام يلتفت إلى غيره فزاوية من قلبه مشغولة بغيره ، فبقدر ما يشتغل بغير الله ينقص منه حبّ الله إلا أن يكون التفاته إلى الغير من حيث إنّه صنع الله وفعل الله ومظهر من مظاهر أسماء الله .

وإلى هذا التفريد والتّجريد الاشارة بقوله تعالى : ﴿قل الله ثمّ ذرهم﴾[1] وذلك إنما يكون بغلبة الشوق ؛ وهو استكمال الوضوح فيما اتضح اتضاحا ما والتشوق إلى ما بقي من المطلوب مما لم يحصل .

فان الشوق إنما يتعلق بما أدرك من وجه ولم يدرك من وجه ، وهو إنّما يكون باحد الأمرين ولا نهاية له ، لأن الاتضاح فيما حصل لا نهاية لدرجاته وكذلك الازدياد فيما بقي من جمال الله وجلاله لا ساحل له ، بل مع حصول أصل الوصال يجد أيضاً شوقا لذيذاً لا يظهر فيه ألم ، فالشوق لا يسكن قط ولا سيّما مما يرى فوقه درجات كثيرة ﴿يسعى نورهم بين أيديهم وبايمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا﴾[2] .

وفي مصباح الشريعة قال الصادق (ع) : « المشتاق لا يشتهي طعاما ولا يلتذ شرابا ولا يستطيب رقا ولا يأنس حميما ولا يأوي داراً ولا يسكن عمرانا ولا يلبس لينا ولا يقر قراراً ويعبد الله ليلا ونهاراً راجيا بأن يصل إلى ما يشتاق إليه ويناجيه بلسان شوقه معبراً عمّا في سريرته كما أخبر الله تعالى عن موسى بن عمران في ميعاد ربّه بقوله : ﴿وعجلت إليك رب لترضى﴾[3] .

وفسر النبيّ (ص) عن حاله أنّه ما أكل ولا شرب ولا نام ولا اشتهى شيئاً من ذلك في ذهابه ومجيئه أربعين يوما شوقا إلى ربّه فاذا دخلت ميدان الشّوق فكبّر على نفسك ومرادك من الدنيا ، ودع المألوفات وأحرم عن سوى مشوّقك ولبّ بين حياتك وموتك لبّيك اللهمّ لبيك وأعظم الله تعالى اجرك .

ومثل المشتاق مثل الغريق ليس له همّة إلا خلاصه وقد نسي كل شيء دونه »[4] والاخبا الواردة في شوق لقاء الله تعالى أكثر من أن تحصى ، وقد مرّت الاشارة إلى بعضها في ادعيَ

---

(١) سورة الانعام : آية ٩١ (٢) سورة التحريم : آية ٨ . (٣) سورة طه : آية ٨٤ (٤) مصباح الشريعة ص١٩٦

المعصومين (ع) .

الفصل الخامس

درجات المحبة وآثارها على النفس

اعلم أن الانسان إذا غلب عليه التطلع من وراء حجب الغيب إلى منتهى الجمال واستشعر قصوره عن الاطلاع على كنه الجلال انبعث القلب إلى الطلب وانزعج له وهاج إليه فسميت هذه الحالة في الانزعاج شوقا وهو بالاضافة إلى أمر غايب .

وإذا غلب عليه الفرح بالقرب ومشاهدة الحضور بما هو حاصل من الكشف وكان نظره مقصوراً على مطالعة الجمال الحاضر المكشوف غير ملتفت إلى ما لم يدركه بعد استبشار القلب بما يلاحظه فيسمّى استبشاره انسا .

وإن كان نظره إلى صفات العز والاستغناء وعدم المبالاة وخطر امكان الزّوال والبعد تألم قلبه بهذا الاستشعار فتسمى تألّمه خوفاً وهذه الاحوال تابعة لهذه الملاحظات فان غلب الانس وتجرد عن ملاحظة ما غاب عنه وما يتطرق إليه من خطر الزوال عظم نعيمه ولذّته ومن غلب عليه الانس بالله لم يكن شهوته إلا في الانفراد والخلوة .

وذلك لان الانس بالله يلازمه التوحش من غير الله بل كلّ ما يعوق من الخلوة يكون أثقل الأشياء على القلب .

كما روي ان موسى (ع) لما كلمه ربّه مكث دهراً لا يسمع كلام أحد من الخلق إلا أخذه الغشيان ، لأن الحبّ يوجب عذوبة كلام المحبوب وعذوبة ذكره ، فتخرج من القلوب عذوبة ما سواه ، فان خالط النّاس كان كمنفرد في جماعة ومجتمع في خلوة وغريب في حضر وحاضر في سفر وشاهد في غيبة وغايب في حضور ومخالط بالجسد منفرد بالقلب المستغرق بعذوبة الذّكر .

قال أمير المؤمنين (ع) في وصفهم : «هم قوم هجم بهم العلم على حقيقة الأمر فباشروا روح اليقين واستلانوا ما استوعره المترفون ، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون ، صحبوا الدّنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحلّ الأعلى ، اولئك خلفاء الله في أرضه والدّعاة إلى دينه»[1] .

---

(١) نهج البلاغة : قصار الحكم حكمة ١٤٧ .

الفصل السادس

في الانبساط والادلال

اعلم أنّ الانس إذا دأم وغلب استحكم ولم يشوشه قلق الشوق ولم ينغصه خوف البعد والحجاب ، فانه يثمر نوعاً من الانبساط في الأقوال والأفعال والمناجاة مع الله سبحانه ، وقد يكون منكراً بحسَب الصّورة لما فيه من الجرأة وقلّة الهيبة ولكنّه محتمل ممّن اقيم مقام الانس ومن لم يقم في ذلك المقام وتشبه بهم في الفعل والكلام هلك وأشرف على الكفر .

ومثاله (مناجاة برخ الاسود الذي أمر الله تعالى كليمه موسى (ع) أن يسأله ليستسقي لبني إسرائيل بعد أن قحطوا سبع سنين ، وخرج موسى في سبعين ألفا فأوحى الله عزّ وجلّ إليه كيف استجيب لهم وقد أظلت (أظلمت) عليهم ذنوبهم سرائرهم خبيثة يدعونني على غير يقين ، ويأمنون مكري ارجع إلى عبد من عبادي يقال له برخ فقل له يخرج حتّى استجيب له فسأل عنه موسى (ع) فلم يعرف فبينا موسى ذات يوم يمشي في طريق إذا بعبد أسود قد استقبله بين عينيه تراب من أثر السجود في شملة[1] قد عقدها على عنقه فعرفه موسى (ع) بنور الله تعالى فسلم عليه فقال : ما اسمك ؟ قال : اسمي برخ قال : فأنت طلبتنا منذ حين فاستسق لنا فخرج فقال في كلامه : **ما هذا من فعالك ولا هذا من حلمك، ما الذي بدا لك أتعصت عليك غيومك أم عاندت** الرّياح عن طاعتك ، أم نفد ما عندك أم اشتد غضبك على المذنبين ألست كنت غفاراً قبل خلق الخطائين خلقت الرّحمة وأمرت بالعطف أم ترينا أنك ممتنع أم تخشى الفوت فتعجل بالعقوبة .

قال : فما برح حتى اخضلت بنو اسرائيل بالمطر وأنبت الله عزّ وجلّ العشب في نصف يوم حتّى بلغ الركب ، قال : فرجع برخ فاستقبله موسى فقال : كيف رأيت حين خاصمت ربّي كيف أنصفني فهم موسى ؛ فأوحى الله عزّ وجلّ إليه إن برخاً يضحكني كلّ يوم ثلاث مرات)[2] .

واعلم أن الانبساط والادلال[3] يحتمل من بعض العباد دون البعض فمن انبساط الانس

---

(١) الشملة بالفتح كساء دون القطيفة يشتمل به .ق .(٢) إحياء علوم الدين : ج٤ ص٣١٢

(٣) دل المرأة ودلالها تدللها على زوجها تريه جرأة في تغنج وتشكل كانها تخالفه وما بها خلاف

قـول موسى : ﴿إن هي إلا فتنتـك تضـل بهـا من تشـاء وتهـدي من تشـاء﴾[1] وقـولـه في التعلل والاعتذار لما قيل له اذهب إلى فرعون إنّه طغى فقال : ﴿ولهم عليّ ذنب فـاخاف أن يقتلون﴾[2] وقوله : ﴿ويضيق صدري﴾[3] وقوله : ﴿إنّا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى﴾[4] .

وهـذا من غير مـوسى من سوء الادب لان الـذي اقيم مقـام الانس يـلاطف ويحتمـل ولم يحتمل ليونس ما دون هذا لما ان اقيم مقام القبض والهيبة فعوقب بالسجن في بطن الحـوت في ظلمات ثلاث فنـودي عليه إلى يـوم الحشر : ﴿لـولا أن تداركـه نعمة من ربّـه لنبذ بـالعراء وهـو مـذموم﴾[5] ونهى نبينـا (ص) أن يقتدي بـه وقيل لـه : ﴿واصبر لحكم ربّـك ولا تكن كصـاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم﴾[6] .

وهذه الاختلافات بعضها لاختلاف الأحوال والمقـامات ، وبعضهـا لما سبق في الأزل من التفضـل والتفاوت في القسمـة بين العبـاد ، قـال الله تعـالى : ﴿ولقـد فضلنـا بعض النبيّين على بعض﴾[7] وقال:﴿منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات﴾[8] .

وكان عيسى (ع) من المفضلين ولا دلاله سلم على نفسه فقال : ﴿والسلام عليّ يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيّا﴾[9] وهذا انبساط لما شاهد من اللطف في مقام الانس .

وأمـا يحيى بن زكريـا فانّـه اقيم مقـام الهيبـة والحيـاء فلم ينـطق حتى سلم عليـه خـالقـه فقال : ﴿وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيّاً﴾[10]

وانظر كيف احتمل لاخوة يوسف ما فعلوا بيوسف.وقد قال بعض العلماء : قد عـددت من أول قوله تعـالى : ﴿إذ قالـوا ليوسف وأخـوه أحبّ إلى ابينا منـا﴾[11] إلى رأس العشرين آيـة من اخباره تعالى عن زهدهم نيفاً[12] وأربعين خطيئة بعضها أكبر من بعض ، وقـد يجتمع في الكلمة الواحدة الثلاث والأربع فغفر لهم وعفى عنهم ، ولم يحتمل لعـزير مسئلة واحـدة سأل عنهـا في

---

(١) سورة الاعراف : آية ١٥٥ (٢) سورة الشعراء : آية ١٤ (٣) سورة الشعراء : آية ١٣ .
(٤) سورة طه : آية ٤٥ (٥) سورة القلم : آية ٤٩ (٦) سورة القلم : آية ٤٨
(٧) سورة الاسراء : آية ٥٥ (٨) سورة البقرة : آية ٢٥٣
(٩) سورة مريم : آية ٣٣ (١٠) سورة مريم : آية ١٥ (١١) سورة يوسف : آية ٨
(١٢) النيف ككيس وقـد تخفف : الزيـادة وكل مـا زاد على العقد فنيف الى أن يبلغ العقد الثاني والنيف الفضـل والاحسان ومن واحدة الى ثلاث، ق .

القـدر حتّى قيل : لئن عـاد محي اسمـه عن ديوان النّبـوة(١) وهـذه القصص اوردت في القـران ليعرف بها سنة الله في عباده الذين خلوا من قبل فما في القرآن شيء إلا وهو نور وهـدى وتعرف من الله تعالى إلى خلقه (٢).

الفصل السابع

معنى محبة الله للعبد

وأمّا محبّة الله سبحانه لعبده فيرجع معناه إلى كشف الحجاب عن خلقه حتّى يـراه بقلبه ، وإلى تمكينه إيّاه من القرب إليه ،وإلى إرادته ذلك به في الأزل وإلى تطهير باطنه من حلول الغير به وتخليته عن عوائق تحول بينه وبين مولاه حتّى لا يسمـع إلاّ بالحق ومن الحقّ ، ولا يبصـر إلاّ به ، ولا ينطق إلا به كما ورد في الحديث القدسي :

«ولا يزال العبد يتقرب إليّ بالنـوافل حتّى احبّه فاذا أحببتـه كنت سمعه الـذي يسمع بـه ، وبصره الذي يبصر به ، ولسانه الذي ينطق به».(٣)

---

(١) قوله : حتى قيل لان عاد محى اسمه عن ديوان النبوة كذا نقله المصنف في المحجة البيضاء ايضاً والنراقي في جامع السعادات والاصل في ذلك : الغزالي في احياء العلوم ولم أعرف القائل وأنـه هل هـو معصوم أو غيـر معصوم ولم اعثر له على مستند فكأن القائل لم يقنع باماتة الله تعالى اياه (ع) مأة عام حتى أتى بهذا الكلام ، ولا يخفى أن مسألة عزير أو ارميا على اختلاف الروايات وادلاله وقوله : « أنى يحيي هذه الله بعذ موتها » ليس الا كقول ابراهيم (ع) : « رب أرني كيف تحيي الموتى » لم يقل ذلك انكاراً ولا تعجباً ولا ارتيابا ، بل قال ذلك استعظاما لامر الله ، واحب ان يريه الله احياءها مشاهدة ليحصل له العلم به ضرورة كما حصـل له العلم بـه دلالة . والقصة مذكورة في أواخر سورة البقرة فليراجع . قال في المجلد الخامس من البحار : أوحى الله الى عزير يا عزير اذا وقعت في معصية فلا تنظر الى صغرها ولكن انظر من عصيت ، واذا اوتيت رزقا مني فلا تنظر الى قلته ولكن انظر مَن أهداه ، واذا نزلت بك بلية فلا تشكو الى خلقي كما لا اشكوك الى ملائكتي عند صعود مساويك وفضايحك .

(٢) فتارة يتعرف اليهم بالتقديس فيقول : قل هـو الله أحد الى آخـر السورة ، وتـارة يتعرف اليهم بصفـات جلالـه فيقول : الملك القدوس السلام المؤمن العزيز الجبار المتكبز ، وتارة يتعرف اليهم بأفعاله المخوفة والمرجوة فيتلو عليهم سننه في أنبيائه وأعدائه فيقول : ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد ، ألم تر كيف فعـل ربك بأصحاب الفيل ، ولا يعدو القرآن هذه الأقسام الثلاثة الى آخر ما ذكره (قده) في محجة البيضاء .

(٣) المحاسن : ص ٢٩١

فيكون تقربه بالنوافل سبباً لصفاء باطنه وارتفاع الحجاب عن خلقه وحصوله في درجة القرب من ربّه ، وكلّ ذلك من فضل الله ولطفه به قال الله تعالى : ﴿يحبهم ويحبونه﴾[1] وقال : ﴿ان الله يحبّ الذين يقاتلون في سبيله صفّا﴾[2] وقال : ﴿إن الله يحب التّوابين ويحبّ المتطهرين﴾[3] .

وقال رسول الله (ص) : « إنّ الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب »[4] وقال (ص) « إذا أحب الله عبداً ابتلاه ، فان صبر اجتباه ، وإن رضي اصطفاه »[5] وقال (ص) : « إذا أحب الله عبداً جعل له واعظاً من نفسه وزاجرا من قلبه يأمره وينهاه »[6] .

وأخصّ علاماته حبّه لله عزّ وجلّ فان ذلك يدل على حبّ الله عزّ وجلّ له وأما الفعل الدال على كونه محبوبا فهو أن يتولى الله تعالى أمره ظاهره وباطنه سرّه وجهره ، فيكون هو المشير إليه والمدبّر لأمره والمزيّن لاخلاقه ، والمستعمل لجوارحه ، والمسدّد لظاهره وباطنه ، والجاعل لهمومه همّا واحداً ، والمبغض للدّنيا في قلبه ، والموحش له غيره ، والمؤنس له بلذّة المناجاة في خلواته ، والكاشف له عن الحجب بينه وبين معرفته .

الفصل الثامن

أظهر الموجودات هو الله سبحانه

اعلم أن أظهر الموجودات وأجلاها هو الله سبحانه ، وذلك لأنّه هو الموجود بذاته وما سواه موجود به قال الله سبحانه : ﴿الله نور السّموات والارض﴾[7] والنّور هو الظاهر لنفسه المظهر لغيره ومبدء الادراك من المدرك والمدرك إنّما هو الموجود فكلما أدركته فانما تدرك أولا وجوده وإن لم تشعر بذلك وإنّما خفي عليك ذلك لغاية وضوحه .

ولا تعجب من اختفاء شيء بسبب ظهوره فان الأشياء إنما تستبان بأضدادها وما عم وجوده حتّى لا ضدّ له عسر ادراكه ، فلو اختلفت الاشياء فدّل بعضها على الله تعالى دون بعض ادركت

---

(١) سورة المائدة : آية ٥٤ .

(٢) سورة الصف : آية ٤ . (٣) سورة البقرة : آية ٢٢٢ . (٤) احياء علوم الدين : ج ٤ ص ٣٠٠ .

(٥) احياء علوم الدين : ج ٤ ص ٣٠٢ . (٦) احياء علوم الدين : ج ٤ ص ٣٠٢ .

(٧) سورة النور : آية ٣٥ .

التفرقة على قرب ، ولّما اشتركت في الدلالة على نسق واحد أشكل الأمر .

ومثاله نور الشمس المشرق على الأرض فانا نعلم أنّه عرض من الاعراض يحدث في الأرض ويزول عند غيبة الشّمس فلو كانت الشّمس دائمة الاشراق لا غروب لها لكنا نظن أن لا هيئة في الاجسام إلا ألوانها ، فامّا الضّوء فلا ندركه وحده ولكن لما غابت الشّمس وأظلمت المواضع ادركت تفرقة بين الحالتين فعلمنا أن الأجسام قد استضاءت بضوء فارقها عند الغروب فعرفنا وجود النور بعدمه وما كنا نطلع عليه لولا عدمه إلّا بعسر شديد وذلك لمشاهدتنا الأجسام متشابهة غير مختلفة في الظلام والنّور .

هذا مع ان النّور أظهر المحسوسات اذ به يدرك ساير المحسوسات فما هو ظاهر في نفسه وهو مظهر لغيره انظر كيف استبهم أمره بسبب ظهوره لولا طريان ضدّه .

فاذن الحقّ سبحانه هو أظهر الأشياء وبه ظهر الأشياء كلها ولو كان له عدم أو غيبة أو تغيّر لانهدت السماوات والأرض وبطل الملك والملكوت ولادركت التفرقة بين الحالتين ولو كان بعض الأشياء موجوداً به وبعضاً موجوداً بغيره لادركت التفرقة بين الشّيئين في الدلالة ولكن دلالته عامة في الأشياء على نسق واحد ووجوده دايم في الاحوال يستحيل خلافه فلا جرم اورث شدة الظّهور خفاء

خفي لافراط الظهور تعرّضت لادراكه أبصار قوم أخافش[١]
وحظ عيون الزّرق من نور وجهه لشدّته حظ العيون العوامش[٢]

قال أمير المؤمنين (ع) : « لم تحط به الأوهام بل تجلى لها بها وبها امتنع منها »[٣] وقال (ع) ظاهر في غيب وغايب في ظهور وقال (ع) : « لا تجنه البطون عن الظهور ولا يقطعه الظهور عن البطون ، قرب فنأى وعلا فدنى ، وظهر فبطن ، وبطن فعلن ، ودان ولم يدن »[٤] ، أي ظهر وغلب ولم يغلب ، ومن هنا قيل : عرفت الله بجمعه بين الأضداد .

---

(١) الخفش محركة صغر العين وضعف البصر خلقة او فساد في الجفون بلا وجع وان يبصر بالليل دون النهار في يوم غيم دون صحو ، ق.

(٢) العمش محركة ضعف الرؤية مع سيلان الدمع في أكثر الاوقات ق .

(٣) نهج البلاغة : ص ٢٦٩ خطبة ١٨٥ . (٤) نهج البلاغة : ص ٣٠٩ خطبة ١٩٥ .

الباب الخامس
في اليقين والتوكل

في اليقين والتوكل ، قال الله تعالى : ﴿وبالآخرة هم يوقنون﴾[1] وقال النبي (ص) : « من أقل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصّبر ومن اوتي حظه منهما لم يبال ما فاته من صيام النهار وقيام اللّيل »[2] وقال (ص) لما قيل له : « رجل حسن اليقين كثير الذنوب ، ورجل مجتهد في العبادة قليل اليقين فقال (ص) : « ما آدمي إلاوله ذنوب ولكن من كان غريزته العقل وسجيته اليقين لم تضره الذنوب ، لأنّه كلما أذنب دنباً تاب واستغفر وندم فتكفّر ذنوبه ويبقى له فضل يدخل به الجنّة »[3] وقال (ص) : « اليقين الايمان كله »[4].

وفي وصية لقمان لابنه : « يا بني لا يستطاع العمل إلا باليقين ، ولا يعمل المرء إلا بقدر يقينه ، ولا يقضر عامل حتى ينقص يقينه »[5] .

وعن الصّادق (ع) قال : « ليس شيء إلا وله حدّ قيل : فما حدّ التوكل ؟ قال : اليقين قيل : فما حد اليقين ؟ قال : أن لا يخاف مع الله شيئاً »[6] .

وقال (ع) : « من صحة يقين المرء المسلم أن لا يرضي النّاس بسخط الله ، ولا يلومهم بما لم يؤته الله ، فان الرّزق لا يسوقه حرص حريص ، ولا يردّه كراهيّة كاره ولو أن أحدكم فرّ من رزقه كما يفر من الموت لأدركه رزقه كما يدركه الموت ثمّ قال إن الله بعدله وقسطه جعل الرّوح والراحة في اليقين والرضا ، وجعل الهمّ والحزن في الشكّ والسّخط »[7] .

أراد (ع) بقوله ولا يلومهم على ما لم يؤته الله أن لا يشكوهم على ترك صلتهم ايّاه بالمال ونحوه ، ومن كان من أهل اليقين عرف أن ذلك كذلك فلا يلوم أحداً بذلك وعرف أن ذلك ممّا اقتضته ذاته بحسب استعداده وما أوجبته حكمة الله في امره .

وعنه (ع) « إن العمل الدايم القليل على اليقين أفضل عند الله تعالى من العمل الكثير

---

(١) سورة البقرة : آية ٤ .

(٢) احياء علوم الدين : ج ١ ص ٦٨ . (٣) احياء علوم الدين : ج ١ ص ٦٨ .

(٤) احياء علوم الدين : ج ١ ص ٦٨ . (٥) احياء علوم الدين : ج ١ ص ٦٨ . (٦) الكافى : ج ٢ ص ٥٧ .

(٧) الكافي : ج ٢ ص ٥٧ .

على غير يقين »[١] وعنه (ع) قال : كان أمير المؤمنين (ع) يقول : « لا يجد عبد طعم الايمان حتّى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه »[٢] وأن الضار النافع هو الله تعالى .

وعنه (ع)« :ان امير المؤمنين (ع) جلس إلى حايط مايل يقضي بين النّاس فقال بعضهم : لا تقعد تحت هذا الحايط فانّه معور فقال أمير المؤمنين (ع) : حرس امرءا أجله ، فلمّا قام سقط الحايط ، قال : وكان أمير المؤمنين (ع) ممّا يفعل هذا وأشباهه ، وهذا اليقين »[٣] .

وعنه (ع) قال : كان قنبر غلام عليّ (ع) يحبّ عليّاً حبّاً شديداً ، فاذا خرج عليّ (ع) خرج على أثره بالسّيف ، فرآه ذات ليلة فقال : « يا قنبر ما لك ؟ قال : جئت لأمش خلفك يا أمير المؤمنين ، قال : ويحك أمن أهل السّماء تحرسني أو من أهل الأرض ؟ قال : لا بل من أهل الأرض ، فقال : إن أهل الأرض لا يستطيعون لي شيئاً إلا باذن الله من السماء : فارجع فرجع »[٤] .

وقيل للرّضا (ع) : « إنّك تتكلم بهذا الكلام والسيف يقطر دماً ، فقال : ان لله تعالى واديا من ذهب حماه بأضعف خلقه النمل فلو رامه البخاتي[٥] لم تصل إليه »[٦] يعني بالسيف سيف السلطان .

وعنه (ع) كان في الكنز الذي قال الله تعالى:﴿وكان تحته كنز لهما﴾[٧] كان فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح ؟ وعجبت لمن أيقن بالقدر كيف يحزن ؟ وعجبت لمن رأى الدّنيا وتقلبها بأهلها كيف يركن إليها »[٨] .

---

(١) الكافي : ج ٢ ص ٥٧ . (٢) الكافي : ج ٢ ص ٥٨ .
(٣) الكافي : ج ٢ ص ٥٨ . (٤) الكافي : ج ٢ ص ٥٩ .
(٥) البخت نوع من الابل ، والجمع بخاتي غير مصروف لانه جمع الجمع ، قال في مجمع البحرين في شرح الحديث خصها بالذكر لانها أقوى خلق الله من الحيوان .
(٦) الكافي : ج ٢ ص ٥٩ . (٧) سورة الكهف : الآية ٨٢ . (٨) الكافي : ج ٢ ص ٥٩ .

الفصل الاول

عـظم شآن اليقين ودرجـاته

اليقين أن يرى الاشياء كلها من مسبب الاسباب ولا يلتفت إلى الوسايط بـل يرى الـوسايط كلها مسخرة لا حكم لها ، ثمّ الثـقة بضمان الله سبحانه للرزق وأن ما قدر له سيساق إليه ثم أن يغلب على قلبه أن من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شرّاً يره ، ثم المعرفـة بأن الله تعالى مطلع عليه في كل حال ومشاهد بـهـواجــس ضميره وخفايـا خواطـره ، فيكون متـأدباً في جميع أحواله وأعماله مع الله سبحانه ، فيكون مبالغته في عمارة بـاطنه وتـطهيره وتزيينه لعين الله الكالئة[1] أشد من مبالغته في تزيين ظاهره لساير الناس .

وفي مصباح الشريعة قال الصّادق (ع) : «اليقين يوصـل العبد إلى كـل حال سني[2] ومقـام عجيب ، كذلك أخبر رسول الله (ص) عن عظم شان اليقين حين ذكر عنده عن عيسى بن مـريم (ع) كان يمشي على الماء ، فقال لو زاد يقينه لمشى في الهواء .

فدل بهذا أن الأنبياء مع جلالة محلهم من الله كانت تتفاضل على حقيقة اليقين لا غير ولا نهاية لـزيادة اليقين على الأبـد والمؤمنون أيضـاً متفاوتـون في قوة اليقين وضعفـه فمن قوى منهم يقينه فعلامته التبري من الحول والقوة إلاّ بالله والاستقامة على أمر الله وعبادته ظـاهراً وبـاطناً قـد استوت عنده حالة العدم والوجود والزيادة والنقصان والمدح والذم والعزّ والذل ، لأنـه يرى كلهـا من عين واحدة ، ومن ضعف يقينه تعلّق بالأسباب ورخص لنفسه بذلك واتبع العـادات وأقاويـل الناس بغير حقيقة والسّعي في امور الدنيا وجمعها وإمساكها مقرا باللسان أنـه لا مانـع ولا معطي إلا الله وأنّ العبد لا يصيب إلا ما رزق وقسم له ، والجهد لا يـزيد في الـرزق وينكر ذلـك بفعله وقلبه .

قال الله تعالى : ﴿يقولون بـأفواههم مـا ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمـون﴾[3] وإنما عطف الله لعباده حيث أذن لهم في الكسب والحـركات في بـاب العيش ما لم يتعدوا حدوده ولا يتركوا من فرايضه وسنن نبيّه في جميع حركاتهم ، ولا يعدلوا عن محجة التوكـل ، ولا يقفوا في ميدان الحرص وأما إذا أبوا ذلك وارتبطوا بخلاف ما حد لهم كانوا من الهالكين الذين ليس معهم

---

(١) في الدعاء اللهم اجعلني في كلائتك اي في حفظك وحمايتك . (٢) السنى : الرفيع م .

(٣) سورة آل عمران : آية ١٦٧ .

في الحاصل إلّا الدعاوي الكاذبة .

وكلّ مكتسب لا يكون متوكلا فلا يستجلب من كسبه إلى نفسه إلا حراما وشبهة ، وعلامته أن يؤثر ما يحصل من كسبه ويجوع وينفق في سبيل الدين ولا يمسك والمأذون بالكسب من كان بنفسه مكتسباً وبقلبه متوكلا ، وإن كثر المال عنده قام فيه كالأمين عالماً بأن كون ذلك وفوته سواء وإن أمسك أمسك لله وإن أنفق أنفق فيما أمره الله عزّ وجلّ ويكون منعه وعطاؤه في الله »[1] .

الفصل الثاني

التوكل باب الرزق والرحمة

التوكل منزل من منازل الدّين ، ومقام من مقامات الموقنين ، بل هو من معالي درجات المقربين ، وهو في نفسه غامض من حيث العلم ، ثم هو شاق من حيث العمل ووجه غموضه من حيث العلم أن ملاحظة الاسباب والاعتماد عليها شرك في التوحيد والتباعد بالكلية طعن في السنة وقدح في الشرع ، والاعتماد على الاسباب انغماس في غمرة الجهل .

قال الله تعالى :﴿وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين﴾[2] وقال :﴿وعلى الله فليتوكل المتوكلون﴾[3] ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾[4] وقال :﴿إن الله يحبّ المتوكلين﴾[5] فأعظم بمقام موسوم بمحبة الله صاحبه ومضمون بكفاية الله لابسه ، فان المحبوب لا يعذب ولا يبعد ولا يحجب .

وقد قال الله تعالى :﴿أليس الله بكاف عبده﴾[6] فطالب الكفاية من غيره هو التارك للتوكل وهو المكذب بهذه الآية .

وقال رسول الله (ص) :« لو أنكم تتوكلون على الله حقّ توكله لرزقتم كما يرزق الطير تغدو خماصاً[7] وتروح بطانا[8] »[9] وقال :« من انقطع إلى الله كفاه الله كل مؤونة ورزقه من حيث لا

(١) مصباح الشريعة : ص ١٧٧ . (٢) سورة المائدة : آية ٢٣ .
(٣) سورة ابراهيم : آية ١٢ . (٤) سورة الطلاق : آية ٣ . (٥) سورة آل عمران : آية ١٥٩ .
(٦) سورة الزمر : آية ٣٦ . (٧) خمص : جاع والجمع خماص . (٨) البطنة بالكسر الامتلاء الشديد . م .
(٩) تنبيه الخواطر ج ١ ص ٢٢٢ اخرجه الترمذي ج ٩ ص ٢٠٧ واحياء علوم الدين : ج ٤ ص ٢٢٦ .

يحتسب ، ومن انقطع إلى الدّنيا وكله الله إليها »[1] وقال : « من سرةّ أن يكون أغنى النّاس فليكن بما عند الله أوثق منه ممّا في يده .

وعن الصّادق (ع) أوحى الله تعالى إلى داود (ع) « ما اعتصم بي عبد من عبادي دون أحد من خلقي عرفت ذلك من نيته ثمّ تكيده السماوات والأرض ومن فيهن إلا جعلت له المخرج من بينهن ، وما اعتصم عبد من عبادي بأحد من خلقي عرفت ذلك من نيته إلا قطعت أسباب السماوات وأسخت[2] الأرض من تحته ولم ابال بأي واد هلك »[3] .

وعنه (ع) : « إن الغنى والعز يجولان ، فاذا ظفرا بموضع التوكل أوطنا »[4] .

وعنه (ع) : « إنه قرأ في بعض الكتب أن الله تعالى يقول : وعزتي وجلالي ومجدي وارتفاعي على عرشي لاقطعن أمل كلّ مؤمّل غيري باليأس ، ولأكسونه ثوب المذلة عند الناس ولأنحينه من قربي ، ولابعدنه من وصلي أيؤمل غيري في الشدايد والشدايد بيدي ويرجو غيري ويقرع بالفكر باب غيري وبيدي مفاتيح الابواب وهي مغلقة وبابي مفتوح لمن دعاني .

فمن ذا الذي أملني لنوائبه فقطعته دونها ، ومن الذي رجاني لعزيمة فقطعت رجاءه مني جعلت آمال عبادي عندي محفوظة فلم يرضوا بحفظي وملأت سماواتي ممّن لا يملّ من تسبيحي ، وأمرتهم أن يغلقوا الابواب بيني وبين عبادي فلم يثقوا بقولي .

ألم يعلم من طرقته نائبة من نوائبي أنه لا يملك كشفها أحد غيري ، أفيراني أبدأ بالعطاء قبل المسألة ثمّ اسأل فلا اجيب سائلي أبخيل أنا فيبخلني عبدي ، أوليس الجود والكرم لي ، أوليس العفو والرحمة بيدي ، أوليس انا محلّ الآمال فمن يقطعها دوني ، افلا يخشى المؤمّلون ان يؤملوا غيري .

فلو أن أهل سماواتي وأهل أرضي أملوا جميعاً ثمّ اعطيت كلّ واحد منهم مثل ما امل الجميع ما انتقص من ملكي مثل عضو ذرّة وكيف ينقص ملك أنا قيّمه فيا بؤساً للقانطين من رحمتي ، ويا بؤساً لمن عصاني ولم يراقبني »[5] .

---

(١) تنبيه الخواطر ج ١ ص ٢٢٢ وآحياء علوم الدين ج ٤ ص ٢٢٦ . (٢) ساخت الارض بهم أي خسفت . ق.
(٣) الكافي ج ٢ ص ٦٣ . (٤) الكافي ج ٢ ص ٦٥ .
(٥) الكافي ج ٢ ص ٦٦ .

الفصل الثالث

التوكل يبنى بقوة القلب واليقين

اعلم أنّه من اعتقد اعتقاداً جازماً بأنّه لا فاعل إلاّ الله وأنّه لا حول ولا قوة إلاّ بالله وأن له تمام العلم والقدرة على كفاية العباد ، ثم تمام العطف والعناية والرّحمة بجملة العباد والآحاد ، وأنّه ليس وراء منتهى قدرته قدرة ، ولا وراء منتهى علمه علم ولا وراء منتهى عنايته عناية ، اتكل لا محالة قلبه على الله وحده ، ولم يلتفت إلى غيره بوجهه ولا إلى نفسه .

ومن لم يجد ذلك من نفسه فسببه أحد أمرين إمّا ضعف اليقين ، وإمّا ضعف القلب ومرضه باستيلاء الجبن عليه وانزعاجه بسبب الاوهام الغالبة عليه ؛ فان القلب قد ينزعج تبعاً للوهم وطاعة له من غير نقصان في اليقين كانزعاجه أن يبيت مع ميت في قبر أو فراش مع عدم نفرته عن ساير الجمادات .

فالتوكل لا يتم إلا بقوة القلب وقوة اليقين جميعاً إذ بهما يحصل سكون القلب وطمأنينته ، فالسكون في القلب شيء واليقين شيء آخر فكم من يقين لا طمأنينة معه كما قال تعالى لخليله : **﴿أولم تؤمن قال : بلى ولكن ليطمئن قلبي﴾**(١)

وكم من مطمئن لا يقين له كساير أرباب الملل والمذاهب ، فان اليهودي مطمئن القلب إلى تهوده ، وكذا النصراني ولا يقين لهما اصلا وإنما يتبعون الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربّهم الهدى وهو سبب اليقين إلا أنهم معرضون عنه .

وعن الكاظم (ع) : « في قول الله عزّ وجلّ : **﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾**(٢) قال للتوكل على الله درجات : منها أن تتوكل على الله في امورك كلّها فما فعل بك كنت عنه راضياً ، تعلم أنه لا يألوك(٣) خيراً وفضلاً ، وتعلم أن الحكمة في ذلك له فتوكل على الله بتفويض ذلك عليه وثق به فيها وفي غيرها »(٤) .

ولعل ساير درجات التوكل أن يتوكل على الله في بعض اموره دون بعض وتعددها بسبب كثرة الامور المتوكل فيها وقلتها .

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢٦٠ . (٢) سورة الطلاق : آية ٣ .

(٣) في القاموس ألى وائتلى : قصر وأبطأ وتكبر وفي مجمع البحرين في معنى قوله تعالى : لا يألونكم خبالا قال : أي لا يقصرون لكم في الفساد . (٤) الكافي : ج ٢ ص ٦٥ .

الفصل الرابع

تحصيل الاسباب لا ينافي التوكل

اعلم أن من النّاس من يظن أن معنى التوكل ترك الكسب بالبدن وترك التدبير بالقلب والسّقوط على الأرض كالخرقة الملقاة واللحم على الوضم[1] وهذا ظن الجهّال فان ذلك حرام في الشرع، فان الانسان مكلّف بطلب الرّزق بالاسباب التي هداه الله إليها من زراعة أو تجارة أو صناعة أو غير ذلك ممّا أحلّه الله .

وكما أن الصّلاة والصّيام والحجّ عبادات كلّف الله بها عباده يتقرّبون بها إليه ، كذلك طلب الرّزق الحلال عبادة كلّفهم الله به ليتقربوا به إليه ، بل هو أفضل العبادات كما مرّ بيانه في الباب الأوّل من المقالة الثالثة ولكنه سبحانه كلّفهم أيضاً بأن لا يثقوا الا به جلّ وعزّ ، ولا يثقوا بالأسباب كما أنه سبحانه كلفهم بأن لا يتكلوا على أعمالهم الحسنة بل بفضل الله تعالى

فمعنى التوكل المأمور به في الشرع الأقدس هو اعتماد القلب على الله تعالى في الامور كلها وانقطاعه عمّا سواه ، ولا ينافيه تحصيل الأسباب إذا لم يكن يسكن إليها وكان سكونه إلى الله تعالى دونها مجوزاً أن يؤتيه الله مطلوبه من حيث لا يحتسب دون هذه الاسباب التي حصلها وان يقطع الله هذه الأسباب عن مسبباتها .

سواء كانت لجلب نفع متوقع ، أو لدفع ضرر منتظر ، أو لازالة آفة واقعة ، وسواء كانت مقطوعاً بها كمدّ اليد إلى الطعام ليصل إلى فيه ، أو مظنونة كحمل الزاد للسّفر ، وأخذ السّلاح للعدو واتخاذ البضاعة للتجارة ، والادخار لتجدد الاضطرار والتداوي لازالة المرض ، والتحرز عن النوم في مكمن[2] السّباع ومجرى (ممرخ) السّيل وتحت الحايط المايل ، وغلق الباب وعقل البعير ونحو ذلك .

أمّا الموهومة كالرّقية والطيرة والاستقصاء في دقايق التدبير فيبطل بها التوكل لأن أمثال ذلك ليست بأسباب عند العقلاء الألباء ، وليست ممّا أمر الله بها بل ورد النهي عنها ، على أن المأمور به : الاجمال في الطلب وعدم الاستقصاء وترك الاستبطاء .

---

(١) الوضم محركة ما وقيت به اللحم عن الارض من خشب وحصير ، وتركهم لحما على وضم أوقعهم فذللهم وأوجعهم ق . (٢) كمن كمونا : استخفى .

قال النّبي (ص) : « ألا إن الرّوح الأمين نفث في روعي أنّه لا تموت نفس حتى تستكمل لذتها ، فاتقوا الله عزّ وجلّ وأجملوا في الطلب »[1] وقال : « ما أجمل في الطلب من ركب البحر »[2] .

وقال الصّادق (ع) : « ليكن طلبك المعيشة فوق كسب المضيع ودون طلب الحريص الراضي بدنياه المطمئن إليها ، ولكن أنزل نفسك من ذلك بمنزلة المنصف المتعفف ترفع نفسك عن منزلة الواهن الضّعيف ، وتكتسب ما لا بدّ منه إنّ الذين اعطوا المال ثمّ لم يشكروا لا مال لهم »[3] ، وقال : «إذا فتحت بابك وبسطت بساطك ، فقد قضيت ما عليك » .

وإنّما لا يبطل التوكل بالأسباب المقطوعة والمظنونة مع أن الله تعالى قادر على اعطاء المطلوب بدون ذلك «لأن الله سبحانه أبى أن يجري الأشياء إلا بالاسباب » [4].

وأحب الله لعباده أن يطلبوا منه مقاصدهم بالاسباب التي سببها لذلك وامرهم بذلك قال الله تعالى : ﴿خذوا حذركم﴾[5] وقال في كيفية صلاة الخوف : ﴿وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم﴾[6] وقال : ﴿وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة ومن رباط الخيل﴾[7] وقال لموسى : ﴿فأسر بعبادي ليلا﴾[8] والتحصن بالليل اختفاء عن أعين الاعداء دفعاً للضّرر »[9].

وقال النبيّ (ص) : « للأعرابي لما أهمل البعير وقال توكلت على الله :اعقلها وتوكل »[10] إلى غير ذلك .

روي ان زاهداً من الزهاد فارق الامصار وأقام في صفح جبل وقال لا أسأل أحداً شيئاً حتى يأتيني ربّي برزقي ، فقعد سبعاً كاد يموت ولم يأته رزق ، فقال : يا ربّ إن أحييتني فأتني برزقي الذي قسمت لي ، وإلا فاقبضني إليك ، فاوحى الله إليه : وعزتي وجلالي لا أرزقك

---

(١) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ١٦٣ واحياء علوم الدين : ج ٣ ص ٢٢٤ . (٢) من لا يحضره الفقيه : ج ١ ص ٢٩٣ .
(٣) عن كتاب التمحيص كما عن البحار : ج ١٠٠ ص ٣٦ . (٤) الكافي : ج ١ ص ١٨٣ .
(٥) سورة النساء : آية ١٠٢ . (٦) سورة النساء : اية ١٠٢ . (٧) سورة الانفال : آية ٦٠ .
(٨) سورة الدخان : آية ٢٣ .
(٩) إحياء علوم الدين : ج ٤ ص ٢٥٧ . (١٠) احياء علوم الدين : ج ٤ ص ٢٥٧ .

حتّى تدخل الامصار وتقعد بين الناس ، فدخل المصر وأقام فجاء هذا بطعام وهذا بشراب فأكل وشرب وأوجس في نفسه خيفة ذلك فأوحى الله إليه أردت أن تذهب حكمتي بزهدك في الدنيا ، أما علمت أني إن أرزق عبدي بأيدي عبادي أحبّ إلي من أن أرزقه بيد قدرتي .

وفي الاسرائيليات ان موسى (ع) « اعتلّ بعلة فدخل عليه بنو اسرائيل فعرفوا علته فقالوا له : لو تداويت بكذا لبرأت ، فقال : لا أتداوى حتّى يعافيني الله من غير دواء ، فطالت علته فأوحى الله إليه وعزّتي وجلالي لا أبرأتك حتى تتداوى بما ذكروه لك ، فقال لهم : داووني بما ذكرتم ، فداووه فبرأ ، فأوجس في نفسه من ذلك ، فأوحى الله إليه أردت أن تبطل حكمتي بتوكلك عليّ فمن أودع العقاقير منافع الاشياء غيري ؟ »[1] .

ومن النّاس من يزعم أن حقّ التوكل أن يكتفي بالاسباب الخفيّة عن الاسباب الجلية ، كأن يسافر بالبوادي التي لا يطرقها النّاس بغير زاد بعد أن راض[2] نفسه على الجوع الاسبوع فما يقاربه بحيث يصبر عنه من غير ضيق قلب وتشوش خاطر وتعذر في ذكر الله ، وأن يكون بحيث يقوى على التقوت بالحشيش وما يتفق له ، وأن يوطن نفسه على أنّه إن مات جوعاً كان خيراً له في الاخرة أو يقعد في بيته أو في مسجد ويتفرغ بترك الكسب لفكر أو ذكر وإخلاص واستغراق وقت بالعبادة بحيث لا يستشرف نفسه إلى النّاس في انتظار من يدخل فيحمل إليه شيئاً بل يكون قوي القلب في الصبر والاتكال على الله .

وهذا خطأ لأن من جاهد نفسه وسواها بحيث يصبر على الجوع الاسبوع ويمكنه التقوت بالحشيش صارت الاسباب له جلية فان عدم الحاجة أحد الغنائين .

ثمّ إن كان اعتماده حينئذ على صبره وتمكنه من التقوت بالحشيش فاين التوكل وإن كان إنّما يثق بالله وحده فليقم في بلده مع الاسباب الجلية وليثق بالله دون الاسباب كما أمر الله به الزاهد الذي مرّت قصّته .

وأمّا توطين نفسه باختياره على الموت جوعاً فممنوع شرعاً قال الله عزّوجلّ: **﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾**[3] .

---

(١) احياء علوم الدين ج ٤ ص ٢٦٢ - ٢٦٣ .

(٢) من الرياضة رضت الدابة ذللتها ، ورياضة النفس مأخوذة من رياضة البهيمة وهي منعها عن الاقدام على حركات غير صالحة لصاحبها .

(٣) سورة البقرة : آية ١٩٥ .

وأما القاعد في بيته يعبد ربه من غير كسب فهو أيضا قد ترك اتباع أمر الله تعالى بالطلب قال الصّادق (ع) : « إن من يقوته أشد عبادة منه »[1] وربّما يكون مثله كلا على النّاس ، وان حاله ينادي بالبؤس والبأس ، وهو ضرب على بواطن الناس ، وتعرض للذل إلاّ إذا خرج من بين النّاس ، فيرجع إلى الأوّل من تغريره بالنفس وتعرّضه للهلاك .

وليت شعري أي مدخل في خفاء الأسباب وجلائها في التوكل بعدما تقرر ان معناه الثقة بالله وحده لا بالأسباب فسواء وجود الأسباب وفقدها ، جلاؤها وخفاؤها .

نعم يتفاوت درجات النّاس فيه بحسب تفاوت مراتبهم في قوة اليقين وضعفه وفي قصر الأمل وطوله ، وفي مقدار الادّخال بحسب الأمل وللمنفرد والمعيل فمنهم من هو من المقربين ومنهم من هو من أصحاب اليمين ومنهم من لا توكل له أصلا ، وذلك بحسب عدم الوثوق بالاسباب أصلا وقلته وكثرته ومن كمل ايمانه سقط وثوقه بالاسباب بالكلية فيرزقه الله من حيث لا يحتسب كسب أم لم يكتسب إلاّ أنه لا يتبع الكسب بل يتبع أمر الله فيه وليس وثوقه إلا بالله وحده دون كسبه .

قال الصّادق (ع) : « أبى الله جلّ وعزّ أن يجعل أرزاق المؤمنين إلاّ من حيث لا يحتسبون »[2] .

وإنّما خصّه بالمؤمنين لان كمال الايمان يقتضي أن لا يثق صاحبه بالاسباب وأن يتوكل على الله جلّ وعزّ وحده وكمال الايمان إنما يكون لصاحب العلم المكنون من الانبياء والاولياء ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

قال السّجاد (ع) : « رأيت الخير كله في قطع الطمع عما في أيدي النّاس »[3] ومن لم يرج النّاس في شيء ورد أمره إلى الله تعالى في جميع اموره استجاب الله تعالى له في كلّ شيء .

وقال الباقر (ع) : « بئس العبد عبد له طمع يقوده ، وبئس العبد عبد له رغبة تذله »[4] .

---

(١) الكافي : ج ٥ ص ٧٨ وفيه « للذي يقوته أشد عبادة منه » .
(٢) عن كتاب التمحيص كما عن البحار ج ١٠٠ ص ٣٥ وعن مكارم الاخلاق : ص ٢٧٠ .
(٣) الكافي : ج.٢ ص ٣٢٠ . (٤) الكافي : ج ٢ ص ٣٢٠ .

وقال الصّادق (ع) « شرف المؤمن قيام الليل ، وعزّه استغناؤه عن الناس »[1]

الباب السادس

في الصدق واداء الامانة

في الصّدق وأداء الامانة[2] ، وأدنى الصّدق الصّدق في القول في كل حال وكماله بترك المعاريض[3] من غير ضرورة حذراً عن تفهيم الخلاف وكسب القلب صورة كاذبة ورعايته مع الله تعالى ، فمن قال : وجهت وجهي لله وفي قلبه سواه ، أو إيّاك نعبد وهو يعبد الدّنيا فهو كاذب .

ثمّ في النية بتمحيضها لله تعالى فالشرب[4] يفوته يقال صادق الحلاوة أي محضها فالصّادق في النيّة لا بد أن يكون مخلصاً .

ثم في العزم وهو الجزم القوي على الخير فان الانسان قد يقدم العزم على العمل فيقول في نفسه : إن رزقني الله ما لا تصدقت بجميعه أو شطره ، وإذا لقيت عدوا في سبيل الله قاتلته ولم ابال وان قتلت ، وقد يكون في عزمه نوع ميل وتردد وضعف يضاد الصّدق في العزيمة .

ثمّ في الوفاء بالعزم ، فالنفس قد تسخو بالعزم في الحال إذ لا مشقة في الوعد فاذا حقت الحقايق وحصل التمكن وهاجت الشّهوات انحلت العزيمة ، وهذا يضاد الصّدق فيه ولذلك قال الله سبحانه : ﴿رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾[5] .

ثمّ في الأعمال وهو أن يجتهد حتّى لا تدلّ أعماله الظاهرة على أمر في باطنه لا يتصف هو

---

(١) الكافي : ج ٣ ص ٤٨٨ وفيه « شرف المؤمن صلاته بالليل وعز المؤمن كفه عن اعراض الناس » .

(٢) قال المصنف (قده) في محجة البيضاء . اعلم أن لفظ الصدق يستعمل في ستة معان صدق في القول ، وصدق في النية والارادة ، وصدق في العزم ، وصدق في الوفاء بالعزم ، وصدق في العمل ، وصدق في تحقيق مقامات الدين كلها فمن اتصف بالصدق في جميع ذلك فهو صديق لانه مبالغة من الصدق ، ثم هم ايضاً على درجات ومن كان له حظ من الصدق في شيء من الجملة فهو صادق بالاضافة الى ما فيه صدقة الى آخر ما قال . (٣) المعاريض في الكلام : التورية بالشيء عن الشيء ومنه المثل : ان في المعاريض لمندوحة عن الكذب .

(٤) الشوب بالفتح الخلط ومنه الحديث : يا معشر التجار شوبوا أموالكم بالصدقة كفر عنكم ذنوبكم م .

(٥) سورة الأحزاب : آية ٢٣ .

به لا بان يترك العمل ولكن بان يستجر الباطن الى تصديق الظاهر .

وهذا غير الرياء ، لأن المرائي هو الـذي يقصد ذلـك لأجل الخلق ورب واقف على هيئة الخشوع في صلاته ليس يقصد به مشاهـدة غيره ولكن قلبـه غافـل عن الصّلاة فمن نـظر إليه رآه قائماً بين يدي الله عزّ وجلّ وهو بالباطن قائم بالسّـوق بين يدي شهـوة من شهواتـه ، وكذلـك قد يمشي على هيئة السكون والوقار وليس باطنه مـوصوفـا بذلـك فهذا غيـر صادق في عمله وإن لم يكن ملتفتا إلى الخلق ولا مرائيا إياهم ولا ينجو من هذا إلاّ باستواء السّريرة والعلانية ، بأن يكون باطنه مثل ظاهره أو خيراً من ظاهره .

وهذا كما قال أمير المؤمنين (ع) : « اني والله ما احثكم على طاعة الا وأسبقكم إليها ، ولا أنهاكم من معصية إلا وأتناهى قبلكم عنها »[1] .

ثمّ في مقامات الـدّين وهو أعلى الـدرجات وأعـزها كـالصدق والخـوف والرّجـاء والتعظيم والزّهد والحبّ والتوكل وساير المكارم فان هذه الامور لها مبادىء ينطلق الاسم بظهورها ، ثمّ لهـا غايات وحقايق والصّادق المحقّق من نال حقيقتها .

قـال الله تعـالى : ﴿إنّمـا المؤمنـون الـذين آمنـوا بـالله ورسـولـهِ ثم لم يـرتـابـوا﴾[2] إلى قـولـه : ﴿اولئـك هم الصّـادقـون﴾[3] وقـال عـزّ وجـلّ : ﴿ولكن البـرّ من آمن بـالله واليـوم الآخـر﴾[4] ثمّ قـال : ﴿والصّـابـرين في البأساء والضّـراء﴾[5] إلى قـولـه : ﴿اولئـك الـذين صدقوا﴾[6] .

(وسئـل أبو ذر رضي الله عنـه عن الايمان فقـرأ هذه الآيـة فقيل لـه سـألنـاك عن الايمـان فقال : سألت رسول الله (ص) عن الايمان فقرأ هذه الآية)[7] .

ولنضـرب للخوف مثـلا فما من عبـد يؤمن بالله إلا وهـو خائف من الله خـوفا ينـطلق عليـه الاسم ولكنه خوف غير صادق أي غير بالغ درجة الحقيقـة ، أما تـراه إذا خاف سلطانـا أو قاطـع

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم : ج ١ ص ٢٥٨ ط الأعلمي .
(٢) سورة الحجرات : آية ١٥ . (٣) سورة الحجرات : آية ١٥ . (٤) سورة البقرة : آية ١٧٧ .
(٥) سورة البقرة : آية ١٧٧ . (٦) سورة البقرة : آية ١٧٧ . (٧) إحياء علوم الدين : ج ٤ ص ٣٥٨ .

طريق في سفره كيف يصفر لونه ويرتعد فرايصه[1] ويتنغص عليه عيشه ويتعذر عليه اكله ونومه وينقسم عليه فكره حتّى لا ينتفع عليه أهله وولده ، وقد ينزعج عن الوطن فيستبدل بالأنس الوحشة وبالراحة التعب والمشقة والتعرض للاخطار كلّ ذلك خوفا من درك المحذور ثمّ إنّه لا يخاف النّار ولا يظهر عليه شيء من ذلك عند جريان معصية عليه .

ولذلك قال النبي (ص)« لم أر مثل النار نام هاربها ولم أر مثل الجنّة نام طالبها »[2] والتحقيق لهذه الامور عزيز جداً ولكن لكل عبد منها حظ بحسب حاله إمّا ضعيف وإما قوي .

ثمّ درجات الصّدق لا نهاية لها ، وقد يكون للعبد صدق في بعض الامور دون بعض فان كان صادقاً في الجميع فهو الصدّيق حقّا .

الفصل الاول
الصدق صدق القلب واللسان

في مصباح الشريعة قال الصّادق (ع) : « إذا أردت أن تعلم أصادق أنت أم كاذب فانظر في قصد (صدق خ) معناك وغور[3] دعواك ، وعيّرها بقسطاس من الله عزّ وجل كأنّك في القيامة قال الله عزّ وجل : ﴿الوزن يومئذ الحق﴾[4] فاذا اعتدل معناك بدعواك ثبت لك الصّدق وأدنى حدّ الصدق أن لا يخالف اللسان القلب ولا القلب اللسان ، ومثل الصّادق الموصوف بما ذكرنا كمثل النّازع روحه ان لم ينزع فما يصنع »[5] .

وعنه (ع) « إنّ الصادق أوّل من يصدقه الله تعالى يعلم أنّه صادق فيصدّقه نفسه تعلم انه صادق »[6] .

وعنه (ع) قال : « إن العبد ليصدق حتّى يكتب عند الله من الصّادقين ، ويكذب حتى يكتب عند الله من الكاذبين ، فاذا صدق قال الله تعالى صدق وبر ، وإذا كذب قال الله تعالى

---

(١) الفريضة اللحمة بين الجنب والكتف او بين الثدي والكتف ترعد عند النزع يقال : ارتعدت فريصته اي فزع فزعا شديداً . المنجد .

(٢) احياء علوم الدين : ج ٤ ص ٣٥٨ .

(٣) غار الرجل غوراً : اتى الغور وهو المنخفض من الأرض وفي الحديث : بالعقل يستخرج غور الحكمة ، وبالحكمة يستخرج غور العقل . م .

(٤) سورة الأعراف : آية ٨ . (٥) مصباح الشريعة ص ٣٥ . (٦) الكافي ج ٢ ص ١٠٤ .

كذب وفجر »[1] وفي رواية« ليصدق حتّى يكتبه الله صديقاً ».

وعنه (ع) قال« كونوا دعاة النّاس بالخير بغير ألسنتكم ليروا منكم الاجتهاد والصدق والورع »[2].

وقال لبعض أصحابه (انظر ما بلغ عليّ (ع) عند رسول الله (ص) فألزم ، فان عليا إنما بلغ عند رسول الله (ص) بصدق الحديث وأداء الأمانة)[3].

وقال (ع) : « لا تنظروا إلى طول ركوع الرّجل وسجوده فان ذلك شيء اعتاده ولو ترك لاستوحش لذلك ، ولكن انظروا إلى صدق حديثه وأداء امانته »[4].

وقال (ع) : « إنّ الله تعالى لم يبعث نبيّا إلاّ بصدق الحديث وأداء الامانة إلى البر والفاجر »[5] وعن النبي (ص) : « أداء الأمانة يجلب الرّزق والخيانة تجلبُ الفقر »[6].

وعن أمير المؤمنين (ع) « أدوا الأمانات ولو إلى قاتل ولد الأنبياء »[7] وعن الصادق (ع) « من ائتمنك بأمانة فأدّها إليه ، ومن خانك فلا تخنه[8] »[9].

---

(١) الكافي ج ٢ ص ١٠٥ (٢) الكافي ج ٢ ص ١٠٥ .

(٣) الكافي ج ٢ ص ١٠٤ . (٤) الكافي ج ٢ ص ١٠٥ . (٥) الكافي ج ٢ ص ١٠٤ .

(٦) قرب الاسناد : ص ٥٥ . (٧) تحف العقول ص ١٥٥ .

(٨) وقال أمير المؤمنين (ع) كما في سفينة البحار لكميل : يا كميل اقسم لسمعت رسول الله (ص) يقول لي قبل وفاته بساعة مراراً ثلاثة : يا ابا الحسن أد الامانة الى البر والفاجر فيما قل وجل حتى في الخيط والمخيط .

وقال أبو عبد الله (ع) كما في الوسائل : ثلاث لم يجعل الله لاحد فيهن رخصة على رواية أو ثلاث لا عذر لاحد فيها على رواية اخرى : أداء الامانة الى البر والفاجر ، والوفاء بالعهد للبر والفاجر، وبر الوالدين برين كانا أو فاجرين .

وأورد المصنف (قده) هذه الرواية بعينها على الاولى في الوافي في باب البر بالوالدين عن أبي جعفر (ع) وأوردها في باب الصدق واداء الامانة على الرواية الثانية عن أبي عبد الله (ع) الا انه قال : والوفاء بالعهد الى البر الخ .

(٩) من لا يحضره الفقيه : ج ٣ ص ١١٤ .

المقالة الخامسة

في العبادات وأسرارها وفيها سبعة أبواب .

الباب الاول

في النية والاخلاص

في النّية والاخلاص ، قال النبيّ (ص) : « إنّما الأعمال بالنيات وإنما لكل أمرء ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوّجها فهجرته إلى ما هاجر إليه »(١) .

وإنما قال ذلك حين قال له بعض الصّحابة إن بعض المهاجرين إلى الجهاد ليست نيته من تلك الهجرة إلاّ أخذ الغنايم من الأموال والسّبايا ، أو نيل الصّيت عند الاستيلاء فبين (ص) أن كل أحد ينال في عمله ما يبغيه ويصل إلى ما ينويه كائنا ما كان دنيويا أو اخرويّا .

وهذا الخبر مما يعده أصحاب الحديث من المتواترات ، وهو أوّل ما يعلمونه أولادهم ويقولون : إنه نصف العلم .

واعلم أنه لا يحسب من عبادة الله ولا يعد من طاعته بحيث يترتب عليه الاجر في الآخرة إلاّ ما يراد به التقرب إلى الله تعالى والدّار الآخرة أعني به وجه الله تعالى أو التوصّل إلى ثوابه أو الخلاص من عقابه ، وبالجملة امتثال أمرَ الله تعالى فيما ندب عباده إليه بقوله عزّ وجلّ : ﴿ادعوه خوفا وطمعاً﴾(٢) وقوله : ﴿ويدعوننا رغباً ورهباً﴾(٣) .

---

(١) احياء علوم الدين : ج ٤ ص ٣٣٢ والعوالي : ج ١ ص ٨١ .

(٢) سورة الاعراف : آية ٥٦ . (٣) سورة الانبياء : آية ٩٠ .

وكل ما وعـد به الجنـة واوعد عليـه النار في الآيـات التي لا تحصى فرغب ورهَب ووعـد وأوعد وانما يثيبهم على حسب أقدارهم ومنازلهم ونيّاتهم فمن عرف الله بجمـاله وجـلاله ولـطف فعاله وأحبه واشتاق إليه وأخلص عبادتـه لله لكونـه أهلا للعبـادة ولمحبته لـه ، أحبّه الله وأخلصـه واجتبـاه وقربـه إلى نفسه وأدنـاه قربـاً معنويـاً ودنوّاً روحـانياً ، كمـا قـال في حق بعض من هـذه صفته : ﴿وإن له عندنا لزلفى[1] وحسن مآب﴾[2] .

قال أمير المؤمنين وسيّد الموحّـدين (ع) : « إلهي ماَ عبـدتك خـوفا من نـارك ولا طمعا في جنتك ، لكن وجدتك أهلا للعبادة فعبدتك »[3] .

ومن لم يعرف من الله سوى كونه إلها صانعا للعالم قادراً ، قاهـراً عالمـاً وأن له جنـة ينعم بها المطيعين وناراً يعذب بها العاصين ، فعبده ليفوز بجنّتـه أو يكون لـه النجاة من نـاره ، أدخله بعبادته وطاعته الجنّة ، وأنجاه من النار لا محالة كما أخبر عنه في غير موضـع من كتابـه ، فانمـا لكل امرى ما نوى .

فلا تصغ إلى قول من ذهب إلى بطلان العبادة إذا قصد بفعلها تحصيل الثّـواب والخلاص من العقاب زعما منه أن هذا القصـد مناف لـلاخلاص الـذي هو ارادة وجـه الله سبحانـه وأن من قصد ذلك فانما قصد جلب النفع إلى نفسه ودفع الضّرر عنها لا وجه الله .

فان هذا قول من لا معرفـة له بحقـايق التكاليف ومـراتب الناس فيهـا ، بل ولا معـرفة لـه بمعنى النية وحقيقتها وأنها عبارة عن انبعاث النفس وميلها وتوجهها إلى ما فيه غرضها ومطلبها إما عاجلاً وإما آجلا ، لا مجرد قول النـاوي عند العبـادة : أفعل كـذا قربـة إلى الله ، وتصور معنى هذا القول بخاطره وملاحظته بقلبه ، وإن لم يكن لنفسه انبعاث إلى التقرب .

هيهات انما هذا تحريك لسان وحديث نفس ، وما ذلـك إلا كقول الشبعـان : أشتهي هذا الـطعام قـاصداً حصـول الاشتهاء ، وهـذا الانبعاث إذا لم يكن حـاصِلا لهـا لا يمكنها اختـراعه واكتسابه بمجرد القول والتصور .

وأكثـر النّاس يتعـذّر منهم العبادة ابتغـاء وجه الله والتقـرب إليه ، لأنهم لا يعـرفون من الله

---

(١) الزلفة والزلفى : القربى والمنزلة م .

(٢) سورة ص : آية ٤٠ . (٣)العوالي : ج ١ ص ٤٠٤ ح ٦٣ .

سبحانه إلا المرجو والمخوف ، فغايتهم أن يتذكروا النّار ويحذروا أنفسهم عقابها ، ويتذكروا الجنة ويرغبوا أنفسهم ثوابها ، وخصوصاً من كان الغالب على قلبه الميل إلى الدّنيا ، فانه قلّما ينبعث له داعية إلى فعل الخيرات لينال بها ثواب الآخرة فضلا عن عبادته على نية إجلال الله عزّ وجلّ لاستحقاقه الطاعة والعبودية فانه قل من يفهمها فضلا عمن يتعاطاها ، فلو كلف بها لكان تكليفا بما لا يطاق .

وليس معنى الاخلاص في العبادة الا أن لا تكون مشوبة بشوايب الدّنيا والحظوظ العاجلة للنفس ، كمدح النّاس والخلاص من النفقة بعتق العبد ونحو ذلك كما يأتي بيانه وظاهر أنّه لا ينافيه إرادة الجنة والخلاص من النّار مما وعد في الاخرة وإن كان من جنس المألوف في الدنيا ، ولو كان مثل هذه النيات مفسداً للعبادات لكان الترغيب والترهيب والوعد والوعيد عبثا بل مخلا بالمقصود .

ثمّ ليت شعري كيف يمكن للعبد الضعيف المهين الذليل الذي لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً أن يستغني عن جلب النفع من مولا لنفسه أو دفع الضرر عنها ومن امعن حق الامعان فلا يجد أكثر القائلين ببطلان العبادة باحدى النيتين إلا ونياتهم الصحيحة في عباداتهم ترجع إلى إحداهما وهم لا يشعرون .

وعن الصادق (ع) « العبّاد ثلاثة : قوم عبدوا الله عزّ وجلّ خوفا فتلك عبادة العبيد وقوم عبدوا الله عزّ وجلّ طلب الثواب فتلك عبادة الاجراء ، وقوم عبدوا الله عزّ وجلّ حبّا له فتلك عبادة الاحرار ، وهي أفضل العبادة »[1] .

قوله (ع) : وهي أفضل العبادة يعطي أن العبادة على الوجهين الأولين لا يخلو من فضل أيضاً فضلا عن أن تكون صحيحة .

الفصل الاول

النية خير من العمل

قد ورد في الحديث المشهور عن النبيّ (ص) أنه قال : « نيّة المؤمن خير من عمله ونيّة

(١) الكافي : ج ٢ ص ٨٤ .

الكافر شرّ من عمله ، وكل عامل يعمل على نيته »[1] وقد اختلف الفقهاء في معنى الحديث على أقوال شتى .

والذي ظهر لي أنَ ذلك لأن المؤمن ينوي خيرات كثيرة لا يساعده الوقت على عملها ، فكان الثواب المترتب على نياته أكثر من الثواب المترتب على أعماله وأيضاً إنّ المؤمن ينوي أن تقع عباداته على احسن الوجوه لأن ايمانه يقتضي ذلك ، ثمّ إذا كان يشتغل بها لا يتيسر له ذلك ولا يتأتى كما يريد ، فلا يأتي بها كما ينبغي ، فالذي ينوي دائما خير من الذي يعمل به في كلّ عبادة .

وإلى هذا اشار الباقر (ع) حيث كان يقول : « نية المؤمن خير من عمله ، وذلك لأنّه ينوي من الخير ما لا يدركه ، ونية الكافر شر من عمله ، وذلك لان الكافر ينوي الشر ويأمل من الشر ما لا يدركه »[2] .

وعن الصادق (ع) أنه قيل له : سمعتك تقول : « نيّة المؤمن من خير من عمله فكيف تكون النية خيراً من العمل ؟ قال : لأن العمل إنما كان رياء للمخلوقين ، والنية خالصة لربّ العالمين ، فيعطي عزّ وجلّ على النية ما لا يعطي على العمل »[3] ، ثم قال: «إن العبد لينوي من نهاره أن يصلي بالليل فتغلبه عينه فينام فيثبت الله له صلاته ويكتب نفسه تسبيحا ويجعل نومه صدقة »[4] .

وعنه (ع) « إن العبد المؤمن الفقير ليقول : يا ربّ ارزقني حتى أفعل كذا وكذا من البرّ ووجوه الخير ، فاذا علم الله عزّ وجلّ ذلك منه بصدق نيته كتب الله له من الأجر مثل ما يكتب له لو عمله ، إن الله واسع كريم »[5] .

وعنه (ع) « انه سئل عن حدّ العبادة التي إذا فعلها فاعلها كان مؤديا ، فقال (ع) حسن النيّة بالطاعة »[6] .

---

(١) الكافي : ج ٢ ص ٨٤ والمحاسن : ص ٢٦٠ .
(٢) علل الشرائع : ج ٢ ص ٥٢٤ . (٣) علل الشرائع : ج ٢ ص ٥٢٤ .
(٤) علل الشرائع : ج ٢ ص ٥٢٤ . (٥) الكافي : ج ٢ ص ٨٥ والمحاسن ص ٢٦١ .
(٦) الكافي : ج ٢ ص ٨٥ .

يعني أن يكون له في طاعته نية حسنة فان تيسر له الاتيان بما وافق نيته ، وإلا فقد أدى ما عليه من العبادة بحسن نيته .

وعنه (ع) « انّما خلد أهل النّار في النّار لأن نيّاتهم كانت في الدنيا أن لو خلدوا فيها أن يعصوا الله فيها أبداً ، وإنّما خلد أهل الجنة في الجنة لأن نّياتهم كانت في الدّنيا أن لو بقوا فيها أن يطيعوا الله أبداً فبالنيات خلد هؤلاء ، ثمّ تلا قوله تعالى : ﴿قل كلّ يعمل على شاكلته﴾[1] قال : على نيتّه »[2] .

وعنه (ع) « من سمع شيئاً من الثواب على شيء فصنعه كان له أجره وإن لم يكن على ما بلغه » (٣).

وممّا قيل[4] في معنى الحديث المشهور : « إنّ النية إنما يكون خيراً من العمل »[5] لتوقف نفع العمل عليها ، دون العكس ، ولكون الغرض الأصلي من العمل تأثّر القلب بالميل إلى الله تعالى عن الغير كما قال الله عزّ وجل : ﴿لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم﴾[6] ألا ترى إلى إثم المجامع امرأته على قصد أنها غيرها ، بخلاف المجامع غيرها على أنها امرأته ، والتأثر صفة القلب .

وبهذا يعرف معنى قوله (ع) : « من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة »[7] لأن هم القلب هو ميله إلى الخير وانصرافه عن الهوى وحب الدنيا وهو غاية الحسنات وإنما الاتمام بالعمل يزيدها تاكيداً ، فليس المقصود من إراقة دم القربان الدم واللحم بل ميل القلب عن حبّ الدّنيا وبذلها إيثاراً لوجه الله عزّ وجلّ وهذه الصفة قد حصلت عند جزم النّية والهم ، وإن عاق عن العمل عايق ، فلن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم والتقوى في القلب .

ولذلك قال النبي (ص) لما خرج في غزوة تبوك : « إن بالمدينة قوما ما قطعنا واديا ، ولا وطئنا موطئا يغيظ الكفار ، ولا أنفقنا نفقة ، ولا أصابتنا مخمصة الا شاركوا في ذلك وهم في

---

(١) سورة الاسراء : الآية ٨٤ .

(٢) الكافي : ج ٢ ض ٨٥ وعلل الشرائع : ج ٢ ص ٥٢٣ . (٣) الكافي : ج ٢ ص ٨٧ .

(٤) القائل هو أبو حامد الغزالي في احياء العلوم ونقل عنه المصنف تفصيلا في المحجة وقد لخصه هنا .

(٥) إحياء علوم الدين : ج ٤ ص ٣٣٥ وفيه « نية المؤمن خير من عمله » .

(٦) سورة الحج : آية ٣٧ . (٧) احياء علوم الدين : ج ٤ ص ٣٣٣ .

المدينة قالوا : وكيف ذلك يا رسول الله وليسوا معنا ؟ فقال : حبسهم العذر فشركونا بحسن النية »(١) .

الفصل الثاني

النية إما واحدة وإما متعددة

النيّة إما واحدة كالقيام للاكرام ، وإما متعدّدة كالتصدق للفقر والقرابة ، فاما أن لا يستقل شيء منها ويعرف بالامتناع عند الانفراد ، أو يستقل متساوياً أو متفاوتا ويتعدّد الجزاء بتعدّدها .

خيراً كان كالدخول في المسجد لزيارة الله عزّ وجلّ ، فان المسجد بيت الله وفي الحديث النبوي (ص) : « من دخل المسجد فقد زار الله عزّ وجلّ وحقّ على المزور إكرام زائره ، و لانتظار الصّلاة(٢) ، والاعتكاف ، والانزواء ، والتّجرد للذكر ، وترك الذنوب »(٣) .

أو شرا كالقعود فيه للتحدّث بالباطل ، وملاحظة النساء ، والمناظرة للمباهاة والمراياة ، وخيرها يجعل المباح عبادة كالتطّيب يوم الجمعة لاقامة السنّة والمسجد واليوم ودفع الاذى بالنتن وإدخال السرور بالعرف(٤) وسدّ باب الغيبة .

وربما يفضله على محضها فالترفه(٥) بنومة أو دعابة(٦) مباحةَ لردّ نشاط الصلاة أفضل منها في الملال ، وشرّها يجعله معصية كالتطيب للتفاخر باظهار الثروة والتزين للزنا ولا تؤثر في الحرام فلا يباح شرب الخمر لموافقة الاخوان .

الفصل الثالث

النية غير داخلة تحت الاختيار

النية غير داخلة تحت الاختيار ، وذلك لما عرفت أنها انبعاث النفس وتوجهها إلى ملايم ظهر لها أن فيه غرضها إما عاجلا أو آجلا ، وما لم يعتقد الانسان أن غرضه منوط بفعل من

---

(١) احياء علوم الدين : ج ٤ ص ٣٣٢ .

(٢) قوله (قده) : ولانتظار الصلاة الخ عطف على قوله : لزيارة الله عز وجل أي كالدخول في المسجد لزيارة الله ولانتظار الصلاة الخ .

(٣) احياء علوم الدين : ج ٤ ص ٣٣٩ . (٤) العرف : الريح طيبة أو منتنة وأكثر استعماله في الطيبة ق

(٥) ترفه : استراح وتنعم المنجد . (٦) دعبه دعبا ودعابة : مازحه والدعابة : المداعبة . المنجد .

الأفعال فلا يتوجّه نحوّه قصده ، وذلك ممّا لا يقدر على اعتقاده في كلّ حين ، وإذا اعتقد فانما يتوجه القلب إذا كان فارغا غير مصروف عنه بغرض شاغل أقوى منه ، وذلك لا يمكن في كلّ وقت .

والدواعي والصّوارف لها أسباب كثيرة بها يجتمع ويختلف ذلك بالأشخاص والأحوال والأعمال ، فاذا غلبت شهوة النكاح ولم يعتقد غرضا صحيحاً في الولد لم يمكنه ان يتزوّج على نية الولد ، بل لا يمكن الا على نية قضاء الشهوة ، إذ النية هي إجابة الباعث ولا باعث إلا الشهوة فكيف ينوي الولد .

نعم طريق اكتساب هذه النية مثلا أن يقوى اولا ايمانه بالشرع ويقوى إيمانه بعظم ثواب من سعى في تكثير امّة محمّد (ص) ، ويدفع عن نفسه جميع المنفّرات عن الولد من ثقل المؤنة وطول التعب ، وغيره ، وإذا فعل ذلك فربما انبعثت من قلبه رغبة إلى تحصيل الولد للثواب ، فتحركت تلك الرغبة وتحرك أعضائه لمباشرة العقد وإذا انتهضت القدرة المحركة للسان بقبول العقد طاعة لهذا الباعث الغالب على القلب كان ناوياً ، وإذا لم يكن كذلك فما يقدّره في نفسه ويردده في قلبه من قصد الولد وسواس وهذيان .

ولهذا امتنعت جماعة من جملة من الطاعات إذا لم تحضرهم النيّة وكانوا يقولون ليس تحضرني نية ، وتلك لعلمهم بأن النية روح الأعمال وأن العمل بغير نية صادقة رياء وتكلف وهو سبب مقت لا سبب قرب .

وعن الصّادق (ع) : «أنه أتاه مولى له فسلم عليه وجلس فلما انصرف (ع) انصرف معه الرّجل ، فلمّا انتهى إلى باب داره دخل وترك الرّجل ، فقال له ابنه إسماعيل يا أبه ألا كنت عرضت عليه الدخول ؟ فقال : لم يكن من شأني إدخاله قال : فهو لم يكن يدخل قال : يا بني إنّي أكره أن يكتبني الله عراضا[1] »[2] .

وفي مصباح الشريعة قال الصّادق (ع) « صاحب النية الصادقة صاحب القلب السّليم ، لأن سلامة القلب من هواجس[3] المحذورات تخلص النية لله في الامور كلها قال الله

---

(١) عرضت له الشيء اي اظهرته وابرزته اليه . ولفلان عرضة يصرع بها النّاس وهو ضرب من الحيلة في المصارعة . كذا عن الصحاح (٢) المحاسن : ج٢ ص٤١٧ ح ١٨٠ .

(٣) هجس الأمر : وقع وخطر في باله ، ومنه حديث الحسن بن علي (ع) : انا الضامن لمن لم يهجس في قلبه الا الرضا ان يدعو فيستجاب له م .

تعالى ﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من اتى الله بقلب سليم﴾[1].

قال النّبي (ص) : « نيّة المؤمن خير من عمله »[2] وقال : «إنّما الأعمال بالنّيات وإنما لكل امرء ما نوى »[3].

ولا بدّ للعبد من خالصة النية في كلّ حركة وسكون لانه إذا لم يكن بهذا المعنى يكون غافلا والغافلون قد وصفهم الله تعالى فقال : ﴿إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا﴾[4] وقال : ﴿اولئك هم الغافلون﴾[5].

ثمّ النيّة تبدو من القلب على قدر صفاء المعرفة ويختلف على حسب اختلاف الأوقات في معنى قوته وضعفه ، وصاحب النيّة الخالصة نفسه وهواه معه مقهورتان تحت سلطان تعظيم الله والحياء منه ، وهو من طبعه وشهوته ومنيته نفسه منه في تعب والنّاس منه في راحة »[6].

الفصل الرابع

الاخلاص

وأمّا الاخلاص فهو تجريد النّية عن الشّوب فالأعلى إرادة وجهه تعالى : ويعرف بالتفكر في صفاته وأفعاله والمناجاة ، ثمّ إرادة نفع الآخرة فهو حظ النفس وورد في حقيقته : أن تقول ربّي الله ثمّ تستقيم كما امرت تعمل لله لا تحبّ أن تحمد عليه .

قال الله تعالى : ﴿وما امروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدّين﴾[7] وقال : ﴿ألا لله الدين الخالص﴾[8] وقال : ﴿إلاّ الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله﴾[9].

وعن أمير المؤمنين (ع) قال : « طوبى لمن أخلص لله العبادة والدّعاء ، ولم يشغل قلبه بما ترى عيناه ، ولم ينس ذكر الله بما تسمع اذناه ، ولم يحزن صدره بما اعطى غيره »[10].

---

(١) سورة الشعراء : آية ٨٨ - ٨٩ .

(٢) الكافي : ج ٢ ص ٨٤ وعدة الداعي ص ٢٧ .

(٣) أحياء علوم الدين : ج ٤ ص ٣٣٢ ودعام الاسلام ج ١ ص ١٥٦ .

(٤) سورة الفرقان : آية ٤٤ . (٥) سورة الاعراف : آية ١٧٩ . (٦) مصباح الشريعة : ص ٥٣ .

(٧) سورة البينة : آية ٥ . (٨) سورة الزمر : آية ٣ . (٩) سورة النساء : آية ١٤٦ .

١٠) الكافي : ج ٢ ص ١٦ .

وعن الباقر (ع) قال : « ما أخلص عبد الايمان بالله أربعين يوماً أو قال ما أجمل عبد ذكر الله أربعين يوما إلا زهّده الله في الدّنيا وبصّره داءها ودواءها وأثبت الحكمة في قلبه ، وأنطق بها لسانه »(١) .

وعن الصّادق (ع) في قول الله عزّ وجلّ : **﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملا﴾**(٢) قال : ليس يعني أكثركم عملا ولكن أصوبكم عملا ، وانما الاصابة خشية الله والنية الصادقة ثمّ قال : الابقاء على العمل حتّى يخلص أشد من العمل ، والعمل الخالص الذي لا تريد أن يحمدك عليه أحد إلاّ الله عزّ وجلّ ، والنية أفضل من العمل ، ألا وإن النية هو العمل ، ثم تلا قوله تعالى : **﴿قل كل يعمل على شاكلته﴾** يعني على نيته »(٣) .

والطريق إلى الاخلاص كسر حظوظ النفس وقطع الطمع عن الدنيا والتجرد للآخرة بحيث يغلب ذلك على القلب ، وكم أعمال يتعب الانسان فيها ويظن أنها خالصة لوجه الله تعالى ، ويكون فيها مغروراً لأنه لا يدري وجه الآفة فيه(٤) .

كما حكي عن بعضهم أنه قال قضيت صلاة ثلاثين سنة كنت صلّيتها في المسجد جماعة في الصّف الأوّل لأني تأخرت يوماً لعذر وصليت في الصّف الثاني فاعترتني خجلة من الناس حيث رأوني في الصّف الثاني ، فعرفت أن نظر النّاس إليّ في الصّف الأوّل كان يسرّني ، وكان سبب استراحة قلبي من ذلك من حيث لا اشعر .

وهذا دقيق غامض وقلّما تسلم الأعمال من أمثاله وقل من يتنبه له ، والغافلون عنه يرون حسناتهم في الاخرة كلّها سيّئات ، وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وبدا لهم سيئات ما عملوا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ، وقد مضت الاشارة إلى أمثال ذلك في باب ذم الغرور .

---

(١) الكافي : ج ٢ ص ١٦ . (٢) سورة الملك : آية ٢ .

(٣) الكافي : ج ٢ ص ١٦ .

(٤) روي في الوسائل عن كتاب الزهد عن أبي بصير قال : سمعت أبا عبد الله (ع) يقول : يجاء بالعبد يوم القيامة قد صلى فيقول : يا رب قد صليت ابتغاء وجهك فيقال له : بل صليت ليقال ما احسن صلاة فلان ، اذهبوا به الى النار ثم ذكر مثل ذلك في القتال وقراءة القرآن والصدقة .

« أقول » : وروى المصنف (قده) نظير هذه الرواية في محجة البيضاء ، عن النبي (ص) باختلاف في اللفظ والمعنى .

الفصل الخامس
في نية الحج والتجارة معاً

اعلم أنه قد ثبت إجماع الامة على أن من خرج حاجا ومعه تجارة صح حجه واثيب إليه مع أن سفره ليس خالصاً للحج ، والوجه فيه ان التجارة تعرض للرزق وهو أيضاً عبادة كما مضى بيانه .

وقد عرفت أن نية الخيرات المتعددة موجبة لتضاعف الثواب بحسبها وليس الأمر كما ظن إن التاجر إنما يثاب على أعمال الحج عند انتهائه إلى مكّة وتجارته غير موقوفة عليه فهو خالص وإنما المشترك طول المسافة ولا ثواب فيه مهما قصد تجارة ولا كما ظن أنّه مهما كان الحج هو المحرك الاصلي وكان غرض التجارة كالمعين والتابع فلا ينفك نفس السفر عن ثواب .

نعم إذا كان التجارة للجمع والادخار من غير حاجة فلايبعد أن يقال ذلك ، وكذا إذا انضم إلى قصد الحجّ قصد التفرّج والتوحش عن الأهل انضماما غير مستقل ونحوه إذا انضم إلى نيّة الصوم قصد الحمية[1] وإلى نيّة الوضوء التبردّ ، وإلى نيّة العتق سوء الخلق والخلاص عن المؤنة إلى غير ذلك إذا لم يكن المنضمات مستقلة ، وأمّا ما لا يضرّ بالاخلاص من أنواع الرّياء وغيره فقد مرّ الكلام فيه في باب الرياء والكبر ، فلا وجه لإعادته .

الفصل السادس
مفتاحه القبول والرضا

في مصباح الشريعة قال الصّادق (ع) : « الاخلاص يجمع فواضل الأعمال ، وهو معنى مفتاحه القبول ، وتوقيعه الرّضا ، فمن تقبّل الله منه ورضي عنه فهو المخلص وإن قلّ عمله ، ومن لا يتقبّل الله منه فليس بمخلص وإن كثر عمله اعتباراً بآدم (ع) وإبليس .

وعلامة القبول وجود الاستقامة ببذل كل المحابّ مع إصابة علم كل حركة وسكون ، والمخلص ذائب روحه وباذل مهجته في تقويم ما به العلم والأعمال والعامل والمعمول بالعمل لأنه إذا أدرك ذلك فقد أدرك الكل ، وإذا فاته ذلك فاته الكلّ وهو تصفية معاني التنزيه في التوحيد كما قال الامام (الأوّل خ) :

هلك العاملون إلاّ العابدون ، وهلك العابدون إلاّ العالمون ، وهلك العالمون إلاّ

---

(١) الحمية ما حمى من الشيء الاسم من حمى المريض اذا منعه عما يضره . المنجد .

الصادقون ، وهلك الصادقون إلاّ المخلصون ، وهلك المخلصون إلاّ المتقـون ، وهلك المتقون إلاّ الموقنون ، وإن الموقنين لعلى خطر عظيم .

قال الله تعالى لنبيّه : ﴿**واعبد ربّك حتى يأتيك اليقين**﴾[1] وأدنى حدّ الاخلاص بذل العبد طاقته ، ثمّ لا يجعل بعلمه عند الله قدرا فيوجب به على ربه مكافاة بعمله لعلمه أنه لو طالبه بوفاء حقّ العبوديّة لعجز ، وادنى مقام المخلص في الدّنيا السّلامة من جميع الاثام ، وفي الاخرة النّجاة من النار والفوز بالجنّة »[2] .

الباب الثاني
في الطهارة والنظافة

في الطهارة والنّظافة ، قال الله سبحانه : ﴿**فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحبّ المطهرين**﴾[3] وقال تعالى : ﴿**ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهّركم**﴾[4] .

قال النبي (ص) : « الطهور نصف الايمان »[5] وقال : « مفتاح الصّلاة »[6] وقال : « بني الدين على النظافة »[7] وقال (ص) : « بئس العبد القاذورة[8] »[9] وقال : « من اتخذ ثوبا فلينظفه »[10] .

وقال أمير المؤمنين (ع): « النظيف من الثياب يذهب الهم والحزن وهو طهور للصّلاة »[11].

فيتفطن ذوو البصاير بهذه الظواهر أن الايمان إنما يتم بعمارة القلوب والسراير وأن المراد بقوله (ص) : « الطهور نصف الايمان أن عمارة الظاهر بالتطهير والتنظيف بافاضة الماء نصف الايمان ، والنّصف الاخر عمارة الباطن بالاعمال الصّالحة والأخلاق الحميدة .

فالطهارة لها أربع مراتب الاولى تطهير الظاهر من الأحداث والأخباث والفضلات والثانية تطهير الجوارح من الجرايم والاثام والتبعات والثالثة تطهير القلب من مساوي الاخلاق ورذايلها

---

(١) سورة الحجر : آية ٩٩ . (٢) مصباح الشريعة : ص ٣٦ . (٣) سورة التوبة : آية ١٠٨ .
(٤) سورة المائدة : آية ٦ . (٥) العوالي : ج ١ ص ١١٥ واحياء علوم الدين : ج ١ ص ١١٤ .
(٦) العوالي : ج ٣ ص ٩٣ واحياء علوم الدين : ج ١ ص ١١٤ . (٧) احياء علوم الدين : ج ١ ص ١١٤ .
(٨) رجل قذور وقاذور وقاذورة وذو قاذورة لا يخالط الناس لسؤ خلقه والقاذورة السيء الخلق .
(٩) الكافي : ج ٦ ص ٤٣٩ . (١٠) الكافي : ج ٦ ص ٤٤١ . (١١) الكافي : ج ٦ ص ٤٤٤ .

والرابعة تطهير السّر مما سوى الله جلّ وعلا وهي طهارة الأنبياء والصّديقين ، والطهارة في كلّ مرتبة نصف العمل الذي فيها .

وهذه مقامات الايمان ، ولكل مقام طبقة ولن ينال العبد الطبقة العالية إلا أن يجاوز الطبقة السافلة ، فلا يصل إلى طهارة السرّ ممّا سوى الله وعمارته بمعرفة الله وانكشاف جلاله وعظمته سبحانه ما لم يفرغ عن طهارة القلب من الخلق المذموم وعمارته بالمحمود ، ولن يصل إلى ذلك من لم يفرغ عن طهارة الجوارح من المناهي وعمارتها بالطاعات ، وكلما عزّ المطلوب وشرف صعب مسلكه وطال طريقه وكثر عقباته .

ولا تظن أن هذا الأمر يدرك بالمنى وينال بالهوينا[1] نعم من عميت بصيرته عن تفاوت هذه الطبقات لم يفهم من مراتب الطهارة إلاّ الدّرجة الاولى التي هي كالقشر الأخير بالاضافة إلى اللب المطلوب ، فصار يمعن فيه ويستقصي في مجاريه والباطن خراب مشحون بخبائث الكبر والعجب والجهل والرياء والنفاق .

الفصل الاول
طهارة النفس والبدن

ينبغي للعاقل أن يتذكر بتخليه لقضاء الحاجة نقصه وحاجته وما يشتمل عليه من الأقذار ، وباستراحة نفسه عند إخراجها وسكون قلبه من دنسها وصلاحيته للوقوف على بساط الخدمة ، والتأهل للمناجاة ، وهوان الدّنيا ومصير عواقب شهواتها ولذاتها ونعيمها

وفي مصباح الشريعة قال الصّادق (ع) : « سمي المستراح مستراحا لاستراحة النفوس من أثقال النجاسات واستفراغ[2] الكثافات والقذر فيها .

والمؤمن يعتبر عندها انّ الخالص من حطام الدّنيا كذلك يصير عاقبته فيستريح بالعدول عنها ويتركها ، ويفرغ نفسه وقلبه عن شغلها ويستنكف عن جمعها وأخذها استنكافه عن النجاسة والغايط والقذر ، ويتفكر في نفسه المكرمة في حال كيف تصير ذليلة في حال ، ويعلم أن التمسّك بالقناعة والتقوى يورث له راحة الدارين فان الراحة في هوان الدنيا والفرار من التمتع بها وفي إزالة النجاسة من الحرام والشبهة .

---

(١) الهوينا : التؤدة والرفق وهي تصغير الهوني والهوني تأنيث الاهون . المنجد .
(٢) الاقذار والكثفات فيها . كذا في جامع السعادات .

فيغلق عن نفسه باب الكبر بعد معرفته إيّاها ويفر من الذنوب ويفتح بـاب التواضـع والندم والحياء وتجتهد في أداء أوامره واجتناب نواهيه طلباً لحسن المآب وطيب النفس ، ويسجن نفسه في سجن الخـوف والصّبر والكف عن الشّهـوات إلى أن يتصل بـأمان الله في دار القـرار ويذوق طعم رضاه فان المعوّل ذلك وما عداه لا شيء »[1] .

الفصل الثاني

التطيب بالسواك

عن النّبي (ص) أنّـه قال : « إن أفـواهكم طـرق القـرآن فـطيّبـوهـا بـالسـواك »[2] وقـال (ص) : « صلاة عِلى أثر السواك أفضل من خمس وسبعين صلاة بغير سواك »[3] .

وفي مصباح الشريعة قال الصّادق (ع) : قال النبي (ص) : « السـواك مطهـرة للفم مرضـاة للربّ ، وجعلها من سننه المؤكـدة وفيها منـافع للظاهـر والباطن مـا لا يحصى لمن عقل ، وكمـا تزيل ما تلوث من أسنانك من مطعمك ومأكلك بالسواك ، كذلك فأزل نجاسـة ذنوبـك بالتضـرع والخشوع والتهجّد والاستغفـار بالاسحـار ، وطهر بـاطنك وظـاهرك من كـدورات المخالفـات ، وركوب المناهي كلّها خالصاً لله ، فان النبي (ص) أراد باستعماله مثلا لأهل اليقظة وهو .

أن السواك نبات لطيف نظيف وغصن شجر عذب مبارك ، والأسنان خلق خلقـه الله تعالى آلة وأداة للمضغ وسببـاً لاشتهاء الـطعام وإصـلاح المعدة ، وهي جـوهرة صـافية تتلوث بصحبـة تمضيغ الطعام ويتغير بها رايحة الفم ويتـولد منهـا الفساد في الـدماغ فـاذا استاك المؤمن الفـطن بالنّبات اللطيف ومسحها على الجوهرة الصّافية أزال عنها الفساد والتغيير ، وعادت إلى أصلها .

كـذلك خلق الله القلب طـاهراً صـافياً وجعـل غذاءه الـذكر والفكـر والهيبة والتعـظيم وإذا شيبَ[4] القلب الصافي معدلته بالغفلة والكدر ، صقل بمصقلة التوبة ونظف بماء الانابة ليعود إلى حـالته الاولى وجـوهرتـه الأصليـة الصّـافيـة قـال الله تعـالى : **﴿إنّ الله يحبّ التـوّابين ويحب المتطهّرين﴾**[5] وان النبيّ (ص) أمرنا باستوَاك ظاهر الأسنـان وأراد بهذا المعنى المثـل ومن أناخ

---

(١) مصباح الشريعة : ص ١٢٦ .

(٢) من لا يحضره الفقيه : ج ١ ص ٣٢ وعن اعلام الورى للديلمي كما عن البحار : ج ٧٧ ص ٣٤٤

(٣) اعلام الورى للديلمي : كما عن البحار ج ٧٧ ص ٣٤٤ .

(٤) الشوب بالفتح : الخلط وقد تقدم وشيب على صيغة المجهول . (٥) سورة البقرة : آية ٢٢٢ .

تفكره على باب العبرة في استخراج مثل هذه الامثال في الأصل والفرع فتح الله له غيوب الحكمة والمزيد من فضل الله والله لا يضيع أجر المحسنين»[1] .

الفصل الثالث

الوضوء للطهارة

قال النبي (ص) : « من توضّأ فذكر اسم الله طهر جميع جسده وكان الوضوء إلى الوضوء كفارة لما بينهما من الذنوب ، ومن لم يسم لم يطهر من جسده إلا ما أصابه الماء »[2] .

وقال الصّادق (ع) : « من ذكر اسم الله على وضوئه فكأنما اغتسل »[3] .

وفي مصباح الشريعة قال الصّادق (ع): « إذا أردت الطهارة الوضوء فتقدم إلى الماء تقدّمك إلى رحمة الله ، فان الله تعالى قد جعل الماء مفتاح قربته ومناجاته ، ودليلا إلى بساط خدمته ، وكما أن رحمته تطهّر ذنوب العباد كذلك نجاسات الظاهرة يطهرها الماء لا غيره ، قال الله تعالى : ﴿وهو الذي أرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته وأنزلنا من السماء ماء طهوراً﴾[4] وقال عزّ وجل : ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾[5] فكما أحيى به كل شيء من نعيم الدّنيا كذلك بفضله ورحمته حياة القلوب بالطاعات .

وتفكر في صفاء الماء ورقته وطهوره وبركته ولطيف امتزاجه بكل شيء وفي كلّ شيء ، واستعمله في تطهير الأعضاء التي أمرك الله بتطهيرها وأت بآدابها فرايضه وسننه ، فان تحت كل واحد منها فوائد كثيرة إذا استُعملتها بالحرمة انفجرت لك عين فوائده عن قريب .

ثمّ عاش خلق الله تعالى كامتزاج الماء بالأشياء تؤدي كلّ شيء حقّه ولا يتغير عن معناه معتبراً لقول رسول الله (ص) : مثل المؤمن الخاص كمثل الماء ، ولتكن صفوتك مع الله تعالى في جميع طاعاتك كصفوة الماء حين أنزله من السماء وسمّاه طهوراً ، وطهّر قلبك بالتقوى واليقين عند طهارة جوارحك بالماء » [6] .

قال الرّضا (ع) : «انما امر بالوضوء ليكون العبد طاهراً إذا قام بين يدي الجبار عند مناجاته

---

(١) مصباح الشريعة ص ١٢٣ . (٢) من لا يحضره الفقيه ج ١ ص ٣١ .
(٣) من لا يحضره الفقيه ج ١ ص ٣١ .
(٤) سورة الفرقان : آية ٤٨ . (٥) سورة الانبياء : آية ٣٠ . (٦) مصباح الشريعة ص ١٢٨ .

إياه مطيعاً له فيما أمره نقيّا من الأدناس والنجاسة مع ما فيه من ذهاب الكسل وطرد النعاس[1] وتزكية الفؤاد للقيام بين يدي الجبار .

وإنّما وجب على الوجه واليدين والرأس والرّجلين لأن العبد إذا قام بين يدي الجبار فانما ينكشف من جوارحه ويظهر ما يوجب فيه الوضوء ، وذلك انه بوجهه يسجد ويخضع ، وبيده يسأل ويرغب ويرهب ويتبتل ، وبرأسه يستقبله في ركوعه وسجوده ، وبرجليه يقوم ويقعد وأمر بالغسل من الجنابة دون الخلاء ، لأن الجنابة من نفس الانسان وهو شيء يخرج من جميع جسده ؛ والخلاء ليس هو من نفس الانسان إنما هو غذاء يدخل من باب ويخرج من باب »[2] .

وفي رواية اخرى عنه (ع) : « وعلة التخفيف في البول والغايط أنه أكثر وأدوم من الجنابة فرضي فيه بالوضوء لكثرته ومشقّته ومجيئه بغير ارادة منه ولا شهوة ، ، والجنابة لا يكون إلا بالاستلذاذ منهم والاكراه لأنفسهم »[3] .

قال بعض أصحابنا ما ملخّصه : إنّ الدنيا والآخرة ضرّتان[4]، كلما قربت من إحداهما بعدت عن الاخرى ، فلذلك امر العبد بتطهير الأعضاء الظاهرة الدنيوية عند الاشتغال بعبادة الله تعالى والاقبال عليه ، فامر في الوضوء بغسل الوجه الذي فيه أكثر الحواس الظاهرة التي هي أعظم الأسباب الباعثة على مطالب الدّنيا ليتوجّه ويقبل بوجه القلب على الله وهو خال من تلك الأدناس[5] .

ثمّ امر بغسل اليدين لمباشرتهما أكثر الامور الدّنيوية والمشتهيات الطبيعية المانعة من الاقبال على الاخرة ، ثمّ بمسح الرّجلين لأن بهما يتوصّل إلى مطالبه ويتوسّل إلى تحصيل مآربه ، فيطهّرها جميعاً ليسوغ له الدخول بها في العبادة والاقبال عليها .

وامر في الغسل بغسل جميع البشرة لأن أدنى حالات الانسان وأشدّها تعلقا بالملكات الشهوية حالة الوقاع وموجبات الغسل ولجميع بدنه مدخل في تلك الحالة ولهذا قال

---

(١) النعاس بالضم : الوسن واول النوم وهي ريح لطيفة تأتي من قبل الدماغ تغطي العين ولا تصل الى القلب فاذا وصلت اليه كان نوما م .

(٢) عيون اخبار الرضا : ج ٢ ص ٨٧ الباب ٣٣ .

(٣) عيون اخبار الرضا : ج ٢ ص ١٠٢ الباب ٣٤ .

(٤) ضرة المرأة امرأة زوجها وهما ضرتان والجمع الضرائر ، وفي حديث الرسول (ص) مع خديجة فاذا قدمت على ضرائرك فاقرئهن عنا السلام . (٥) الدنس : الوسخ .

رسـول الله(ص) : « تحت كلّ شعـرة جنابـة »(١) فحيث كان جميـع بدنـه بعيداً عن المـرتبة العليـة منغمسا في اللذات الـدنّية كـان غسله أجمع من أهم المـطالب الشرعيـة ليتأهـل لمقـابلة الجهة الشريفة والدخول في العبادة المنيفة .

وامـر في التيمم بمسح الأعضـاء بالتـراب عند تعـذر غسلها بـالماء وضعـاً لتلك الأعضـاء الرئيسة وهضما لها بتلقّيها بأثر التربة الخسيسة .

قال : ولّما كان للقلب من ذلك الحظ الأوفر والنصيب الأكمل كـان الاشتغال بتـطهيره من الـرذايل والتـوجّهات المـانعة من درك الفضـايل أولى من تـطهير الاعضـاء الظاهـرة عنـد اللبيب العـاقل ، وإذا لم يمكن تـطهيره من الاخـلاق الرذيلة وتخليتـه بالاوصـاف الجميلة فليقمـه مقـام الهضم والارزاء(٢) ويسقه بسياط الذّل والاغضاء(٣) ، عسى أن يـطلع عليه مـولاه الرحيم وسيّـده الكريم ، وهو منكسر متواضع فيهبه نفحة(٤) من نفحات نوره اللامع ، فانّه عند المنكسرة قلوبهم كمـا ورد في الأثـر ، فتـرق من هـذه الاشـارات الى مـا يـوجب لـك الاقبـال وتـلافي سـالف الأعمال« الاهمال خ » .

الفصل الرابع
طهارة البدن عبرة لطهارة النفس

قال أمير المؤمنين (ع) : « نعم البيت الحمام يذكر فيه النار ويذهب بالدّرن »(٥) .

وفيـه إشارة إلى أنـه ينبغي للعاقـل أن لا يغفل عن ذكـر الآخرة في لحـظاته فـانها مصيـره ومستقره فيكون له في كل ما يراه من ماء أو نار أو غيرهما عبرة وموعظة فان نـظر إلى ظلمة تـذكر ظلمة اللحد ، وإن نظر إلى حيّة تذكر أفاعي جهنم ، وإن سمع صوتا هايلا تذكر نفخـة الصور ،

---

(١) سنن ابي داود ج ١ ص ٦٥ .

(٢) في النسخـة المـطبـوعـة تقـديم المهملة على المعجمـة فعليـه يكـون من الـرزء بمعنى النقص وفي النسختين المخـطوطتين تقديم المعجمـة على المهملة فيكون من زرى عليـه زريـا من بـاب رمى عـابـه واستهزأبه .

(٣) يسقه من السوق وهو حث الماشيـة على السير والسـوط ما يضـرب به من جلد مضفـور أو نحوه والجمـع سيـاط والاغضـاء التغـافـل عن الشيء وادنـاء الجفـون بعضهـا من بعض ، وأغضى على الامـر سكت وصبر .

(٤) النفحـة الـدفعـة من الشيء دون معـظمـة . (٥) الكـافي ج ٦ ص ٤٩٦ مكـارم الاخـلاق ص ٥٣ من لا يحضره الفقيه ج ١ ص ٦٣ .

وإن رأى شيئاً حسنا تذكر نعيم الجنة ، وإن سمع كلمة ردّ أو قبول تـذكر مـا ينكشف له في آخـر أمره بعد الحساب من الرّد والقبول ، إلى غير ذلك .

والحمـام أشبه شيء بجهنم : النـار من تحت ، والظلام من فـوق ، فينبغي أن يتذكـر حر النّار بحرارته ويقدر نفسه محبوساً في البيت الحار ساعة ويقيسه إلى جهنم ويستعيذ بالله منها

قال الصّادق (ع) : « فاذا دخلت البيت الثالث فقـل : نعوذ بـالله من النّار ونسـأله الجنـة ؛ ترددها إلى وقت خروجك من البيت الحار »[1] .

الباب الثالث

في الصلاة والذكر

في الصّـلاة والـذكـر ، قـال الله عـزّ وجـلّ : ﴿والـذين هم في صـلاتهم خـاشعـون﴾[2] وقال : ﴿فويل للمصلّين الذين هم عن صـلاتهم ساهـون﴾[3] ذمهم على الغفلة عنها مـع كونهم مصلّين لا لأنّهم سهوا عنها وتركوها ، وقال سبحانه : ﴿أقم الصّلاة لذكري﴾[4] وقال : ﴿ولا تكن من الغافلين﴾[5] وقال : ﴿لا تقربوا الصّلاة وأنتم سكارى حتىّ تعلمـوا ما تقـولون﴾[6] فيـه تنبيه على سكر الدنيا إذ بين فيه العلة .

وقال النبيّ (ص) : « من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من الـدّنيا غفـر له مـا تقدم من ذنبه »[7] .

وقال : « إنما الصّلاة تمسكن[8] وتواضـع وتضرّع وتيـاس (تباس خ ل) وتنـدم وتقنع تمـدّ يديك وتقول : اللهم ، فمن لم يفعل فهي خداج[9] »[10] .

وقـال : «إذا صليت صلاة فـريضة فصـل لوقتهـا صلاة مـودّع تخاف أن لا تعـود فيهـا وقـال (ص) : لا ينظر الله إلى صلاة لا يحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه »[11] .

---

(١) من لا يحضره الفقيه : ج ١ ص ٦٢ ومكارم الاخلاق ص ٥٢ . (٢) سورة المؤمنون : الآية ٢

(٣) سورة الماعون : الآية ٥ . (٤) سورة طه : آية ١٤ . (٥) سورة الأعراف : آية ٢٠٥ . (٦) سورة النساء : آية ٤٣ . (٧) العوالي : ج ١ ص ٣٢٢ واحياء علوم الدين : ج ٥ ص ١٧١ . (٨) تمسكن : خضع وأخبث م .

(٩) اي نقصان يقال : خدّجت الدابة : القت ولدها ناقص الخلق او قبل تمام الايام .

(١٠) احياء علوم الدين : ج ١ ص ١٣٥ و ج ٥ ص ١٧١ (١١) احياء علوم الدين : ج ١ ص ١٣٥

وعن الصادق (ع): «من قبل الله منه صلاة واحدة لم يعذّبه ، ومن قبل منه حسنة لم يعذّبه »[1] .

وروى أن إبراهيم الخليل «كان يسمع تأوّهه على حدّ ميل ، وكان في صلاته يسمع له أزيز كأزيز المرجل [2] ، وكذلك كان يسمع من صدر سيّدنا رسول الله (ص) مثل ذلك »[3] .

وقال بعض أزواجه كان النبيّ (ص) « يحدّثنا ونحدثه فاذا حضرت الصّلاة فكانه لم يعرفنا ولم نعرفه »[4] وكان أمير المؤمنين (ع) « إذا أخذ في الوضوء يتغيّر وجهه من خيفة الله »[5] ، وكان (ع): « إذا حضر وقت للصّلاة يتزلزل ويتلون فقيل له ما لك يا أمير المؤمنين ؟ فيقول : جاء وقت أمانة عرضها الله على السّماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها »[6] .

وكانت فاطمة (ع) « تنهج [7] في الصّلاة من خيفة الله »[8] وكان الحسن (ع) « إذا فرغ من وضوئه تغيّر لونه فقيل له في ذلك ، فقال : حق على من أراد أن يدخل على ذي العرش أن يتغيّر لونه ، وروى مثل هذا عن السّجاد (ع) »[9] .
وعنه (ع) «انه كان إذا توضّا اصفّر لونه فيقول له أهله : ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء ؟ فيقول : أتدرون بين يدي من اريد أن أقوم»[10] قيل ورأيته (ع) «يصلي فسقط رداؤه عن منكبه فلم يسوّه حتّى فرغ من صلاته فسألته عن ذلك ، فقال : ويحك أتدري بين يدي من كنت إن العبد لا يقبل منه صلاة إلا ما أقبل فيها ، فقلت : جعلت فداك هلكنا ، قال : كلا إنّ الله يتم ذلك بالنوافل »[11] .

وعن الصّادق (ع) قال : كان عليّ بن الحسين (ع) « إذا قام إلى الصّلاة تغيّر لونه ، وإذا

---

(١) الكافي : ج ٣ ص ٢٦٦ .
(٢) الازيز صوت الرعد وصوت غليان القدر ، والمرجل قدر من نحاس أو من حجر .
(٣) عدة الداعي : ص ١٥١ .
(٤) احياء علوم الدين : ج ١ ص ١٣٥ و ١٤٦ وعدة الداعي : ص ١٥٢ .
(٥) عدة الداعي : ص ١٥١ . (٦) احياء علوم الدين : ج ١ ص ١٣٦ وفي بيان التنزيل كما عن البحار: ج ٨١ ص ٢٥٦ .
(٧) النهج محركة تتابع النفس . (٨) عدة الداعي : ص ١٥١ . (٩) عدة الداعي : ص ١٥١ .
(١٠) احياء علوم الدين : ج ١ ص ١٣٦ ومثله في اعلام الورى ص ٢٥٥ عن علي بن الحسين (ع) اذا توضأ اصفر لونه فقيل له : ما هذا الذي يغشاك : فقال : اتدري لمن أتأهب للقيام بين يديه .
(١١) العلل : ص ٢٣٢ وانظر البحار ج ٨١ ص ٢٣٧ .

سجد لم يرفع رأسه حتى يرفض عرقاً»[1].

وعنه (ع) : « كان أبي يقول : كان عليّ بن الحسين (ع) إذا قام إلى الصّلاة كأنه ساق شجرة لا يتحرك منه إلا ما حركت الريح منه »[2].

وعنه (ع) : «انه سئل عن حال لحقته في الصّلاة حتّى خرّ مغشياً عليه ، فلمّا أفاق قيل له في ذلك ، فقال : ما زلت اردّد هده الآية على قلبي حتّى سمعتها من المتكلم بها ، فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته »[3]، قيل : وكان لسان الامام (ع) في تلك الحال كشجرة طور حين قالت إني أنا الله

وعنه (ع) : « لا يجتمع الرّغبة والرّهبة في قلب إلا وجبت له الجنّة ، فاذا صليت فأقبل بوجهك على الله عزّ وجلّ فانه ليس من عبد مؤمن يقبل بقلبه على الله في صلاته ودعائه إلا أقبل الله عليه بقلوب المؤمنين وأيّده مع مودّتهم اياه بالجنّة »[4].

وعن الباقر (ع) قال : « إن العبد ليرفع له من صلاته نصفها وثلثها وربعها وخمسها فما يرفع له إلا ما أقبل عليها بقلبه وإنّما امروا بالنّوافل ليتم لهم ما نقصوا من الفريضة »[5].

الفصل الاول

الخشوع في الصلاة

ان قيل : المستفاد من هذه الآيات والأخبار ان صلاة من يغفل عما يقول فيها ويفعل ليست مقبولة إلا بقدر ما أقبل عليه منها ، والفقهاء لم يشترطوا إلاّ حضور القلب إلاّ عند التكبير والتوجّه فكيف التوفيق ؟ وأيضاً فان المصلي في صلاته ودعائه مناج ربه كما هو معلوم ، وقد ورد في الخبر أيضاً .

ولا شكّ أن الكلام مع الغفلة ليس بمناجاة الكلام إعراب عمّا في الضّمير ولا يصح الاعراب عما في الضمير إلا بحضور القلب فأيِ سؤال في قوله : إهدنا الصّراط المستقيم إذا كان القلب غافلا !.

(١) الكافي : ج ٣ ص ٣٠٠ وفلاح السائل ص ١١٧ .
(٢) الكافي : ج ٣ ص ٣٠٠ وفلاح السائل ص ١٦١ .
(٣) فلاح السائل : ص ١٠٧ . (٤) عن أسرار الصلاة كما عن البحار ج ٨١ ص ٢٦٠ .
(٥) الكافي : ج ٣ ص ٣٦٣ وعلل الشرائع ص ٣٢٨ .

فلا شك أن المقصود من القراءة والأذكار والحمد والثناء والتضرع والدّعاء والمخاطب هو الله تعالى وقلب العبد بحجاب الغفلة محجوب عنه ، فلا يراه ولا يشاهده بل هو غافل عن المخاطب ولسانه يتحرك بحكم العادة فما أبعد هذا عن المقصود بالصّلاة التي شرعت لتصقيل القلب وتجديد ذكر الله ورسوخ عقد الايمان بها ، هذا حكم القراءة والذكر .

وأمّا الركوع والسّجود فالمقصود التعظيم بهما قطعاً والتعظيم كيف يجتمع مع الغفلة وإذا خرج عن كونه تعظيماً لم يبق إلا مجرّد حركة الظهر والرأس وليس فيه من المشقّة ما يقصد الامتحان به ، ثم يجعل عماد الدين والفاصل بين الكفر والاسلام ، ويقدم على ساير العبادات ويجب القتل بسبب تركه على الخصوص .

فاعلم[1] أن بين القبول والاجزاء فرقا ، فان المقبول من العبادة ما يترتب عليه الثواب في الاخرة ويقرب إلى الله زلفى[2] والاجزاء ما يسقط التّكليف عن العبد وإن لم يثب عليه ، والناس مختلفون في تحمل التكليف ، فالتكليف إنما هو بقدر حوصلة الخلق وقابليتهم في سعتهم وقصورهم ، فلا يمكن أن يشترط عليهم جميعاً إحضار القلب في جميع الصلاة فان ذلك يعجز عنه كلّ البشر إلاّ الاقلين .

وإذا لم يكن اشتراط الاستيعاب للضرورة فلا مردّ له إلا أن يشترط منه ما ينطلق عليه الاسم ولو في اللحظة الواحدة ، واولى اللحظات به لحظة التكبير والتوجّه فاقتصر على التكليف بذلك ، ونحن مع ذلك نرجو أن لا يكون حال الغافل في جميع صلاته مثل حال التّارك بالكلية ، فانه على الجملة أقدر على الفعل ظاهراً وأحضر القلب لحظة ، وكيف لا والذي صلى مع الحديث ناسياً صلاته باطلة عند الله ولكن له أجر ما بحسب فعله وعلى قدر قصوره وعذره .

وقد ذكرنا في باب العقايد في الفرق بين العلم الظاهر والباطن أن قصور الخلق أحد الأسباب المانعة عن التصريح بكل ما ينكشف من أسرار الشرع .

وحاصل الكلام أن حضور القلب هو روح الصّلاة وأن أقل ما يبقى به الروح الحضور عند التكبير ، فالنقصان منه هلاك وبقدر الزّيادة عليه ينبسط الرّوح في أجزاء الصّلاة وكم من حي لا

---

(١) جواب قوله : ان قيل : المستفاد (الخ) .

(٢) الزلفة والزلفى : القربى والمنزلة وقد سبق ، ومنه قوله تعالى : وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى م .

حراك به قريب من الميّت فصلاة الغافل في جميعها إلاّ عند التكبير حيّ لا حراك به .

الفصل الثاني

ست جمل تتم بها حياة الصلاة

اعلم أنّ المعاني الباطنة التي بها تتم حياة الصّلاة يجمعها ستّ جمل[1] وهي حضور القلب ، والتفهم ، والتعظيم ، والهيبة ، والرّجاء والحياء .

فالأول حضور القلب ونعني به أن يفرغ القلب عن غير ما هو ملابس له ومتكلم به فيكون العلم بالفعل والقول مقرونا بهما ولا يكون الفكر جاريا في غيرهما ومهما انصرف الفكر عن غير ما هو فيه وكان في قلبه ذكر لما هو فيه ولم يكن فيه غفلة عنه فقد حصل حضور القلب .

ثمّ التفهم لمعنى الكلام ، وهو أمر وراء حضور القلب فربما يكون القلب حاضراً مع اللفظ ولا يكون حاضراً مع معنى اللفظ فاشتمال القلب على العلم بمعنى اللفظ هو الذي أردنا بالتفهم ، وهذا مقام يتفاوت فيه الناس ، إذ ليس يشترك الناس في تفهم المعاني للقرآن والتسبيحات ، وكم من معان لطيفة يفهمها المصلّي في أثناء الصّلاة ولم يكن قد خطر بقلبه قبل ذلك ، ومن هذا الوجه كانت الصّلاة ناهية عن الفحشاء والمنكر ، فانها تفهم اموراً تلك الامور تمنع عن الفحشاء والمنكر لا محالة .

ثمّ التعظيم وهو أمر وراء حضور القلب والتفهم ، إذا الرّجل ربّما يخاطب غيره بكلام هو حاضر القلب فيه وهو متفهم لمعناه ، ولا يكون معظماً له .

ثمّ الهيبة وهي زايدة على التعظيم إذ هي عبارة عن خوف منشؤه التعظيم لأن من لا يخاف لا يسمى هايباً ، ثمّ كلّ خوف لا يسمى مهابة بل الهيبة خوف مصدرها الاجلال .

ثمّ الرجاء فالعبد ينبغي أن يكون راجياً بصلاته ثواب الله كما أنّه خائف بتقصيره عقاب الله .

ثمّ الحياء ومستنده استشعار بتقصير وتوهّم ذنب ولنذكر أسباب هذه المعاني الستة .

---

(١) وفي جامع السعادات جعلها سبعة بزيادة الاخلاص والقربة وخلوها عن شوائب الرياء وكان المصنف (قد) اكتفى هنا بما ذكره فيما سبق .

فاعلم ان حضور القلب سببه الهمّة فانّ قلبك تابع لهمّتك فلا يحضر القلب إلا فيما يهمّك ، ومهما أهمّك أمر حضر القلب شاء أم أبى ، فهو مجبول عليه ومسخّر فيه والقلب إذا لم يحضر في الصّلاة لم يكن متعطّلا بل كان حاضراً فيما الهمّة مصروفة اليه من امور الدّنيا ، فلا حيلة ولا علاج لاحضار القلب إلا بصرف الهمّة الى الصّلاة والهمّة لا ينصرف إليها ما لم يتبيّن أن الغرض المطلوب منوط بها ، وذلك هو الايمان والتصديق بأن الآخرة خير وأبقى وأنّ الصّلاة وسيلة إليه فاذا اضيف هذا إلى حقيقة العلم بحقارة الدّنيا ومهامتها حصل من مجموعهما حضور القلب في الصّلاة .

وأمّا التفهم فسببه بعد حضور القلب إدمان الفكر وصرف الذّهن الى ادراك المعنى وعلاجه ما هو علاج إحضار القلب مع الاقبال على الفكر والتشمر لرفع الخواطر الشاغلة ، وعلاج دفع الخواطر الشاغلة قطع موادّها أعني النزوع(١) عن تلك الأسباب التي تنجذب الخواطر إليها ، وما لم ينقطع تلك الموادّ لا ينصرف عنها الخواطر ، فمن أحبّ شيئاً أكثر ذكره ، فذكر المحبوب يهجم على القلب بالضرورة ، ولذلك ترى من أحبّ غير الله لا يصفو له عن الخواطر .

وأما التعظيم فهي حالة للقلب تتولد من معرفتين : احداهما معرفة جلال الله وعظمته وهي من اصول الايمان ، فان من لا يعتقد عظمته لا تذعن النفس لتعظيمه الثانية معرفة حقارة النفس وخسّتها وكونها عبداً مسخراً مربوباً حتى يتولّد من المعرفتين الاستكانة والانكسار والخشوع لله ، فيعبّر عنه بالتعظيم ، وما لم تمتزج معرفة حقارة النّفس بمعرفة جلالة الرّب لا ينتظم حالة التعظيم والخشوع ، فان المستغني عن غيره الآمن على نفسه يجوز أن يعرف من غيره صفات العظمة ، ولا يكون الخشوع والتعظيم حاله ، لأن قرينته الاخرى وهي معرفة حقارة النّفس وحاجتها لم تقترن إليه .

وأما الهيبة والخوف فحالة للنفس يتولد من المعرفة بقدرة الله وسطوته ونفوذ مشيته فيه ، ومع قلة المبالاة به وأنه لو أهلك الأوّلين والآخرين لم ينقص من ملكه ذرّة ، هذا مع مطالعة ما يجري على الأنبياء والأولياء من المصايب وأنواع البلاء مع القدرة على الدفع ، وبالجملة كلما زاد العلم بالله زادت الخشية والهيبة .

وأما الرجاء فسببه معرفة لطف الله وكرمه وعميم إنعامه ولطايف صنعه ومعرفة صدقه في

---

(١) نزع الشيء من مكانه : قلعه ، نزع نزوعا عن كذا : كف وانتهى عنه .

وعده الجنّة بالصّلاة ، فاذا حصل اليقين بوعده والمعرفة بلطفه انبعث من مجموعهما الرجاء لا محالة .

وأمّا الحياء فباستشعار التقصير في العبادة وعلمه بالعجز عن القيام بعظيم حق الله ويقوي ذلك بالمعرفة بعيوب النفس وآفاتها وقلة إخلاصها وخبث دخلتها[1] وميلها إلى الحظ العاجل في جميع أفعاله مع العلم بعظيم ما يقتضيه جلال الله ، والعلم بأنه مطلع على السّريرة وخطرات القلب وإن دقت وخفيت ، وهذه المعارف إذا حصلت يقينا انبعث فيها بالضرورة حالة تسمى الحياء .

الفصل الثالث
احضار القلب في الصلاة

اعلم أن المؤمن لا بد وأن يكون معظماً لله وخائفاً منه وراجيا ومستحيياً من تقصيره فلا ينفك من هذه الأحوال بعد إيمانه وإن كانت قوتها بقدر قوة يقينه ، فانفكاكه عنها في الصّلاة لا سبب له إلا تفرق الفكر وتقسّم الخاطر وغيبة القلب عن المناجاة والغفلة عن الصّلاة ولا يلهي عن الصّلاة إلا الخواطر الرّدية الشاغلة .

فالدواء في إحضار القلب هو دفع تلك الخواطر ، ولا يدفع الشيء إلا بدفع سببه وسبب توارد الخاطر إما أن يكون أمراً خارجاً أو أمراً في ذاته باطناً أما الخارج فما يقرع السمع أو يظهر للبصر فان ذلك قد يختطف[2] الهم حتّى يتبعه ويتصرّف فيه ؛ ثم ينجر منه الفكر إلى غيره ويتسلسل ويكون الابصار سبباً للافتكار ثم يصير بعض تلك الأفكار سبباً للبعض ومن قويت رتبته وعلت همّته لم يلهه ما يجري على حواسّه ولكن الضعيف لا بد وأن يتفرغ به فكره .

فعلاجه قطع هذه الأسباب بأن يغض بصره ويحترز من الصّلاة على الشوارع وفي المواضع المنقوشة المصبوغة ، ولذلك كان المتعبّدون يتعبّدون في بيت صغير مظلم سعته بقدر السجود ليكون أجمع للهمّ والأقوياء كانوا يحضرون المساجد ويغضّون البصر ولا يجاوزونه موضع السّجود كما ورد الأمر به ويرون كمال الصّلاة في أن لا يعرفوا من على يمينهم وشمالهم .

---

(١) الدخل بضم الدال فالسكون : ما يدخل على الانسان من عقاره وتجارته ؛ وفي الكنز باطن جيزي ، وبالتحريك العيب والفسق والفساد . م .

(٢) خطف الشيء استلبه بسرعة . المنجد .

وأمّا الأسباب الباطنة فهي أشدّ فان من تشعبت الهموم به في أودية الدنيا لم ينحصر فكره في فن واحد بل لا يزال يطير من جانب إلى جانب وغض البصر لا يغنيه فان ما وقع في القلب من قبل كاف للشغل .

فهذا طريقه أن يرد النفس قهراً إلى فهم ما يقرؤه ويشغلها به عن غيره ويعينه على ذلك أن يستعدّ له قبل التحريم بان يجدد على نفسه ذكر الاخرة وموقف المناجاة وخطر المقام بين يدي الله وهول المطلع ويفرغ قلبه قبل التحريم بالصّلاة عما يهمّه فلا يترك لنفسه شغلا يلتفت إليه خاطره ، فهذا طريق تسكين الافكار .

فان كان لا تسكن أفكاره بهذا الدواء فلا ينجيه إلّا المسهل الذي يقمع[1] مادّة الداء من أعماق العروق وهو أن ينظر في الامور الشّاغلة الصارفة له عن احضار القلب ولا شك في أنها تعود إلى مهماته وأنها إنما صارت مهمّة بشهواته فليعاقب نفسه بالنزوع عن تلك الشهوات وقطع تلك العلايق فكل ما يشغله عن صلاته فهو ضدّ دينه وجند ابليس عدوّه ، فامساكه أضرّ عليه من إخراجه فيتخلص عنه باخراجه ولا يغني غير ذلك ، فانّ ما ذكرناه من التلطف بالتسكين والرّد إلى فهم الذكر إنما ينفع في الشهوات الضعيفة والهم التي لا تشتغل إلّا حواشي القلب .

فاما الشهوة القوية المرهقة فلا ينفع معها التسكين بل لا يزال تجاذبها وتجاذبك ثم تغلبك وينقضي جميع صلاتك في شغل المجاذبة .

ومثاله مثال رجل تحت شجرة أراد أن يصفو له فكره وكانت أصوات العصافير تشوّش عليه فلم يزل يطردها (يطيرها خ ل) بخشبة هي في يده ويعود إلى فكره فيعود العصافير فيعود إلى التنفير بالخشبة فقيل له إن هذا سير السّواني ولا ينقطع فان أردت الخلاص فاقطع الشجرة .

فكذلك شجرة الشهوة إذا استعلت وتفرعت أغصانها انجذبت إليها الأفكار انجذاب العصافير إلى الأشجار وانجذاب الذباب إلى الاقذار ، والشغل يطول في دفعها فانّ الذّباب كلما ذبّ آب[2] ، ولأجله سمّي ذبابا ، فكذلك الخواطر وهذه الشهوات كثيرة قلما يخلو العبد عنها ويجمعها أصل واحد وهو حبّ الدنيا ، وذلك رأس كلّ خطيئة وأساس كل نقصان ومنبع كل فساد .

ومن انطوى باطنه على حبّ الدّنيا حتى مال إلى شيء منها لا ليتزوّد منها ويستعين بها

---

(١) قمعه كمنعه : قهره وذلله ق . (٢) الذب : الطرد ، والاوب : الرجوع .

على الاخرة فلا يطمعن في أن يصفو له لذّة المناجاة في الصّلاة ، فان من فرح بالدنيا فلا يفرح بالله وبمناجاته وهمة الرّجل مع قرة عينه فان كانت قرة عينه في الدنيا انصرف لا مخالة إليها همه ولكن مع هذا فلا ينبغي أن يترك المجاهدة وردّ القلب إلى الصّلاة وتقليل الأسباب الشاغلة .

فهذا هو الدّواء ولمرارته استصعبه الطبايع (استبشعه الطباع خ ل) وبقيت العلة مزمنة وصار الداء عضالا[1] حتى أن الأكابر اجتهدوا أن يصلّوا ركعتين لا يحدّثون أنفسهم فيهما بامور الدنيا ، فعجزوا عنه فاذن لا مطمع فيه لأمثالنا وليته سلم لنا من الصّلاة شطرها أو ثلثها عن الوسواس لنكون ممن خلطوا عملا صالحاً وآخر سيئاً ، وعلى الجملة فهمّة الدّنيا وهمّة الاخرة في القلب مثل الماء الذي يصب في قدح فيه خلّ فبقدر ما يدخل فيه من الماء يخرج منه الخل لا محالة ولا يجتمعان .

الفصل الرابع

فيما يجب ان تشعر به عند الاذان

إذا سمعت نداء المؤذن فاحضر في قلبك هول نداء يوم القيامة وتشمّر بظاهرك وباطنك للاجابة والمسارعة ، فان المسارعين إلى هذا النداء هم الذين ينادون باللطف يوم العرض الأكبر .

فاعرض قلبك على هذا النداء فان وجدته مملوّا بالفرح والاستبشار مشحونا بالرغبة إلى الابتدار فاعلم أنه يأتيك النداء بالبشرى والفوز يوم القضاء .

ولذلك قال النبيّ (ص) : « أرحنا يا بلال أي أرحنا بها وبالنداء إليها إذ كانت قرة عينه فيها[2] »[3] واعتبر بفصول الأذان وكلماته كيف افتتحت بالله واختتمت بالله ، واعتبر بذلك أن الله جلّ جلاله هو الأوّل والاخر والظاهر والباطن ، ووطن قلبك بتعظيمه عند سماع التكبير واستحقر الدنيا وما فيها لئلا تكون كاذباً في تكبيرك .

وانف[4] عن خاطرك كل معبود سواه بسماع التهليل واحضر النّبي (ص) وتأدّب بين يديه واشهد له بالرسالة مخلصا وصلّ عليه وآله وحرك نفسك واسع بقلبك وقالبك عند الدعاء إلى

---

(١) عضل به الامر اشتد . المنجد . والداء العضال : المرض الصعب الشديد الذي يعجز عنه الطبيب م .

(٢) اشارة الى ما ورد عنه (ص) جعلت قرة عيني في الصلاة . (٣) احياء علوم الدين : ج ١ ص ١٤٨ .

(٤) انف انفا من العار : ترفع وتنزه عنه ، وفي الحديث سألته عن سبحان الله ، فقال : انفة .

الصّلاة وما يوجب الفلاح وما هو خير الأعمال وجدّد عهدك بعد ذلك بتكبير الله وتعظيمه واختمه بذلك كما افتتحت به واجعل مبداك منه وعودك إليه وقوامك به واعتمادك على حوله وقوته فانه لا حول ولا قوة إلّا بالله العليّ العظيم .

الفصل الخامس

فيما يجب ان تشعر به عند الوضوء والطهارة

إذا أتيت بالطهارة في مكانك وهو ظرفك الأبعد ، ثمّ في ثيابك وهو غلافك الأقرب ، ثمّ في بشرتك وهو قشرك الأدنى فلا تغفل عن لبك الذي هو ذاتك وهو قلبك ، فاجتهد له تطهيرا بالتوبة والندم على ما فرط وتصميم العزم على الترك في المستقبل فطهّر بها باطنك فانه موقع نظر معبودك .

قال الصّادق (ع) : « وطّهر قلبك بالتقوى واليقين عند طهارة جوارحك بالماء »[1] وقد مضى تمام الخبر في باب الطهارة ، ثم إذا سترت معايب بدنك عن ابصار الخلق باللباس فاحضر ببالك فضايح سرّك التي لا يطلع عليها إلّا ربّك ، وطالب نفسك بسترها وتحقق أنه لا يسترها عن عين الله ساتر ، وإنما يكفرها الندم والحياء والخوف فتستفيد باحضارها في قلبك انبعاث جنود الخوف والحياء من مكانها فتذلّ به نفسك وتستكين تحت الخجلة وتقوم بين يدي الله تعالى قيام العبد المجرم المسيء الابق الذي ندم فرجع إلى مولاه ناكسا رأسه من الحياء والخوف .

وفي مصباح الشريعة قال الصّادق (ع) : « ازين اللباس للمؤمن لباس التقوى وأنعمه الايمان قال الله تعالى : ﴿**ولباس التقوى ذلك خير**﴾[2] .

وأمّا اللباس الظاهر فنعمة من الله يستر بها عورات بني آدم وهي كرامة أكرم الله بها عباده ذرية بني آدم ما لم يكرم بها غيرهم ، وهي للمؤمنين آلة لأداء ما افترض الله عليهم وخير لباسك ما لا يشغلك عن الله بل يقرّبك من شكره وذكره وطاعته ، ولا يحملك إلى العجب والرياء والتزين والمفاخرة والخيلاء[3] ، فانها من آفات الدّين ومورثة القسوة في القلب .

وإذا لبست ثوبك فاذكر ستر الله عليك ذنوبك برحمته والبس باطنك بالصدق كما ألبست ظاهرك بثوبك ، وليكن باطنك في ستر الرّهبة وظاهرك في ستر الطاعة واعتبر بفضل الله عزّ وجلّ

---

(١) مصباح الشريعة : ص ١٢٩ . (٢) سورة الاعراف : آية ٢٦ .

(٣) الخيلاء : العجب والكبر المنجد وفي الحديث لا يدخل الجنة شيخ زان ولا جار ازاره خيلاء م .

حيث خلق أسباب اللباس لتستر العورات الظاهرة ، وفتح أبواب التوبة والانابة لتستر بها عورات الباطن من الذّنوب وأخلاق السّوء ولا تفضح أحداً حيث ستر الله عليك أعظم منه .

واشتغل بعيب نفسك واصفح عمّا لا يعنيك حاله وأمره ، واحذر أن يفنى عمرك بعمل غيرك ويتجر برأس مالك غيرك وتهلك نفسك ، فان نسيان الذنوب من أعظم عقوبة الله تعالى في العاجل ، وأوفر أسباب العقوبة في الاجل .

وما دام العبد مشتغلا بطاعة الله ومعرفة عيوب نفسه وترك ما يشين[1] في دين الله فهو بمعزل من الافات خائض في بحر رحمة الله ، يفوز بجواهر الفوايد من الحكمة والبيان وما دام ناسيا لذنوبه جاهلا بعيوبه راجعاً إلى حوله وقوته لا يفلح إذاً أبداً»[2] .

الفصل السادس

فيما يجب ان تشعر به عند دخول المسجد

وفي مصباح الشريعة قال الصّادق (ع): «إذا بلغت باب المسجد فاعلم أنّك قصدت ملكا عظيماً لا يطأ بساطه إلاّ المطهّرون ولا يؤذن لمجالسته إلاّ الصّديقون وهب القدوم إلى بساط خدمته هيبة الملك ، فانك على خطر عظيم إن غفلت واعلم أنه قادر على ما يشاء من العدل والفضل معك وبك .

فان عطف عليك بفضله ورحمته قبل منك يسير الطاعة وأجزل لك عليها ثواباً كثيراً وإن طالبك باستحقاقه الصدق والاخلاص عدلا بك حجبك وردّ طاعتك وإن كثرت ، وهو فعال لما يريد ، واعترف بعجزك وتقصيرك وفقرك بين يديه ، فانك قد توجّهت للعبادة له والموانسة به واعرض أسرارك عليه ولتعلم أنه لا يخفى عليه أسرار الخلايق أجمعين وعلانيتهم وكن كافقر عباده بين يديه واخل قلبك عن كل شاغل يحجبك عن ربك فانه لا يقبل إلا الاطهر والاخلص فانظر من أي ديوان يخرج اسمك فان ذقت من حلاوة مناجاته ولذيذ مخاطباته وشربت بكأس رحمته وكراماته من حسن اقباله عليك وإجاباته وقد صلحت لخدمته ، فادخل فلك الاذن والأمان ، وإلا فقف وقوف مضطر قد انقطع عنه الحيل وقصر عنه العمل وقضى الاجل .

وإذا علم الله من قلبك صدق الالتجاء إليه نظر اليك بعين الرأفة والرحمة والعطف ووفقك لما يحبّ ويرضى فانه كريم يحب الكرامة لعباده المضطرين إليه المحترقين على بابه لطلب مرضاته ، قال الله تعالى : ﴿أمّن يجيب المضطر إذا دعاه﴾[3] »[4] .

---

(١) شأنه شينا من باب باع : عابه . (٢) مصباح الشريعة ص ١٣٠ .
(٣) سورة النمل : آية ٦٢ . (٤) مصباح الشريعة ص ١٣٠ .

الفصل السابع

في الاستقبال في الصلاة

وأما الاستقبال فهو صرف لظاهر وجهك عن ساير الجهات إلى جهة بيت الله أفترى أن صرف القلب من ساير الامور إلى أمر الله ليس مطلوبا منك ؟ هيهات فلا مطلوب سواه وإنما هذه الظواهر تحريكات للبواطن وضبط للجوارح وتسكين لها بالاثبات في جهة واحدة حتى لا تبغي على القلب ،فانها إذا بغت وظلمت في حركاتها إلى جهاتها استتبعت القلب وانقلبت به عن وجه الله فليكن وجه قلبك مع وجه بدنك .

واعلم أنه كما لا يتوجّه الوجه إلى جهة البيت إلا بالصّرف عن غيرها فلا ينصرف القلب إلى الله تعالى إلا بالتفرغ عمّا سواه .

وقد قال النبيّ (ص) : « إذا قام العبد إلى صلاته وكان هواه وقلبه إلى الله انصرف كيوم ولدته امّه »[(١)] .

وقال (ص) : « أمّا يخاف الذي يحوّل وجهه في الصّلاة أن يحوّل الله وجهه وجه حمار »[(٢)] وهذا نهي عن الالتفات عن الله وملاحظة عظمته في حالة الصّلاة فان الملتفت يمينا وشمالا ملتفت عن الله وغافل عن مطالعة أنوار كبريائه ومن كان كذلك فيوشك أن يدوم تلك الغفلة عليه فتتحول وجه قلبه كوجه قلب الحمار في قلّة عقله للامور العلوية وعدم فهمه للعلوم الظاهرة .

وفي مصباح الشريعة قال الصّادق (ع) : « إذا استقبلت القبلة فايس من الدنيا وما فيها والخلق وما هم فيه واستفرغ قلبك من كل شاغل يشغلك عن الله تعالى وعاين بسرّك عظمة الله ، واذكر وقوفك بين يديه ﴿هنالك تبلو كل نفس ما اسلفت وردوا إلى الله موليهم الحق﴾[(٣)] ، وقف على قدم الخوف والرجاء »[(٤)] .

---

(١) عن كتاب اسرار الصلاة للشهيد الثاني كما في البحار : ج ٨١ ص ٢٦١ .

(٢) احياء علوم الدين : ج ١ ص ١٣٣ وعن كتاب اسرار الصلاة للشهيد الثاني كما عن البحار : ج ٨١ ص ٢٥٩ .

(٣) سورة يونس : آية ٣٠ . (٤) مصباح الشريعة : ص ٨٧ .

الفصل الثامن

القيام في الصلاة

وأما القيام فهو مثول[1] بالشخص والقلب بين يدي الله فليكن رأسك الذي هو أرفع أعضائك متطرقا مطأطئاً متنكسا وليكن وضع الرأس عن ارتفاعه تنبيها على إلزام القلب التواضع والتذلل والتبري عن الترأس والتكبر .

وليكن على ذكرك ههنا خطر المقام بين يدي الله في هول المطلع عند التعرض للسؤال ، واعلم في الحال أنّك قائم بين يدي الله وهو مطلّع عليك ، فقم بين يديه قيامك بين يدي بعض ملوك الزمان إن كنت تعجز عن معرفة كنه جلاله ، بل قدر في دوام قيامك في صلاتك أنّك ملحوظ ومرقوب بعين كالية من رجل صالح من أهلك أو ممّن ترغب أن يعرفك بالصلاح ، فانه تهدأ[2] عند ذلك أطرافك ، وتخشع جوارحك ويسكن جميع أجزاؤك خيفة أن ينسبك ذلك العاجز المسكين الى قلة الخشوع .

وإذا احسست من نفسك التماسك عند ملاحظة عبد مسكين فعاتب نفسك وقل لها : إنك تدّعين معرفة الله وحبّه أفلا تستحيين من اجترائك عليه مع توقيرك عبداً من عباده ، أو تخشين النّاس ولا تخشينه ؟ وهو أحق أن يخشى .

سئل النبي (ص) كيف الحياء من الله ؟ فقال : « تستحي منه كما تستحي من الرّجل الصالح من أهلك »[3] .

الفصل التاسع

التكبير في الصلاة

إذا توجهت بالتكبيرات فاستحضر عظمة الله سبحانه وصغر نفسك وخسّة عبادتك في جنب عظمته وانحطاط همتك عن القيام بوظائف خدمته واستتمام حقايق عبادته .

---

(١) مثل مثولا بين يدي فلان : قام منتصباً .

(٢) هدأ هدءاً وهدوءاً : سكن ، يكون في سكون الحركة والصوت وغيرهما .

(٣) احياء علوم الدين : ج١١ ص ١٤٩ .

وتفكر عند قولك. اللهم أنت الملك الحق في عظيم ملكه وعموم قدرته واستيلائه على جميع العوالم ، ثم ارجع إلى نفسك بالذّل والانكسار والاعتراف بالذنوب والاستغفار عند قولك : عملت سوء وظلمت نفسي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلاّ أنت .

واحضر دعوته لك بالقيام بهذه الخدمة ، ومثل نفسك بين يديه وانه قريب منك يجيب دعوة الداعي إذا دعاه ويسمع نداءه وأنّ بيده خير الدنيا والآخرة لا بيد غيره عند قولك : لبّيك وسعديك والخير في يديك .

ونزهه من الظلم والشر وأبدله بهما محض الهداية والارشاد عند قولك : والشر ليس إليك والمهدي من هديت .

واعترف بالعبودّية وأن قوام وجودك وبدءه ومعاده منه بقولك : عبدك وابن عبديك منك وبك ولك وإليك اي منك وجوده وبك قوامه ولك ملكه وإليك معاده ، وهو الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده ، فاحضر في ذهنك هذه الحقايق وترق منها إلى ما يفتح عليك من الاسرار والدقايق وتلق الفيض من العالم الأعلى .

الفصل العاشر

النية في الصلاة

وأما النية فاعزم على إجابة الله تعالى في امتثال أمره بالصّلاة وإتمامها والكف عن نواقضها ومفسداتها وإخلاص جميع ذلك لوجه الله رجاء لثوابه وخوفاً من عقابه وطلباً للقربة منه متقلداً للمنّة باذنه إياك في المناجاة مع سوء أدبك وكثرة عصيانك .

وعظم في نفسك قدر مناجاته وانظر من تناجي وكيف تناجي وبماذا تناجي ، وعند هذا ينبغي أن يعرق جبينك من الخجلة وترتعد فرائضك من الهيبة ويصفر وجهك من الخوف .

وأما التكبير فمعناه أن الله سبحانه أكبر من كل شيء أو أكبر من أن يوصف أو أن يدرك بالحواس أو يقاس بالناس ، فاذا نطق به لسانك فينبغي أن لا يكذّبه قلبك وإن كان في قلبك شيء هو أكبر من الله تعالى فالله يشهد أنك كاذب وإن كان الكلام صدقا كما شهد على المنافقين في قولهم : إن النبي (ص) رسول الله .

فان كان هواك أغلب عليك من أمر الله وأنت أطوع له منك لله فقد اتخذته إلهك وكبرته

فيوشك أن يكون الله اكبر كلاما باللسان المجرد وقد تخلف القلب من مشاهدته وما أعظم الخطر في ذلك لولا التوبة والاستغفار وحسن الظن بكرم الله وعفوه .

وفي مصباح الشريعة قال الصادق (ع) : « إذا كبرت فاستصغر ما بين العلى والثرى دون كبريائه فان الله تعالى إذا اطلع على قلب العبد وهو يكبرّ وفي قلبه عارض عن حقيقة تكبيره قال : يا كاذب أتخدعني ؟ وعزتي وجلالي لأحرمنّك حلاوة ذكري ولأحجبنّك عن قربي والمسرّة بمناجاتي »[1] .

فاعتبر أنت قلبك حين صلاتك فان كنت تجد حلاوتها وفي نفسك سرورها وبهجتها وقلبك مسروراً بمناجاته ملتذا بمخاطباته فاعلم أنه قد صدّقك في تكبيرك ، وإلا فقد عرفت من سلب لذة المناجاة وحرمان حلاوة العبادة أنه دليل على تكذيب الله لكِ وطردك عن بابه .

الفصل الحادي عشر

دعاء الاستفتاح للصلاة

وأما دعاء الاستفتاح فاول كلماته قولك : وجهت وجهي للذي فطر السّماوات والارض حنيفا مسلما[2] ، وليس المراد بالوجه الوجه الظاهر فانك إنّما وجهته الى جهة القبلة والله سبحانه وتعالى مقدس عن ان تحده الجهات حتى تقبل بوجه بدنك عليه وإنما وجه القلب هو الذي يتوجه به إلى فاطر السماوات والارض فانظر إليه أمتوجه هو إلى امانيه وهممه في البيت والسّوق ويتبع الشهوات ، ام مقبل على فاطر السّماوات والارض .

وإياك وأن يكون أوّل مفاتحتك للمناجاة بالكذب والاختلاق[3] ولن ينصرف الوجه إلى الله إلا بانصيرافه عمّا سواه فاجتهد في الحال في صرفه إليه وإن عجزت عنه على الدوام ليكون قولك في الحال صدقا .

وإذا قلت : حنيفا مسلما فينبغي ان يخطر ببالك أن المسلم هو الذي سلم المسلمون من لسانه ويده فان لم يكن كذلك كنت كاذبا فاجتهد أن تعزم عليه في الاستقبال وتندم على ما سبق

---

(١) مصباح الشريعة ص٨٧.

(٢) الحنف : الميل والحنيف : المسلم المايل الى الدين المستقيم والجمع حنفاء ، م .

(٣) الاختلاف الكذب المخترع ، ومنه قوله تعالى ان هذا الا اختلاق . م .

من الاحوال .

وإذا قلت : وما أنا من المشركين ، فاخطر ببالك الشرك الخفي فانه قوله تعالى : ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ، ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾(1) نزل فيمن قصد بعبادته وجه الله وحمد الناس وكن منفيا عن هذا الشرك واستشعر الخجلة في قلبك ان وصفت نفسك بأنك لست من المشركين من غير براءة من هذا الشرك فان اسم الشرك يقع على القليل والكثير منه .

وإذا قلت : محياي ومماتي لله ، فاعلم أن هذا حال عبد مفقود لنفسه موجود بسيده وأنه إن صدر ممن رضاه وغضبه وقيامه وقعوده ورغبته في الحياة ، ورهبته من الموت لامور الدنيا لم يكن ملايماً للحال .

الفصل الثاني عشر

الاستعاذة

وإذا قلت : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، فاعلم أنّه عدوك ومترصد لصرف قلبك عن الله حسداً لك على مناجاتك مع الله وسجودك له مع انه لعن بسبب سجدة واحدة تركها ولم يوفق لها ، وأن استعاذتك بالله منه بترك ما يحبه وتبديله بما يحب الله لا بمجرد قولك ، وأن من قصده سبع أو عدوّ ليفترسه أو يقتله فقال أعوذ منك بذلك الحصن الحصين وهو ثابت على مكانه أن ذلك لا ينفعه بل لا يعيذه إلا تبديل المكان .

فكذلك من يتبع الشهوات التي هي محاب الشيطان ومكاره الرّحمان ، فلا يغنيه مجرّد القول فليقترن قوله بالعزم على التعوذ بحصن الله عز وجل من شر الشيطان وحصنه لا إله إلا الله إذ قال تعالى : لا إله إلا الله حصني .

والمتحصن به من لا معبود له سوى الله فأما من اتخذ إلهه هويه(2) فهو في ميدان الشيطان لا في حصن الله واعلم ان من مكايده أن يشغلك في الصّلاة بفكرة الآخرة وتدبير فعل الخيرات

(1) سورة الكهف : آية ١١٠ .
(2) الهوى مصدر هويه اذا أحبه واشتهاه ، ثم سمي المهوى المشتهى محموداً أو مذموماً ثم غلب على غير المحمود وقيل فلان اتبع هواه اذا اريد ذمه ، سمي بذلك لانه يهوى بصاحبه في الدنيا الى كل داهية وفي الاخرة الى الهاوية ، ومنه قوله تعالى : ﴿أفرأيت من اتخذ الهه هويه﴾ .

لتمتنع عن فهم ما تقرأ فاعلم أن كل ما يشغلك عن معاني القرآن فهو وسواس فان حركة اللسان غير مقصودة بل المقصود المعاني .

وأما القراءة فالناس فيها ثلاثة : رجل يتحرك لسانه وقلبه غافل ، ورجل يتحرك لسانه وقلبه يتبع اللسان فيسمع ويفهم منه كانه يسمعه من غيره وهو درجة أصحاب اليمين ، ورجل يسبق قلبه إلى المعاني اولا ثم يخدم اللسان قلبه فيترجمه ، ففرق بين أن يكون اللسان ترجمان القلب أو يكون معلم القلب والمقربون ألسنتهم ترجمان تتبع القلب .

الفصل الثالث عشر

قراءة الحمد والسورة

وإذا قلت : بسم الله الرحمن الرحيم ، فانوبه التبرّك لابتداء القراءة لكلام الله وافهم أن معناه أن الامور كلها بالله وأنّ المراد بالاسم ههنا هو المسمى وإذا كانت الامور بالله فلا جرم كان الحمد لله ومعناه أن الشكر لله إذ النعم من الله ومن يرى من غير الله نعمة او يقصد غير الله بشكره لا من حيث أنّه مسخر من الله ففي تسميته وتحميده نقصان بقدر التّفاته إلى غير الله .

فاذا قلت : الرحمن الرّحيم فاحضر في قلبك أنواع لطفه لتنفتح لك رحمة فينبعث به رجاءك .

ثم استشعر من قلبك التعظيم والخوف بقولك : مالك يوم الدين ، أما العظمة فلأنه لا ملك إلا له ، وأما الخوف فلهول يوم الجزاء والحساب الذي هو مالكه .

ثم جدد الاخلاص بقولك : إياك نعبد ، وجدد العجز والاحتياج والتبري من الحول والقوة بقولك : وإياك نستعين وتحقق أنه ما تيسّرت طاعتك إلا باعانته وأن له المنة إذ وفقك لطاعته وتخدمك لعبادته وجعلك أهلا لمناجاته ولو حرمك التوفيق لكنت من المطرودين مع الشيطان اللعين .

ثم إذا فرغت عن التفويض بقولك بسم الله وعن التحميد وعن إظهار الحاجة إلى الاعانة مطلقا فعيّن سؤلك ولا تطلب إلا أهمّ حاجاتك وقل : إهدنا الصّراط المستقيم ، الذي يسوقنا إلى جوارك ويفضي بنا إلى مرضاتك وزده شرحا وتفصيلا وتأكيداً واستشهاداً بالذي أنعم عليهم نعمة الهداية من النبيين والصّديقين والشهداء والصالحين ، دون الذين غضب عليهم من الكفار والزائغين من اليهود والنصارى والصّائبين .

فاذا تلوت الفاتحة كذلك فتشبه أن تكون ممّن قال الله تعالى فيهم بما أخبر عنه النبي (ص) «قسمت الصّلاة بيني وبين عبدي نصفين نصفها لي ونصفها لعبدي يقول العبد : الحمد لله ربّ العالمين ، فيقول الله : حمدني عبدي وأثنى علي وهو معنى قوله سمع الله لمن حمده الحديث »[1] .

فان لم يكن لك من صلاتك حظ سوى ذكر الله تعالى جلّ جلاله وعظمته فناهيك به غنيمة فكيف ما ترجوه من ثوابه وفضله .

وكذلك ينبغي أن تفهم ما تقرأه من السورة كما يأتي في باب تلاوة القرآن ، فلا تغفل عن أمره ونهيه ووعده ووعيده ومواعظه واخبار أنبيائه وذكر منّه وإحسانه فلكل واحد حق فالرجاء حق الوعد ، والخوف حق الوعيد ، والعزم حق الامر والنهي والاتعاظ حق الموعظة ، والشكر حق ذكر المنّة ، والاعتبار حق أخبار الأنبياء .

ويكون هذه المعاني بحسب درجات الفهم ، ويكون الفهم بحسب وفور العلم وصفاء القلب ودرجات ذلك لا تنحصر والصّلاة مفتاح القلوب فيها ينكشف أسرار الكلمات فهذا حق القراءة وهو حق الاذكار والتسبيحات أيضاً .

ثم تراعي الهيئة في القراءة فترتل ولا تسرد[2] ولا تعجل فانّ ذلك أيسر للتأمل وتفرق بين نغماته في آية الرحمة والعذاب والوعد والوعيد والتمجيد والتعظيم ، كان بعضهم إذا مر بمثل قوله تعالى : ﴿ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله﴾[3] يغض صوته كالمستحي عن أن يذكره بكل شيء ويقال لصاحب القرآن : اقرء وارق فكلما قرأ آية صعد درجة .

---

(١) اخرجه مسلم ج ٢ ص ٩ عن ابي هريرة في حديث قال : اني سمعت رسول الله (ص) يقول : قال الله تعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله تعالى : حمدني عبدي ، واذا قال الرحمن الرحيم قال الله تعالى : أثنى علي عبدي ، واذا قال مالك يوم الدين ، قال مجدني عبدي واذا قال إياك نعبد واياك نستعين ، قال : هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل ، فاذا قال : اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ، قال هذا لعبدي ولعبدي ما سأل
اخرجه النسائي ج ٢ ص ١٣٦ .

(٢) سردت الحديث سرداً من باب قتل : اتيت به على الولاء . (٣) سورة المؤمنون : آية ٩١ .

الفصل الرابع عشر

القيام والخشوع

وأما دوام القيام فهو تنبيه على إقامة القلب مع الله على نعت واحد من الحضور ، قال النبي (ص) : «إن الله مقبل على المصلي ما لم يلتفت»[1] ، وكما يجب حراسة الرأس والعين عن الالتفات إلى الجهات فكذلك يجب حراسة السّر عن الالتفات إلى غير الصّلاة ، فان التفت إلى غيرها فذكره باطلاع الله عليك وقبح التهاون بالمناجي عند غفلة المناجي ليتعوّد إليه .

والزم خشوع القلب فان الخلاص من الالتفات ظاهراً وباطنا ثمرة الخشوع ، ومهما خشع الباطن خشع الظاهر قال (ص) وقد رأى مصلّيا يعبث بلحيته : أما هذا لو خشع قلبه لخشعت جوارحه ، فان الرّعية بحكم الراعي ولهذا ورد في الدعاء اللهم اصلح الراعي والرعية وهو القلب والجوارح وكل ذلك يقتضيه الطبع بين يدي من يعظم من أبناء الدنيا فكيف لايتقاضاه بين يدي ملك الملوك عند من يعرف ملك الملوك .

ومن يطمئن بين يدي غير الله خاشعا ويضطرب أطرافه بين يدي الله فذلك لقصور معرفته عن جلال الله وعن اطلاعه على سره وضميره ، وتدبر قوله تعالى : ﴿الذي يريك حين تقوم وتقلبك في السّاجدين﴾[2] .

الفصل الخامس عشر

الركوع

وأما الركوع فينبغي أن تجدد عنده ذكر كبرياء الله وترفع يديك مستجيراً بعفو الله من عقابه ومتبعا سنة نبيه ، ثم تستأنف له ذلا وتواضعاً بركوعك وتجتهد في ترقيق قلبك وتجديد خشوعك وتستشعر ذلك وعزّ مولاك واتضاعك[3] وعلوّ ربّك .

وتستعين على تقرير ذلك في قلبك بلسانك فتسبح ربّك وتشهد له بالعظمة وأنه أعظم من كل عظيم وتكرّر ذلك على قلبك لتؤكده بالتكرار ثم ترفع عن ركوعك راجياً أنه راحم ذلك وتؤكد

---

(١) اخرجه ابو داود ج ١ ص ٣٠٩ واخرجه النسائي والدارمي ايضاً كما في مشكاة المصابيح ج ١ ص ٩١ .

(٢) سورة الشعراء : آية ٢١٨ ـ ٢١٩ . (٣) اتضع : تذلل وتخشع لؤم وانحط في حسبه ، المنجد .

الرجاء في نفسك بقولك : سمع الله لمن حمده ، أي أجاب الله لمن شكره ، ثم تردف ذلك بالشكر المتقاضي للمزيد فتقول : الحمد لله ربّ العالمين ، ثم تزيد في الخشوع والتذلل فتقول : أهل الكبرياء والعظمة والجود والجبروت .

وعن أمير المؤمنين (ع) : «أنه سئل عن معنى مد العنق في الركوع فقال تأويله : آمنت بك ولو ضربت عنقي »[1] .

وفي مصباح الشريعة قال الصادق (ع) : « لا يركع عبد الله ركوعا على الحقيقةِ إلا زيّنه الله بنور بهائه ، وأظله في ظلال كبريائه وكساه كسوة أصفيائه .

والركوع أول والسجود ثان فمن أتى بمعنى الأول صلح للثاني ، وفي الركوع أدب وفي السجود قرب ومن لا يحسن الأدب لا يصلح للقرب فاركع ركوع خاضع لله بقلب متذلل وجل تحت سلطانه خافض له بجوارحه خفض خايف حزن على ما يفوته من فايدة الراكعين .

وحكي أن ربيع بن خثيم كان يسهر بالليل إلى الفجر في ركعة واحدة فاذا هو أصبح تزفر[2] وقال : آه سبق المخلصون وقطع بنا .

واستوف ركوعك باستواء ظهرك وانحط عن همّتك في القيام بخدمته إلا بعونه ، وفرّ بالقلب من وساوس الشيطان وخدايعه ومكايده ، فان الله تعالى يرفع عباده بقدر تواضعهم له ، ويهديهم إلى اصول التواضع والخشوع والخضوع بقدر اطلاع عظمته على سرايرهم »[3] .

الفصل السادس عشر

السجود

ثم تهوي الى السجود وهو أعلى درجات الاستكانة فمكّن اعزّ أعضائك وهو الوجه من أذل الأشياء وهو التراب ، وإن أمكنك أن لا تجعل بينهما حاجزاً فتسجد على الارض فافعل فانه أجلب للخضوع وأدل على الذّل .

وإذا وضعت نفسك موضع الذّل فاعلم أنك وضعتها موضعها ورددت الفرع إلى اصله ، فانك من التراب خلقت وإليه رددت ، فعند هذا جدد على قلبك عظمة الله وقل : سبحان ربي الأعلى .

---

(١) علل الشرايع ص ٣٢٠ . (٢) زفر زفيراً اخرج نفسه بعد مده اياه . ق . (٣) مصباح الشريعة ص ٨٩ .

وأكده بالتكرار ، فان المرة الواحدة ضعيفة الاثار ، فان رق قلبك وطهر لبك[١] فليصدق رجآؤك في رحمة ربك فان رحمته تتسارع إلى الضعف والذّل لا إلى التكبر والبطر فارفع رأسك مكبرا وسائلا حاجتك ومستغفراً من ذنوبك .

ثم اكد التواضع بالتكرار وعد إلى السجود ثانياً كذلك .

وعن أمير المؤمنين (ع) « أنه سئل ما معنى السجدة الاولى ؟ قال : تأويلها اللهم إنك منها خلقتنا ، يعني من الأرض وتأويل رفع رأسك ، ومنها أخرجتنا ، والسجدة الثانية وإليها تعيدنا ، ورفع رأسك ، ومنها تخرجنا تارة اخرى »[٢] .

وفي مصباح الشريعة قال الصّادق (ع) : « ما خسر والله من أتى بحقيقة السّجود ولو كان في العمر مرّة واحدة ، وما أفلح من خلا بربّه في مثل ذلك الحال تشبّها بمخادع نفسه غافل لاه[٣] عمّا اعد الله للسّاجدين من انس العاجل وراحة الاجل ولا بعد عن الله أبدا من أحسن تقربه في السّجود ولا قرب إليه أبدا من أساء أدبه وضيّع حرمته بتعلق قلبه بسواه في حال سجوده متواضع لله ذليل علم أنه خلق من تراب تطؤه الخلق وأنه ركب من نطفة يستقذرها كل أحد .

وقد جعل الله معنى السجود سبب التقرب إليه بالقلب والسّر والروح فمن قرب منه بعد من غيره ألا ترى في الظاهر أنه لا يستوي حال السجود إلا بالتواري من جميع الأشياء والاحتجاب عن كل ما تراه العيون ، كذلك أمر الباطن فمن كان قلبه متعلقاً في صلاته بشيء دون الله فهو قريب من ذلك الشيء بعيد عن حقيقة ما أراد الله منه في صلاته قال الله تعالى : ﴿ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه﴾[٤] .

وقال رسول الله (ص) : « قال الله تعالى لا أطلع على قلب عبدي فأعلم فيه حبّ الاخلاص لطاعة وجهي وابتغاء مرضاتي إلا توليت تقويمه وسياسته ، ومن اشتغل في صلاته بغيري فهو من المستهزئين بنفسه مكتوب اسمه في ديوان الخاسرين »[٥] .

---

(١) اللب بتشديد الباء الموحدة العقل، سمي بذلك لانه نفس ما في الانسان وما عداه فكأنه قشر . م .
(٢) علل الشرائع : ص ٣٣٦ .
(٣) لاه أي ساه قال تعالى : لاهية قلوبهم ، أي ساهية غافلة مشغولة بالباطل عن الحق وتذكره .
(٤) سورة الاحزاب : آية ٤ . (٥) مصباح الشريعة : ص ٩١ .

الفصل السابع عشر

التشهد

وإذا جلست للتشهد بعد هذه الأفعال الدّقيقة والأسرار العميقة المشتملة على الأخطار الجسيمة فاستشعر الخوف التّام والرّهبة والحياء والوجل أن يكون جميع ما سلف منك غير واقع على وجهه ، فاجعل يدك صفرا[1] من فوايدها إلاّ أن يتداركك الله برحمته ويقبل عملك الناقص بفضله .

وارجع إلى مبدء الأمر وأصل الدّين واستمسك بكلمة التوحيد وحصن الله الذي من دخله كان آمنا إن لم يكن حصل في يدك غيره ، واشهد له بالوحدانية ، واحضر رسوله الكريم ونبيّه العظيم (ص) ببالك واشهد له بالعبودية والرسالة .

وصلّ عليه وعلى آله مجدّداً عهد الله باعادة كلمتي الشهادة متعرضا بها لتأسيس مراتب العبادة فانهما أوّل الوسايل وأساس الفواضل مترقّباً لاجابته (ص) لك بصلاتك عشراً من صلاته إذا قمت بحقيقة صلاتك عليه التي لو وصل إليك منها واحدة أفلحت أبداً .

وفي مصباح الشريعة قال الصّادق (ع) : «التشهد ثناء على الله فكن عبداً له في السرّ خاضعاً في الفعل كما أنك له عبد في القول والدعوى وصل صدق لسانك بصفاء سرّك ، فانّه خلقك عبداً وأمرك أن تعبده بقلبك ولسانك وجوارحك ، وأن تحقق عبوديتك له بربوبيته وتعلم أنّ نواصي الخلق بيده فليس لهم نفس ولا لحظة الا بقدرته ومشيّته وهم عاجزون عن اتيان أقل شيء في مملكته إلا باذنه وإرادته »[2] .

قال فاستعمل العبودية في الرّضا بحكمته وبالعبادة في أداء أوامره وقد أمرك بالصّلاة على نبيّه محمد (ص) فأوصل صلاته بصلاته وطاعته بطاعته وشهادته بشهادته ، وانظر أن لا يفوتك بركات معرفة حرمته فتحرم عن فايدة صلاته .

---

(١) الصفر بالكسر فالسكون : الخالي ، ومنه بيت صفر اي خال من المتاع ، ورجل صفر اليدين اي ليس فيهما شيء .

(٢) مصباح الشريعة ص ٩٣ .

الفصل الثامن عشر
السلام

وإذا فرغت من التشهد فاحضر نفسك بحضرة سيّد المرسلين والملائكة المقربين وبقية أنبياء الله وائمته عليهم السلام والحفظة لك من الملائكة المحصين لأعمالك واحضرهم جميعاً في بالك[١] وقل :

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، ولا تطلق لسانك بصيغة الخطاب من غير حضور المخاطب في ذهنك فتكون من العابثين واللاعبين وكيف تسمع الخطاب لمن لا تقصد لولا فضل الله تعالى ورحمته الشاملة ورأفته الكاملة في اجتزائه بذلك عن اصل الواجب وان كان بعيداً عن درجات القبول منحطا عن اوج القرب والوصول .

وإن كنت إماماً لقوم فاقصدهم بالسّلام مع من تقدّم من المقصودين وليقصدوا هم الرد عليك أيضاً ، ثم يقصدوا مقصدك بسلام ثان ، فاذا فعلتم ذلك فقد أديتم وظيفة السّلام واستحققتم من الله مزيد الاكرام .

وفي مصباح الشريعة قال الصّادق (ع) : « معنى السلام في دبر كلّ صلاة الأمان أي من أدى أمر الله وسنّة نبيّه خالصاً له خاشعاً قلبه فله الأمان من بلاء الدّنيا وبراءة من عذاب الآخرة .

والسلام اسم من اسماء الله تعالى أودعه خلقه ليستعملوا معناه في المعاملات والأمانات والانصافات وتصديق مصاحبتهم فيما بينهم وصحّة معاشرتهم .

وإن أردت أن تضع السلام موضعه وتؤدي معناه فاتق الله وليسلم منك دينك وقلبك وعقلك أن لا تدنسها بظلمة المعاصي وليسلم حفظتك أن لا تبرمهم[٢] وتملهم وتوحّشهم منك بسوء معاملتك معهم ثمّ صديقك ثمّ عدوّك ، فان لم يسلم منه من هو الاقرب إليه فالابعد أولى ، ومن لا يضع السلام مواضعه هذه فلا سلام ولا إسلام ولا تسليم وكان كاذباً في سلامه وإن أفشاه في الخلق »[٣] .

---

(١) البال : القلب يقال : ما خطر الامر ببالي أي بقلبي .

(٢) برم برما مثل ضجر ضجراً وزناً ومعنى : اذا سامه ومله ومنه حديث وصف المؤمن لا يتبرم ولا يتسخط أي لا يسأم ولا يتضجر من أعمال الخير م .

(٣) مصباح الشريعة ص ٩٥ .

الفصل التاسع عشر

الصلاة الخالصة من الآفات

اعلم أنّ تخليص الصّلاة عن الافات وإخلاصها لـوجه الله واداءهـا بالشّـروط الباطنـة التي ذكرناها من الخشوع والتعظيم والحياء لحصول أنوار في القلب تكون تلك الانوار مفـاتيح للعلوم الباطنة .

قال الله تعالى : ﴿قد افلح المؤمنون الـذين هم في صلاتهم خـاشعون﴾[1] فمـدحهم بعد الايمان بصلاة مخصوصة وهي المقرونة بـالخشوع ثمّ ختم أوصـاف المفلحين بالصّـلاة فقال في آخرها : ﴿والذين هم على صلاتهم يحافظون﴾[2] .

ثم قال في ثمرة تلك الصّفـات : ﴿اولئك هم الـوارثون الـذين يرثـون الفردوس هم فيهـا خالدون﴾[3] فوصفهم بالفلاح أولا وبوراثة الفردوس آخراً .

وقـال النبي (ص) : « إذا قام العبـد المؤمن في صلاتـه نظر الله إليـه أو قال أقبـل الله عليه حتّى ينصرف وأظلّته الرّحمة من فـوق رأسه إلى افق السّمـاء والملائكـة تحفه من حـوله إلى افق السّمـاء ووكل الله بـه ملكاً قـائماً على رأسـه يقول : أيّهـا المصلّي لو تعلم من ينـظر إليـك ومن تناجي ما التفت ولا زلت من موضعك أبداً »[4] .

الفصل العشرون

صلاة الجمعة

ويختص صلاة الجمعة باستحضار أنّ يومها يوم عظيم وعيد شريف خص الله به هذه الأمـة وجعله وقتا شريفاً لعباده ليقربهم فيه من جواره ويبعدهم من طـرده وناره وحثّهم فيـه على الاقبال بصالح الأعمال وتلافي مـا فرط منهم في بقيـة الاسبوع من الاهمـال وجعل أهم مـا يقع فيـه من طاعته وما يوجب الزّلفى لديه صلاة الجمعة وعبر عنها في محكم كتابه الكريم بذكر الله وخصّهـا من ساير الصّلوات التي هي أفضل القربات بالذكر فقال : ﴿يا أيها الذين آمنـوا إذا نودي للصّـلاة

---

(١) سورة المؤمنون : آية ١ ـ ٢ .

(٢) سورة المؤمنون : آية ٩ . (٣) سورة المؤمنون : آية ١٠ ـ ١١ .

(٤) عن كتاب اسرار الصلاة كما في البحار ج ٨١ ص ٢٦٠ واحياء علوم الدين : ج ١ ص ١٥٢ .

من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾[1] .

وفي هذه الآية الشريفة من التنبيهات والتأكيدات ما يتنبه له من له حظ من المعاني ومن أهمّ رمزها التعبير عن الصّلاة بذكر الله ، فانه نبّه بهذا على أن الغرض الأقصى من الصّلاة ذكر الله بالقلب وإحضار عظمته بالبال فان هذا وأشباهه هو السر في كون الصّلاة ناهية عن الفحشاء والمنكر .

وهذا إنما يتم مع التوجّه التام إلى الله وملاحظة جلاله الذي هو الذكر الاكبر والكثير[2] على ما ورد في بعض التفسير فضلا عن أن يكون ذكراً مطلقاً فلا جرم وجب الاهتمام به زيادة على غيرها من الصّلوات والتهيؤ والاستعداد للقاء الله والوقوف بين يديه والمثول في حضرته والفوز بمخاطبته بعد الاتيان بمقدمات الصّلاة من وظايف اليوم من التنظيف والتطييب والتعميم وحلق الرأس وقص الشّارب والاظفار وغير ذلك من السّنن بقلب مقبل صاف وعمل مخلص ونية خالصة كما تعمل ذلك في لقاء ملك الدنيا .

ولا تقصد بهذه الوظايف حظك من الرفاهيّة فتخسر صفقتك وتظهر بعد ذلك حسرتك ، وكلما أمكنك تكثير المطالب التي يترتب عليها الثواب بعلمك فاقصدها يضاعف ثواب عملك بقصدها ان أمكنك ذلك .

الفصل الحادي والعشرون
صلاة العيدين

وأما صلاة العيدين فاحضر في قلبك أنها في يوم قسمة الجوائز وتفرقة الرحمة وإفاضة المواهب على من قبل صومه وقربانه ، وقام بوظايفهما فاكثر من الخشوع في صلاتك والابتهال[3] إلى الله تعالى فيها وقبلها وبعدها في قبول أعمالك والعفو عن تقصيرك واستشعر الحياء والخجلة من حيرة الرّد وخذلان الطرد .

فليس ذلك اليوم بعيد من لبس الجديد وإنما هو عيد من أمن الوعيد وسلم من النقاش والتهديد واستحق بصالح أعماله المزيد ، فاستقبله بما استقبلت به يوم الجمعة من الوظايف

---

(١) سورة الجمعة : آية ٩ . (٢) اشارة الى قوله تعالى : واذكروا الله ذكراً كثيراً وقوله تعالى : ولذكر الله أكبر . (٣) ابتهل الى الله : دعا وتضرع وفي الحديث : الابتهال ان تبسط يديك وذراعيك الى السماء تجاوز بهما رأسك .

واسباب التهيؤ للاقبال بالقلب على ربك والوقوف بين يديه عسى ان تصلح للمناجاة والخضوع لديه ، ولا تجعل فرحك فيه بما لم تخلق لأجله من متاع الدّنيا بل بكثرة عوايد الله فيه على من عامله بمتاجر الآخرة .

الفصل الثاني والعشرون

صلاة الآيات

فأما الآيات فاستحضر عندها أهوال الآخرة وزلازلها وتكوير الشمس والقمر وظلمة القيامة ووجل الخلايق وخوفهم من الأخذ والنكال والعقوبة والاستيصال ، وأكثر من الدّعاء والابتهال بمزيد الخضوع والخشوع والخوف والوجل في النجاة من تلك الشدايد ورد النور بعد الظلمة والمسامحة على الهفوة والزّلة[1] .

وتب إلى الله من ذنوبك وأحسن التوبة عسى أن ينظر اليك وأنت متكسر النفس مطرق الرأس مستحي من التقصير فتقبل توبتك ويسامح هفوتك .

قال السجاد (ع) : « لا يفزع للآيتين ولا يرهب إلا من كان من شيعتنا فاذا كان ذلك منهما فافزعوا إلى الله وراجعوه »[2] .

وقال الرضا (ع) : «إنما جعلت للكسوف صلاة لأنه من آيات الله تعالى لا يدري ألرحمة ظهرت أم لعذاب ، فاحب النبي (ص) أن يفزع امته إلى خالقها وراحمها عند ذلك ليصرف عنهم شرّها ويقيهم مكروهها كما صرف عن قوم يونس حين تضرعوا إلى الله تعالى[3] »[4] .

الفصل الثالث والعشرين

التعقيب والدعاء وآداب الداعي

ينبغي للمصلي أن يعقب فرايضه بالذكر والدعاء ، فقد ورد في فضايلهما ولا سيما عقيب الصّلوات ما لا يحصى .

---

(١) زل : زلق وسقط والزلة المرة من زل : السقطة الخطيئة والهفوة السقطة والزلة المنجد .

(٢) من لا يحضره الفقيه : ج ١ ص ٣٤١ ذيل ح ١ .

(٣) قال تعالى : ﴿فلولا قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا ومتعناهم الى حين﴾ . يونس / ٩٨.

(٤) من لا يحضره الفقيه : ج ١ ص ٣٤٢ ح ٥ .

أما الذكر فالنافع منه هو الذكر على الدوام او في أكثر الأوقات مع حضور القلب وهو غاية ثمرة العبادات ، وللذكر أول وآخر ، فأوّله يوجب الانس والحب وآخره يوجبه الأنس والحب والمطلوب منه ذلك الانس ، فان العبد في بداية الأمر يكون متكلفا بصرف قلبه ولسانه عن الوساوس إلى ذكر الله تعالى فان وفق للمداومة أنس به وانغرس في قلبه حب المذكور ومن أحبّ شيئاً أكثر ذكره ومن أكثر ذكر شيء وإن كان متكلفا أحبّه .

ثم إذا حصل الانس بذكر الله تعالى انقطع عن غير الله ، وما سوى الله يفارقه عند الموت ولا يبقى إلا ذكر الله فان كان قد أنس به تمتع به وتلذذ بانقطاع العوايق الصارفة عنه إذ ضرورات الحاجات في الحياة تصد عن ذكر الله ولا يبقى بعد الموت عائق، فكأنه خلى بينه وبين محبوبه فعظمت غبطته وتخلص من السّجن الذي كان ممنوعاً فيه عمّا به انسه .

وهذا الانس يتلذذ به العبد بعدموته إلى ان ينزل في جوار الله ويترقى من الذكر إلى اللقاء .

وأما « الدعاء فهو مخ[1] العبادة»[2] كما ورد في الحديث النّبوي (ص) ، وعن الباقر (ع) في قوله تعالى : ﴿إنّ الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾[3] قال : هو الدعاء ، وأفضل العبادة الدعاء »[4] .

وقال في قوله تعالى : « ﴿ان ابراهيم لأواه حليم﴾[5] قال : الأواه هو الدّعّاء »[6] وسئل (ع) أيّ العبادة أفضل ؟ فقال : ما من شيء أفضل عند الله من أن يسأل ويطلب ما عنده وما من أحد أبغض إلى الله ممن يستكبر عن عبادته ولا يسأل ما عنده »[7] .

وقال امير المؤمنين (ع) : « أحب الأعمال إلى الله تعالى في الأرض الدعاء ، وكان (ع)

---

(١) المخ : خالص كل الشيء « المنجد » وفي الحديث الدعاء مخ العبادة لأنه اصلها وخالصها لما فيه من امتثال امر الله تعالى يقول « ادعوني استجب لكم » ولما فيه من قطع الامل عما سواه ، ولأنه اذا رأى نجاح الامور من الله تعالى قطع نظره عمن سواه ودعاه لحاجته وهذا هو اصل العبادة ، ولأن الغرض من العبادة الثواب عليها وهو المطلوب بالدعاء . (٢) ارشاد القلوب : ص ١٤٨ وعدة الداعي ص ٢٩ . (٣) سورة غافر : آية ٦٠ .

(٤) الكافي : ج ٢ ص ٤٦٦ وعدة الداعي ص ٣٩ .

(٥) سورة التوبة : آية ١١٤ . (٦) الكافي : ج ٢ ص ٤٦٦ وعدة الداعي ص ٣٩ .

(٧) الكافي : ج ٢ ص ٤٦٦ ومكارم الاخلاق : ص ٢٦٨ وعدة الداعي ص ٣٩ .

رجلا دعَاءاً »[1] .

وقال (ع) : « الدعاء مفاتيح النجاح ومقاليد الفلاح وخير الدّعاء ما صدر عن صدر نقي وقلب تقي وفي المناجاة سبب النجاة وبالاخلاص يكون الخلاص ، فاذا اشتد الفزع فالى الله المفزع »[2] .

وفي مصباح الشريعة قال الصادق (ع) : « احفظ أدب الدّعاء وانظر من تدعو وكيف تدعو ولماذا تدعو ، وحقق عظمة الله وكبريائه وعاين بقلبك علمه بما في ضميرك واطلاعه على سرّك وما يكنّ فيه من الحقّ والباطل واعرف طريق نجاتك وهلاكك كيلا تدعو الله بشيء فيه هلاكك وانت تظنّ أن فيه نجاتك قال الله تعالى : ﴿ويدعو الانسان بالشّر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا﴾[3] .

وتفكر ماذا تسأل ولماذا تسأل والدعاء استجابة الكلّ منك للحقّ وتذويب المهجة في مشاهدة الرّب وترك الاختيار جميعا وتسليم الامور كلها ظاهرها وباطنها إلى الله فان لم تات بشرط الدعاء فلا تنتظر الاجابة فانه يعلم السّر وأخفى فلعلك تدعوه بشيء قد علم من نيتك بخلاف ذلك .

واعلم أنه لو لم يكن أمرنا الله بالدّعاء لكنا إذا أخلصنا الدعاء تفضل علينا بالاجابة فكيف وقد ضمن ذلك لمن أتى بشرايط الدعاء .

قال : فاذا اتيت بما ذكرت لك من شرايط الدعاء وأخلصت سرّك لوجهه فابشر باحدى ثلاثة : إما يعجل لك بما سألت أو يدخر لك ما هو أعظم منه ، وإمّا أن يصرف عنك من البلاء ما أن لو أرسله عليك لهلكت »[4] .

وروي عن الصادق (ع) أنه قرأ : « أمن يجيب المضطر إذا دعاه » فسئل ما لنا ندعو ولا يستجيب لنا ؟ فقال : لأنكم تدعون من لا تعرفونه وتسألون ما لا تفهمونه »[5] .

فالاضطرار عين الدين وكثرة الدعاء مع العمى عن الله من علامة الخذلان لأن من لا يعرف ذلة نفسه وقلبه وسرّه تحت قدرة الله حكم على الله بالسؤال وظن أن سؤاله دعاء ، والحكم على

---

(١) الكافي : ج ٢ ص ٤٦٧ وانظر عدة الداعي ص ٣٩ . (٢) الكافي : ج ٢ ص ٤٦٨ وعدة الداعي ص ١٧٧ (٣) سورة الاسراء الآية ١١ .

(٤) مصباح الشريعة ١٣٢ (٥) التوحيد : ص ٢٨٩ (بأدنى اختلاف) .

الله من الجرأة على الله[١] .

الباب الرابع
في تلاوة القرآن

في تلاوة القرآن قال النبي (ص) : « القرآن هدى من الضّلالة وتبيان من العمى واستقالة من العثرة ونور من الظلمة وضياء من الأجداث وعصمة من الهلكة ورشد من الغواية وبيان من الفتن وبلاغ من الدنيا إلى الاخرة ، وفيه كمال دينكم وما عدل أحد عن القرآن إلا إلى النار »[٢] .

وقال النبي (ص) : « أنا أول وافد على العزيز الجبار يوم القيامة وكتابه وأهل بيتي ثم أسالهم ما فعلتم بكتاب الله وأهل بيتي »[٣] .

---

(١) ومما ينبغي لكل داع أن يراعي شرايط وآداباً في الدعاء حتى يستجيب له وهي : أن يترصد لدعائه الاوقات الشريفة كيوم عرفة من السنة ، وشهر رمضان من الشهور ، ويوم الجمعة من الاسبوع ووقت السحر من ساعات الليل .
وأن يغتنم الأحوال الشريفة ، وأن يدعو متطهراً مستقبل القبلة ، ويخفض الصوت بين الجهر والاخفات ، ولا يتكلف السجع ، ويكون في غاية التضرع والخشوع والرغبة والرهبة قال تعالى : « إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين » وأن يجزم بالدعاء ويتيقن بالاجابة ، لقول أبي عبد الله (ع) : إذا دعوت فظن أن حاجتك بالباب ، وأن يلح في الدعاء قال أبو جعفر (ع) : والله لا يلح عبد مؤمن على الله في حاجته إلا قضاها له .
وأن يفتتح الدعاء بذكر الله وتمجيده فلا يبتدء بالسؤال قال أبو عبد الله (ع) : إذا طلبتم الحاجة فمجدوا الله العزيز الجبار وامدحوه واثنوا عليه ، وأن يتوب ويرد مظالم العباد ويقبل على الله بكنه الهمة وهو السبب القريب للاجابة ، وأن يسمي حاجته قال الصادق (ع) : ان الله تبارك وتعالى يعلم ما يريد العبد إذا دعا ولكنه يحب أن يبث اليه الحوائج فاذا دعوت فسم حاجتك ، وأن يعم في الدعاء ويبكي عنده وهو أيضاً سيد الاداب قال أبو عبد الله (ع) : إذا اقشعر جلدك ودمعت عيناك فدونك فقد قصد قصدك .
والاجتماع حالة الدعاء قال أبو عبد الله (ع) : كان أبي إذا حزنه أمر جمع النساء والصبيان ثم دعا وامنوا ؛ وأن يتقدم في الدعاء قبل الحاجة اليه قال الصادق (ع) من تقدم في (باخ) الدعاء استجيب له اذا نزل البلاء وقيل : صوت معروف ولم يحجب عن السماء ومن لم يتقدم في الدعاء لم يستجب له اذا نزل به البلاء وقالت الملائكة : ان ذا الصوت لا نعرفه . وأن يكون مطعمه وملبسه من الحلال وهو أيضاً من عمدة الشرايط ، فعنهم عليهم السلام : أطب كسبك يستجاب دعوتك فان الرجل يرفع اللقمة الى فيه من حرام فما يستجاب له دعوة أربعين يوماً . وأن يفتح بالصلاة على النبي وآله (ص) ويختم بها لما ورد من أن الصلاة على محمد وآل محمد لا يحجب عن الله تعالى فان الله تعالى أكرم من أن يقبل الطرفين ويدع الوسط ، وغير ذلك مما هو مذكور في مظانه .

(٢) الكافي : ج ٢ ص ٦٠٠ . (٣) الكافي : ج ٢ ص ٦٠٠ .

وقال امير المؤمنين (ع) في وصاياه لابنه محمّد بن الحنفية : « وعليك بتلاوة القرآن والعمل به ولزوم فرايضه وشرايعه وحلاله وحرامه وأمره ونهيه والتهجّد به وتلاوته في ليلك ونهارك فانه عهد من الله تعالى الى خلقه فهو واجب على كل مسلم أن ينظر كل يوم في عهده ولو خمسين آية .

واعلم ان درجات الجنة على قدر آيات القرآن فاذا كان يوم القيامة يقال لقارىء القرآن : اقرأ وارق ، فلا يكون في الجنة بعد النبيّين والصّديقين أرفع درجة منه »[1] .

وعن الباقر (ع) : « يجيء القرآن في أحسن منظور إليه صورة فيمر بالمسلمين فيقولون هذا رجل منّا ، فيجاوزهم إلى النبّيين فيقولون هو منّا فيجاوزهم إلى الملائكة المقربين فيقولون هو منّا حتّى ينتهي إلى ربّ العزة جلّ وعزّ فيقول : يا ربّ فلان بن فلان اظمأت هو اجره[2] وأسهرت ليله في دار الدّنيا ، وفلان بن فلان لم اظمأ هو اجره ولم اسهر ليله فيقول الله تعالى : ادخلهم الجنّة منازلهم ، فيقوم ويتبعونه فيقول للمؤمن : اقرا وارقه ، قال فيقرأ ويرقى حتى يبلغ كل رجل منهم منزلته التي هي له فينزلها »[3] ، وعن النبيّ (ص) ما يقرب منه مع زيادات .

وعن الصّادق (ع) قال : قال رسول الله (ص) : « اقرأوا القرآن بألحان العرب وأصواتها ، وإياكم ولحون أهل الفسق والكباير فانّه سيجيء بعدي أقوام يرجعون القرآن ترجيع الغناء والنوح والرهبانية لا يجوز تراقيهم ، قلوبهم مقلوبة وقلوب من يعجبه شأنهم »[4] .

وعنه (ع) « أنه سئل عن قول الله تعالى : ﴿ورتل القرآن ترتيلا﴾[5] قال : قال أمير المؤمنين (ع) : تبيّنه تبيانا ولا تهذّه هذّ الشّعر ولا تنثره نثر الرّمل[6] ولكن افزعوا قلوبكم القاسية ولا يكن هم أحدكم آخر السورة »[7] وفي رواية اخرى قال : « الترتيل هو حفظ الوقوف

---

(١) من لا يحضره الفقيه : ج ٢ ص ٣٨٣ .
(٢) الهاجرة مؤنث الهاجر نصف النهار في القيظ او من عند زوال الشمس الى العصر والجمع هاجرات وهو اجر ومنه الدعاء : اتراك معذبي وقد أظمأت لك هو اجري .
(٣) الكافي : ج ٢ ص ٦٠١ . (٤) الكافي : ج ٢ ص ٦١٤ والدعوات للراوندي ص ٢٤ .
(٥) سورة المزمل : آية ٤ .
(٦) تقدم منا سابقاً نقل الحديث وشرحه عن مجمع البحرين في ص ١٣٢ لكن هناك بصيغة الجمع ، ولعله منقول بالمعنى كما هو الظاهر .
(٧) الكافي : ج ٢ ص ٦١٤ ومجمع البيان : المجلد ٦ ج ٢٩ ص ٩٤ .

وبيان الحروف »[1] .

وعن الصّادق (ع): «هو أن تمكث وتحسن به صوتك »[2] وعنه (ع) قال : « القرآن نزل بالحزن »[3] وعن النبي (ص) « اتلوا القرآن فابكوا فان لم تبكوا فتباكوا »[4] .

وعن الصادق (ع) قال : قال النبي (ص) : « لكل شيء حلية وحلية القرآن الصّوت الحسن »[5] .

وعنه (ع) قال : كان عليّ بن الحسين (ع) أحسن الناس صوتا بالقرآن ، وكان السقاؤون يمرّون فيقفون ببابه يسمعون قراءته القرآن »[6] .

الفصل الاول

الاستعداد لقراءة القرآن والتأمل في معانيه

في مصباح الشريعة قال الصّادق (ع) « من قرأ القرآن ولم يخضع له ولم يرق قلبه ولم ينشىء حزنا ووجلا في سرّه فقد استهان بعظم شأن الله وخسر خسرانا مبينا فقارىء القرآن يحتاج إلى ثلاثة أشياء : قلب خاشع ، وبدن فارغ ، وموضع خال .

فاذا خشع لله قلبه فر منه الشيطان الرّجيم قال الله تعالى : ﴿فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم﴾[7] فاذا تفرغ نفسه من الأسباب تجرد قلبه للقراءة فلا يعترضه عارض فيحرمه نور القرآن وفوايده ، وإذا اتخذ مجلساً خالياً واعتزل عن الخلق بعد أن اتى بالخصلتين الاولیين استأنس روحه وسره بالله ووجد حلاوة مخاطبات الله عباده الصّالحين وعلم لطفه بهم ومقام اختصاصه لهم بفنون كراماته وبدايع اشاراته .

فاذا شرب كاسا من هذا المشرب فحينئذ لا يختار على ذلك الحال حالا ولا على ذلك الوقت وقتا ، بل يؤثره على كل طاعة وعبادة لأن فيه المناجاة مع الرّب بلا واسطة .

فانظر كيف تقرأ كتاب ربّك ومنشور ولايتك وكيف تجيب أوامره ونواهيه وكيف تمثل

---

(١) مجمع البحرين : ج ٥ ص ٣٧٨ .
(٢) مجمع البيان : المجلد ٦ ج ٢٩ ص ٩٤ . (٣) الكافي : ج ٢ ص ٦١٤ .
(٤) احياء علوم الدين : ج ١ ص ٢٤٥ وكنز العمال خ ٢٧٩٤ .
(٥) الكافي : ج ٢ ص ٦١٥ . (٦) الكافي : ج ٢ ص ٦١٦ . (٧) سورة النحل : آية ٩٨ .

حدوده ، فانة كتاب عزيز لا يـأتيه البـاطل من بين يـديه ولا من خلفـه تنزيـل من حكيم حميد ، فرتله ترتيلا وقف عند وعده ووعيده وتفكر في أمثاله ومواعظه واحذر أن تقـع من اقامتـك حروفـه في اضاعة حدوده »[١] .

الفصل الثاني

على قارىء القرآن مراعاة أمور

ينبغي لتالي القرآن من امور باطنية[٢] .

منها فهم عظمة الكلام وعلوّه وفضل الله ولطفه بخلقه في نزوله عن عرش جلاله إلى درجة أفهام خلقه ، فلينظر كيف لطف بخلقه في ايصال معاني كلامـه الذي هـو صفة قـائمة بـذاته إلى أفهام خلقه وكيف تجلّت لهم تلك الصّفـة في طي حروف وأصـوات هي صفات البشـر إذ يعجز البشر عن الوصول الى فهم صفات الله إلاّ بوسيلة صفات نفسه .

ولو لا استتار كنـه جمال كـلامه بكسـوة الحروف لمـا ثبت لسماع الكـلام عرش ولا ثـرى ولتلاشى ما بينهما من عظمة سلطانه وسبحات نوره .

ولو لا تثبيت الله موسى لما أطاق سماع كلامه كما لم يطق الجبل مبادي تجليه حيث صـار دكا ، وهذا كمـا أن النّاس لمـا أرادوا أن يفهموا بعض الـدّواب والطيـر ما يـريدون من تقـديمها وتأخيرها وإقبالها وإدبارها ورأوا الدّواب يقصر تمييزها عن فهم كلامهم الصـادر عن أنواع عقلهم مع حسنه وترتيبه وبديع نظمه فنزلوا إلى درجة تمييز البهايم واوصلوا مقاصدهم إلى بواطن البهايم

---

(١) مصباح الشريعة ص ٢٨ .

(٢) وكذا ينبغي له من امور ظاهرية .

منها افتتاح القراءة بقوله : أعـوذ بالله السميـع العليم من الشيطان الـرجيم ، وان يقول عنـد الفراغ من كل سورة : صدق الله العلي العظيم وبلغ رسوله الكـريم اللهم انفعنا بـه وبارك لنـا فيه والحمـد لله رب العالمين .

ومنها الوضوء والوقوف على هيئة الادب والطمأنينة اما قائماً أو جـالسـاً مستقبـل القبلة مطرقـا رأسه غيـر متربع ولا متكي ، والترتيل ، والبكاء ، والجهر المتـوسط لو امن من الـرياء والا فـالسر افضـل وتحسين القراءة وتزيينها ومراعاة حق الآيات :

فاذا مر بآية السجود سجد ، وإذا مر بآية العذاب استعاذ منه بالله ، وإذا مر بآية الرحمة ونعيم الجنة سأل الله تعالى أن يرزقه ، وإذا مر بآية تسبيح أو تكبير سبح وكبر ، وإذا مر بآية دعاء أو استغفار دعا واستغفر كذا في جامع السعادات .

بـأصوات يضعـونها لايقـة بها من النقـر والصفر[1] والأصـوات القريبـة عن أصـواتهـا التي تـطيق حملها .

وكما أن اجساد البشر تكرم وتعز لمكان الرّوح فكذلك أصوات الكلام تشرف للحكمة التي فيها .

والكلام عالي المنزلة رفيـع الدرّجـة قاهـر السّلطان نافـذ الحكم في الحقّ والباطـل ، وهو القاضي العادل والشاهد المرتضى يأمر وينهي ولا طاقة للباطل أن يقوم قدّام كلام الحكمـة كمالا يستطيع الظل أن يقوم قدام الشمس ، ولا طاقة للبشر أن ينفذوا غور الحكمة كما لا طاقة لهم أن ينفذوا بأبصارهم عين الشمس ، ولكنهم ينالون من عين الشمس ماتحيـي به أبصارهم ويستدلون به على حوائجهم فقط .

الفصل الثالث

التعظيم

ومنها التعظيم للمتكلم فالقارىء عند البداية بتلاوة القـرآن ينبغي أن يحضر في قلبـه عظمـة المتكلّم ويعلم أن مـا يقرأه ليس من كـلام البشر وأن في تـلاوة كلامـه غايـة الخطر فـانه تعـالى قال : ﴿لا يمسّه إلاّ المـطهّرون﴾[2] وكمـا أن ظاهـر جلد المصحف وورقه محـروس عن ظاهـر بشرة اللامس إلا إذا كان متطهراً فباطن معناه أيضاً بحكم عزّه وجلاله محجوب عن بـاطن القلب إلا إذا كـان منقطعـاً عن كلّ رجس ومستنيـراً بنور التعـظيم والتـوقيـر وكمـا لا يصلح للمس جلد المصحف كلّ يد ، فلا يصلح لتلاوة حروفه كلّ لسان ولا لنيل معانيه كل قلب .

ومنها حضور القلب وترك حديث النفس وهذا يتولد من التعظيم فان المعظم للكـلام الذي يتلوه يستبشر به ويستأنس ولا يغفل عنه ، ففي القرآن ما يستأنس به القلب إن كان التالي أهلا له فكيف يـطلب الانس بالفكـر في غيره ، وهـو في متنزه ومتفـرج والذي يتفـرج في المتنزهـات لا يتفكر في غيرها .

ومنها التدبر وهو وراء حضـور القلب فانـه قد لا يتفكـر في غير القـرآن ولكنه يقتصـر على

---

(١) نقر العود أو الدف : ضربه ليصوت . نقر فلان : قرع الابهام على الـوسطى وصـوت . وصفر صفيراً: صوت بالنفخ من شفتيه . صفر بالفرس عند وروده . دعاه ليشرب . المنجد .

(٢) سورة الواقعة : آية ٧٩ .

سماع القرآن من نفسه وهو لا يتدبّره ، والمقصود من القراءة التدبّر قال الله تعالى : **﴿أفلا يتدبّرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾**[1] ولذلك سنّ فيه الترتيل لأن الترتيل في الظاهر تمكن من التدبر في الباطن .

قال أمير المؤمنين (ع) : « لا خير في عبادة لا فقه فيها ولا في قراءة لا تدبّر فيها »[2] وإذا لم يتمكن من التدبر إلاّ بالترديد فليردّد ، وعن أبي ذر (رض) قال : « قام بنا رسول الله (ص) فقام ليلة بآية يردّدها **﴿إن تعذبهم فانهم عبادك وإن تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم﴾**[3] »[4] .

الفصل الرابع

التفهم

ومنها التفهم وهو أن يستوضح من كل آية ما يليق بها إذ القرآن يشتمل على ذكر صفات الله تعالى وذكر أفعاله وذكر أحوال أنبيائه وذكر أحوال المكذبين لهم وأنهم كيف اهلكوا ، وذكر أوامره وزواجره ، وذكر الجنة والنار .

أمّا صفات الله فكقوله : **﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾**[5] وكقوله : **﴿الملك القدّوس السّلام المؤمن المهيمن[6] العزيز الجبار المتكبر﴾**[7] فليتأمل معاني هذه الصّفات والأسماء لينكشف له أسرارها ، فتحتها معان مدفونة لا ينكشف إلاّ للموفقين .

وإليه أشار أمير المؤمنين (ع) بقوله : « ما أسر إليّ رسول الله (ص) شيئاً أكتمه من الناس إلاّ أن يؤتي الله عبداً فهما في كتابه فليكن حريصا على طلب ذلك الفهم »[8] .

وأما أفعاله كذكره خلق السّماوات والأرض وغيرهما فليفهم التالي منها صفات الله وجلاله إذالفعل يدلّ على الفاعل فيدلّ عظمته على عظمته ، فينبغي أن يشهد في الفعل الفاعل دون الفعل ، فمن عرف الحقّ رآه في كلّ شيء إذ كلّ شيء منه وإليه وبه وله ، ومن لا يراه في كلّ

---

(١) سورة محمد : آية ٢٤ . (٢) تحف العقول : ص ١٤٤ .
(٣) سورة المائدة : آية ١١٨ . (٤) احياء علوم الدين : ج ١ ص ٢٤٩ . (٥) سورة الشورى : آية ١١ .
(٦) المهيمن من اسمائه تعالى معناه : القائم على خلقه بأعمالهم وآجالهم وأرزاقهم وقيل الرقيب على كل شيء . وقيل الامين الذي لا يضيع لاحد عنده حق . م .
(٧) سورة الحشر : آية ٢٣ . (٨) احياء علوم الدين : ج ١ ص ٢٥٠ .

ما يراه فكأنه ما عرفه ومن عرفه عرف أن كلَ شيء ما خلا الله باطل ، وأن كلَ شيء هالك إلا وجهه

وأما أحوال الأنبياء ، فاذا سمع منها كيف كذبوا وضربوا وقتلوا فليفهم منه صفة الاستغناء لله تعالى عن الرّسل والمرسل إليهم وأنّه لو اهلك جميعهم لم يؤثر في ملكه وإذا سمع نصرتهم في آخر الأمر فليفهم قدرة الله وإرادته لنصرة الحق .

وأما احوال المكذبين كعاد وثمود وما جرى عليهم فليكن فهمه منه استشعار الخوف من سطوته ونقمته ، وليكن حظه منه الاعتبار في نفسه وأنه إن غفل وأساء الأدب واغتر بما امهل فربما يدركه النقمة وينفذ فيه القضية .

وكذلك إذا سمع وصف الجنة والنّار وساير ما في القرآن فلا يمكن استقصاء ما يفهم منه لأن ذلك لا نهاية له وانما لكل عبد منه بقدر رزقه **﴿ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين﴾**[(١)] .

الفصل الخامس

التخلي عن موانع الفهم

ومنها التخلي عن موانع الفهم فان أكثر النّاس منعوا عن فهم معاني القرآن لأسباب وحجب أسدلها[(٢)] الشيطان على قلوبهم ، فعمت عليهم عجايب أسرار القرآن قال النبي (ص) : « لولا أن الشياطين يحومون[(٣)] على قلوب بني آدم لنظروا إلى الملكوت »[(٤)] ، ومعاني القرآن من جملة الملكوت لأنها إنما تدرك بنور البصيرة دون الحواس ، وحجب الفهم أربعة :

اولها أن يكون الهم منصرفا إلى تحقيق الحروف باخراجها من مخارجها ؛ وهذا يتولى حفظه شيطان وكل بالقرآن ليصرف الناس عن فهم معاني كلام الله ، ولا يزال يحملهم على ترديد الحروف يخيل اليهم انه لم يخرج من مخرجه ، فهذا يكون تأمله مقصورا على مخارج الحروف ، فأني تنكشف له المعاني ، وأعظم ضحكة للشيطان من كان مطيعاً له بمثل هذا التلبيس .

---

(١) سورة الانعام : الآية ٥٩ .

(٢) سدلت الثوب سدلا من باب نصر ارخيته وارسلته . قال في مجمع البحرين : ولا يخفى على من تدبر كتب اللغة أن اسدل لم يأت في كلامهم وانما المستعمل سدل بدون الف حتى قال بعضهم : وأسدلته بالالف غلط .

(٣) حام الطاير حول الشيء حوماً : اذا دار . (٤) احياء علوم الدين : ج ١ ص ٢٠٦ .

ثانيها أن يكون مقلداً لمذهب سمعه بالتقليد وجمد عليه وثبت في نفسه التعصب له بمجرّد الاتباع للمسموع من غير وصول إليه ببصيرة ومشاهدة فهذا شخص قد قيده معتقده عن أن يجاوزه فلا يمكنه أن يخطر بباله غير معتقده ، فان لمع برق على بعد وبدا له معنى من المعاني التي تباين مسموعه حمل عليه الشيطان التقليد حملة ، وقال كيف تخطر هذا ببالك وهو خلاف معتقد آبائك .

ثالثها ان يكون مصراً على ذنب أو متّصفاً بكبر أو مبتلى على الجملة بهوى في الدّنيا مطاع ، فان ذلك سبب ظلمة القلب وصداه[1] وهو كالخبث على المرآة .

ولذلك قال النبي (ص) : « إذا عظمت امتي الدينار والدّرهم نزع منها هيبة الاسلام ، وإذا تركوا الأمر بالمعروف حرموا بركة الوحي »[2] وقد شرط الله الانابة في الفهم والتذكر قال : ﴿تبصرة وذكرى لكل عبد منيب﴾[3] وقال : ﴿وما يتذكر إلا من ينيب﴾[4] وقال : ﴿إنما يتذكر اولو الالباب﴾[5] والذي آثر غرور الدّنيا على نعيم الآخرة فليس من ذوي الألباب فلذلك لا ينكشف له أسرار الكتاب .

رابعها أن يكون قد قرأ تفسيراً ظاهراً واعتقد أنه لا معنى لكلمات القرآن إلا ما تناوله النقل وان ما وراء ذلك تفسير بالرأي وانّ من فسر القرآن برايه فقد تبوأ مقعده من النار ، وهذا لا يدري ما معنى التفسير بالرأي ولا يفهم معنى قول أمير المؤمنين (ع) : إلا أن يؤتى الله العبد فهما في القرآن ، وأنه لو كان هو الظاهر المنقول لما اختلف الناس فيه .

الفصل السادس

التخصيص

ومنها التخصيص وهو أن يقدر أنه المقصود بكل خطاب في القرآن فإن سمع أمراً أو نهياً قدر أنه هو المامور والمنهي ، وإن سمع وعداً أو وعيداً فكمثل ذلك ، وإن سمع قصص الأولين علم أن السمر[6] غير مقصود وانما المقصود الاعتبار وأخذ ما يحتاج إليه فما من قصة في القرآن

---

(١) صدى الحديد صدء من باب تعب اذا علاه الجرب وفي الخبر : ان القلب يصدأ كما يصدأ الحديد أي يركبه الرين بمباشرة المعاصي والاثام فيذهب بجلائه . م .

(٢) احياء علوم الدين : ج ١ ص ٢٥١ . (٣) سورة ق : آية ٨ .

(٤) سورة غافر : آية ١٣ . (٥) سورة الزمر : آية ٩ . (٦) سمر فلان اذا تحدث ليلا ومنه قوله تعالى : سامراً تهجرون اي متحدثين ليلا م .

إلا وسياقها لفايدة في حقّ النبيّ (ص) وامّته ولذلك قال الله تعالى : ﴿ما نثبت به فؤادك﴾[١] .

فليقدّر العبد أن الله تعالى يثبت فؤاده بما يقصّه عليه من أحوال الأنبياء وصبرهم على الايذاء وثباتهم في الدين لانتظار نصر الله ، وكيف لا يقدر هذا والقرآن ما انزل على رسول الله (ص) خاصة بل هو شفاء وهدى ورحمة ونور للعالمين ولذلك أمر الله الكافة بشكر نعمة الكتاب فقال : ﴿واذكروا نعمة الله عليكم وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة﴾[٢] وقال : ﴿لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم﴾[٣] ﴿وأنزلنا إليك الذّكر لتبيّن للنّاس ما نزّل إليهم﴾[٤] ﴿كذلك يضرب الله للنّاس أمثالهم﴾[٥] ﴿هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين﴾[٦] .

وإذا قصد بالخطاب جميع الناس قصد الآحاد فهذا الواحد القاري مقصود مما له ولساير النّاس فليقدّر أنه المقصود .

وقال بعض الحكماء : هذا القرآن رسائل اتتنا من قبل ربنا بعهوده نتدبرها في الصّلوات ، ونقف عليها في الخلوات ، وننفذها في الطاعات بالسّنن المتبعات .

الفصل السابع

التأثر

ومنها التّأثر وهو أن يتأثر قلبه بآثار مختلفة بحسب اختلاف الآيات فيكون له بحسب كل فهم حال ووجد ووجل يتصف به قلبه من الحزن والخوف والرّجاء وغيرها .

ومهما تمت معرفته كانت الخشية أغلب الأحوال على قلبه فان التضيق غالب على آيات القرآن فلا ترى ذكر المغفرة والرّحمة إلا مقروناً بشروط يقصر العارف عن نيلها كقوله تعالى : ﴿وإنّي لغفار﴾[٧] ثم اتباعه ذلك باربعة شروط ﴿لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى﴾[٨]

وقوله : ﴿والعصر إن الانسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحقّ وتواصوا بالصّبر﴾[٩] ذكر أربع شرايط .

---

(١) سورة هود : آية ١٢٠ . (٢) سورة البقرة : آية ٢٣١ . (٣) سورة الأنبياء : آية ١٠ .
(٤) سورة النحل : آية ٤٤ . (٥) سورة محمد : آية ٣ . (٦) سورة آل عمران : آية ١٣٨ .
(٧) سورة طه : آية ٨٢ . (٨) سورة طه : آية ٨٢ . (٩) سورة العصر

وحيث اقتصر ذكر شرطاً جامعاً فقال : ﴿إنّ رحمة الله قريب من المحسنين﴾[1] فالاحسان يجمع الكل وهكذا من يتصفح القرآن من أوله إلى آخره ومن فهم ذلك فجدير بأن يكون حاله الخشية والحزن ، ولذلك قيل ما أصبح اليوم عبد يتلو هذا القرآن يؤمن به إلا كثر حزنه وقلّ فرحه وكثر بكاؤه وقل ضحكه وكثر نصبه وشغله وقلت راحته وبطالته .

فتأثر العبد بالتلاوة ان يصير بصفة الآية المتلوة ، فعند الوعيد وتقييد المغفرة بالشروط يتضأل[2]من خيفته كأنه يكاد يموت ، وعند التوسيع ووعد المغفرة يستبشر كأنه يطير من الفرح ، وعند ذكر صفات الله تعالى وأسمائه يتطاطا خضوعاً لجلاله واستشعاراً لعظمته، وعند ذكر الكفار ما يستحيل على الله تعالى كذكرهم لله ولداً وصاحبة يغض صوته وينكسر في باطنه حياء من قبح مقالهم ، وعند وصف الجنّة ينبعث باطنه شوقاً إليها ، وعند وصف النار ترتعد فرايصه خوفاً منها .

فالقرآن إنما يراد لاستجلاب هذه الأحوال إلى القلب والعمل به ، وإلّا فالمؤنة في تحريك اللسان بحروفه خفيفة ، بل التالي باللسان المعرض عن العمل جدير بان يكون هو المراد بقوله : ﴿ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا[3] ونحشره يوم القيامة أعمى﴾[4] وبقوله تعالى : ﴿كذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى﴾[5] اي تركتها ولم تنظر إليها ولم تعبأ بها فان المقصر في الامر يقال له إنه نسي الأمر .

وتلاوة القرآن حق تلاوته أن يشترك فيه اللسان والعقل والقلب ، فحظ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل وحظ العقل تفسير المعاني ، وحظ القلب الاتعاظ والتأثر بالانزجار والايتمار ، فاللّسان واعظ والعقل مترجم والقلب متعظ .

---

(١) سورة الاعراف : آية ٥٦ .

(٢) في حديث جبرئيل : وانه ليتضأل من خشية الله ، أي يتصاغر تواضعاً منه لله تعالى يقال تضأل الشيء اذا تقبض وانضم بعضه الى بعض . م .

(٣) الضنك: الضيق من كل شيء للمذكر والمؤنث يقال : مكان ضنك وعيشة ضنك المنجد .

(٤) سورة طه : آية ١٢٤ . (٥) سورة طه : آية ١٢٦

الفصل الثامن

الترقي

ومنها الترقي وأعني به أن يترقى إلى أن يسمع الكلام من الله تعالى لا من نفسه فدرجات القراء ثلاث أدناها أن يقدر العبد كانه يقرؤه على الله تعالى واقفا بين يديه وهو ناظر إليه ومستمع منه ، فيكون حاله عند هذا التقدير السّؤال والتملق والتضرع والابتهال .

ثم ان يشهد بقلبه كان ربّه يخاطبه بألطافه ويناجيه بانعامه وإحسانه فمقامه الحياء والتعظيم والاصغاء والفهم .

ثم أن يرى في الكلام المتكلم وفي الكلمات الصّفات فلا ينظر إلى نفسه ولا إلى قراءته ولا إلى تعلق الانعام به من حيث إنه منعم عليه ، بل مقصور الهم على المتكلم موقوف الفكر عليه كانه مستغرق بمشاهدة المتكلم عن غيره ، وهذه درجة المقربين وما قبله من درجات أصحاب اليمين ، وما خرج عن هذا فهو من درجات الغافلين .

وعن الدرّجة العليا[1] اخبر الصادق (ع) فقال : « والله لقد تجلى الله لخلقه في كلامه ولكن لا يبصرون »[2] .

وقال أيضاً وقد سألوه عن حالة لحقته في الصّلاة حتى خرّ مغشياً عليه فلما سرى عنه قيل له في ذلك فقال : « ما زلت اردّد هذه الآية على قلبي حتى سمعتها من المتكلم بها ، فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته »[3] وفي مثل هذه الدّرجة تعظم الحلاوة ولذة المناجاة .

ولذلك قال بعض الحكماء كنت أقرأ القرآن فلا أجد له حلاوة حتى تلوته كأني اسمعه من رسول الله (ص) يتلوه على أصحابه ، ثم رفعت إلى مقام فوقه فكنت أتلوه كأني أسمعه من جبرئيل (ع) يلقيه على رسول الله (ص) ، ثم جاد الله تعالى بمَنزلة اخرى فانا الآن أسمعه من المتكلم به ، فعندها وجدت لذة ونعيماً لا أصبر عنه .

---

(١) وعن هذه الدرجة اخبر سيد الشهداء ارواحنا له الفداء حيث قال : الذي تجلى لعباده في كتابه بل في كل شيء ، وأراهم نفسه في خطابه بل في كل نور وفيء .

(٢) نقله الشهيد في أسرار الصلاة : ص ٢٠٤ . (٣) فلاح السائل : ص ١٠٧ .

الفصل التاسع

التّبري

ومنها التّبري وأعني به أن يتبرّى عن حوله وقوته والالتفات إلى نفسه بعين الرضا والتزكية فاذا تلا آيات الوعد والمدح للصّالحين فلا يشهد نفسه عند ذلك ، بل يشهد الموقنين والصّديقين فيها ويتشوق أن يلحقه الله بهم ، وإذا تلا آية المقت وذّم العصاة والمقصرين شهد نفسه هناك وقدر انه المخاطب خوفا وإشفاقا .

وإلى هذا أشار أمير المؤمنين (ع) في الخطبة التي يصف فيها المتقين بقوله : « وإذا مروا بآية فيها تخويف أصغوا إليها مسامع قلوبهم وظنوا أنّ زفير جهنّم في آذانهم »[١] .

فاذا رأى نفسه بصورة التقصير في القراءة كان رؤيته سبب قربه فان من شهد البعد في القرب لطف له بالخوف حتى يسوقه إلى درجة اخرى في القرب وراءها ومن شهد القرب في البعد مكر به بالأمن الذي يفضيه إلى درجة اخرى في البعد أسفل مما هو فيه .

ومهما كان شاهدا نفسه بعين الرضا صار محجوباً بنفسه وإذا جاوز حد الالتفات الى نفسه ولم يشاهد إلا الله في قراءته انكشف له الملكوت بحسب أحواله ، فحيث يتلو آيات الرّحمة ويغلب على حاله الاستبشار ينكشف له صورة الجنة فيشاهدها كأنه يراها عيانا ، وإن غلب عليه الخوف كوشف بالنار حتى يرى أنواع عذابها .

وذلك لأن كلام الله يشتمل على السّهل اللطيف والشديد العسوف[٢] والمرجوّ والمخوف ، وذلك بحسب أوصافه إذ منها الرحمة واللطف والانتقام والبطش فبحسب مشاهدة الكلمات والصفات يتقلب القلب في اختلاف الحالات ، وبحسب كل حالة منها يستعدّ للمكاشفة بأمر يناسب تلك الحالة ويقاربها إذ يستحيل ان يكون حال المستمع واحداً والمسموع مختلف إذ فيه كلام راض وكلام غضبان وكلام منعم وكلام منتقم وكلام جبار متكبر لا يبالي وكلام حنان[٣] متعطف لا يهمل .

---

(١) نهج البلاغة : ص ٣٠٤ خطبة رقم١٩٣ « صبحي الصالح » .

(٢) عسفه عسفاً من باب خرب : أخذه بقوة والفاعل عسوف . م .

(٣) حنت على الشيء حنة وحنانا عطفت عليه وترحمت . م

الباب الخامس

في الزكاة والمعروف

في الزكاة والمعروف قال الله تعالى : وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وقال النبي (ص) : « إذا منعت الزكاة منعت الأرض بركاتها »[١]، وقال الباقر (ع) « إن الله تعالى قرن الزكاة بالصّلاة قال : ﴿وأقيموا الصّلاة وآتوا الزكاة﴾[٢] فمن أقام الصلاة ولم يؤت الزكاة فلم يقم الصّلاة »[٣]

وقال الصادق (ع) : « ما فرض الله تعالى على هذه الأمة شيئاً أشد عليهم من الزكاة وفيها تهلك عامتهم »[٤] وقال : « من منع قيراطا[٥] من الزكاة فليس بمؤمن ولا مسلم وهو قوله تعالى : ﴿ربّ ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت﴾[٦] »[٧] .

وقال (ص) : « ما من ذي مال ذهب أو فضة يمنع زكاة ماله إلا حبسه الله يوم القيامة بقاع قرقر[٨] سلط عليه شجاعا أقرع[٩] يريده وهو يحيد[١٠] عنه ، فاذا رأى أنه لا يتخلص منه أمكنه من يده فقضمها[١١] كما يقضم الفجل ثم يصير طوقا في عنقه ، وذلك قول الله تعالى : ﴿سيطوّقون ما بخلوا به يوم القيامة﴾[١٢] .

وما من ذي مال ابل أو غنم أو بقر يمنع زكاة ماله إلا حبسه الله يوم القيامة بقاع قرقر يطأه كل ذات ظلف بظلفها[١٣] وينهشه كل ذات ناب بنابها[١٤] .

وما من ذي نخل أو كرم أو زرع يمنع زكاتها إلا طوقه الله ريعة[١٥] أرضه إلى سبع أرضين إلى يوم القيامة »[١٦] .

---

(١) الكافي : ج٣ص٥٠٥ (٢) سورة البقرة : آية ٤٣

(٣) الكافي : ج٣ص ٥٠٦ ومن لا يحضره الفقيه : ج٢ ص٦

(٤) الكافي : ج٣ص ٤٩٧ ودعائم الاسلام ج١ص٢٤٧ (٥) جزء من أجزاء الدينار

(٦) سورة المؤمنون : آية ٩٩/ ١٠٠ (٧) من لا يحضره الفقيه : ج٢ص٧

والكافي : ج٣ص٥٠٣ والمحاسن : ص٨٧ والعوالي : ج٢ص٧٩

(٨) القرقر القاع الاملس .م . (٩) الشجاع الاقرع حية قد تمعط فروة رأسها لكثرة سمها .م .

(١٠) يقال : حاد عن الشيء يحيد : مال عنه وعدل ، ويحيد عنه ينهزم عنه ومنه قوله تعالى ذلك ما كنت منه تحيد

(١١) القضم الاكل بأطراف الاسنان (١٢) سورة آل عمران : آية ١٨٠

(١٣) الظلف للبقرة والشاة والظبي كالحافر للفرس والبغل والخف للبعير (١٤) الناب : السن خلف الرباعية

(١٥) الريع : المرتفع من الارض أو كل فج ،ق . (١٦) من لا يحضره الفقيه : ج٢ص٥ والكافي : ج٣ص٥٠٦

وقال (ع) : « إنما وضعت الزكاة اختباراً للاغنياء ومؤنة للفقراء ، ولو أن النّاس أدوا زكاة أموالهم ما بقي مسلم فقيرا محتاجا ،ولاستغنى بما فرض الله له ، وأن الناس ما افتقروا ولا احتاجوا ولا جاعوا ولا عروا إلا بذنوب الأغنياء ، وحقيق على الله أن يمنع رحمته ممن منع حق الله في ماله ، واقسم بالذي خلق الخلق وبسط الرّزق أنه ما ضاع مال في بر ولا بحر إلا بترك الزكاة ، وما صيد صيد في برّ ولا بحر إلا بتركه التسبيح في ذلك اليوم وانّ أحبّ النّاس إلى الله تعالى أسخاهم كفّا ، وأسخى النّاس من أدى زكاة امواله ولم يبخل على المؤمنين بما افترض الله لهم في ماله »[١] .

وفي رواية قال : «إن الله حسب الأموال والمساكين فوجد ما يكفيهم من كل ألف خمسة وعشرين درهماً ، ولو لم يكفهم لزادهم »[٢] .

وقال (ع) : « إن الزكاة ليس يحمد بها صاحبها وإنما هو شيء ظاهر إنما حقن بهادمه وسمي بها مسلما ولو لم يؤدّها لم يقبل له صلاة ، وإن عليكم في أموالكم غير الزكاة فقيل أصلحك الله وما علينا في أموالنا غير الزكاة ؟ فقال : سبحان الله أما تسمع الله تعالى يقول في كتابه : **﴿في اموالهم حق معلوم للسّائل والمحروم﴾**[٣] .

قيل : فماذا الحق المعلوم الذي علينا ؟ قال : هو والله الشيء يعلمه[٤] الرجل في ماله يعطيه في اليوم أو في الجمعة أو في الشهر قل أو كثر غير أنه يدوم عليه وقوله تعالى : **﴿ويمنعون الماعون﴾**[٥] قال : هو القرض يقرضه والمعروف يصنعه ومتاع البيت تعيره فمنه الزكاة .

فقيل : إن لنا جيراناً إذا أعرناهم متاعاً انكروه « كسروه خ » وأفسدوه فعلينا جناح إن نمنعهم ؟ فقال : لا ، ليس عليك جناح إن تمنعهم إذا كانوا كذلك .

قيل : **﴿يطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيراً﴾**[٦] قال : ليس من الزكاة قيل قوله تعالى : **﴿ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرّاً وعلانية﴾**[٧] قال : ليس من الزكاة قيل : **﴿ان**

---

(١) من لا يحضره الفقيه : ج٢ص٤ عوالي اللئالي . ج١ص٣٧٠
(٢) من لا يحضره ا لفقيه : ج٢ص٥ والمحاسن : ص٣٢٧ (باختلاف بسيط)
(٣) سورة المعارج : آية ٢٤/٢٥
(٤) قوله «ع» : يعلمه الرجل الخ الظاهر انه بتشديد اللام من علم له علامة : اي جعلها له امارة يعرفها
(٥) سورة الماعون : آية ٧ (٦) سورة الدهر : آية ٨ (٧) سورة البقرة : آية ٢٧٤

تبدوا الصّدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم﴾[1] قال : ليس من الزكاة »[2] .

وقال (ع) : « إنما أعطاكم الله هذا الفضول من الأموال لتوجهوها حيث وجهها الله تعالى ولم يعطكموها لتكثروها « لتكنزوها خ ل » »[3].

وسئل (ع) : «في كم تجب الزّكاة من المال ؟ فقال : أمّا الظاهرة ففي كل ألف خمسة وعشرون ، وأما الباطنة فلا نستأثر على أخيك بما هو أحوج منك » [4] .

الفصل الاول

في المعروف

المعروف هو الانفاق على النفس والعيال ، ثم صلة من تجب صلته ، ثم الحق المعلوم الذي يفرضه في ماله ، ثم كل صدقة على فقير أو مروّة اليه أو إلى غني بالضيافة والهدية والاعانة ونحوها ، جلبا للخير ودفعاً للشر دينيين أو دنيويين ، سايغين شرعاً أو ايصال نفع عام ببناء مسجد ونحوه أو خاص كارشاد الضّال والتعليم وقربان المرأة للتعفّف والعدل ، وقضاء حاجة المؤمن وإنظار المعسر والتحليل والقرض والحمل على الدّابة وطيب الكلام والخطوة إلى الصّلاة والتوسيع على العيال والتبسم في وجه أخيه وإعارة المتاع وإطراق الفحل وغير ذلك .

وقد يسمّى الكل بالصدقة سوى المروّات ، وورد كل معروف صدقة ، والبرّ يشمل الجميع ، وربّما يخصّ بما سوى الصدقة وورد البّر والصّدقة ينفيان الفقر ويزيدان في العمر ويدفعانٰ عن صاحبهما سبعين ميتة سوء ، وورد صنايع المعروف تقى مصارع[5] السوء .

وشرط الانفاق القوام قال الله تعالى : **﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما﴾**[6] .

وعن الصادق (ع) : «أنه تلا هذه الآية فأخذ قبضة من حصى فقبضها بيده وقال : هذا

---

(١) سورة البقرة : آية ٢٧١ (٢) الكافي : ج٣ص٤٩٩

(٣) الكافي : ج٤ص٣٢ ومن لا يحضره الفقيه : ج٢ص٣١

(٤) الكافي : ج٣ص٥٠٠ ومعاني الاخبار : ص ١٥٣

(٥) الصرع الطرح على الارض وبالكسر قوة الحبل جمع صروع والمصارع ق . (٦) سورة الفرقان : اية ٦٧

الاقتار الذي ذكره الله في كتابه ، ثم أخذ قبضة اخرى فارخى كفه كلها قال : هذا الاسراف ، ثم أخذ قبضة اخرى فارخى بعضها وأمسك بعضها وقال : هذا القوام »[1].

ولا بأس بالرّجل إذا أمسك ماله مراقباً لمواقيت الحاجات ومراسم الخيرات ، فيكون قصده في الادخار الانفاق على قدر الحاجة دون التنعم وصرف الفاضل عن الحاجة إلى وجوه البر مهما ظهر وجوهه .

قال النبي (ص) : « افضل الصدقة صدقة عن ظهر غنى »[2]يعني ما يكون بعد الغنى والمؤنة لئلا يكون القلب متعلقا بما يأتي .

وقال : أفضل الصدقة صدقة يكون على فضل الكف ، يعني عمّا يفضل عن الكفاف قال «ولا يلوم الله على الكفاف »[3]يعني على اقتناء ما يكف به .

الفصل الثاني

السر في ايجاب الزكاة

اعلم أن السرّ في ايجاب الزكاة وإنفاق المال امتحان العبد وفيه ثلاثة معان :

الاول أن التلفظ بكلمتي الشهادة التزام للتوحيد وشهادة باقرار المعبود وشرط تمام الوفاء بذلك أن لا يبقى للموحد محبوب سوى الواحد الفرد فان المحبة لا تقبل الشركة ، والتوحيد باللسان قليل الجدوى وإنما يمتحن درجة الحبّ بمفارقة المحبوبات ، والأموال محبوبة عند الخلق لأنها آلة تمتعهم بالدّنيا وبسببها يأنسون بهذا العالم ويفرّون من الموت مع أن فيه لقاء المحبوب ، فامتحنوا بتصديق دعواهم في المحبوب واستنزلوا عن المال الذي هو مرموقهم[4] ومعشوقهم ولذلك قال الله تعالى : **﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة﴾**[5] .

والمعنى الثاني التطهير من صفة البخل فانه من المهلكات قال النبي (ص) « ثلاث مهلكات شحّ مطاع ، وهوى متبع ، واعجاب المرء بنفسه »[6]وقال الله تعالى : **﴿ومن يوق**

---

(١) الكافي : ج٤ص٥٤

(٢) من لا يحضره الفقيه : ج٢ص٣٠ والكافي ج٤ص ٤٦ وثواب الاعمال ص١٧٢

(٣) من لا يحضره الفقيه : ج٢ص٣٠ (٤) رمقه رمقاً : أطال النظر اليه

(٥) سورة التوبة : آية ١١١ (٦) الخصال : ج١ص٨٤ واحياء علوم الدين : ج١ص١٩١

شح نفسه فاولئك هم المفلحون﴾[1] وإنما تزول صفة البخل بأن يتعود بذل المال فحب الشيء لا ينقطع إلا بقهر النفس على مفارقته حتى يصير ذلك اعتياداً ، فالانفاق بهذا المعنى يطهّر صاحبه من خبث البخل المهلك ، وإنما طهارته بقدر بذله وبقدر فرحه باخراجه واستبشاره بصرفه إلى الله تعالى .

والمعنى الثالث شكر النعمة فان لله على عبده نعمة في نفسه وماله، فالعبادات البدنية شكر لنعمة البدن ، والمالية شكر لنعمة المال وما أخس من ينظر إلى الفقير وقد ضيق الرّزق عليه وأحوج إليه ثم لا تسمح نفسه بأن يؤدّي شكر الله تعالى في إغنائه عن السؤال .

الفصل الثالث

آداب المنفق

ينبغي للمنفق أن يغتنم الفرصة مهما ظهرت داعية الخير من الباطن ، فان ذلك لمّة الملك وقلب المؤمن بين اصبعين من أصابع الرّحمان فما أسرع تقلّبه والشيطان يعد الفقر ويأمر بالفحشاء والمنكر وله لمّة عقيب لمّة الملك .

وأن لا يحوج الفقير الى السؤال فورد أنه مكافات لوجهه المبذول وثمن لما اخذ منه وليس بمعروف ، ويعين لغير الموقت وقتا فاضلا كشهر رمضان وسيّما عشر آخره وذي الحجة وسيّما عشر أوّله ، والغدير ويسرّ في المستحب بحيث لا يدري شماله ما يعطي يمينه .

قال الصادق (ع) « الصّدقة في السرّ أفضل من الصّدقة في العلانية »[2] وكان (ع) « إذا اعتم وذهب من الليل ثلثاه أخذ جروبا فيه خبز ولحم ودراهم وحمله[3] على عنقه ثم ذهب به إلى أهل الحاجة من أهل المدينة فقسمه فيهم ولا يعرفونه ، فلما مضى (ع) فقدوا ذلك فعلموا أنّه كان أبا عبد الله (ع) »[4] ، ومعنى اعتم صلى العتمة ، وعن النبي (ص) : «صدقة السّر تطفي غضب الرّب »[5] .

وقال الصادق (ع) : «كلما فرض الله عليك فاعلانه أفضل من اسراره ، وكلما كان تطوّعا

---

(١) سورة الحشر : آية ٩ (٢) الكافي : ج٤ص٨ ومن لا يحضره الفقيه ج٢ ص٣٨
(٣) كذا في المطبوع وفي الوافي هكذا : وذهب من الليل شطره أخذ جراباً فيه خبز ولحم والدراهم فحمله الخ
(٤) الكافي : ج٤ص٨
(٥) الكافي : ج٤ص٧و٨ ومن لا يحضره الفقيه ج٢ ص٣٨ ومكارم الاخلاق : ص١٣٧

فاسراره أفضل من اعلانه ، فلو أن رجلا حمل زكاة ماله على عاتقه علانية كان ذلك حسنا جميلا »[1].

وقـ في قوله تعالى :﴿وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم﴾[2] قال : هي سوى الزكاة »[3].

وسئل النبي (ص) « أي الصّدقة أفضل ؟ قال : أن تتصدق وأنت صحيح شحيح تأمل البقاء وتخشى الفاقة ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا »[4].

وينبغي أن يستصغر الاعطاء ليعظم عند الله تعالى وهو بذكر التوفيق والثواب قال الصادق (ع) : «رأيت المعروف لا يصلح إلا بثلاث خصال : تصغيره ، وستره ، وتعجيله فانك إذا صغرته عظمته عند من تضعه « تصنعه خ ل » إليه ، وإذا سترته تمّمته ، وإذا عجلته هنأته ، وإن كان غير ذلك محقته ونكدته[5] »[6].

ويعطي الأجود والأحب والأبعد عن الشبهة قال الله تعالى :﴿ويجعلون لله ما يكرهون﴾[7] وقال :﴿لن تنالوا البرّ حتّى تنفقوا ممّا تحبون﴾[8] وقال : ﴿انفقوا من طيبات ما كسبتم وممّا أخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه﴾[9] اي لا تاخذونه إلا مع كراهية وحياء وهو معنى الاغماض فلا تؤثروا به ربّكم ، وأن يغنيه ان قدر ، فورد إذا أعطيته فأغنه .

ويقبّل يده بعد الاعطاء لأنه يقع في يد الله أولا قال أمير المؤمنين (ع) : « إذا ناولتم السائل فليرد الذي يناوله يده إلى فيه فيقبلها فان الله تعالى يأخذها قبل ان تقع في يده فانه تعالى يأخذ الصّدقات »[10].

وقال رسول الله (ص) : «ما يقع صدقة المؤمن في يد السائل حتى تقع في يد الله ثم تلا هذه الآية ﴿ألم يعلموا أن الله هو يقبل التّوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وأن الله هو التواب

---

(١) الكافي : ج٣ص٥٠١ (٢) سورة البقرة : آية ٢٧١
(٣)الكافي : ج٣ص٥٠٢ (٤) احياء علوم الدين : ج١ص٢٠١
(٥)محق الشيء : أبطله ومحاه ، ونكد فلاناً حاجته : منعه اياها أو لم يعطه الا القليل منها المنجد .
(٦) الكافي : ج٤ ص٣٠ ومن لا يحضره الفقيه ج٢ ص٣١ (٧) سورة النحل : آية ٦٢
(٨) سورة آل عمران : آية ٩٢ (٩) سورة البقرة : آية ٢٦٧ (١٠) عدة الداعي : ص ٦٨

الرحيم﴾ (١) » (٢).

وقال الصادق (ع) : «إن الله تعالى يقول ما من شيء إلا وقد وكلت به من يقبضه غيري إلا الصدقة فانّي أتلقّفها بيدي تلقّفا(٣)، حتّى أن الرّجل ليتصدق أو المرأة لتتصدق بالتمرة أو بشق تمرة فاربيها له كما يربّي الرّجل فلوه وفصيله(٤) فيلقاني يوم القيامة وهي مثل جبل احد وأعظم من احد »(٥).

وأن يلتمس الدعاء من الآخذ لان دعاءه يستجاب فيه ، ويصرف إلى من يكثر باعطائه الأجر بكونه متقيا عالما صادقا يرى النعمة من الله تعالى ساتراً للحاجة محصوراً في سبيل الله محبوساً في طريق الآخرة بمرض أو عيلة أو ضيق معيشة أو إصلاح قلب أو سبب من الأسباب .

ولكن يرفع أهل العلم والايمان من الزكاة الواجبة والتصدقات لأنها أوساخ الأموال فورد : أيحب احدكم أن يغسل يده ثم يصبه على أخيه المؤمن إن وسخ الذنوب أعظم من وسخ البدن .

فيوسع عليهم بالهدايا والصّلاة ، ويبدأ بمن يعول ثم الأقرب فالأقرب والأهم فالأهم وورد : «أن أفضلها على ذي الرحم الكاشح »(٦)،يعني المبغض وكانه لمخالفة الهوى .

وورد«لا صدقة وذو رحم محتاج»(٧)«الصدقة بعشرة، والقرض بثمانية عشر ، وصلة الاخوان بعشرين ، وصلة الرحم بأربعة وعشرين »(٨)

وأن يتصدق في كل يوم ويباكر بها ليبادر بها البلاء ولا يرد السائل إلا بلطف فورد: « أكرم السائل ببذل يسير أو بردّ جميل»(٩) «أطعموا ثلاثة وان شئتم أن تزدادوا فازدادوا وإلا فقد أتيتم حق يومكم »(١٠).

وان يغتنم السائل سيّما فيما رق له القلب فهو علامة صدق السائل ويسيء الظن بنفسه عند

---

(١) سورة التوبة : آية ١٠٤ (٢) عدة الداعي : ص٦٨.

(٣) اتلقفها بيدي تلقفا أي اتناولها بسرعة . م . وقال (قد) في الوافي : التلقف : التلقي والحفظ

(٤) الفصيل ولد الناقة اذا فصل عن امه ، والفلو بتشديد الواو وضم اللام : المهر يفصل عن امه قال في مجمع البحرين : وانما ضرب المثل بالفلو لانه يريد زيادة تربيته وكذا الفصيل وقال المصنف(قد) في الوافي الفلو بالكسر وكغدو وسمو : ولد الحمار والفرس والفصيل ولد الناقة والبقرة

(٥) الكافي : ج٤ص٤٧ وعدة الداعي ص٦٨ - ٦٩ . (٦) الكافي : ج٤ص١٠

(٧) الفقيه : ج٢ص٣٨ (٨) الكافي : ج٤ص١٠ (٩) الكافي : ج٤ص١٠ (١٠) الكافي : ج٤ ص١٧

فقده ولا يحتقر ما عنده فورد: « لا تستحي من إعطاء القليل فان الحرمان أقل منه»[1] وورد: أفضل الصّدقة جهد المقل »[2].

وأن لا يملك ما تصدق به اختياراً ، ويقسم صدقة الغير فورد أنه أحد المعطين ويجتنب المن والأذى قال الله تعالى: ﴿لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى﴾[3] ﴿قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى﴾[4].

والمنّ أن يرى نفسه محسنا ويعرف بقوة استبعاد جباية القابض بعد العطاء ؛ والمحسن هو القابض لايصاله إلى الثواب والانجاء من العقاب وكونه نائبا عنه تعالى وهو حق الله تعالى أحال عليه الفقير انجازاً لما وعده من الرزق .

والأذى التعيير والتوبيخ والقول السيّء والقطوب[5] والاستخدام وهتك السّتر والاستخفاف ، وسببه استكثار العطاء والتكبر على القابض النّاشيين من الجهل برجحان رضاء الله تعالى على خسيس فان ، ونسيان فضل الفقير .

وعن الصّادق (ع) قال : «كان أمير المؤمنين (ع) يقول : « من علم أن ما صنع إنما صنع لنفسه لم يستبط النّاس في شكرهم ولم يستزدهم في مودتهم ، فلا تلتمس من غيرك شكر ما اتيت إلى نفسك ووقيت به عرضك واعلم أن الطالب اليك الحاجة لم يكرم وجهه عن وجهك فاكرم وجهك عن ردّه »[6].

وعن الباقر (ع) « أنه قيل له : الرّجل من أصحابنا من يستحي أن يأخذ من الزّكاة فاعطيه من الزّكاة ولا اسمي له انها من الزّكاة ؟ فقال : اعطه ولا تسم له ولا تذل المؤمن »[7].

---

(١) نهج البلاغة : ص٤٧٩ حكمة ٦٧

(٢) الكافي : ج٤ص١٨ (٣) سورة البقرة : الآية ٢٦٤

(٤) سورة البقرة : الآية ٢٦٣

(٥) القطوب : الزاوي ما بين عينيه « المنجد » وفي الحديث فقطب أبو عبد الله (ع) أي قبض ما بين عينيه كما يفعل العبوس . م .

(٦) الكافي : ج٤ص٢٨ (٧) من لا يحضره الفقيه : ج٢ ص٨

الفصل الرابع
آدابُ الآخذ

ينبغي للآخذ ان يعلم أن الله تعالى أمر المعطي بصرفه إليه ليكفي مهمّه فيتجرد للعبادة فيشكر الله ويشكر المعطي فيدعو له ويثني عليه مع رؤية النعمة من الله تعالى .

قال النبي (ص) « من لم يشكر النّاس لم يشكر الله »[1] وقال الصّادق (ع): «لعن الله قاطعي سبيل المعروف قيل : وما قاطعوا سبيل المعروف ؟ قال : الرجل يصنع إليه المعروف فيكفره فيمنع صاحبه من أن يصنع ذلك إلى غيره »[2] .

وإن كان معروفا كافاه بما يستطيع ولو بالثناء والقول الجميل فعن النبي (ص) : «من اتى إليه معروف فليكاف به وإن عجز فليثن فان لم يفعل فقد كفر النعمة »[3] .

وعن الصّادق (ع) قال : «كان أمير المؤمنين (ع) يقول « من صنع بمثل ما صنع إليه فانّما كافاه ، ومن أضعف[4] كان شكوراً ومن شكر كان كريما »[5] .

ويستر عيوب صاحب العطاء ولا يحقره ولا يذمّه ولا يعيّره بالمنع إذا منع ويفخم[6] عند نفسه وعند النّاس صنيعه بحيث لا يخرجه عن كونه واسطة لئلا يكون مشركاً .

فعن الصّادق (ع) في قول الله تعالى : ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلاّ وهم مشركون﴾[7] قال : هو قول الرّجل لولا فلان لهلكت ، ولولا فلان لما اصبت كذا وكذا ، ولولا فلان لضاع عيالي ألا ترى أنه جعل لله شريكا في ملكه يرزقه ويدفع عنه قيل : فيقول لولا أن الله منّ عليّ بفلان لهلكت ، قال : نعم لا بأس بهذا ونحوه »[8] .

وأن يتوقى مواقع الرّيبة والشبهة في أصله ومقداره فلا يأخذ ممّن لا يحلّ ماله ولا الزيادة

---

(١) احياء علوم الدين : ج١ص١٩٨ وص٢٠٣

(٢) الكافي : ج٤ ص٣٣ والاختصاص : ص٢٤١ ومن لا يحضره الفقيه : ج٢ ص٣١

(٣) احياء علوم الدين : ج١ص٢٠٣ « باختلاف بسيط »

(٤) هكذا في النسخة المطبوعة وفي المخطوطة : فان ضعف وفي جامع السعادات : فمن ضعفه الخ .

(٥) الكافي : ج٤ص٢٨ (٦) الفخم : العظيم القدر فخمه : عظمه وأجله المنجد

(٧) سورة يوسف : آية ١٠٦ (٨) عدة الداعي : ص٩٩.

على قدر الحاجة ولا يسأل على رؤوس الملأ ممن يستحي الرّد .

ويتورع العالم من أخذ الزّكاة ما لم يضطر إليه تنزيها لنفسه عن الأوساخ ، وأن يستر الاخذ بنية أنه أبقى لستر المروة وكشف الحاجة والتعفف وأسلم لقلوب الناس وألسنتهم من الحسد وسوء الظنّ والغيبة وإعانة المعطي على الاسرار ، وأصون لنفسه عن الاذلال وعن شبهة الشركة فان الحضار شركاؤه فيها أو يظهر بنية الاخلاص والصّدق والسّلامة عن تلبيس الحال وإسقاط الجاه والمنزلة وإظهار العبودية والمسكنة والتبرّي عن الكبر وإقامة سنة الشكر وغير ذلك ، فانه يختلف باختلاف النيات والأحوال والاشخاص ، فليراقب ذلك فانه موضع الغرور .

الفصل الخامس

عدم السؤال من غير حاجة

ينبغي للمؤمن أن لا يسأل الناس من غير حاجة اضطره إليه ، بل يستعفف عن السؤال ما استطاع فانه ذل في الدّنيا وفقر معجّل وحساب طويل يوم القيامة .

قال النبي (ص) « يوماً لأصحابه «ألا تبايعون ؟ فقالوا : قد بايعناك يا رسول الله قال : تبايعون على أن لا تسألوا النّاس شيئاً ، فكان بعد ذلك يقع المخصرة[1] من يد أحدهم فينزل لها ولا يقول لأحد ناولنيها »[2] .

وقال (ص) : « لو أن أحدكم يأخذ حبلا فيأتي بحزمة[3] حطب على ظهره فيبيعها فيكفّ بها وجهه خير له من أن يسأل »[4] وقال : «من سألنا أعطيناه ومن استغنى أغناه الله »[5] .

وقال السّجاد (ع) : « ضمنت على ربّي أن لا يسأل أحد أحداً من غير حاجة إلا اضطرته حاجة المسألة يوماً إلى أن يسأل من حاجة »[6] .

ونظر (ع) يوم عرفة إلى رجال يسألون فقال : «هؤلاء شرار من خلق الله ، الناس مقبلون

---

(١) المخصرة بكسر الميم وسكون المعجمة كالسوط او كل ما امسكه الانسان بيده من عصا ونحوها . م

(٢) عدة الداعي : ص٩٩ واحياء علوم الدين : ج٣ص٢٢٤

(٣) الحزمة ما حزم من الحطب وغيره ، وحزم حزما : ضبط أمره واحكمه واخذ فيه بالثقة وفي الحديث : الحزم بضاعة ، والتواني اضاعة .(٤) عدة الداعي : ص

(٥) الكافي : ج٢ص ١٣٨ وعدة الداعي : ص٩٠ (٦) الكافي : ج ٤ ص ١٩ وعدة الداعي ٩٩.

على الله وهم مقبلون على النّاس »[1] .

وقال الباقر (ع) : «أقسم بالله وهو حقّ ما فتح رجل على نفسه باب مسألة إلاّ فتح الله عليه باب فقر »[2]..

وقال (ع) : « طلب الحوائج إلى الناس استلاب[3] للعزّ ومذهبة للحياء ، واليأس ممّا في أيدي النّاس عز المؤمن ، والطمع هو الفقر الحاضر »[4] .

وقال الصّادق (ع) : « شيعتنا من لا يسأل النّاس شيئاً ولو مات جوعاً »[5] وقال(ع) : « لو يعلم السائل ما عليه من الوزر ما سأل أحد أحداً ، ولو يعلم المسؤول ما عليه إذا منع ما منع أحداً أحداً »[6] .

وقال : « من سأل من غير حاجة فكانما يأكل الخمر »[7] وسأل رجل النبيّ (ص) فقال أسألك بوجه الله فأمر النبيّ (ص) بضرب خمسة أسواط ، ثم قال : «سل بوجهك اللّئيم ولا تسأل بوجه الله الكريم »[8] .

الفصل السادس

للجسد زكاة

اعلم أن للجسد زكاة كما أنّ في المال زكاة ، وهو نقصه لمزيد الخير والبركة إما اضطراراً بان يصاب بآفة ، أو اختياراً بأن يصرف في الطاعة ويمنع عن المعصية .

فعن الصّادق (ع) قال : قال النبيّ (ص) يوما لأصحابه : « ملعون كلّ مال لا يزكى ، ملعون كلّ جسد لا يزكى ، ولو في كلّ أربعين يوما مرة قيل له : يا رسول الله أما زكاة المال فقد عرفناها ، فما زكاة الاجساد ؟ قال لهم : أن تصاب بآفة قال : فتغيرت وجوه الذين سمعوا ذلك منه ، قال فلما رآهم قد تغيّرت ألوانهم قال : هل تدرون ما عنيت بقولي ؟ قالوا : لا يا

---

(١) عدة الداعي : ص ٩٩ . (٢) الكافي : ج ٤ ص ١٩ .
(٣) الاستلاب : الاختلاس . م . (٤) عدة الداعي : ص ١٠٠ . (٥) عدة الداعي ض : ص ٩٩ .
(٦) عدة الداعي : ص ٩٩ . (٧) عدة الداعي : ص ٩٩ . (٨) عدة الداعي : ص ١٠١ .

رسول الله ، قال : إن الرّجل يخدش الخدشة وينكب النكبة ويعثر العثرة ويمرض المرضة ويشاك الشوكة وما أشبه هذا حتّى ذكر في حديثه اختلاج العين »[1] .

وفي مصباح الشريعة قال الصّادق (ع) : « على كل جزء من أجزائك زكاة واجبة لله تعالى . بل على كلّ منبت شعرك بل على كل لحظة .

فزكاة العين النظر بالعبر والغضّ عن الشّهوات وما يضاهيها .

وزكاة الاذن استماع العلم والحكمة والقرآن وفوائد الدّين من الموعظة والنصيحة وما فيه نجاتك والاعراض عما هو ضدّه من الكذب والغيبة واشباههما .

وزكاة اللسان النّصح للمسلمين وإيقاظ الغافلين وكثرة التسبيح والذكر وغيره وزكاة اليد البذل والسخاء بما أنعم الله به عليك وتحريكها بكتبة العلم ومنافع ينتفع بها المسلمون في طاعة الله تعالى والقبض عن الشّرور .

وزكاة الرجل السّعي في حقوق الله من زيارة الصّالحين ومجالس الذكر واصلاح النّاس وصلة الرّحم والجهاد وما فيه صلاح قلبك وسلامة دينك .

هذا ما تحتمل القلوب فهمه والنفوس استعماله وما لا يشرف عليه الا عباده المقربون المخلصون أكثر من أن يحصى وهم أربابه وهو شعارهم ودثارهم[2] »[3] .

وعن النبيّ (ص): «لكلّ شيء زكاة وزكاة الابدان الصّيام »[4] .

الباب السادس

في الصوم

قال الله تعالى : ﴿كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلّكم تتقون﴾[5]

---

(١) الكافي : ج٢ ص٢٥٨ .

(٢) الدثار الثوب الذي فوق الشعار ، والشعار الثوب الذي التي الجسد .

(٣) مصباح الشريعة : ص٥١

(٤) الكافي : ج٤ ص٦٣ والتهذيب : ج٤ ص١٩٠ والمحاسن : ص ٧٢ والمكارم : ص١٣٨ ومن لا يحضره الفقيه ج٢ ص٤٥ ودعائم الاسلام ج ١ ص٢٦٩ .

(٥) سورة البقرة : آية ١٨٣

وقال النبيّ (ص) « الصّوم جنّة من النّار »[1] وقال (ص): «الصائم في عبادة وإن كان نائما على فراشه ما لم يغتب مسلما »[2] وقال(ص): قال الله تعالى : « الصّوم لي وأنا أجزي به »[3] و « للصّائم فرحتان حين يفطر وحين يلقى ربّه تعالى »[4] « والذي نفس محمّد بيده لخلوف[5] فم الصايم عند الله أطيب من ريح المسك »[6] .

وقال الباقر (ع) : «بني الاسلام على خمسة أشياء : على الصّلاة والزّكاة والحجّ والصّوم والولاية »[7] .

وقال الصادق (ع) : « من صام لله تعالى يوما في شدة الحر فأصابه ظمأ وكل الله به ألف ملك يمسحون وجهه ويبشرونه حتى اذا أفطر قال الله تعالى : ما اطيب ريحك وروحك يا ملائكتي اشهدوا انّي قد غفرت له »[8] والريح النفس بالتحريك .

وقال (ع) : «نوم الصائم عبادة وصمته تسبيح وعمله متقبل ودعاؤه مستجاب »[9] .

وقال الكاظم (ع) : « قيلوا[10] فان الله تبارك وتعالى يطعم الصائم ويسقيه في منامه »[11].

قيل ولو لم يكن في الصوم إلا الارتقاء من حضيض[12] حظوظ النفس البهيميّة الى ذروة[13] التشبه بالملائكة الرّوحانية لكفى به فضلا ومنقبة ، وإنما كان الصّوم جنة من النار لأنه يدفع حرّ الشهوة والغضب اللتين بهما تصلى نار جهنم في باطن الانسان في الدنيا وتبرز له في الآخرة ، كما أن الجنة تدفع بها عن صاحبها حر الحديد وإنما قال ما لم يغتب مسلما لأن الغيبة أكل لحم

---

(١) التهذيب : ج٤ص١٥١ والمحاسن : ص٢٨٧ والكافي : ج٤ص٦٢ والعوالي :ج٣ص١٣٢
(٢) المكارم : ص١٣٨ والكافي : ص٤ص٦٤ ومن لا يحضره الفقيه : ج٢ص٤٤

(٣) التهذيب : ج٤ص١٥٢ والكافي : ج٤ص٦٣ والعوالي : ج٣ص١٣٢ والمكارم : ص١٣٨ ودعائم الاسلام
(٤) مكارم الاخلاق : ص١٣٨ والكافي : ج٤ص ٦٥ ومن لا يحضره الفقيه : ج٢ص٤٥
(٥) الخلوف بضم الخاء على الاصح وقيل بفتحها هو رايحة الفم المتغير من قولهم : خلف فم الصائم خلوفا من باب قعد أي تغيرت رايحة فمه .م .
(٦) من لا يحضره الفقيه : ج٢ص٤٤ وثواب الاعمال : ص٨٠ واحياء علوم الدين : ج١ص٢٠٥
(٧) العوالي : ج٣ص١٣٢ والكافي : ج٤ص٦٢ والمحاسن : ص٢٨٦ والتهذيب : ج٤ص١٥١
(٨) من لا يحضره الفقيه : ج٢ص٤٥ (٩) من لا يحضره الفقيه : ج٢ص٤٦ والمحاسن : ص٧٢ وثواب الاعمال : ص٨٠

لميتة فهو نوع من الأكل يتقوى به البدن ، وإنما كان الصوم لله ومشرفا بالنسبة إلى الله وإن كانت العبادات كلها له كما شرف البيت بالنسبة اليه والأرض كلها له لمعنيين :

أحدهما أن الصوم كفّ وترك ، وهو في نفسه سرّ ليس فيه عمل يشاهد ، فجميع الطاعات بمشهد من الخلق ومرءاً والصّوم لا يعلمه إلا الله فانه عمل بالباطن بالصّبر المجرد خالص لله وجزاؤه من عنده خاصّة من غير مشاركة أحد فيه .

والثاني انه قهر لعدو الله فان وسيلة الشيطان الشهوات وإنّما تقوى الشهوات بالأكل والشرب .

ولذلك قال النّبي (ص) : «إن الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم ، فضيقوا مجاريه بالجوع »(1) ، فالشهوات مرتع الشياطين ومرعاهم فما دامت مخصبة لم ينقطع تردّدهم ، وما داموا يتردّدون فلا ينكشف على العبد جلال الله وكان محجوباً عن لقائه .

قال رسول الله (ص) : « لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السمآء »(2) .

وسبب الفرحة عند الافطار اما للخواص فاستشعارهم التوفيق من الله تعالى على إتمام الصيام ونيل الأجر ، وأما للعوام فانقضاء المقاسات ونيل المشتهيات .

وسبب الفرحة عند لقاء الرّب أمّا للخواص فحصول نور القلب لهم المستفاد من انكسار قوتي الشهوة والغضب المظلمتين له بالجوع الباعث لهم أن يعبدوا الله عيانا كأنّهم يرونه وهو المعنى باللقاء ، وخلوف الفم تغيّره ، وإنما صار أطيب عند الله من ريح المسك لأنه سبب طيب الرّوح الذي هو عند الله من الانسان كما أن بدنه عند نفسه وإليه اشير في قوله تعالى : ﴿ما عندكم ينفد(3) وما عند الله باق﴾(4) وأين طيب الرّوح من طيب المسك ، فان الأول روحاني

---

(10) من القيلولة ، قال قيلولة : نام في القائلة أي منتصف النهار « المنجد » قال في مجمع البحرين : في الحديث : القيلولة تورث الغنى ، وفسرت بالنوم وقت الاستواء ، والقيلولة تورث الفقر ، وفسرت بالنوم وقت صلاة الفجر . والقيلولة تورث السقم ، وفسرت بالنوم آخر النهار .

(11) ثواب الأعمال : ص80 (12) الحضيض : القرار من الارض عند اسفل الجبل المنجد .

(13) الذروة : العلو والمكان المرتفع ، أعلى الشيء ، المنجد . (1) احياء علوم الدين : ج3 ص28

(2) احياء علوم الدين : ج1 ص206 (3) نفد كسمع نفاداً ونفداً فنى وذهب ،ق .

(4) سورة النحل : آية 96

عقلي معنوي والثاني جسماني حسّي صوريّ .

الفصل الاول
درجات الصوم وآدابه

اعلم ان للصوم ثلاث درجات : صوم العموم ، وصوم الخصوص ، وصوم خصوص الخصوص ، أمّا صوم العموم فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة ، وأما صوم الخصوص فهو كف السّمع والبصر واللسان واليد والرّجل وساير الجوارح عن الآثام .

قال الصادق (ع) : « إذا صمت فليصم سمعك وبصرك وشعرك وجلدك وعدّ أشياء اخر غير هذا ، وقال لا يكون يوم صومك كيوم فطرك »(١) ، وزاد في خبر آخر : « ودع المراء وأذى الخادم وليكن عليك وقار الصّيام فان رسول الله (ص) سمع امراة تسب جاريتها وهي صائمة فدعا بطعام فقال لها : كلي فقالت : إني صائمة ، فقال : كيف تكونين صائمة وقد سببت جاريتك إن الصّوم ليس من الطعام والشراب فقط »(٢) .

وعن النبي (ص) : « إنما الصّوم جنة من النار فاذا كان أحدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل وان امرؤ قاتله او شاتمه فليقل انّي صائم اني صائم »(٣) .

وقال النبي (ص) : « من اغتاب مسلما بطل صومه ونقض وضوؤه وان مات وهو كذلك مات وهو مستحل لما حرم الله »(٤).

وقال «كم من صائم ليس من صومه إلا الجوع والعطش »(٥).

وقال الصادق (ع) : « إن الكذبة لتفطر الصّايم قيل : وأينا لا يكون ذلك منه قال : ليس حيث تذهب إنما ذاك الكذب على الله وعلى رسوله (ص) وعلى الائمة عليهم السلام »(٦) .

ومعنى بطلان الصوم بالكذب والغيبة وغيرهما ممّا لا يعدّه الفقهآء من المفطرات عدم قبول الصوم وترتب الثواب عليه دون الاجزاء والخروج عن عهدة التكليف كما مر تحقيقه في باب

---

(١) التهذيب : ج٤ص١٩٤ ومن لا يحضره الفقيه : ج٢ص٦٧ والكافي : ج٤ص٨٧

(٢) التهذيب : ج٤ ص١٩٤ ومن لا يحضره الفقيه : ج٢ص٦٨

(٣) احياء علوم الدين : ج١ص٢٠٨ (٤) عقاب الأعمال : ص ٣٣٢ .

(٥) احياء علوم الدين : ج١ ص٢٠٩ وص٢١٠

(٦) الكافي : ج٢ص٣٤٠

الصلاة ، ولذلك شرطنا ذلك في صوم الخصوص دون العموم .

وأما صوم خصوص الخصوص فصوم القلب عن الهمم الدّنية والأفكار الدّنيوية وكفه عمّا سوى الله بالكلية ، ويحصل الفطر في هذا الصّوم بالفكر فيما سوى الله واليوم الآخر وبالفكر في الدّنيا إلا دنيا تراد للدين ، فان ذلك زاد الآخرة وليس من الدّنيا .

قال أرباب القلوب : من تحركت همّته بالتّصرف في نهاره لتدبير ما يفطر عليه كتبت عليه خطيئة فانّ ذلك من قلة الوثوق بفضل الله وقلة اليقين برزقه الموعود ، وهذه رتبة الأنبياء والصديقين والمقرّبين .

وفي مقابلها من يستكثر من الحلال وقت الافطار بحيث يمتلي فورد : ما من وعاء أبغض الى الله من بطن ملىء من حلال ، وكيف يستفاد من الصوم فهر عدو الله وكسر الشهوة إذا تدارك الصائم عند فطره ما فاته ضحوة نهاره ، وربّما يزيد عليه في ألوان الطعام حتى استمرت العادات بأن يذخر جميع الأطعمة لشهر رمضان ، فيؤكل من الأطعمة فيه ما لا يؤكل في عدة أشهر ومعلوم أنّ مقصود الصوم الخوي[1] وكسر الهوى لتقوي النفس على التقوى ، وإذا دفعت المعدة ضحوة النهار الى العشاء حتّى هاجت شهوتها وقويت رغبتها ثم اطعمت من اللذات واشبعت زادت لذتها وتضاعفت قوتها وانبعث من الشهوات ما عساها كانت راكدة لو تركت على عادتها .

فروح الصّوم وسرّه[2] تضعيف القوى التي هي وسائل الشيطان في القود الى الشرور ، ولن يحصل ذلك إلا بالتقليل وهو أن يأكل أكلته التي كان يأكلها كل ليلة لو لم يصم ، وأما إذا جمع ما كان يأكل ضحوة إلى ما كان يأكل ليلة فلم ينتفع بصومه ولا يخف عليه تهجده .

---

(١) الخوي خلو الجوف من الطعام ،ق .)

(٢) قال في جامع السعادات : والحاصل ان روح الصوم وسره والغرض الأصلي منه التخلق بخلق من اخلاق الله تعالى اعني الصمدية والاقتداء بالملائكة في الكف عن الشهوات بقدر الامكان ، وهذا انما يحصل بتقليل الاكل عما يأكله في غير وقت الصوم ، فلا جدوى لمجرد تأخير اكله وجمع اكلتين عند العشاء وقال فيه أيضاً ينبغي لكل صائم ان يكون قلبه بعد الافطار مضطرباً معلقاً بين الخوف والرجاء ، اذ ليس يدري أيقبل صومه فهو من المقربين أو يرد عليه فهو من الممقوتين وليكن الحال كذلك في آخر كل عبادة يفرغ منها ،

روي ان الامام ابا محمد الحسن المجتبى (ع) مر بقوم يوم العيد وهم يضحكون فقال : ان الله جعل شهر رمضان مضماراً لخلقه يستبقون فيه لطاعته ، فسبق أقوام ففازوا ، وتخلف أقوام فخابوا فالعجب كل العجب للضاحك اللاعب في اليوم الذي فاز فيه المسارعون ، وخاب فيه المبطلون ، أما والله لو كشف الغطاء لاشتغل المحسن باحسانه والمسيء عن اساءته.

وليلة القدر عبارة عن الليلة التي ينكشف فيها شيء من الملكوت ومن جعل بين قلبه وبين صدره مخلاة[1] من الطعام فهو عنه محجوب ، ومن أخلى معدته فلا يكفيه ذلك لرفع الحجاب حتّى يخلو همّته عن غير الله تعالى ، وذلك هو الأمر كله ومبدأ ذلك تقليل الطعام .

الفصل الثاني

الصوم ينقي النفس

في مصباح الشريعة قال الصادق (ع) : قال رسول الله (ص) : « الصّوم جنة ، أي ستر من آفات الدنيا وحجاب من عذاب الاخرة ، فاذا صمت فانو بصومك كفّ النفس عن الشهوات وقطع الهمة عن خطوات الشيطان ، فانزل نفسك منزلة المرضى لا يشتهي طعاما وشراباً ، متوقعا في كل لحظة شفاك من مرض الذّنوب ، وطهّر باطنك من كل كدر وغفلة وظلمة يقطعك عن معنى الاخلاص لوجه الله تعالى ، قال رسول الله (ص) : قال الله تعالى : «الصوم لي وأنا اجزي به» .

فالصّوم يميت مواد النّفس وشهوة الطبع ؛ وفيه صفاء القلب وطهارة الجوارح وعمارة الظاهر والباطن والشكر على النعم والاحسان إلى الفقرآء وزيادة التضرع والخشوع والبكاء وحبل الالتجاء إلى الله وسبب انكسار الهمة وتخفيف الحساب وتضعيف الحسنات ، وفيه من الفوايد ما لا يحصى وكفى بما ذكرناه منبّها لمن عقل ووفق لاستعماله »[2] .

الباب السابع

في الحج

في الحج وزيارة المشاهد قال الله تعالى : ﴿ولله على النّاس حجّ البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين﴾[3] وقال النبي (ص) : « من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهوديا وإن شاء نصرانيا »[4] .

---

(١) الخلى : العُشب والمخلاة : ما يجعل فيه الخلى ومنه المخلاة لما يجعل فيه العلف ويعلق في عنق الدابة . المنجد

(٢) مصباح الشريعة : ص١٣٥ (٣) سورة آل عمران : آية ٩٧ (٤) العوالي : ج٢ص٢٣٥

وقال الصادق (ع) : « من مات ولم يحج حجة الاسلام لم يمنعه من ذلك حاجة يجحف[1] به أو مرض لا يطيق فيه الحج أو سلطان يمنعه فليمت يهوديا أو نصرانيا »[2] والاخبار في فضل الحج والعمرة أكثر من أن تحصى وهي مذكورة في مواضعها مع كيفية أعمالها .

وأما بيان السرّ فيها فاعلم أنه لا وصول الى الله تعالى إلا بالتنزه عن الشهوات والكف عن اللذات والاقتصار على الضّروريات فيها والتجرد لله تعالى في جميع الحركات والسّكنات ، ولأجل هذا انفرد الرّهابين[3] في الملل السالفة عن الخلق وانحازوا إلى قلل الجبال وآثروا التوحش عن الخلق لطلب الانس بالله ، فتركوا اللّذات الحاضرة وألزموا أنفسهم المجاهدات الشّاقة طمعاً في الاخرة وأثنى الله تعالى عليهم في كتابه فقال : ﴿**ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء مرضات الله**﴾[4] وقال :﴿**وذلك بأنّ منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون**﴾[5] .

فلما اندرس ذلك وأقبل الخلق على اتباع الشهوات وهجروا التجرد لعبادة الله وفتروا عنها بعث الله تعالى محمداً (ص) لاحياء طريق الاخرة وتجديد سنة المرسلين في سلوكها فسأله أهل الملل عن الرهبانية والسّياحة في دينه فقال (ص) : ابدلنا بها الجهاد والتكبير على كل شرف قيل : يعني الحج ، وسئل عن السّائحين ، فقال : هم الصائمون .

فأنعم الله على هذه الامة بأن جعل الحجّ رهبانية لهم ، فشرف البيت العتيق بالاضافة إلى نفسه ، ونصبه مقصداً لعباده ، وجعل ما حواليه حرما لبيته ، وتفخيما لأمره ، وجعل عرفات كالمَيدان على فناء حرمه ، وأكد حرمة الموضع بتحريم صيده وقطع شجره ووضعه على مثال حضرة الملوك يقصده الزوار من كل فج عميق ، ومن كلّ أوب سحيق[6] شعثاء غبراء متواضعين لربّ البيت ومستكينين له خضوعاً لجلاله واستكانة لعزته مع الاعتراف بتنزّهه عن أن يحويه بيت أو يكتنفه بلد ، ليكون ذلك ابلغ في رقهم وعبودّيتهم وأتم في اذعانهم وانقيادهم .

---

(١) أجحف به الفاقة : أفقرته الحاجة . ق . (٢) الدعائم : ج١ص٢٨٨ وثواب الاعمال : ص٢٨١

(٣) الراهب جمع رهابين . المنجد .

(٤) سورة الحديد : آية ٢٧

(٥) سورة المائدة : آية ٨٢

(٦) جاء وامن كل أوب معناه من كل مرجع أي من كل فج وسحق المكان فهو سحيق مثل بعد بالضم فهو بعيد وزنا ومعنى كذا عن المصباح .

ولذلك وظف عليهم فيها أعمالا لا تأنس بها النفوس ، ولا تهتدي الى معانيها العقول كرمي الجمار بالأحجار ، والتردّد بين الصّفا والمروة على سبيل التكرار، وبمثل هذه الأعمال يظهر كمال الرق والعبودية ، فان الزكاة إرفاق ووجهه معلوم وللعقل اليه ميل ، والصّوم كسر للشهوة التي هي عدو الله وتفرغ للعبادة بالكف عن الشواغل ، والركوع والسّجود في الصّلاة تواضع لله تعالى بأفعال هي هيئآت التواضع وللنفوس انس بتعظيم الله .

فاما ترددات السّعي ورمي الجمار فلاحظ للنفس ولا انس للطبع فيها ولا اهتداء للعقل إلى معانيها ، فلا يكون للاقدام عليها باعث إلاّ الأمر المجرّد وقصد الامتثال للأمر من حيث انه امر واجب الاتباع فقط ، وفيه عزل العقل عن تصرّفه وصرف النفس والطبع عن محلّ انسه ، فان كل ما أدرك العقل معناه مال الطبع اليه ميلا ما ، فيكون ذلك الميل معيناً للأمر وباعثا معه فلا يكاد يظهر به كمال الرق والانقياد .

ولذلك قال النبي (ص) في الحجّ على الخصوص : لبّيك بحجة حقّاً وتعبّداً ورقا ولم يقل ذلك في صلاة وغيرها ، وإذا اقتضت حكمة الله تعالى ربط نجاة الخلق بأن تكون أعمالهم على خلاف هوى طباعهم وأن يكون زمامها بيد الشرع فيتردّدون في أعمالهم على سنن الانقياد على مقتضى الاستبعاد ، كان مالا يهتدى إلى معانيه أبلغ أنواع التعبّدات في تزكية النفوس وصرفها عن مقتضى الطبع والاخلاق إلى مقتضى الاسترقاق .

وإذا تفطنت لهذا فهمت أن تعجب النفوس عن هذه الافعال العجيبة مصدره الذّهول عن أسرار التعبّدات ، وقد ظهر ممّا ذكر أن قاصد البيت قاصد إلى الله وزاير له فبالحريّ أن يفوز بلقاء الله في ميعاده المضروب له والتشوق إلى لقاء الله مسوق إلى أسباب اللقاء فليجعل عزمه خالصاً لوجه الله ، بعيداً عن شوايب الرياء وغيره .

الفصل الاول

ما ينبغي للحاج عند توجهه الى الحج

ينبغي للحاج عند توجهه إلى الحج وخروجه من بلده أن يرد المظالم ، ويتوب الى الله توبة خالصة ، ويقطع علاقة قلبه عن الالتفات إلى ما ورائه ليكون متوجّهاً إلى الله بوجه قلبه ، ويقدّر أنه لا يعود ، وليكتب وصيّة لأهله ولاولاده ، ويتهيأ لسفر الاخرة فان ذلك بين يديه على قرب ، وأن يتأدّب بآداب السفر كلها كما هي مذكورة في موضعها ولا سيّما توسّع الزاد وتطييه ،

وطيب الكلام ، ولينه ، وخفض الجناح ما استطاع .

فورد : بر الحجّ طيب الكلام وإطعام الطعام ، وليس للحجّ المبرور جزاء إلا الجنة ، وعدم الاهتمام « الاغتمام خ » بالانفاق وبما اصيب في المال فدرهم منه يعدل سبعمأة في سبيل الله ، وأن يكون قلبه مطمئناً منصرفا الى ذكر الله وتعظيم شعائره ، محضرا عند كل حركة وسكون ، متذكراً به أمراً اخرويا يناسبه ويكون أشعث أغبر غير متزيّن ، ويمشي إن قدر خصوصاً بين المشاعر .

فورد «ما عبد الله بشيء أفضل من المشي» ، لا لتقليل النفقة مع اليسار ، فانّ الركوب حينئذ أفضل كما ورد ، سيّما لمن ضعف بالمشي وساء خلقه وقصر في العمل .

فورد : تركبون أحب إلي فان ذلك أقوى على الدّعاء والعبادة ، «وكان الحسن بن علي (ع) يمشي ويساق معه المحامل والرجال »[1] ، وإذا حضرت الراحلة فليشكر الله بقلبه على تسخيره له الدواب لتتحمل عنه الأذى وتتخفف عنه المشقة[2] .

فاذا دخل البادية متوجها إلى الميقات ومشاهداً لتلك العقبات فليتذكر فيها ما بين الخروج من الدنيا بالموت إلى ميقات يوم القيامة وما بينهما من الأهوال والمطالبات .

وليتذكر من هول قطاع الطريق هول سؤال منكر ونكير ، ومن سباع البوادي عقارب القبر وديدانه وما فيه من الأفاعي والحيات ، ومن انفراده عن أهله وأقاربه وحشة القبر وكربته ووجدته ، وليكن في هذه المخاوف في أعماله وأقواله متزوّداً لمخاوف القبر .

وليتذكر عند لبس ثوبي الاحرام لبس الكفن ولفّه فيه وأنه سيلقى الله ملفوفا في ثياب الكفن لا محالة فانه كما لا يلقى بيت الله إلا مخالفا عادته في الزيّ والهيئة فلا يلقى الله بعد الموت إلا في زيّ مخالف لزيّ الدنيا ، وهذا الثوب قريب من ذلك الثوب إذ ليس فيه مخيط كما لا يخاط الكفن .

---

(١) من لا يحضره الفقيه : ج٢ص١٤١

(٢) فاذا اراد الخروج من البلد فليعلم عنده انه فارق الاهل والوطن متوجها الى الله (عج)في سفر لا يضاهي اسفار الدنيا ، فليحضر في قلبه انه ماذا يريد ؟ واين يتوجه ؟ وزيارة من يقصد ؟ وانه متوجه الى ملك الملوك في زمرة الزائرين له الذين نودوا فاجابوا ، وشوقوا فاشتاقوا ، واستنهضوا فنهضوا وقطعوا العلايق وفارقوا الخلايق ، واقبلوا على بيت الله عز وجل الذي فخم امره وعظم شأنه ورفع قدره ، تسلياً بلقاء البيت عن لقاء رب البيت الى ان يرزقوا منتهى مناهم ، وليحضر في قلبه رجاء القبول ثقة بفضل الله وتحقيقا لوعده لمن زار بيته .

وأما الاحرام والتلبية بالميقات ، فليعلم أنه إجابة نداء الله [1] فليرج أن يكون مقبولا وليخش أن يقال له لا لبّيك ولا سعديك ، وليكن بين الرجاء والخوف ، متردداً ومن حوله وقوته متبرئاً وعلى فضل الله وكرمه متكلا ، فان وقت التلبية هو بداية الأمر وهو محل الخطر .

وقد ورد إن السجاد (ع) « لما أحرم واستوت به راحلته اصفر لونه وانتقض ووقع عليه الرعدة ولم يستطع أن يلبي فقيل له لم لا تلبي ؟ فقال : أخشى أن يقول لي ربي لا لبيك ولا سعديك ، فلما لبّى غشي عليه وسقط من راحلته فلم يزل يعتريه ذلك حتى قضى حجه »[2] .

الفصل الثاني

ما ينبغي للحاج إذا دخل مكة

وإذا دخل مكة فليتذكر عندها انه قد انتهى إلى حرم آمن ، وليرج عنده أن يأمن بدخوله من عقاب الله وليخش أن لا يكون أهلا للقرب فيكون بدخول الحرم خائبا مستحقا للمقت ، وليكن رجاؤه في جميع الاوقات غالبا ، فان الكرم عميم ، وشرف البيت عظيم ، وحق الزاير مرعى ، وذمام[3] المستجير اللائذ غير مضيع .

وإذا وقع بصره على البيت فينبغي أن يحضر عنده عظمة البيت في قلبه ويقدر كأنه مشاهد لربّ البيت لشدة تعظيمه ، وليرج أن يرزقه لقاءه كما رزقه لقاء البيت وليشكر الله على تبليغه إياه هذه الرتبة وإلحاقه إياه بزمرة الوافدين إليه .

وأما الطواف فانه صلاة ، فليحضر قلبه فيه من التعظيم والخوف والرجاء والمحبة ما سبق في باب الصّلاة وليعلم أنه في الطواف متشبه بالملائكة المقربين الحافين حول العرش الطائفين حوله ، ولا يظن أن المقصود طواف جسمه بالبيت بل المقصود طواف قلبه بذكر ربّ البيت حتى

---

(١) اشارة الى قوله تعالى لابراهيم (ع) : واذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر ياتين من كل فج عميق .

(٢) لم نجد هذا الحديث كما هو انما وجدنا حديث قريب منه في المستدرك ج٢ص١١٩ وفيه : عن الازدي انه قال في حديث ولقد حججت معه اي الصادق (ع) سنة فلما استوت به راحلته عند الاحرام كان كلما همّ بالتلبية انقطع الصوت في حلقه وكاد ان يخرّ من راحلته فقلت قل يا بن رسول الله ولا بدّلك من ان تقول فقال يا بن ابي عامر كيف اجسر انْ اقول لبيك اللهم لبيك وأخشي ان يقول عز وجل لي لا لبيك ولا سعديك

(٣) الذمة والذمام : بمعنى العهد والامان ، والضمان ، والحرمة ، والحق ، كذا عن النهاية .

لايبتدىء الذّكر إلاّ به ، ولا يختم إلاّ به ، كما يبتدىء الطايف الطواف من البيت ويختم بالبيت .

وليعلم أن الطواف الشريف هو طواف القلب بحضرة الرّبوبية ، وأن البيت مثـال ظاهر في عـالم الملك لتلك الحضرة التي لا يشـاهد بـالبصر وهـو في عالم الملكـوت كما أنّ البـدن مثال ظـاهر في عـالم الشهادة للقلب الـذي لا يشاهـد بالبصـر وهو في عـالم الغيب وأن عـالم الملك والشهادة مدرجة إلى عالم الغيب والملكوت لمن فتح له الباب .

وإلى هذه الموازنة وقعت الاشارة بأن البيت المعمور في السماوات بازاء الكعبة وأن طواف الملائكة بها كطواف الانس بهـذا البيت ، ولمّا قصـرت رتبة أكثـر الخلق عن مثل ذلـك الطواف امروا بالتشبّه بهم بحسب الامكان ووعدوا بأن من تشبّه بقوم فهو منهم .

وأمّا استلام الحجر فليعلم أنه بمنـزلة اليمين قـال رسول الله (ص) : استلمـوا الرُكن فـانه يمين الله في خلقه يصافح بها خلقه مصافحة العبد أو الدّخيل[1] ويشهد لمن استلمه بالموافاة .

أراد بالرّكن الحجر الأسود لأنه موضوع في الركن وإنّما شبّهه بـاليمين لأنه واسـطة بين الله وبين عباده في النيل والوصول والتحبّب والرّضا كاليمين حين التصافح ، والدّخيل الملتجي .

قال الصّادق (ع) : « ان الله تبارك وتعالى لما أخذ مواثيق العباد أمر الحجر فالتقمها فلذلك يقال أمانتي أدّيتها وميثاقي تعاهدته لتشهد لي بالموافـاة[2] »[3] وقال (ع) : « الـركن اليماني بـاب من أبواب الجنّة لم يغلقه الله منذ فتحه » [4] وقال (ع) : « الركن اليماني بابنا الذي ندخـل منه الجنّة وفيه نهر من الجنة يلقى فيه أعمال العباد »[5] ، انما شبّهه بباب الجنـة لأن استلامـه وسيلة إلى دخولها ، وبالنهر لأنه يغسل به الذّنوب .

وليكن نيّته عند الاستلام طلب القرب حبّا وشوقاً للبيت ولربّ البيت وتبرّكاً بالمماسة ورجاء للتحصن عن الناس في كل جزء لاقى البيت ، وليكن نيته في التعلق بأستار البيت الالحـاح في طلب المغفرة وسؤال الأمان كالمذنب المتعلق بثيـاب من أذنب إليه المتضـرّع إليه في عفـوه عنه المظهر أنه لا ملجأ له منه إلا اليه ، ولا مفزع له إلاّ عفوه وكرمه ، وأنـه لا يفارق ذيله إلا بـالعفو وبذل الأمن في المستقبل .

---

(١) دخيل الرحل : الذي يداخله في اموره ويختص به . م .

(٢) اي بالاتيان اليك واقراري بالعهد الذي أودعتك اياه ؛ من من وافيته موافاة أي أتيته .

(٣) العلل : ص٤٢٣ (٤) الكافي : ج٤ص٤٠٩ (٥) من لا يحضره الفقيه ج٢ص١٣٤

الفصل الثالث

فيما يجب ان يشعر به المرء عند اوان مناسك الحج

وأما السّعي بين الصفا والمروة في فناء البيت فيضاهي تردّد العبد بفناء دار الملك جائيا وذاهبا مرّة بعد اخرى إظهاراً للخلوص في الخدمة ورجاء للملاحظة بعين الرّحمة ، كالذي دخل على الملك وخرج وهو لا يدري ما الذي يقضي الملك في حقه من قبول أوردّ .

وأما الوقوف في العرفات فليتذكر بما يرى من ازدحام الخلق وارتفاع الاصوات واختلاف اللغات واتباع الفرق ائمتهم في التردّدات على المشاعر عرصات القيامة واجتماع الامم مع الأنبياء والأئمة عليهم السّلام واقتفاء كل امة نبيّها وطمعهم في شفاعتهم وتحيرهم في ذلك الصعيد الواحد بين الرّد والقبول .

فاذا تذكر ذلك فليلزم قلبه الضّراعة[١] والابتهال إلى الله ليحشر في زمرة الفائزين المرحومين وليتحقق رجاؤه بالاجابة ، فالموقف شريف والرّحمة انما تصل من حضرة الجلال إلى كافة الخلق بواسطة القلوب العزيزة من أوتاد الارض ولا ينفك الموقف عن طبقة من الصّالحين وأرباب القلوب ، فاذا اجتمعت همّتهم وتجرّدت للضراعة والابتهال قلوبهم وارتفعت إلى الله أيديهم وامتدّت إليه أعناقهم وشخصت نحو السّماء أبصارهم مجتمعين بهمّة واحدة على طلب الرحمة فبعيد أن يخيب أملهم ويضيع سعيهم ، ولذلك قيل : من أعظم الذّنوب أن يحضر عرفات ويظن أن الله لم يغفر له .

وأمّا الوقوف بالمشعر فليستحضر أنّه قد أقبل عليه مولاه بعد أن كان مدبراً عنه طارداً له عن بابه فأذن له في دخول حرمه ، فان المشعر من جملة الحرم وعرفات خارجة عنه فقد أشرف على باب الرّحمة وهبت[٢] عليه نسمات الرأفة وكسى خلع القبول بالاذن في دخول حرم الملك .

وأما رمي الجمار فليقصد به الانقياد للأمر إظهاراً للرق والعبودية وانتهاضا[٣] لمجرّد الامتثال من غير حظ للعقل والنفس ، ثم ليقصد به التشبه بابراهيم (ع) حيث عرض له إبليس في هذا الموضع ليدخل على حجّه شبهة أو فتنة فأمره الله أن يرميه بالحجارة طرداً له وقطعاً لأمله وليعلم أنه في الظاهر يرمي الحصا إلى الجمار وفي الحقيقة يرمي به وجه الشيطان ويقصم به ظهره إذ لا يحصل ارغام أنفه إلا بامتثال أمر الله تعظيماً بمجرّد الأمر من غير حظ العقل فيه .

---

(١) ضرع ضراعة : ذل وخضع (٢) هبت الرياح اي هاجت وتحركت . م . (٣) نهض نهوضاً وانتهض : قام

وأمّا ذبح الهدي فليعلم أنّه تقرب إلى الله بحكم الامتثال وليكمل الهدى وأجزائه ويرج أن يعتق بكلّ جزء منها جزءً منه من النار كما ورد الوعد به(١) .

وفي مصباح الشريعة قال الصادق (ع) : « إذا أردت الحج فجرد قلبك لله تعالى من شغل كلّ شاغل وحجاب كلّ حاجب وفوّض امورك كلها إلى خالقك وتوكل عليه في جميع ما يظهر من حركاتك وسكناتك ، وسلم لقضائه وحكمه وقدره ، وودع الدنيا والراحة ، والخلق ، واخرج من حقوق تلزمك من جهة المخلوقين ، ولا تعتمد على زادك وراحتك وأصحابك وقوتك وشبابك ومالك مخافة أن يصير ذلك عدواً ووبالاً فان من ادعى رضاء الله واعتمد على ما سواه صيّره عليه وبالاً وعدوّاً ليعلم أنه ليس له قوّة وحيلة ولا لأحد إلاّ بعصمة الله وتوفيقه فاستعد استعداد من لا يرجو الرّجوع .

واحسن الصحبة وراع أوقات فرايض الله وسنن نبيّه (ص) وما يجب عليك من الأدب والاحتمال والصبر والشكر والشفقة والسخاوة وإيثار الزاد على دوام الاوقات .

ثم اغسل بماء التوبة الخالصة ذنوبك والبس كسوة الصّدق والصفا والخضوع والخشوع ، واحرم من كلّ شيء يمنعك عن ذكر الله ويحجبك عن طاعته ولب بمعنى اجابة صادقة صافية خالصة زاكية لله تعالى في دعوتك متمسكا بالعروة الوثقى ، وطف بقلبك مع الملائكة حول العرش كطوافك مع المسلمين بنفسك حول البيت ، وهرول هرولة من هواك وتبرّأ من حولك وقوتك واخرج من غفلتك وزلاّتك بخروجك إلى منى ولا تتمن ما لا يحل لك ولا تستحقه .

واعترف بالخطايا بعرفات ، وجدّد عهدك عند الله تعالى بوحدانيته وتقرّب إليه واتّقه بمزدلفة واصعد بروحك إلى الملأ الأعلى بصعودك على الجبل ، واذبح حنجرة الهوى والطمع عند الذبيحة ، وارم الشهوات والخساسة والدناءة والذميمة عند رمي الجمرات ، واحلق العيوب الظاهرة والباطنة بحلق شعرك ، وادخل في أمان الله وكنفه وستره وكلاءته من متابعة مرادك بدخولك الحرم ودخول البيت متحققا لتعظيم صاحبه ومعرفة جلاله وسلطانه .

---

(١) قال الغزالي في « الاحياء » : فهكذا ورد الوعد ، وقال العراقي في« المغني عن حمل الاسفار في الاسفار في تخريج ما في الاحياء من الاخبار » : حديث انه يعتق بكل جزء من الاضحية جزء من المضحى من النار ، لم أقف له على اصل

واستلم الحجر رضا بقسمته وخضوعاً لقوته (لعزته خ) وودّع ما سواه بطواف الوداع ، واصف روحك وسرّك للقائه يوم تلقاه بوقوفك على الصفا ، وكن بمرءاً من الله نقيّا أوصافك عند المروة واستقم على شرط حجتك هذه ووفاء عهدك الذي عاهدت به مع ربّك وأوجبته له إلى يوم القيامة .

واعلم بأن الله تعالى لم يفرض الحج ولم يخصّه من جميع الطاعات بالاضافة إلى نفسه بقوله تعالى : ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا﴾[1] ولا شرع نبيه سنّة في خلال المناسك على ترتيب ما شرعه إلا للاستعانة والاشارة إلى الموت والقبر والبعث والقيامة وفضل بيان السابقة من الدخول في الجنّة أهلها ودخول النار أهلها بمشاهدة مناسك الحج من أولها إلى آخرها لأولي الألباب واولي النّهى »[2] .

الفصل الرابع

في زيارة المدينة

وأمّا زيارة المدينة فاذا وقع بصره على حيطانها فليتذكر أنها البلدة التي اختارها الله تعالى لنبيه (ص) وجعل إليها هجرته وأنّها داره التي فيها شرع فرايض ربّه وسننه وجاهد عدوّه وظهر بها دينه إلى أن توفاه الله ثمّ جعل تربته فيها .

ثمّ ليمثل في نفسه أقدام رسول الله (ص) عند تردّداته فيها وأنه ما من موضع قدم إلا وهي موضع قدمه العزيز ، فلا يضع قدمه إلا على سكينة ووجل ، وليتذكر مشيه وتخطيه في سككها ، وليتصور خشوعه وسكينته في المشي وما استودع الله قلبه من عظيم معرفته ورفعة ذكره حتى قرنه بذكر نفسه ، وأحبط عمل من هتك حرمتك ولو برفع صوته فوق صوته ، فان ترك حرمة شريعته ولو في دقيقة من الدقايق فلا يأمن أن يحال بينه وبينه بعدوله عن محجّته له .

وليعظم مع ذلك رجاءه أن لا يحول الله بينه وبينه بعد أن رزقه الايمان وأشخصه من وطنه لأجل زيارته محبّة له وتشوقا إلى أن ينظر إلى آثاره وإلى حايط قبره .

فاذا بلغ المسجد فليتذكر أن فرايض الله تعالى أول ما اقيمت في تلك العرصة فليعظم أمله في الله أن يرحمه بدخوله إياه خاشعاً معظماً وما أجدر ذاك المكان بان يستدعي الخشوع من

---

(١) سورة آل عمران : اية ٩٧ (٢) مصباح الشريعة : ص٤٧ .

قلب كلّ مؤمن .

وأمّا زيارته (ص) فينبغي أن يقف بين يديه ويزوره ميّتا كما يزوره حيًا ولا يقرب من قبره كما لا يقرب من شخصه الكريم لو كان حيّا ، وليعلم أنه عالم بحضوره وقيامه وزيارته وأنّه يبلغه سلامه وصلواته ، فليمثل صورته الكريمة في خياله موضوعاً بازائه وليحضر عظيم رتبته في قلبه .

فقد ورد أن الله تعالى وكل بقبره ملكا يبلغه سلام من سلم عليه من امته ، هذا في حق من لم يحضر قبره فكيف بمن فارق الوطن وقطع البوادي شوقا إلى لقائه واكتفى بمشاهدة مشهده الكريم إذ فاتته مشاهدة غرّته الكريمة .

قال الصّادق (ع) : « إذا فرغت من الدعاء عند قبر النبيّ (ص) فأت المنبر وامسحه بيدك فخذ برمانتيه وهما السّفلاوان ، وامسح عينيك ووجهك به فانه يقال إنه شفاء للعين ، وقم عنده فاحمد الله واثن عليه وسل حاجتك ، فان رسول الله (ص) قال : ما بين منبري وبيتي روضة من رياض الجنّة ، ومنبري على نزعة من نزع الجنة والنّزعة هي الباب الصّغير »[1] وسئل (ع) هي روضة اليوم ؟ قال : « نعم لو كشف الغطاء لرأيتم » (٢) .

الفصل الخامس

في فصل زيارة النبي والأئمة (ع)

قال النبيّ (ص) « من زار قبري بعد موتي كمن هاجر إليّ في حياتي فان لم تستطيعوا فابعثوا إليّ بالسلام فانه يبلغني » (٣) ، وقال (ص) لعليّ (ع) : « يا أبا الحسن ان الله جعل قبرك وقبر ولدك بقاعا من بقاع الجنّة وعرصات من عرصاتها ، وان الله جعل قلوب نجباء من خلقه وصفوة من عباده تحنّ[4] إليكم وتحتمل المذلة والأذى فيكم ، فيعمّرون قبوركم ويكثرون زيارتها تقرّبا منهم إلى الله ومودّة منهم لرسوله اولئك يا عليّ المخصوصون بشفاعتي والواردون حوضي وهم زواري وجيراني غداً في الجنة .

يا عليّ من عمر قبوركم وشاهدها فكأنّما أعان سليمان بن داود (ع) على بناء بيت المقدس ومن زار قبورهم عدل ذلك ثواب سبعين حجة بعد حجة الاسلام ، وخرج من ذنوبه

---

(١) الكافي : ج٤ص٥٥٣ التهذيب : ج٦ص٧ (٢) الكافي ج٤ص٤٥٤

(٣) جامع الاخبار : ص٢١ وتهذيب الاحكام : ج٦ص٣ ودعائم الاسلام ج١ص٢٩٦

(٤) الحنين : الشوق تحن اليكم أي تشتاق اليكم .

حتى يرجع من زيارتكم كيوم ولدته امّه .

فابشر يا عليّ وبشّر أولياءك ومحبّيك من النعيم بما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، ولكن حثالة[1] من النّاس يعيّرون زوّار قبوركم كما تعير الزّانية بزناها اولئك شرار امتي لا تنالهم شفاعتي ولا يردون حوضي »[2] .

وقال الصّادق (ع) : «لوأن أحدكم حج دهره ثم لم يزر الحسين بن عليّ لكان تاركا حقّاً من حقوق رسول الله (ص) ، لأن حقّ الحسين فريضة من الله واجبة على كلّ مسلم »[3] .

والأخبار في فضل زيارة الأئمة المعصومين عليهم السّلام وثوابها ولا سيّما زيارة أبي عبد الله الحسين وأبي الحسن الرّضا (ع) وفضلهما على الحجّة والعمرة والغزوة أكثر من أن تحصى .

ولعلّ السرّ في فضل زيارتهم على تلك العبادات ان في زيارتهم صلة وبرّاً لهم ولرسول الله (ص) وأمير المؤمنين (ع) وفاطمة (ع) وشيعتهم ومحبّيهم بل سائر النبيين والوصيّين (ع) ، وإدخال سرور عليهم وإجابة لهم وتجديد عهد لولايتهم واحياء لأمرهم وتبكيتا[4] لأعدائهم[5]

---

(١) حثالة ككناسة : القشارة وما لا خير فيه والردى من كل شيء وهي بالمهملة ثم المثلثة .

(٢) تهذيب الاحكام : ج٦ص٢٢

(٣) تهذيب الاحكام : ج٦ص٤٢ كامل الزيارات ص١٢٢ (٤) التبكيت : الغلبة بالحجة والتقريع .

(٥) على ما ورد في رواية معاوية بن وهب عن الصادق (ع) حيث قال : دخلت على أبي عبد الله (ع) فوجدته في مصلاه في بيته فجلست حتى قضى صلاته فسمعته وهو يناجي ربه وهو يقول :
يا من خصنا بالكرامة وخصنا بالوصية ووعدنا الشفاعة واعطانا علم ما مضى وما بقي وجعل أفئدة من الناس تهوي الينا ، اغفر لي ولاخواني ولزوار قبر أبي الحسين صلوات الله عليه الذين انفقوا اموالهم واشخصوا ابدانهم رغبة في برنا ورجاء لما عندك في صلتنا وسروراً ادخلوه على نبيك صلواتك عليه وآله واجابه منهم لامرنا وغيظا ادخلوه على عدونا ، ارادوا بذلك رضاك فكافهم غداً بالرضوان ، واكلاءهم بالليل والنهر ، واخلف على اهاليهم واولادهم الذين خلفوا بأحسن الخلف ، واصحبهم واكفهم شر كل جبار عنيد وكل ضعيف من خلقك او شديد «الى ان قال » اللهم ان اعداءنا عابوا عليهم خروجهم فلم ينههم ذلك عن الشخوص الينا وخلافهم على من خالفنا ، فارحم تلك الوجوه التى غيرتها الشمس ، وارحم تلك الخدود التي تقلبت على حفرة أبي عبد الله (ع) وارحم تلك الاعين التي جرت دموعها رحمة لنا ، وارحم تلك القلوب التي جزعت واحترقت لنا ، وارحم تلك الصرخة التى كانت لنا ، اللهم اني استودعك تلك الانفس وتلك الابدان حتى نوافيهم على الحوض يوم العطش ، فما زال وهو ساجد يدعو بهذا الدعاء «وقال في آخره : يا معاوية ان من يدعو لزواره في السماء أكثر ممن يدعو لهم في الارض .

وفي ذلك كلّه رجاء لما عند الله الذي لا يخيب من رجاه وطلب لرضاه سبحانه الذي يرضى لمن أرضاه .

وهي مع ذلك كله عبادة لله تعالى ومسرّة له عز ذكره من جهة إدخال السرّور على رسوله وعلى ذرّيته وأوصيائه ، ومن جهة الاتيان بعبادته المأمور بها ومسرّة لهم من هذه الجهة أيضاً وقد ثبت وتقرر جلالة قدر المؤمن عند الله وثواب صلته وبرّه وإدخال السرور عليه من جهة كونه مؤمنا فحسب فما ظنك بمن عصمه الله عن الخطأ وطهّره من الرّجس وجعله إماما للمؤمنين وقدوة للمتقين وله خلق السّماوات والأرضين وجعله صراطه وسبيله وعينه ودليله.وبابه الذي يؤتى منه وحبله المتّصل بينه وبين عباده من رسل وأنبياء وحجج وأولياء هذا .

مع أن مقابرهم مشاهد أرواحهم العليّة المقدّسة ومحال حضور أشباحهم البرزخيّة النّورية ، فانهم هناك يشهدون وهم احياء عند ربهم يرزقون بما آتاهم من فضله فرحون .

وأمّا الحجّة والعمرة والغزوة وغير ذلك فانها وإن كان فيها إنفاق أموال ورجاء آمال وإشخاص أبدان وهجران أوطان وتحمل مشاق وشهود شعاير وحضور مشاعر ، إلاّ أنّها ليست بتلك المثابة في المثوبة لأن هذه إنما هي عبادة لله تعالى وإجابة لأمره عز ذكره ومسرّة له ولأوليائه بالاتيان بالعبادة فحسب ، وليست فيها جميع تلك الامور التي نبهنا عليها هناك .

مع أنّها تتأتّى من كل مدّع للاسلام وإن كان ناصبيًا بخلاف تلك ، فانّها لا تتأتّى إلاّ ممّن كان يعرف قدراً من قدرهم وطرفاً من منزلتهم ولو ناقصا

قال الرّضا (ع) : « إن لكل إمام عهداً في عنق أوليائه وشيعته وإن من غاية الوفاء بالعهد وحسن الأداء زيارة قبورهم ، فمن زارهم رغبة في زيارتهم وتصديقا بما رغبوا فيه كان أئمتهم شفعاؤهم يوم القيامة »[١] .

---

(١) علل الشرائع : ص٤٥٩

المقالة السادسة

في ساير الأعمال الصّالحة وفيها خمسة أبواب .

الباب الاول

في التوبة

في التوبة وهي تبرأه القلب عن الذنب والرّجوع من البعد إلى القرب وبعبارة اخرى ترك المعاصي في الحال والعزم على تركها في الاستقبال وتدارك ما سبق من التقصير ، وهي فرض على كل حال وعلى الفور ومن شرطها أن تكون لله لا لمال أو جاه أو خوف من سلطان أو عدم أسباب ، وأن يتندم ، أما الندم أعني تألم القلب وحزنه على الذنب الذي هو روح التوبة فغير مقدور وهو التوبة حقيقة ، إنما المقدور تحصيل أسبابه من العلم والايمان وتحقيقها في قلبه .

قال النبي (ص) : « الندم توبة »(١) إذ لا يخلو الندم عن علم أوجبه واثمره وعن عزم يتبعه ويتلوه ، فيكون الندم محفوفا بطرفيه أعني ثمره ومثمره والطريق إليها ذكر ما ورد في فضلها والعلم بقبح الذنوب وشدّة العقوبة وضعف النفس عن الاحتمال وشرف الاخرة وخساسة الدنيا وقرب الموت ولذة المعرفة والمناجاة الممتنعة مع الاصرار ، وخوف الاملاء بعدم الأخذ الحالي والاستدراج بالاحسان وقلع أسباب الاصرار وهي الغرور وحبّ الدّنيا وطول الأمل .

قال الله تعالى : **﴿وتوبوا إلى الله جميعاً أيه المؤمنون لعلكم تفلحون﴾**(٢) وقال : **﴿يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً عسى ربّكم أن يكفر عنكم سيئآتكم﴾**(٣) الآية ، ومعنى النّصوح الخالص لله خاليا عن الشوايب وقال تعالى : **﴿إن الله يحب التوابين ويحبّ المتطهرين﴾**(٤) .

وقال رسول الله (ص) : « التائب حبيب الله ، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له »(٥) وقال

---

(١) احياء علوم الدين : ج٤ص٤ وتحف العقول : ص٤٥ والعوالي : ج١ص٢٩٢

(٢) سورة النور : آية ٣١ (٣) سورة التحريم : آية ٨ (٤) سورة البقرة : آية ٢٢٢ (٥) احياء علوم الدين : ج٤ص

الباقر (ع): «ان الله أشد فرحا بتوبة عبده من رجل أضل راحلته وزاده في ليلة ظلماء فوجدها[1]»[2] وقال الصادق (ع) في قوله تعالى: ﴿توبوا إلى الله توبة نصوحاً﴾[3]: «قال هو الذّنب الذي لا يعود اليه أبداً، قيل: وأينا لم يعد؟ قال: يا فلان إن الله يحب من عبده المفتن[4] التواب»[5] يعني الكثير الذنب الكثير التوبة.

وقال: «إذا تاب العبد توبة نصوحاً أحبّه الله فستر عليه قيل: وكيف يستر عليه؟ قال ينسى ملكيه ما كانا يكتبان عليه ويوحي الله إلى جوارحه وإلى بقاع الأرض أن اكتمي عليه ذنوبه فيلقى الله حين يلقاه وليس شيء يشهد عليه بشيء من الذنوب»[6].

الفصل الأول

التوبة بالندم على الذنب

اعلم أنه مهما أشرق نور الايمان على القلب أثمر نار الندم على الذّنب فيتألم به القلب حيث يبصر باشراق نور الايمان انه صار محجوبا عن محبوبه كمن يشرق عليه نور الشّمس وقد كان في ظلمة فسطع عليه النور بانقشاع[7] سحاب او انحسار[8] حجاب فرأى محبوبه قد اشرف على الهلاك ويشتعل نيران الحبّ في قلبه فينبعث بتلك النيران ارادته للانتهاض للتّدارك، فالعلم والندم والقصد المتعلق بالترك في الحال والاستقبال والتلافي للماضي ثلاثة معان مترتبة يطلق اسم التوبة على مجموعها.

وكثيراً ما يطلق اسم التوبة على الندم وحده ويجعل العلم كالسّابق والمقدمة والترك كالثمرة والتابع المتأخر كما أشرنا إليه فمن نظر أوّلاً بنور البصيرة إلى التوبة ما هي ثم إلى الوجوب ما معناه فلا يشك في ثبوته لها.

وذلك بأن يعلم (علم خ) أن معنى الواجب ما هوواجب في الوصول إلى سعادة الأبد والنجاة من هلاك الأبد، وعلم أن لا سعادة في دار البقاء إلا في لقاء الله وأن كل محجوب عنه شقي لا محالة يحول بينه وبين ما يشتهيه محترق بنار الفراق ونار جهنّم، وعلم أنّه لا مبعّد عن

(١) فالله تعالى أشد فرحا بتوبة عبده من ذلك الرجل براحلته حين وجدها، كذا في الوافي.

(٢) الكافي: ج٢ص٤٣٥ (٣) سورة التحريم: آية ٨ (٤) قال في الوافي: يعني الذي يكثر ذنبه ويكثر توبته، يذنب الذنب فيتوب منه ثم يبتلى به فيعود ثم يتوب وهكذا من الافتان او التفتين بمعنى الايقاع في الفتنة

(٥) الكافي: ج٢ص٤٣٢ (٦) الكافي: ج٢ص٤٣٠ (٧) تقشع السحاب أي تصدع واقلع.

(٨) الانحسار: الانكشاف.

لقاء الله إلا اتّباع الشهوات والانس بهذا العالم الفاني والاكباب على حبّ ما لا بد من فراقه قطعاً ، وعلم أنه لا مقرّب من لقاء الله إلا قطع علاقة القلب عن زخرف هذا العالم والاقبال بالكلية على الله طلبا للانس به بدوام ذكره وللمحبّة له بمعرفة جلاله وجماله على قدر طاقته ، وعلم أن الذنوب التي هي اعراض عن الله واتباع لمحاب الشّياطين أعداء الله المبعدين عن حضرته سبب كونه محجوباً مبعداً عن الله .

وكل علم يراد ليكون باعثا على عمل فلا يقع التفصّي عن عهدته ما لم يصر باعثا فالعلم بضرر الذنوب إنما اريد ليكون باعثا على تركها فمن لم يتركها فهو فاقد لهذا الجزء من الايمان .

وهو المراد بقول النبي (ص) : « لا يزن الزاني حين يزني وهو مؤمن » (١) ، وما أراد به نفي الايمان بالله وبوحدانيته وصفاته وكتبه ورسله فان ذلك لا ينافي الزنا والمعاصي ، وإنما اراد به نفي الايمان بكون الزنا مبعدا عن الله وموجبا للمقت ، وليس الايمان بابا واحدا بل هو كما ورد نيف وسبعون باباً أعلاها شهادة أن لا إله إلّا الله ، وأدناها اماطة الأذى عن الطريق .

ومثاله قول القائل ليس الانسان موجوداً واحداً بل هو نيّف وسبعون موجوداً أعلاها القلب والرّوح وأدناها إماطة الاذى عن البشرة بأن يكون مقصوص الشارب ومقلوم الاظفار نقي البشرة عن الخبث حتى يتميز عن البهايم المرسلة المتلوثة بأرواثها المستكرهة الصور بطول مخالبها وأظفارها .

فالايمان كالانسان وفقد شهادة التوحيد يوجب البطلان بالكلية كفقد الروح والذي ليس له إلا شهادة التوحيد والرّسالة هو كانسان مقطوع الاطراف مفقوء(٢) العينين فاقد لجميع أعضائه الظاهرة والباطنة إلا أصل الروح .

وكما أن من هذا حاله قريب من أن يموت فيزايله الرّوح الضّعيفة المنفردة التي يتخلّف عنها الاعضاء التي تمدّها وتقوّيها ، فكذلك من ليس له إلا أصل الايمان وهو مقصر في الاعمال قريب من أن ينقطع عنه شجرة إيمانه إذا صدمتها الرياح العاصفة المحركة للايمان في مقدّمة قدوم ملك الموت وورده .

---

(١) احياء علوم الدين ج٤ ص٨ورواه الترمذي ج١٠ ص٩١ من حديث ابو هريرة

(٢) فقء الدمل : شقه ليخرج ما فيه من المدة والعين قلعها بخقها أي عورها . المنجد «أقول» ومنه الحديث كما في مجمع البحرين أن رجلا اطّلع في بيت قوم ففقأ اعينه لم يكن عليهم شيء

فكـل ايمـان لم يَثبت في النفس أصله ولم ينتشـر في الاعمـال فـروعـه لم يثبت على عواصف[1] الأهوال عند ظهور نـاصية ملك المـوت وخيف عليه سـوء الخاتمـة إلا ما سقي بمـاء الطاعات على توالي الايام والساعات حتى رسخ وثبت فهذا امر يظهر عند الخاتمة وإنما تقطعت نياط العارفين خوفا من دواهي الموت ومقدماته الهايلة التي لا يثبت عليها إلا الأقلون .

الفصل الثاني

عمومية وجوب التوبة

اعلم أن وجـوب التوبـة عام في الاشخـاص والاحوال فـلا ينفك أحـد عنـه البتـة قـال الله تعـالى : ﴿وتوبـوا إلى الله جميعاً﴾[2] فعمّم الخـطاب ، ونور البصيـرة أيضاً يـرشد إليـه إذ معنى التوبة الرّجوع عن الـطريق المبعد عن الله تعـالى المقرب الى الشيـطان ولا يتصوّر ذلـك إلا من عاقل ولا تكمل غريزة العقل إلا بعد كمال الشهوة والغضب وسايـر الصفات المـذمومـة التي هي وسائل الشيطان إلى اغواء الانسان .

إذ كمال العقل إنّما يكون عند مقاربة الأربعين وأصله إنما يتم عند مراهقـة البلوغ ومباديـه تظهر بعد سبع سنين ، والشهوات جنود الشيطان والعقول جنود الملائكـة وإذا اجتمعا قـام القتال بينهما بالضّـرورة إذ لا يثبت أحدهمـا للاخـر فانهمـا ضدّان فـالتطارد بينهمـا كالتـطارد بين الليل والنهار وبين النور والظلمة ومهما غلب احدهما أزعج الاخر بالضرورة .

وإذ كانت الشهوات تكمـل في الصبى والشباب قبـل كمال العقـل فقد سبق جنـد الشيطان واستولى على المكان ووقـع للقلب به انس والف لا محـالة بمقتضيـات الشهوات بـالعادة وغلب ذلك عليه وتعسّر عليه النزوع عنه .

ثم يلوح العقـل الذي هـو حِـزب الله ومنقـذ أوليـائـه من أيـدي أعـدائـه شيئـاً فشيئـاً على التـدريج ، فـان لم يقو ولم يكمـل سلمت مملكة القلب للشيـطان وانجـز اللعين مـوعـوده حيث قال : ﴿لأحتنكن ذرّيته إلا قليلا﴾[3] وإن قوي العقـل وكمل كـان أول شغله قمع جنـود الشيطان بكسر الشهوات ومفـارقة العـادات ورد الطبـع على سبيل القهـر والغلبة إلى العبـادات ولا معنى للتوبة إلا هذا وهو الرجوع عن طريق دليله الشهوة وخفيره[4] الشيطان الى طريق الله تعالى .

---

(١) عصفت الريح : اشتدت فهي عاصفة والجمع عاصفات وعواصف

(٢) سورة النور : آية ٣١ (٣) سورة الاسراء : آية ٦٢

(٤) الخفير : المجير ومنه الحديث : الحمد لله حمداً يكون خفيراً لي من نقمته أي حافظاً ومجيراً لي من انتقامه وعذابه م .

وليس في الوجود آدمي إلا وشهوته سابقة على عقله وغريزته التي هي عدة للشيطان متقدّمة على غريزته التي هي عدّة للملائكة فكان الرجوع عمّا سبق إليه على مساعدة الشهوات ضـروريًا في حق كل انسان .

وأما بيان وجوبها على الدّوام وفي كل حال فهو أن كل بشر فلا يخلو عن معصية بجـوارحه فان خلا في بعض الأحوال عن معصية الجوارح فلا يخلو عن الهمّ بالذنوب بالقلب فان خلا عن الهمّ فلا يخلو عن وسواس الشيطان بايراد الخواطر المذهلة عن ذكر الله ، فان خلا منه فلا يخلو عن غفلة وقصور في العلم بالله وبصفاته وبآثاره بحسب طاقته .

وكل ذلك نقص وله أسباب وترك أسبابه بتشاغـل أضدادهـا رجوع عن طـريق إلى ضدّه ، والمـراد بالتـوبة الـرّجوع ولا يتصـرو الخلوّ في حق الادمّي عن هذا النقص وإنمـا يتفـاوتـون في المقادير وأما الاصل فلا بد منه إلاّ أن الانبياء والاوصياء عليهم السلام ليس ذنوبهم كذنوبنا وإنما هي ترك دوام الذكر والاشتغال بالمباحات وحرمانهم زيادة الأجر بسبب ذلك .

قال الصادق (ع) : « إن رسول الله (ص) كان يتوب إلى الله ويستغفره في كل يوم وليلة مأة مرة من غير ذنب إن الله يخص أولياءه بالمصـائب ليأجـرهم عليها من غيـر ذنب »[1] ، يعني من غير ذنب كذنوبنا ، فان ذنب كل أحد إنما هو بحسب قدره ومنزلته عند الله .

ثم اعلم أنه لا يكفي في تدارك الشهوات تركها في المستقبل بل لا بدّ من محو آثارها التي انطبعت في القلب بنور الطاعات قال النبي (ص) : « اتبع السّيئة بالحسنة تمحها »[2] .

وينبغي أن تكون الحسنة الماحية للسّيئة مناسبة لتلك السّيئة فيكفر سماع المـلاهي بسماع القرآن وبحضور مجالس الذّكر ، ويكفر القعود في المساجد جنبا بالعبادة فيه إلى غير ذلك وليس ذلك شرطا .

وقد روي أن رجلا قال لرسول الله (ص) : « اني عالجت امـرأة فاصبت منهـا كل شيء إلا المسيس فاقض علي بحكم الله ، فقال : أما صليت معنا ؟ فقـال : بلى ، فقال : إن الحسنـات يذهبن السّيئآت »[3] .

---

(١) الكافي : ج٢ص٤٥٠

(٢) احياء علوم الدين : ج٤ص١١ (٣) أخرجه البخاري : ج٦ص٩٤ من حديث ابن مسعود

ولا بد أن يكون عن قرب عهد بالخطيئة بأن يتندم عليها ويمحو أثرها قبل أن يتراكم الرين على القلب فلا يقبل المحو قال الله تعالى : **﴿إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب﴾**[1] ومعناه عن قرب عهد به قال : **﴿وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال اني تبت الآن﴾**[2] قال الصادق (ع) : « ذلك إذا عاين أمر الاخرة »[3] .

وذلك لأن التوبة مقبولة ، قبل أن يعاين كما ورد عن رسول الله (ص) ومن ترك المبادرة الى التوبة بالتسويف كان بين خطرين عظيمين احدهما أن يتراكم الظلمة على قلبه من المعاصي حتى يصير رينا وطبعاً فلا يقبل المحو والثاني أن يعاجله المرض أو الموت فلا يجد مهلة للاشتغال بالمحو ولذلك ورد في الخبر : «أن أكثر صياح أهل النّار من التسويف» .

الفصل الثالث
كل توبة صحيحة مقبولة

اعلم انك إذا فهمت معنى القبول لم تشك في أن كلّ توبة صحيحة فهي مقبوله فالنّاظرون بنور البصائر المستمدون من أنوار القرآن علموا أن كل قلب سليم مقبول عند الله ومتنعم في الاخرة في جوار الله ، وعلموا أن القلب خلق سليما في الأصل وكل مولود يولد على الفطرة وإنما يفوته السّلامة بكدورة ترهق[4] وجهه من غبرة الذنوب وظلمتها ، وأن نار النّدم تحرق تلك الغبرة ، وان نور الحسنة يمحو عن وجه القلب ظلمة السيئة ، وانه لا طاقة لظلام المعاصي مع نور الحسنات كما لا طاقة لظلام الليل مع نور النهار بل كما لا طاقة لكدورة الوسخ مع بياض الصابون والماء الحار إلا أن يتراكم الذنوب حتى تصير طبعاً ورينا .

وهذا مثل أن يغوص[5] الوسخ لطول تراكمه في تجاويف الثوب وخلله فمثل هذا القلب لا يرجع ولا يتوب وإن قال بلسانه : تبت وهذا البيان كاف لقبول التوبة المتضمنة لشروطها قال الله تعالى : **﴿وهو الذي يقبل التوبة عن عباده﴾**[6] وقال : ﴿غافر الذنب وقابل التوب﴾[7] .

وقال النبي (ص) : « إن الحسنات يذهبن السيئات كما يذهب الماء الوسخ »[8] وقال : «لو عملتم الخطايا حتى تبلغ السماء ثم ندمتم لتاب الله عليكم »[9] .

---

(١) سورة النساء : آية ١٧ (٢) سورة النساء : آية ١٨ (٣) من لا يحضره الفقيه : ج١ص٧٩

(٤) قوله تعالى : **﴿وترهقهم ذلة أي تغشاهم﴾** ومثله قوله تعالى : **﴿وترهقها قترة أي تغشاها غبرة﴾** . م .

(٥) غاص في المعانى اذا بلغ أقصاها حتى استخرج ما تعد منها . م . (٦) سورة النساء : آية ١٨

(٧) سورة غافر : آية ٣ (٨) احياء علوم الدين : ج٤ص١٤ (٩) احياء علوم الدين : ج٤ص١٤

وقال الباقر (ع) لمحمّد بن مسلم : ذنوب المؤمن إذا تاب منها مغفورة له فليعمل المؤمن لما يستأنف بعد التوبة والمغفرة أما والله إنها ليست إلا لأهل الايمان قال : قلت : فان عاد بعد التوبة والاستغفار في الذّنوب وعاد في التوبة ، فقال : يا محمد ابن مسلم أترى العبد المؤمن يندم على ذنبه ويستغفر الله منه ويتوب ثم لا يقبل الله توبته ؟ قلت : فانه فعل ذلك مراراً يذنب ثم يتوب ويستغفر فقال : كلما أعاد المؤمن بالاستغفار والتوبة عاد الله عليه بالمغفرة وإن الله غفور رحيم يقبل التوبة ويعفو عن السيئآت فايّاك أن تقنط المؤمنين من رحمة الله »[1] .

وقال الصادق (ع) : « إن الرّجل ليذنب الذّنب فيدخله الله بالذنب الجنّة ، قيل يدخله الله بالذنب الجنة ؟ قال : نعم إنه ليذنب فلا يزال منه خائفا ماقتا لنفسه فيرحمه الله فيدخله الجنة »[2] .

الفصل الرابع
أقسام الذنوب

اعلم ان الذّنوب تنقسم إلى ما بين العبد وبين الله وإلى ما يتعلق بحقوق العباد ، والأول إما مغفور وإما مرجوّ المغفرة .

قال أمير المؤمنين (ع) : «الذّنوب ثلاثة : فذنب مغفور وذنب غير مغفور وذنب نرجو لصاحبه ونخاف عليه ، قيل : يا أمير المؤمنين فبيّنها لنا ، قال : نعم .

أما الذّنب المغفور فعبد عاقبه الله على ذنبه في الدّنيا والله تعالى أحلم وأكرم من أن يعاقب عبده مرتين .

وأما الذّنب الذي لا يغفره الله فظلم العباد بعضهم لبعض إن الله إذا برز للخليقة أقسم قسما على نفسه فقال : وعزتي وجلالي لا يجوزني ظلم ظالم ولو كفا بكف ولو مسحة بكفّ ولو نطحة ما بين القرناء إلى الجماء[3] فيقتص للعباد بعضهم من بعض حتى لا يبقى لأحد مظلمة ثم يبعثهم الله للحساب .

وأمّا الذّنب الثالث فذنب ستره الله على خلقه ورزقه التوبة منه فأصبح خائفا من ذنبه راجياً لربّه فنحن له كما هو لنفسه ونرجو له الرّحمة ونخاف عليه العقاب »[4] .

---

(١) الكافي : ج٢ص٤٣٤ (٢) الكافي : ج٢ص٤٢٦ (٣) كبش أجم لا قرن له والانثى جماء ، وقرناء خلاف جماء

(٤) الكافي : ج٢ص٤٤٣

ولعله (ع) اراد بالتوبة التوبة المشكوك في شروطها لما عرفت أن التوبة الجامعة للشرايط متقبولة فاذا كانت مقبولة فالذنب لا محالة مغفور .

وبقسمة ثانية تنقسم الذنوب إلى صغاير وكباير قال الله تعالى : ﴿**ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفّر عنكم سيئاتكم**﴾[١] وقال تعالى : ﴿**والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش إلا اللّمم**﴾[٢] وقال النبي (ص) : « الصّلاة الخمس والجمعة إلى الجمعة تكفر ما بينهن إن اجتنب الكبائر »[٣] .

وقد كثرت الأقوال في تعيين الكباير واختلفت الرّوايات فيها فعن الصادق (ع) في قوله تعالى : ﴿**ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئآتكم**﴾ قال : « الكباير التي أوجب الله عليها النار »[٤] وعنه (ع) « أنه سئل عن الكباير فقال : هن في كتاب علي (ع) سبع : الكفر بالله ، وقتل النفس ، وعقوق الوالدين ، واكل الربا بعد البينة ، واكل مال اليتيم ظلما ، والفرار من الزّحف ، والتعرب بعد الهجرة ، قيل له : فأكل درهم من مال اليتيم ظلما أكبر أم ترك الصّلاة ؟ قال : ترك الصّلاة قيل : فما عددت ترك الصّلاة في الكباير ، فقال : أي شيء أول ما قلت لك ؟ قال : الكفر ، قال فانّ تارك الصّلاة كافر يعني من غير علّة »[٥] .

وعن الكاظم (ع) « انه سئل عن الكباير كم هي وما هي ؟ فكتب : الكباير من اجتنب ما وعد الله عليه النار كفر الله عنه سيّئآته إذا كان مؤمنا ، والسّبع الموجبات[٦] قتل نفس الحرام ، وعقوق الوالدين وأكل الربا ، والتعرب بعد الهجرة[٧] وقذف المحصنة ، وأكل مال اليتيم ، والفرار من الزحف[٨] »[٩] .

وعن الجواد (ع) قال : « سمعت أبي يقول سمعت أبي موسى ين جعفر (ع) يقول : دخل عمرو بن عبيد على أبي عبد الله (ع) فلما سلم وجلس تلا هذه الآية : ﴿**الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش**﴾[١٠] ثم أمسك فقال له أبو عبد الله (ع) ما أسكتك ؟ قال : احبّ أن أعرف

(١) سورة النساء آية ٣١ (٢) سورة النجم : آية ٣٢
(٣) احياء علوم الدين : ج٤ص١٧ (٤) الكافي : ج٢ص٢٧٦ (٥) الكافي : ج٢ص٢٧٨
(٦) الموجبات بفتح الجيم أي التي اوجب الله عليه النار ، ويحتمل كسرها أي التي توجب النار ، كذا كذا في الوافي
(٧) التعرب بعد الهجرة هو ان يعود الى البادية ويقيم مع الاعراب بعد أن كان مجاجراً وكان من رجع بعد الهجرة الى موضعه من غير عذر يعدونه كالمرتد كذا قال ابن الاثير في نهايته ، ولا يبعد تعميمه لكل من تعلم آداب الشرع وسننه ثم تركها واعرض عنها ولم يعمل بها . كذا في الوافي .
٨) المحصنة بفتح الصاد : المعروفة بالعفة ، والزحف المشي الى العدو للمحاربة . الوافي
(٩) الكافي : ج٢ص٢٧٦ (١٠) سورة الشورى : آية ٣٧

الكبَاير من كتاب الله ، فقال : نعم يا عمرو أكبر الكبايـر الاشراك بـالله يقول الله : ﴿من يشـرك بالله فقد حـرم الله عليه الجنّـة﴾[١] وبعده الايـاس من روح الله لأنّ الله يقول : ﴿إنّـه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾[٢] ثمّ الأمن من مكر الله لأن الله تعالى يقول : ﴿فلا يأمن مكـر الله إلا القوم الخاسرون﴾[٣] ومنها عقوق الوالدين لأن الله تعالى جعل العاق جبّـاراً[٤] شقياً ، وقتـل النفس التي حـرم الله إلاّ بالحقّ لأنّ الله يقـول : ﴿فجزاؤه جهنم خـالـداً فيهـا﴾[٥] الآيـة وقـذف المحصنـة لأنّ الله تعالى يقـول : ﴿لعنوا في الـدّنيا والآخـرة ولهم عذاب عـظيم﴾[٦] وأكل مـال اليتيم لأنّ الله تعـالى يقول : ﴿إنمـا يأكلون في بـطونهـم ناراً وسيصلون سعيـراً﴾[٧] والفرار من الزّحف لأنّ الله يقول : ﴿من يولهم يومئذ دبره إلا متحـرفا[٨] لقتـال أو متحيزاً[٩] إلى فئـة فقد باء بغضب من الله ومأويه جهنم وبئس المصير﴾[١٠] وأكل الربا لأن الله يقول : ﴿الذين يأكلون الرّبوا لا يقومون إلا كمـا يقوم الـذي يتخبطه الشيـطان من المسّ﴾[١١] والسّحر لأنّ الله يقـول : ﴿ولقد علموا لمن اشتـريه مـاله في الآخـرة من خلاق﴾[١٢] والـزّنا لأنّ الله يقـول : ﴿ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعـف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا﴾[١٣] واليمين الغموس[١٤] الفاجـرة لأنّ الله يقول : ﴿الذينَ يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا اولئك لا خلاق لهم في الآخرة﴾[١٥] والغلول[١٦] لأنّ الله يقول : ﴿ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة﴾[١٧] ومنع الـزّكاة المفـروضة لانّ الله تعالى يقول : ﴿فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهـورهم﴾[١٨] وشهادة الـزّور وكتمان الشهـادة

---

(١) سورة المائدة : آية ٧٢ (٢) سورة يوسف : اية ٨٧ (٣) سورة الاعراف : آية ٩٩

(٤) حيث قال سبحانه عن عيسى (ع) : ﴿وبراً بوالدتى ولم يجعلنى جباراً شقيا﴾ أي عاقاً لها

(٥) سورة النساء : آية ٩٣ (٦) سورة النور : آية ٢٣ (٧) سورة النساء : آية ١٠

(٨) فسر بالكر بعد الفر يخيل عدوه انه منهزم ثم ينعطف عليه وهو نوع من مكايد الحرب

(٩) أي منحازاً منضما الى فئة أي جماعة اخرى من المسلمين سوى الفئة التي هو فيها

(١٠) سورة الانفال : آية ١٦ (١١) سورة البقرة : آية ٢٧٥

(١٢) سورة البقرة : آية ١٠٢ (١٣) سورة الفرقان : آية ٦٨/٦٩

(١٤) قال في محجة البيضاء : وهي التي يحق بها باطلا أو يبطل بها حقاً ، وسميت غموساً لانها تغمس صاحبها في النار .

وقال في الوافي : الغموس الفاجرة أي الكاذبة سميت غموساً لانها تغمس صاحبها في الاثم .

(١٥) سورة آل عمران : آية ٧٧

(١٦) الغلول الخيانة في المغنم والسرقة من الغنيمة قبل القسمة سميت غلولا لان الايدي فيها مغلولة أي ممنوعة كذا في النهاية الاثيرية (١٧) سورة آل عمران: آية ١٦١ (١٨) سورة التوبة : آية ٣٥

لأن الله يقول : ﴿ومَن يكتمها فانّه آثم قلبه﴾[1] وشرب الخمر لأن الله نهى عنها[2] كما نهى عن عبادة الأوثان، وترك الصّلاة متعمّداً أو شيئاً ممّا فرض الله ، لأن رسول الله (ص) قال : من ترك الصّلاة متعمداً فقد برأ من ذمّة الله وذمة رسوله ، ونقض العهد وقطيعة الرّحم لان الله يقول : ﴿لهم اللعنة ولهم سوء الدّار﴾[3] .

قال فخرج عمرو وله صراخ من بكائه يقول : هلك من قال برأيه ونازعكم في الفضل والعلم »[4] .

إن قيل كيف ورد الشرع بما لم يبين حدّه ؟ قلنا إن كلّ ما لا يتعلق به حكم في الدّنيا جاز أن يتطرق إليه الابهام والكبيرة على الخصوص لا حكم لها في الدّنيا من حيث إنّها كبيرة ، فان موجبات الحدود معلومة بأسبابها وإنما حكم الكبيرة أن اجتنابها يكفر الصّغاير وأن الصّلاة الخمس لا يكفرها ، وهذا أمر يتعلق بالآخرة والابهام أليق به حتّى يكون النّاس على وجل وحذر فلا يتجرؤون على الصغاير اعتماداً على الصّلوات الخمس واجتناب الكباير .

ثم اجتناب الكبيرة إنما يكفر الصّغيرة إدا اجتنبها مع القدرة والارادة ، كمن يتمكن من امرأة ومن مواقعتها فيكف نفسه عن الوقاع ويقتصر على نظر ولمس فان مجاهدته نفسه في الكف عن الوقاع أشدّ تأثيراً في تنوير قلبه من اقدامه على النظر في إظلامه فهذا معنى تكفيره ، فان كان امتناعه لعجز أو خوف أو نحو ذلك فلا يصلح للتكفير وكذلك من لا يشتهي الخمر بطبعه ولو ابيح له لما شربه فاجتنابه لا يكفر عنه الصغاير التي هي من مقدماته كسماع الملاهي والاوتار .

الفصل الخامس

الذنوب الصغيرة بوابة الذنوب الكبيرة

اعلم أنّ الصغيرة قد تكبر باسباب .

منها الاصرار والمواظبة ، قال الصّادق (ع) : «لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار »[1] مثال ذلك قطرات من الماء تقع على الحجر على توالي فتؤثر فيه ، وذلك القدر من الماء لو صبّ عليه دفعة لم يؤثر ، وقال الباقر (ع) في قوله تعالى : ﴿ولم يصرّوا على ما

---

(١) سورة البقرة : آية ٢٨٣

(٢) في قوله تعالى ﴿انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه﴾ .

(٣) سورة الرعد : آية ٢٥ (٤) الكافي : ج٢ص٢٨٥

(٥) الكافي : ج٢ص٢٨٨

فعلوا وهم يعلمون﴾[1] قال : « الاصرار أن يذنب الذّنب فلا يستغفر ولا يحدث نفسه بتوبة فذلك الاصرار »[2] .

ومنها أن يستصغر الذّنب فان العبد كلّما استعظمه من نفسه صغر عند الله وكلّما استصغره كبر عند الله ، لان استعظامه يصدر عن نفور[3] القلب عنه وكراهيته له وذلك النّفور يمنع من شدة تأثره به واستصغاره يصدر من الالف به وذلك يوجب شدة الاثر في القلب والقلب هو المطلوب تنويره بالطاعات والمحذور تسويده بالسيئآت ، ولذلك لا يؤخذ بما يجري عليه في الغفلة .

قال الصّادق (ع) : « قال رسول الله (ص) : اتقوا المحقرات من الذنوب فانّها لا تغفر قيل : وما المحقرات ؟ قال : الرّجل يذنب الذنب فيقول طوبى لي لو لم يكن غير ذلك »[4] .

وقال (ع) : « إنّ الله يحب العبد أن يطلب إليه في الجرم العظيم ويبغض العبد أن يستخف بالجرم اليسير »[5] .

وقال الكاظم(ع) : « لا تستكثروا كثير الخير ولا تستقلوا قليل الذنوب فان (قليل خ) الذنوب تجتمع حتى تكون كثيراً وخافوا الله في السّر حتى تعطوا من أنفسكم النّصف »[6] .

ومنها السّرور بالصّغيرة والتبجح بها واعتداد التمكن من ذلك نعمة والغفلة عن كونه سبب الشقاوة ، فكلما غلبت حلاوة الصغيرة عند العبد كبرت الصّغيرة وعظم أثرها في تسويد قلبه فان الذنوب مهلكات وإذا دفع العبد إليها وظفر الشيطان به في الحمد عليها فينبغي أن يكون في مصيبة وتأسّف بسبب غلبة العدوّ عليه وبسبب بعده من الله .

ومنها أن يتهاون بستر الله عليه وحلمه عنه وإمهاله إياه ولا يدري أنه إنما يمهل مقتاً ليزداد بالامهال إثما ، فيظن أن تمكّنه من المعاصي عناية من الله به ، فيكون ذلك لأمنه من مكر الله وجهله بمكامن الغرور بالله كما قال الله تعالى : **﴿ويقولون في أنفسهم لولا يعذّبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير﴾**[7] .

ومنها أن يأتي الذّنب ويظهره بأن يذكره بعد إتيانه أو يأتي به في مشهد غيره فان ذلك جناية

---

(١) سورة آل عمران : آية ١٣٥ (٢) الكافي : ج٢ص٢٨٨

(٣) نفر نفورا الظبى وغيره : شردوا بعد المنجد . (٤) الكافي : ج٢ص٢٨٧

(٥) الكافي : ج٢ص٤٢٧ (٦) الكافي : ج٢ص٢٨٧ (٧) سورة المجادلة : آية ٨

منه علي ستر الله الذي أسدله عليه وتحريك لرغبة الشر فيمن أسمعه ذنبه أو أشهده فعله ، فهما جنايتان انضمتا إلى جنايته فتغلّظت به ، فان انضاف إلى ذلك الترغيب للغير فيه والحمل عليه وتهيئة الأسباب له صارت جناية رابعة وتفاحش الأمر ، وهذا لأن من صفات الله سبحانه ونعمه أنه يظهر الجميع ويستر القبيح ولا يهتك السّتر ، فالاظهار كفران لهذه النعمة .

قال الرّضا (ع) : قال رسول الله (ص) : « المستتر بالحسنة يعدل سبعين حسنة والمذيع بالسيئة مخذول ، والمستتر بها مغفور له »[1] .

وقال الصّادق (ع) : « من جاءنا يلتمس الفقه والقرآن وتفسيره فدعوه ، ومن جاءنا يبدي عورة قد سترها الله عليه فنحوه »[2] .

ومنها أن يكون المذنب عالماً يقتدى به فاذا فعله بحيث يرى ذلك منه كبر ذنبه ، كلبس العالم الابريسم والذهب وأخذه مال الشبهة وإطلاق اللسان في الاعراض ونحو ذلك فهذه ذنوب يتبع العلم عليها فيموت ويبقى شرّه مستطيراً في العالم فطوبى لمن إذا مات ماتت معه ذنوبه ، فعلى العالم وظيفتان أحدهما ترك الذنب والاخرى اخفاؤه وكما يتضاعف أوزاره فكذلك يتضاعف ثوابه على الحسنات إذا اتبع .

الفصل السادس
نتائج ارتكاب الذنوب

في الحديث النبويّ (ص) : «ما من يوم طلع فجرها ولا ليلة غاب شفقها إلا وملكان يتجاوبان بأربعة أصوات يقول أحدهما : يا ليت هذا الخلق لم يخلقوا ، ويقول الآخر : يا ليتهم إذ خلقوا علموا لماذا خلقوا ، فيقول الاخر : ويا ليتهم إذ لم يعلموا لماذا خلقوا عملوا بما علموا ، فيقول الآخر : ويا ليتهم إذا لم يعملوا بما علموا تابوا ممّا عملوا »[3] .

وقال أمير المؤمنين (ع) : «لا تبدين عن واضحة[4] وقد عملت الاعمال الفاضحة ، ولا تامنّ البيات[5] وقد عملت السّيئات »[6] .

وقال الباقر (ع) : « إنّ الله قضى قضاء حتماً أن لا ينعم على العبد بنعمة فيسلبها إياه حتى

(١) الكافي : ج٢ص٤٢٨ (٢) امالي : المفيد : ص١٢ والكافي : ج٢ص٤٤٢
(٣) احياء علوم الدين : ج٤ص٤٩ (٤) الواضحة : الاسنان التي تبدو عند الضحك المنجد
(٥) البيات : الاخذ بالمعاصى.م. (٦) الكافي : ج٢ص٢٧٣

يحدث العبد ذنباً يستحق بذلك النقمة »[1].

وقال (ع): « ما من شيء أفسد للقلب من خطيئة، إنّ القلب ليواقع الخطيئة فما تزال به حتّى تغلب عليه فيصير أعلاه أسفله »[2] وقال (ع): « إن العبد ليذنب الذّنب فيزوى عنه الرّزق »[3].

وقال الصّادق (ع): « أما أنه ليس من عرق يضرب ولا نكبة ولا صداع ولا مرض إلا بذنب وذلك قول الله تعالى في كتابه: ﴿ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾[4] قال: وما يعفو الله أكثر مما يؤاخذ به »[5].

وقال (ع): « إنّ الرجل يذنب الذّنب فيحرم صلاة الليل، وإن العمل السيّء أسرع في صاحبه من السّكين في اللحم »[6].

وقال (ع): « يقول الله تعالى: إن أدنى ما أصنع بالعبد إذا آثر شهوته على طاعتي أن احرمه لذيذ مناجاتي »[7].

وقال (ع): « من همّ بسيئة فلا يعملها فانه ربما عمل العبد السيّئة فيراه الرّب تبارك وتعالى فيقول وعزتي لا اغفر لك بعد ذلك أبداً »[8].

وقال الكاظم (ع): « حق على الله أن لا يعصى في دار إلاّ أضحاها للشّمس حتّى تطهرها »[9].

وقال رسول الله (ص): « إنّ العبد ليحبس على ذنب من ذنوبه مأة عام، وأنه لينظر إلى ازواجه في الجنّة يتنعمن »[10].

وعن أمير المؤمنين (ع) أنه قال لقائل بحضرته: استغفر الله ثكلتك امّك أتدري ما الاستغفار، إن الاستغفار درجة العلّيين، وهو اسم واقع على ستة معان: اولها الندم على ما

---

(١) الكافي: ج٢ص٢٧٣ (٢) الكافي: ج٢ص٢٦٨
(٣) الكافي: ج٢ ص٢٧٠ (٤) سورة الشورى: آية ٣٠. (٥) الكافي: ج٢ص٢٦٩ (٦) المحاسن: ص١١٥ والكافي: ج٢ص٢٧٢ (٧) احياء علوم الدين: ج٤ ص٥٢.
(٨) الكافي: ج٢ص٢٧٢ والمحاسن: ص ١١٧
(٩) الكافي: ج٢ص٢٧٢
(١٠) الكافي: ج٢ص٢٧٢

مضى والثاني العزم على ترك العود عليه أبداً والثالث أن تؤدي إلى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى الله أملس[1] ليس عليك تبعة والرابع أن تعمد إلى كلّ فريضة عليك ضيّعتها تؤدي حقها والخامس أن تعمد إلى اللحم الذي نبت على السّحت[2] فتذيب بالأحزان حتّى يلصق الجلد بالعظم وينشأ بينهما لحم جديد السادس ان تذيق الجسم ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية فعند ذلك تقول استغفر الله .

وقال (ع) : «ترك الخطيئة أيسر من طلب التوبة وكم من شهوة ساعة أورثت حزنا طويلا ، والموت فضح[3] الدنيا ولم يترك لذي لبّ فرحاً[4] »[5]

الفصل السابع

فيما يجب أن يفعله التائب

في مصباح الشريعة قال الصّادق (ع) : « التوبة حبل الله ومدد عنايته ولا بدّ للعبد من مداومة التوبة على كلّ حال ، وكل فرقة من العباد لهم توبة ، فتوبة الانبياء من اضطراب السّر ، وتوبة الاولياء من تلويث الخطرات ، وتوبة الاصفياء من التنفيس وتوبة الخاص من الاشتغال بغير الله ، وتوبة العام من الذّنوب .

(١) شيء أملس أي لاخشونة فيه ، نزل حقوق الناس منزلة الخشونة فمن أداها بتمامها فكانما أزالها فصار أملس ولم يبق عليه خشونة .

(٢) سحته واسحته أي استأصله ويسمى الحرام سحتا لانه يعقب عذاب الاستيصال أو لانه يسحت مروة الانسان .

(٣) فضحه فضحاً : كشف مساوئه . المنجد

(٤) ومجمل القول في طريق تحصيل التوبة والعلاج لحل عقدة الاصرار على الذنوب : أن يتذكر ما ورد في فضلها كما مر في المتن ، ويتذكر قبح الذنوب وشدة العقوبة وما ورد في الكتاب والسنة من ذم المذنبين والعاصين ويتأمل في حكايات الانبياء عليهم السلام وما جرى عليهم في الدنيا من المصائب والشدايد بسبب تركهم الأولى كآدم (ع) حيث أخرج من الجنة لأكله الشجر ، ويعقوب (ع) حيث ابتلى بفراق يوسف لقوله لاخوته : انى أخاف ان يأكله الذئب ، ويوسف (ع) حيث لبث في السجن بضع سنين لقوله (ع) للناجي من الفتيين: اذكرني عند ربّك .

وان يعلم ان كلما يصيب العبد في الدنيا من العقوبة والمصايب فانما هو بسبب معصيته وجناياته كمادلت عليه الاخبار الكثيرة المذكور بعضها في المتن ، وان يتذكر ما ورد من العقوبات على آحاد الذنوب كالخمر والزنا والسرقة والقتل والكبر والكذب والحسد واخذ مال الحرام وغير ذلك من آحاد المعاصي ، ثم يتذكر ضعف نفسه وعجزها عن احتمال عذاب الاخرة وعقوبة الدنيا ، ثم يتذكر خساسة الدنياوشرف الاخرة وقرب الموت ولذة المناجاة مع ترك الذنوب ولا يغتر بعدم الاخذ الحالي اذ لعله من الاملاء والاستدراج ،

فمن تأمل في جميع ذلك حق التأمل انبعث نفسه للتوبة البتة ومن لم ينزعج بعد ذلك الى التوبة فهو اما معتوه أو غير معتقد بالمعاد ، فان من ايقن بما بعد الموت شمر مئزر الحذر ، ولم يكن له في الدنيا مستقر . وفقنا الله تعالى لما يحب ويرضى (٥) الكافي : ج٢ص٤٥١

ولكلّ واحد منهم معرفة وعلم في أصل توبته ومنتهى أمره وذلك يطول شرحه ههنا .

فاما توبة العام فان يغسل باطنه من الذّنوب بماء الحسرة والاعتراف بجنايته دائما واعتقاد الندم على ما مضى والخوف على ما بقي من عمره ولا يستصغر ذنوبه فيحمله ذلك إلى الكسل ويديم البكاء والاسف على ما فاته من طاعة الله ويحبس نفسه من الشهوات ، ويستغيث إلى الله ليحفظه على وفاء توبته ويعصمه من العود إلى ما سلف ويروض نفسه في ميدان الجهاد والعبادة ، ويقضي الفوايت من الفرايض ويردّ المظالم ويعتزل قرناء السّوء ويسهر ليله ويظمأ نهاره ، ويتفكر دائما في عاقبته ويستعين بالله سائلا منه «الاستقامة في سرّائه وضرّائه ، ويثبت عند المحن والبلاء كيلا يسقط عن درجة التوابين ، فانّ في ذلك طهارة من ذنوبه وزيادة في عمله ورفعة في درجاته قال الله : ﴿فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين﴾(١) »(٢) .

الباب الثاني
في المحاسبة والمراقبة

قال الله تعالى : ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين﴾(٣) وقال الله تعالى : ﴿ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين ممّا فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلاّ أحصيها ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربّك أحدا﴾(٤) وقال : ﴿يوم يبعثهم الله جميعاً فينبئهم بما عملوا أحصيه الله ونسوه والله على كلّ شيء شهيد﴾(٥) وقال : ﴿يومئذ يصدر النّاس اشتاتاً ليروا أعمالهم فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شرّاً يره﴾(٦) وقال : ﴿يوم تجد كلّ نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تودّ لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً﴾(٧) وقال : ﴿واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه﴾(٨) .

فعرف أرباب البصاير من جملة العباد أن الله تعالى لهم بالمرصاد وأنّهم سيناقشون في الحساب ويطالبون بمثاقيل الذّر من الخطرات واللحظات وتحققوا أنه لا ينجيهم من هذه الأخطار إلا لزوم المحاسبة وصدق المراقبة ومطالبة النفس في الأنفاس والحركات ومحاسبتها في الخطرات واللحظات ، فمن حاسب نفسه قبل أن يحاسب خفّ في القيامة حسابه وحضر عند

---

(١) سورة العنكبوت : آية ٣ (٢) مصباح الشريعة : ص٩٧
(٣) سورة الانبياء : آية ٤٧ (٤) سورة الكهف : آية ٤٩ (٥) سورة المجادلة : آية ٦
(٦) سورة الزلزلة : آية ٦/٨ (٧) سورة آل عمران : آية ٣٠ (٨) سورة البقرة : آية ٢٣٥

السؤال جوابه وحسن منقلبه ومآبه ، ومن لم يحاسب نفسه دامت حسراته وطالت في عرصات القيامة وقفاته وقادته إلى الخزي سيئاته .

وقال الصّادق (ع) : «إذا أراد احدكم أن لا يسأل ربّه شيئاً إلاّ أعطاه فلييأس من النّاس كلهم ولا يكون له رجاء إلاّ من عند الله ، فاذا علم الله ذلك من قلبه لم يسأله شيئاً إلا أعطاه فحاسبوا انفسكم قبل أن تحاسبوا عليها ، فان للقيامة خمسين موقفا كل موقف مقام ألف سنة ثمّ تلا ﴿في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾[١] »[٢] .

فتفريع المحاسبة على الأمر باليأس من النّاس والرّجاء من الله يدل على أن الانسان إنما يرجو الناس من دون الله في عامة أمره وهو غافل عن ذلك وأن عامة المحاسبات إنما ترجع إلى ذلك وذكر الوقوف في مواقف القيامة بعد الأمر بمحاسبة النفس يدل على أن الوقفات هناك إنما تكون للمحاسبات ، فمن حاسب نفسه في الدّنيا يوماً فيوماً لم يحتج إلى تلك الوقفات في ذلك اليوم قال الله تعالى : ﴿ولتنظر نفس ما قدّمت لغد﴾[٣] .

وورد في الخبر ينبغي أن يكون للعاقل أربع ساعات[٤] ساعة يحاسب فيها نفسه ، وفي مصباح الشريعة قال الصّادق (ع) : «لو لم يكن للحساب مهولة « مهول خ » إلا حياء العرض على الله تعالى وفضيحة هتك السّتر على المخفيات لحقّ للمرء أن لا يهبط من رؤوس الجبال ولا يأوي إلى عمران ولا يشرب ولا ينام إلا عن اضطرار متّصل بالتّلف ومثل ذلك يفعل من يرى القيامة بأهوالها وشدايدها قائمة في كلّ نفس ويعاين بالقلب الوقوف بين يدي الجبار حينئذ يأخذ نفسه بالمحاسبة كانه إلى عرصاتها مدعوّ وفي غمراتها مسؤول، قال الله تعالى : ﴿وإن كان مثقال حبّة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين﴾[٥]»[٦] .

الفصل الأول
معنى المحاسبة

معنى المحاسبة أن يطالب نفسه أولا بالفرايض التي هي بمنزلة رأس ماله فان أدتها على وجهها شكر الله تعالى عليه ورغبها في مثلها ، فان فوتتها من أصلها طالبها بالقضاء ، فانّ أدّتها ناقصة كلفها الجبران بالنوافل ، وإن ارتكبت معصية اشتغل بعتابها وتعذيبها ومعاقبتها واستوفى

١) سورة المعارج : آية ٤ (٢) الكافي : ج٨ ص١٤٣ (٣) سورة الحشر : آية ١٨
٤) ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه ، وساعة يتفكر في صنع الله ، وساعة للمطعم والمشرب .
٥) سورة الانبياء : آية ٤٧ (٦) مصباح الشريعة : ص٨٥

منها ما يتدارك به ما فرط كما يصنع التاجر بشريكه ، كما انه يفتّش في حساب الدّنيا من الحبّة والقيراط فيحفظ مداخل الزيادة والنقصان حتّى لا يغبن في شيء منها .

فينبغي أن يتقي غايلة النفس ومكرها فانها خدّاعة ملبسة مكارة فليطالبها أولا بتصحيح الجواب عن جميع ما تكلم به طول نهاره وليتكفّل بنفسه من الحساب ما سيتولاه غيره في صعيد القيامة وهكذا عن نظره بل عن خواطره وأفكاره وقيامه وقعوده وأكله وشربه ونومه حتى عن سكوته لمَ سكت وعن سكونه لمَ سكن .

فاذا عرف مجموع الواجب على النفس وصح عنده قدر ما أدّى الحق منه كان ذلك القدر محسوباً له فيظهر له الباقي عليه فليثبته عليها وليكتب على صحيفة قلبه كما يكتب الباقي الذي على شريكه على قلبه وعلى جريدته .

ثم النفس غريم يمكن أن يستوفي منه الدّيون اما بعضها فبالغرامة والضمان وبعضها برد عينه وبعضها بالعقوبة له على ذلك ولا يمكن شيء من ذلك إلا بعد تحقيق الحساب وتمييز الباقي من الحق الواجب عليه فاذا حصل ذلك اشتغل بعده بالمطالبة والاستيفاء .

قال الكاظم (ع) : « ليس منّا من لم يحاسب نفسه في كل يوم فان عمل حسنة استزاد الله وإن عمل سيّئة استغفر الله منها وتاب إليه »[١] .

وقال الباقر (ع) : « لا يغرّنك النّاس من نفسك فان الأمر يصل إليك دونهم ولا يقطع نهارك بكذا وكذا فان معك من يحفظ عليك عملك فاحسن فاني لم أر شيئاً أحسن دركا ولا أسرع طلبا من حسنة محدثة لذنب قديم »[٢] .

وقال الصادق (ع) : « إن رجلا أتى النبي (ص) فقال له : يا رسول الله اوصني ، فقال له رسول الله (ص) : فهل أنت مستوص إن أنا اوصيتك حتى قال له ذلك ثلاثا وفي كلها يقول له الرجل : نعم يا رسول الله فقال له رسول الله (ص) : فاني اوصيتك إذا أنت هممت بأمر فتدبّر عاقبته فان يك رشداً فامضه وإن يك غيّاً فانته عنه »[٣] ، فهذه الوصيّة من محاسبة النفس بل هي رأسها .

---

(١) الكافي : ص٢ ص٤٥٣ والاحتصاص : ص٢٦ محاسبة النفس ابن طاووس ص٢٠ ط دار الحوراء
(٢) الكافي : ج٢ص٤٥٤ (٣) الكافي : ج٨ ص١٥٠

الفصل الثاني

مراقبة العبد لنفسه

ينبغي للعبد أن يراقب نفسه عند الخوض في الأعمال ويلاحظها بالعين الكالية فانها إن تركت طغت وفسدت ، ثم يراقب الله في كل حركة وسكون ، وذلك بأن يعلم بأن الله مطلع على الضمائر عالم بالسراير رقيب على أعمال العباد قائم على كل نفس بما كسبت وأن سرّ القلب في حقه مكشوف كما أن ظاهر البشرة للخلق مكشوف بل أشد من ذلك قال الله تعالى : ﴿الم يعلم بأن الله يرى﴾(١) وقال الله تعالى : ﴿إن الله كان عليكم رقيباً﴾(٢) .

وقال النبي (ص) : « الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك »(٣) وحكي إن زليخا لما خلت بيوسف فقامت فغطت وجه صنمها فقال يوسف : ما لك أتستحيين من مراقبة جماد ولااستحيي من مراقبة الملك الجبار(٤) .

وفي الحديث القدسي «إنما يسكن جنات عدن الذين إذا همّوا بالمعاصي ذكروا عظمتي فراقبوني والذين انحنت اصلابهم من خشيتي وعزّتي وجلالي إنّي لاهّم بعذاب أهل الارض فاذا نظرت إلى أهل الجوع والعطش من مخافتي صرفت عنهم العذاب »(٥) .

فهذه المعرفة إذا صارت يقينا يعني أنها إذا خلت من الشكّ ثم استولت بعد ذلك على القلب استجرت القلب وقهرته على مراعاة جانب الرّقيب وصرفت الهمة إليه .

والموقنون بهذه المعرفة مراقبتهم على درجتين احداهما مراقبة المقربين ، وهي مراقبة التعظيم والاجلال ، وهي أن يصير القلب مستغرقا بملاحظة ذلك الجلال ومنكسراً تحت الهيبة فلا يبقى فيه متّسع للالتفات إلى الغير ، وهذا هو الذي صار همّه همّاً واحدا وكفاه الله ساير الهموم والثانية مراقبة الورعين من أصحاب اليمين ، وهم قوم غلب يقين اطلاع الله على ظواهرهم وبواطنهم ولكن لم يدهشهم ملاحظة الجمال والجلال بل بقيت قلوبهم على حدّ الاعتدال متسعة للتلفت(٦) إلى الأحوال والأعمال والمراقبة فيها وغلب عليهم الحياء من الله فلا

---

(١) سورة العلق : آية ١٤ (٢) سورة النساء : آية ١ (٣) احياء علوم الدين : ج٤ص٣٦٣

(٤) وحكي عن بعض الاحداث انه راود جارية عن نفسها ليلا فقالت ألا تستحيي ؟ فقال : ممن استحيي وما يرانا الا الكواكب ، فقالت : وأين مكوكبها ؟ .

(٥) المحجة ج٨ ص١٥٩ .

(٦) قوله تعالى ﴿تلفتنا عن آلهتنا ﴾ أي تصرفنا عنها من قولهم لفت وجهه لفتا صرفه الى ذات اليمين أو الشمال . م .

يقدمون ولا يحجمون[1] إلا بعد التثبت ويمتنعون من كل ما يفتضحون به في القيامة ، فانهم يرون الله مطلعاً عليهم فلا يحتاجون إلى انتظار القيامة .

فانّ العبد لا يخلو اما أن يكون في طاعة أو معصية أو مباح فمراقبته في الطاعة بالاخلاص ، والاكمال ومراعاة الأدب وحراستها عن الآفات ، ومراقبته في المعصية بالتوبة والنّدم والاقلاع والحياء والاشتغال بالتكفير ، ومراقبته في المباح بمراعاة الأدب بأن يقعد مستقبل القبلة وينام على اليد اليمنى مستقبلا إلى غير ذلك .

فكل ذلك داخل في المراقبة وبشهود المنعم في النعمة وبالشكر عليها وبالصبر على البلاء فان لكل ذلك حدوداً لا بدّ من مراعاتها بدوام المراقبة ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه[2] .

الباب الثالث
في التفكر والتدبّر

قال الله تعالى : ﴿ويتفكرون في خلق السّماوات والارض ربّنا ما خلقت هذا باطلا﴾[3] وقال : ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾[4] وقال النبي (ص) :

---

(١) اجحم عن الشيء كفت عنه ، مثل أحجم . م .

(٢) وحاصل الكلام في المحاسبة والمراقبة : أن يعلم أن العقل بمنزلة تاجر في طريق الاخرة والنفس شريكه فكما ان التاجر يشارط شريكه اولا ؛ ويراقبه ثانيا ، فان قصر في التجارة بالخيانة والخسران يعاتبه ويعاقبه رابعاً ويأخذ منه الغرامة كذلك العقل يحتاج في مشاركة النفس الى هذه الاعمال

فأولها المشارطة وهي ان يشارط النفس وياخذ منها العهد والميثاق في كل يوم وليلة أن لا يرتكب المعاصي ولا يصدر منها شيء يوجب سخط الله ولا يقصر في شيء من الطاعات الواجبة .

وثانيها المراقبة وهو أن يراقب نفسه عند الخوض في الاعمال فيلاحظها بالعين الكالئة ، ثم يراقب الله في كل حركة وسكون فانه تعالى كما قيل :

شهيد علينا من رجونا شهوده   رقيب علينا من بغونا وفوده

وثالثها المحاسبة وهي أن يطالب النفس ويحاسبها في آخر النهار على جميع حركاتها وسكناتها كما يفعل التجار في آخر كل سنة مع الشركاء .

ورابعها المعاتبة والمعاقبة فانه اذا حاسب نفسه فوجدها خائنة في الاعمال مرتكبة للمعاصي مقصرة في حقوق الله فلا ينبغي ان يهملها بل اللازم حينئذ أن يعاتبها ويعاقبها ويكلفها الطاعات الشاقة ويلزمها الرياضات الشديدة اذ لو اهملها سهل عليه مقارفة المعاصي وأنس بها بحيث يعسر بعد ذلك فطامها عنها ، فهذا ملخص الكلام في هذا الباب والمصنف « قد » في المحجة وكذا الغزالي في الاحياء جعلها ستة فجعل الرابعة المعاقبة ، ثم المجاهدة ، ثم المعاتبة ، والله الموفق والمعين.

(٣) سورة آل عمران : آية ١٩١ (٤) سورة محمد : آية ٢٤

« تفكر ساعة خير من عبادة سنة »[1] وقال أمير المؤمنين (ع) : «التفكر يدعو إلى البر والعمل به »[2] وقال (ع) : « نبه بالتفكر قلبك وجاف عن الليل جنبك واتق الله ربّك »[3]، وقال الصادق (ع) : « أفضل العبادة إدمان التفكر في الله وفي قدرته »[4] .

ليس المراد بالتفكر في الله التفكر في ذاته سبحانه فانه ممنوع منه لأنه يورث الحيرة والدّهش واضطراب العقل ، بل المراد منه النظر إلى أفعاله وعجايب صنعه وبدايع أمره في خلقه فانها تدلّ على جلاله وكبريائه وتقدّسه وتعاليه ، وتدل على كمال علمه وحكمته وعلى نفاذ مشيّته وقدرته وإحاطته بالأشياء ومعيته لها .

وهذا تفكر اولي الألباب قال الله تعالى : ﴿إن في خلق السموات والأرض واختلاف اللّيل والنهار لآيات لأولي الألباب ، الذين يذكرون الله قياما وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السّموات والأرض ربّنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النّار﴾[5] وقال تعالى : ﴿ومن آياته﴾[6] في مواضع كثيرة ، فتلك الآيات مجاري التفكر في الله وفي قدرته لاولي العلم لا ذاته سبحانه .

وفي الحديث المشهور عن النّبي (ص) أنه قال : «تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله فانكم لم تقدروا قدره »[7] وقال الباقر (ع) : « إياكم والتفكر في الله ولكن إذا أردتم أن تنظروا إلى عظمته فانظروا إلى عظم خلقه »[8] وقال الصادق (ع) : « من نظر في الله كيف هو هلك »[9] .

وأما التفكر الذي يدعو إلى البر والعمل فهو أعم من هذا ، فانّه يشمل التفكر في الحسنات والسيئات فانّ العبد إذا تفكر فى حسناته هل هي تامّة أو ناقصة موافقة للسّنة أو مخالفة لها خالصة عن الشّرك والشك أو مشوبة بهما ، يدعوه لا محالة هذا التفكر إلى إصلاحها وتدارك ما فيها من الخلل .

وكذا إذا تفكر في سيئآته وما يترتّب عليها من العقوبات والبعد عن الله ، يدعوه ذلك إلى الانتهاء عنها وتدارك ما أتى بها بالتوبة والنّدم .

---

(١) احياء علوم الدين : ج٤ ص٣٨٦ ومصباح الشريعة : ص١١٤ والعوالي : ج٢ص٥٧
(٢) الكافي : ج٢ص٥٥ (٣) الكافي : ج٢ص٥٤ (٤) الكافي : ج٢ص٥٥
(٥) سورة ال عمران : آية ١٩٠/١٩١ (٦) سورة الروم : آية ٢٠ (٧) تنبيه الخواطر : ج١ ص ٢٥٠ . وإحياء علوم
(٨) الدين : ج ٤ ص ٣٨٦ (٩) التوحيد : ص٤٥٨ (١٠) التوحيد : ص٤٦٠

وإذا تفكر في صفات الله تعالى وأفعاله من لطفه بعباده واحسانه إليهم بسوابغ النعماء وبسطه الآلاء والتكليف دون الطاقة والوعد لعمل قليل بثواب جزيل وتسخيره له ما في السماوات والارض وما بينهما إلى غير ذلك يدعوه ذلك لا محالة إلى البرّ والعمل به والرغبة في الطاعات والانتهاء عن المعاصي .

وهذا تفكر المتوسّطين وإليه الاشارة بقول الرضا (ع) : « ليس العبادة كثرة الصّلاة والصّوم إنما العبادة التفكر في امر الله »(١) وسئل الصادق (ع) « عما يروي الناس أن تفكر ساعة خير من قيام ليلة كيف نتفكر ؟ قال : تمر بالخربة مرة أو بالدار فتقول : أين ساكنوك ؟ أين بانوك ؟ ما لك لا تتكلمين »(٢) .

وهذا التفكر المفسّر به الحديث النبوي (ص) دون الأولين في الفضل ، ولعل الحديث النبوي أعم منه وإنما فسره الصادق (ع) على قدر مرتبة المخاطب ، فان تفكر كلّ أحد إنما يكون بحسب فهمه ورتبته ، وقد أوردنا مجاري التفكر بتفاصيلها في كتابنا الموسوم بعلم اليقين من أرادها رجع إليها(٣) .

الفصل الأول
الاتعاظ بما مضى من الدنيا

في مصباح الشريعة قال الصادق (ع) : «اعتبروا بما مضى من الدنيا هل يبقى على أحد وهل فيها باق من الشريف والوضيع والغني والفقير والولي والعدّو ؟ وكذلك ما لم يأت منها بما مضى أشبه من الماء بالماء ، وقال رسول الله (ص) : كفى بالموت واعظا ، وبالعقل دليلا ، وبالتقوى زاداً ، وبالعبادة شغلا ، وبالله مونساً ، وبالقرآن بياناً قال (ص) : لم يبق من الدنيا

---

(١) الكافي : ج٢ص٥٥ وتحف العقول ص٣٢٥ (٢) الكافي : ج٢ص٥٤

(٣) ومن مجاري التفكر قول النبي (ص) كما في المحجة والاحياء : ان روح القدس نفث في روعي : أحبب ما « من خ » احببت فانك مفارقه ، وعش ما شئت فانك ميت ، واعمل ما شئت فانك مجزى به

فان هذه الكلمات جامعة حكم الاولين والاخرين ، وهي كافية للمتأملين فيها طول العمر ، اذ لو وقفوا على معانيها وغلبت على قلوبهم غلبة يقين لاستغرقتهم ولحالت بينهم وبين التلفت الى الدنيا بالكلية « اقول » :

ومن مجاري التفكر أيضاً قول الشاعر :

روزها فكر من اينست همه شب سخنم — كه جرا غافل از أحوال دل خويشتنم
از كجا آمده ام آمدنم بهرجه بود — بكجا ميروم آخر ننمائى وطنم
مرغ باغ ملكوتم نيم از عالم خاك — دوسه روزى قفسى ساخته اند از بدنم
من بخود نا مدم اينجاكه بخود بازروم — آنكه آورد مرا باز برد بر وطنم

إلا بلاء وفتنة وما نجا من نجا إلاّ بصدق الالتجاء وقال نوح (ع) : وجدت الدنيا كبيت له بابان دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر .

هذا حال صفي الله فكيف حال من اطمأنّ فيها وركن اليها وأضاع عمره في عمارتها وفرق دينه في طلبها والفكرة مرآة الحسنات وكفارة السيئات وضياء للقلوب وفسحة[1] للخلق وإصابة في صلاح المعاد واطلاع على العواقب واستزادة في العلم ، وهي خصلة لا يعبد الله بمثلها ، قال رسول الله (ص) : فكرة ساعة خير من عبادة سنة ولا ينال منزلة التفكر إلاّ من خصّه الله بنور التوحيد والمعرفة »[2] .

الفصل الثاني
معرفة الله بالقلب

قال الصّادق (ع) : « ابن آدم لو اكل قلبك طاير لم يشبعه ، وبصرك لو وضع عليه خرق ابرة لغطاه ، تريد أن تعرف بهما ملكوت السّماوات والأرض ، إن كنت صادقا فهذه الشمس خلق من خلق الله فان قدرت أن تملأ عينك منها فهو كما تقول »[3] .

أراد (ع) بالقلب : اللحم الصنوبري المعروف ، ولهذا جعله مأكولا وظاهر أنه لا يصح أن يعرف به ملكوت السّماوات والأرض كما لا يصح أن يعرف بالبصر لأنهما من عالم الملك فكيف يعرف بهما الملكوت ، فالخطاب خاص بمن لا يتجاوز درجة الحسّ والمحسوس من أفراد بني آدم المشار اليهم بقوله تعالى : لهم قلوب لا يفقهون بها ، فأما من جاوزها منهم وبلغ إلى درجة العقل والمعقول وهم أصحاب القلوب الملكوتية المشار إليهم بقوله تعالى : **﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب﴾**[4]، فلهم أن يعرفوا بقلوبهم ملكوت السماوات والأرض ، لأن قلوبهم من الملكوت ، ولهذا حث الله تعالى على النظر في الملكوت في غير موضع من كتابه .

قال تعالى : **﴿أولم ينظروا في ملكوت السّماوات والأرض وما خلق الله من شيء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأي حديث بعده يؤمنون﴾**[5] وقال تعالى : **﴿وكذلك نري إبراهيم ملكوت السّماوات والأرض وليكون من الموقنين﴾**[6] إلى غير ذلك من الآيات بلى إن

---

(١) الفسحة بالضم : السعة وفي الحديث : لا يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً . ومعناه : لا يزال المؤمن في سعة من دينه يرجى له الرحمة ولو باشر الكبابر سوى القتل فاذا قتل آيس من رحمته ، وهو تغليظ شديد ، وقيل معناه أنه : لا يزال موفقاً للخيرات ما لم يصبه فإذا أصابه انقطع عنه التوفيق بشومة . م .

(٢) مصباح الشريعة ١١٣ (٣) التوحيد : ص٤٥٥ (٤) سورة ق : الآية ٣٧

(٥) سورة الاعراف : آية ١٨٥ (٦) سورة الانعام : آية ٧٥

ذاته تعالى لا يجوز أن يكتنه بالقلب كما لا يجوز أن يدرك بالبصر بل إنما يجوز أن يطلع بالقلب على شيء من عظمته فحسب .

الباب الرابع
في ذكر الموت وقصر الأمل

قال الله تعالى : ﴿كلّ نفس ذائقة الموت وانّما توفون اجوركم يوم القيامة فمن زحزح[1] عن النار وادخل الجنة فقد فاز وما الحيوة الدّنيا إلاّ متاع الغرور﴾[2] .

وقال النّبي (ص) : « اكثروا ذكر هادم اللذات ، قيل : وما هو يا رسول الله ؟ قال : الموت فما ذكره عبد على الحقيقة في سعة إلا ضاقت عليه الدّنيا ، وفي شدة إلا اتّسعت عليه »[3] وقال (ص) : « الموت كفارة لكلّ مسلم »[4] وقال (ص) : « تحفة المؤمن الموت »[5] وقال (ص) : « الموت الموت ألا ولا بدّ من الموت جاء الموت بما فيه جاء بالرّوح والرّاحة والكرة المباركة إلى جنة عالية لأهل دار الخلود الذين كان لها سعيهم وفيها رغبتهم »[6] وقال (ص) : « إذا استحقت ولاية الله والسعادة جاء الأجل بين العينين وذهب الامل وراء الظهر ، وإذا استحقت ولاية الشيطان والشقاوة جاء الامل بين العينين وذهب الأجل وراء الظهر ، وسئل أي المؤمنين أكيس ؟ فقال : أكثرهم ذكراً للموت وأشدهم له استعداداً[7] »[8] .

وقال أمير المؤمنين (ع) : « ما انزل الموت حقّ منزلته من عدّ غداً من أجله »[9] وقال (ع) : « ما أطال عبد الأمل إلا أساء العمل ، وكان يقول لو رأى العبد أجله وسرعته إليه لأبغض العمل من طلب الدّنيا »[10] .

وقيل للباقر (ع) : « حدثني ما انتفع به قال : أكثر ذكر الموت فانه لم يكثر ذكره إنسان إلا

---

(١) أى نحي وبعد عنها يقال : زحه يزحه : دفعه وتزحزح عن محله : تنحى م .
(٢) سورة آل عمران : آية ١٨٥ (٣) مصباح الشريعة : ص١٧١ وتنبيه الخواطر : ج١ص٢٦٨
(٤) احياء علوم الدين : ج٤ص٤٠٩ وتنبيه الخواطر : ج١ ص٢٦٨
(٥) احياء علوم الدين : ج٤ص٤٠٩ والدعوات للراوندي ص٢٣٤
(٦) الكافي : ج٣ ص٢٥٧
(٧) قيل لامير المؤمنين (ع) : ما الاستعداد للموت ؟ قال : أداء الفرايض ، واجتناب المحارم ؛ والاشتمال على المكارم ثم لا يبالي أوقع على الموت أم وقع الموت عليه .
(٨) الكافي : ج٣ ص٢٥٨ (٩) الكافي : ج٣ ص٢٥٩ (١٠) الكافي : ج٣ ص٢٥٩

زهد في الدنيا»[1]

وقال الصّادق (ع) : « إذا أنت حملت جنازة فكن كأنك المحمول وكأنك سألت ربّك الرّجوع إلى الدنيا ففعل فانظر ماذا تستأنف ، ثم قال : عجبا لقوم حبس أولهم عن آخرهم ثم نودي فيهم بالرّحيل وهم يلعبون »[2] وقال (ع) : « ما خلق الله يقيناً لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من الموت »[3]

وفي مصباح الشريعة قال الصّادق (ع) : « ذكر الموت يميت الشهوات في النّفس ويقلع منابت الغفلة ويقوي القلب بمواعد الله ويرق الطبع ويكسر أعلام الهوى ويطفي نار الحرص ويحقر الدّنيا ، وهو معنى ما قال النبيّ (ص) فكر ساعة خير من عبادة سنة وذلك عندما يحلّ اطناب خيام الدنيا ويشدها في الآخرة ولا تشكنّ نزول الرّحمة على ذاكر الموت بهذه الصّفة ومن لا يعتبر بالموت وقلة حيلته وكثرة عجزه وطول مقامه في القبر وتحيّره في القيامة فلا خير فيه قال النبيّ (ص) «أكثروا ذكر هادم اللذات »ثمّ ذكر تمام الحديث كما مرّ .

قال والموت أول منزل من منازل الاخرة وأخر منزل من منازل الدّنيا ، فطوبى لمن أكرم عند النّزول بأولها وطوبى لمن أحسن مشايعته في آخرها ، والموت أقرب الأشياء من بني آدم وهو يعدّه أبعد فما أجرى الانسان على نفسه وما أضعفه من خلق ، وفي الموت نجاة المخلصين وهلاك المجرمين لذلك اشتاق من اشتاق وكره من كره ، قال النّبي (ص) : «من أحبّ لقاء الله أحبّ الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه ».[4]

الفصل الاول

انواع الناس

اعلم أن النّاس إمّا منهمك في الدّنيا مكبّ على غرورها محبّ لشهواتها ، وإما تائب مبتدي أو عارف منته .

أما المنهمك فلا يذكر الموت وإن ذكره فيذكر ليتأسّف على دنياه ويشتغل بمذمّته ويفرّ منه اولئك الذين قال الله تعالى فيهم : ﴿قل إنّ الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون﴾[5] وهذا يزيده ذكر الموت من الله بعداً إلا ان

(١) الكافي : ج٣ ص٢٥٥ (٢) الكافي : ج٣ ص٢٥٨

(٣) فلاح السائل : ص٦٢ وتحف العقول ص٢٦٨

(٤) مصباح الشريعة : ص١٧١ (٥) سورة الجمعة : آية ٨

يستفيد بذكر الموت التجافي عن الدنيا ويتنغص عليه نعيمه ويتكدر عليه صفو لذّته .

وأمّا التائب فانه يكثر ذكر الموت لينبعث به من قلبه الخوف والخشية فيفي بتمام التوبة[1] وربما يكره الموت خيفة من أن يختطفه قبل تمام التوبة وقبل إصلاح الزاد وهو معذور في كراهة الموت ، ولا يدخل هذا تحت قوله (ع) : « من كره لقاء الله كره الله لقاءه »[2] لأن هذا ليس يكره الموت ولقاء الله ، وإنّما يخاف فوت لقائه لقصوره وتقصيره وهو كالذي يتأخر عن لقاء الحبيب مشتغلاً بالاستعداد للقائه على وجه يرضاه فلا يعدّ كارهاً للقاء ، وعلامة هذا أن يكون دائم الاستعداد له لا شغل له سواه ، وإلا أُلحق بالمنهمك في الدّنيا .

وأما العارف فانه يذكر الموت دائماً لأنه موعد للقاء حبيبه ، والمحبّ لا ينسى قط موعد لقاء الحبيب وهذا في غالب الامر يستبطي مجيء الموت ويحب مجيئه ليتخلص من دار العاصين وينتقل إلى جوار ربّ العالمين ، وأعلى رتبة منهما من يفوض أمره إلى الله فصار لا يختار لنفسه موتاً ولا حياتاً بل يكون أحبّ الاشياء إليه أحبها إلى مولاه[3] فهذا قد انتهى بفرط الحب والولاء إلى درجة التسليم والرّضاء .

الفصل الثاني
فوائد ذكر الموت

اعلم أن الموت هائل وخطره عظيم وغفلة الناس لقلة فكرُهم فيه وذكرهم له ومن يذكره ليس يذكره بقلب فارغ بل بقلب مشغول بشهوات الدنيا فلا ينجع[4] ذكر الموت في قلبه فالطريق فيه أن يفرغ العبد قلبه عن كلّ شيء إلاّ عن ذكر الموت الذي بين يديه كالذي يريد أن يسافر إلى مفازة مخطرة أو يركب البحر فانّه لا يتفكر إلا فيه فاذا باشر ذكر الموت قلبه فيوشك أن يؤثر فيه

---

(١) قيل لزين العابدين (ع) : ما خير ما يموت عليه العبد ؟ قال : أن يكون قد فرغ من أبنيته ودوره وقصوره قيل : وكيف ذلك ؟ قال : أن يكون من ذنوبه تائباً ، وعلى الخيرات مقيما يرد على الله حبيباً كريماً .

(٢) احياء علوم الدين : ج٤ص٤٠٩ ومصباح الشريعة ص١٧٢

(٣) ولنعم ما قيل :

يكى درد ويكى درمان بسندد	يكى وصل ويكى هجران بسندد
من ازدرمان ودردو وصل وهجران	بسندم آنجه را جانان بسندد

(٤) نجع فيه الامر والخطاب والوعظ : اذا اثر فيه ونفع . ومنه حديث علي (ع) : فانجعوا لما يحق لكم من السمع والطاعة . م .

وعند ذلك يقل فرحه وسروره بالدنيا وينكسر قلبه[1] .

وأوقع طريق فيه أن يكثر ذكر أقرانه الذين مضوا قبله فيتذكر موتهم ومصرعهم تحت التراب ويتذكر صورهم في مناصبهم وأحوالهم ، وكيف تبددت أجزاؤهم في قبورهم وكيف ارملوا نساءهم وايتموا أولادهم وضيّعوا أموالهم وخلت منهم مساجدهم ومجالسهم ، وانقطعت آثارهم واوحشت ديارهم .

فمهما تذكر رجلاً رجلا وفصل في قلبه حاله وكيفية حياته وتوهم صورته وتذكر نشاطه وتردّده وأمله في العيش والبقاء ونسيانه للموت وانخداعه بمواتاة[2] الاسباب وركونه إلى القوة والشباب وميله إلى الضحك واللهو وغفلته عمّا بين يديه من الموت الذّريع[3] والهلاك السّريع ، فانّه كيف كان يتردّد والان قد تهدّمت رجلاه ومفاصله ، وكيف كان ينطق وقد أكل الدّود لسانه ، وكيف كان يضحك وقد أكل التراب أسنانه وأنّه كيف كان يدبّر لنفسه ما لا يحتاج إليه إلى عشر سنين في وقت لم يكن بينه وبين الموت إلاّ شهر وهو غافل عمّا يراد به حتى جاء الموت في وقت لا يحتسب فانكشفت له صورة ملك الموت وقرع سمعه النّداء إمّا بالجنّة أو بالنّار .

فعند ذلك ينظر في نفسه أنّه مثلهم وغفلته كغفلتهم والسّعيد من وعظ بغيره فملازمة هذه الأفكار وأمثالها مع دخول المقابر ومشاهدة المرضى هو الذي يجددّ ذكر الموت في القلب حتى يغلب عليه بحيث يصير الموت نصب عينيه .

فعند ذلك يوشك أن يستعد له ويتجافى عن دار الغرور وإلا فالذكر بظاهر القلب وعذبة اللسان قليل الجدوى في التحذير والتنبيه ، ومهما طاب قلبه بشيء من الدنيا فينبغي أن يتذكر في الحال أنه لا بدّ من مفارقته .

الفصل الثالث
فوائد قصر الأمل

وأما قصر الأمل فقد قال النبيّ (ص) : « إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء ، وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصّباح ، وخذ من دنياك لأخرتك ومن حياتك لموتك ومن صحتك

---

(١) وروى أنه لما حضرت الحسن بن علي (ع) الوفاة بكى بكاء شديداً وقال : اني اقدم على أمر عظيم وهول لم أقدم على مثله قط .

(٢) المواتاة : حسن المطاوعة والموافقة أصله الهمزة وخفف وكثر حتى صار يقال بالواو الخالصة . م .

(٣) موت ذريع أي فاش أو سريع . المنجد .

لسقمك فانك لا تدري ما اسمك غدا »[1] .

وقال (ص) : « إن اشد ما أخاف عليكم خصلتان اتباع الهوى وطول الأمل فأمّا اتباع الهوى فانه يعدل عن الحق وأمّا طول الأمل فانه يحبب الدنيا ثم قال : إن الله يعطي الدّنيا من يحب ومن يبغض وإذا أحب الله عبداً أعطاه الايمان ، إلا ان للدين أبناء وللدنيا أبناء فكونوا من أبناء الدين ولا تكونوا من أبناء الدّنيا ، ألا ان الدنيا قد ارتحلت مولية ألا إن الاخرة قد أتت مقبلة ، ألا وإنكم في يوم عمل ليس فيه حساب ، ألا وإنكم يوشك أن تكونوا في يوم حساب ليس فيه عمل »[2] .

وروي أنّه (ص) : « قد اطلع ذات عشية إلى الناس فقال أيها النّاس أما تستحيون من الله تعالى ؟ قالوا : وما ذاك يا رسول الله ؟ فقال : تجمعون مالا تأكلون ، وتأملون مالا تدركون ، وتبنون ما لا تسكنون »[3] .

وروي أن اسامة بن زيد اشترى من زيد بن ثابت وليدة بمأة دينار إلى شهر فقال النبي (ص) : « ألا تعجبون من اسامة المشتري إلى شهر إن اسامة لطويل الامل والذي نفسي بيده ما طرفت[4] عيناي إلّا ظننت أن شفري[5] لا يلتقيان حتّى يقبض الله روحي ، ولا رفعت طرفي فظننت أني واضعه حتى اقبض ، ولا لقمت لقمة إلا ظننت أني لا أسيغها حتى اغصّ بها من الموت ، ثمّ قال يا بني آدم إن كنتم تعقلون فعدّوا أنفسكم من الموتى ، والذي نفسي بيده ﴿إن ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين﴾[6] »[7]

الفصل الرابع
اسباب طول الأمل

اعلم ان طول الامل له سببان : أحدهما الجهل ، والاخر حب الدّنيا ، أما حب الدّنيا فهو أنه إذا انس بها وبشهواتها ولذاتها وعلايقها ثقلت على قلبه مفارقتها ، فامتنع قلبه عن الفكر في الموت الذي هو سبب مفارقتها ، وكلّ من كره شيئاً دفعه عن نفسه والانسان مشغوف بالاماني الباطلة فيمنّي نفسه أبداً ما يوافق مراده ، وإنما يوافق مراده البقاء في الدّنيا فلا يزال يتوهّمه ويقرّره في نفسه ويقدر توابع البقاء وما يحتاج إليه من مال وأهل ودار وأصدقاء ودواب وساير أسباب الدنيا فيصير قلبه عاكفا[8] على هذا الفكر موقوفاً عليه فيلهو عن ذكر الموت ، ولا يقدر قربه .

---

(١) و(٢) و(٣) تنبيه الخواطر : ج١ ص٢٧١ وإحياء علوم الدين : ج٤ ص٤١٢ .

(٤) طرف بصره او طرف بعينه : اطبق احد جفنيه على الاخر ومنه الدعاء لا تكلني الى نفسي طرفة عين . م .

(٥) الشفر والشفر جمع اشفار : اصل منبت شعر الجفن . المنجد (٦) سورة الانعام : آية ١٣٤

(٧) تنبيه الخواطر : ج١ ص٢٧١ واحياء علدم الدين : ج٤ص٤١٢ (٨) عكف على الامر : لزمه مواظباً . المنجد .

فان خطر له في بعض الاحوال أمر الموت والحاجة إلى الاستعداد له سوّف ووعد نفسه وقال الايام بين يديك فالى أن تكبر ثم تتوب وإذا كبر فيقول إلى أن تصير شيخاً ، وإذا صار شيخا قال : إلى أن تفرغ من بناء هذه الدّار وعمارة هذه الضيعة أو ترجع من هذا السّفر أو تفرغ من تدبير هذا الولد وجهازه وتدبير مسكن له ، أو تفرغ عن قهر هذا العدو الذي يشمت بك .

ولا يزال يسوّف ويؤخر ولا يخوض في شغل إلا ويتعلّق باتمامه ذلك الشغل عدة أشغال اخر وهكذا على التّدريج يؤخّر يوما بعد يوم ويفضى به شغل إلى شغل بل إلى أشغال إلى أن تختطفه المنية في وقت لا يحتسبها فيطول عند ذلك حسرته .

وأكثر أهل النّار صياحهم من سوف يقولون ، واحزناه من سوف ، والمسوف المسكين لا يدري إن الذي يدعوه إلى التسويف اليوم هو معه غداً ، وإنما يزداد بطول المدّة قوّة ورسوخا ، ويظن أنّه يتصور أن يكون للخائض في الدّنيا والحافظ لها فراغ قط وهيهات ما فرغ منها إلاّ من أطرحها .

فما قضى أحد منها لبانته[1] وما انتهى ارب إلا إلى ارب

وأصل هذه الاماني كلّها حبّ الدنيا والانس بها والغفلة عن قوله (ع) : «احبب ما احببت فانك مفارقه»[2] .

وامّا الجهل فهو ان الانسان قد يعوّل على شبابه فيستبعد قرب الموت مع الشباب وليس يتفكر المسكين في ان مشايخ بلده لو عدوّا لكانوا اقل من عشر اهل البلد وإنما قلوا لأن الموت في الشبان أكثر ، وإلى أن يموت شيخ يموت ألف صبيّ وشاب .

وقد يستبعد الموت لصحّته ويستبعد الموت فجأة[3] ولا يدري أن ذلك غير بعيد[4] وإن

---

(١) اللبانة : الحاجة من غير فاقة بل من همة والهمة ما هم به من امر ليفعل تقول : قضيت لبانتي جمع لبان ولبانات . المنجد . (٢) احياء علوم الدين : ج٤ص٤١٦

(٣) ولا يخفى أن هذا الاستبعاد لعله كان في زمان المصنف (قد) وما قبله واما في زماننا هذا فصار موت الفجأة كثيراً شايعا وامرا عاديا بحيث لا يستبعده كل احد والعجب مع ذلك ترى الناس لاهون ساهون كأن الموت في الدنيا على غيرهم كتب وان الحق فيها على غيرهم وجب ولا يقدر احد نزوله فيه وليس هذا الا للجهل وحب الدنيا والغفلة نبهنا الله عن نومة الغافلين .

(٤) كما روي ان الباقر (ع) دخل المسجد يوماً فرأى شابا يضحك في المسجد فقال له : تضحك في المسجد وانت بعد ثلاثة من اهل القبور ؟ فمات الرجل في اول اليوم الثالث ودفن في آخره .

كان بعيداً فالمرض فجأة غير بعيـد ، وكلّ مـرض فانّمـا يقع فجـأة ، وإذا مرض لم يكن المـوت بعيداً .

ولو تفكر هذا الغافـل وعلم أن الموت ليس لـه وقت مخصوص عن شبـاب وشيب وكهولـة ومن صيف وشتاء وخريف وليل ونهار لعظم اشتغاله بالاستعداد له واستشعاره ولكن الجهل بهـذه الامور وحبّ الدنيا دعواه إلى طول الأمل وإلى الغفلة عن تقدير الموت القريب .

فهو أبداً يظن أن الموت يكون بين يديه ولا يقدر نـزوله ووقـوعه فيـه ، ويشيع الجنـايز ولا يقدر أن يشيع جنازته ، لأن هذا قد تكرر عليه وألفه وهو شـاهد مـوت غيره فـأما مـوت نفسه فلم يألفه ولايتصور ان يألفه، فانه لم يقع ، فاذا وقع لا يقع دفعة اخرى بعده فهو الأول وهو الاخر .

وإذا عرفت أن سبب طول الأمل الجهل وحبّ الدنيا فعلاجه دفع سببه .

أمّا الجهل فيدفع بالفكر الصافي من القلب الحاضـر وبسماع الحكمـة البالغـة من القلوب الطاهرة .

وأمّا حبّ الدنيا فالعـلاج في إخراجـه من القلب شديـد ، وهو الـداء العضال الـذي أعيى الأوّلين والاخرين علاجه ولا علاج له إلاّ الايمان باليوم الاخر وما فيه من عظيم العقـاب وجزيـل الثواب ، ومهما حصل اليقين بذلك ارتحل عن قلبْه حبّ الدّنيا فان حبّ الخطير هو الذي يمحـو من القلب حبّ الحقير فاذا رأى حقارة الدّنيا ونفاسة الاخرة استنكف أن يلتفت إلى الدّنيا كلّها ، فكيف وليس لكلّ عبد من الدنيا إلاّ قدر يسير مكدّر منغّص ، فكيف يفرح بها ويترسّخ في القلب حبّها مع الايمان بالاخرة فنسأل الله تعالى أن يرينا الدنيا كما أراها الصّالحين من عباده[1]

الباب الخامس
في الاخاء والالفة

قـال الله تعالى في معـرض الامتنان : ﴿لـو أنفقت ما في الأرض جميعـاً ما ألفت بـين قلوبهم ولكن الله ألّف بينهم﴾[2] وقال عزّ وجلّ : ﴿فأصبحتم بنعمته إخواناً﴾[3]

---

(١) ولا علاج في تقرير الموت في القلب مثل النظر الى من مـات من الاقران وأنهم كيف جاء هم الموت في وقت لم يحتسبوا ، أما من كان مستعداً له فقد فاز فوزاً عظيماً ، وأما من كان مغروراً بطول الامـل فقد خسـر خسراناً مبيناً ؛ قال رسول الله (ص) : اغتنم خمساً قبل خمس : شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك : وحياتك قبل موتك .

(٢) سورة الانفال : آية ٦٣ (٣) سورة آل عمران : آية ١٠٣

يعني بـالالفة ، ثم ذمّ التفـرقة وزجـر عنها فقـال : ﴿واعتصموا بحبـل الله جميعاً ولا تفـرقوا﴾[1] وقال : ﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا﴾[2] .

وقال النبي (ص) : « أقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحسنكم أخلاقاً الموطئون أكنافاً الذين يألفون ويؤلفـون»[3] وقال (ص) : «المؤمن ألف مـألوف ولا خيـر فيمن لا يالف ولا يؤلف[4]»[5] وقال (ص) : «في الثناء على الاخوة في الدّين : من أراد الله به خيراً رزقه خليلا صـالحاً إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه »[6] .

وقـال (ص) : « من آخى اخـاً في الله رفـع الله لـه درجـة في الجنّـة لا ينـالهـا بشيء من عمله »[7] وقـال (ص) : « إن الله تعالى يقـول : حقت محبتي للذين يتـزاورون من اجلي وحقت محبتي للذين يتنـاصرون من أجلي ، وحقت محبتي للذين يتحـابـون من اجلي ، وحقت محبّتي للذين يتباذلون من اجلي »[8] .

وقـال (ص) : « لا تباغضـوا ولا تحاسـدوا ولا تدابـروا وكونـوا عباد الله إخـوانـا ولا يحـل لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلاث »[9] .

وقال (ص) : « المؤمنون هيّنون ليّنون كـالجمل الآنف إن قيـد انقاد وإن انيـخ على صخرة استناخ »[10].

---

(١) سورة آل عمران : آية ١٠٣ (٢) سورة آل عمران : آية ١٠٥ (٣) احياء علوم الدين : ج٢ ص١٤٤

(٤) وهذا هو السر في الترغيب على التسليم والمعانقة والمصافحة والسعي في انجـاح مقاصـدهم قال رسـول الله (ص) : أولى اناس بالله وبرسوله من بـدأ بالسـلام ، وقال (ص) : اذا لقى أحدكم اخاه فليسلم وليصافحه فان الله تعالى اكرم بذلك الملائكة فاصنعوا صنع الملائكة ، وقال (ص) : اذا التقيتم فتلاقوا بالتسليم والتصافح ، واذا تفرقتم فتفرقوا بالاستغفار وقال الصادق (ع) : ان المؤمنين اذا اعتنقا غمرتهما الرحمة فاذا التزما لا يريدان بـذلك الا وجـه الله ولا يريد ان غرضاً من اغراض الدنيا قيـل لهما : مغفـوراً لكما فـاستانفـا ، وقال النبي (ص) : من مشى في حاجة اخيه ساعة من ليل او نهار قضاها او لم يقضها كان خيراً له من اعتكاف شهرين ، وقال (ص) : من قضى حاجة لاخيه فكأنما خدم الله عمره . الى غير ذلك من الاخبار المرغبة على ما يوجب الالف والمحبة .

(٥) احياء علوم الدين : ج٢ ص١٤٤ الكافي : ج٢ ص١٠٢

(٦) احياء علوم الدين : ج٢ ص١٤٤ والكافي : ج٢ص١٠٢

(٧) احياء علوم الدين : ج٢ ص١٤٤

(٨) مسند احمد : ج٤ ص٣٨٦ وذكر جزء منه في احياء علوم الدين : ج٢ ص١٤٥

(٩) العوالي : ج١ ص٤٣٣ وذيل الحديث في الفقيه : ج٤ص٢٧٢ (١٠) الكافي : ج٢ص٢٣٤

وقال امير المؤمنين (ع) : « اعجز النّاس من عجز عن اكتساب الاخوان واعجز منه من ضيّع من ظفر به »[1].

وقال النبي (ص) : « اوثق عرى الايمان الحبّ في الله والبغض في الله ، والتولي لاولياء الله ، والتبرّي عن اعداء الله »[2] .

وقال السّجاد (ع) : « إذا جمع الله الاولين والاخرين قام مناد فنادى يسمع النّاس فيقول : اين المتحابون في الله ؟ قال: فيقوم عنق من النّاس فيقال لهم : اذهبوا إلى الجنة بغير حساب قال : فتلقاهم الملائكة فيقولون ، إلى أين ؟ فيقولون : إلى الجنّة بغير حساب ، قال : فيقولون فأي حزب انتم من النّاس فيقولون نحن المتحابّون في الله قال : فيقولون : وأي شيء كانت أعمالكم ؟ قالوا : كنّا نحبّ في الله ونبغض في الله ، قال : فيقولون : نعم أجر العاملين »[3].

وقال الباقر (ع) : « إذا أردت أن تعلم أنّ فيك خيراً فانظر إلى قلبك ، فان كان يحب أهل طاعة الله ويبغض أهل معصيته ففيك خير والله يحبّك ، وإذا كان يبغض أهل طاعة الله ويحبّ أهل معصيته فليس فيك خير والله يبغضك والمرء مع من أحبّ »[4].

وقال الصّادق (ع) : « ما التقى مؤمنان قط إلا كان أفضلهما أشدّهما حبّاً لأخيه »[5] وقال (ع) : « كلّ من لم يحبّ في الدّين ولم يبغض على الدين فلا دين له »[6].

الفصل الأول
أقسام الحبّ والمصاحبة

اعلم أن الحبّ في الله والبغض في الله غامض وإنما ينكشف الغطاء عنه بأن يعلم أن الصحبة تنقسم إلى ما يقع بالاتفاق ، كالصحبة بحسب الجوار أو بحسب الاجتماع في مدرسة أو سوق أو سفر أو على باب سلطان أو غير ذلك ، وإلى ما ينشأ اختياراً وبقصد وهو الذي يبعث على الاخوة في الدين إذ لا ثواب إلا على الأفعال الاختيارية ولا ترغيب إلا فيها .

والصحبة عبارة عن المجالسة والمخالطة والمجاورة ، وهذه الامور لا يقصد بها الانسان غيره إلاّ إذا أحبّه ، فان غير المحبوب يجتنب ويباعد ولا يقصد مخالطته والذي يحبّ فامّا أن يحبّ لذاته لا ليتوسّل إلى محبوب ومقصود وراءه ، وإما أن يحب ليتوسّل به إلى مقصود وذلك

(١) نهج البلاغة : ص٤٧٠ (من قصار الحكم) حكمة رقم ١٢
(٢) الكافي : ج٢ص١٢٦ (٣) الكافي : ج٢ ص١٢٦
(٤) الكافي : ج٢ ص١٢٦ (٥) الكافي : ج٢ ص١٢٧ (٦) الكافي : ج٢ ص١٢٧

المقصود إمّا أن يكون مقصوراً على الدنيا وحظوظها ، وإمّا أن يكون متعلقاً بالاخرة وإمّا أن يكوْن متعلقاً بالله فهذه أربعة أقسام :

أما القسم الاول وهو حبّك الانسان لذاته وذلك ممكن وهو أن يكون هو في ذاته محبوباً عندك على معنى أنّك تلتذ برؤيته ومعيّته ومشاهدة أخلاقه لاستحسانك له ، فان كل جميل لذيذ في حق من أدرك جماله ، وكلّ لذيذ محبوب ، واللذة يتبع الاستحسان ، والاستحسان يتبع المناسبة والملايمة والموافقة بين الطباع .

ثمّ ذلك المستحسن إمّا أن يكون الصّورة الظاهرة أعني الخلقة ، وإما أن يكون الصّورة الباطنة اعني كمال العقل وحسن الخلق ويتبع حسن الأخلاق حسن الأفعال لا محالة ويتبع كمال العقل غزارة العلم وكلّ ذلك مستحسن عند الطبع السّليم والعقل المستقيم ، وكلّ مستحسن مستلذّ به ومحبوب .

بل في ايتلاف القلوب امر اغمض[١] من هذا فانه قد يُستحكم المودة بين شخصين من غير ملاحة في صورة وحسن في خلق وخلق ؛ ولكن لمناسبة باطنة توجب الالفة والموافقة ، فان شبه الشيء ينجذب إليه بالطبع والأشباه الباطنة خفية ولها اسباب دقيقة ليس في قوة البشر الاطلاع عليها .

وعنه عبر رسول الله (ص) بقوله : « الارواح جنود مجنّدة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر[٢]

---

(١) غمض الكلام : خفى مأخذه ومعناه . المنجد .

(٢) تعارفوا : عرف بعضهم بعضاً . وتناكروا : انكر بعضهم بعضاً وتعادرا ، ومعنى الحديث على ما في المجمع أن الاجساد التي فيها الارواح تلتقي في الدنيا فتأتلف وتختلف على حسب ما خلقت عليه ولهذا ترى الخيّر يحب الاخيار ويميل اليهم ، والشرير يحب الاشرار ويميل اليهم . قال الغزالي في الاحياء : وروى ان امرأة بمكة كانت تضحك النساء ، وكانت بالمدينة اخرى فنزلت المكية على المدنية فدخلت على عايشة (رض) فأضحكتها فقالت : أين نزلت ؟ فذكرت لها صاحبتها فقالت صدق الله ورسوله سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوّل الارواح جنود مجندة الخ وقال العلامة المجلسي (قدّ) في الجزء الرابع عشر من البحار : وروت عايشة في سبب هذا الحديث ان مخنثا قدم المدينة فنزل على مخنث من غير أن يعلم انه مخنث فبلغ ذلك النبي (ص) فقال : الارواح جنود مجندة الحديث .

« أقول : » راوية الحديث في المقامين كما ترى هي عايشة ، والحديث من طريق أصحابنا الامامية (رض) عن جابر بن يزيد كما في الجزء المذكور من البحار هكذا قال : سمعت أبا عبد الله (ع) يقول : الارواح جنود مجندة فما تعارف منها عند الله ائتلف في الارض ، وما تناكر عند الله اختلف في الارض .

منها اختلف »[1] فالتناكر نتيجة التباين ، والايتلاف نتيجة التناسب الذي عبّر عنه (ص) بالتعارف .

ويدخل في هذا القسم المحبّة للجمال إذا لم يكن المقصود قضاء الشّهوة ، فان الصّورة الجميلة مستلذة في عينها وإن قدر فقد أصل الشّهوة حتى يستلذ بالنظر إلى الفواكه والأنوار والأزهار والتفاح المشوب بالحمرة وإلى الماء وإلى الخضرة من غير غرض سوى عينها ، وهذا الحبّ لا يدخل فيه الحبّ لله بل هو الحبّ بالطبع وشهوة النفس ويتصور ذلك ممّن لا يؤمن بالله إلاّ أنّه إن اتّصل به غرض مذموم صار مذموماً ، وإلاّ فهو مباح لا يوصف بحمد ولا ذم .

والقسم الثاني أن يحبه لينال من ذاته غير ذاته فيكون وسيلة إلى محبوب غيره والوسيلة إلى المحبوب محبوب فلذلك يحب النّاس الذهب والفضة من حيث إنهما وسيلة إلى المقاصد كما يحب الرّجل سلطاناً للانتفاع به ، ويحبّ خواصّه لتحسينهم حاله عنده وتمهيدهم أمره في قلبه ، فالمتوسّل إليه إن كان مقصوداً لفايدة دنيوية لم يكن من جملة الحبّ في الله ، ثم ينقسم ذلك إلى مذموم ومباح .

والقسم الثالث أن يحبّه لا لذاته بل لغيره وذلك الغير غير راجع إلى حظوظه في الدنيا بل يرجع إلى حظوظه في الاخرة وهذا أيضاً ظاهر لا غموض فيه ، وذلك كمن يحب استاذه وشيخه لأن يتوسّل به إلى تحصيل العلم وتحسين العمل ومقصوده من العلم والعمل الفوز في الاخرة ، وهذا من جملة المحبّين لله وكذلك من يحب تلميذه لأنه يتلقف منه العلم وينال بواسطته رتبة التعليم ويترقى به إلى درجة التعظيم في ملكوت السماء .

قال عيسى (ع) : «من علم وعمل وعلّم فذلك يدعى عظيماً في ملكوت السّماء »[2] ولا يتم التعليم إلاّ بمتعلم فهو إذن آلة في تحصيل هذا الكمال ، فان أحبّه لأنه آلة له إذ جعل صدره مزرعة لحرثه[3] فهو محبّ لله ، بل نزيد ونقول : منْ يجمع الضيفان ويهيء لهم الأطعمة اللذيذة تقرّبا إلى الله فأحبّ طبّاخا يحسن صنعته في الطبخ فهو من جملة المحبّين في الله .

وكذا لو أحب من يتولى له ايصال الصّدقة إلى المستحقين فقد أحبّه في الله بل نزيد على هذا فنقول : من أحبّ من يخدمه بنفسه في غسل ثيابه وكنس بيته وطبخ طعامه ويفرغه بذلك

---

(١) احياء علوم الدين : ج٢ ص١٤٧ ومن لا يحضره الفقيه : ج٤ص٢٧٢

(٢) الكافي : ج١ص٣٥

(٣) الحرث اصلاح الارض والقاء البذر فيها ويسمى الزرع الحرث أيضاً وفي الحديث : المال والبنون حرث الدنيا والعمل الصالح حرث الاخرة وقد يجمعها الله لاقوام .

للعلم والعمل ومقصوده من استخدامه في هذه الاعمال الفراغ للعبادة ، فهو محبّ في الله .

القسم الرابع أن يحب لله وفي الله لا ينال منه علما أو عملا أو يتوسّل به إلى أمر وراء ذاته ، وهذا أعلى الدرجات ، وهو أدقها وأغمضها وهذا القسم أيضاً ممكن ، فان من آثار غلبة الحبّ أن يتعدى من المحبوب إلى كل من يتعلّق بالمحبوب ويناسبه ولو من بعد ، فمن أحب إنسانا حبا شديداً أحب محب ذلك الانسان وأحب محبوبه وأحب من يخدمه وأحبّ من يثني عليه محبوبه واحبّ من يتسارع إلى رضا محبوبه قال المجنون :

امرّ على الدّيار ديار ليلى ... اقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حبّ الدّيار شغفن قلبي ... ولكن حبّ من سكن الديارا

فاذن المشاهدة والتجربة تدلان على ان الحب يتعدى من ذات المحبوب إلى ما يتعلق به ولو من بعد ، ولكن ذلك خاصية فرط المحبة فأصل المحبّة لا يكفي فيه وقد مضى تمام الكلام فيه في باب المحبة .

ثمّ اعلم ان من يحبّ في الله لا بد وان يبغض في الله ، فانّك ان احببت انسانا لانه مطيع لله ومحبوب عند الله ، فان عصاه لا بدّ وان تبغضه لأنه عاص لله وممقوت عند الله فهما متلازمان وكل واحد منهما دفين[1] في القلب وانّما يترشح بظهور افعال المحبين والمبغضين في المقاربة والمباعدة ، وفي الموافقة والمخالفة فاذا ظهر في الفعل سمّي موالاة ومعاداة .

وروي إن الله تعالى اوحى إلى نبي من الانبياء امّا زهدك في الدنيا فقد تعجلت الرّاحة وأمّا انقطاعك إليّ فقد تعزّزت بي ، ولكن هل عاديت فيّ عدواً أو واليت فيّ وليّاً ؟

وقال عيسى (ع) : «تحبّبوا إلى الله ببغض أهل المعاصي ، وتقرّبوا إلى الله بالتباعد منهم ، والتمسوا رضاء الله بسخطهم ، قالوا : يا روح الله من نجالس ؟ قال : جالسوا من يذكركم الله رؤيته ، ومن يزيد في علمكم كلامه ؛ ومن يرغبكم في الاخرة عمله »[2] .

الفصل الثاني
أنواع الاخوان

قال الباقر (ع) : « قام رجل بالبصرة إلى أمير المؤمنين (ع) فقال : يا أمير المؤمنين اخبرنا عن الاخوان ، فقال (ع) : الاخوان صنفان : إخوان الثقة وإخوان المكاشرة .

---

(١) الدفين : المدفون المستور .
(٢) تحف العقول : ص٣٧ وصدر الحديث في تنبيه الخواطر : ج٢ ص٢٥

فامّا إخوان الثقة فهم الكفّ والجناح والأهل والمال فاذا كنت من أخيك على حدّ الثقة فابذل له مالك وبدنك وصاف من صافاه وعاد من عاداه واكتم سرّه وعيبه واظهر منه الحسن واعلم أيها السائل أنهم أقلّ من الكبريت الأحمر .

وأما إخوان المكاشرة فانك تصيب لذتك منهم فلا تقطعنّ ذلك منهم ولا تطلبن ما وراء ذلك عن ضميرهم ، وابذل لهم ما بذلوا لك من طلاقة الوجه وحلاوة اللسان »[1]« والكشر » التبسم كاشره كشف عن أنيابه .

وقال الصّادق (ع) : « قال أميرُ المؤمنين (ع) : لا عليك أن تصحب ذا العقل وان لم يحمد كرمه ولكن انتفع بعقله واحترس من سيء اخلاقه ولا تدعن صحبة الكريم فان لم تنفع بعقله ولكن انتفع بكرمه بعقلك ، وافرر كل فرار من اللئيم الأحمق »[2] .

وقال الصّادق (ع) : « عليك بالتلاد[3] واياك وكل محدث لا عهد له ولا أمان ولا ذمّة ولا ميثاق ، وكن على حذر من أوثق النّاس في نفسك فان النّاس أعداء النعم »[4] .

وقال (ع) : « لا تكون الصداقة إلا بحدودها فمن كانت فيه هذا الحدود أو شيء منها فانسبه إلى الصّداقة ، ومن لم يكن فيه شيء منها فلا تنسبه إلى شيء من الصداقة فأولها أن يكون سريرته وعلانيته لك واحدة والثانية أن يرى زينك زينه[5] وشينك شينه والثالثة أن لا تغيره عليك ولاية ولا مال والرابعة أن لا يمنعك شيئا تناله مقدرته والخامسة وهي مجمع هذه الخصال أن لا يسلمك[6] عند النّكبات »[7] .

وفي مصباح الشريعة قال الصّادق (ع) : « قد قل ثلاثة أشياء في كل زمان : الاخاء في الله ، والزوجة الصّالحة الأليفة في دين الله ، والولد الرشيد، ومن أصاب أحد الثلاثة فقد أصاب خير الدارين والحظ الأوفر في الدنيا ، واحذر أن تواخي من أرادك لطمع أو خوف أو فشل[8] أو أكل أو شرب ، واطلب مواخاة الأتقياء ولوفي ظلمات الارض ، ولو أفنيت عمرك في طلبهم فان الله تعالى لم يخلق على وجه الارض أفضل منهم بعد النبيّين ، وما أنعم الله بمثل ما

---

(١) الكافي : ج٢ ص٢٤٨ (٢) الكافي : ج٢ص٢٣٨
(٣) التلاد ما ولد عندك من مالك أو نتج . ق . (٤) الكافي : ج٢ ص٢٤٩
(٥) زان الشي يزينه زيناً : حسنه وزخرفه . وشانه يشينه شيناً ضد زانه . المنجد .
(٦) الاسلام : الخذلان كذا في الوافي . (٧) الكافي : ج٢ص٦٣٩
(٨) فشل فشلا ضعف وتراخى وجبن عند حرب أو شدة . المنجد .

انعم بـه من التـوفيق بصحبتهم قـال الله تعالى : ﴿الاخـلاء يـومئـذ بعضهم لبعض عـدو إلا المتقين﴾[1] .

واظن ان من طلب في زماننا هـذا صديقا لا عيب فيه بقي بـلا صديق ، الا تـرى ان اول كرامة اكرم الله بها انبيائه عند اظهار دعوتهم بصديق امين او ولي ، وكذلك من اجل ما اكـرم الله به اصدقائه واوليائه وامنائه صحبة انبيائه ، وهو دليـل على ان ما في الـدارين نعمة اجـل واطيب وازكى من الصحبة في الله والمواخاة لوجهه »[2] .

---

(١) سورة الزخرف : آية ٦٧ (٢) مصباح الشريعة : ص ١٥٠

خاتمة الكتاب

اعلم ان ما اوردناه في هذا الكتاب وحققناه في هذه المقالات والابواب من الاسرار الدينية والمعارف اليقينية ، وما اشرنا إليه من رموز العقايد وما بسطنا الكلام فيه من بيان الاخلاق المحمودة والمذمومة ومن اسرار الاعمال الحسنة والسّيئة قلّما يوجد في غيره من الكتب بهذا التنقيح والتهذيب ، وهذا التوضيح والترتيب ، مع ابتناء مأخذ جملها على الاصول الاصيلة التي لا اعتماد إلا عليها ولا وثوق إلا بها من الكتاب والسّنة واحاديث اهل بيت النّبوة دون آراء الناس من اصحاب الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والنّاس .

ولقد وفقنا الله تعالى لجمعها وتأليفها في مدة أشهر قلائل من سنة تسعين وألف الهجريّة حين كنت اشرفت على الرّحيل وكان قد مضى من عمري ثلاث وثمانون ونيف قليل ، وكان قد اكتنفتني أسباب اختلال الأحوال وتشتّت البال من أمراض وعلل جسمانية غير مرجوّة الزوال .

وإنما وفقني الله لذلك بسبب ما أنعم الله به عليّ من العقايد الحقة ، وبما تفضل الله به عليّ من موالاة أوليائه ومعاداة أعدائه بعد أن عرفني الله أولياءه وأعداءه بوحي منه سبحانه إلى رسوله وتبليغ رسوله إلى عباده وتسليمي له بمعونته وإرشاده .

وأمّا فايدة هذا الجمع والتأليف وجدواه فهي أن يطلع عليه من كان من أهله ورزق التّوفيق من الله وقويت همّته وبلغ سعيه منتهاه فيعمل بمقتضاه ثمّ يفوز بمبتغاه[1] ، ومن كان دونه يعمل به بقدر مقدوره وعلى حسب ميسوره ، وهكذا إلى ما ينتفع به بشيء يسير وبوزن سنبلة من بيدر[2] كبير .

---

(١) ابتغى وتبغى الشيء : طلبه . (٢) البيدر الموضع الذى يجمع فيه الحصيد ويداس ويسمى بالفارسية : خرمن

وأمّا أمثالنا من الذين يقولون مالا يفعلون وينسون أنفسهم إذا كانوا بالبرّ يأمرون ففايدته في حقهم زيادة بصيرتهم في تقصيرهم وقصورهم حتى يصير ذلك سببا لمقتهم أنفسهم وذلهم وانكسارهم واطلاعهم على بواطن عيوبهم وفضايح غيوبهم وانزجارهم ، فان الايمان يقتضي أن لا يرضى العبد المؤمن لنفسه ما لا يرضى به مولاه ، فاذا لم يرض به يكون لا محالة دائم الحزن والنّدم ، كثير الغم والألم ، فاذا كان كذلك يرجى له أن يتداركه الله بالرحمة والمغفرة فان الله غفور رحيم .

وقد ورد أن العبد ليذنب الذنب فلا يزال منه خائفا ماقتا[1] لنفسه فيرحمه الله فيدخله الجنة ، وما خرج عبد من ذنب إلا بالاقرار ، والاعتراف بالذنب كفارة له ، ومن أذنب ذنباً فعلم أن الله مطلع عليه إن شاء عذبه وإن شاء غفر له غفر الله له وإن لم يستغفر﴿ومن يعمل سوء أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً﴾[2].

ونحن نستغفر الله من كلّ ما زل به القدم أو طغى به القلم ، ومن أقوالنا التي لا يوافقها أعمالنا ، وممّا ادّعيناه وأظهرناه من العلم والبصيرة بدين الله تعالى مع التقصير فيه ، ومن كل علم وعمل قصدنا به وجهه الكريم ثمّ خالطه غيره ، ومن كل وعد وعدنا به من أنفسنا ثمّ قصرنا في الوفاء به ، ومن كل نعمة أنعم الله بها علينا فاستعملناها في معصيته ، ومن كلّ تصريح وتعريض بنقصان ناقص وتقصير مقصّر كنا متصفين به ، ومن كلّ خطرة[3] دعتنا إلى تصنّع وتكلف تزيّنا للناس في كتاب سطرناه أو كلام نظمناه أو علم أفدناه واستفدناه .

ثمّ نرجع إليه به‌، الاستغفار من جميع ذلك كله لنا ولمن طالع كتابنا هذا أو كتبه أو سمعه أن يتفضل علينا بالمغفرة والرّحمة والتجاوز عن جميع السّيئآت، فان الكرم عميم والرّحمة واسعة والجود على أصناف الخلايق فايض ، ونحن خلق من خلق الله لا وسيلة لنا إليه إلا فضله وكرمه .

فقد قال رسول الله(ص) : « إنّ لله تعالى مأة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجنّ والانس والطير والبهايم والهوام ، فبها يتعاطفون وبها يتراحمون ، وأخر تسعا وتسعين رحمة يرحم الله بها عباده يوم القيامة »[4].

---

(١) مقت مقتا وماقتا الرجل أبغضه أشد البغض . المنجد (٢) سورة النساء : آية ١١٠

(٣) وفي الدعاء أو خطر بها مني خطرات يريد بها ما يقع في الخاطر ، والخاطر : الهاجس والجمع خواطر .م .

(٤) كنز العمال : خ٥٦٦٧/وخ٥٦٦٨

الهي درست[1] الامال وتغيرت الأحوال وكذبت الألسن وأخلفت العدات إلا عدتك فانك وعدت مغفرة وفضلا ، اللهمّ صل على محمد وآل محمّد ، واعطني من فضلك وأعذني من الشيطان الرّجيم ، سبحانك وبحمدك ما أعظمك وأحلمك واكرمك وسع حلمك تمرّد المستكبرين ، واستغرقت نعمتك شكرِ الشاكرين ؛ وعظم حلمك من إحصاء المحصين ، وجلّ طولك عن وصف الواصفين .

كيف لولا فضلك حلمت عمن خلقته من نطفة ولم يك شيئاً فربّيته بطيب رزقك ، وانشأته في تواتر نعمك ، ومكنت له في مهاد ارضك ودعوته إلى طاعتك فاستنجد[2] على عصيانك باحسانك وعبد غيرك وفي سلطانك .

كيف لولا حلمك امهلتني وقد شملتني بسترك ، واكرمتني بمعرفتك ، واطلقت لساني بشكرك ، وهديتني السّبيل إلى طاعتك ، وسهلتني المسلك إلى كرامتك ، واحضرتني سبيل قربتك ، فكان جزاءك منّي ان كافأتك عن الاحسان بالاساءة ، حريصاً على ما اسخطك ، منتقلا فيما استحق به المزيد من نقمتك ، سريعاً إلى ما ابعد من رضاك مغتبطا بغرّة الأمل ، معرضاً عن زواجر الاجل ، لم يقنعني حلمك عنّي وقد أتاني توعدك بأخذ القوة مني حتى دعوتك على عظيم الخطيئة استزيدك فيْ نعمك غير متأهبّ[3] لما قد اشرفت عليه من نقمتك مستبطئاً لمزيدك ، ومتسخطاً لميسور رزقك ، مقتضياً جوائزك بعمل الفجّار كالمراصد رحمتك بعمل الأبرار مجتهداً اتمنى عليك العظائم كالمدل الآمن من قصاص الجرائم .

فانّا لله وإنّا إليه راجعون مصيبة عظم رزؤها وجلّ عقابها ، بل كيف لولا أملي ووعدك الصّفح عن زللي أرجو اقالتك وقد جاهرتك بالكباير مستخفيا عن أصاغر خلقك ، فلا أنا راقبتك وأنت معي ولا أنا راعيت حرمة سترك عليّ بأيّ وجه ألقاك وبأي لسان اناجيك وقد نقضت العهود والايمان بعد توكيدها ، وقد جعلتك علي كفيلا ، ثم دعوتك مقتحما[4] في الخطيئة فاجبتني ، ودعوتني وإليك فقري فلم اجب ، فواسوأتاه وقبيح صنيعاه ايّة جرأة تجرات ، وأي تغرير غررت نفسي .

سبحانك فبك أتقرب إليك وبحقك اقسم عليك ومنك أهرب إليك بنفسي استخففت عند

---

(١) درس دروسا الرسم عفا وانمحى فهو دارس جمع دوارس . الشيء ذهب اثره . المنجد .

(٢) استنجد عليه : اجترأ عليه بعد أن كان يهابه .

(٣) اهب وتأهب للامر : تهيأ واستعد . والمتأهب للشيء المستعد له .

(٤) اقتحم الامر : رمى نفسه فيه بشدة ومشقة .

معصيتي لا بنفسك ، وبجهلي اغتررت لا بعلمك ، وحقي اضعت لا عظيم حقك ، ونفسي ظلمت ولرحمتك رجوت وبك آمنت وإليك أنبت وتضرعت فارحم إليك فقري وفاقتي وكبوتي لحرّ وجهي ، وحيرتي في سوءة ذنوبي إنّك أرحم الرّاحمين .

صورة خط المصنف

ولنختم الكلام حامدين لله مصلّين على نبيّه وأهل بيت نبيّه عليه وعليهم الصّلاة والسّلام ، والحمد لله أولا وآخراً وظاهراً وباطناً ، وكتب مصنفه بيده الجانية « وصار تاريخ ختمه ختمنا » إلى هنا كلام المصنّف رحمه الله .

الحمد لله على ما وفقنا وانعم علينا بتصحيح هذا الكتاب النفيس وتهذيبه والتعليق عليه ، وفرغنا من ذلك في مفتتح شهر محرم الحرام سنة ١٣٧٩ فلله الحمد كما هو أهله أبد الابدين ، والصلاة على نبيه (ص) وعترته الهداة المهديين وأنا العبد : « السيد ابراهيم الميانجي » عفى عنه وعن والديه .

قُرَّةُ العُيُونِ

في المعارف والحِكَم

بسم الله الرحمن الرحيم

يـا مبدع الأركـان والاصـول ، وواهب النّفـوس والعقـول ، يـا مفيض القلوب والأرواح ، وجاعل الصّور والأشباح ، يا مبدىء يا معيد ، يا فعّالاً لما يريد ، تسربلت[1] باللاهوتية الأزليّة ، وتفـرّدت بالـوحدانيّـة السرمـديّة ، العقـل قطرة من قـطرات بحار ملكـوتـك ، والنفس شعلة من شعلات جلال جبروتك ، والعـوالم العلويّة أشعّـة أنوارك ، والاجـرام السّفلية خـزائن أسرارك ، تركت قلوب الطالبين في بيداء[2] كبريـائك والهـة حيرى ، ولم تجعـل لمرقى أقـدام العقول إلى حريم عظمتك مجرى ، هيهات ما لأذلاء بحر العبودية وإدراك سبحات[3] جلال الرّبـوبيّة ، وأنى لاسراء ذلّ الناسوت ونيل سرادقات[4] جمال اللاهوت ، نحمدك اللهمّ على نعمائك والحمد من نعمـائك ونشكـرك على آلائك والشكـر من آلائـك ، ونصلي على محمّـد سيّـد أنبيـائـك وخيـر أصفيائك ، وعلى آله الملكوتيين أرباب العقول الكاملة ، وأصحاب البصائر النافذة ، وخصـوصاً عليّ أمير المؤمنين وإمام المتقين .

أما بعد فيقول المعتصم بحبل الله الملتجي إلى بـاب الله المهتدي بهـدى الله« محسن بن مـرتضى أيـده الله » : قـد جئتكم من معـدن العلم بحقّ اليقين ، ومن عين الحكمـة بكـأس من معين ، بيضاء لذّة للشاربين ، يستقر بها في صدور أهلها اصول الدين ، فينجون من اتباع الظنّ ويظنون من غير غير أهله كل الظن ،وهي حقيق بان تسمى «بقرة العيون في اعز الفنون» وهي ستّون كلمة في اثنتي عشرة مقالة في كل مقالة خمس كلمـات بلسان عـربيّ ومزاجـه من عنجمي منثور وابيات .

---

(١) السربال بالكسر القميص او الدرع أو كل ما لبس . ق . وتسربل بالخشوع من هذا الباب وهو استعارة . م .

(٢) البيداء المفازة لا شيء بها ؛ الفلاة .

(٣) السبحات بضمتين مواضع السجود ، وسبحات وجه الله : أنواره . ق .

(٤) السرادق بالضم كل ما احاط بشيء من حايط أو مضـرب أو خباء وفي « ق » هـو ما يمـد فوق صحن البيت . والجمع سرادقات .

مقدمة

اعلموا اخواني هداكم الله كما هداني أني ما اهتديت إلا بنور الثقلين ، وما اقتديت إلاّ بالائمة المصطفين ، وبرئت ممّا سوى هدى الله ، فان الهدى هدى الله نه متكلم ونه متفلسف ، نه متصوّفم ونه متكلف ، بلكه مقلد قرآن وحديث پيغمبرم وتابع أهل بيت آن سرور ، از سخنان حيرت افزاي طوايف أربع ملول وبر كرانه ، واز ماسواي قرآن مجيد وحديث أهل بيت وآنچه بدين دو آشنا باشد بيكانه

من هرچه خوانده ام همه ازياد من برفت إلاّ حديث دوست كه تكرار ميكنم حافظ
عشق ميورزم واميّد كه اين فن شريف جون هنر هاي د گر باعث حرمان نشود

چراكه مدتي مديد كه دربحث وتفتيش وتعمق درفكرهاي دور انديش بودم ، طرق مختلفة قوم را آزمودم ، وبكنه سخنان هريك رسيدم ، وبديده بصيرت ديدم كه چشم عقل از ادراك سبحات جلال صمديّت حاسر ونورفكر از رسيدن بسرادقات جمال احديث قاصر بود ، كلّما رام[1] العقل أن يبصر منها شيئاً انقلب إليه البصر خاسئا وهو حسير[2]وكلمّابزغ[3] نور الفكر ليضيء اضمحلّ بها متلاشياً ثمّ أفل وهو خسير[4] .

فلمّا رأيت الأمر كذلك ناديت من وراء حجاب العبوديّة : ﴿سبحانك إني كنت من الظالمين[5] غفرانك إنّي ﴿لا أحبّ الآفلين﴾[6] ﴿إنّي وجّهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين﴾[7] ﴿إنّ صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله ربّ العالمين لا شريك له وبذلك أُمرت وأنا أوّل المسلمين﴾[8] .

هر جميلي كه بديديم بدو يار شديم هر جمالي كه شنيديم گرفتار شديم
كبرياي حرم حسن توچون روى نمود چار تكبير زديم ازهمه بيزار شديم
مصحف روى وحديث لبت از ياد ببرد هرچه خوانديم ود گر برسر تكرار شديم
هرچه دادند بما از د گرى بهتر بود تا سزاوار سرا پرده اسرار شديم

---

(١) رام روماً الشيء : أراده فهو رائم . المنجد

(٢) حسر البصر يحسر حسوراً : كل وانقطع من طول مدى وهو حسير . ق .

(٣) بزغت الشمس بزوغاً : طلعت ومنه قوله تعالى : فلما رأى الشمس بازغة وقوله : فلما رأى القمر بازغاً .

(٤) خسر : ضل فهو خاسر وخسير . (٥) سورة الانبياء : الآية ٨٧ .

(٦) سورة الانعام: الآية ٧٦ . (٧) سورة الانعام : الآية ٧٩ (٨) سورة الانعام . الآية ١٦٢ و ١٦٣ .

المقالة الاولى

في معرفة الله تعالى ، ﴿هو الأول والاخر والظاهر والباطن وهو بكلّ شيء عليم﴾ الحديد ٣ .

كلمة

بها يجمع بين امتناع المعرفة والرؤية وبين امكانهما

طلب اي عاشقان خوش رفتار　　طرب أي نيكوان شيرين كار
در جهان شاهدي وما فارغ　　در قدح بادة وما هو شيار
زين سپس دست ما ودامن دوست　　بعد از اين گوش ما وحلقة يار

اكرجه كرّوبيان ملاء اعلى در مقام لو دنوت متوقفند ، ومقربان حضرت عليا بقصور ما عرفناك معترف ، وكريمه لا تدركه الأبصار هربيننده را شامل است ، ونصّ ان الله احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار رانندهٔ هربينا وعاقل ، أما شير مردان بيشهٔ ولايت دم ازلم أعبد ربّا لم أره ميزنند ، وقدم برجادهٔ لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا ميدارند حافظ .

زملك تاملكوتش حجاب بردارند　　هر آنكه خدمت جام جهان نما بكند

بلى بكنه حقيقت راهي نيست چراكه او محيط است بهر چيزپس محاط بچيزى نتواند شد ، وادراك چيزى بي احاطهٔ بآن صورت نبندد ، فاذن لا يحيطون به علماً .

عنقا شكار كس نشود دام بازچين　　كاينجا هميشه باد بدست است دام را
فدع عنك بحراً ضلّ فيه السوابح

شعر

دراين ورطه كشتى فرو شد هزار　　كه پيدا نشد تختهٔ بر كنار

أمّا باعتبار تجلى در مظاهر اسماء وصفات درهر موجودى روئي دارد ، ودرهر مرآتى جلوهٔ مينمايد ، فأينما تولوا فثم وجه الله ، ولو أنكم أدليتم بحبل إلى الأرض السّفلى لهبط على الله ، واين تجلى همه راهست ليكن خواص ميدانند كه چه ميبينند إمام حسين (ع) ميفر مايد : تعرّفت إلىّ في كلّ شيء فرأيتك ظاهراً في كلّ شيء فأنت الظاهر لكل شيء ، وعوام نميدانند كه چه ميبينند ، ألا إنّهم في مرية من لقاء ربهم ألا إنّه بكلّ شيء محيط حافظ .

كَفتم بكام وصلت خواهم رسيد روزى　　كَفتاكه نيك بنكَرشايد رسيده باشى

دوست نـزديكـتـر از من بـمـن اسـت   ويـن عـجـب تـر كـه مـن از وى دورم
چـه كنم بـاكـه تـوان كَفت كـه دوست   در كـنـار مـن ومـن مـهـجـورم

قال الله سبحانه : ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبيّن لهم أنّه الحقّ أولم يكف بربّك أنّه على كلّ شيء شهيد﴾[1] وقال أمير المؤمنين : « انّ الله تجلى لعباده من غير أن رأوه وأراهم نفسه من غير أن يتجلى »[2] . حافظ

در بـزم دل ازروى توصـد شمع بـرافـر وخت   وين طرفه كه برروى تـوصد گـونه حجابست

وقال ابنه الحسين (ع) في دعاء عرفة : (كيف يستدلّ عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك ، متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدلّ عليك ، ومتى بعدت حتّى تكون الاثار هي التي توصل إليك ، عميت عين لا تراك ولا تـزال عليها رقيباً ؛ وخسرت صفقة[3] عبد لم تجعل له من حبّك نصيباً)[4] ، وقال (ع) أيضاً : (تعرّفت لكل شيء فما جهلك شيء)[5] .

وسئل الصّادق (ع) (عن الله عزّ وجلّ هل يراه المؤمنون يوم القيامة ؟ قال : نعم وقد رأوه قبل يوم القيامة ، فقيل : متى ؟ قال : حين قال : ألست بربّكم قالوا بلى[1] ، ثمّ سكت ساعة ثمّ قال ، وإنّ المؤمنين ليرونه في الدّنيا قبل يوم القيامة ألست تراه في وقتك هذا ؟ قيل : فاحدّث بهذا عنك ، فقال : لا ، فانك اذا حدثت به فانكره منكر جاهل بمعنى ما تقول ثمّ قدّر أن هذا تشبيه كفر ، وليست الرؤية بالقلب كالرؤية بالعين تعالى الله عمّا يصفه المشبّهون والملحدون)[6] .

وقد تبيّن ممّا ذكر أنّ المعرفة والرؤية ترجعان إلى أمر واحد وأنهما تثمران الايمان على البصيرة ، وقد ثبت أن أصل المعرفة فطري للأشياء ، وإن من شيء إلّا يسبّح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم[7] وقد ورد في قوله سبحانه : ﴿فطرة الله التي فطر النّاس عليها﴾[8] أنها

---

(١) سورة فصلت : الآية ٥٣ .

(٢) نهج البلاغة : ص ٢٠٤ خطبة : ١٤٧ وفيه « فتجلى لهم سبحانه في كتابه من غير أن يكونوا رأوه بما أراهم من قدرته . . . » . (٣) الصفقة عقد البيع يقال : صفقة رابحة وصفقة خاسرة المنجد . (٤) الاقبال : ص ٣٤٩ .

(٥) الاقبال : ص ٣٥٠ . (٦) التوحيد : ص ١١٧ ح ٢٠ .

(٧) قال في مجمع البيان : اي لا تعلمون تسبيح هذه الاشياء حيث لم تنظروا فيها فتعلموا كيف دلالتها على توحيده . وقال الراغب في المفردات : الفقه هو التوصل الى علم غايب بعلم شاهد فهو اخص من العلم الخ .

(٨) سورة الروم : الآية ٣٠ .

التوحيد وقال الله تعالى : ﴿ولئن سألتهم من خلق السّموات والأرض ليقولن الله﴾[1] وإنما ضلّ عنهم المعرفة بالمعرفة والبصيرة بالرّؤية ، بلى هرذره كه ازخانه بصحرا شود صورت آفتاب بيند أما نميداندچه ميبيند شعر

چندين هزار ذرّه سرا سيمه ميدوند / در آفتاب وغافل از آن كافتاب چيست

وقتي ما هيان جمع شدند وكفتند چند كاهست كه ما حكايت آب ميشنويم وميكويند حياة ما از آبست وهر كز آب رانديده ايم ، بعضى شنيده بودند كه در فلان دريا ما هى است دانا وآب راديده كفتند بيش اورويم تا آب را بما نمايد چون باور سيدند وپرسيدند ، كفت شما چيزى غير آب بمن نمائيد تامن آب را بشما بنمايم شعر

بادوست ما نشسته كه اي دوست دوست كو / كوكو همى زنيم زمستى بكوى دوست حافظ
سالها دل طلب جام جم از ما ميكرد / آنچه خود داشت زبيگانه تمنا ميكرد
گوهرى كزصدف كون ومكان بيرون بود / طلب از گمشدگان لب دريا ميكرد
بيدلى درهمه احوال خدا با او بود / او نميديدش واز دور خدا را ميكرد

كلمة

بها يجمع بين المنع من التفكر والكلام فيه سبحانه وبين الحث على المعرفة .

طالبان تصور حقيقت رابدور باش ﴿ويحذّركم الله نفسه﴾[2] ميرانندتا طلب محال نكنند ، (تفكّروا في آلاء[3] الله ولا تفكروا في ذات الله فانكم لم تقدروا قدره)[4] شعر .

زبان بكام خموشي كشيم ودم نزنيم / چه جاى نطق تصوّر دراو نميگنجد

وعاشقان وصول حضرت را بمقام ﴿وإلى الله المصير﴾[5] ميرسانندتا در خلوت خانهٔ حقّ اليقين بياسايند ﴿من كان يرجو لقاء الله فانّ اجل الله لآت﴾ .

هله عاشقان بشارت كه نماند اين جدائي / برسد زمان دولت بكند خدا خدائى مولوى

وشك نيست كه حضور شيء غير تصور حقيقت آن شيء است مثنوى

---

(١) سورة لقمان : الآية ٢٥ . (٢) سورة آل عمران : الآية ٢٨ .
(٣) الالاء : النعم واحدها آلى على وزن معا وآلى قفا . مجمع البيان .
(٤) تنبيه الخواطر : ج ١ ص ٢٥٠ واحياء علوم الدين : ج ٤ ص ٣٨٦ . (٥) سورة آل عمران : الآية ٢٨ .

من نميد انم جه در جه فني　　اين قدر دانم كه درجان مني

دوران را بتبعيد ، إذا بلغ الكلام إلى الله فامسكوا ، ترهيب كردند ونزديكان را بتقريب : « من عرف نفسه فقد عرف ربّه »[1] ترغيب نمودند آنرا محكم ﴿ليس كمثله شيء﴾[2] حيرت افزود ، واينرا متشابه ﴿وهو السميع البصير﴾[3] دلالت نمود آنرا تنزيه ، ليس له مكان يحويه ، حيران كرد ، واينرا تشبيه ﴿اينما تولوا فثم وجه الله﴾[4] كار آسان كرد ، آن رابياس : كلما ميز تموه بأوهامكم في ادق معانيه فهو مخلوق مصنوع مثلكم مردود إليكم ، محروم ساخت ، واينرا برجاى : فاحببت أن اعرف ، نواخت ، آنرا بتازيانهُ ما للتراب وربّ الأرباب : دور كردانيد ، واينرادر آشيانهُ ﴿وهو معكم اينما كنتم﴾[5] مطمئن ومسرور نشانيد ﴿اولئك ينادون من مكان بعيد﴾[6] ، ﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾[7] بيكانكان را بخطاب ﴿وما اوتيتم من العلم إلاّ قليلاً﴾[8] سر باز زد ، وآشنايان را ببشارت ﴿ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيراً كثيراً﴾[9] سرافراز كرد ، در حق آنان آمد : عليكم بدين العجايز ، ودر شان اينان فرمود : « إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا أهل المعرفة بالله »[10].

وقال أمير المؤمنين (ع) « اندمجت على مكنون علم لو بحت به لاضطربتم اضطراب الأرشية في الطوى البعيدة[11] »[12].

وقال (ع) مشيراً إلى صدره : « إن ههنا لعلما جما[13] لو اصبت له حملة »[14] وقال سيّد العابدين (ع) : « لو علم أبو ذر ما في قلب سلمان لقتله »[15] وقال (ع) : شعر

---

(١) غرر الحكم : ص ٤٠٣ ح ٨٠٤٨ واحياء علوم الدين : ج ٥ ص ١٥٧

(٢) سورة الشورى : الآية ١١ . (٣) سورة الشورى : الآية ١١ . (٤) سورة البقرة: الآية ١١٥ .

(٥) سورة الحديد : الآية ٤ . (٦) سورة فصلت : الآية ٤٤ . (٧) سورة ق : الآية ١٦ . (٨) سورة الاسراء : الآية ٨٥

(٩) سورة البقرة : الآية ٢٦٩ . (١٠) الترغيب والترهيب : ج ١ ص ١٠٣ واحياء علوم الدين : ج ١ ص ٢٤ .

(١١) قال العلامة الخوئي (قد) في شرح نهج البلاغة : اندمج في الشيء : دخل فيه وتستر به وباح بسره : أظهره كباحه ؛ والارشية جمع رشاء ككساء وهو الحبل ، والطوى كغنى اسم بئر بذي طوى على ما ذكره الفيروزي آبادي ، ولعل المراد هنا مطلق البئر كطوية . وقال في الترجمة : پيچيده شده ام بعلم مخزون وسر مكنوني كه بنهان است كه اكر اظهار بدارم آنرا بشما هراينة مضطرب من شويد وبلرزه مى افتيد مانند لرزيدن ريسمان درجاه دور ودراز .

(١٢) نهج البلاغة : ص ٥٢ خطبة ٥ .

(١٣) جم الكيل جما : كاله الى رأس المكيال . الماء : تركه يجتمع المكيال : ملأه الى رأسه طفافاً . المنجد .

(١٤) نهج البلاغة : ص ٤٩٦ حكمة ١٤٧ . (١٥) الكافي : ج ١ ص ٤٠١ .

اني لأكتم من علمي جواهره	كيلا يرى الحق ذو جهل فيفتتنا
وقد تقدّم في هذا ابو حسن	إلى الحسين ووصى قبله الحسنا
يا ربّ جوهر علم لو ابوح به	لقيل لي أنت ممّن يعبد الوثنا
ولا استحلّ رجال مسلمون دمي	يرون اقبح ما يأتونه حسنا
هركه شد محرم دل در حرم يا ربماند	وانكه اين كار ندانست درانكار بماند

كلمة

بها يجمع بين ظهوره سبحانه وخفائه

هستى او بيدانرا از هستى ساير اشياست زيرا كه هستى او حقيقى وبخوديپدا وهستى ساير اشياء مجازى وباو هو يداست چنانچه ميفر ما يد ﴿الله نور السّموات والأرض﴾(١) جه نور جيزيرا كويند كهٔ خودپيدا وپيدا كننده ساير أشيا باشد أشيا بى هستى عدم محضند ومبدء ادراك همه هستى است هم از جانب مدرك وهم از جانب مدرك ، وهرجه را ادراك كني أوّل هستي مدرك واكرجه از ادراك اين ادراك غافل باشي واز غايت ظهور مخفى ماند ادراك مبصر بيواسطهٔ نور ديكر جون شعاع صورت نبندد با آنكه شعاع از غايت ظهور در آن حالت غير مرئى مينمايد تا آنكه طايفهٔ انكار آن ميكنند نوري كه واسطهٔ ادراك شعاع بود بر اين قياس بايد ﴿نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء﴾(٢) .

قال بعض العلماء : ولا تتعجّب من اختفاء شيء بسبب ظهوره فانّ الأشياء إنما تستبان بأضدادها ، وما عمّ وجوده حتى لا ضدّ له عسر ادراكه ، فلو اختلفت الأشياء فدلّ بعضها على الله تعالى دون بعض ادركت التفرقة على قرب ولما اشتركت في الدلالة لأنه على نسق واحد أشكل الأمر ، ومثاله نور الشمس المشرق على الأرض فانا نعلم أنه عرض من الأعراض يحدث في الأرض ويزول عند غيبة الشمس فلو كانت الشّمس دائمة الاشراق لا غروب لها لكنا نظن أن لاهيئة في الأجسام إلا ألوانها ، وهي السّواد والبياض وغيرهما ، فانا لا نشاهد في الاسود إلا السّواد وفي الأبيض إلا البياض فامّا الضوء فلا ندركه وحده لكن لما غابت الشّمس واظلمت المواضع ادركت تفرقه بين الحالتين فعلمنا أن الأجسام قد استضاءت بضوء واتصفت بصفة فارقتها عند الغروب ، فعرفنا وجود النّور بعدمه وما كنّا نطلع عليه لولا عدمه الا بعسر شديد ، وذلك لمشاهدتنا الأجسام متشابهة غير مختلفة في الظلام والنّور ، هذا مع أن النور أظهر

---

(١)سورة النور : الآية ٣٥. (٢) سورة النور : الآية ٣٥.

المحسوسات إذ به يدركساير المحسوسات ، فما هو ظاهر في نفسه وهو مظهر لغيره انظر كيف تَصوّر استبهام أمره بسبب ظهوره لولا طريان ضدّه ، فاذن الحقّ سبحانه هو أظهر الامور ، وبه ظهرت الأشياء كلها ، ولو كان له عدم او غيبة أو تغير لانهدت السّموات والارض وبطل الملك والملكوت ، ولادركت التفرقة بين الحالتين ، ولو كان بعض الأشياء موجوداً به وبعضها موجوداً بغيره لادركت التفرقةِ بين الشيئين في الدلالة ولكن دلالته عامة في الأشياء على نسق واحدٍ ووجوده دائم في الأحوال يستحيل خلافه . فلا جرم اورث شدة الظهور خفاء

شعر

خفى لافراط الظهور تعرّضت لادراكه أبصار قوم أخافش
وحظّ عيون الزرق من نور وجهه لشدته حظ العيون العوامش
اي تومخفى در ظهور خويشتن وى رخت پنهان بنور خويشتن

شعر

لقد ظهرت ولا تخفى على أحد إلا على أكمه[1] لا يعرف القمرا
لكن بطنت بما أظهرت محتجباً فكيف يعرف من بالعرف استترا

شعر

حجاب روى توهم روى تست درهمه حال نهانى از همه عالم ز بسكه پيدائي

قال أمير المؤمنين (ع) : « لم تحط به الأوهام بل تجلى لها بها ، وبها امتنع منها »[2] وقال (ع) : ظاهر في غيب وغائب في ظهور وقال (ع) : « لا تجنّه البطون عن الظهور ولا يقطعه الظهور عن البطون ، قرب فنأى وعلا فدنا وظهر فبطن وبطن فعلن ودان ولم يدن »[3] ، أي ظهر وغلب ولم يغلب ، ومن هنا قيل عرفت الله بجمعه بين الأضداد .

كلمة

فيما اشارة الى الطريق الى معرفة الله

كما أن لكل شيء ماهية هو بها هو وهي وجهه الذي إلى ذاته كذلك لكلّ شيء حقيقة محيطة به بها قوام ذاته وبها ظهور آثاره وصفاته ، وبها حوله عمّا يرديه ويضره وقوته على ما ينفعه ويسرّه ، وهي وجهه الذي إلى الله سبحانه وإليه اشير بقوله عزّ وجلّ : ﴿والله بكلّ شيء

(١) كمه كمهاً : عمي أو صار أعشى . بصره : اعترته ظلمة تطمس عليه المنجد .
(٢) نهج البلاغة : ص ٢٦٩ خطبة ١٨٥ . (٣) نهج البلاغة : ص ٣٠٩ خطبة ١٩٥ .

محيط﴾[1] ﴿وإنــه على كلّ شيء شهيـد﴾[2] وبقولـه سبحانـه :﴿وهـو معكم اينمـا كنتم﴾[3] وبقوله تعالى :﴿ونحن اقرب إليه من حبل الوريد[4] ﴾[5] وبقوله عزّ وجلّ :﴿ونحن أقـرب إليه منكم ولكن لا تبصـرون﴾[6] وبقولـه عزّ اسمـه : ﴿كـلّ شيء هـالـك إلاّ وجهـه﴾[7] فـان تلك الحقيقة هي التي تبقى بعد فناء الأشياء ، فاذا نظرنا إلى الاشياء بهذا الوجه وعرفنـا الله عزّ وجـلّ بهذا النظر فقـد عرفنـا الله بالله ، بـل عرفنـا الأشياء أيضـاً بالله ،(سئـل نبينا (ص) بمـاذا عرفت ربّك ؟ قال: بالله عرفت الأشياء) .

وقال أمير المؤمنين (ع) :(اعرفوا الله بالله)[8] ، يعني انظروا في الأشياء إلى وجوهها التي إلى الله سبحانه لكي تعرفوا أوّلا أنّ لها ربّا صانعاً ثمّ اطلبـوا حينئذ معـرفته بـآثاره فيهـا من حيث تدبيره لها وقيوميّته إياهـا وتسخيره لهـا واحاطتـه بها وقهـره عليها حتى تعـرفوا الله بهـذه الصّفات القائمة به ، ثمّ تعرفوا الاشياء بقيامها بـه ، ولا تنظروا إلى وجـوه الأشياء التي إلى أنفسهـا أعني من حيث إنّها أشياء لها ماهيات لا يمكن أن توجد بذاتها بل مفتقرة إلى موجد يوجـدها ؛ فـانكم إذا نظرتم إليها من هذه الجهة تكونوا قـد عرفتم الله بـالاشياء يعني اثبتمـوه بها واقـررتم بوجـوده فحسب ، فلن تعـرفوه إذن حق المعـرفة ، فـان معرفـة مجرد كـون الشيء مفتقراً إليـه في وجـوه الأشياء ليست بمعرفة له في الحقيقة .

على أن ذلك غير محتاج إليه ، لانها فطرية بخلاف النظر الأوّل فانكم تنظرون في الأشياء أولا إلى الله عزّ وجلّ وآثاره من حيث هي آثاره ، ثمّ إلى الاشياء وافتقارهـا في أنفسها ، فـانا إذا عزمنا على أمر مثلا وسعينا في إمضائه غاية السّعي فلم يكن علمنا أن في الوجود شيئاً غير مـرئي الذات يمنعنا عن ذلك ويحول بيننا وبين ذلك ، وعلمنا أنه غالب على أمره وأنـه مسخّر لـلاشياء على حسب مشيّته ومدبّر لها إرادته ، وأنه منزّه عن صفات أمثالنا وهذه صفات بها يعرف صاحبها بعض المعرفة .

وفي دعـاء الحسين بن علي (ع) : (منك اطلب الـوصول اليـك وبك استـدلّ عليك)[9]

---

(١) سورة فصلت : الآية ٥٤ . (٢) سورة فصلت : الآية ٥٣ . (٣) سوزة الحديد : الآية ٤ .

(٤) قال الراغب في المفردات : الوريد عرق يتصل بالكبد والقلب وفيه مجاري الدم والروح قال : ونحن أقرب اليه من حبل الوريد اي من روحه وقال الطبرسي في مجمع البيان : هو عرق يتفرق في البدن يخالط الانسان في جميع اعضائه الخ .

(٥) سورة ق : الآية ١٦ . (٦) سورة الواقعة : الآية ٨٥. (٧) سورة القصص : الآية ٨٨.

(٨) التوحيد : ص ٢٨٥ ح ٣ . (٩) الاقبال: ص ٣٤٩.

وإلى طريق تحصيل مثل هذه المعرفة اشير في غير موضع من القرآن المجيد بالآيات حيث قيل : ﴿إن في خلق السّموات والأرض واختلاف اللّيل والنهار لآيات لاولي الالباب﴾[1] وأمثال ذلك من نظائره (وسئل أمير المؤمنين (ع) بماذا عرفت ربّك ؟ قال : بفسخ العزم ونقض الهم[2] لما هممت فحيل بيني وبين همّي وعزمت فخالف القضاء والقدر عزمي علمت أن المدبّر غيري)[3] .

وهذا رجوع في المعرفة إلى الفطرة واستمداد بها وإنما يكون لاكثر النّاس عند الأضطرار فانا نرى النّاس عند الوقوع في الاهوال وصعاب الاحوال يتوكلون بحسب الجبلة على الله ، ويتوجهون توجّهاً غريزيا إلى مسبّب الاسباب ومسهّل الامور الصعاب وإن لم يتفطنوا لذلك ويشهد لهذا قول الله عزّ وجلّ : ﴿قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين ، بل إيّاه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إنشاء وتنسون ما تشركون﴾[4] .

(إن الصادق (ع) سئل عن الله فقال للسائل هل ركبت سفينة قط ؟ قال : بلى ، قال : فهل كسرت بك حيث لا سفينة تنجيك ولا سباحة[5] تغنيك ؟ قال : بلى ، قال : فهل تعلق قلبك هناك ان شيئاً من الاشياء قادر على أن يخلّصك من ورطتك ؟ قال : بلى قال الصادق (ع) : فذلك الشيء هو الله القادر على الانجاء حين لا منجي وعلى الاغاثة حين لا مغيث)[6] .

وفي قوله سبحانه : ألست بربكم اشارة لطيفة إلى الفطرة حين استفهم منهم الأقرار بربوبيته تنبيهاً لى أنهم كانوا مقرين بوجوده في بداية عقولهم وفطر نفوسهم ، (وسئل الباقر (ع) عن قول الله تعالى : ﴿حنفاء لله غير مشركين﴾[7] وعن الحنفية فقال : هي الفطرة التي فطر الله الناس عليها لا تبديل لخلق الله ، قال : فطرهم الله على المعرفة)[8]

---

(١) سورة ال عمران : الآية ١٩٠ .

(٢) الهم ما هم به الرجل أو أجال فكره لفعله وإيقاعه وكذا الهمة ما هم به من أمر ليفعل ، والعزم القوى جمع همم . المنجد .

(٣) التوحيد : ص ٢٨٨ ح ٦ . (٤) سورة الانعام : الآية ٤٠ ـ ٤١ .

(٥) السبح : المرالسريع في الماء وفي الهواء يقال : سبح سبحا وسباحة ، كذا في المفردات

(٦) معاني الاخبار : ص ٤ ح ٢ وعن تفسير العسكري كما في البحار : ج ٣ ص ٤١ ح ١٦

(٧) سورة الحج : الآية ٣١ . (٨) التوحيد : ص ٣٣٠ ح ٩ .

حافظ

شب ظلمت وبيابان بكجا توان رسيدن مكر آنكه شمع رويت برهم جراغ دارد

كلمة

بها يتبين انه لا سبيل الى اكتناه ذاته والاحاطة به جل جلاله

قال الله عز وجل : ﴿ولا يحيطون به علما وعنت الوجوه للحي القيوم﴾[١] وقال سبحانه : ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾[٢] وقال أمير المؤمنين (ع) « لا تقدر عظمة الله على قدر عقلك فتكون من الهالكين »[٣] ، وقال (ع) : «ما وحده من كيفه ، ولا حقيقته أصاب من مثلّه ، ولا إياه عنى من شبّهه ، ولا صمّده[٤] من أشار اليه وتوهمّه »[٥] ، وقال (ع) : « من قال فيه لم فقد علّله ، ومن قال فيه متى فقد وقته ، ومن قال فيم فقد ضمنه ، ومن قال إلى فقد أنهاه ، ومن قال حتّى فقد ثناه ، ومن ثناه فقد جزأه ومن جزأه فقد الحد فيه ، لا يتغير الله بتغاير المخلوق ، ولا يتحدّد « يتحد خ » بتحدد المحدود »[٦] ، وقال الصادق (ع) : « وكيف أصفه بالكيف وهو الذي كيّف الكيف ، حتّى صار كيفا فعرفت الكيف بما كيّف لنا من الكيف »[٧]نظامى :

جهان متفق بر الهيتش فرو مانده در كنه ماهيتش
نه ادراك در كنه ذاتش رسد نه فكرت بغور صفاتش رسد
نه براوج دانش پردمرغ وهم نه در ذيل وصفش رسددست فهم
كه خاصان دراين ره فرس رانده اند بلا احصى ازتك فرو مانده اند

ولا تلتفت إلى من يزعم أنه قد وصل إلى كنه الحقيقة المقدسة بل احث التراب في فيه ، فقد ضل وغوى وكذب وافترى ، فان الأمر ارفع واظهر من أن يتلوّث[٨] بخواطر البشر ، وكل ما يتصوّره العالم الراسخ فهو عن حرم الكبرياء بفراسخ واقصى ما وصل اليه الفكر العميق فهو غاية مبلغه من التدقيق سنائى :

---

(١) سورة طه : الآية ١١٠ ـ ١١١ . (٢) سورة الانعام : الآية ٩١ . (٣) نهج البلاغة : ص ١٢٥ خطبة ٩١ .
(٤) الصمد : السيد المعظم الذي يصمد اليه في الحوائج اي يقصد ، وقيل هو السيد الذي ينتهي اليه السؤدد وفي الحديث عن الحسين بن علي (ع) أنه قال : الصمد الذي قد انتهى سؤدده والصمد الدائم الذي لم يزل ولا يزال ، والصمد الذي لا جوف له ، والصمد الذي لا يأكل ولا يشرب ، والصمد الذي لا ينام . مجمع البيان .
(٥) نهج البلاغة : ص ٢٧٢ خطبة ١٨٦ . (٦) التوحيد : ص ٣٦ . (٧) التوحيد : ص ١١٥ ح ١٤ .
(٨) تلوث ثوبه بالطين : تلطخ به ، المنجد .

انـچـه پيش تـوبـيش از آن ره نـيـست غـايـت فـهـم تـواسـت الله نـيـست

گفتم همـه ملك حسن سـرمـايـه تست خـورشيـد فلك جـوذ ره در سـايـهٔ تست

گـفتـا غـلطى زمـا نشـان نـتـوان يـافـت از مـا تـوهـر آنـچـه ديـدهٔ پـايـهٔ تست

فسبحان من حارت[1] لطائف الأوهام في بيداء كبريـائه وعـظمته ، وسبحـان من لم يجعل للخلق سبيلا إلى معرفته الا بالعجز عن معرفته شعر :

اعـتـصـام الـورى بـمـغـفـرتـك عـجـز الـواصـفـون عـن صـفـتـك

تـب عـليـا فـانـنـا بـشـر مـا عـرفـنـاك حـق مـعـرفـتـك

المقالة الثانية

في صفاته واسمائه سبحانه ﴿سبحان ربّك رب العزّة عما يصفون﴾ الصافات / ١٨٠ .

كلمة

فيها اشارة الى الصفات وانها عين الذات باعتبار وغيرها باعتبار

چنـانكه كنـه ذات حق معلوم نيست كنـه صفـات او نيـز معلوم نيست ليكن جـون اشعـهٔ صفات بر ماهيت انسان تـابيده ادراك آن بـوجه معتـدّ به ميتـوان ووجوب وجـود اعنى غناى ذاتى ووجـود بلا مـاهية كـه انسان را نيست در فهم آن قـاصر است وإنمـا يطلق عليـه أشرف النقيض كالعلم والجهل والقدرة والعجز والحياة والموت .

قـال مولينـا البـاقـر (ع) : (هـل سمّي عـالمـا قـادر إلا لمـا وهب العلم للعلمـاء والقـدرة للقادرين ، وكلما ميزتموه بـاوهامكم في ادق معـانيه فهـو مخلوق مصنوع مثلكم مـردود اليكم . والباري تعالى واهب الحياة ومقدّر الموت ولعل النمل الصغار تتوهّم ان لله زبانيتين[2] لانـهـمـا كمالها وتتصوّر أن عدمهما نقصان لمن لا تكونان له)[3] .

وصفـات حق عين ذاتست بحسب حقيقـة وهـويّت وغيـر است بحسب مفهـوم وهم چنين صفات با يكديكر ومرجع اين سخن نفى صفاتست از حق باصول نتايج وثمرات آنْ ، وإليه أشار

---

(١) حـار الماء في الغـدير : تـردد فيه ، وحـار في أمره : تحيـر . المفردات .

(٢) زبانيا العقرب بالضم : قرناها . ق . (٣) المحجة البيضاء : ج ١ ص ٢٢٠ .

امير المؤمنين (ع) بقوله : (كمال التوحيد)[1] ، وفي لفظ احر ، (كمال الاخلاص نفي الصمات عنه لشهادة كلّ صفة أنها غير الموصوف ، وشهادة كلّ موصوف أنه غير الصّفة ، فمن وصف الله فقد قرنه ومن قرنه فقد ثناه ومن ثناه فقد جزّاه ومن جزّاه فقد جهله)[2] .

ونيزاكر صفات بحسب حقيقة وهويّة غير ذات باشد احتياج ذات لازم آيد بغير وحكم غير بر او ، فيبطل كون الذات يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ، فالصفات الكمالية كلها ترجع إلى وجوده سبحانه ، فكما أن وجوده لا يشوب بعدم ونقص ، فكذلك علمه الذي هو حضور ذاته لذاته لا يشوب بغيبة شيء من الأشياء وقدرته لا تشوب بعجز عن شيء ، وهكذا حكم ساير صفاته ، وذلك لأنّه تعالى محقق الحقايق ومنشأ« مشيىء خ ل » الأشياء ، فذاته أحقّ بالأشياء من الأشياء بأنفسها .

وقال أمير المؤمنين (ع) : (كل شيء خاضع له ، وكل شيء قائم به ، غنى كل فقير ، وعزّ كل ذليل ، وقوة كلّ ضعيف ، ومفزع كلّ ملهوف)[3] وقال (ع) : (به توصف الصّفات لا بها يوصف ، وبه تعرف المعارف لا بها يعرف ، وبه عرف المكان لا بالمكان عرف ، وبه كان الخلق لا بالخلق كان)[4] .

وروي عن هشام بن السالم قال : (دخلت على أبي عبد الله (ع) فقال : أتنعت الله ؟ قلت : نعم ، قال : هات ، فقلت : هو السميع البصير ، قال : هذه صفة يشترك فيها المخلوقون ، قلت : فكيف تنعته ؟ فقال : هو نور لا ظلمة فيه وحياة لا موت فيه وعلم لا جهل فيه وحق لا باطل فيه ، فخرجت من عنده وأنا أعلم الناس بالتوحيد)[5] .

وبإسناده عن محمّد بن عروة قال : (قلت للرضا (ع) : خلق الله الأشياء بقدرة أم بغير قدرة ؟ فقال : لا يجوز أن يكون خلق الاشياء بالقدرة لأنك اذا قلت خلق الأشياء بالقدرة فكأنك قد جعلت القدرة شيئاً غيره وجعلت آلة له بها خلق الأشياء وهذاشرك ، وإذا قلت خلق الأشياء بقدرة فانما تصفه أنه جعلها باقتدار عليها وقدرة ولكن ليس هو بضعيف ولا عاجز ولا محتاج إلى غيره)[6] .

وعن الباقر (ع) : (يسمع بما يبصر ويبصر بما يسمع) أنه واحد أحدي المعنى ليس

---

(١) نهج البلاغة : ص ٣٩ خطبة ١ .(٢) نهج البلاغة : ص ٣٩ خطبة ١ . (٣) نهج البلاغة : ص ١٥٨ خطبة ١٠٩ .
(٤) تحف العقول : ص ١٧٦ .(٥) التوحيد : ص ١٤٦ ح ١٤ . (٦) التوحيد : ص ١٣٠ ح ١٢ .
(٧) التوحيد : ص ١٤٤ ح ٩ .

بمعاني كثيرة مختلفة قال بعض أهـل العلم : وجود كله ، وجـوب كله ، علم كله ، قدرة كله ، حيـاة كله ، لا أن شيئاً منـه علم وشيئاً آخـر قدرة ليلزم التـركيب في ذاته ، ولا أن شيئـاً فيه علم وشيئاً آخر فيه قدرة ليلزم التكثر في صفاته الحقيقية

شعر

عـبـاراتـنـا شـتـى وحـسـنـك واحـد وكـل إلـى ذاك الـجـمـال يـشـيـر

ولا تتعجب من ذلك فانك إذا حدثت بشيء فانت حينئذ عليم به سميع له بصير اياه متكلم بـه ، بـل أنت إذا ذاك علم وسمـع وبصـر وكـلام ، بـل وأنت في تلك الحـال معلوم ومسمـوع ومبصر ، فالعين الواحدة تصوّرت بالصّـور المتعدّدة وتجلت بـالوجـوه الكثيرة وظهـرت بالأحكـام المختلفة من غير أن يتعدّد الذات ولا الصفات إلا بحسب المفهوم فحسب .

كلمة

فيها اشارة الى تأويل ما يوهم التشبيه من الصفات

هر صفت كه مشعر است بتشبيه بدايت آن كه انفعال است از حق منفى است وغايتش كه كمـال است مثبت اعني ثبوت ثمـرتها للذات منفـردة ، وذلك لأن صفـات المـوجـودات تختلف بحسب المظاهر والمقامات ، فهي إنما تكون في كل بحسبه فالغضب مثلا في الجسم جسمـاني يـظهر بثـوران[1] الدم وحـرارة الجلد وحمرة الـوجه ، وفي النفس نفسـاني ادراكي يظهـر بـارادة الانتقام والتشفي عن الغيظ ، وفي العقل عقلي يظهر بالحكم الشرعي بتعـذيب طائفـة أو حربهم لأعداء دين الله وفي الله سبحانه ما يليق بمفهومات صفاته الموجودة بوجود ذاته .

وكذا الشهوة فانها في النبات الميل إلى جذب الغذاء والنمو ، وفي الحيوان الميـل إلى ما يوافق طبعه ويشتهيه ، وفي النفس الانسانيـة الميل إلى مـا يلائم النـاطقة من كـرايم الملكات ، وفي العقل الابتهاج بمعرفة الله وصفاته واسمـائه وافعـاله ممّـا يعرف وفي الله سبحـانه كـون ذاته مبدىء الخيرات كلها وغايتها وخلقه الخلق لكي يعرف ، وعلى هذا القياس سايـر الصفات ، وهـو سبحانه بحسب كلّ صفة ونعت ليس كمثله شيء في تلك الصّفة لأن المخلوق لا يكون أبداً مثل خالقه في شيء من الأشياء ، لأنه محتاج وخالقه غير محتـاج فلا حـدّ لصفة الله ولا كيف لانهمـا من خواص الحاجة .

---

(١) ثار الغبار والسحاب ونحوهما يثور ثوراً وثوراناً : انتشر ساطعاً وقد اثرته قال تعالى «تثير سحاباً . المفردات .

وفي كلام أمير المؤمنين (ع) (وتوحيده تمييزه من خلقه ، وحكم التمييز بينونة صفة لا بينونة عزلة)[1] ، رواه في كتاب الاحتجاج ، ولك أن تقول ما يوهم التشبيه في الله سبحانه يرجع إلى خواص أوليائه ، فان الوليّ الكامل لما قويت ذاته بحيث وسع قلبه وانشرح صدره وصار جالسا في مقام التمكين على الحدّ المشترك بين الحقّ والخلق غير محتجب بأحدهما عن الآخر فحينئذ كلما يصدر عنه من الاعمال والافعال والمجاهدات والمخاصمات وغيرها كان لله وبالله ومن الله وفي الله ، فان غضب كان غضبه بالله ولله ، وإن رضي كان رضاه كذلك فهكذا في جميع ما يفعل او ينفعل فيصح نسبة صفاته وأفعاله إلى الله سبحانه .

روي عن الصادق (ع) قال : (ان روح المؤمن لأشد اتصالا بروح الله من اتصال شعاع الشمس بها)[2] وعن الصادق (ع) في قوله سبحانه : ﴿فلما آسفونا[3] انتقمنا منهم﴾[4] قال : «إن الله تعالى لا يأسف كأسفنا ولكنه خلق أولياء لنفسه يأسفون ويرضون وهم مخلوقون مربوبون فجعل رضاهم رضا نفسه وسخطهم سخط نفسه ، لأنّه جعلهم الدعاة إليه والأدلاء عليه فلذلك صاروا كذلك وليس أن ذلك يصل إلى الله كما يصل الى خلقه لكن هذا معنى ما قال من ذلك وقد قال : «من أهان لي وليّاً فقد بارزني بالمحاربة ودعاني إليه »[5]وقال: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾[6]وقال : ﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم﴾[7] فكل هذا وشبهه على ما ذكرت لك ، وهكذا الرّضا والغضب وغيرهما من الأشياء مما يشاكل ذلك .

رباعي :

ذاتى كه نگنجد بخيال من وتو شد فهم صفات او كمال من وتو
اي دل چه هميشه گرد كنهش كردى ترسم كه بسوزد پرو بال من وتو

كلمة
فيها اشارة الى اسمائه سبحانه ومظاهرها

الاسم هو الذات باعتبار صفة معيّنة وتجلي خاص ؛ فان الرحمان ذات له الرحمة ، والقهار ذات له القهر(سئل أبو الحسن الرضا (ع) عن الاسم ما هو؟ فقال : صفة

(١) الاحتجاج : ج ١ ص ٢٩٩ . (٢) الكافي : ج ٢ ص ١٦٦ ح ٤ .
(٣) قال في المفردات : الاسف : الحزن والغضب معاً وقد يقال لكل واحد منهما على الانفراد وحقيقته ثوران دم القلب شهوة الانتقام ، فمتى كان ذلك على من دونه انتشر فصار غضباً ، ومتى كان على من فوقه انقبض فصار حزناً « الى أن قال » قوله تعالى فلما آسفونا انتقمنا منهم ، أي أغضبونا « اقول » ثم يذكر الرواية التي رواها المصنف « قد » في المتن بنقصان وتغيير غير مخل بالمقصود فراجع (٤) سورة الزخرف: الآية ٥٥ .
(٥) الكافي : ج ١ ص ١٤٤ ح ٦ . (٦) سورة النساء : الآية ٨٠ . (٧) سورة الفتح : الآية ١٠ .

لموصوف)[1] ، فالاسم أيضاً كالصّفة فانه عين المسمّى باعتبار الحقيقة وغيره باعتبار المفهوم ، فالاسماء اللفظية أسماء للاسماء ، ثم الأسماء تنقسم باعتبار الأنس والهيبة إلى جمالية كاللّطيف والغفار ، وجلالية كالمنتقم والقهار .

والله سبحانه وان كان بذاته غنيا عما سواه كما قال عز وجلّ : ﴿ان الله غني عن العالمين﴾[2] ولكن أسماءَهُ الغير المتناهية تقتضي أن يكون لكل منها مظهر في الخارج يظهر فيه أثر ذلك الاسم ومعناه ويتجلى المسمّى الذي هو الذات تعالى شأنه بذلك الاسم لأهل التوحيد حتى يعرف الله بصفات الكمال كلها ، ولذلك إنما يخلق الله ويدبّر ويربّي كل نوع من أنواع العالم باسم من أسمائه كما اشير إليه في أدعية أهل البيت (عليهم السلام) بالاسم الذي خلقت به العرش وبالاسم الذي خلقت به الكرسي وبربّ كذا وبربّ كذا إلى غير ذلك .

وإنما اختص كل مخلوق باسم بسبب غلبة ظهور الصّفة التي دلّ عليها ذلك الاسم فيه كما اشير إليه في الحديث القدسي : (يا آدم هذا محمّد وأنا الحميد المحمود في فعالي شققت له اسما من اسمي وهذا عليّ وأنا العلي العظيم شققت له اسما من اسمي)[3] الحديث ، فمظهر الرحمن مثلا من يجري على يديه الرّحمة لمن يستحق الرّحمة ثم من يجري عليه الرحمة ، ومظهر القهار من يجري على يديه القهر لمن يستحق القهر ثم من يجري عليه القهر إلى غير ذلك ، فانه لو لم يكن في الخارج راحم ومرحوم لم يظهر الرحمانية ، ولو لم يكن قاهر ومقهور لم يظهر القهاريّة وقس عليه ساير الأسماء حافظ :

سايۀ معشوق اگر افتاد بر عاشق چه شد   ما باو محتاج بوديم او بما مشتاق بود

شعر :

ظهور تو بمن است ووجود من از تو   ولست تظهر لولاي لم اكن لولاك

ولما كانت الاسماء كلها تحت حيطة اسم الله الجامع لها المحيط بها فمظهره مظهر الكل ومظهر الكل خليفة الله المفيض لجميع الكمالات من اسم الله على ما سواه .

---

(١) التوحيد : ص١٩٢ ح٥ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ٩٧ .

(٣) البرهان في تفسير القرآن : ج١ ص٨٨ ح١٣ .

كلمة

فيها اشارة الى كيفية تربية الاسماء للمخلوقات

كل مخلوق يدعو بلسان استحقاقه الفايض عليه من اسم الله ما يستحق له واعطاؤه سبحانه الاستحقاق دعاء منه إلى الطلب ، فالطلب بهذا الأعتبار اجابة لدعوة الحق ، أجيبوا داعي الله ، وهو باعتبار آخر سؤال من الله سبحانه يسأله من في السموات والأرض وهذا السؤال إنما هو بلسان الحاجة والافتقار وعلى وجه الذل والاضطرار ، وإنما هو اسم من أسمائه سبحانه مناسب لحاجة السائل ، فالفقير مثلا يدعو باسم المغني والمريض باسم الشافي والمظلوم باسم المنتقم ، وعلى هذا القياس فكل ذرة من ذرات العالم يدعو الله اضطراراً بلسان حاله باسم من أسمائه تعالى وهو يجيب دعوته في حضرة ذلك الاسم الذي دعاه به كما قال : **﴿امن يجيب المضطر إذا دعاه﴾**[1] .

ومطالب الكل على حسب مسؤولاتهم مبذولة دائماً وحوائجهم مقضية أبداً **﴿وآتاكم من كل ما سألتموه﴾**[2] لا يخيب منه احد قط إلا من كان على بصيرته غشاوة من استعداده ، فاخذ يدعوه بلسان المقال ما يدعو بلسان الحال ، فلذلك يخيب قولا وان استجيب حالا وهو قوله سبحانه : **﴿وما دعاء الكافرين إلا في ضلال﴾**[3] .

شعر

گرجان بدهند سنك سيه لعل نگردد باطينت اصلى چه كندبد گهر افتاد

وهذا الذي ذكرناه أحد معاني قوله سبحانه : **﴿كل يوم هو في شان﴾**[4] يعني در هر حادثه كاري دارد .

(مصراع)

أي تورا باهر كسى كارى ديكر

كلمة

بها يتبين معنى قوله تعالى وعلم آدم الاسماء كلها

قد ورد عن أهل البيت (عليهم السلام) أن المراد بالاسماء أسماء المخلوقات من الجبال

---

(١) سورة النمل : الآية ٦٢ . (٢) سورة ابراهيم : الآية ٣٤ . (٣) سورة الرعد : الآية ١٤ .
(٤) سورة الرحمن : الآية ٢٩ .

والبحار والأودية والنبات والحيوان وغيرها ، وفي رواية أسماء أنبياء الله وأوليائه وعتاة أعدائه .

أقول : ولعلّ وجه التوفيق أن المراد بالأسماء أسماء الحسنى التي بها خلقت المخلوقات كما اشرنا إليه سابقاً وإنما اضيفت تارة إلى المخلوقات كلها لأنّها كلها مظاهرها التي فيها ظهرت اتصاف مجتمعه أي ظهرت صفات اللطف كلها أو جلها في الأولياء وصفات القهر كلها أو جلها في الأعداء .

والمراد بتعليمها آدم كلها خلقه من أجزاء مختلفة وقوى متباينة حتى استعد لادراك أنواع المدركات من المعقولات والمحسوسات والمتخيلات والموهومات ، والهامه معرفة ذوات الأشياء وخواصها واصول العلم وقوانين الصّناعات وكيفية آلاتها والتمييز بين أولياء الله وأعدائه فتأتّى بمعرفة ذلك كله مظهريّته لاسمائه تعالى كلها وجامعيّته جميع كمالات الوجود اللايقة به حتى صار منتخبا لكتاب الله الكبير الذي هو العالم الاكبر كما قال أمير المؤمنين (ع) ، شعر

دواؤك فيك وما تشعر وداؤك منك وما تستنكر
وأنت الكتاب المبين الذي بأحرفه يظهر المضمر
وتزعم أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر[1]

وإنما تعرف الملائكة حقايق الاشياء كلها لاختلافها وتباينها وكونهم وحدانية الصّفة ليس في جبلتهم خلط وتركيب ، ولهذا لا يفعل كل صنف منهم إلا فعلا واحدا فالراكع منهم راكع أبداً ، والسّاجد منهم ساجداً أبداً ، والقائم منهم قائم أبداً كما حكى الله عز وجل عنهم بقوله : **﴿وما منّا إلا له مقام معلوم﴾**[2] ولهذا ليس لهم تنافس[3] وتباغض ، بل مثالهم مثال الحواس فان البصر لا يزاحم السمع في إدراك الأصوات ولا الشم يزاحمها ولا هما يزاحمان الشم فلا جرم مجبولون على الطاعة لا مجال للمعصية في حقهم **﴿لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾**[4] ، **﴿ويسبحون الليل والنهار لا يفترون[5]﴾**[6] .

فكل صنف منهم مظهر لاسم واحد من الأسماء الإلهيّة لا يتعداه ففاقهم آدم بمعرفته الكاملة ومظهريته الشاملة فمعنى قوله تعالى سبحانه : **﴿أنبئهم باسمائهم﴾**[7] أخبرهم بالحقايق

---

(١) من الشعر المنسوب للامام علي (ع) : ص ٧٥ .

(٢) سورة الصافات : الآية ١٦٤ . (٣) نافس فيه : رغب على وجه المباراة في الكرم كتنافس . ق .

(٤) سورة التحريم : الآية ٦ . (٥) فتر يفتر فتوراً : سكن بعد حدة ولان بعد شدة . ق .

(٦) سورة الانبياء : الآية ٢٠ . (٧) سورة البقرة : الآية ٣٣ .

المكنونة عنهم والمعارف المصوّرة عليهم ليعرفوا جامعيتك لها وقدرة الله على الجمع بين الصفات المتباينة والاسماء المتناقضة ومظاهرها بما فيها من التضاد في مخلوق واحد كما قيل :

شعر

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

وروي عن الصادق (ع) أنه قال : (إن الصّورة الانسانية أكبر حجة الله على خلقه ، وهي الكتاب الذي كتبه بيده وهي الهيكل[1] الذي بناه بحكمته ، وهي مجموع صور العالمين ، وهي المختصر من العلوم في اللوح المحفوظ ، وهي الشاهد على كلّ غائب ، وهي الحجّة على كل جاحد ، وهي الطريق المستقيم إلى كل خير ، وهي الصراط الممدود بين الجنة والنار) . مغربي

چه مهر بود كه بسرشته اندر كل من چه كنج بود كه بنهاد دوست در دل من
بدست خويش چهل صبح باغبان ازل نماند تخم كلى تانكشت در كل من

المقالة الثالثة

في الصنع والابداع ﴿صنع الله الذي اتقن كل شيء﴾ النمل / ١٨ .

كلمة

فيها اشارة الى اصول العوالم والنشآت

اصول العوالم في البدو ثلاثة : عالم عقلي روحاني ، وعالم خيالي مثاليّ ، وعالم حسّي جسماني ، وينشأ من كل منها بوسيلة علوم الانسان وأعماله وأمانيّه في العود ثلاثة اخرى بازائها ، فينشأ لها من الانسان أهل وأصحاب ﴿وكنتم أزواجاً ثلاثة﴾[2] .

والعالم العقلي يسمّى بالملكوت الأعلى وعالم الأرواح وأعلى علّيين والجبروت وهو عرى عن الصور والمواد بري من القوة والاستعداد أنشأه الله من نوره سبحانه ، والعالم الخيالي يسمّى بالملكوت الأسفل وعالم الأشباح وعالم النفوس والبرزخ ، وهو عرى عن المواد دون الصور أنشأه الله من نور العقل ، والعالم الحسّي يسمّى بعالم الملك وعالم الأجسام وعالم الكون والفساد والدّنيا ، وهو مقارن الصّور والموادّ والقوة والاستعداد وفيه التقابل والتضاد أنشأه الله من

(١) الهيكل : الضخم من كل شيء . ق. (٢) سورة الواقعة : الآية ٧ .

الهيولى الاولى المسمّاة بالماء التي هي ظل النفس ، وذلك بأن حرّك الهيولى طولاً وعرضاً وعمقاً فكان منهم الجسم المطلق ، ثم خلق من الجسم الأرضين والسّماوات بصورها وطبايعها ، ثم أدار الأفلاك حول الأركان فاختلط بعضها ببعض فكانت منها المولدات الكائنات من المعادن والنباتات والحيوانات .

ولعله إلى بعض هذه المعاني اشير مرموزاً في الحديث النبّوي (ص) حيث قال :(أول ما خلق الله جوهرة فنظر إليها بعين الهيبة فذابت أجزاؤه فصارت ماء فتحرك الماء وطفى[1] فوقه زبد وارتفع منه دخان ، فخلق السّماوات من ذلك الدخان والأرضين من ذلك الزّبد)[2] .

عن الباقر (ع) (ما يقرب من هذا مع الزيادات)[3] وقد يطلق الروح على ما يقابل الجسم فيشتمل ما في العالمين الأولين جميعاً باعتبار تأثيرها في الاجسام واعطائها الحياة لها ، وكذلك النفس يطلق على ما فيهما جميعاً باعتبار تصرّفها في الجسم وتدبيرها له والعالم العلوي يقابل الحسّي فيشملهما أيضاً وقد يطلق على السّماوات في مقابلة الأرضين .

كلمة

فيها اشارة الى انتشاء المخلوقات من العقل باذن الله تعالى

روي عن الصادق (ع) قال :(إن الله خلق العقل وهو أول خلق من الرّوحانيّين عن يمين العرش من نوره فقال له : أدبر فأدبر ثم قال له : أقبل فاقبل فقال الله تعالى : خلقتك خلقا عظيماً وكرمتك على جميع خلقي ، قال : ثم خلق الجهل من البحر الاجاج ظلمانيّا فقال له : أدبر فأدبر ثم قال له أقبل فلم يقبل فقال له : أستكبرت فلعنه)[4] الحديث .

أقول : العقل جوهر ملكوتي نورانيّ خلقه الله من نور عظمته وبه أقام السّماوات والأرضين وما فيهنّ وما بينهن من الخيرات ، ولأجله البس الجميع حلة نور الوجود ، وبواسطته فتح أبواب الكرم والجود ، ولولاه لكنا جميعاً في ظلمة العدم ، ولأ غلقت دوننا أبواب النعم ، وهو بعينه نور نبيّنا (ص) وروحه الذي تشعّب منه أنوار أوصيائه المعصومين وأرواح الأنبياء والمرسلين ، ثم خلقت من شعاعها أرواح شيعتهم من الأولين والآخرين .

والعرش عبارة عن جميع الخلايق وله معان اخر يأتي ذكرها إنشاء الله تعالى ، ويمينه أقوى

---

(١) طفي فوق الماء طفواً : علا . ق . (٢) البحار : ج ٥٤ ص ٣٦٣ وص ٢٤٩ .

(٣) الكافي : ج ٨ ص ٩٤ و ٩٥ . (٤) الكافي : ج ١ ص ٢٠ ح ١٤

جانبيه وأشرفهما ، وهو عالم الرّوحانيات كما أن يساره أضعفهما وأدونهما وهو عالم الجسمانيات ، ومعنى قوله : أدبر ، أي انصرف الى الدنياواهبط إلى الأرض رحمة للعالمين فأدبر . فنزل إلى هذا العالم بأن أفاض باذن ربّه النفوس السّماوية والأرضيّة واظلالها « واطلالها خ » من الطبايع والمواد ، فظهر في حقيقة كل منها وفعل فعلها فصار كثرة وأعداداً وتكثر أشخاصاً وأفراداً ، ثم قال له : أقبل أي توجه إليّ وترق إلى معارج الكمال باكتساب المقامات والأحوال ، فاقبل فأجاب داعي ربّه وتوجّه إلى جناب قدسه بأن صار جسماً مصوّراً من ماء عذب وأرض طيبة ثم انبت نباتاً حسناً ثم صار حيوانا ذا عقل هيولاني ، ثم صار عقلاً بالملكة ، ثم عقلا مستفاداً ، ثم عقلاً بالفعل ، ثم فارق الدنيا ولحق بالرفيق[1] الأعلى .

وكذلك فعل كل من تبعه وشيعه من الأرواح المنشعبة منه المقتبسة من نوره والمنبجسة من شعاعه ويلحق به الجميع ويحشر معه في عروجه إلى العالم الأعلى ورجوعه إلى الله تعالى .

فادباره عبارة عن توجهه إلى هذا العالم الجسماني والفائه عليه من شعاع نوره وإظهاره الأعيان فيه وإفاضته الشعور والإدراك والعلم والنطق على كلّ منها بقدر استعداده له وقبوله منه من غير أن يفارق معدنه ويخلي مرتبته ومقامه في القرب ، بل يرشح بفضل وجوده الفائض من الله تعالى على وجود ما دونه .

واقباله عبارة عن رجوعه إلى جناب الحق وعروجه إلى عالم القدس باستكماله لذاته بالعبودية الذاتية شيئاً فشيئاً من أرض المادة إلى سماء العقل حتى يصل إلى الله ويستقر على مقام الأمن والراحة ، ويبعث إلى المقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون .

فادباره في جميع المراتب ايجابي تكويني لا يحتمل العصيان وأمريّ دفعيّ لا يدخل تحت الزمان ولا يتطرق إلى السّابق عند وجود اللّاحق بطلان ولا نقصان ، وإقباله في الأواخرتكليفي تشريعي وكله خلقيّ تدريجي مقيّد بالزمان يبطل السّابق عند اللاّحق شخصاً وجسماً لا حقيقة وروحاً ، وكل مرتبة منهما عين نظرية من الاخر حقيقة ، وغيره شخصاً والشرف والكمال إنما هو بالدنو من الحق المتعال ففي البدو كل ما تقدم كان أوفر اختصاصاً ، وفي العود كل ما تأخر كان أعلي مكانا .

ومثل نور العقل في عالم الغيب مثل نور الشمس في عالم الشهادة فكما أن عين البصر

(١) في حديث عايشة سمعته (ص) يقول عند موته : بل الرفيق الاعلى ، وذلك انه (ص) خير بين البقاء في الدنيا وبين ما عند الله فاختار ما عند الله تعالى . م .

تدرك بنور الشمس المحسوسات في هذا العالم ولولاه لما ابصرت شيئاً فكذلك عين البصيرة تدرك بنور العقل المعقولات في ذلك العالم ولولاه لما ابصرت شيئاً، وكما أن من عمي بصره لا يبصر بنور الشمس شيئاً فكذلك من عميت بصيرته لا يبصر بنور العقل شيئاً .

ثم إن هذه الأنوار الشعاعية المنبجسة[1] من ضياء العقل والنّور المحمّدي منها ما هو غريزي للانسان به يتهيأ لادراك العلوم النظرية وتدبير الصناعات الخفية فيخرجها من القوة إلى الفعل شيئاً فشيئاً وبها يفارق ساير الحيوانات ، ومنها ما هو مكتسب له به يميّز بين النافع له في المآل والضار به فيه ، فيقدم على النّافع ويجتنب الضار ويختار الاجل الباقي على العاجل الفاني في النفع وبالعكس في الضرر ، وهو ثمرة الاولى والغايه القصوى لـه ويؤيّده الملائكة وتلهمه وتهديه .

وإلى كلا العقلين اشير فيما ينسب إلى أمير المؤمنين (ع) أنه قال : (رأيت العقل عقلين : فمطبوع ومسموع ولا ينفع مسموع إذا لم يك مطبوع كمالا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع)[1] ولكل منهما درجات ومراتب فكامل وأكمل وناقص وأنقص .

والجهل جوهر نفساني ظلماني خلق بالعرض وبتبعية العقل من غير صنع فيه غير صنع العقل يقوم به كل ما في الأرض من الشرور والقبايح وهو بعينه نفس إبليس وروحه الذي به قوام حياته الذي تشعب منه أرواح الشياطين ثم خلقت من ظلمتها أرواح الكفار والمشركين ، والبحر الاجاج هو المادة الجسمانية الظلمانية الكدرة التي هي منبع الشرور والافات في هذا العالم ، وهو إشارة إلى علته القابلية قال الله تعالى : ﴿**وكان عرشه على الماء**﴾[2] أي كان بناء العالم الجسماني وقوامه على المادة التي لها قبول كلّ خير وشر كالماء القابل للتشكلات المختلفة بسهولة فمنه عذب فرات ومنه ملح اجاج[3] .

وعن الباقر (ع) (ان الله تعالى قبل أن يخلق الخلق قال : كن ماء عذباً أخلق منك جنتي وأهل طاعتي ، وكن ملحا اجاجاً أخلق منك ناري وأهل معصيتي ثم أمرهما فامتزجا ، فمن ذلك صار يلد المؤمن كافراً والكافر مؤمناً)[4] .

---

(١) بجست الماء فانبجس من باب قتل أي فجرته فانفجر وفي دعاء الغيث منبجسة بروقه أي منفجرة بالماء . م .

(٢) احياء علوم الدين : ج ١ ص ٨٠ . (٣) سورة هود : الآية ٧ . (٤) ملح اجاج : شديد الملوحة والحرارة . المفردات .

(٥) الكافي : ج ٢ ص ٦ ح ١ .

ويؤيد هذا التشبيه والتجوز ويشيّده ما يقال : إن نسبة المادة إلى مقبولاتها التي هي لابستها وخالعتها من الصور والاعراض نسبة البحر إلى الامواج ، ولك أن تعمم المادة التي عبر عنها بلسان الشرع بالماء بما يشمل مادة الأرواح فان التحقيق الاتم يقتضي أن لا تخلو الأرواح أيضاً من مادة هي منشأ امكانها الذاتي القابل للوجود الخاص ومبدأ استعدادها الفطري كامتثال أمركن في علم الله سبحانه .

فان كلّ ممكن جسما كان أو روحاً فهو زوج تركيبي له عدم من نفسه ووجود من ربّه ، تميّز غدمه بذلك الوجود وتخصّص به ، أحدهما بمنزلة المادة ، والآخر بمنزلة الصّورة وباعتبار تقدم القابل على المقبول ورد : (أول ما خلق الله الماء)[1] ، ولكون القابل ليس من عداد المخلوق بل هو شرط له ورد : (أول ما خلق الله العقل)[2] ، وفي كلام الإمام (ع) إشارة لطيفة إلى ذلك كما لا يخفى .

وأمر الجهل بالادبار أمر تكوين اي اهبط من عالم الملكوت والنور إلى عالم المواد والظلمات مصلحة للنظام وابتلاء للانام إذ نظام هذا العالم وعمارته لا ينصلح الا بنفوس شريرة وقلوب قاسية ، وتكميل السعداء المهتدين لا يتمشى إلا بوجود الاشقياء المردودين ، ولأن يتحقق مظاهر بعض الأسماء فيوجد آثارها كالعدل والمنتقم والجبار والتواب والغفور والعفو فانها أسماء إلهية وصفات ربانية لا يظهر آثارها وغاياتها إلا إذا جرى على العبد ذنب .

ولذلك ورد في بعض الأخبار (لو لا أنكم تذنبون لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر الله لهم)[3] .

فادبار الجهل توجّهه الى عالم الزور[4] وبعده عن مقام الرّحمة والنور هابطا مع العقل حيث هبط ، وظهوره في حقايق النفوس والطبايع والصور والمواد بانْ صار جسماً مصوّراً من ماء اجاج وأرض خبيثة منتنة ، ثم صار نباتا ثم حيوانا ذا جهل هيولاني ، ثّم اكتسب جهلا بالملكة ، ثم جهلا مستفادا ، ثم جهلا بالفعل ، وعند ذلك انتهى ادباره وصار في غاية البعد من الله سبحانه وكذلك فعل من تبعه وشيّعه من الأرواح الخبيثة المنشعبة منه ويلحق به ويحشر معه في هوية

---

(١) كما في الكافي : ج ٨ ص ٩٤ و ٩٥ . (٢) العوالي : ج ٤ ص ٩٩ ح ١٤١ .

(٣) احياء علوم الدين : ج ٤ ص ١٤١ وصحيح مسلم : ج ٤ ص ٢١٠٥ .

(٤) الزور : الميل عوج الزور أو اشراف احد جانبيه على الاخر . المنجد . وقال في المفردات وقيل للكذب زور لكونه مايلا عن جهته .

(هويه) إلى دركات الجحيم ونزوله إلى أسفل السافلين .

وإدباره في جميع المراتب تابع لادبار العقل واقباله جميعا ، وإنما تحقق بالعرض لا بالذات إذ كل من لم يقبل من شعاع نور العقل أو قل قبوله منه بقي في ظلمة الجهل بمقدار عدم قبوله منه ، وذلك لسوء استعداد مادته وخبث طينته حافظ

كوهر پاك ببايد كه شود قابل فيض ورنه هر سنك سيه لولو ومرجان نشود

وقد ثبت في محله أن الخيرات كلها راجعة إلى الوجود ، والشرور كلها راجعة إلى العدم وأمر الجهل بالاقبال أمر تكليفي تشريعي وإنما لم يقبل لأنه بلغ بالادبار أقصى مراتب الكمال المتصور في حقه ، ولهذا استكبر لتأكد وجوده الظلماني ورسوخه في ذمايم الصفات وقوة إنانيته واغتراره ، والاقبال إلى الحق إنّما يتيسّر لنفوس السّعداء لاجل ضعف وجودهم الجسماني وقبولهم التبدّل في الأكوان الوجوديّة ، وتطورهم[1] في الأطوار الاخروية بفناء بعد فناء لبقاء فوق بقاء ، وعدم تعلقهم بهذا الوجود ولا تقيدهم بهذه المحابس والقيود ، وترك التفاتهم إلى شيء سوى مبدأ كل خير وجود ، وليس شيء من هذه في الأشقياء ، بل هم متّصفون باضدادها فلعنه أي أبعده عن رحمته وطرده عن دار كرامته .

والجوهر العقلي من جهة ذاته بذاته سعيد في الدنيا والآخرة لا ذنب له ولا معصية وإنما يعتريه شيء من ذلك لأجل صحبة البدن ومخالطة الوهم والخيال والنزول في منزل الاراذل . حافظ

من ملك بودم وفردوس برين جايم بود آدم آورد بدين دير خراب آبادم
طاير گلشن قدسم چه دهم شرح فراق كه در اين دامگه حادثه چون افتادم

كلمة

فيها تمثيل مراتب الخلق في صدوره من الله تعالى

مثال الباري عزّ اسمه في ترتيب خلقه ولا مثال له مثال الواحد في ترتيب الاعداد وانتشائها منه فانه ادل دليل على وحدانية الباري جل اسمه وكيفية اختراع الأشياء وابدائه « ابداعه خ ل » لها .

---

(١) الطور : الهيئة ، الحال . التارة يقال : اتيته طوراً بعد طور ؛ اي تارة بعد تارة المنجد ؟

وذلك أن الواحد وإن كان منه يتصور وجود العدد وتركيبه في افكار النفوس فهو لم يتغير عمّا كان عليه ولم يتجز ، وكذلك الباري تعالى وإن كان هو الذي اخترع الأشياء من نور وحدانيته وأبدعها وأنشأها وبه قوامها وبقاؤها وكمالها فهو لم يتغير عما كان من الوحدانية قبل اختراعه ، وكما أن الواحد لا جزء له ولا مثل في العدد ، كذلك الباري جلت عظمته لا مثل له في خلقه ولا شبه ، وكما أن الواحد محيط بالأعداد كلها يعدّها ويقدرها ، كذلك الباري جل ثناؤه محيط بالأشياء علما وقدرة ورحمة .

وكما أن الواحد أصل الأعداد ومبدأها وهو معها من غير ممازجة ولا مخالطة كذلك الباري سبحانه أصل الموجودات ومبدأها وهو معها من غير ممازجة ولا مخالطة ، وكما أن الواحد إذا رفع من الوجود توهما ارتفع العدد كله ، كذلك لو لم يكن الباري جل اسمه ارتفع الموجودات وجوداً وتوهّما ، وكما أن من الاعداد ما هو أقرب من الواحد رتبة ومنزلة وهو الاثنان ثم الثلاثة ثم الأربعة ثم ما زاد ، كذلك من الموجودات ما هو أقرب إلى الباري رتبة ومنزلة إلى غير ذلك .

ومهما نظرت إلى الوجود جمعاً وتفصيلاً وجدت التوحيد يصحبه لا يفارقه ألبتة صحبة الواحد للأعداد ، فان الاثنين لا يوجد أبداً ما لم تضف إلى الواحد مثله ، ولا يصح الثلاثة ما لم تزد على الاثنين واحداً وهكذا إلى ما لا يتناهى ، فالواحد نصف العدد والعدد كله واحد لو نقص من الألف واحد انعدم اسم الالف.وحقيقته وبقيت حقيقة اخرى وهي تسعمأة وتسعة وتسعون ، ولو نقص منها واحد ذهب عينها البتة فمتى انعدم الواحد من شيء عدم ذلك الشيء هكذا التوحيد إن حققته ، ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾[1] .

ومن اللطايف أن العدد مع غاية تباينه للوحدة وكون كل مرتبة منه حقيقة برأسها موصوفة بخواص ولوازم لا توجدان في غيرها إذا فتشت حاله وحال مراتبه المختلفة لم تجد فيها غير الوحدة ، وأنك لا تزال تثبت في كل مرتبة من المراتب عين ما تنفيه فتقول : الواحد ليس بعدد والعددليس بواحد ، لأنه يقابله مع أنه عين الواحد الذي يتكرر ، والواحد عين العدد الذي يحصل بتكرّره ، فلك أن تقول لكل مرتبة إنها مجموع الاحاد وأن تقول إنها ليس مجموع الاحاد لاتّصافها بخواص ولوازم لا توجدان في غيرها .

ومجموع الاحاد جنس لكل مرتبة وكل مرتبة نوع برأسها فلا بد لها من أمر آخر غير جميع الاحاد وليس فيها شيء غير جميع الاحاد فلا تزال تثبت عين ما تنفي وتنفي عين ما تثبت ، وهذا

---

(١) سورة الحديد : الآية ٤ .

أمر عجيب وهو بعينه ما نحن بصدد بيانه من أنّ الحق المنزه عن نقايص الحدثان[1] بل عن كمالات الاكوان هو الظاهر بأسمائه في الأعيان .

شعر

اي برون از وهم وقال وقيل من خاك بر فرق من وتمثيل من

كلمة

في معنى العرش والكرسي

قد يراد بالعرش الجسم المحيط بجميع الاجسام ، وقد يراد به ذلك الجسم مع جميع ما فيه من الأجسام أعني عالم الجسماني بتمامه وقد يراد به ذلك المجموع مع جميع ما يتوسط بينه وبين الله سبحانه من الارواح والعقول التي لا تتقوم الاجسام إلا بها أعني العوالم كلها بملكها وملكوتها وجبروتها ، وبالجملة ما سوى الله عز وجلّ ، وقد يراد به علم الله سبحانه المتعلق بما سواه ، وقد يراد به علم الله الذي اطلع عليه أنبياءه ورسله وحججه صلوات الله عليهم خاصّة وقد وقعت الاشارة إلى كل منها في كلامهم (عليهم السلام) .

وعن الصادق (ع) (أنه سئل عن العرش والكرسي ما هما ؟ فقال : العرش في وجه هو جملة الخلق والكرسي وعاؤه ، وفي وجه العرش هو العلم الذي اطلع الله عليه أنبياءه ورسله وحججه (عليهم السلام) والكرسي هو العلم الذي لم يطلع عليه احدا من أنبيائه ورسله وحججه (عليهم السلام)[2] وكان جملة الخلق عبارة عن مجموع العالم الجسماني والوعاء عن عالمي الملكوت والجبروت لاستقراره عليهما وقيامه بهما .

وقد يراد بالكرسي الجسم الذي تحت العرش بالمعنى الاول الذي دونه السّماوات والارض لاحتوائه عليهما كأنه مستقرهما والعرش فوقه كأنه سقفه ، وفي الحديث «ما السّماوات والأرضون السّبع مع الكرسي الا كحلقة ملقاة في فلاة[3] وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة» .

---

(١) الحدثان بالتحريك : الموت وفي حديث الارواح الخمسة هذه الارواح الاربعة يصيبها الحدثان الاروح القدس لا تلهو ولا تلعب كانه يريد بالحدثان ما يحدث لها من النوم والغفلة واللهو والزهو ونحو ذلك . م . وحدثان الدهر : نوائبه . المنجد .

(٢) معاني الاخبار : ص ٢٩ . (٣) الفلاة : الصحراء الواسعة جمع فلوات . المنجد .

وعن الصادق (ع) (السّماوات والأرض وكل شيء في الكرسي)[1] وفي رواية (العرش وكلّ شيء في الكرسيّ)[2] وربما يقال كون العرش في الكرسي لا ينافي كون الكرسي في العرش ، لأن أحد الكونين بنحو والآخر بنحو آخر ، لأن أحدهما كون عقلي إجمالي ، والآخر كون نفساني تفصيلي ، وقد يجعل الكرسي كناية عن الملك لانه مستقر الملك وقد ثبت أن العلم والمعلوم متحدان بالذات متغايران بالاعتبار فمعاني العرش كلها متقاربة .

كلمة

في معنى أركان العرش وقوائمه وحملته

أركان العرش وقوائمه عبارة عن أركان العالم أعني ما كان بناء الخلق عليه وهي الحياة والموت والرزق والعلم التي وكل بها أربعة أملاك هي إسرافيل وعزرائيل وميكائيل وجبرائيل

وفعل الأوّل نفخ الصور والأرواح في قوالب المواد والاجساد وإعطاء القوة والحركة لانبعاث الشوق والطلب ، وله ارتباط مع المفكّرة ولو لم يكن هو لم ينبعث الشوق والحركة لتحصيل الكمال في احد .

وفعل الثاني تجريد الأرواح والصور عن الأجساد والمواد وإخراج النفوس من الأبدان ، وله ارتباط مع المصوّرة ولو لم يكن هو لم يكن الاستحالات والانقلابات في الاجسام والاستكمالات والانتقالات الفكرية في النفوس ولا الخروج من الدّنيا والقيام عند الله للأرواح ، بل كانت الأشياء كلها واقفة في منزل واحد ومقام أول .

وفعل الثالث إعطاء الغذاء والانماء على قدر لايق وميزان معلوم لكل شيء بحسبه وله ارتباط مع الحفظ والامساك ، ولو لم يكن هو لم يحصل النشؤ والنماء في الأبدان ولا التطوّر في الاطوار الملكوت في الأرواح ولا العلوم الجمة للفطرة وفعل الرابع الوحي والتعليم وتأدية الكلام من الله سبحانه إلى عباده ، وله ارتباط مع القوة النطقية ولو لم يكن هو لم يستفد أحد معنى من المعاني بالبيان والقول ولم يقبل قلب أحد الهام الحق والقائه في الروع[3] وحملة العرش عبارة عن الأرواح الموكلة بتدبيره على المعاني الاول وعن حملة العلم على الاخرين .

---

(١) التوحيد: ص ٣٢٧ ح ٣. (٢) التوحيد: ص ٣٢٧ ح ٤ . (٣) الروع بالضبم فالسكون : العقل والقلب . م .

وفي اعتقاداتِ الصدوق طاب ثراه فأمّا العرش الذي هو جملة الخلق فحملته أربعة من الملائكة لكل واحد منهم ثماني أعين كل عين طباق[1] الدّنيا ، واحد منهم على صورة بني آدم يسترزق الله لولد آدم ، والآخر على صورة الثور يسترزق الله للبهايم كلها ، والآخر على صورة الاسد يسترزق الله للسباع ، والاخر على صورة الديك يسترزق الله للطيور ، فهم اليوم هؤلاء الاربعة وإذا كان يوم القيامة صاروا ثمانية .

وأما العرش الذي هو العلم فحملته أربعة من الاولين وأربعة من الآخرين ، فأما الاربعة من الاولين فنوح وإبراهيم وموسى وعيسى ، وأما الاربعة من الاخرين فمحمد وعلي والحسن والحسين (عليهم السّلام) ، هكذا روي بالاسانيد الصّحيحة عن الأئمة (عليهم السلام) في العرش وحملته انتهى كلامه (ره) .

ويشبه أن يكون الملائكة كناية عن أرباب الانواع العقلية على ما رواه طائفة من الحكماء ، وتكون أربعة من جانب البدو والنشأة الاولى ، وهي التي ذكر تفصيلها وأنها على صور تلك الانواع تربيها وتفيض عليها ما تحتاج إليه ، وتصير ثمانية في جانب العود والنشأة الاخرى التي تصير إليها الانواع بعد تحصيل كمالاتها في هذه النشاة .

وأعين الملائكة كناية عن أصناف علومهم بما يحتاج إليه في تربية الانواع ، فان بالعلم يبصر العالم كما أنّ بالعين يبصر الرائي ، وعددهم مطابق لعدد حملة العلم كأنّهم يبصرون بعلومهم إذ لكل منهم علم وكمال خاصّ يقتضيهما المزاج الخاص وطباق اعينهم الدنيا عبارة عن شمول علومهم وتدبيرهم جميعاً جزئيات تلك الأنواع ، وفي الحديث تخصيص لمعنى العرش ببعض أجزائه وهو العالم السفلي رعاية لافهام المخاطبين او اريد بهؤلاء الملائكة ما يشمل مباديها .

المقالة الرابعة

في النفوس والاشباح ، ﴿وفي أنفسكم افلا تبصرون﴾ الذاريات / ٢١ .

كلمة

فيها اشارة الى لمية النفوس والاشباح وانيتهما

لما كان تدبير الاجسام مفوّضاً إلى الأرواح وتعذر الارتباط بين الأرواح والاجسام للمباينة

(١) طباق الارض ما علاها . م .

بينهما خلق الله سبحانه عالم المثال والأشباح برزخاً جامعاً بين عالم الأرواح وعالم الأجسام ليصحّ ارتباط أحد العالمين بالآخر ، فيتأتى حصول التّأثر والتأثير ووصول الامداد والتدبير ، فهو عالم روحاني شبيه بالجوهر الجسماني في كونه محسوساً مقداريا يظهر في الزمان والمكان ، وبالجوهر العقلي في كونه نورانيّاً منزّها عن المكان والزمان ، وليس بجسم مركب ماديّ ولا جوهر مجرّد عقليّ بل له جهتان يشبه بكلّ منهما ما يناسب عالمه .

وما من موجود محسوس أو معقول إلا وله مثال مقيد في هذا العالم البرزخيّ وهو في العالم الكبير بمنزلة الخيال في العالم الانساني الصّغير ، فمنه ما يتوّقف إدراكه على القوى الدماغية ويسمى بالخيال المتصل ، ومنه ما لا يتوقف على ذلك ويسمّى بالخيال المنفصل ، وبهذا العالم وخاصيّته يتجسّد الأرواح في مظاهرها المثالية المشار إليها بقوله سبحانه : ﴿فتمثل لها بشراً سويّا﴾[1] وبقوله عز وجلّ حكاية عن السامري : ﴿فقبضت قبضة من أثر الرّسول﴾[2] يعني به جبرئيل (ع) : إذ كان راكباً على فرس ، وبما ورد (أن النبي (ص) كان يرى جبرئيل (ع) في صورة دحية الكلبي)[3] وأنه كان يسمع منه (ع) كلاما مقروء في كسوة الألفاظ والحروف .

وإلى هذا العالم يرقى المتروحون[4] في معارجهم الرّوحانية الحاصلة بالانسلاخ من هذه الصّور الطبيعية العنصريّة واكتساء ارواحهم المظاهر الرّوحانية وفيه تتشكل النفوس الكاملة بصورهم المحسوسة في مكان آخر غير مكانهم الذي كانوا فيه أو يتشكل باشكال غير أشكالهم المحسوسة وهم في دار الدّنيا ، ويظهرون لمن يريدون الظهور له وبعد انتقالهم إلى الاخرة أيضاً لازدياد تلك القوة بارتفاع المانع البدني .

وبالجملة به وفيه تجسّد الأرواح وتروح الاجساد وتشخص الاخلاق والأعمال وظهور المعاني بالصّور المناسبة لها ، بل ظهور الأشباح في المرايا وساير الجواهر الصيقلية والماء الصافي أيضاً فانها كلها من هذا العالم بل وفيه يرى ما يرى في الخيال من الصوّر في منام كانت أو يقظة فانها متّصلة بهذا العالم مستنيرة منه كالكوى[5] والشبابيك التي يدخل منها الضوء في البيت فهو عالم وسيع يسع ما فوقه من المجردات بصورها وما تحته من الجسمانيات بصورها ، وهو واسطة العقل إليه تعرج الحواس وإليه تنزل المعاني وهو لا يبرح من موطنه ﴿يجبى إليه ثمرات كل شيء﴾[6].

---

(١) سورة مريم : الآية ١٧ . (٢) سورة طه : الآية ٩٦ . (٣) البحار : ج ٥٨ ص ٩ .
(٤) تروح القوم : ذهب اليهم في العشي . (٥) الكو والكوة : الخرق في الحايط جمع كواء وكوى . المنجد .
(٦) سورة القصص : الآية ٥٧ .

وبه يصحّ ما ورد في أخبار معراج النبي (ص) (من رؤيـة المـلائكة والأنبيـاء مشاهـدة)[1] وفيه (حضور الأئمـة المعصومين (عليهم السـلام) عند احتضار الميت)[2] كما ورد في أخبـار كثيرة ، وفيه (سؤال القبر ونعيمه وعذابه وزيارة المؤمن أهله بعد موته) [3]، وما ورد(أن الأرواح بعد الموت في صفة الاجساد تتعارف وتتساءل)[4] وغير ذلك ممّا يشاكله .

ويشبه أن يكون من هذا القبيل نزول عيسى (ع) ، قال الصّدوق طاب ثراه : نزول عيسى (ع) إلى الأرض رجوعه إلى الدنيا بعد موته ، لأن الله قال : ﴿إني متوفيك ورافعك إليّ[5]﴾ وكذا ما استفاض به الاخبار عن أهل البيت (عليهم السلام) أن الله عز وجلّ سيعيد قوما عنـد قيام المهدي (ع) ممّن تقدم موتهم من أوليائه وشيعته ممّن محض الايمان محضاً ليفوزوا بثـواب نصـرتـه ومعـونتـه ويتبهجـو[6] بـظهـور دولتـه ويعيـد أيضـاً قـومـاً من أعـدائـه ممن محض الكفـر محضا لينتقم منهم وينالوا بعض ما يستحقونه من العقاب في القتل على أيـدي شيعته ، او الـذّل والخزي[7])[8] بما يشاهدونه من علو كلمته ، وهي الرجعة التي اختص بـالايمان بهـا أصحابنـا الاماميّون ، وبها اوّلوا بعض آيات الحشر والبعث نقلاً عن ائمتهم (عليهم السلام) .

وفي حديث أبي الطفيل في الرّجعة قال :(قال أمير المؤمنين (ع) : هذا علم خاصّ يسـع الأمّة جهله وردّ علمه إلى الله قال : وقرأ عليّ بذلك قراءة كثيرة وفسّره تفسيراً شافيا حتى صـرت ما أنا بيوم القيامة أشد يقينا مني بالـرّجعة ، وكـان ممّا قلت يـا أمير المؤمنين أخبـرني عن حوض النبي (ص) في الدنيا أم في الاخرة ؟ فقال : بل في الدنيا ، قلت : فمن الذايـد[9] عنه ؟ فقـال أنا بيدي فليردنه أوليائي وليصرفن عنه اعدائي)[10].

وعن البـاقر (ع)(في الـرجعة تلك القـدرة لا تنكرهـا [11]وكثيراً مـا يقع الاشتبـاه بين ما يـراه الانسان بعين الحس وبين ما يراه بعين الخيال مـع انهما مختلفتـا الاحكام فـرب قليل في عيـن الحس هو كثير في عين الخيـال وبالعكس كمـا قال الله تعـالى :﴿وإذا يريكمـوهم إذ التقيتم في

---

(١) كما في روضة الواعظين : ص٥٦ في معراج النبي (ص) . (٢) البحار : ج٦ ص١٧٣ .

(٣) كما في الكافي : ج ٣ ص ٢٣٥ و ص ٢٣٠ . (٤) الكافي : ج ٣ ص ٢٤٤ ح ٣ . (٥) سورة آل عمران : الآية ٥٥

(٦) البهجة : حسن اللون وظهور السرور فيه قال عز وجل . حدائق ذات بهجة . المفردات .

(٧) خزي الرجل لحقه انكسار اما من نفسه واما من غيره فالذي يلحقه من نفسه هو الحياء المفرط ومصدره الخزاية والذي يلحقه من غيره يقال هو ضرب من الاستخفاف ومصدره الخزي المفردات

(٨) كما في البحار ج ٥٣ ص ٣٩ ح ١ وانظر ص ٤٤ ح ١٦ (٩) قال تعالى ووجد من دونهم امرأتين تـذودان . أي تطردان المفـردات . (١٠)عن منتخب البصائـر كما في البحار : ج ٥٣ ص ٦٨ ح ٦٦ (١١) البحار : ج ٥٣ ص ٧٢ ح ٧١

أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم﴾[1] وقال عز وجل : ﴿يرونهم مثليهم رأي العين﴾[2] وما كانوا مثليهم في الحسّ فما ذاك إلا بعين الخيال وهو حق في الخيال وليس بحق في الحسّ لاختلاف النشأتين [3] .

وهذا كما ترى في المنام اللبن تشربه ولم يكن ذلك إلا عين العلم فما رأيته لبنا وهو علم ليس إلا بعين الخيال ، ومن هذا يظهر أن الرؤية ليس من شرطها أن تكون بالعين ولا المرئي إنما يسمّى مرئيا لكونه يحصل بالعين ، بل لكونه غاية انكشاف الشيء فلو وقعت غاية الانكشاف بقوة اخرى كانت حقيقة الرؤية بحالها كالصّور التي يراها النائم في عموم أوقاته فالنفوس إذا كانت قوية كان اقتدارها على الاختراع أقوى فيكون متصوّراتها موجودات خارجية حاضرة عندها بذواتها وعند من يكون درجته في القوة والنورية هذه الدرجة .

قال بعض أهل المعرفة بالوهم يخلق كل انسان في قوة خياله ما لا وجود له إلا فيها . وهذا هو الأمر العام لكل انسان والعارف يخلق بالهمّة ما يكون له وجود من خارج محل الهمة ولكن لا يزال الهمّة تحفظه ولا تؤده[4] حفظ ما خلقته فمتى طرأ على العارف غفلة عن حفظ ما خلق عدم ذلك المخلوق إلا أن يكون العارف قد ضبط جميع الخطرات وهو لا يعقل مطلقاً .

أقول : ولعله كان من هذا القبيل ما ورد عن الصادق (ع) (أنه كان عنده ناصبيّ يؤذيه بمشهد من المنصور فأمر (ع) صورة أسد كانت على وسادة[5] أن خذ عدوّ الله فصارت أسداً فافترسه ثم عادت إلى مكانها)[3] .

كلمة

بها يجمع بين تقدم النفوس على الاجساد وبين حدوثها بحدوث الاجساد

وجود نفوس جزئية انسانية كه عموم آدميان راست بنحويكه درعالم شهادت است بعد از حصول مزاجست وبحسب استعداد آن كما تبين في محله بالبرهان ، واكرچه بنحوى ديكر پيشتر

---

(١) سورة الانفال : الآية ٤٤ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ١٣ .

(٣) قوله عز وجل : ولا يؤده حفظهما ، اي لا يثقله واصله من الاود آد يؤد أوداً اذا أثقله . المفردات .

(٤) الوسادة : المتكاء والمخدة : ان وسادك لعريض كناية عن كثرة النوم . م . (٥) كما في عيون اخبار الرضا : ص ٧٨ ح ١ .

در عالم ذر بوده اند واين نفوس أرواح برزخيه اند كه از ماده مجردند نه صورت ومشتمل انـد بر شهوت وغضب .

وأما وجود نفوس كليه انسانية كـه مختص كل وخـواصى است بيش ازوجود أجسـام است ودر نفوس جزئية ايشان استعداد آن هست كه ترقى كنند از مرتبهٔ جزئيه ومنسلخ شوند از صفـات تقيديهٔ عرضيّه به حيثيتى كه از كليات خود عود كنند وبه آن ها متصل كردند ، واين نفوس ارواح قدسيه اند كه مجـردند از مـاده وصورت هـردو ، وان كان لهـا في البرزخ صـور هي لها بمنـزلة الابدان ولأبدانها العنصريـة بمنزلـة الأرواح ، فان كـل عال يشتمـل على ما هـو أسفل منـه دون العكس ، فللأرواح المجـردة عن الأمـريـن التي هي من جنس المـلائكـة المقـربين والعقـول القدسيِّين تقدم على الاجساد والأرواح الصورية البرزخية حادثة بحدوث الاجساد .

وممّـا يدلّ على تقـدّم الأرواح الخواص والكمّـل على الأجساد من جهـة النقل قـول النبيّ (ص) في الخبـر المشهـور : (أوّل مـا خلق الله روحي)[١] وفي روايـة (نـوري)[٢] وقـولـه (ص) ، (إن الله خلق الأرواح قبـل الأجساد بـألفي عام)[٣]، وقوله (ص) : (أول مـا أبـدع الله تعالى النّفوس المقدّسة المطهرة فأنطقها بتوحيده ثمّ خلق بعد ذلك ساير خلقه)[٤] ، وقوله (ص) (نحن الآخـرون السابقـون)[٥] ، وقولـه (ص) (كنت نبيا وآدم بين المـاء والطين)[٦] ، وقـولـه (ص) (أنا أوّل الانبياء خلقاً وآخرهـم بعثا)[٧] جامى .

بـودم آن روز مـن ازدايـره بـادهٔ كـشـان ... كـه نـه ازتـاك نشان بـودونـه ازتـاك نشان

كلمة

بها يتبين ان للانسان نفوساً عديدة وان بعضها يختص بالخواص

روي عن أمير المؤمنين (ع) (إن لـلأنبياء وهـم السـابقون خمسـة أرواح روح القدس، وروح الإيمان ، وروح القوة ، وروح الشهـوة ، وروح البدن . فبـروح القدس بعثـوا الأنبياء وبهـا علموا الأشيـاء ، وبروح الايمـان عبدوا الله ولم يشـركوا بـه شيئاً وبـروح القوة جـاهدوا عـدوهم وعالجـوا معاشهم، وبروح الشهوة أصابوا لذيذ الطعام ونكحوا الحلال من شبّاب النّساء، وبروح البدن دبّوا

(١) البحارج ٣٤ ص ٣٠٩ باب حدوث العالم(٢) العوالي : ج ٤ ص ٩٩ ح ١٤١ . (٣) الكافي : ج ١ ص ٤٣٨ ح ١ . (٤) عن الإعتقاد : ص ٧٥ كما في البحار : ج ٦ ص ٢٤٩ . (٥) بصائر الدرجات : ج ٢ ص ٨٣ .
(٦) العوالي : ج ٤ ص ١٢١ ح ٢٠٠ . (٧) العوالي : ج ٤ ص ١٢٢ ح ٢٠٢ .
(٨) قولهم من دب ودرج اي من كان حيا فمشى ومن مات فطوى أحواله . المفردات .

ودرجوا[8])[9] قال : (وللمؤمنين وهم أصحاب اليمين الأربعة الأخيرة ، وللكفار وهم أصحاب الشمال الثلاثة الأخيرة كما للدواب في لفظ هذا معناه)[1] .

وعن كميل بن زياد قال : (سألت مولنا عليّاً أمير المؤمنير (ع) فقلت : يا أمير المؤمنين اريد أن تعرفني نفسي ، فقال : يا كميل واي الانفس تريد أن اعرفك ؟ فقلت : يا مولاي هل هي إلا نفس واحدة ، فقال (ع) : يا كميل إنما هي أربعة : النامية النباتية والحسيّة الحيوانية ، والنّاطقة القدسيّة ، والكلية الالهيّة ، ولكلّ واحدة من هذه خمس قوى وخاصيّتان .

فالنّامية النباتية لها خمس قوى : ماسكة ، وجاذبة ، وهاضمة ، ودافعة ، ومربية ، ولها خاصيتان : الزيادة ، والنقصان ، وانبعاثها من الكبد ، والحسية الحيوانية لها خمس قوى : سمع ، وبصر ، وشمّ ، وذوق ، ولمس ، ولها خاصيتان : الشهوة ، والغضب ، وانبعاثها من القلب ، والناطقة القدسيّة لها خمس قوى : فكر ، وذكر ، وعلم ، وحلم ونباهة ، وليس لها انبعاث وهي أشبه الاشياء بالنفوس الملكية ولها خاصيتان : النزاهة والحكمة ، والكلية الالهية لها خمس قوى : بقاء في فناء ، ونعيم في شقاء ، وعزّ في ذل ، وفقر في غناء ، وصبر في بلاء ، ولها خاصيتان : الرّضا والتسليم ، وهذه التي مبدؤها من الله وإليه تعود ، وقال الله تعالى : ﴿ونفخت فيه من روحي﴾[1] وقال تعالى : ﴿يا أيّتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربّك راضية مرضية﴾[2] والعقل وسط الكلّ)[3] .

وروي (ان أعرابياً سأل أمير المؤمنين (ع) عن النفس فقال له عن اي نفس تسأل فقال : يا مولاي هل النفس أنفس عديدة ؟ فقال (ع) : نعم نفس نامية نباتية ، ونفس حسّية حيوانية ، ونفس ناطقة قدسية ، ونفس إلهية ملكوتية كلية .

قال : يا مولاي ما النامية النباتية ؟ قال : قوة أصلها الطبايع الاربع بدو إيجادها مسقط النطفة ، مقرّها الكبد ، مادتها من لطايف الأغذية ، فعلها النّمو والزيادة ، وسبب فراقها اختلاف المتولدات فاذا فارقت عادت إلى ما منه بدأت عود ممازجة لا عود مجاورة .

فقال : يا مولاي وما النّفس الحسّية الحيوانية ؟ قال : قوّة فلكية وحرارة غريزية أصلها

---

(٩) الكافي : ج ٢ ص ٢٨٢ (١٠) الكافي : ج ٢ ص ٢٨٣ (بالمعنى) .

(١) سورة الحجر : الآية ٢٩ . (٢) سورة الفجر : الآية ٢٧ - ٢٨ . (٣) البحار: ج ٥٨ ص ٨٥ باب حقيقة النفس . . .

الافـلاك بدو ايجـادها عنـد الولادة الجسمـانيّة فعلهـا الحياة والحـركة والـظلم والغشم والغلبة واكتساب الاموال والشهوات الدنيوية مقرّها القلب سبب فراقها اختلاف المتولدات ، فاذا فـارقت عـادت إلى ما منـه بدأت عـود ممازجـة لا عود مجـاورة فتعدم صـورتها ويـبـطل فعلها ووجـودها ويضمحل تركيبها .

فقال : يا مولاي وما النفس الناطقة القدسية ؟ قال : قوة لاهوتية بدو ايجادهـا عند الـولادة الدنيوية ، مقرّها العلوم الحقيقية الدينيّة ، موادّها التأييدات العقليّة ، فعلها المعـارف الرّبـانية ، سبب فراقها تحلل الآلات الجسمانية ، فاذا فارقت عادت إلى ما منه بدأت عـود مجاورة لا عـود ممازجة .

فقال : يا مولاي وما النفس اللاهوتية الملكوتية الكلية ؟ فقال : قوة لاهوتية جوهرة بسيـطة حيّـة بالـذات أصلها العقـل منه بـدت وعنه دعت وإليـه دلت وأشـارت وعـودتهـا إليـه إذا كملت وشابهته ، ومنها بدأت الموجودات وإليها تعود بالكمال فهو ذات الله العليا وشجرة طوبى وسـدرة المنتهى وجنّة المأوى ، من عرفها لم يشق ، ومن جهلها ضلّ سعيه وغوى .

فقال السائل : يا مولاي وما العقل ؟ قال : العقـل جوهـر درّاك محيط بالاشيـاء من جميع جهاتها ، عارف بالشيء قبل كونه ، فهو علّة الموجودات ونهاية المطالب) .

كلمة

في شأن العالم العلوي وترقيات النفس الانسانية اليه

روي إن أميـر المؤمنين (ع) سئـل عن العـالـم العـلوي ، فقـال صـور عـاريـة عـن المواد عالية من القوة والاستعداد تجلى لها فاشرقت ، وطالعها فتلألأت ، والقى في هويتها مثاله فاظهر عنها أفعاله وخلق الانسان ذا نفس ناطقة إن زكـاها بـالعلم والعمل ، فقـد شابهت جـواهر أوايل عللها ، وإذا اعتدل مزاجها وفارقت الاضداد فقد شارك بها السّبع الشداد)[1]

وروي (انّ بعض اليهود اجتاز به (ع) وهو يتكلم مع جماعة فقال له : ياابن أبي طالب لو أنّك تعلمت الفلسفة لكان يكون منك شأنا من الشأن ، فقـال (ع) : وما تعني بـالفلسفة ؟ أليس من اعتدل طباعه صفا مزاجه ، ومن صفا مزاجه قوي أثـر النفس فيه ، ومن قـوي أثر النّفس فيـه

(١) غرر الحكم ودرر الكلم : ج ١ ص ٤٥٩ ح ٧٥ (ط ايران) . وص ٣٠٨ ح ٥٩٦١ (ط مؤسسة الوفاء) .

سما إلى ما يرتقيه ، ومن سما إلى ما يرتقيه فقد تخلق بالاخلاق النفسانية ، ومن تخلق بالأخلاق النفسانية فقد صار موجوداً بما هو إنسان دون أن يكون موجوداً بما هو حيوان فقد دخل في الباب الملكي الصّوري وليس له من هذه الغاية مغيّر فقال اليهودي : الله أكبر يا ابن أبي طالب لقد نطقت بالفلسفة جميعاً في هذه الكلمات رضي الله عنك) .

وفي الحديث القدسي المتفق عليه بين أهل الاسلام (ما يتقرّب إلي عبدي بشيء احب إليّ مما افترضته عليه وأنّه ليتقرب إليّ بالنوافل حتى احبه ، فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ، ولسانه الذي ينطق به ، ويده التي يبطش بها إن دعاني أجبته ، وإن سألني أعطيته)[1] .

أقول أعني محبة الله تعالى للعبد كشفه الحجاب عن قلبه وتمكينه إياه من قربه ومعنى المحبّة من العبد ميل نفسه إلى الشيء لكمال أدركته فيه بحيث يحملها إلى ما يقربها إليه ، فاذا علم العبد أن الكمال الحقيقي ليس إلا لله وأن كل ما يراه كمالا من نفسه أو من غيره فهو من الله وبالله وإلى الله ، لم يكن حبّه إلا لله وفي الله ، وذلك يقتضي ارادة طاعته والرّغبة فيما يقربه إليه واتباع من كان وسيلة إلى معرفته ومحبّته .

قال الله تعالى لرسوله :﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾[2] فان بمتابعة الرّسول في عبادته وسيرته وأخلاقه وأحواله ونوافله يحصل القرب إلى الله وبالقرب يحصل محبة الله إياه .

قال العلامة المحقق نصير الدّين محمّد الطوسي قدّس الله سره :(العارف إذا انقطع عن نفسه واتصل بالحقّ رأى كل قدرة مستغرقة في قدرته المتعلقة بجميع المقدورات وكلّ علم مستغرقاً في علمه الذي لا يعزب[3] عنه شيء من الموجودات ، وكل ارادة مستغرقة في إرادته التي لا يتأبى عنها شيء من الممكنات ، بل كل وجود وكلّ كمال وجود فهو صادر عنه فايض من لدنه فصار الحقّ حينئذ بصره الذي به يبصر وسمعه الذي به يسمع وقدرته التي بها يفعل وعلمه الذي به يعلمَ وجوده الذي به يوجد فصار العارف حينئذ متخلقاً بأخلاق الله بالحقيقة) .

---

(١) المحاسن : ج ١ ص ٢٩١ ح ٤٤٣ والكافي : ج ٢ ص ٣٥٢ ح ٨.

(٢) سورة آل عمران : الآية ٣١.

(٣) قال تعالى : لا يعزب عنه مثقال ذرة ، أي لا يغيب عن علمه ولا يخفى وعن الصادق (ع) في لا يعزب الآية قال : اي بالاحاطة والعلم لا بالذات واذا كان بالذات لزمها الحواية . م .

أقول : ويأتي لهذا المعنى مزيد بيان في الثالثة من السابعة إنشاء الله ؛ وورد في الحديث القدسي :(من طلبني وجدني ، ومن وجدني عرفني ، ومن عرفني أحبّني ومن أحبني عشقني ، ومن عشقني عشقته ، ومن عشقته قتلته ، ومن قتلته فعليّ ديته ، ومن عليّ ديته فأنا ديته) .

وروى محمّد بن جمهور اللحسائي[1] عن أمير المؤمنين (ع) (أنّه قال : إن لله تعالى شراباً لاوليائه إذا شربوا سكروا ، وإذا سكروا طربوا ، وإذا طربوا طابوا ، وإذا طابوا ذابوا ، وإذا ذابوا خلصوا ، وإذا خلصوا طلبوا ، وإذا طلبوا وجدوا وإذا وجدوا وصلوا ، وإذا وصلوا اتصلوا ، وإذا اتصلوا لا فرق بينهم وبين حبيبهم) .

عن الصادق (ع) (إن روح المؤمن لأشدّ اتصالاً بروح الله من اتصال شعاع الشمس بها)[2]

وعن الصّادق (ع) :(العارف شخصه مع الخلق وقلبه مع الله لو سهى قلبه عن الله طرفة عين لمات شوقاً إليه والعارف أمين ودايع الله وكنز أسراره ومعدن نوره ودليل رحمته على خلقه ومطية علومه وميزان فضله وعدله ، قد غنى عن الخلق والمراد والدّنيا ، ولا مونس له سوى الله ولا نطق ولا إشارة ولا نفس الا بالله لله من الله مع الله ، فهو في رياض قدسه متردّد ، ومن لطايف فضله إليه متزود ، والمعرفة أصل فرعه الايمان)[2] .

كلمة

في علة تنزل الارواح من الملكوت الاعلى

عن عبد الله بن الفضل الهاشمي قال(قلت لأبي عبد الله (ع) لأي علّة جعل الله تبارك وتعالى الأرواح في الابدان بعد كونها في الملكوت الأعلى في أرفع محل ؟ فقال (ع) : إنّ الله تبارك وتعالى علم أن الأرواح في شرفها وعلّوها متى تركت على حالها نزع[3] أكثرها إلى دعوى

(١) هكذا في النسخة والصحيح محمد بن أبي جمهور الاحساوي ، رواه في كتاب « المجلي » ص ٥٣٦ باسقاط « طربوا واذا طربوا » ولعل هذا الاسقاط من النساخ كما هو الظاهر فرغ من تأليفه سنة خمس وتسعين وثمانمأة ، وقد تقدم منا سابقاً في ص ١٧٥ نقل كلام بعض الاعلام من ان هذا الحديث لم يعثر له على مصدر في كتب أصحابنا الامامية رضوان الله عليهم .

(٢) الكافي : ج ٢ ص ١٦٦ ح ٤ . (٣) مصباح الشريعة : ص ١٩١ .

(٤) نزع نزاعاً ونزوعاً الى أهله : اشتاق . المنجد.

الربوبيّة دونه عزّ وجلّ ، فجعلها بقدرته في الأبدان التي قدرها لها في ابتداء التقدير نظراً لها ورحمة بها ، وأحوج بعضها إلى بعض وعلا بعضها على بعض ورفع بعضها فوق بعض درجات وكفى بعضها ببعض .

وبعث إليهم رسله واتخذ عليهم حججه مبشرين ومنذرين يأمرونهم بتعاطي العبودية والتواضع لمعبودهم بالأنواع التي تعبّدهم بها ونصب لهم عقوبات في العاجل وعقوبات في الآجل ، ومثوبات في العاجل ومثوبات في الآجل ليرغبهم بذلك في الخير ، ويزهدهم في الشر ، وليذلهم بطلب المعايش والمكاسب فيعلموا بذلك أنّهم مربوبون وعباد مخلوقون ، ويقبلوا على عبادته فيستحقوا بذلك نعيم الأبد وجنة الخلد ويأمنوا من النّزوع إلى ما ليس لهم بحق .

ثمّ قال (ع) : يابن الفضل إن الله تعالى أحسن نظراً لعباده منهم لأنفسهم ، ألا ترى أنّك لا ترى فيهم إلاّ محبّاً للعلو على غيره حتى أنّ منهم لمن قد نزع إلى دعوى الرّبوبية . ومنهم من قد نزع إلى دعوى النبوة بغير حقها ومنهم من قد نزع إلى دعوى الامامة بغير حقها ، مع ما يرون في أنفسهم من النّقص والعجز والضعف والمهانة والحاجة والفقر والالام المتناوبة عليهم ، والموت الغالب لهم والقاهر لجميعهم يا ابن الفضل ان الله لا يفعل لعباده إلا الأصلح لهم ولا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون) [1] .

المقالة الخامسة

في حدوث العالم ﴿انّ ربكم الله الذي خلق السّموات والارض في ستّة أيّام ثم استوى على العرش﴾ الاعراف / ٥٤ .

كلمة

بها يتبين معنى الحدوث ومعنى ثبوته للعالم

أمّا الحدوث بمعنى أنّ له صانعا يفتقر إليه فلسنا نحن بصدد بيانه ، لأن كلامنا مع الخواص وهو عندهم بديهي ولهم ولغيرهم فطريّ كما مرّ بيانه ﴿أفي الله شكّ فاطر السّموات والارض﴾ [2] . ﴿ولئن سئلتهم من خلق السّموات والارض ليقولن الله﴾ [3] فهو ثابت بالفطر والنظر والعبر .

---

(١) التوحيد : ص ٤٠٢ ح ٩ . (٢) سورة ابراهيم : الآية ١٠ . (٣) سورة رنمان : الآية ٢٥ وسورة الزمر : الآية ٣٨ .

وأمّا الحدوث بمعنى المسبوقية بالمحدث فله معنيان : أحدهما الحدوث الذاتي وهو أن يكون ذات الحادث مسبوقاً بذات المحدث والاخر الحدوث الزماني وهو أن يكون زمان وجود الحادث مسبوقا بزمان عدمه ، والمعنى الأوّل يجري في كلّ ما سوى الله وهو ثابت في كل ما يجري فيه ، والمعنى الثّاني إنما يجري فيما يدخل تحت الزمان دون ما تقدّم على الزّمان ، وهو أيضاً ثابت في كلّ ما يجري فيه لا يشذّ عنه شاذ .

وبيان المعنى الأوّل أن المصنوع يمتنع أن يكون في مرتبة ذات الصانع ، لأن معنى الصانعيّة والمصنوعيّة ليس إلاّ تقدم ذات ءٍ ذات توجد الثانية من الاولى ، ولو كانتا معاً لكان الصنع تحسيلا للحاصل ، فكان الصانع في أزل قدمه والمصنوع بعد في حيز عدمه ، فكان الصانع ولا مصنوع ثمّ حدث المصنوع باحداث الصانع إياه .

وبعبارة اخرى الايجاد لا يتعلق إلا بالمعدوم فلا يكون العالم أزليّا[1] ، وأيضاً فكلّ ما وجوده من الغير فله مبدأ والابتداء ينافي الازلية ، وأيضاً يلزم أن يكون مستفيد الوجود من الغير لا يكون مستفيد الوجود من الغير .

وهذا معنى حديث كان الله ولم يكن معه شيء ، ومعنى قول من قال الان كما عليه كان ، ومعنى كان هنا معناها في قوله عزّ وجلّ : ﴿وكان الله عليما حكيما﴾[2] فهو منسلخ عن معنى الماضي بل عن مطلق الزّمان وهذا التقدّم لصانع العالم على مصنوعاته هو التقدم الحقيقي الذاتي الذي لا تقدّم أشرف منه ولا في مرتبته في الشرف إذ لا ملاك لهذا التقدم سوى ذات الصانع بذاته ولا يفتقر المتقدم في تقدمه إلى واسطة تكون علّة لتقدمه .

وكذا التأخر الذي بازائه هو التأخر الحقيقي الذي لا تأخّر أحسن منه ولا في مرتبته في الخسّة إذ لا ملاك لتأخره سوى ذاته بذاته من دون واسطة ، وأمّا المعنى الثاني فيتبين مما يأتي .

كلمة

بها يتبين انتفاء الزمان عن الله وعن ابتداء العالم

ليس بين الله وبين العالم بعد مقدر ، لأنّه إن كان أمراً موجوداً يكون من العالم ، وإلا لم

---

(١) الازل بالتحريك : القدم ومنه يقال ازلي اي قديم وقيل : ان اصله ياء من قولهم للقديم لم يزل ثم نسب اليه فقيل يزلي فابدلت الياء همزة . م .

(٢) سورة النساء : الآية ١٧ .

يكن شيئاً ولا ينسب أحدهما إلى الآخر من حيث الزمان بقبلية ولا بعديّة ولا معيّة ، لانتفاء الزّمان عن الله وعن ابتداء العالم ، وذلك لأن سبب افتقار العالم إلى الصّانع إنما هو هلاكه الذاتي وفقره الجبليّ واتصافه بالامكان ، لا كون زمانه متناهياً وليس الزمان إلا عدد حركة الفلك كما أن المكان ليس إلاّ ما أحاط بالفلك أو ما ملأ به الفلك ، فاذا لم يكن فلك فلا زمان ولا مكان .

فلمّا أبدع الله عزّ وجلّ الفلك وما فيه من الاجسام وأداره وجد المكان والزمان ، وذلك بعد ما ابدع جل ذكره كثيراً من الأرواح والأملاك وما عمر به الفلك فالزّمان إنما حدث بعد اصول كرائم الموجودات وعظائمها ، وبعد حدوث أركان المخلوقات ودعائمها[1] ، وقد ثبت ذلك بقواطع البراهين وقوائمها فالتقدّم الزماني منتف في حق الله سبحانه وفي حق ابتداء العالم ، فسقط السؤال بمتى عن بدو العالم كما هو ساقط عن وجود الحقّ لأن متى سؤال عن الزّمان ولا زمان قبل العالم .

وليس قدم الحق ، بتطاول مرور الزّمان تعالى عن ذلك ، بل بالوجوب الذاتي والفرق بين الازل والقدم أنّ الأزل عبارة عن معقول القبلية لله تعالى ، والقدم عبارة عن انتفاء المسبوقية بالعدم في نفس قبليته على الاشياء فليس إلا وجوب بحت[2] خالص ليس من العدم ، وهو وجود الحقّ ، ووجود من العدم وهو وجود العالم ، فالعالم حادث في غير زمان ، فالعالم وإن كان موجوداً في علم الله أزلا فهو محدث في نفس ذلك الوجود ، لأنّه فيه مفتقر إلى موجد يوجده في العين ، فوجوده مرتّب على وجود الحقّ وهذا معنى الحدوث فلا يصح عليه اسم القديم .

وفي كلام أمير المؤمنين (ع) : (عالم إذا لا معلوم ، ورب إذ لا مربوب ، وقادر إذ لا مقدور)[3] ، وفي لفظ آخر (له حقيقة الرّبوبية إذ لا مربوب ، ومعنى الالهية إذلا مألوه ، ومعنى العالمية إذ لا معلوم ، ومعنى الخالقية إذ لا مخلوق ، وتأويل السمع ولا مسموع ، ليس منذ خلق استحق معنى الخالق ، ومن حيث احدث استفاد معنى المحدث)[4] .

---

(١) الدعامة بالكسر عماد البيت الذي يقوم عليه واستعير لغير ذلك كما في الحديث : لكل شيء دعامة ودعامة الاسلام الشيعة . والجمع دعائم . ومنه في وصف أهل البيت عليهم السلام أشهد أنكم دعائم الدين م .

(٢) البحت : الصرف الخالص مسك بحت : خالص من الاختلاط بغيره المنجد .

(٣) نهج البلاغة : ص ٢١٢ خطبة ١٥٢ والتوحيد : ص ٥٦ خ ١٤ .

(٤) التوحيد : ص ٣٨ .

وقال (حمته قدمته مطاولة الزمان ، ومنعته عزّته مداخلة المكان)[1] ، وقال :(لا يقال له : متى ، ولا يضرب له أمد بحتى)[2] .

وليعلم ان نسبة ذاته تعالى إلى مخلوقاته يمتنع أن يختلف بالمعيّة واللامعيّة وإلا فيكون بالفعل مع بعض وبالقوة مع آخرين ، فيتركب ذاته سبحانه من جهتي فعل وقوة ويتغير صفاته بحسب تغيّر المتجددات المتعاقبات ، تعالى عن ذلك .

بل نسبة ذاته التي هي فعلية صرفة وغناء محض من جميع الوجوه إلى الجميع وإن كان من الحوادث الزمانية نسبة واحدة ومعية قيومية ثابتة غير زمانية ولا متغيرة أصلا . والكلّ بفنائه بعد استعداداتها مستغنيات كل في وقته ومحلّه وعلى حسب طاقته ، وإنما فقرها وفقدها ونقصها بالقياس إلى ذواتها وقوابل ذواتها ، وليس هناك إمكان وقوة البتة .

فالمكان والمكانيات بأسرها بالنّسبة إلى الله تعالى كنقطة واحدة في معية الوجود ، والسّموات مطويّات بيمينه ، والزمان والزمانيات بازالها وابادها كان واحد عنده في ذلك جف القلم بما هو كائن ، والموجودات كلها شاهدياتها وغيبيّاتها كموجود واحد في الفيضان عنه ، ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة .

وإنّما التقدم والتأخر والتجدد والتصرّم[3] والحضور والغيبة في هذه كلها بقياس بعضها إلى بعض ، وفي مدارك المحبوسين في مطمورة الزمان المسجونين في سجن المكان لا غير وإن كان هذا ممّا تستغربه الأوهام ، ويشمئز عنه قاصر الافهام وأما قوله عزّ وجلّ : ﴿كلّ يوم هو في شأن﴾[2] فهو كما قال بعض أهل العلم أنّها شؤون يبديها لا شؤون يبتديها .

كلمة

فيها تمثيل لكيفية صدور العالم من الله عز وجل

كلّ موجود تامّ فانّه يفيض على ما دونه ممّا في جوهريّته وصورته المقوّمة لذاته ما لو أمسك عنه لبطل ذلك الفيض ، مثال ذلك النار ، فانها تفيض على ما حولها من الاجسام

---

(١) نهج البلاغة : ص ٢٣٢ خطبة ١٦٣ .

(٣) تصرمت وانصرمت السنة : انقضت وتصرم الرجل وانصرم : تقطع وانقطع المنجد

(٣) سورة الرحمن: الآية ٢٩ .

التسخين والحرارة ، وهي جوهريتها والصورة المقومة لها ، ومتى لم تتواتر منها الحرارة متّصلا عدمت وبطلت ، إذ يضمحلّ الأولى منها فالاولى .

وهكذا يفيض من الماء الرطوبة والبلل على الاجسام المجاورة له ، والرطوبة هي جوهرية الماء والصورة المقومة لذاته ، فما لم تكن متّصلة إلى المحلّ بطلت عنه واضمحلّت .

وهكذا يفيض من الشّمس النور والضياء على الأرض والهواء ، وهو جوهريّ لها فاذا حجز[1] بينهما حاجز اضمحل الضوء وبطل ، وهكذا تفيض من الرّوح الحياة على البدن وهي جوهرية لها فاذا فارقت الروح البدن بطلت حياة الجسد من ساعته واضمحلّت .

وذلك لأن الفيض ما دام متواتراً متصلاً دائماً دام المفاض فان انقطع انقطع ، فهكذا حكم وجود العالم من الباري سبحانه الذي هو وجود بحت ووجوب صرف ، على أنّ وجود هذه الأفعال ليس من هذه المخلوقات بل هي أيضاً من الله عزّ وجلّ وإنّما هي معدّات للقابلات والافاضة من خالقها ، جل صنعه عن المثال كما جلّ ذاته عن الوهم والخيال .

وقد ظهر من هذا البيان أن وجود العالم من الباري عز ذكره ليس كوجود الدّار من البنّاء المستقلة بذاتها المستغنية عن البنّاء بعد فراغه ، وحاشا أن يكون الأمر كذلك ، لأن البناء مركب للدار ومؤلف لها عن أشياء هي موجودة أعيانها قائمة ذواتها وليس الابداع والاختراع تركيباً ولا تأليفا ، بل إحداث وإخراج من العدم .

ولكن كوجود الكلام عن المتكلم إن سكت بطل الكلام ، بل كوجود ضوء الشمس في جوّ المظلم الذات ما دامت الشمس طالعة فان غابت الشمس بطل الضّوء من الجوّ لكنّ شمس الوجود يمتنع عليه العدم لذاته .

وكما أن الكلام ليس جزءُ المتكلم بل فعله وعمله أظهره بعدما لم يكن ، وكذا النور الذي يرى في الجوّ ليس بجزء الشمس بل هو انبجاس وفيض .

فهكذا الحكم في وجود العالَم عن الباري جل ثناؤه ليس بجزء من ذاته بل فضل وفيض يتفضّل به ويفيض إلا أن الشّمس لم تقدر أن تمتنع نورها وفيضها ، لأنّها مطبوعة على ذلك بخلافه سبحانه فانه مختار في أفعاله بنحو من الاختيار أجل وأرفع مما يتصّوره العوام ، وأشدّ

---

(١) الحجر : المنع بين الشيئين بفاصل بينهما يقال : حجز بينهما قال عز وجل : وجعل بين البحرين حاجزاً . والحجاز سمي بذلك لكونه حاجزاً بين الشام والبادية . المفردات .

وأقوى من اختيار المتكلّم القادر على الكلام ، إن شاء تكلم وإن شاء سكت .

فهو سبحانه إن شاء أفاض فيضه وجوده وفضله وأظهر حكمته ، وإن شاء أمسك ولو أمسك طرفة عين عن الافاضة والتوجّه لتهافتت[1] السّماوات وبادت[2] الافلاك وتساقطت الكواكب وعدمت الاركان ، وهلكت الخلايق ودثر[3] العالم دفعة واحدة بلا زمان كما قال عزّ وجلّ : **﴿ان الله يمسك السّموات والارض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده﴾**[4] .

كلمة

فيها اشارة الى تجدد الخلق مع الانات

العالم بمجموعه متغيّر أبداً وكل متغيّر يتبدّل تعيّنه مع الآنات ، فيوجد في كلّ آن متعين غير المتعين الذي هو في الآن الاخر مع أن العين الواحدة التي تطرأ عليها هذه التغيرات بحالها ، فالعين الواحدة هي الجوهر المعقول الذي قبل هذه الصور المسمّات عالما ، ومجموع الصور أعراض متبدّلة في كل آن .

وذلك لأن الله سبحانه يتجلى في كلّ نفس بالاسماء الجمالية والجلالية معاً ، وكلّ تجلّي يعطي خلقا جديداً ويذهب بخلق ، وهو أحد معنى قوله تعالى عزّ وجلّ **﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت﴾**[5] وأحد معاني قوله عزّ وجلّ : **﴿كلّ يوم هو في شأن﴾**[6] أي كل وقت واريد به الان وهو أصغر الايام وأحد معاني قوله تعالى عزّ وجلّ : **﴿خلق الأرض في يومين﴾**[7] .

ففي تفسير عليّ بن إبراهيم المنسوب إلى أهل البيت عليهم السلام (أي وقتين ابتداء الخلق وانقضائه)[8] ، وقال في قوله تعالى **﴿فقضيهن سبع سموات في يومين﴾**[9] أي (في وقتين ابداء وانقضاء)[10] ، (وأما قوله عزّ وجل : **﴿وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام﴾**[11] فقال :

---

(١) تهافت على الشيء تساقط وتتابع وأكثر استعماله في الشر المنجد.

(٢) باد الشيء يبيد بياداً إذا تفرق وتوزع في البيداء أي المفازة قال عز وجل : ما أظن أن تبيد هذه أبداً . المفردات .

(٣) أصل الدثور : الدروس وهو أن تهب الرياح على المنزل فيغتسي رسومه الرمل ويغطيه ومنه دثر الرسم دثوراً من باب قعد ، ومثله حادثوا هذه القلوب بذكر الله فانها سريعة الدثور م .

(٤) سورة فاطر : الآية ٤١ . (٥) سورة الرعد : الآية ٣٩. (٦) سورة الرحمن : الآية ٢٩ .

(٧) سورة فصلت : الآية٩ (٨) تفسير القمي : ج٢ص٢٦٢ (٩) سورة فصلت : الآية ١٢

(١٠) تفسير القمي : ج٢ص٢٦٣ (١١) سورة فصلت : الآية١٠

يعني في أربعة أوقات ثم فسرها بالفصول الأربعة)[1] .

وعلى هذا يحتمل أن يكون المراد بالستة أيّام هذان الوقتان مع هذه الاربعة أوقات. فان خلق السّماوات مع تقدير الاقوات إنما يتم بهذه الأوقات ، والسّر في خلق السّماوات والارض في ابداء وانقضاء أن الممكن مفتقر في حد ذاته إلى موجد قيوم ، لأنه في حدّ ذاته معدوم فهو في كل آن معدوم في ذاته موجود بموجده مفتقر إلى وجوده الجديد بعد وجوده الفقيد ، فلا يزال سبحانه يبدع ويصنع ويخلق ويرزق .

روي عن الصّادق (ع) (في قول الله عزّ وجل : ﴿**وقالت اليهود يد الله مغلولة**﴾[2] قال لم يعنوا أنّه هكذا ، ولكنهم قالوا قد فرغ من الامر فلا يزيد ولا ينقص ، فقال الله عزّ وجلّ تكذيباً لقولهم : ﴿**غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء**﴾[3] ألم تسمع الله عزّ وجلّ يقول : ﴿**يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب**﴾[4])[5]

ولما كان هذا الخلق من جنس ما كان أولاً التبس على المحجوبين ولم يشعروا بالتجدّد وذهاب ماكان بالفناء في الحقّ ﴿**بل هم في لبس من خلق جديد**﴾[6] ﴿**واتوا به متشابهاً**﴾[7] و﴿**هو يبدىء ويعيد**﴾[8] ﴿**وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مرّ السحاب**﴾[9] .

ويظهر هذا المعنى في الماء الجاري فانه في كلّ آن تدخل قطعة منه في النّهر ويتشكل بشكل ما يحاذيه من النّهر ، ثمّ تذهب فتدخل اخرى مع أنها ترى واحدة بالشخص دائماً ، وفي النار المشتعلة من الدّهن والفتيلة ، فانّه في كل آن يدخل منهما شيء في تلك النّارية ويتّصف بصفة النّوريّة ، ثمّ تذهب تلك الصّورة بصيرورته هواء .

هكذا شأن العالم بأسره ، فانّه يستمدّ دائماً من الخزاين الالهية التي لا تنقص ولا تغيض بل تزداد وتفيض[10] فتفيض منها ويرجع إليها ، قال الله عزّ وجلّ : ﴿**وإن من شيء إلاّ عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم**﴾[11] وقال الله تعالى : ﴿**ما عندكم ينفذ وما عند الله باقٍ**﴾[12]

---

(١) تفسير القمي : ج٢ص٢٦٢ (٢) سورة المائدة : الآية٦٤ (٣)سورة المائدة : الآية٦٤

(٤) سورة الرعد : الآية٣٩ (٥) التوحيد : ص١٦٧ج١(٦) سورةق: الآية ١٥ . (٧) سورة البقرة: الآية ٢٥ .

(٨) سورة البروج: الآية ١٣ . (٩) سورة النمل: الآية ٨٨ . (١٠) غيض الماء أى نقص يقال : غاض يغيض غيضاً من باب سار وأفاض السيل يفيض فيضاً : كثر وسال من شفا الوادى ، م .

(١١)سورة الحجر : ٢١ (١٢) سورة النحل : الآية ٩٦

رباعی

عالم چون آب جوست بسته نمایدولیك   میرود میرسد نو نواین از کجاست
نوز کجا میرسد کهنه کجا میرود   گر نه ورای نظر عالم بی منتهاست

فامداد الحقّ وتجلياته واصل إلى العالم في كل نفس ، وفي التحقيق الاتمّ ليس إلا تجلي واحد يظهر له بحسب القوابل ومراتبها واستعداداتها تعيّنات فيلحقه لذلك التعدد النعوت المختلفة والاسماء والصفات ، لا أن الأمر في نفسه متعدّد أو وروده طار ومتجدد ، وإنما التقدّم والتأخر وغيرهما من أحوال الممكنات يوهم التجدّد والطريان والتقيد والتغير ونحو ذلك كما يوهم التعدّد .

ولّما لم يكن الوجود ذاتيًا لسوى الحقّ بل مستفاداً من تجليه افتقر العالم في بقائه إلى الامداد الوجودي الاحديّ مع الانات من دون فترة ولا انقطاع ، إذ لو انقطع الامداد المذكور طرفة عين لفني العالم دفعة واحدة ، فان الحكم العدمي امر لازم للممكن وإنما الوجود له من موجده . رباعی

اي جود تو سرمايه وسود همه كس   وى ظل وجود تو وجود همه كس
گر فيض تويك لحظه بعالم نرسد   معلوم شود بود ونبود همه كس

كلمة

في كيفية ارتباط حادث الزماني بالقديم

إنّ بعض الموجودات لذاته متغير لا لتغير عارض له من غيره بل حقيقته وجوهره تقتضيان التغير ، كالزمان الذي هو ظرف المتغيرات ، والحركة التي هي متقدّرة بالزمان ، فان ماهيّتهما الحدوث بعد الحدوث والتجدد بعد التجدد ، فالزمان والحركة بهويتهما الامتداديتين الغير القارتين فاضا[1] من الحق الفياض فيضة واحدة في متن الواقع وظرف الابداع بالاحدّاث والايجاد بلا زمان وامتداد ، فصار ذلك سببا لتجدّد المتجددات وتعدّد الاضافات .

وان سألت الحق فالتغير الجبلي والتبدّل الذاتي إنما سري في الحركة من المتحركات وإنما جرى في الزّمان من الزمانيات ، وذلك لأن الحركة إنما هي من الصّفات

(١) فاض الاناء فيضاً امتلأ ، وفاض كل سايرجرى . م .

والنسبيات ، لأنها عبارة عن الخروج من القوة إلى الفعل فلا بد من تقوّمها بذات من الذوات تخرج من القوة إلى الفعل ، والزّمان مقدار الحركة تابع لها ، والحركة والزّمان من آثار الطبيعة فالطبيعة متحركة دائماً .

فهي إذن أمر سيّال الذات متجدد الحقيقة إذ لو لم تكن سيّالة لم يمكن صدور الحركة عنها لاستحالة صدور المتجدد عن الثابت اللهم إلا بتوارد أحوال عليها تصلح لأن تكون مع أصل الحركة معدات لاجزائها لسبقهما عليها بالزمان .

وأما العلة المقتضية للحركة فلا بدّ أن يكون مع معلولها وليس فوق الطبيعة متغير فالتّغير الذاتي إنّما هو للطبيعة من غير تخلل جعل بينه وبينها ، وبهذا يصح ارتباط الحادث بالقديم ، وذلك لأن تجدّد الطبيعة عين ثباتها كما أن القوّة المادة الاولى عين فعليتها ، فالطبيعة بما هي ثابتة مرتبطة بالحقّ تعالى ؛ وبما هي متجددة يرتبط إليها تجدد المتجددات وحدوث الحادثات .

فالمتحرك بالذات ليس إلا الطبيعة السارية في العالم الجسماني بأمر الله سبحانه بل الوجود الساري في العالم الامكاني باذن الله جلّ جلاله ، وما سوى ذلك فانما يتحرك بالعرض وبالتبع ، فالحقّ سبحانه دفعي الابداع والصّنع أحديّ الامر والتكوين ، والعالم تدريجي الوجود متبدل الكون وإنما يوجد بامر كن فهو الله سبحانه إذاقضى أمراً فانّما يقول له كن بلا حرف ولا صوت فيكون .

فاذا كان أشرف على العدم لهلاكه الاصلي وبطلانه الذاتي فيقول الله جلّا جلاله ثانياً كن فيكون ثانيا بهذه الكلمة الثانية وإن شئت قلت بتلك الكلمة الاولى بعينها لأنّ أمر الله واحد وكلمته واحدة إلا أنها ثانية في حقّ العالم ، فاذا كان ثانياً أشرف على العدم من ساعته ، فيقول الله عزّ سلطانه ثالثا كن فيكون ثالثا ، وهكذا إلى ما شاء الله .

نظير ذلك ما ورد في الحديث (إن الله تعالى يخاطب عباده من الاولين والاخرين يوم القيامة بمجمل حساب عملهم مخاطبة واحدة يسمع منها كلّ واحد قضيتّه دون غيره ، ويظن أنه المخاطب دون غيره ، لا يشغله عزّ وجلّ مخاطبة عن مخاطبة ويفرغ من حساب الأوّلين والاخرين في مقدار نصف ساعة من ساعات الدنيا)(١) .

ولا استبعاد في ذلك فان الصّباغ يدخل كلّا من الثوب الابيض والثوب الازرق في الصّبغ

---

(١) البحار : ج٧ ص٢٥١ عن الاعتقاد : ص٨٨ ـ ٨٩ .

الاصفر فيخرج أحدهما اصفر والاخر أخضو ، وليس فعل الصّفرة فيهما إلا واحد وإنما اختلفا بسبب اختلاف القابلية ، واختلاف القابلة في الاشياء إنّما هو مقتضى ذواتها التي بها يتميز كلّ من الآخر ، وبها صار هو هو دون غيره . **حافظ**

حسن روی توبیك جلوه كه در آینه كرد / اینهمه نقش در آئینهٔ اوهام افتاد
اینهمه رنگ می نقش مخالف كه نمود / یك فروغ رخ ساقی است كه درجام افتاد

المقالة السادسة

في القضاء والقدر ﴿ إنا كلّ شيء خلقناه بقدر﴾القمر / ٤٩ .

كلمة

في معنى القضاء والقدر وسر القدر

القضاء عبارة عن الحكم الالهي في أعيان الموجودات على ما هي عليه من الاحوال الجارية من الازل إلى الابد ، والقدر هو تفصيل ذلك الحكم بايجادها في أوقاتها وأزمانها التي تقتضي الاشياء وقوعها فيها باستعداداتها الجزئية ، فتعلق كل حال من أحوال الاعيان بزمان معين وسبب معين عبارة عن القدر ، وسر القدر أنّه لا يمكن لعين من الاعيان الخلقية أن يظهر في الوجود ذاتا وصفة وفعلا إلا بقدر خصوصيّة قابليته واستعداده الذاتي الذي لا يقبل التغير والتبديل والمزيد والنقصان .

وذلك لأن الخلق هم المعلومون لله سبحانه وهو العالم بهم على ما هم عليه في أنفسهم ولا أثر للعلم في المعلوم بأن يحدث فيه ما لا يكون له في حد ذاته ، بل هو تابع للمعلوم ، والحكم على المعلوم تابع له فلا حكم من العالم على المعلوم إلاّ بالمعلوم وبما يقتضيه ذاته بحسب استعداده الكلي والجزئي .

إن قبل : فالمعلومات اعطت العلم من أنفسها ثم العلم حكم عليه فلا يصحّ له الغنى عن العالمين ، وأيضاً فان العلم له وصف ذاتي فكيف يحصل له من المعلومات وكذا الارادة والقدرة .

قلنا : المعلومات إنما تعينت في العلم الالهي الكلي الاصلي الذاتي قبل خلقها وايجادها بما علمها عليه لا بما اقتضته ذواتها ، ثم اقتضت بعد ذلك من أنفسها اموراً هي عين ما علمها عليها أولا ، فحكم لها ثانياً بما اقتضته ، وما حكم إلا بما علمها عليه فما قدر الله سبحانه على

الخلق الكفر والعصيان من نفسه بل باقتضاء أعيانهم وطلبهم بألسنة استعدادهم أن يجعلهم كافراً أو عاصياً .

فما كانوا في علم الله ظهروا في وجوداتهم العينية فليس للحق إلا افاضة الوجود عليهم وأما الحكم فلهم عليهم فلا يحمدوا إلا أنفسهم ولا يذموا إلا أنفسهم ، وما يبقى للحق إلا حمد إفاضته الوجود ، لأن ذلك له لا لهم .

ولذلك قال : ﴿ما يبدّل القول لديّ وما أنا بظلام[1] للعبيد﴾[2] ، أي ما قدّرت عليهم الكفر الذي يشقيهم ثم طلبتهم بما ليس في وسعهم أن يأتوا به ، بل ما عاملناهم إلاّ بما علمناهم وما علمناهم إلاّ بما اعطوا في نفوسهم مما هم عليه فان كان ظلماً فهم الظالمون ، ولذلك قال : ﴿ولكن كانوا انفسهم يظلمون﴾[3] وفي الحديث (من وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه) .

شعر

بر من جفا زبخت من آمد وگرنه يار حاشا كه رسم لطف وطريق كرم نداشت

فان قلت : فما فائدة قوله سبحانه : ﴿ولو شاء لهديكم أجمعين﴾[4] .

قلنا : لو حرف امتناع لامتناع فما شاء إلا ما هو الامر عليه ولكن عين الممكن قابل للشيء ونقيضه في حكم دليل العقل وأي الحكمين المعقولين وقع فهو الذي عليه الممكن في حالة ثبوته في العلم ، فمشيّته إحدى التعلق وهي نسبة تابعة للعلم ،.والعلم نسبة تابعة للمعلوم فعدم المشية معلل بعدم إعطاء أعيانهم وهداية الجميع لتفاوت استعداداتهم وعدم قبول بعضها الهداية .

وذلك لأن الاختيار في حق الحق تعارضه وحدانية المشية فنسبته إلى الحقّ من حيث ما هو الممكن عليه لا من حيث ما هو الحق عليه قال الله تعالى : ﴿ولكن حق القول منّي﴾[5]

---

(١) قال في مجمع البيان : أي لست بظالم احداً في عقابي لمن استحقه ، بل هو الظالم لنفسه بارتكابه المعاصي التي استحق بها ذلك ، وانما قال بظلام على وجه المبالغة رداً على من أضاف الظلم اليه ، تعالى وتقدس عن ذلك . وقال في تفسير قوله تعالى : وان الله ليس بظلام للعبيد : وانما ذكر لفظ الظلام وهو للتكثير تأكيداً لنفي الظلم عنه

(٢) سورة ق : الآية ٢٩ (٣) سورة البقرة : الآية٥٧

(٤) سورة النحل : الآية٩(٥) سورة السجدة : الآية١٣ .

وقال : ﴿**أفمن حق عليه كلمة العذاب**﴾[1] وقال : ﴿**ما يبدّل القول لديّ**﴾[2] فهذا هـو الذي يليق بجناب الحقّ والذي يرجع إلى الكـون ولو شئنـا لاتينا كـل نفس هديهـا ، فما شـاء فان الممكن قابل للهداية والضّلال من حيث هو قابل فهو موضـع الأنقسام وفي نفس الأمـر ليس للحق فيه إلا أمر واحد .

فان قيل : حقايق المخلوقات واستعداداتها فايضة من الحقّ سبحانه فهو جعلها كذلك .

قلنا : الحقايق غير مجعولة بل هو صور علميّة للأسمـاء الالهيّة وإنمـا المجعول وجـوداتها في الاعيان ، والوجودات تابعة للحقايق .

فـان قيل : أليس الاختيـار حكم من أحكام العـزة والعـظمـة ووصف من أوصـاف الالهيّـة والخالقية ليس لعلة ولا ضرورة ولا بدّ ، بل شأن الهي ووصف ذاتي كمـا قال : ﴿**وربّـك يخلق ما يشاء ويختار**﴾[3] .

قلنا : بلى ولكن لا بدّ بعده من وقوع المختار دون غيره ، والمختار لا بد أن يكون أحسن ما يمكن أن يكون ، وهو ما هو الأمـر عليه وهـو معنى شاء مـا شاء ، ولهـذا (قال الله تعـالى في جواب داود حين سأله لماذا خلقت الخلق ؟ قال : لما هم عليـه)[4]، فليس في الامكان أكمـل من هذا العالم إذ ليس أكمل من الحق سبحانه ، فلو كان في الامكان أكمل من هذا العالم لكان ثمّة من هو أكمل من موجده وما ثمـة إلا الله فليس في الامكان إلا مثـل ما ظهـر لا أكمل منـه .

رباعى

جــز حق حكمي كـه ملك را شـــايـد نيست ... حكمى كــه زحكم حق فــزون آيــد نيســت

هــر چيــز كــه هسـت آنچنــان ميبــايــد ... آن چيــز كــه آنچنــان نمي بــايــد نيست

كلمة

في نفي الجبر والتفويض واثبات امر بين الامرين

قـد ثبت ان الله عزّ وجـلّ قادر على جميـع الممكنـات ولم يخـرج شيء من الاشيـاء عن مصلحته وعلمه وقدرته وايجاده بواسطة أو غير واسطة ، وإلا لم يصلح لمبدئية الكلّ ، فـالهدايـة والضّلال والايمان والكفر والخير والشر والنفع والضّر وسايـر المتقابـلات كلها منتهيـة إلى قدرتـه وتأثيره وعلمه وإرادته ومشيته إمّا بالذّات أو بالعرض .

---

(١) سورة الزمر : الاية١٩ (٢) سورة ق : الأية ٢٩ (٣) سورة القصص : الاية ٦٨ (٤) العوالي : ج٤ص١١٧ح١٨٥

فاعمالنا وأفعالنا كساير الموجودات وافاعيلها بقضائه وقدره وهي واجبة الصدور منّا بذلك ولكن بتوسط اسباب وعلل من إدراكاتنا وإراداتنا وحركاتنا وسكناتنا وغير ذلك من الأسباب العالية الغايبة عن علمنا وتدبيرنا الخارجة عن قدرتنا وتأثيرنا فاجتماع تلك الامور التي هي الأسباب والشرايط مع ارتفاع الموانع علة تامّة يجب عندها وجود ذلك الأمر المدبّر المقضي المقدّر ، وعند تخلف شيء منها أو حصول مانع بقي وجوده في حيز الامتناع ويكون ممكنا وقوعيّا بالقياس إلى كلّ واحد من الاسباب الكونية .

ولما كان من جملة الأسباب وخصوصاً القريبة منها إرادتنا وتفكرنا وتخيّلنا وبالجملة ما نختار به أحد طرفي الفعل والترك ، فالفعل اختياريّ لنا فان الله تعالى أعطانا القوة والقدرة والاستطاعة ليبلونا أيّنا أحسن عملا مع إحاطة علمه فوجوبه لا ينافي إمكانه واضطراريّته لا تدافع كونه اختياريّا ، كيف وأنّه ما وجب إلاّ بالاختيار .

ولا شك أن القدرة والاختيار كساير الأسباب من الادراك والعلم والارادة والتفكّر والتخيل وقواها وآلاتها كلّها بفعل الله تعالى لا بفعلنا واختيارنا ، وإلاّ لتسلسلت القدر والارادات إلى غير النهاية .

وذلك لأنا وإن كنا بحيث إن شئنا فعلنا وإن لم نشأ لم نفعل لكنا لسنا بحيث إن شئنا شئنا وإن لم نشأ لم نشأ بل إذا شئنا ولم يتعلق مشيّتنا بمشيّتنا بل بغير مشيتنا فليست المشية إلينا إذ لو كانت المشية إلينا لاحتجنا إلى مشية اخرى سابقة وتسلسل الامر إلى غير النهاية .

ومع قطع النظر عن استحالة التسلسل نقول جملة مشيتنا الغير المتناهية بحيث لا يشذّ عنها مشية لا يخلو إمّا وقوعها بسبب أمر خارج عن مشيتنا أو بسبب مشيتنا والثاني باطل لعدم امكان مشية اخرى خارجة عن تلك الجملة ، والأول هو المطلوب فقد ظهر أن مشيتنا ليست تحت قدرتنا كما قال الله تعالى : ﴿وما تشاؤن إلاّ أن يشاء الله﴾[1] رباعي .

خواهم بكنم گنه نخواهم شكنم	خواهم نكنم خواهم بكنم توبه نخواهم
ليكن چه نخواهم نتوانم كه نخواهم چكنم	خواهم نتوانم خواهم

فاذن نحن في مشيتنا مضطرّون وإنما تحدث المشية عقيب الداعي وهو تصوّر الأمر الملايم تصوراً ظنّيا أو تخييليّاً أو علمياً ، فانا إذا أدركنا شيئاً فان وجدنا ملاءمته أو منافرته لنا دفعة

(١) سورة الانسان : الآية ٣٠ (٢) وسورة التكوير : الآية ٢٩

بالوهم أو ببديهة العقل انبعث منا شوق الى جذبه أو دفعه وتأكد هذا الشوق هو العزم الجازم المسمى بالارادة .

وإذا انضمت إلى القدرة التي هي هيئة للقوة الفاعلية انبعث تلك القوة لتحريك الاعضاء الادوية من العضلات وغيرها فيحصل الفعل ، فاذن إذا تحقّق الداعي للفعل الذي تنبعث منه المشية تحققت المشية ، وإذا تحققت المشية التي تصرف القدرة إلى مقدورها انصرفت القدرة لا محالة ولم يكن لها سبيل إلى المخالفة .

فالحركة لازمة ضرورة بالقدرة ، والقدرة محركة ضرورة عند انجزام المشية ، والمشية تحدث ضرورة في القلب عقيب الداعي ، فهذه ضروريات يترتب بعضها على بعض وليس لنا أن ندفع وجود شيء منها عند تحقق سابقه فليس يمكن لنا أن ندفع المشية عند تحقق الداعي للفعل ولا انصراف القدرة إلى المقدور بعدها ، فنحن مضطرون في الجميع فنحن في عين الاختيار مجبورون فنحن اذن مجبورون على الاختيار .

هذه طريقة أهل العقل والنظر القريبة من الافهام ، ونرتقي إلى طريقة اخرى أعلى وأتم هي طريقة أهل المعرفة والشهود ، وهي أقرب إلى التحقيق وإن كان أبعد من الافهام فنقول :

إنّ المخلوقات مع تباينها في الذوات والصّفات والأفعال وترتبها في القرب والبعد من الحقّ الأوّل والذات الأحدية تجمعها حقيقة واحدة إلهيّة جامعة لجميع حقايقها وطبقاتها ، لا بمعنى أن المركب من المجموع شيء واحد هو الحق سبحانه حاشا للجناب الالهي عن وصمة(1) الكثرة والتركب ، بل هو هو ، والاشياء أشياء .

بل بمعنى أن تلك الحقيقة الالهيّة مع أنّها في غاية البساطة والاحدية تنفذ نورها في أقطار السّماوات والأرضين ، فما من ذرة إلا وهو محيط بها قاهر عليها ظاهر فيها ، كما قال إمام الموحّدين أمير المؤمنين (ع) : (مع كلّ شيء لا بمقارنة ، وغير كلّ شيء لا بمزايلة(2))(3) .

وكذلك لصفات المخلوقات جهة وحدة إلهية جامعة للجميع ، فان السّمع والبصر وغيرهما من الصّفات في أي موصوف كان هو لله سبحانه حقيقة ، ولذلك قال : ﴿وهو السّميع

---

(1) الوصم : العيب والعار يقال : ما في فلان وصمة اي ليس فيه عيب ونقص م .

(2) المزايلة المفارقة يقال : زايله مزايلة وزيالا ومنه قوله (ع) خالطوا الناس وزايلوهم اي فارقوهم في أفعال لا ترضي الله ورسوله م .

(3) نهج البلاغة : ص٤٠ خطبة١

البصير﴾[1] اي لا غيره يعني هو السّميع بعين سمع كلّ سميع والبصير بعين بصر كلّ بصير وقال : ﴿هو الحيّ لا إله إلا هو﴾[2] اي بعين كلّ حياة وفي الحديث القدسي : (فبي يسمع وبي يبصر)[3] .

مثنوي

خلق راچون آب دان صاف وزلال
واندر آن تابان صفات ذو الجلال

پادشاهان مظهر شاهي حقّ
عالمان مرآت آگاهى حقّ

خوب رويان آينه خوبيّ او
عشق ايشان عكس مطلوبي او

قرنها بر قرنها رفت اي همام
وين معاني برقرار وبر دوام

آب مبدل شد در اين جو چند بار
عكس ماه وعكس اختر بر قرار

وكذلك الأفعال فانها منسوبة إلى الموجودات من ذلك الوجه الذي ينسب إلى الحق بعينه ، فكما أنّ وجود زيد بعينه أمر متحقق في الواقع وهو شأن من شؤون الحقّ سبحانه ، ولمعة من لمعاته ومظهر من مظاهره ، فكذلك هو فاعل لما يصدر عنه بالحقيقة لا بالمجاز ، ومع ذلك ففعله أحد أفاعيل الحقّ تعالى بلا شوب قصور وتشبيه تعالى عن ذلك كما قال تعالى : ﴿وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى﴾[4]

حافظ

بارها گفته ام وبار د گر ميگويم
كه من دل شده اين ره نه بخود ميپويم

در پس آينه طوطي صفتم داشته اند
آنچه استاد ازل كفت بگو ميگويم

من اگر خارم اگر گل چمن آرائى هست
كه از آن دست كه ميپر وردم ميرويم

فاخمد ضرام[5] أوهامك أيها الجبري فالفعل ثابت لك بمباشرتك إيّاه وقيامه بك وسكن جاشك[6] ايّها القدري فان الفعل مسلوب منك من حيث أنت انت لان وجودك إذا قطع النظر عن ارتباطه بوجود الحقّ فهو باطل ، وكذا فعلك إذ كل فعل متقوّم بوجود فاعله ، وانظرا جميعاً بعين الاعتبار في فعل الحواس كيف انمحى وانطوى في فعل النّفس وتصوّرها في تصور

---

(١) سورة الشورى : الآية١١ (٢) سورة غافر : الآية٦٥ كما في الكافي : ج٢ص٣٥٢ذيل ح٨

(٣) سورة الانفال : الآية١٧ (٤) الضرام بالكسر اشتعال النار في الحلفاء ونحوها

(٥) جاشت القدر اي غلت ، وجاشت نفسى اي ارتاعت وخافت وفي الحديث اياك ان تقذف بما جاش صدرك اي بما فار وارتفع به صدرك والجاش جاش القلب ، وهو رواغه اذا اضطرب عند الفزع . م .

النفس ، واتلوا جميعا قوله تعالى : ﴿قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم﴾[1] ، وتصالحا بقول الامام (ع) بالحقّ : (لا جبر ولا تفويض بل أمر بين الأمرين)[3] .

قال الله تعالى : ﴿وما تشاؤن إلا أن يشاء الله﴾[4] أثبت المشية للعبد فنفى به الجبر وجعلها بعد مشيّة الله للعبد فنفى به التفويض وقال : ﴿ذلك بما قدمت يداك﴾[5] ، وما كسبت يداك إلا بالله لا من دون الله فيكون وهنا في سلطانه ، ولا مع الله فيكون شركاً بالله ، فبيد العباد طاعة الله ومعصية الله إلا أنّه لا حول عن المعصية ولا قوة على الطاعة إلا بالله ، ولا مشية إلا بعد مشية الله .

والتنزيه والحسنات والمحامد ترجع إلى مقام الوحدة والتشبيه ، والسيئآت والمذام ترجع إلى محال الكثرة فسبحان من تنزه عن الفحشاء[6] ، وسبحان من لا يجري في ملكه إلا ما يشاء .

وعن النبي (ص) (من زعم أنّه يأمر بالفحشاء ، فقد كذب على الله ومن زعم أن الخير والشر بغير مشية الله فقد اخرج الله من سلطانه ، ومن زعم أنّ المعاصي بغير قوة الله فقد كذب على الله ، ومن كذب على الله ادخله الله النار)[7] .

وعن الصّادق (ع) قال : (الله أكرم من أن يكلف الناس ما لا يطيقونه ، والله أعزّ من أن يكون في سلطانه ما لا يريد)[8] .

وفيه قيل للرضا (ع) : (الله فوض الأمر إلى العباد ؟ قال : الله أعزّ من ذلك ، قيل : فجبرهم على المعاصي ؟ قال : الله أعدل وأحكم من ذلك ، ثم قال : قال الله تعالى يا ابن آدم أنا أولى بحسناتك منك وأنت أولى بسيئآتك مني عملت المعاصي بقوتي التي جعلتها فيك)[9] .

اقول : أما أولويّته سبحانه بالحسنات فلأنه تعالى أمر بها ووعد الثواب عليها ووهب القوة عليها ، ووفق لها ولأن الكمالات والخيرات راجعة إلى الوجود وهو منه سبحانه .

---

(١) سورة التوبة : الآية ١٤ .

(٢) التوحيد : ص٣٦٢ ح٨ والكافي : ج١ص١٦٠ح١٣ . (٣) سورة الانسان : الآية٣٠ (٤) سورة الحج · الآية١٠

(٥) الفحش والفحشاء والفاحشة ما عظم قبحه من الافعال والاقوال ، المفردات .

(٦) التوحيد : ص٣٥٩ح٢ والكافي : ج١ص١٥٨ح٦

(٧) التوحيد : ص٣٦٠ ح٤ والكافي : ج١ص١٦٠ح١٤ (٨)التوحيد : ص٣٦٢ح١٠والكافي : ج١ص١٥٧ح٣

وأمّا أولوية العبد بالسّيئآت فلأن الله عزّ وجلّ نهى عنها وأوعد العقاب عليها ووهب القوة ليصرفها في الطاعات فصرفها في المعاصي ، ولأن النقايص والشرور راجعة إلى العدم ، وهو من سوء الاستعدادات ولوازم الماهيات المتنزلّة في عالم التضاد حافظ

هرچه هست از قامت ناساز بي اندام ماست ورنه تشريف تو در بالاى كس كوتاه نيست

كلمة

في الفرق بين الامر الارادي والامر التكليفي وان ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن

انّ الله سبحانه بالنسبة إلى عباده امرين ، أمراً إرادياً ايجادياً ، وأمراً تكليفياً ايجابياً ، والأوّل بلا واسطة الأنبياء (عليهم السلام) ولا يحتمل العصيان ، والمطلوب منه وقوع المأمور به ويوافق مشيته تعالى طرداً وعكساً ، ولا يتخلّف عنها البتة فيقع المأمور به لا محالة ، وإليه اشير بقوله عزّ وجلّ : ﴿انّما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾[(١)] .

والثّاني يكون بواسطة الأنبياء (عليهم السلام) والمطلوب منه قد يكون وقوع المأمور به فيوافق مشية الله تعالى ويقع المأمور به من غير معصيته فيه كالأوامر التي كلف بها الطائعين ، وقد يكون نفس الأمر من دون وقوع المأمور به لحكم ومصالح ، فهذا الأمر الذي لا يوافق المشية ولا الارادة ، يعني لم يشأ الله به وقوع المأمور به ولا أراد وإن أراد الأمر به وشاء وأمر ولذلك لم يقع المأمور به .

روي عن الصّادق (ع) : (أمر الله ولم يشأ وشاء ولم يأمر ، أمر إبليس أن يسجد لآدم ، وشاء أن لا يسجد ، ولو شاء أن يسجد لسجد ، ونهى آدم عن أكل الشجرة وشاء أن يأكل منها ولو شاء أن لا يأكل لما أكل)[(٢)] .

وفيه عنه (ع) : (حكم الله أن لا يقوم أحد من خلقه بحقه ، فلما حكم بذلك وهب لأهل محبّته القوّة على معرفته ، ووضع عنهم ثقل العمل بحقيقة ما هم أهله ، ووهب لأهل المعصية القوة على معصيتهم لسبق علمه فيهم ، ومنعهم إطاقة القبول منه فواقعوا ما سبق لهم في علمه ولم يقدروا أن يأتوا حالا تنجيهم من عذابه ، لأن علمه أولى بحقيقة التصديق ، وهو معنى شاء ما شاء وهو سرّه)[(٣)]

---

(١) سورة النحل : الآية٤٠ (٢) الكافي : ج١ص١٥٠ح٣ (٣) الكافي : ج١ص١٥٣ح٢

وفيه عنه (ع) (أنه قال : ممّا اوحى الله إلى موسى وأنزل عليه في التوراة : إنّي أنا الله لا إله إلا انا خلقت الخلق وخلقت الخير واجريته على يدي من احبّ فطوبى لمن اجريته على يديه وانا الله لا إله إلا انا خلقت الخلق وخلقت الشر وأجريته على يدي من اريده فويل لمن اجريته على يديه)[١] .

وفيه عن الباقر (ع) قال : (لو علم الناس كيف خلق الله هذا الخلق لم يلم أحدٌ أحداً)[٢] .

وفي مناجاة سيّد الشهداء الحسين بن عليّ (ع) (الهي كيف أعزم وأنت القاهر ، وكيف لا أعزم وأنت الآمر)[٣] ، وفيها ،(الهي حكمك النافذ ومشيتك القاهرة لم يتركا لذي مقال مقالا ولا لذي حال حالا)[٤]، ولي في هذا المعنى . فيض

منم كه ساختهٔ دست ابتلای توام   منم كه سوختهٔ قهر كبريای توام
مراچه ساختهٔ آنچنان كه ساختهٔ   بمدعای خود ارنه بمدعای توام

حافظ

مكن در اين جمنم سرزنش بخود روئى   جنانكه يرورشم ميدهند ميرويم

والسّر في ذلك أن المشية والارادة والتقدير والقضاء كلها من فعل الله سبحانه ، وهي حكم الله في الأشياء على حدّ علمه بها ، وأما المشييء المراد المقدر المقضي الذي يقع في الوجود ، فانه ربّما يكون من فعل العبد الذي يطلبه من الله باستعداده ، وهو قد يكون محبوبا مرضياً كالايمان والطاعات ، وقد يكون مبغوضاً مسخوطاً كالكفر والمعاصي .

ولا شك أن الحكم غير المحكوم به والمحكوم عليه لكونه نسبة قائمة بهما ، فلا يلزم من كون الحكم الذي من طرف الحق خيراً أن يكون المحكوم به الذي من جهة العبد خيراً ومحبوباً .

وهذا هو التحقيق في التفصّي عن شبهة مشهورة هي أنه قد ثبت وجوب الرضا بالقضاء وعدم جواز الرضا بالكفر والمعاصي فاذا كان الكفروالمعاصي بالقضاء فكيف التوفيق .

وليعلم أن تعذيب الله سبحانه لعباده ليس من جهة غرض له فيه سبحانه لانه بريء من

(١) الكافي : ج١ص١٥٤ح١ (٣) الكافي : ج٢ص٤٤ح١ ولكن ذكره عن الامام الصادق (ع)
(٢) الاقبال : ص٣٤٨س٢٤ (٤) الاقبال : ص٣٤٨س٢٠

الغرض غني عما سواه، بل انساقت[1] حجته البالغة وحكمته الكاملة إلى تعذيب فريق، وتنعيم فريق بما ركب في كل واحد من الالات وخلق لهم من الدواعي والارادات وغيرها من اسباب المعاصي والطاعات والشرور والخيرات فانقسمت افعال الله إلى ما ينساق إلى الغاية المطلوبة بالذات وإلى ما ينساق إلى غاية اخرى مرادة بالعرض، فاطلق على الأول اسم المحبوب وعلى الثاني اسم المكروه.

وانقسم عباده الذين هم أيضاً من فعله واختراعه إلى من سبقت لهم العناية بالحسنى بتسليط الدواعي والبواعث عليه لسياقتهم « لسياقهم خ » إلى غاية الحكمة وإلى المشية الرّبانية.

عن الصادق (ع) (قال : كان أمير المؤمنين (ع) كثيراً ما يقول : اعلموا علما يقينا أن الله تعالى لم يجعل للعبد وإن اشتد جهده وعظمت حيلته وكثرت مكايدته ان يسبق ما سمي له في الذكر الحكيم، أيّها الناس إنه لن يزداد امرء نقيراً بحذقه[2]، ولم ينقص امرء نقيراً بحمقه، فالعالم بهذا العامل به أعظم الناس راحة في منفعة، والعالم بهذا التارك له أعظم النّاس شغلا في مضرة، وربّ منعم عليه مستدرج بالاحسان إليه، وربّ مغرور في النّاس مصنوع له)[3].

وعن النبي (ص) (اعلم أن الامة لو اجتمعت على ان ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضرّوك لم يضرّوك إلا بشيء كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصّحف، وفي التنزيل ﴿قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولينا وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾[4] وقال تعالى : ﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها[5] إن ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتيكم﴾[6])[7].

وعن الصادق (ع) (أوحى الله تعالى إلى داود يا داود تريد واريد ولا يكون إلا ما اريد، وإن لم تسلم لما اريد اتعبتك فيما تريد ثم لا يكون إلا ما اريد)[8].

---

(١) انساق مطاوع ساق وانساق الابل : سارت متتابعة المنجد.

(٢) حذق حذقاً كان ماهراً فهو حاذق. (٣) الكافي : ج ٥ ص٨١ ح٩. (٤) سورة التوبة : الآية٥١

(٥) الضمير في نبرأها للنفس او المصيبة، والمراد بالمصيبة في الارض مثل القحط ونقص الثمار ؛ وفي الانفس مثل الامراض والثكل بالاولاد ؛ والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ. م.

(٦) سورة الحديد : الآية٢٢ ـ٢٣ (٧) علم اليقين : ج١ ص٢٠٨ عن الترمذي.

(٨) التوحيد : ص٣٣٧ ح٤ ولكن ذكره بسند عن الامام امير المؤمنين (ع).

فاذن ظهر أن لا راد لقضاء الله رلا معقب لحكمه ، ما شاء الله كان وما لم يشـأ لم يكن لا ملجأ لعباده فيما قضى ، ولا حجة لهم فيما ارتضى لم يقدروا على عمل ولا معالجة فيما احدث في أبدانهم المخلوقة إلا بربّهم هذا .

وقد ثبت أن المواد تحت قهر الطبايع باذن الله ، والطبـايع تحت قهـر النفوس بـاذن الله ، والنفوس تحت قهر العقول باذن الله ، والعقول تحت قهر كبـرياء الله عـز وجل وهـو الله الواحـد القهّار .

ومن وجـه آخر أن الأرضين تحت تـأثير السمـاوات باذن الله ، والسمـاوات في ذل تسخيـر الملكوت باذن الله ، والملكوت في قيد اسر الجبروت باذن الله ، والجبروت مقهـور بأمـر الجبار جـلّ سلطانه وهـو الغالب على أمـره والقاهـر فوق عبـاده ، والأرض جميعاً قبضتـه ، والسماوات مطويّات بيمينه ، والشمس والقمر والنجوم مسخّرات بأمره ، وما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها .

أيدي الكل مغلولة بيد قدرته ، والله خلقكم وما تعملون ، وأرجلهم معقولة بعقال[1] مشيته هو الذي يسيّركم في البر والبحر ، وآمالهم منقطعة إلا بحوله وقوته ، وإن يمسسك الله بضر فـلا كاشف له إلا هو وان يردك بخيـر فلا راد لفضله ، إن ينصـركم الله فلا غـالـب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الـذي ينصركم من بعـده ، فسبحان الـذي بيده ملكـوت كلّ شيء ، وتبـارك الذي بيـده الملك .

وفي الحديث النبوي (ص) (اعوذ بعفوك من عقابك وأعوذ بك برضاك من سخطك واعوذ بك منك)[2] ، أشار بالأول إلى توحيد الأفعال ، وبالثـاني إلى توحيـد الصفات ، وبـالثالث إلى توحيد الـذات ، وفي مناجـاة سيّد الشهـداء (ع) في دعاء عـرفة ،(أنت الـذي أزلت الأغيار عن قلوب احبائك حتى لم يحبّوا سواك)[3] .

حافظ

نيست بـر لـوح دلم جـز الف قـامت يـار   چكنـم حـرف د گـر يـاد نـداد استـادم

---

(١) العقال : حبل يشد به البعير في وسط ذراعه ومنه العقال الذي يشد على الرأس المنجد .

(٢) صحيح مسلم : ج١ص٣٥٢ح٤٨٦ (٣) الاقبال : ص٣٤٩ س٢٠

بها يجمع بين مدخلية الاسباب الخارجة في الأفعال وبين الفراغ من الامر وبها يتبين ما يتبع ذلك

كما أن الاشياء الداخلة في وجود الانسان كالعلم والقدرة والارادة من جملة أسباب الفعل ، فكذلك الامور الخارجة من الدعوات والطاعات والسّعي والجدّ والتّدبير والحذر والالتماس والتكليف والوعد والوعيد والارشاد والتهذيب والترغيب والترهيب وأمثال ذلك ، فانّ ذلك كلّه أسباب ووسايط ووسايل وروابط لوجود الأفعال ، ودواعي إلى الخير ومهيجات للأشواق مهيئة للمطالب موصلة إلى الارزاق مخرجة للكمالات من القوة إلى الفعل .

وكل ذلك مما يقاوم القضاء لا من حيث إنه فعل العبد فانه من هذه الحيثية مما يتحكم به القضاء لانه لو لم يقض لم يوجد بل من حيث إن الله سبحانه جعله من الأسباب على حسب ما قدر وقضى لربط ومواخاة بينه وبين الفعل كما جعل شرب الدواء سبباً لحصول الصّحة في هذا المريض ؛ فالسّبب والمسبّب كلاهما ينبعثان من القضاء ويستندان إلى الله سبحانه وإلى أمره إرادّياً ايجادياً أو تكليفيا .

(سئل النبي (ص) أنحن في أمر فرغ منه أو أمر مستانف ؟ قال (ص) : في أمر فرغ منه وفي أمر مستانف)[١] (وسئل هل يغني الدواء والرقية من قدر الله ؟ قال : الدواء والرقية أيضاً من قدر الله)[٢] .

(وسئل أمير المؤمنين (ع) عند انحرافه عن جدار يريد أن ينقض[٣] أتفرّ من قضاء الله ؟ قال أفرّ من قضائه إلى قدره)[٤] ، ولما كانت الحكمة الالهيّة تقتضي أن يكون العبد معلقا بين الرجاء والخوف الذين بهما يتم العبودية ، جعل الله كيفية علمه وقضائه وقدره وساير الأسباب غايبه عن العقول ، وجعل الدعوات والطاعات وما يجري مجرى ذلك مناط التكليف وملاك العبودية ليتم المقصود ، وهذا إحدى الطرق في تصحيح القول بالتكاليف مطلقاً مع الاعتراف باحاطة علم الله وكون الأقدار جارية والأقضية سابقة في الكل .

وأما الابتلاء من الله سبحانه فهو إظهار ما كتب لنا أو علينا في القدر وإبراز ما اودع فينا

---

(١) علم اليقين ج١ ص٢٠٧ .   (٢) احياء علوم الدين : ج٤ص٢٦١

(٣) انقض الحائط اذا سقط وقيل : اذا تصدع ولم يسقط فاذا سقط قيل : انهار . م . (٤) التوحيد : ص٣٦٩ح٣

وغرز[1] في طباعنا بالقوة بحيث يترتب عليه الثواب والعقاب فانه ما لم يخرج من القوة إلى الفعل لم يوجد بعد وإن كان معلوماً لله تعالى فلا يحصل ثمرته وتبعته اللازمتان ، ولهذا قال سبحانه تعالى : ﴿ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصّابرين ونبلو أخباركم﴾[2] .

وأما الثواب والعقاب فهما من لوازم الأعمال الواقعة منّا وثمراتها ولواحق الامور الموجودة فينا وتبعاتها ليسا يردان علينا من خارج ، فالمجازاة أيضاً هو إظهار ما كتب لنا أو علينا في القدر وإبراز ما اودع فينا وغرز في طباعنا بالقوة كما قال سبحانه : ﴿سيجزيهم وصفهم﴾[3] .

وأما تفاوت النفوس في ذلك وعدم تساويها في الخيرات والشرور واختلافها في السّعادة والشقاوة فلاختلاف استعداداتها المادية في اللطافة والكثافة والقرب من الاعتدال الحقيقي والبعد عنه وتفاوت الأرواح التي بازائها في الصفاء والكدرة والقوة والضعف بحسب الفطرة لمناسبة تلك المواد وغير ذلك من الاسباب قال الله تعالى : ﴿قل كل يعمل على شاكلته﴾[4] اي ما يوافق استعداده ، وفي الحديث النبوي (ص) (اعملوا فكل ميسّر لما خلق له)[5] . حافظ

كرجه وصالش نه بكوشش دهند آنقدر ايدل كه تواني بكوش

والسرّ فيه إنما هو تقابل الاسماء الالهية الكمالية الطالبة لمظاهرها المختلفة ، فان من الواجب أن يكون من جملة صفات الملك وخصوصا ملك الملوك صفة لطف وقهر لأنهما من أوصاف الكمال ونعوت الجلال ولا بد لكل من الوصفين من مظهر ولكل منهما فروع وشعب غير متناهية كل منهما يوجب تعلق ارادته سبحانه وقدرته إلى ايجاد مخلوق يدلّ عليه كما مرّ الاشارة إليه فكل من الموجودات مظهر لاسم خاص الهي فلذلك اقتضت رحمة الباري ايجاد المخلوقات كلها لتكون مظاهر لأسمائه الحسنى ومجالي[6] لصفاته العليا .

مثلا لما كان منتقما قهاراً أوجد المظاهر القهرّية من الجحيم وساكنيها والزقوم ومتناوليها ، ولما كان عفوّاً غفاراً أوجد مجالي للعفو والغفران كالجنة واهليها والتسنيم[7] وشاربيها ومنها

---

(١) غرزت الشيء غرزا من باب ضرب : اثبته في الارض واغرزته بالالف لغة ومنه حديث لف الخرقة للميت : واغرزها في الموضع الذي لففت فيه الخرقة . م .

(٢) سورة محمد : الآية٣١ (٣) سورة الانعام : الآية ١٣٩ (٤) سورة الاسراء : الآية ٨٤

(٥) التوحيد : ص٣٥٦ح٣ (٦) من جلا جلاء على معنى ظهر ووضح .

(٧) قال الراغب في المفردات : قيل هو عين في الجنة رفيعة القدر وفسر بقوله : عينا يشرب بها المقربون وقال الطريحي في مجمع البحرين : وعن ابن عباس وقد سئل عن تسنيم فقال : هذا مما يقول الله تعالى : فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين .

يظهر السعادة والشقاوة فمنهم شقي وسعيد فظهر أن لا وجه لاسناد الظلم والقبايح إلى الله سبحانه لأن هذا الترتيب والتميز من وقوع فريق في طريق اللطف وآخر في طريق القهر من ضروريات الوجود والايجاد ومن مقتضيات الحكمة والعدالة .

ومن هنا قال بعض العلماء ليت شعري لم لا ينسب الظلم إلى الملك المجازي حيث يجعل بعض من تحت تصرفه وزيراً قريباً وبعضهم كنّاسا بعيداً ؛ لأن كلا منهما من ضروريات مملكته، وينسب الظلم إلى الله تعالى في تخصيص كل من عبيده بما خصّص مع أنّ كلّ منهما ضروري في مقامه وكما أن لكل من المخلوقات استعداداً كليا لقبول الوجود كذلك لكل منها استعداد جزئي لظهور اسم خاصّ فيه وأسماء خاصة واحداً بعد واحد حتى يصل إلى كماله اللايق به والحق سبحانه منزّه عن التقييد بالأسماء والحصر فيها .

وهذا هو السّبب في اختلافات الاضافات المتكررة من طرفي الحق والخلق كما أشار إليه الحسين بن عليّ (ع) في دعاء عرفة بقوله : (إلهي ما أقربك منّي وابعدني عنك الهي ما أرأفك بي فما يحجبني عنك)[1] .

فانّ طريقه وقربه سبحانه بالنسبة الى الخلق خلاف طريقهم وقربهم بالنسبة إليه ، لأن طريقه وقربه من حيث الوجود والاحاطة والمعية التي لا تفاوت فيها بالنسبة إلى الجميع أصلا كقرب المداد مثلا بالنسبة إلى حروف الكتاب وطريقهم وقربهم من حيث الظهورات الأسمائية والاستعدادات الذاتية التي هم فيها مختلفون وإن كان مصير الكل إليه سبحانه لعدم تقيده عز وجل باسم دون اسم كما قال سبحانه : **﴿وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم ، صراط الله الذي له ما في السّماوات وما في الارض وإلى الله المصير﴾**[2] .

فهو سبحانه قريب منهم جميعاً غاية القرب دائماً ، **﴿وإذا سألك عبادي عني فاني قريب﴾**[3] ، وهو معهم اين ما كانوا ، على صراط مستقيم أبداً ، **﴿ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربّي على صراط مستقيم﴾**[4] ، ومع هذا فبعضهم بعيد عنه وبعضهم أبعد وأبعد إلى غاية البعد ، وعلى طرق يفضى بها إلى الشقاوة ، وذلك لأنّ قرب كل واحد منهم إليه سبحانه من جهة اسم معيّن هو مقيّد به وهو بعيد عنه من جهة الأسماء الاخر لعدم تحققه بها وشعوره لها .

---

(١) الاقبال : ص٣٤٨ص١٥ (٢) سورة الشورى : الآية٥٢ ـ ٥٣ ـ (٣) سورة البقرة : الآية ١٨٦
(٤) سورة هود : الآية ٥٦

حافظ

اگـــر بزلـــف دراز تـــو دسـت مـــا نـــرســـد گـنـاه بخت پـريشـــان ودست كـوتـــه مـاست

ومثل ذلك كمثل الأعمى والأصم يكون مطلوبه حاضراً لديه وهو لا يشعر بـه ، ويكون في طلبه فهو بعيد من مطلوبه وإن كان مطلوبه في غاية القرب . حافظ

يا رب بكه شايد گفت اين نكتـه كه در عـالم رخساره بكس ننمـود آن شـاهـد هـرِ جائى
ديشب گـلهٔ زلـفش بـا بـاد هـمـى گـفـتـم گفتـا غلطي بگـذر زين فكـرت سـودائى
صـد باد صبـا اينجـا بـا سلسلة ميـر قصنـد اينست حـريف ايـدل تـا بـاده نـه پيمـائي

واستقامة صراط كل احد عبارة عن رجوعه إلى الاسم الذي بدأ منه وذلك الاسم هو الذي يربيه ويهديه وصراطه مستقيم بالنظر إلى كماله الذي هو منتهى سيـره واللايق بحـاله وإن لم يكن مستقيما بالنظر إلى الوصول وإلى سعادته التي هي الفوز بالنجاة والظفر بالدّرجات .

اكر از ناهمواري زمين در سايه كجي بيني آن كجي را عين استقامة سايـه دان ، وهمچنين راستي ابرو وكمان دركجي است .

(مصراع) ابروي تو كرراست بود كج باشد

ازكجي راستي كمان آيد چراكه راستي ابرو وكمان عبارت از هيئتي است كه ميبايد بـر آن باشند تا ابرو وكمان باشد وشك نيست كـه ايمنعني دركجي ايشان راست ميـآيد وهمچنين است استقامت وراستي حقيقت وبودن آن بر طريق مستقيم آنستكه ظهور آن در قوابل بحسب اقتضـاى قابليت ايشان باشد پس اكر چنانكه قابل تقاضاى آن كند كه حقيقت در آن باسم مضل ظاهر شود ظهور وى بطريق استقامت خواهد بود كه اكر بفرض محال باسم هادى ظاهر شـود آن حقيقت در آن مظهر بر طريق مستقيم نخوا هد بود .

قـال مولينـا البـاقـر (ع) : (إن الله الحليم العليم إنما غضبـه على من لم يقبل منـه رضاه ، وإنما يمنع من لم يقبل منه عطاه ، وإنما يضلّ من لم يقبل منه هداه)[1]

حافظ

طبيب عشق مسيحـا دمست ومـشفـق ليـك چـو درد در تـو نـبيـنـد كـه را دوا بكـنـد

(١) الكافي ج٨ ص٥٢ .

كلمة

بها ينكشف سر المحو والاثبات واسناد التردد والبداء الى الله تعالى في الروايات .

قد عرفت معنى القضاء والقدر فاعلم أن محل القضاء عالم العقول والأرواح ويسمى باللوح المحفوظ ، لأنه محفوظ عن التغير ، وام الكتاب لاحاطته بالاشياء اجمالا ، ومحل القدر عالم النفوس والاشباح ويسمى النفس الكلية الفلكية بالكتاب المبين لظهور الاشياء فيها تفصيلا ، والنّفس المنطبعة في الجسم الفلكي بكتاب المحو والاثبات لوقوعهما فيها .

قال الله تعالى : ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب﴾[١] وقال عزّ وجلّ ﴿وان من شيء الاّ عندنا خزائنه﴾[٢] اي ما في العقول والأرواح وما ننزله إلا بقدر معلوم أي الى النّفوس والأشباح ، وذلك لأن النّفوس المنطبعة الفلكية وقواها. التي هي بمنزلة الخيال فينا لم تحط بتفاصيل ما سيقع من الامور دفعة واحدة ، لعدم تناهيها بل انما ينتقش فيها الحوادث شيئاً فشيئاً وجملة فجملة مع أسبابها وعللها على نهج مستمر ونظام مستقر .

فما يحدث في عالم الكون والفساد إنما هو من لوازم حركات الأفلاك ونتايج بركاتها باذن الله عزّ سلطانه فهي تعلم أنه كلّما كان كذا كان كذا فمهما حصل لها العلم باسباب حدوث أمر ما في هذا العالم حكمت بوقوعه فيه فينتقش فيها ذلك الحكم وربّما تأخر بعض الأسباب الموجب لوقوع الحادث على خلاف ما توجبه بقية الاسباب لولا ذلك السبب ولم يحصل لها العلم بذلك السّبب بعد لعدم اطلاعها على سبب ذلك السّبب ثمّ لما جاء اوانه واطلعت عليه حكمت بخلاف الحكم الأوّل فيمحى عنها نقش الحكم السابق ويثبت حكم الآخر .

مثلا لما حصل لها العلم بموت زيد بمرض كذا في ليلة كذا لأسباب يقتضي ذلك ولم يحصل لها العلم بتصدقه الذي يأتي به قبيل ذلك الوقت لعدم اطلاعها على أسباب التصدّق بعد ثمّ علمت به وكان موته بتلك الاسباب مشروطا بان لا يتصدّق فيحكم أولاً بالموت وثانياً بالبرء ، وذلك لأن شأن النفوس أن يكون توجهها إلى بعض المعلومات واشتغالها به يذهلها عن البعض الآخر .

ثمّ إذا كانت الأسباب لوقوع الأمر ولا وقوعه متكافية ولم يحصل لها العلم برجحان أحدهما بعد لعدم مجيء أوان سبب ذلك الرجحان بعد كان لها التردد في وقوع ذلك الأمر ولا

---

(١) سورة الرعد : الآية ٣٩. (٢) سورة الحجر : الآية٢١

وقوعه فينتقش فيها الوقوع تارة واللاوقوع اخرى فهذا هو السبب في المحو والاثبات والتردد والحكمة فيها .

ثمّ لما كانت أفعال الملائكة المسخّرين وإراداتهم مستهلكة في فعله سبحانه وإرادته إذلا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، ومكتوبهم مكتوب الله عزّ وجلّ بعد قضائه السابق المكتوب بقلمه الأوّل ، جاز أن يوصف الله سبحانه بالبداء وكلّ ما يشعر بالتغير والسنوح[1] مع تقدّسه سبحانه وتنزهه عن ذلك وقد مرّ نظيره في وصفه عزّ وجلّ بالأسف والمحاربة ونحوهما .

وقد ورد في الحديث القدسي : (ما ترددت في شيء أنا فاعله كترددي في قبض روح عبدي المؤمن ، يكره الموت واكره مساءته له)[2] مع ان الله عزّ وجلّ قد قضى عليه الموت قضاء حتما كما قال عزّ وجلّ : ﴿ثمّ قضى أجلا ، وأجل مسمى عنده﴾[3] وقال : ﴿ولكل امة أجل فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾[4] .

قال بعض أهل المعرفة ومن هذه الحقيقة الالهيّة التي كني عنها بالتردد انبعث الترددات الكونية والتحير في النفوس وذلك إنا قد نتردّد في فعل أمر ما هل نفعل أم لا وما زلنا نتردّد حتى يكون أحد الأمور المتردد فيها فذلك الامر الواقع هو الثابت في اللّوح من تلك الأمور .

وذلك أن القلم الكاتب في اللوح القدري يكتب أمراً ما وزمان الخاطر ثمّ يمحوه فيزول ذلك الخاطر لأنّ من هذا اللوح إلى النفوس دقايق ممتدّة إليها تحدث بحدوث الكتابة وتنقطع بمحوها فاذا صار الامر ممحوّا كتب غيره فيمتدّ منه رقيقة إلى نفس هذا الشّخص الذي كتب هذا من أجله فيخطر له نقيض الخاطر الأوّل وهكذا إلى أن أراد الحق اثباته فلم يمحه فيفعله الشخص أو يتركه حسب ما تثبت في اللوح والموكل بالمحو ملك كريم والاملاء عليه من الصّفة الالهيّة ، ولو لم يكن الامر كذلك لكانت الامور كلها حتما مقضيًا وهذا شان الأقلام القدرية .

وأما القلم الأعلى فاثبت في اللوح المحفوظ صورة كلّ شيء يجري من هذه الأقلام من محو واثبات ففيه اثبات المحو ومحو المحو ومحو الاثبات على وجه أرفع فصورته مقدسة عن المحو والتغير ، لأن نسبة القلم الاعلى الى هذه الأقلام كنسبة قوانا العقلية إلى مشاعرنا الخيالية والحسيّة ، ونسبة اللوح المحفوظ إلى هذه الأرواح كنسبة الارادة الكلية لمطلوب نوعي إلى ارادة جزئية وقعت في طريق تحصيله في ضمن واحد منه .

---

(١) سنح سنوحاً الامر أو الرأي : عرض المنجد . (٢) الكافي : ج٢ص٣٥٢ ح٧

(٣) سورة الانعام : الآية٢ (٤) سورة الاعراف : الآية٣٤

وعن الباقر (ع) أنه قال: (العلم علمان: فعلم عند الله مخزون لم يطلع عليه أحداً من خلقه، وعلم علمه ملائكته ورسله فما علمه ملائكته ورسله فانه سيكون لا يكذب نفسه ولا ملائكته ولا رسله، وعلم عنده مخزون يقدم منه ما يشاء ويؤخر منه ما يشاء ويثبت ما يشاء)[1].

وقال (ع): (ما عبد الله بشيء مثل البداء)[2]، وفي رواية (ما عظم الله بمثل البدا)[3]، وإنما لم يعبد الله ولم يعظم بمثل البدا لأن مدار استجابة الدعاء والرغبة إليه سبحانه والرهبة منه وتفويض الأمور إليه والتعلق بين الخوف والرجاء وأمثال ذلك من اركان العبودية عليه[4].

المقالة السابعة

في حجة الله على خلقه ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط﴾ الحديد ٢٥.

كلمة

في بيان اضطرار الخلق الى الحجة وتفاوت درجات الحجج

عن الصّادق (ع) (انه قال للزنديق الذي سأله من اين اثبت الأنبياء والرّسل قال: لما أثبتنا أن لنا خالقاً صانعاً متعالياً عنّا وعن جميع ما خلق وكان ذلك الصانع حكيماً متعالياً لم يجز أن يشاهده خلقه ولا يلامسوه فيباشرهم ويباشروه ويحاجهم ويحاجّوه ثبت أن له سفراء في خلقه يعبّرون عنه إلى خلقه وعباده ويدلونهم على مصالحهم ومنافعهم وما به بقائهم وفي تركه فنائهم.

فثبت الآمرون والناهون عن الحكيم العليم في خلقه والمعبّرون عنه جلّ وعزّ وهم الأنبياء وصفوته من خلقه، حكماء مؤدّبين بالحكمة مبعوثين بها غير مشاركين للنّاس على مشاركتهم لهم

(١) الكافي: ج١ص١٤٧ ح٦

(٢) التوحيد: ص٣٣١ ح١والكافي: ج١ص١٤٦ح١

(٣) التوحيد: ص٣٣٣ ح٢ والكافي: ج١ص١٤٦ح١

(٤) الظاهر ان مسألة البداء كما قيل مما انفردت به الامامية (رض) وقد شنع عليهم بذلك كثير من المخالفين حتى ان الفخر الرازي في خاتمة المحصل نقلا عن سليمان بن جرير نسب الى الائمة صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين في ذلك منكراً من القول وزوراً مع اتفاق الكل على عصمتهم وقداستهم سلام الله عليهم. ولعلمائنا الامامية رضوان الله عليهم كالصّدوق في التوحيد، والعقايد، والشيخ في العدة والشيخ المفيد في تصحيح الاعتقاد، والسيد الداماد في نبراس الضياء، والسيد المرتضى في جواب مسائل اهل الرأي، وغيرهم في غيرها حول مسألة البداء مقالات لا يسع المقام لذكرها من أراد التفصيل فليرجع اليها.

في الخلق والتّركيب في شيء من أحوالهم ، مؤيّدين من عند الحكيم العليم بالحكمة .

ثمّ ثبت ذلك في كلّ دهر وزمان ممّا أتت به الرّسل والأنبياء من الدلايل والبراهين كيلا تخلو أرض الله من حجة يكون معه علم يدلّ على صدق مقالته وجواز عدالته)[1] ، وقد نبّه الله سبحانه في قصة آدم على نبيّنا وعليه السّلام على وجوب الحجة واصطفائه على الملائكة إذ قال تعالى :

﴿وإذ قال ربّك للملائكة إنّي جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدّماء ونحن نسبّح بحمدك ونقدّس لك قال إنّي أعلم ما لا تعلمون ، وعلم آدم الأسماء كلّها ثمّ عرضهم على الملائكة فقال انبئوني باسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ، قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنّك أنت العليم الحكيم قال يا آدم انبئهم باسمائهم فلمّا أنبأهم بأسمائهم قال ألم اقل لكم إني أعلم غيب السّموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون﴾[2] وقال عزّ وجلّ : ﴿فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾[3] .

وذلك لأنّه مظهر الأسماء كلّها بخلاف الملائكة وأنه المفيض للكمالات من اسم الله إلى ما سواه بل هو بعينه الاسم الجامع للاسماء كلّها ، لأنّه يدل على الله بظهوره في المظاهر كلها دلالة الاسم على المسمى ، فان الدلالة كما تكون في الألفاظ كذلك تكون بالذّوات من غير فرق بينهما فيما يؤول إلى المعنى .

قال الصّادق (ع) (نحن والله الاسماء الحسنى التي لا يقبل الله من العباد عملا إلا بمعرفتنا)[4] ، وذلك لأنّهم (عليهم السّلام) وسايل معرفة ذاته تعالى ووسايط ظهور صفاته سبحانه ، وإنما لا يقبل الله عملا إلا بمعرفتهم لأن العلم بكيفية العمل وبمن يعمل له إنما يؤخذ منهم فالحجّة كما أنه لا بد منه كذلك معرفته أيضاً لا بد منها .

قال النبي (ص) (من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية)[5] ، ثمّ المستفاد من الأخبار المعصومية أن الحجة إما نبي رسول يسمع الصّوت ويعاين الملك وقد ارسل إلى قوم ، وإما نبي يسمع الصوت ويرى في النّوم ولا يعاين في اليقظة ولم يبعث إلى أحد ، وربّما يكون عليهما إمام كما كان إبراهيم على لوط فان الامامة فوق النبوّة والرسالة وإما وصيّ نبي يحدثه

---

(١) الكافي : ج١ ص١٦٨ح١ (٢) سورة البقرة : الآية ٣٠ ـ٣٣ (٣) سورة ص : الآية٧٢

(٤) الكافي : ج١ص١٤٣ ح٤ (٥) الدعائم : ج١ص٢٧وفيه « من مات لا يعرف امام دهره مات ميتة جاهلية »

الملك يسمع صوته ولا يراه ، وقد يكون إماما من دون ان يكـون نبيّاً كـأوصياء نبينـا صلوات الله عليه وعليهم ، وبالجملة فهم متفاوتون في الفضل .

قـال الله تعالى : ﴿تلك الـرّسل فضّلنـا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات﴾[٣] والكل حجّة الله على عباده وامناؤه في بلاده وداعيهم الى الله بمقاله وفعاله ومشاهدة أحواله ومن هو منهم إمام يـأتمون بـه في أقوالـه وأفعالـه ، وهو أولى بهم من أنفسهم لأنّـه وليّهم ومولاهم والشهيد عليهم في عقبـاهم حاكم بينهم يحكم بـالحق فيمـا اختلفـوا فيـه وأميـر عليهم يكونون تحت أوامره ونواهيه ويتيقنون بـالرّجـوع إليه مـا شكوا فيـه كما جعـل الله تعالى لحـواس الانسان قلبا لتكون مسخرة تحت أمره ونهيه وتردّ إليه ما شكت فيه .

والحجة بمنزلة روح العالم والعالم جسده فكما أنّ الرّوح إنّمـا يدبّـر الجسد ويتصـرّف فيه بما يكون له القوى الروحانية والجسمانية كذلك الحجة يدبّر العالم ويتصرّف فيه باذن الله بواسطة الأسماء الإلهيّـة التي أودعهـا فيه وعلمهـا إياه وركبهـا في فطرتـه ، فانهـا منه بمنـزلة القـوى من الرّوح ، ولهذا تخرب الدّار الدنيا بانتقال الحجّة عنها كما أن الجسد يبلى ويفنى بمفارقة الـرّوح عنه .

قال النبي (ص) (النّجوم أمان لأهل السماء فاذا ذهبت النّجوم ذهب أهل السّمـاء ، وأهل بيتي أمـان لأهـل الأرض فـاذا ذهب أهـل بيتي ذهب أهـــل الأرض)[١] . وقـال أميــر المؤمنين (ع) : (لا تخلو الأرض من قـائم لله بحجّة إمـا ظاهـر مشهور وإمـا خـائف مغمـور)[٢] . وقـال السّجاد (ع) : (لولا ما في الأرض منّا لسـاخت[٣] بأهلهـا)[٤] ، وقال البـاقر (ع) (لـو أنّ الأمام رفع من الارض ساعة لماجت[٥] بأهلها كما يموج البحر بأهله)[٦] ، ومثله عن الصّادق والكاظم والرّضا (ع) ، فالحجة هي الغاية القصوى من وجود العالم والمقصد الأقصى عن خلقه بني آدم

غــرض تـوتي ز وجــود همـه جهــان ورنــه لـمــا تـكــوّن فـي الـكــون كـائـن لـولاك

---

(٣) سورة البقرة : الآية ٢٥٣

(١) امالي الطوسي : ص٣٨٨ والاكمال : ص١٩٩ ونور الثقلين : ج٣ص٤٦

(٢) نهج البلاغة : ص٤٩٧ حكمة١٤٧(٣) ساخت الارض بهم سوخا أي خسفت .ق .

(٤) الاحتجاج : ج٢ص٤٨ (٥) ماج البحر يموج موجاً اضطربت أمواجه . م .

(٦) الكافي : ج١ص١٧٩ح١٢

ولهذا تواصلت الحجج نبيّين ووصيّين من زمان أبينا آدم على نبيّنا وعليه السّلام إلى زمان قائمنا (ع) من دون فترة وانقطاع بنص كل سابق على لاحقه باخبار من الله سبحانه منهم من ظهر ومنهم من استخفى كما ورد عنهم (ع) في أخبار كثيرة .

كلمة

فيها اشارة الى كيفية حصول الوحي وغيره من انواع العلم في قلوب اهليهما

إنّ حقايق الاشياء كلّها مسطورة في اللوح المحفوظ ، وإنّما تفيض على قلوبنا من ذلك العالم بواسطة القلم العقلي الكاتب في ألواح نفوسنا كما قال عزّ وجلّ **﴿اولئك كتب في قلوبهم الايمان﴾**[٧] وقال سبحانه : **﴿علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم﴾**[٨] .

وقلب الانسان صالح لأن ينتقش فيه العلوم كلّها وهو كمرآة مستعدة لأن يتجلى فيه حقيقة الحقّ في الامور كلها من اللوح المحفوظ ، وإنّما خلى عمّا خلى عنه من العلوم إما لنقصان ذاته كقلب الصبي وهو يشبه نقصان صورة المرآة كجوهر الحديد قبل أن يصيقل ، أو لكثرة المعاصي والخبث الذي تراكم عليه من كثرة الشهوات المانعة من صفائه وجلائه ، وهذا يشبه خبث[١] المرآة وصداها .

أو لعدوله عن جهة الحقيقة المطلوبة لاستيعاب همّته بتهيئة أسباب المعيشة وتفضيل الاعمال البدنية المانعة من التّأمل في الحضرة الربوبّية والحقايق الحقّة الالهية ، فلا ينكشف له إلا ما هو متفكر فيه وهذا يشبه كون المرآة معدولا بها عن جهة الصّورة .

أو لحجاب بينه وبين المطلوب من اعتقاد سبق إليه منذ الصّبا على سبيل التقليد والقبول بحسن الظنّ ، فان ذلك يحول بينه وبين حقايق الحق ويمنع أن ينكشف في قلبه خلاف ما تلقفه من ظاهر التقليد ، وهذا يشبه الحجاب المرسل بين المرآة وبين الصّورة المطلوب رؤيتها .

او لجهل بالجهة التي يقع فيها العثور على المطلوب فان طالب العلم ليس يمكنه أن يحصل العلم المطلوب إلا بالتذكر للعلوم التي تناسب مطلوبه حتّى إذا ذكرها ورتبها في نفسه ترتيبا مخصوصاً حصل له المطلوب فاذا لم يكن عنده العلوم المناسبة لذلك لم يحصل له

---

(٧) سورة المجادلة : الآية٢٢ (٨) سورة العلق : الآية٤ ـ٥

(١) الخبث من الحديد ونحوه وسخه وصدى الحديد صدءاً اذا علاه الجرب .

المطلوب ، وهذا يشبه الجهل بالجهة التي فيها الصّورة المطلوبة ، فهذه هي الاسباب المانعة لادراك الحقايق .

ثمّ إنّ العلوم التي ليست ضروريّة إنّما تحصل في القلب تارة بالاكتساب بطريق الاستدلال والتعلم ، ويسمى اعتباراً واستبصاراً ويختص بالعلماء والحكماء ، وتارة بهجومه على القلب كانّه القي فيه من حيث لا يدري سواء كان عقيب طلب وشوق اولا وسواء كان مع الاطلاع على السّبب الذي استفيد ذلك العلم أولا .

فانه قد يكون بمشاهدة الملك الملقى في القلب وسماع حديثه ، وقد يكون بمجرّد السماع من غير مشاهدة ، وقد يكون بنفثه في الروع من غير سماع ينكت[١] في القلب نكتا أو يلهم الهاماً ، وقد يكون ذلك الهجوم في النّوم كما يكون في اليقظة والمشاهدة تختص بالانبياء والرّسل وخصّ باسم الوحي عرفا ، وقد يكون لغيرهم .

وكما أنّ الحجاب بين المرآة والصّورة يزال تارة بتعمل اليد المتصرّفة ، وتارة لهبوب ريح تحركه فكذلك استفادة العلوم بالقلم الالهي للانسان قد تكون بقوة فكرته المتصرفة في تجريد الصور عن الغواشي[٢] والانتقال من بعضها الى بعض ، وقد تهب رياح الالطاف الالهية فيكشف الحجب والغواشي عن عين بصيرته فيتجلى فيها بعض ما هو مثبت في اللوح الاعلى .

فيكون تارة عند المنام ، فيظهر ما سيكون في المستقبل وتارة بتقشع الحجاب بلطف خفيّ من الله فيلمع في القلب من وراء ستر الغيب شيء من غرايب أسرار الملكوت في اليقظة فربما يدوم وربما يكون كالبرق الخاطف ودوامه في غاية الندور فلم يفارق الالهام وحديث الملك الاكتساب في العلم ولا في محله ولا في سببه ولكن يفارقه في طريقة زوال الحجاب وجهته ولم يفارق الوحي الالهام والحديث في شيء من ذلك بل في شدة الوضوح والتورية ومشاهدة الملك المفيد للعلم .

والكل مشتركة في أنها بواسطة الملك الذي هو القلم كما قال عز وجل : ﴿علم بالقلم﴾[٣] ولعلّه اشير إلى هذه المراتب الثلاث في قوله سبحانه : ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا﴾[٤] .

---

(١) في الحديث : اذا أراد الله بعبد خيراً نكت في قلبه نكتة من نور . النكتة في الشيء كالنقطة . م .
(٢) جمع الغاشية : والغاشية كل ما يغطي الشيء . (٣) سورة العلق : الآية٤ (٤) سورة الشورى : الآية٥١

قال بعض العلماء السرّ في اطلاع النبيّ على الملك الموحي دون غيره أنه لمّا صقل روحه بصقالة العقل للعبودية التامة وزالت عنه غشاوة الطبيعة ورين[1] المعصية بالكلية وكانت نفسه قدسية شديدة القوى قوية الانارة لما تحتها لم يشغلها جهة فوقها عن جهة تحتها فتضبط الطرفين وتسع الجانبين ولا يستغرقها حسّها الباطن عن حسّها الظاهر .

فاذا توجهت إلى الافق الاعلى وتلقّت أنوار المعلومات بلا تعليم بشريّ من الله يتعدى تأثيرها إلى قويها ويتمثل صورة ما يشاهده لروحها البشري ومنها إلى ظاهر الكون فتمثل للحواس الظاهرة سيّما السّمع والبصر لكونهما أشرف الحواس الظاهرة والطفها فيرى شخصا محسوساً ويسمع كلاما منظوماً في غاية الجودة والفصاحة أو يرى صحيفة مكتوبة .

فالشخص هو الملك النازل الحامل للوحي الالهي ، والكلام هو كلام الله والكتاب كتابه وقد نزل كلّ منها من عالم الامر القولي القضائي وذاته الحقيقيّة وصورته الأصلية إلى عالم الخلق الكتابي القدري في أحسن صورته وأجمل كسوة كتمثل جبرئيل (ع) لنبيّنا (ص) في صورة دحية بن الخليفة الكلبي الذي كان أجمل أهل زمانه .

ويقال ما رآه في صورته الحقيقية الاّ مرتين وذلك أنه (ص) سأله ان يريه نفسه على صورته فواعده ذلك بحراء[2] فطلع له جبرئيل (ع) فسدّ الأفق من المشرق الى المغرب ، وفي رواية كان له ستمأة جناح ، ورآه مرّة اخرى على صورته ليلة المعراج عند سدرة المنتهى .

كلمة

فيها اشارة الى سادة الانبياء والاوصياء واصول الشرايع

عن الصادق (ع) (سادة النبيّين والمرسلين خمسة : وهم اولو العزم من الرّسل وعليهم دارت الرحى : نوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمّد صلوات الله عليه وآله وعلى جميع الأنبياء)[3].

وفي رواية (قيل : كيف صاروا اولو العزم ؟ قال : لأن نوحاً بعث بكتاب وشريعة وكل من جاء بعد نوح أخذ بكتاب نوح وشريعته ومنهاجه حتى جاء إبراهيم بالصحف وبعزيمة ترك كتاب

---

(١) الرين صدأ يعلو الشيء الجليل قال : بل ران على قلوبهم ، اي صار ذلك كصداء على جلاء قلوبهم فعمى عليهم معرفة الخير من الشر ، المفردات .

(٢) حراء بالكسر والمد : جبل بمكة . م . (٣) الكافي : ج١ص١٧٥ح٣

نوح لا كفراً به وكل نبي جاء بعد إبراهيم أخذ بشريعة إبراهيم ومنهاجه وبالصّحف حتّى جاء موسى بالتوراة وشريعته ومنهاجه وبعزيمة ترك الصحف ، وكل نبي جاء بعد موسى (ع) أخذ بالتوراة وشريعته ومنهاجه حتى جاء المسيح (ع) بالانجيل وبعزيمة ترك شريعة موسى (ع) ومنهاجه ، فكل نبي جاء بعد المسيح (ع) أخذ بشريعته ومنهاجه حتى جاء محمّد (ص) بالقرآن وبشريعته ومنهاجه فحلاله حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة فهؤلاء اولو العزم من الرّسل (ع))[1] .

وفيه عنه (ع) قال : (إن الله أعطى محمّداً (ص) شرايع نوح وإبراهيم وموسى وعيسى التوحيد والاخلاص وخلع الانداد[2] والفطرة الحنفيّة السمحة ولا رهبانية ولا سياحة ، احلّ فيها الطيبات وحرّم فيها الخبائث ووضع عنهم إصرهم[3] والاغلال التي كانت عليهم ثم افترض عليه فيها الصّلاة والزكاة والصّيام والحج والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والحلال والحرام والمواريث والحدود والفرايض والجهاد في سبيل الله وزيادة الوضوء ، وفضله بفاتحة الكتاب وبخواتيم سورة البقرة ، والمفصل وأحلّ له المغنم والفيء ونصره بالرّعب وجعل له الأرض مسجداً وطهورا وأرسله كافة إلى الابيض والاسود والجنّ والانس وأعطاه الجزية واسر المشركين وفداهم ، ثم كلف ما لم يكلف أحد من الأنبياء وانزل عليه سيف من السماء من غير غمد ، وقيل له قاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك)[4] .

وفيه عنه (ع) (قال : ان الله أدّب نبيه فاحسن أدبه فلما أكمل له الأدب قال : ﴿إنك لعلى

---

(١) الكافي : ج٢ص١٧ح٢

(٢) نديد الشيء مشاركه في جوهره وذلك ضرب من المماثلة فان المثل يقال في اي مشاركه كانت فكل ند مثل وليس كل مثل نداً ويقال نده ونديده ونديدته قال : فلا تجعلوا لله أنداداً . المفردات .

(٣) الاصر عقد الشيء وحبسه بقدره قال تعالى : ويضع عنهم اصرهم اي الامور التي تثبطهم وتقيدهم عن الخيرات وعن الوصول الى الثوابات كذا في المفردات وقال في مجمع البحرين : هومثل لثقل تكليفهم نحو قتل الانفس في التوبة وكذلك الاغلال وقال في مجمع البيان : اصرهم اي ثقلهم شبه ما كان على بني اسرائيل من التكليف الشديد بالثقل وذلك ان الله سبحانه جعل توبتهم ان يقتل بعضهم بعضاً وجعل توبة هذه الامة الندم بالقلب حرمة للنبي (ص) عن الحسن وقال في تفسير الاغلال : معناه ويضع عنهم العهود التي كانت في ذمتهم وجعل تلك العهود بمنزلة الاغلال التي تكون في الاعناق للزومها كما يقال : هذا طوق في عنقك وقيل : يريد بالاغلال التي تكون في ما امتحنوا به من قتل نفوسهم في التوبة وقرض ما يصيبه البول من اجسادهم وما اشبه ذلك « الخ »

(٤) الكافي : ج٢ص١٧ح١

خلق عظيم﴾[1] ثم فوّض إليه أمر الدين والأمة ليسوس[2] عباده فقال تعالى : ﴿ما آتيكم الرّسول فخذوه وما نهيكم عنه فانتهوا﴾[3] وأن رسول الله (ص) كان مسدّداً موفّقاً مؤيداً بروح القدس لا يزل ولايخطىء في شيء مما يسوس به الخلق ، فتأدّب بآداب الله[4] .

ثم ذكر (ع) (ما سن رسول الله (ص) وأضاف إلى الشرايع وما حرم الله وما عاف وكره ثم رخّص فيه قال فأجازه الله ذلك كله فوافق أمر رسول الله (ص) أمر الله ، ونهيه نهي الله ووجب على العباد التسليم له كالتسليم لله)[5] ، وزاد في رواية (فما فوض إلى رسول الله فقد فوّضه الينا)[6]

ستارهٔ بدر خشيد وماه مجلس شد	دل رميدهٔ ما را أنيس ومونس شد
نگار من كه بمكتب نرفت وخط ننوشت	بغمزة مسئله آموز صد مدرس شد

وفيه عنه (ع) (قال : ما جاء به علي (ع) اخذ به وما نهى عنه انتهى عنه جرى له من الفضل مثل ما جرى لمحمد (ص) ، ولمحمد (ص) الفضل على جميع ما خلق الله المتعقب عليه في شيء من احكامه كالمتعقب على الله وعلى رسوله ، والراد عليه في صغيرة أو كبيرة على حدّ الشرك بالله .

كان أمير المؤمنين (ع) باب الله الذي لا يؤتى إلا منه ، وسبيله الذي من سلك بغيره يهلك ، وكذلك يجري لأئمة الهدى واحداً بعد واحد جعلهم الله أركان الارض أن تميد بأهلها وحجته البالغة على من فوق الأرض ومن تحت الثرى .

وكان أمير المؤمنين (ع) كثيرا ما يقول : أنا قسيم الله بين الجنة والنار وأنا الفاروق الأكبر وأنا صاحب العصا والميسم ولقد اقرّت لي جميع الملائكة والروح والرسل بمثل ما أقرّوا به لمحمد (ص) ، ولقد حملت مثل حمولته وهي حمولة الرّب وأن رسول الله (ص) يدعى فيكسى وادعى فاكسى ، ويستنطق فينطق واستنطق فانطق على حدّ منطقه ، ولقد اعطيت خصالاً ما سبقني إليها أحد قبلي ، علمت المنايا والبلايا والانساب وفصل الخطاب ، فلم يفتني ما سبقني ولم يعزب عني ما غاب عني ابشر باذن الله واؤدي عنه كل ذلك من الله ، مكنني فيه بعلمه)[7]

---

(۱) سورة القلم : الآية٤ (۲) ساس يسوس سياسة القوم : دبرهم وتولى أمرهم وسست الرعية سياسة أمرتها ونهيتها
(۳) سورة الحشر : الآية۷ (٤) الكافي : ج۱ص٢٦٦ ح٤
(٥) الكافي : ج۱ص٢٦٦ ذيل ح٤ « بالمعنى » (٦) الكافي : ج۱ ص٢٦٥ ذيل ح۲ (۷) الكافي : ج۱ ص١٩٦ ح۱

أقول : « المتعقب » الطاعن والمعترض وإنما كان علي (ع) قسيم الله بين الجنة والنار لأن حبّه موجب للجنة وبغضه موجب للنار ، وفيه ينقسم الفريقان وبه يتفرقان كذا ورد عنهم (ع)[1] .

وإنما كان الفاروق الاكبر لانه به يفرق بين الحق والباطل وأهليهما « والعصا » عصا موسى (ع) التي صارت إليه من شعيب (ع) وإلى شعيب من آدم (ع) يعني هي عندي اقدر بها على ما قدر عليه موسى (ع) « والميسم » بالكسر المكواة[2] لما كان بحبه وبغضه (ع) يتميز المؤمن عن المنافق فكأنه كان يسم على جبين المنافق بكيّ النفاق .

« والحمولة » بالضم الاحمال يعني كلفني الله ربّي مثل ما كلّف محمّد (ص) من أعباء التبليغ والهداية ، « وهي حمولة الرّب » اي الاحمال التي وردت من الله سبحانه لتربية الناس وتكميلهم .

والدعوة[3] يشبه أن يكون كناية عن الأمر بالاقبال الذي مرّ بيانه في حديث العقل والجهل ، وهو السير إلى الله في سلسلة العود ، والكسوة[4] كناية عن تغشيهما بنور الجبار وغفران انيّتهما في الجليل الغفار ، واضمحلال وجودهما في الواحد القهّار كما ورد في الحديث النبوي (ص) (علي ممسوس في ذات الله) . شعر

زبس بستم خيال تو توكشتم پاى تا سرمن تو آمد رفته رفته رفت من آهسته آهسته

قال بعض العارفين إذا تجلى الله سبحانه بذاته لاحد يرى كل الذوات والصفات والافعال متلاشية في أشعة ذاته وصفاته وأفعاله يجد نفسه مع جميع المخلوقات كأنها مدبّرة لها وهي

---

(٢) روى الشيخ الصدوق باسناده المتصل عن المفضل بن عمر قال : قلت لابي عبد الله جعفر بن محمد الصادق (ع) : بما صار علي بن أبي طالب قسيم الجنة والنار ؟ قال (ع)لان حبه ايمان وبغضه كفر وانما خلقت الجنة لاهل الايمان وخلقت النار لاهل الكفر فهو عليه السلام قسيم الجنة والنار لهذه العلة ، والجنة لا يدخلها الا اهل محبته ، والنار لا يدخلها الا اهل بغضه (الخ) رواه المصنف في علم اليقين عن كتاب علل الشرايع ؛ قال ابن أبي الحديد :

والله لولا حيدر ما كانت الد نيا ولا جمع البرية مجمع
واليه في يوم المعاد حسابنا وهو الملاذ لنا غداً والمفزع

(٢) المكواة : حديدة يكوى بها : ميسم توسم به الغنم . المنجد .

(٣) في قوله « ع » في الرواية المذكورة (٤) وان رسول الله (ص) يدعى فيكسى وادعى فاكسى

أعضائها لا يلم[1] بواحد منها شيء الا ويراه ملما به ويرى ذاته الذات الواحدة وصفته صفتها وفعله فعلها لاستهلاكه بالكلية في عين التوحيد وليس للانسان وراء هذه الرّتبة مقام في التوحيد .

ولما انجذب بصيرة الرّوح إلى مشاهدة جمال الذات استتر نور العقل الفارق بين الأشياء في غلبة نور الذات القديمة ، وارتفع التميز بين القدم والحدوث لزهوق الباطل عند مجيء الحقّ . شعر

عشق بگرفت مرا از من وبنشست بجاى   سيئآتم ستدند وحسناتم دادند

وقد مضى كلام آخر في هذا المعنى في الرابعة من الرابعة ، ولعل هذا هو السر في صدور بعض الكلمات الغريبة من مولانا أمير المؤمنين (ع) في خطبة البيان وفي خطبته الموسومة بالطتنجيّة وغيرهما من نظايرهما .

كقوله (ع) : (أنا آدم الأول أنا نوح الأول أنا آية الجبار أنا حقيقة الأسرار أنا مورق الأشجار أنا مونع[2] الثمار أنا مجري الانهار « إلى أن قال » أنا ذلك النور الذي اقتبس موسى منه الهدى أنا صاحب الصّرر أنا مخرج من القبور أنا صاحب يوم النشور أنا صاحب نوح ومنجيه أنا صاحب أيوب المبتلى وشافيه أنا اقمت السموات بامر ربي) إلى آخر ما قال من امثال ذلك صلوات الله وسلامه عليه

حافظ

الا اي طوطى گوياي اسرار   مبادا خاليت شكّر ز منقار
سرت سبزودلت خوش بادوجا ويد   كه خوش نقشى نمودى از رخ يار
سخن سربسته گفتى با حريقان   خدا رازين معما نكته بردار
بروى مازن از ساغر گلابى   كه خواب آلودهٔ ايم اي بخت بيدار
خرد هر چند نقد كاينانست   چه سنجد پيش عشق كيميا كار
سكندر را نمى بخشند آبى   بزور وزر ميسر نيست اين كار
بيا وحال أهل دود بشنو   بلفظ اندك ومعنى بسيار

(١) لم لماً الشيء : جمعه وضمه .
(٢) اينع الثمر يونع وينع الثمر كمنع وضرب اذا أدرك ونضج وحان قطافه . م .

كلمة

فيها اشارة الى ان افضل الخلايق « الانبياء خ » نبينا (ص) ثم اوصياؤه الاثنى عشر سلام الله عليهم

قال (ص) : (أنا سيّد ولد آدم ولا فخر)[1]، وقال (ص) (آدم ومن دونه تحت لوائي)[2] لا واسطة بينه وبين الله عز وجل كما قال (ص) (أوّل ما خلق الله نوري أو روحي)[3] ، وقد خاطبه الله سبحانه بقوله : (لولاك لما خلقت الأفلاك)[4] .

عن الكاظم (ع) قال : (لن يبعث الله رسولا إلا بنبوة محمّد (ص) ووصية علي (ع))[5] وعن الباقر (ع) (إن في السماء لسبعين صفًا من الملائكة لو اجتمع أهل الأرض كلهم يحصون عدد كلّ صنف منهم ما أحصوهم ، وأنهم ليدينون بولايتنا)[6] .

وعن الصادق (ع) قال : (ما من نبي جاء قط إلا بمعرفة حقنا وبفضلنا على من سوانا)[7] وعنه (ع) (نحن شجرة النبوة وبيت الرحمة ومفاتيح الحكمة ومعدن العلم وموضع الرسالة ومختلف الملائكة وموضع سر الله ، ونحن وديعة الله في عباده ، ونحن حرم الله الأكبر ، ونحن دمة الله ، ونحن عهد الله ، فمن وفى بعهدنا فقد وفى بعهد الله ، ومنّ خفرها فقد خفر[8] ذمة الله)[9]، وفي رواية (بعبادتنا عبد الله ولولا نحن ما عبد الله)[10].

ودر اخبار بسيار وارد شده كه ايشان بعد از پيغمبر (ص) أفضل خلايق واكمل خلايقند خصوصاً أمير المؤمنين وسيّد الموحدين ومطلوب الكاملين ويعسوب[11] الواصلين ، خورشيد سپهر امامت وسلطان سرير كرامت ، واقف معارج لاهوت عارف مدارج ناسوت ، منبع عيون

---

(١) امالي الصدوق : ص١٥٧ (٢) العوالي : ج٤ ص١٢١ح١٩٨ (٣) العوالي : ج٤ص٩٩ح١٤٠

(٤) الامثال النبوية : ج١ص١٧٩ (٥) الكافي : ج١ص٤٣٧ح٦ (٦) الكافي : ج١ص٤٣٧ح٥ وبصائر الدرجات : ص٨٧ح١ (٧) الكافي : ج١ص٤٣٧ح٤

(٨) اخفرت الرجل وخفرته : اذا نقضت عهده وغدرت به والخفارة بالكسر والضم : الذمام والعهد ومنه الخبر : من صلى الغداة فانه في ذمة الله فلا يخفرن الله في ذمته ، أي فلا ينقضن عهده وذمامه . م .

(٩) الكافي : ج١ص٢٢١ح٣ (١٠) الكافي : ج١ص١٤٤ح٥

(١١) وفي حديث علي (ع) : كنت للمؤمنين يعسوباً اليعسوب : امير النحل وكبيرهم وسيدهم تضرب به الامثال ، لانه اذا خرج من كوره تبعه النحل بأجمعه والمعنى يلوذون بي كما تلوذ النحل بيعسوبها وهو مقدمها وسيدها . م .

مشاهده مجمع فنون مجاهده ، ومظهر انوار فتوت مصدر آثار مروت ، فاتحة كتاب ولايت خاتمهٔ مصحف وصايت ، مركز دائره سيادت قطب فلك سعادت ، شمع لكن فصاحت سرو جمن صباحت قاضى محكمه قضا وقدر صاحب راز سيد البشر آئينهٔ اسماء وصفات الهى لايق مرتبهٔ خلافت وباد شاهى ، منصوص بنص من كنت مولاه فعلي مولاه مخصوص بفصّ ما انتجبته ولكن الله اجتباه ، سلام الله عليه وعلى من انتسب في المعرفة إليه .

حافظ

تونى آن كوهر باكيزه كه در عالم قدس	ذكر خير تو بود حاصل تسبيح ملك

روى ابن المغازلي الشافعي (عن سليمان رضي الله عنه قال سمعت حبيبي المصطفى (ص) يقول : كنت أنا وعليّ نوراً بين يدي الله عز وجلّ ، مطيعاً يسبح الله ذلك النور ويقدسه قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام ، فلما خلق الله آدم ركب ذلك النور في صلبه فلم يزل في شيء واحد حتى افترقنا في صلب عبد المطلب فجزء أنا وجزء عليّ)(١)، ونحوه روى أحمد بن حنبل في مسنده ، وابن أبي ليلى في كتاب الفردوس .

عن ابن خالويه يرفعه إلى جابر بن عبد الله الأنصاري قال : (سمعت رسول الله (ص) يقول : إن الله عز وجل خلقني وخلق علياً وفاطمة والحسن والحسين من نور واحد ، فعصر ذلك النّور عصرة فخرج شيعتنا فسبحنا فسبحوا وقدسنا فقدّسوا وهللنا فهللوا ومجّدنا فمجّدوا ووحدنا فوحدوا ، ثم خلق الله السماوات والارض وخلق الملائكة مأة عام لا يعرف تسبيحاً ولا تقديساً فسبحنا فسبّح شيعتنا فسبحت الملائكة)(٢) ، وكذلك في البواقي .

(فنحن الموحّدين حيث لا موحد غيرنا وحقيق على الله عز وجل كما اختصنا وشيعتنا أن يزلفنا وشيعتنا في أعلى عليّين إن الله اصطفانا واصطفى شيعتنا من قبل أن نكون أجساما ، فدعانا فاجبناه فغفر لنا ولشيعتنا من قبل أن نستغفر الله عز وجلّ)(٣)ولي في هذا المعنى بلسانهم .

فيض

پيشتر ز افلاك شور عشق در سر داشتم	پيشتر ز املاك تسبيح تو از بر داشتم
پيش از آن كزمشرق هستى بر آيدمهرومه	بركمراز شمسهٔ مهر تو زيور داشتم
پيش از ناهيد در بزم تو مطرب بوده ام	پيش از اين بهرام بهر ديو خنجر داشتم
كي زكيوان بودوا زبر جيس واز بهرام نام	كز جوارت تخت واز قرب توافسر داشتم

(١) المناقب « للمغازلي » ص٨٧ح١٣٠ وعن كفاية الطالب : ص١٧٦

(٢) جامع الأخبار : ص١١

(٣) جامع الأخبار : ص١٢ .

پيشتر از سروتير وخامهٔ تدبير او حرف مهرش مينوشتم كلك ودفتر داشتم

بإسناده إلى أبي الحسن الرضا عن أبيه عن آبائه (ع) قال : (قال رسول الله (ص) أنا سيّد من خلق الله عز وجلّ ، وأنا خير من جبرئيل وميكائيل وإسرافيل وحمالة العرش وجميع ملائكة الله المقربين وأنبياء الله المرسلين ، وأنا صاحب الشفاعة والحوض الشريف وأنا وعليّ أبوا هذه الأمة ، من عرفنا فقد عرف الله ومن أنكرنا فقد أنكر الله ومن عليّ سبطا امّتي سيّدا شباب أهل الجنّة الحسن والحسين ، ومن ولد الحسين أئمة تسعة طاعتهم طاعتي ومعصيتهم معصيتي تاسعهم قائمهم ومهديهم)[١] .

وفي رواية اخرى (والفضل لك بعدي يا علي وللأئمة من بعدك ، وإنّ الملائكة لخدامنا وخدّام محبّينا ، ثم قال بعد كلام : إنّا الله خلق آدم واودعنا صلبه وأمر الملائكة بالسّجود له تعظيماً لنا واكراما وكان لله عزّ وجلّ عبودية ولآدم إكراما وطاعة لكوننا في صلبه ، فكيف لا نكون أفضل من الملائكة وقد سجدوا لآدم كلّهم أجمعون﴾[٢] .

حافظ

ملك در سجدهٔ آدم زمين بوس تونيت كرد كه در طور توجيزى يافت بيش از حدا نساني

وعنه (ص) أنه قال :(يا علي لولا نحن ما خلق الله آدم ولا الحوا ، ولا الجنّة ولا النّار ، ولا الارض ولا السماء)[٣] .

وعن الصّادق (ع) قال : (إنّ الله خلقنا من نور عظمته ثمّ صوّر خلقنا من طينة مخزونة مكنونة من تحت العرش ، فاسكن ذلك النّور فيه ، فكنّا نحن خلقا وبشراً نورانيّين لم يجعل لأحد في مثل الذي خلقنا منه نصيباً وخلق أرواح شيعتنا من طينتنا ، وأبدانهم من طينة مخزونة أسفل من تلك الطينة ولم يجعل الله لأحد في مثل الذي خلقهم نصيباً إلا الأنبياء والمرسلين ، ولذلك صرنا نحن وهم النّاس وساير النّاس همجاً للنار)[٤] .

والأخبار في كراماتهم (ع) من الاخبار بالضّماير والمغيبات والمعرفة بمنطق الطير وجميع اللغات ، وإبراء أصحاب الأمراض المزمنة دفعة ، واحياء الأموات وساير المعجزات وخوارق العادات تتجاوز عن حد الحصر والاحصاء ، وهي مذكورة في كتب العامة والخاصّة وتصانيفهما ، مثل مناقب ابن أبي طلحة ، ودلايل الحميري؛ وخرايج الراوندي وغيرها .

(١) اكمال الدين : ص٢٦١ح٧ (٢) اكمال الدين : ص٢٥٥ ذيل ح٤

(٣) اكمال الدين : ص٢٥٤ح٤ (٤) بصائر الدرجات : ص٤٠ح٣ .

وعن الصّادق (ع) قال : (اجعلوا لنا ربا نؤب اليه ثمّ قولوا في فضلنا ما شئتم)[1].

وعن أمير المؤمنين (ع) قال : (نزلونا عن الربوبيّة ثم قولوا في فضلنا ما شئتم ، فان البحر لا ينزف[2] وسرّ الغيب لا يعرف وكلمة الله لا توصف) وقال (ع) : (نحن أسرار الله المودعة في الهياكل البشرية) .

وروي (أنّه وجد بخط مولينا أبي محمّد العسكري (ع) ما صورته : قد صعدنا ذرى الحقايق بأقدام النّبوة والولاية ، ونورنا سابع طبقات أعلام الفتوى بالهداية فنحن ليوث الوغى وغيوث الندى وطعناء العدى ، وفينا السّيف والقلم في العاجل ، ولواء الحمد في الآجل وأسباطنا خلفاء الدين وخلفاء النبيّين ، ومصابيح الأمم ومفاتيح الكرم ، فالكليم البس حلة الاصطفاء لما عهدنا منه الوفاء وروح القدس في جنان الصّاغورة ذاق من حدائقنا الباكورة[2] ، وشيعتنا الفئة النّاجية والفرقة الزّاكية ، صاروا لنا ردءً وصوناً وعلى الظلمة البأ وعوناً ، وسينفجر لهم ينابيع الحيوان بعد لظى النيران ، لتمام الم وطه والطواسين)[3]، وهذا الكتاب ذرة من جبل الرّحمة وقطرة من بحر الحكمة وكتب الحسن بن علي (ع) في سنة أربع وخمسين ومأتين[4] .

فيض

بهشت ديده آمد روى ايشان دماغ آسوده دارد بوى ايشان
شود مشكين نسيم صبح گاهي گر آميزد بخاك كوى ايشان
چه خضرت كوسر آب حياة است بخوريك شربت آب از جوى ايشان
بگفتارى ازيشان خوش دلم من خوشا ايشان وگفت وگوى ايشان

كلمة

بها يتبين ان الحجة بماذا يعرف

أما للخواصّ فيعرف بالعلم والمعرفة بما يحتاج إليه الناس والجواب عن مسائلهم

---

(٥) بصائر الدرجات : ص ٥٢٧ ح ٨ .

(٦) نزفت ماء البئر اذا نزحته كله ومنه قول بعضهم : ان في رأسي كلاماً لاتنزفه الدلاء أي لا تفنيه .م .

(٢) الباكورة اول ما يدرك من الفاكهة . أول كل شيء المنجد .(٣) المحجة : ج ١ ص ١٩٨ .

(٤) هذه الرواية رواها المصنف (قده) في علم اليقين أيضاً . ورواها العلامة المجلسي اعلى الله درجته بتفاوت يسير في الجزء السابع من البحار في باب جوامع مناقبهم وفضائلهم عليهم السلام عن كتاب المحتضر للحسن بن سليمان الحلي تلميذ شيخنا الشهيد الاول « ره » وقوله : « وسينفجر لهم » في الرواية مذكور في البحار بعنوان النسخة والاصل فيه : وسيسفر لنا الخ .

على وفق مرادهم ، وبأقواله الحكيمة وأفعاله الكريمة ، وبأخلاقه الحميدة ومقاماته المشهودة وخصاله المحمودة ، وأما للعوام فبالبيّنة والمعجزة ومع ذلك فالنص عليه من الله لا بد منه ، وذلك لأن صفاته وكمالاته أمور خفية لا يطلع عليه سوى الله سبحانه أو من أوحى الله عليه .

قال قائمنا (ع) في قوله سبحانه : ﴿واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا﴾[1] في كلام طويل :(فلما وجدنا اختيار من اصطفاه الله للنبوة ، يعني موسى واقعا على الافسد دون الاصلح وهو يظن أنه الاصلح دون الافسد علمنا أن لا اختيار إلا لمن يعلم ما في الصدور وتكن الضّماير)[2] ، الحديث ، وعن السجاد (ع) (قال : الامام منا لا يكون إلا معصوماً)[3] .

وليست العصمة في ظاهر الخلقة فتعرف ولذلك لا يكون إلا منصوصاً ، وما زعمته طايفة من الاغبياء تقليداً لشياطين الانس أو خداعاً منهم أن خلافة النبي (ص) ثبت باجماع الناس بلا نص من الله على لسان رسوله ، فبطلانه في غاية الوضوح إذ من له أدنى مسكة من الحدس يعلم أن اتفاق العشرة والعشرين على أمر بلا بينة تلجئهم إلى ذلك او تقليد بعضهم بعضاً لا يتحقق بوجه من الوجوه فضلا عن العدد الكثير والجمّ الغفير أصحاب الأغراض الفاسدة والأهواء الكاسدة والسّلايق المختلفة والعقول المتباينة .

قال الله تعالى : ﴿كان النّاس امّة واحدة فبعث الله النبيّين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين النّاس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلاّ الذين اوتوه من بعدما جاءتهم البينات بغياً بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾[4] .

وأمّا اتفاق أهل الملل والعادات في المدد المتطاولة على مللهم وعاداتهم فليس عن بصيرة ومعرفة ، بل إنّما ذلك لامر مركوز في جبلتهم من تقليد الآباء والاسلاف والالف بما نشأوا عليه كما قالوا : ﴿إنا وجدنا آباءنا على امة وإنا على آثارهم مقتدون﴾[5] وكلّ أمر متجدّد فلا تخلو من تنازع فيه واختلاف كما ترى من أبناء الاعصار ﴿ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم﴾[6] .

وذلك لأن الاسماء الالهية متقابلة ، فمن هناك صدر الاختلاف اين الضار من النافع

---

(١) سورة الاعراف : الآية١٥٥ (٢) اكمال الدين : ج٢ ص٤٦٢ (٣) معاني الأخبار : ص ١٣٢ .
(٤) سورة البقرة : الآية ٢١٣ (٥) سورة الزخرف : الآية٢٣ (٦) سورة هود : الآية١١٩

والمعز من المذلّ والقابض من الباسط ، وكذلك الامزجة اين الحرارة من البرودة والرطوبة من اليبوسة والنور من الظلمة إلى غير ذلك ، ولذلك زاد الاختلاف في خليفة رسول الله حيث راموا[١] الاتفاق فنصبوه بالغلبة والقهر طلباً للرّياسات ونبذاً للعهود المحكمات ، وإلى الله المشتكى .

المقالة الثامنة

في فتن هذه الأمة بعد نبينا (ص) ، ﴿الم أحسب النّاس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ؛ ولقد فتنّا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمنّ الكاذبين﴾العنكبوت/١ ـ ٣ .

كلمة

فيها اشارة الى نفاق طائفة من الصحابة في زمان النبي (ص) وارتدادهم بعده

لا شكّ في أنّه كان في زمان النبي (ص) من أصحابه طائفة يبطنون الكفر ويظهرون الاسلام كما أخبر الله سبحانه عنهم ووصفهم بما يصفهم في غير موضع من القرآن .

قال الله عزّ وجلّ : ﴿وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا[٢] على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردّون إلى عذاب عظيم﴾[٣] وقال الله سبحانه : ﴿أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله اضغانهم[٤]﴾[٥] وقال جلّ وعلا : ﴿وإذا ما انزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض هل يريكم من أحد ثمّ انصرفوا صرف الله قلوبهم﴾[٦] وقال عزّ وجلّ : ﴿ومن النّاس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين ، يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلاّ أنفسهم﴾[٧] إلى آخر الآيات ، والقرآن مملوّ من ذكرهم .

وروى الحميدي في الجمع بين الصّحيحين في مسند حذيفة أنّه قال : قال النّبي (ص) : (في أصحابي اثنى عشر منافقاً : منهم ثمانية لا يدخلون الجنّة حتّى يلج الجمل[٨] في

---

(١) الروم : الطلب . ق .

(٢) أي عتوا واستمروا عليه من قولهم مرديمرد من باب قتل وسرق وكرم اذاعتى فهو ما رد م

(٣) سورة التوبة : الآية ١٠١ (٤) اي أحقادهم على المؤمنين ولا يبدي عوراتهم للنبي (ص) مجمع البيان

(٥) سورة محمد : الآية٢٩ (٦) سورة التوبة : الآية١٢٧ (٧) سورة البقرة : الآية٨ ـ ٩

(٨) أي حتى يدخل البعير في ثقب الابرة والمعنى لا يدخلون أبداً ، وسئل عن ابن مسعود عن الجمل فقال : هو

سم الخياط ، وأربعة لم أحفظ ما قال فيهم)[1] .

وممّا يدلّ على ذلك دلالة واضحة ما ثبت أن النّبي (ص) لما أخذ البيعة لأمير المؤمنين (ع) من النّاس يوم الغدير وأمرهم بالتسليم عليه بامرة المؤمنين فسلّموا عليه طوعاً وكرها وبخبخوا غيظاً وخنقا استولت عليهم نائرة الحسد والبغضاء ، وأبطنوا الانكار والاباء ، حتى قصد جماعة منهم قتل النبيّ (ص) واحتالوا لذلك حيلا فلم يظفروا به كما يشهد له قصة عقبة الهرشي والدباب ومن ارتقاها من الاصحاب ، وهي مشهورة وفي كتبهم مسطورة .

فعند ذلك تعاقدوا صرف الامر عن أهل بيته بعده وكتبوا لذلك كتاباً وتعاهدوا عليه وكانت بواطنهم مشحونة بعداوته وعداوة أهل بيته كما اشير إليه في آية الوصية بقوله عزّ وجلّ : ﴿والله يعصمك من النّاس﴾[2] وكان يبدو من أفواههم البغضاء احيانا وكان ما في صدورهم أكبر .

ثمّ لما مرض النبيّ (ص) وأمرهم بخروجهم مع جيش اسامة تخلفوا عنه طمعاً في الامارة وكانوا يخفون تخلفهم ويتعرفون الخبر من عايشة ، وكان النبي (ص) كلّما لا يقدر على الخروج إلى الصّلاة في مرضه أمر أمير المؤمنين (ع) أن يصلي بالناس فكان يصلي بهم فشغل به يوماً وقد نقل ورأسه في حجره ، فأتاه بلال يؤذنه بالصلاة فقال (ص) : يصليّ بالناس بعضهم فاني مشغول بنفسي ، فقالت عايشة : مروا أبا بكر يصلي بهم ، وقالت حفصة مروا عمر .

فلمّا سمع كلامهما وحرص كلّ واحدة منهما على تقديم أبيهما قال لهن : اكففن ، ثم اغمي عليه فقالت عايشة لبلال : إن رسول الله (ص) قد اغمي عليه ورأسه في حجر علي لا يقدر على مفارقته فمر أبا بكر يصلي بالنّاس فظنّ بلال أنه بأمر النبيّ (ص) فلمّا أفاق وسمع تكبير أبي بكر فقال : سندوني وأخرجوني إلى المسجد فقد نزلت والله في الاسلام فتنة ليست بهيّنة .

ثمّ نظر إلى عايشة وحفصة نظر المغضب وقال : انكن كصويحبات يوسف ، يعني في كذبهنّ على يوسف فخرج بين عليّ والفضل بن عبّاس ورجلاه تخطان الارض من الضّعف ،

= زوج الناقة كانه استجهل من سأله عن الحبل ، وهذا كما تقول العرب في التبعيد للشيء : لا افعل كذا حتى يشيب الغراب وحتى يبيض القار الخ وتعليق الحكم بمالا يتوهم وجوده ولا يتصور حصوله تأكيد له وتحقيق لليأس من وجوده مجمع البيان .

(١) صحيح مسلم : ج ٤ ص ٢١٤٣ ح ٩.

(٢) سورة المائدة : الآية ٦٧.

فنحى أبا بكر عن المحراب وصلى بالنّاس[1] جالساً ، ثمّ اكد في تنفيذ الجيش ولعن المتخلف .

فشهده عمر معتذراً ثمّ حال بينه وبين ما أراد من تأكيد الوصيّة بالكتاب كما رووا في صحاحهم أنّه (ص) قال : ائتوني بدوات وبياض اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعدي أبداً ، وفي رواية لازيل لكم مشكل الأمر واذكر لكم من المستحق لها بعدي ، فقال بعض من حضر ليأتي بالدوات والبياض فقال عمر : دعوا الرّجل فانّه ليهجر ، وفي رواية ليهذي ، حسبنا كتاب الله .

قال الراوي فتنازعوا عنده فقال قائل: القول ما قاله النبي (ص) فقرّبوا له كتاباً يكتب لكم، وقال قائل : القول ما قاله عمر يعني قوله : دعوه ، فلما كثر اللفظ والاختلاف قال النبي (ص) : قوموا عني لا ينبغي عند نبي تنازع ، وفي رواية عن عمر قال : كان يريد أن يصرّح باسمه فحلت بينه وبين ما أراد ، رواه عنه من هو منهم ، وهو ابن أبي الحديد ، وما هي من الظالمين ببعيد .

ثمّ لما مضى (ص) أعرضوا عن تجهيزه والفجيعة به واشتغلوا به بتهيئة أسباب الامارة لأنفسهم ، وتهييج ذوي الاحقاد على سيّد العباد ، الذين كانوا إنّما اسلموا خوفاً من سيفه وقتاله بعد أن قتل آباءهم وابناءهم في مواقف نزاله فحملوا عمود الخلافة ، ونبذوا العقود بعد تلك الحصافة ، وادّعوا التأمر على عباد الله ، وتسموا زوراً وبهتانا بخلفاء رسول الله ، بغير قدم راسخ في علم ولا سبق في فضيلة .

بلى قد شاب قرنهم في الشرك والآثام ، وابيض قودهم في عبادة الاصنام توسّلوا إلى ما ادعوا بالخدايع والحيل والممالات من ارباب الدّخل والدّغل من الذين مردت على النفاق غيوبهم وقالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ، ثم تنازعوا وتخالفوا وارتفعت أصواتهم ، وقال بعضهم لبعض منّا أمير ومنكم أمير ، وارعدوا وابرقوا وسلوا سيوفهم .

ثمّ بعد ذلك كلّه سمّوه إجماعاً وكان أمير المؤمنين (ع) مشغولا بتجهيز رسول الله (ص)

---

(١) قال ابن أبي جمهور الاحساوي في « المجلى » بعد اثبات ان تقديم أبي بكر للصلاة لم يكن بأمر النبي (ص) : ولو سلمنا ان ذلك كان بأمره فخروجه بعده وتنحيته له نص دال على نسخه وابطال حكمه ، ولعله فعل ذلك اظهاراً لمنقصه بين الناس وأنه لا يصلح لشيء من امور الدين ، فان من لم يصلح ان يكون اماماً للصلاة فبالاولى انه لا يصلح للولاية العامة خصوصاً وامامة الصلاة لا يشترط فيها الدالة على مذهبهم فكيف بغيرها مع اشتراطها بالعدالة عندهم ، فدلالة هذا التقديم على تقدير وقوعه على عدم جواز خلافته أظهر من دلالته على ثبوتها .

فما فرغ إلا من بعدما أحكموا الأمر لأنفسهم ، ثمّ أظهروا من نفوسهم ما كان كامنا فيها من عداوة ذوي القربى الذين كانت مودّتهم اجر الرسالة ، فلم يستطيعوا أن يخفوا العداوة في صدورهم فكانت تبدو منهم في أحيان ورودهم وصدورهم ، فأولى لهم ثمّ أولى لهم[1] .

حافظ

صوفي نهاد دام وسر حقّه باز كرد　　بنياد مكر با فلك حقّه باز كرد
بازي چرخ بشكندش بيضه در كلاه　　زيرا كه عرض شعبده با اهل راز كرد
فردا كه پيش گاه حقيقت شود پديد　　شرمنده ره روى كه عمل برمجاز كرد
ايدل بيا كه تابه پناه خدا رويم　　زانچه استين كوته ودست دراز كرد

بلى كانت الحكمة مقتضية لما وقع وإلا لم يقع ما وقع ، على أن الخليفة في الحقيقة ما كان في زمن خلافة الأعداء إلا من كانت الخلافة حقّه لترتب أكثر فوايدها على وجوده (ع) حتى أن الثلاثة كانوا يرجعون إليه في أكثر المسائل الدّينية التي كانوا يسألون عنها ، بل وفي كيفية تسخير البلاد وسياسة العباد وساير كليات الامور ، لجهلهم بها وعجزهم عنها فالمقصود الاصلي من الخلافة ما فات كما قال الله عزّ وجلّ : **﴿يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتمّ نوره ولو كره الكافرون﴾**[1] .

گلشن راز

دراين مشهد كه أنوار تجلى است　　سخن دارم ولى ناگفتن اوليست

كلمة
بها يتبين حقيقة أمر الخلافة

شكى دراين نيست كه نصّى وحجتي قاطع برخلافت اول نبود كما اعترف به الجمهور ، وإن تتعتع[2] بخلافه من أتى بالزور ، وبتحقيق پيوسته كه بسيارى از صحابه با او

(١) قال الطبرسي في مجمع البيان في تفسير قوله تعالى : أولى لك فأولى : وهذه تهديد من الله لابي جهل ، والمعنى وليك المكروه يا أبا جهل وقرب منك « الى ان قال » وقيل هو وعيد على وعيد عن قتادة ، ومعناه : وليك الشر في الدنيا وليك ، ثم وليك الشر في الاخرة وليك ، والتكرار للتأكيد . وقال المصنف (قد) في الصافي : وفي العيون عن الجواد (ع) أنه سئل عن هذه الآية فقال : يقول الله عز وجل : بعداً لك من خير الدنيا وبعداً لك من خير الاخرة .

(٢) سورة التوبة : الآية٣٢

(٣) في وصف علي (ع) ونطقت بالامر حين تعتعوا ، هو من التعتعة في الكلام التردد فيه من حصر أوعي . م .

بيعت نكرده اند بلكه اساطين واجلهٔ أصحاب در آن اجماع زور وحلقهٔ بيعت ذات الغرور حاضر نبوده .

كصاحب الحقّ وأهله وأولاده (ع) ، وكعمه العباس وأبنائه واسامة ابن زيد والزبير ومشاهير أصحابه الكبار كسلمان وأبي ذر ومقداد وعمار وحذيفة ابن اليمان وأبي بريدة الأسلمي وابيّ بن كعب وخزيمة بن ثابت ذي الشهادتين وأبي الهشيم بن التيهان وسهل بن حنيف واخيه عثمان وأبي أيوب الانصاري وجابر بن عبد الله الأنصاري وخالد بن سعيد وسعد بن عبادة وقيس بن سعد إلى غير ذلك .

وقد ذكر قتيبة في كتابه ثمانية عشر رجلا منهم قال : وكانوا رافضة واز بعضى بوعيد وتهديد بيعت كرفتند ولو بعد حين ، وبعضى بر اصرار بر انكار باقى ما نده اند إلى يوم الدين ، چنانكه در كتب ايشان مسطور است ونيز نزاع ميان ايشان بكشيدن شمشير وغوغاى منّا أمير ومنكم أمير انجاميد واكر برحق ميبودند واهل اتفاق وخالص ازحب رياست ونفاق تخاصم باين حد نميرسيد .

وبثبوت پيوسته عقلا ونقلا كه در تبليغ ما انزل اليه في نصب الوصي تقصيري نشده بود وأنهم قد سمعوا منه النصوص على الخصوص مرة بعد اولى وكرة بعد اخرى فلبسوا الامر على الجاهل وتسلطوا على العالم ودراين چه شبهه است كه آنحضرت كمال شفقت ورافت بامت مرحومهٔ خود داشتند با آنكه تعليم هيج أدبي را فرو نكذا شتند حتى آداب الخلا والخلوة مع النساء چه جاى امور عظيمة ومهمات جسيمة .

از حضرت امام جعفر الصادق (ع) نقل كرده (ما من شيء يحتاج إليه أحد من بني ادم إلا وقد جرت فيه من الله ومن رسوله سنّة عرفها من عرفها وأنكرها من أنكرها)[١] .

كدام عقل باور ميكندكه منصب خلافت كه بناى ثبات اركان دين وقاعدهٔ استوارى واستمرار مراسم ايمان بر آنست مهمل ومعطل كذاشته بتعيين امّت حواله نموده باشند با اين اختلاف آراء كه جبلي نوع إنسانست ، حاشا ثم حاشا .

با آنكه علماى معتبرهٔ أهل سنّت ورواة ثقات آن جماعت حديث نصّ غدير خم راد رنصب كردن أمير المؤمنين (ع) وبيعت كرفتن از ساير صحابة بجهت آنحضرت وبخبخهٔ ثانى[٢] اورا

---

(١) الكافي : ج٣ص٦٩ح٣ (٢) حيث قال : بخ بخ لك يا ابن أبي طالب اصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة .

بتفصيلي كه هركس شنيده نقل كرده اند واين نقـل از آن قوم عميـا دليليست هويـدا بر مقتضـاى عقل بينا .

وأيضـاً قـد روى ابن المغـازلي الشّـافعي في منـاقبه عن أبي ذر الغفـاري قـال : (قـال رسـول الله (ص) : من ناصب عليـاً في الخلافـة بعـدي فهـو كـافـر ، ومن شـك في علي فهـو كافر)[٣] .

ونيز آن حضرت مكرّر ميفر موده اند على ما روته العامة والخاصّة : (إنّي تارك فيكم ما ان تمسّكتم لن تضلوا بعـدي كتـاب الله وعتـرتي أهـل بيتي)[١] ، وفي لفظ آخـر (إنّي تـارك فيكم الثقلين إن تمسكتم بهما لن تـضـلـو)[٢] الحديث. وقال (ص) : (مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجى ومن تخلّف عنها غرق)[٣] . حافظ

حـافظ ازدست مـده صحبت آن كشتى نـوح ورنـه اين سيـل حـوادث بـبـرد بنيـادت

وأيضاً قد ثبت عندنا وعندهم أحقيّته بهذا الأمر ؛ لما تواتر عندنا ورووه في كتبهم من شدّة اجهاده وعظم بلائه في وقايع الرّسول (ص) وعـدم بلوغ أحد درجتـه في غزواتـه وشجاعتـه وقوة حدسه وذكائه وشـدة ملازمتـه للرّسول وتـربيته إيـاه مذ حين الصبـا إلى أن خلفه بعـده ، ورجوع الصّحابة في أكثر الوقايع إليه ، واستناد الفضلاء في جميع العلوم إليه .

وكونه (ع) أسخـاهم كفّا ، وأكملهم زهـداً ، وأجهدهم عبـادة ، وأعظمهم حلمـاً وأوفرهم علما ، وأحسنهْم خلقا ، وأطلقهم وجها ، وأقدمهم ايمانا ، وأفصحهم لسانا ، وأصدقهم قولا ، وأقلهم كـلاما ، وأصـوبهم منطقـاً وأشجعهم قلباً ، وأشـدهم يقينا ، وأحسنهم عمـلا ، وأكرمهم خصالا ؛ وأتمهم كمالا ، وأعـظمهم عناء وارفعهم درجـة ، وأشرفهم منـزلة ، وأحكمهم حكمـة وأسدّهم رأيا ، وأقضاهم قضاء ، وأشدهم حياء ، وأعـلاهم همة ، وشهـامة ، وأقـواهم عزمـا ، وجزما ، وأرفعهم نسبا ، وارومة ، وأكثرهم حرصـاً على إقامـة حدود الله وأحكـامه ، وأحفـظهم لكتاب الله ومواقع تنزيله ، وأعلمهم بتفسيره وتأويله .

ولما ثبت من اخباره بالغيب مراراً ، واستجابة دعائه كثيراً ، وظهور المعجزات عنه مرة بعد

---

(١) المناقب « للمغازلي » : ص٤٥ح٦٨ (٢) اكمال الدين : ص٢٣٦ح٥٣ والصواعق المحرقة : ص ٢٢٤ .
(٣) الاحتجاج : ج ١ ص ١٤٧ .
(٤) الاحتجاج : ج١ص١٤٧ والعوالي : ج٤ص٨٥ح٩٩وعيون اخبار الرضا : ص٢٦ ح ١٠

اولى كردّ الشمس ، واحياء النفس ، ومكالمة الثعبان وَالحيتان والسّلطنة على الأكوان لوما ظهر من اختصاصه بالقرابة والاخوّة ، ولما صح من وجوب محبته ونصرته ومساواته الأنبياء ومواساته للرّسول (ص) وخبر الطاير[1] والمنزلة[2] ، والغدير[3] وحديث الكساء في آيتي المباهلة والتطهير[4] واختصاصه بسورة هل أتى وكثير من الآيات التي لا تحصى .

ولو لم يكن سوى نزول : ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي﴾[5] ، حين نصب للامامة يوم الغدير لكفى ، واعطائه الراية في يوم خيبر بعد انهزام أبي بكر وعمر وثنائه إيّاه حينئذ بما انتشر مكنياً به عن عيوب الاخر[6] وقلعه بروحانيته الباب وابقاء بابه عند سدّ الأبواب ، ومبيته على الفراش ليلة الغار وارتقائه كتف النبي (ص) لالقائه الاصنام بما فيه من الاسرار ، وتشبيهه إيّاه بعيسى في بغض طائفة إيّاه واتخاذه اخرى الاله ، والمباهلة به وبزوجته وولديه وإظهار بركة فضل طهوره وتراب قدميه .

وأن نوره ونور النبي (ص) واحد ، وسلمهما واحد ، وحربهما واحد ، بل هما كنفس واحدة إلى ما لا يمكن احصاؤه ولو كان البحر مداداً والاشجار أقلاما والثقلان كاتبين والملائكة حاسبين كما ورد فيه عن سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعلى ساير الأنبياء والأوصياء اجمعين شعر :

كتاب فضل تورا آب بحر كافي نيست ... كه تر كنى سر انگشت وصفحه بشمارى

---

(١) وهو كما في شرح التجريد أن النبي (ص) قال : اللهم ائتني بأحب خلقك اليك يأكل معي من هذا الطير فجاء علي (ع) فأكل معه . وفي رواية اللهم ادخل الي أحب اهل الارض اليك .

(٢) وهو قوله (ص) : انت مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعدي .

(٣) وهو قوله (ص) : من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله وادر الحق معه كيفما دار

(٤) قال الشاعر .

هم العروة الوثقى لمعتصم بها ... مناقبهم جاءت بوحي وانزال

مناقب في الشورى وسورة هل اتي ... وفي سورة الاحزاب يعرفها التالي

« أقول » اشار بقوله وفي سورة الأحزاب الى آية التطهير قالت ام سلمة (رض) في بيتي نزلت . انما يريد الله ليذهب عنكم الآية . وفي البيت فاطمة وعلي والحسن والحسين (ع) فجللهم رسول الله (ص)بكساء كان عليه ثم قال : هؤلاء اهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً .

(٥) سورة المائدة : الآية٣

(٦) حيث قال (ص) بعد انهزام الاول والثاني : لاسلمن الراية غداً الى رجل يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله كرار غير فرار ودفع اليه الراية فقتل مرحباً واقتلع الباب وجعله جسراً على الخندق فعبروا وظفروا فليتامل.

ولعمري لو لم يقع عليه نصّ بالخلافة لكانت صفاته الظاهرة ، ومناقبه الباهرة نصوصاً صريحة وبراهين قاطعة ، فكيف وقد وقع ، قال الخليل بن أحمد : احتياج الكل إليه واستغنائه عن الكل دليل على أنّه إمام الكل ، وسئل عن مدحه فقال : ما أقول في مدح امرء كتمت أحبّاؤه فضائله خوفاً ، وأعداؤه حسداً ثم ظهر ما بين الكتمين ما ملأ الخافقين .

حافظ

بحسن خلق ووفا كس بيار ما نرسد تورا در اين سخن انگار كار ما نرسد
هزار نقد ببازار كاينات آرند يكى بسكهٔ صاحب عيار ما نرسد
هزار نقش برآيد ز كلك صنع يكى بدل پذيرى نقش نگار ما نرسد

وقد أخبر رسول الله (ص) عن ارتداد الصحابة بما رووه عنه في صحاحهم أنّه (ع) قال : (ليردن اناس من أصحابي على الحوض حتى إذا عرفتهم اختلجوا دوني فأقول أصحابي أصحابي ، وفي رواية اصيحابي اصيحابي[١] فيقال : انك لا تدري ما أحدثوا بعدك)[٢] : وزاد في اخرى (وارتدوا على أدبارهم القهقرى)[٣] .

وقد نبه الله سبحانه على ذلك بقوله عزّ وجلّ : ﴿تلك الرّسل فضلنا بعضهم على بعض ـ إلى قوله تعالى : ـ ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعدما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد﴾[٤] .

وكان هذا من ابتلاء الله تعالى أولياءه المخلصين وخواصّ عباده المؤمنين لينظر كيف يعملون ، وعلى البلاء كيف يصبرون ، وفي الحديث النبوي (ص) (إنّ البلاء موكل بالانبياء ثم الأولياء ثمّ الأمثل فالأمثل)[٥] حافظ .

من از چشم توای ساقي خراب افتاده ام ليكن بلائى كز حبيب آيد هزارش مرحبا گفتم

كلمة

فيها اشارة الى ارتداد أكثر هذه الأمة بعد نبيها والسبب في ذلك

لما اختار الله عزّ وجلّ للوصاية والخلافة والامارة من اختار وأخذت له البيعة في يوم الغدير ممن شهد من الأقطار ، غلب على أراذل العرب حب الرياسة والهواء واشتعل في قلوبهم

---

(١) صحيح البخاري : ج٨ص١٤٩ (٢) صحيح البخاري : ج٨ص١٤٩ (٣) صحيح البخاري : ج٨ص١٥٠
(٤) سورة البقرة : الآية ٢٥٣ (٥) احياء علوم الدين : ج٤ص٢٨

نائرة الحسد والبغضاء ، فعادوا إلى الخلاف الأوّل فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلاً فبئس ما يشترون ، فصاروا أصنافا .

صنفا من أهل التدليس والتلبيس من جنود ابليس ، وهم الذين شيدوا أركان هذه الضلالة .

وصنفاً من أهل العمى والتقليد قد شبّه لهم الأمر فدخلوا فيه على غير بصيرة تعصباً لمن تولى وكفر ، وتقليداً لشياطين البشر ، ممن كان في الجاهلية لا يفرق بين الله وبين الخشب والحجر ، فكيف بين عليّ وأبي بكر وعمر ، وكان معهم تلك العقول السقيمة ، فلا غرو عن أن يعدلوا عن الطريقة القويمة .

وصنفاً اتبعوهم خوفاً وتقية فارتد أكثر الناس بسبب ارتداد الصحابة عن الدين ، وخرجوا عن زمرة المسلمين كسنة الله في ساير امم النّبيين .

وذلك لانه لما استتم الأمر لأبي بكر صعد المنبر وقام خطيباً فقام إليه جماعة من المهاجرين والأنصار ، فأنكروا عليه أشدّ الانكار ، وذكروه حديث يوم الغدير (فقال : ايها الناس أقيلوني أقيلوني فلست بخيركم وعليّ فيكم ، فقام إليه عمر وقال : والله ما أقلناك ولا يلي هذا الأمر أحد غيرك)[1] .

فكان من جملة من أنكر عليه مالك بن نويرة حين دخل المدينة ورآه على المنبر فتعجّب من نبذهم حديث يوم الغدير مع تلك التأكيدات ، فخافوا أن يصيبهم من قبله فتق إذا كانت له قبيلة وكان من شجعان العرب يعد بمأة فارس ، فلما رحل إلى أهله بعث إليه خالد بن الوليد في جيش ليأخذ منه زكاة ماله ، فأخذ من خالد العهود والمواثيق على أن لا يتعرّض له بمكروه فيعطيه الزكاة ، فلما جنّ عليه الليل ونام مالك وأصحابه بيّت عليهم خالد وأصحابه ، فقتلوهم غدراً ودخل بامرأته في ليلته ، وطبخ رأسه في وليمة عرسه ، وسبى حريمه وسماهم اهل الردة افتراء وكذباً .

فلما رأى الناس أمثال ذلك منهم دخلوا تحت سلطنتهم الجايرة الجابرة كما كان النّاس يدخلون تحت سلطان الملوك الجبابرة ، وما بقي إلا شر ذمة قليلون وكانوا خائفين متقين .

عن الباقر (ع) (أنه قال : ارتد النّاس إلا ثلاثة نفر سلمان وأبو ذر والمقداد قال الراوي :

---

(١) نهج الحق وكشف الصدق : ص٢٦٤ (ذكر صدر الحديث) وشرح نهج البلاغة : ج١ص١٦٩

فقلت : فعمّار ، قال : كان جاض جيضة[1] ثم رجع)[2] ، وفي رواية اخرى (ثم أناب الناس بعد كان أول من أناب أبو ساسان الأنصاري وعمّار وأبو عمرة وشتيرة ، وكان سبعة فلم يعرف حق أمير المؤمنين (ع) إلا هؤلاء السبّعة)[3] .

وبإسناده عن أمير المؤمنين (ع) قال : (ضاقت الأرض بسبعة بهم ترزقون وبهم تنصرون وبهم تمطرون ، منهم سلمان الفارسي والمقداد وأبو ذر وعمار وحذيفة رحمهم الله قال : وأنا إمامهم)[4] .

ثم أخذوا في تغيير احكام الشرع واحداث البدع فيها ، فمنها ما غيّروه لجهلهم بها ، ومنها ما بدّلوه ليوافق أغراضهم ومنها ما أحدثوه لحبّهم احداث البدع ، وقد أشار أمير المؤمنين (ع) إلى بعض منكراتهم في دعاء صنمي قريش ، وكان أبو بكر يقول : (إن لي شيطانا يعتريني فان استقمت فأعينوني وإن عصيت فجنبوني)[5] ، وكان عمر يقول (كان بيعة أبي بكر فلتة وقى الله شرها ومن عاد إلى مثلها فاقتلوه)[6] .

جعل الخلافة بعده شورى بين ستة شهد لهم بأنهم من أهل الجنّة وأن النبي (ص) مات وهو عنهم راض ثم أمر بضرب أعناقهم جميعا إن لم يبايعوا واحداً منهم ، ثم بعد ذلك بدا بين أنفسهم العداوة والبغضاء على حطام الدنيا حتى آل الأمر إلى أن استحلّ بعضهم دماء بعض وقتل بعضهم على أيدي بعض كما كان أخبر به النبي (ص) (لا ألفينكم ترجعون بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض)[7] ، وكان ممن اتفقوا على اباحة دمه خليفتهم عثمان ، وكانوا له بين قاتل وخاذل ، وكانت من المولين على قتله عايشة ، ثم إنها خرجت على أمير المؤمنين (ع) مع طايفة ممن شرك في دم عثمان يطلبون بدمه .

وقد رووا أن رسول الله (ص) نص على عشرة من الصحابة بأنهم من أهل الجنة وذكرهم بأسمائهم وعدوا منهم العمرين والطلحتين وعثمان وعليا مع اعترافهم وعلمهم بأن عليا هو

---

(١) جاض جيضةَ اي مال وعدل ، وأصل الجيض الميل عن الشيء قال في النهاية : ويروى بالحاء والضاد المهملتين يعني جال جولة يطلب الفرار . م .

(٢) رجال الكشي : ص١١ح٢٤اول الحديث (٣) رجال الكشي : ص١١ح٢٤ذيل الحديث (٤) رجال الكشي : ص٦ ح١٣ .

(٥) تاريخ الخلفاء (للسيوطي) ص٧١والصواعق المحرقة ص ٢١ (٦) الاحتجاج :ج٢ص١٥٣و٢٣٥ والصواعق المحرقة : ص١٨ .

(٧) سنن ابن ماجة : ج٢ص١٣٠٠ ح٣٩٤٣

المقاتل للطلحتين في وقعة جمل فقتلا باغيين عليه ، وهم الذين رووا عن النبي (ص) أنه قال : (إذا التقا المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار ، قيل ما بال المقتول قال لأنه أراد قتل صاحبه)[1] .

ثم بعدما تقرر الأمر تشبّثوا في فضائل أئمتهم بما لا يدل اكثره على فضيلة مع روايتهم فيهم كل رذيلة ، وبما يلوح من فحاويه مخايل الاختلاق ، ويفوح من مطاويه رايحة الوضع والنفاق ، ثم بعد التتبع يظهر أن ما هو من أمثاله إنما وضع في زمن بني امية طمعاً في الانتفاع بجاه أحدهم وماله .

قال أمير المؤمنين (ع) في حديث له :(وقد كذب على رسول الله (ص) في عهده حتى قام خطيباً فقال : أيها النّاس قد كثرت عليّ الكذابة فمن كذب عليّ متعمداً فليتبوّء[2] مقعده من النار)[3] ثم كذب عليه بعده ، ثم قال بعد كلام (ثم بقوا بعده فتقربوا إلى أئمة الضّلال والدعاة إلى النار بالزور والكذب والبهتان ، فولوهم الأعمال فحملوهم على رقاب الناس وأكلوا بهم الدنيا وإنما الناس مع الملوك والدنيا إلا من عصم الله)[4] .

وقد روت طائفة من العامة أن معاوية كان يبذل الأموال لمن كان موثوقا به عند الصحابة ليضع حديثاً في فضل الخلفاء الثلاثة أو في منقصة أمير المؤمنين (ع) ثم يرويه عن النبي (ص) على المنبر بمشهد من الناس أو يروي ما ورد في فضل علي (ع) في فضلهم .

وقد روى ابن ابي الحديد الحنفي المعتزلي في شرحه لنهج البلاغة عن أبي جعفر الاسكافي (أن معاوية بذل لسمرة بن جندب مأة ألف درهم حتّى يروي أن هذه الآية نزلت في علي ﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحيوة الدنيا﴾[5] وأن الآية الثانية نزلت في ابن ملجم ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله﴾[6] فلم يقبل ، فبذل له مأتي ألف فلم يقبل ، فبذل له ثلاثماة ألف فلم يقبل ، فبذل له أربعمأة ألف فقبل)[7] .

عن سليم بن قيس (أن منادي معاوية نادى ان برأت الذمة ممن روى حديثا من مناقب

---

(١) سنن ابن ماجة : ج٢ص١٣١١ ح٣٩٦٤ واحياء علوم الدين : ج٤ص٣٣٣

(٢) بويت له مكاناً : سويته فتبوأ ؛ وباء فلان يبوء به أي ساواه ، قال : واوحينا الى موسى واخيه ان تبوآ لقومكما بمصر بيوتا الخ . المفردات .

(٣) نهج البلاغة : ص٣٢٥خطبة١١٠ (٤) نهج البلاغة : ص٣٢٦ذيل خطبة١١٠

(٥) سورة البقرة : الآية٢٠٤ (٦) سورة البقرة : الآية ٢٠٧ (٧) شرح نهج البلاغة : ج١ص٣٦١

علي وفضل أهل بيته ، وكان أشد الناس بلية أهل الكـوفة لكثـرة من بها من الشيعـة ، فاستعمـل زيـاد بن أبيه وضم إليـه العراقين الكـوفة والبصـرة فجعل يتتبـع الشيعة وهـو بهم عارف ، يقتلهم تحت كـل حجر ومـدر وأخافهم وقـطع الأيدي والأرجـل ، وصلبهـم في جذوع النخلة وسمـل[1] اعينهم وطردهم حتى نفوا عن العراق فلم يبق بها أحد معروف مشهور)[2]

ثم أخذ الناس في الـروايات في فضـل عثمان ومعـاوية زوراً على المنبـر في كل كـورة[3] ومسجد بأمـره ، والقوا ذلـك على معلّمي الكتاتيب فعلمـوا ذلك صبيـانهـم كما يعلمـونهم القرآن ونشأ عليه الصّبيان ، فاجتمعت على ذلك جماعتهم ، وصـارت في أيدي المتنسكين والمتـدينين منهم الـذين لا يستحلون الأفتعال لمثلهـا ، فقبلوها وهـم يـرون أنها حق ، ولـو علمـوا بـطلانهـا وتيقّنوا أنّها مفتعلة لأعرضوا عن روايتها ولم يدينوا بها ولم يبغضوا من خالفها ، فصـار الحق في ذلك الزمان عندهم باطلا والباطل حقّاً ، والكذب صدقا والصّدق كذبـا ، ولعمري أن أكثـر الامة ما اتبعوا رسـولهم ، ولا من الصحابـة خيارهـم ، ولا استعملوا عقـولهم ولا أفكارهم ، ولكن الله أصمّ آذان مقلّدة الجمهـور وأعمى أبصارهم ، ثم تـركهم حيـارى في ظلمـات ، هلك فيهـا من هلك ونجى من نجى .

إن يتبعـون إلا الظن ومـا تهوى الأنفس ، ولقـد جاءهـم من ربهم الهـدى ، ﴿الله وليّ الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات اولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾[4] .

روي أنه وجد بخط مولينا أبي محمّد الحسن العسكري (ع) ما صـورتـه (أعوذ بـالله من قـوم خذفـوا محكمات الكتـاب ، ونسـوا الله ربّ الأربـاب ، والنبي وسـاقي الكـوثـر في مـوقف الحساب ولظى والطامة الكبرى ونعيم دار الثواب ، فنحن السنام[5] الاعظم ، وفينا النبوة والولاية والكرم ، ونحن منار الهدى والعروة الوثقى والأنبياء كـانوا يقتبسـون من انوارنـا ويقتفون آثـارنا ،

---

(١) في الحديث قضى علي (ع) فيمن رأى المقتول أن تسمل عيناه أي تفقأ يقال : سملت عينه تسمل سملا من باب قتل اذا فقأتها بحديدة محماة . م .

(٢) الاحتجاج : ج٢ص١٧ (٣) الكورة البقعة التي تجتمع فيها المساكن والقرى جمع كور . المنجد .

(٤) سورة البقرة : الآية ٢٥٧ .

(٥) السنام حدبة في ظهر البعير يقال : فلان سنام قومه اي كبيـرهـم قالـه في المنجد وقـال في القامـوس : السنام كسحاب من الارض وسطها وجبل بين البصرة واليمامة الخ وقال في مجمع البحرين بعد كلام : ومنه ان اعش اكن معكم في السنام الا على ، أي في الدرجه الرفيعة العالية

وسيظهر حجة الله على الخلق والسّيف المسلول لاظهار الحق ، وهذا خط الحسن بن علي بن محمّد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ أمير المؤمنين (ع)(١) (٢) .

حافظ .

مژده ايدل كه مسيحا نفسي ميآيد | كه زانفاس خوشش بوى كسي ميآيد
از غم وهجر مكن ناله وفرياد كه من | زده ام فالي وفريادرسي ميآيد

كلمة

فيها اشارة الى علة ضلال جمهور الامة عن نور الأئمة

لما جرى في الصحابة ما جرى ، وخدع بهم عامة الورى وغلب على الأمر الأولون واستبهم الحق على الآخرين ، أعرض النّاس عن الثقلين وتاهوا في بيداء ضلالتهم عن النجدين إلا شرذمة من المؤمنين ، فمكثوا بذلك سنين ، وعمهوا في غمرتهم حتى حين .

ثم تسافل الأمر الى أن تقمّصها علوج بني امية . الشرابون للخمور المعلنون بالفجور والمستعلنون بلبس الحرير ولعب الطنابير ، قاتلوا ذرّية المصطفى المتدينون بسبب « بسب ظ » المرتضى .

ثم تلقّفها بنو العباس السالكون مسالك اولئك الأرجاس أخذوها بسيف الخراساني كما ملك من قبلهم بصولة فظاظة الثاني ، وكان العلم في هذه المدة المتطاولة مكتوما وأهله مظلوماً ، لا سبيل لهم إلى إبرازه إلا بتعميته والغازه(٣) .

ثم خلف من بعدهم خلف غير عارفين الولاية ولا ناصبين العداوة ولم يدروا ما صنعوا وعمن أخذوا ، فعمدوا إلى طايفة ممارين من أهل الهواء ، وقوم مرائين من الجهلاء ، زعموا أنهم من العلماء فكانوا يفتونهم بالآراء ، وذلك لأن جملة ما كان عندهم من حديث رسول الله (ص) في الحلال والحرام والفرايض والأحكام ليست الا أربعة آلاف على ما قالوه ، ولم يكفهم ذلك فاذا نزلت حادثة ولم يكن فيها رواية خاضوا في استنباط الحكم فيها بالرأي من اصول

---

(٢) هذه الرواية أوردها العلامة المجلسي رفع الله درجته في الجزء السابع من البحار في باب جوامع مناقبهم وفضائلهم عليهم السلام عن كتاب المحتضر للحسن بن سليمان بتبديل « الموقف » بالمواقف و « والسيف » ورواها المصنف « قد » أيضاً في علم اليقين . (٢) المحجة : ج ١ ص ١٩٩ عن تفسير الامام العسكري (ع) .

(٣) الغز في كلامه اذا عمي مراده ، والاسم اللغز كرطب ، والجمع ألغاز كارطاب . م .

وضعوها وقواعد أسسوها استناداً إلى رواية كانت من اختلاق ائمتهم وافتراء رؤسائهم وكانوا وضعوها لترويج أهوائهم .

وبالجملة غمضوا العينين ورفضوا الثقلين وأحدثوا في العقايد بدعا ، وتحزبوا فيها شيعاً واخترعوا في الاحكام أشياء حكموا فيها بالآراء ، وزادوا ونقصوا في التكاليف وصنفوا فيها تصانيف حتى كثر الاختلاف وخيف على بيضة الاسلام من شيوع القول بالجزاف .

فمنعتهم ملوكهم من الاجتهاد على السّعة ، وحصروا المجتهد في الأربعة واعتمد جمهورهم في الاصول على قول رجل يقال له أبو الحسن الأشعري ، وكان يقول بالجبر وبالصّفات الزائدة ، واثبات القدماء الثمانية إلى غير ذلك ، ثم لم يفد الناس بذلك ولم يمتنعوا من منع اولئك بل اتسعوا في أهوائهم وأكثروا من آرائهم قرنا بعد قرن حتى آل الأمر إلى ما آل ، وكان فيهم وبين اظهرهم الأئمة الحق الذين أقامهم الله مقام رسوله واحداً بعد واحد .

ومن فضل الله علينا ولطفه بنا وله الحمد أضعاف ما حمده الحامدون أن جعل لنا إماماً بعد إمام ظاهراً فينا ، وإن كان مستوراً من أعدائنا إلى أن انقضى من الهجرة النبوية مأتان وستون سنة ثم جعل الأخير بعد غيبته سفراء إلى قريب من تمام ثلاثمأة وثلاثين سنة .

وكان أصحابنا في هذه المدة المديدة يأخذون العلوم الدينية ظاهرها وباطنها من معدنها بقدر قابليتهم ورتبتهم ومنزلتهم على اطمينان من قلوبهم وانشراح من صدورهم ، فأغناهم الله بذلك عن تقليد من لا يجوز تقليده ، ونجاهم به من حيرة الحيران .

وبعد انقضاء هذه المدة كانوا يرجعون إلى الاصول المأخوذ عنهم المشتملة على أكثر ما يحتاج إليه الناس حتى شذ مسألة لا يكون فيها حكم جزئي أو كلي عنهم عليهم السلام وفق له من وفق ولله الحمد .

واقوى سببى از اسباب آنكه اكثر اين امت بمدعيان خلافت بغير حق كرويد ند وبجانب اجانب متغلّبه ميل نمودند ومودت حضرت امير المؤمنين وساير ذوي القربى را سلام الله عليهم فرو كذاشتندبا آنكه قدر ايشانرا شناخته وفضل ايشانرا دانسته بودند وبطلان رؤساى ضلال رابى برده ونص غدير وساير نصوص دل پذير كه از حد احصاء متجاوز است بخاطر سپرده .

آن بود كه با آن رؤسا از يكجنس بودند تابعان ومتبوعان در سليقه وجبلة موافق ودر أهواء واطوار مطابق خصوصاً محبت دنيا در نهاد اكثر مردم سر شته شده كم كسى يافت ميشود كه از

آن خالى باشد وتحصيل دنيا بجز متابعت آن قوم ميسر نبود .

سينه مقدس آنحضرت وساير عترت او سلام الله عليهم از هجوم علوم واسرار ودل مطهر ايشان از تجلى أنوار چنان روشن بود كه در دنيا نيز با أهل جنان صحبت ميداشتند چنانكه خود فرموده اند در شان نظر اى خود :

(صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحلّ الأعلى)[1] .

بي هوشان شراب محبت دنيا چون باچنان كسان انس توانند داشت يا بجانب ايشان رغبت توانند نمود ،(الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ايتلف وما تناكر منها اختلف)[2] . ، ابناى دنيا وابناى آخرت ضد يكديكرند همچنانكه دنيا وآخرت الجنس مع الجنس يميل .

مثنوي

ذرة كاندر همه ارض وسماست جنس خودر اهمچو كاه وكهرباست

سئل بعض أهل العلم كيف مال الناس إلى أبي بكر ولم يميلوا الى عليّ (ع) ؟ قال : بهر نوره نورهم وخالف جمهوره جمهورهم ، والناس إلى اشكالهم أميل ، والحق هو ما قاله صلوات الله عليه حيث قال : بهر[3] نورى نيرانهم وهذا كله من مقتضيات جمال الجلال وكمال الجمال واستدعاء الأسماء الجلالية بسط ظهورها وانبساط نورها

شعر

مشكل زحد گذشت درآن عقدهاي زلف اي پرتو جمال تو حلال مشكلات

كلمة

فيها اشارة الى ان ارذل المخلوقات صنما قريش عليهما لعائن الله

از انواع موجودات هر نوع كه شر يفتر است تفاوت ميان افراد آن نوع بيشتر است كما نبه عليه قوله (ص) : خيار الناس خيار العلماء وشرار الناس شرار العلماء پس انسان كه أشرف انواع است بايد كه تفاوت ميان افراد او بيشتر باشد از أنواع ديكر ، لهذا ورد في بعضهم : ﴿اولئك كالأنعام بل هم أضل﴾[4] ، ﴿ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا﴾[5] .

بلكه چنانچه اشرف موجودات ازابن نوع است بايد كه اخسّ موجودات نيز از اين نوع

---

(١) نهج البلاغة : ص٤٩٧حكمة ١٤٧ (٢) العلل : ج١ص٨٤ والبحار : ج٥٨ص١٣٥ح٩

(٣) البهر : الغلبة يقال : بهر القمر الكواكب كمنع اذا أضاء وغلب ضوؤه ضوءها . م .

(٤) سورة الأعراف : الآية ١٧٩ (٥) سورة النبا : الآية ٤٠

باشد ، چراكه هيچ موجودى در مظهريت أسماء مقابله الهيه أتم از انسان نيست پس هم چنانكه اتم مظاهر اسم هادى اشرف وأكمـل أفراد انسـانت أتم مظاهـر اسم مضل أخسّ وأرذل افـراد او تواند بود چراكه ضلال از توابع هداست وضال بالعرض هادى موجود وخساستش بقـدر شرف او پس هر خليفهٔ از خلفـاى حق كه بجهت هـدايت خلق مبعوث ميشـود از انبياء واوصيـاء شخصى بأزاء او ميباشد كه اضلال حق كند از فراعنه ودجاجله ، وهرچند آن هادى اشرف باشد اين مضل مقابل او أخسّ وأرذل باشد وهر چند حقيت وبطلان طرفين برعامه پوشيده تر وبيكـد يكر در نـظر ايشان شبيه تر باشد أذيت ولى الله از قبل عدو الله بيشتر باشد .

ولهذا پيغمبر مـا (ص) ازجاهـلان ومنكران ظـاهر آن مقـدار آزار نميكشيد كـه از منافقـان صحابه ميكشيـد وميفر مـود : (ما اوذي نبي مثـل ما اوذيت)[1]، وچـون آن حضرت وحضـرت أمير المؤمنين صلوات الله عليهما از ساير انبياء واوصياء ممتـازند بشـرف وكمال سعـادت تامّـة ، بايد كه مقابل ايشان نيز در ميان أعداى حقّ ممتاز باشد بخست ونقص وشقاوت .

واز اينجا توان دانست كه فرعـون وهامـان اين امت بدبخت تـرين مخلوقات وأخسّ وارذل مـوجوداتنـد ، وجاى ايشـان در اسفـل درك سجين است همچنـانكـه جـاى نبي ووصي در أعلى درجات علّيين است وهمچنانكـه آثار هـدايت ايشان در اين امت تـا قيام قيـامت باقيست ، آثـار اضلال آن دونيز تا قيامت باقى باشد ، ولهذا قال الصّادق (ع) (ما من محجمة دم اهريقت[2] إلا وفي أعناقهما إلى يوم القيامة)[3]

وعن امير المؤمنين (ع) قال :(إنّ لله بلدة خلف المغـرب يقال لهـا جابلقـا ، وفي جابلقـا سبعون ألف امّة ليس منها امة إلا مثل هذه الأمة فما عصوا الله طرفة عين ، فما يعملون من عمل ولا يقولون قولا إلا الدعاء على الأوّلين والبراءة منهما والولاية لأهل بيت رسول الله (ص))[4] .

وهمچنين علماء مضلين اين امّت كه نسب معنـوي بآن دو ميـرساننـد بازاى علمـاى هادين امتند كه نسب معنوي به نبي ووصي ميرسانند . مثنوى

رگ رگ است اين آب شيـريـن آب شـور ... در خـلايـق مـيـرود تـا نـفـخ صـور

(١) الجامع الصغير : ج٢ص٣٤٣ كمافي الامثال النبوية : ج٢ص١٣٦

(٢) المحجمة الالة التي يجمع فيها دم الحجامه عند المص . وهراق الماء يهريقه بفتح الهاء كدحرجه يـدحرجه هراقة أي صبه وأصله أراق يريق اراقه وأصل اراق أريق واصل يريق يريق ثم غير كذا في مجمع البحرين .

(٣) الكافي ج٨ص١٠٢ . (٤) بصائر الدرجات : ص٥١٠ح١

دراين چمن گــل بيـخــاركس نچيــد آرى   چــراغ مصــطفــوي را شــرار بــولهبيــست

المقالة التاسعة

في العلم والايمان ،﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات﴾المجادلة/١١ .

كلمة

في تقسيم العلم والعلماء وانه باى عالم يقتدى

العلم علمان علم يقصد لذاته وهو نور يـظهر في القلب فينشـرح فيشاهـد الغيب وينفسح فيتحمّـل البلاء ويحفظ السـر ، وعلامتـه التجافي عن دار الغـرور والانـابـة إلى دار الخلود وهـو الأفضل ، لأنه المقصد الأقصى .

وعلم يقصد للعمل ظاهراً أو باطنا ليتوسل إلى ذلك النور ، وهـو العلم بما يقـرب إلى الله تعالى وما يبعد عنه ، وعلامته الحلم والصّمت وتصديق الفعل القول وهو الأقدم لأنّه الشرط ومنه العلم بالأحكام الشرعية إذا اخذ من معدنه .

وأما مجادلة الكلام والتعمق في فتاوى تستنبط بالـرأي فليسا من العلم والفقـه في شيء بل هو مما يقسي القلب وهـو يبعد عن الله عـزّ وجلّ ، وإنّمـا رخّص في التكلم لضرورة دفـع شبهة المعاندين ، وقد ورد عن الرضا (ع) (أن اثمه أكبر من نفعه)[١] .

وربّمـا يسمى العلم المقصود بـه العمل بـالعلم الظاهـر وعلم الشريعـة ، والعلم المقصود لذاته بعلم الباطن وعلم الحقيقة ، والمجموع بالحكمة ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيراً كثيراً ، والعلم لا يكون علما حتى يكون يقينا ، ولليقين ثلاث مراتب : علم اليقين وهو تصور الامر على ما هو عليه ، وعين اليقين وهو شهوده كما هو ، وحق اليقين وهو الفناء في الحق والبقاء بـه علماً وشهوداً وحالاً .

وعلماء سه طايفه اند يكى آنانند كه علم ظاهر دانند وبس وايشان مانند چراغند كـه خودرا سوزند وديكران را فروزند ، واين طايفه كم است كهَ از محبت دنيا خالى بـاشند ، بلكـه دين را بدنيا فروشند ، چراكه ايشان نه دنيا را شناخته اند ونه آخرت رادانسته كه اين هردو نشأه را بعلم

---

(١) التوحيد : ص ٤٥٩ ح ٢٦ .

باطن توان شناخت نه ظاهر پس هرآینه این قوم راصلا حیّت رهبری خلایق نیست بلی عوام بدیشان مبتدی میشوند وبالعرض منتفع میکردند چنانچه حدیث (إنّ الله لیؤیّد هذا الدّین بأقوام لا خلاق لهم)[1] ، (وإنّ الله لیؤیّد هذا الدّین بالرجل الفاجر)[2] اشاره بدان نموده ، وکاه باشد درمیان ایشان کسی یافت شود که بپاکی طینت وصفای سریرة متصف باشد وبحقّ رهبری عوام تواند کرد وبدان مثاب ومأجور باشد .

دوم آنانندکه علم باطن دانندوبس وایشان مانند ستاره اند که روشنی آن ازحوالی خودش تجاوز نکند ، وازاین طایفه نیز رهبری نیاید ، چراکه بیش از کلیم خود از آب بیرون نتوانند کشید بجهت آنکه علم باطن بی ظاهر سعت واحاطت نتواند داشت وبکمال نتواند بود .

سیم آنانندکه هم علم باطن دانندوهم علم ظاهر ومثل ایشان مثل آفتابست که عالمیرا روشن تواند نمود ، وایشانند که سزاوار ورهبری خلایقند که یکی از ایشان شرق وغرب عالم را فرا تواند رسید .

لیکون جون در صدد رهبری وپیشوائی درآیند محل طعن أهل ظاهر میکردند واز ایشان اذیّتها میکشند ، جراکه دراین هنکام ایشان را نزد عامه ناچار جاهي وعزتي رومیدهد وعلمای دنیا که ابنای دنیا اند نمیتوا نند دید که دنیاکه معشوق ایشانست با دیکری باشد وسبب دیکر دراذیت ایشان تشبه طایفهٔ از جهّال است با ایشان در أقوال وافعل ودعاوی خالی از أحوال وکرویدن جمعی از عوام بدین متشبهان ضال . شعر :

عیب ما نیست ورنه میبینیم گوهری درمیان چندین خس

واصول علم حکمت رادر زمان پیشین از انفاس مبارك أنبياء مرسل علیهم السّلام زیر کلان هر عصر فراکر فته اند ، وازپرتو سخنان وحی نشان ایشان جهانیان را بدان رهنمائي نموده حافظ

هربوی که از مشك وقرنفل شنوی از دولت آن زلف چو سنبل شنوی

واین حکمت قدما که مورث انبیا ست غیر حکمت متعارفست که امر وزمیان متاخرین شایع است ، چراکه تحریفی چند یافته است بجهت سوی افهام ناقلان وإخلال بشرایط تحصیل آن ، وچون آفتاب حضرت خاتم انبیاء (ص) در غرب عرب تواری نموده بوداز مشرق قریش طالع شد وزمین وزمان را بأنوار هدایت آثار روشن کردانید ورياض حکمت قدیمه از انوار آن

(۱) احیاء علوم الدین : ج۳ص۲۹ (۲) احیاء علوم الدین : ج۳ص۲۹

حضرت وأهل بيت اوكه خاندان عصمت وطهارت واز جنس انس وزمرهٔ ملائكه مقرب الهى ممتازند خصوصاً حضرت أمير المؤمنين وسيد الموحّدين سلام الله عليه وعليهم اجمعين رونق وطراوتى ديكر پذيرفت .

ومزارع علم ومعرفت از تابش پرتو انوار الطاف آثار ايشان نشو ونمائى تازه يافت ، ازهر چمنش كلهاى كونا كون شكفانيدن كرفت وبرهر شاخسارى از درخت جمعيتش الوان بارها بار آورد .

شعر

هردم از اين باغ برى ميرسد تازه تر از تازه ترى ميرسد

وذلك لأنهم صلوات الله عليهم نطقوا بمخ الحكمة تصريحا وتلويحا ، وأتوا بلباب العلم ومكنونه رمزاً وكشفاً على حسب تفاوت درجات افهام المخاطبين ، إذ كان لهم قدرة النّزول في العلم والحكمة إلى العامي الضعيف الرأي بما يصلح لعقله من ذلك وإلى الكبير العقل الصّحيح النظر بما يصلح لعقله وانهم كانوا أعلم خلق الله بما غاب عنهم . حافظ

از رهگذر خاك سر كوى شما بود هر نافه كه در دست نسيم سحر افتاد

وجمعى از بزركان اين امت كه بر ذمّت همّت خويش التزام متابعت آنحضرت وأهل بيتش لازم داشته بودند بوسيلهٔ پيروى سنن كرامى آثارش ظاهر وباطن خويش را بمراقبت ومقاربت مزيّن ومحلى كردانيده ، ازفهم رموز واسرار ايشان محل بدايع حكمت كشتند واز نفس مبارك هريك غرايب علوم ظاهر شد .

حافظ

هركجا آن شاخ نركس بشكفد كلرخانش ديده نركس دان كنند

ليكن همه مردمان راقابليت فهم اين علم وتوفيق اين عبادت نيست ، وهمه كس شايستهٔ اين شرف وسعادت نه ، فان شامخ[1] المعرفة اشمخ من ان يطير إليه كلّ طاير ، وسرادق البصيرة أحجب من أن يحوم حوله كلّ ساير ، يضلّ بنه كثيراً ويهدي به كثيراً ولهذا اهلش ازنا اهل مصون ميدارد ، جون در مكنون در صدف سينهٔ مخزون حافظ .

نهفته معنى نازك بسى است در خط يار تو فهم اين نكنى اي اديب من دانم

(١) شمخ الجبل : علا وطال . والرجل بانفه : تكبر . و .

حضرت امام زين العابدين (ع) ميفرمايد : (اني لاكتم من علمي جواهره) إلى اخر ما قال : وقد سبق ذكره في الثانية من الاولى مع اخبار اخر في هذا المعنى .

وعن الصّادق (ع) (أمرنا سر مستور في سر مقنّع بالميثاق من هتكه أذله الله)[1] وقال (ع)[2] (هو الحقّ وحق الحقّ وهو الظاهر وباطن الظاهر وباطن الباطن وهو السر وسرّ المستتر وسرّ مقنّع بسرّ)[3] ، وقال (ع) (خالطوا النّاس مما يعرفون ودعوهم ممّا ينكرونه ولا تحملوا على أنفسكم وعلينا إن أمرنا صعب مستصعب لا يحتمله إلا ملك مقرّب أو نبي مرسل أو مؤمن امتحن الله قلبه للايمان)[4] .

وعن الباقر (ع) (إن حديث آل محمد صعب مستصعب ثقيل مقنّع أمرد ذكوان لا يحتمله إلا ملك مقرّب او نبيّ مرسل أو عبد امتحن الله قلبه للايمان أو مدينة حصينة)[5] .

ومعنى ذكوان ومعنى أمرد طريّ ، كذا ورد عنهم (ع)[6] ، وعن أمير المؤمنين (ع) (إن حديثنا صعب مستصعب خشن مخشوش فانبذوا إلى النّاس نبذا فمن عرف فزيدوه ومن انكر فامسكوا لا يحتمله الا ثلاث ملك مقرّب أو نبي مرسل أو مؤمن امتحن الله قلبه للايمان)[7]

حافظ

بمستوران مكو اسرار مستى حديث جان ميرس ازنقش ديوار

(وسأله كميل بن زياد عن الحقيقة فقال (ع) : مالك والحقيقة ؟ قال : أولست صاحب سرّك ؟ قال : بلى ولكن يرشح عليك ما يطفح[8] مني ثمّ اجابه عما سأل)[9] حافظ .

شرح مجموعه گل مرغ سحرداند وبس كه نه هركو ورقى خواند معانى دانست

---

(١) بصائر الدرجات : ج١ص٤٨ح٢و٣

(٢) ان أمرنا هو الحق « الى أن قال » وسر السروسر المستسر « الخ » كذا في المختصر .

(٣) بصائر الدرجات : ج١ص٤٩ح٤ (٤) بصائر الدرجات : ج١ص٤٦ ح٢ (٥) بصائر الدرجات : ج١ص٤١ح٣

(٦) روي الشيخ الجليل الحسن بن سليمان الحلي في كتاب مختصر بصائر الدرجات عن أبي عبد الله (ع) انه قال : حديثنا صعب مستصعب ذكوان أجرد مخنع ، قال : قلت : فسر لي جعلت فداك قال : ذكوان ذكي أبداً قال : قلت أجرد قال : طوى أبداً قلت : مقنع قال : مستور

« أقول » : هكذا في المختصر لكن الظاهر أن تكون طَوى مصحفة والصحيح طري بالراء اذ هو المناسب للمعنى اللغوي لان الاجرد الذي لا شعر له على بدنه ضد الاشعر والعلم عند الله

(٧) بصائر الدرجات : ج١ص٤١ح٥

(٨) طفح الاناء كمنع طفحاً وطفوحاً امتلاء وارتفع واناء طفحان يفيض من جوانبه . ق .

(٩) رجال النيسابوري كما في الروضات في ترجمة كميل وفي المحجة البيضاء ج١ص٦٤

وعن النبي (ص) (من وضع الحكمة في غير أهلها جهل ، ومن منع أهلها ظلم فاعط كل ذي حق حقّه)[1] . حافظ .

مصلحت نيست كه از پــرده بـرون افتــدراز ورنه در مجلس رندان خبرى نيست كه نيست

كلمة

فيها اشارة الى طريق تحصيل الحكمة وقلة أهلها وعداوة العامة لها بجهلها

إنما يحصل هذا العلم من الله سبحانه لمن تبتل إليـه تبتيلا ، واتخـذ بالـذّكر والفكـر إليه سبيلا ، على قدر صفائه وقبوله وقوته واستعداده ، فلا يحصل إلا بعد فراغ القلب وصفاء الباطن وتخليته عن الرذائل وتحليته بالفضائل ولا سيّما الزهد في الدّنيا ومتابعة الشرع وملازمة التقوى .

﴿واتقـوا الله ويعلمكم الله﴾[2] ، ﴿إن تتقوا الله يجعـل لكم فرقـانا﴾[3] ، ﴿ولـو أن أهـل القـرى آمنوا واتقـوا لفتحنا عليهم بـركات من السمـاء والارض﴾[4] ، ﴿ومن يتق الله يجعل لـه مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾[5] ، ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾[6] .

وفي الحديث النبوي (ص) (ليس العلم بكثرة التعلم إنما هـو نور يقـذفه الله في قلب من يريد أن يهديه)[7] وقال (ص) : (من أخلص لله أربعين صباحاً ظهرت ينـابيع الحكمـة من قلبه على لسـانه)[8] ، وقـال (ص) (العلم نور وضيـاء يقذفـه الله في قلوب أوليائـه ونـطق بـه على لسانهم)[9] ، وقال (ص) : (ما من عبد إلا ولقلبه عينان وهمـا غيب يدرك بهمـا الغيب فاذا اراد الله بعبد خيراً فتح عيني قلبه فيرى ما هو غايب عن بصره)[10] ، وقال (ص) : (إنّ النّور إذا دخل في القلب انشرح وانفسح ، قيل يا رسول الله هل لذلك من علامة ؟ قال : نعم التجافي عن دار الغرور ، والانابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله)[11] .

وفي كلام أمير المؤمنين (ع) (ان من أحب عباد الله إليه عبد أعانه الله على نفسه فاستشعر لحزن وتجلبب الخوف فظهر « فزهر خ » مصباح الهدى في قلبه « إلى أن قال » قد خلع سرابيل الشهـوات وتخلى من الهموم إلا همّـا واحدا انفـرد به ، فخـرج من صفة العمى ومشـاركة أهـل

---

(١) المحجة : ج ٥ ص ٤٥ .

(٢) عن الجامع الصغير كما في المحجة : ج ٥ ص ٤٦ . (٣) مجمع البيان : مجلد٣ ج٨ ص ١٩٠

(٤) المحجة : ج ١ ص ٩١ ورواه نبفس المعنى في البحار : ج ٢ ص ٦٦ (٥) سورة البقرة : الآية٢٨٢

(٦) سورة الانفال : الآية ٢٩ (٧) سورة الأعراف : الآية٩٦ . (٨) سورة الطلاق : الآية ٢ ـ ٣

(٩) سورة العنكبوت : الآية ٦٩ . (١٠) المحجة : ج١ ص٢٧٧ . (١١) الدر المنثور : ج٢ ص٢٣٧

الهوى وصار من مفاتيح أبواب الهدى ومغاليق أبواب الردى قد أبصرطريقه وسلك سبيله وعرف مناره وقطع غماره واستمسك من العرى بأوثقها ومن الحبال بأمتنها فهو من اليقين على مثل ضوء الشمس)[١].

وفي كلام آخر (قد أحيا عقله وأمات نفسه حتّى دق جليله ولطف غليظه وبرق له لا مع كثير البرق فأبان له الطريق وسلك به السبيل وتدافعته الأبواب إلى باب السّلامة ودار الاقامة ، وتثبت رجلاه لطمأنينة بدنه في قرار الأمن والراحة بما استعمل قلبه وأرضى ربه)[٢] .

وفي كلام آخر له (ع) (هجم بهم العلم على حقايق الامور ، وباشروا روح اليقين واستلانوا ما استوعره المترفون[٣] وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون وصحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى اولئك خلفاء الله في أرضه والدّعاة إلى دينه اه اه شوقاً إلى رؤيتهم)[٤] .

وقال (ع) : (ليس العلم في السّماء فينزل إليكم ولا في تخوم الأرض فيخرج لكم ، ولكن العلم مجبول في قلوبكم تأدبوا بآداب الرّوحانيين يظهر لكم) .

وصاحب هذا العلم بعد الأنبياء والاولياء ليس إلا المؤمن الممتحن وهو قليل جدّاً قال الصادق (ع) : (المؤمن أعزّ من الكبريت الأحمر)[٥] ، وقال الباقر (ع) : (النّاس كلهم بهائم إلا قليل من المؤمنين)[٦] .

مولوى

باكه گويم در همه ده زنده كو سوى آب زندكي پوينده كو
آنچه ميگويم بقدر فهم تست مردم اندر حسرت فهم درست

سالكان طريق اين علم غرق درياى يقينند هرچه شنوند وبينند حق شنوند وحق بينند آينهٔ دل ايشان زنك وبادهٔ توحيد شان رنك ندارد .

---

(١) نهج البلاغة : ص١١٨ خطبة٨٧ (٢) نهج البلاغة : ص٣٣٧خطبة ٢٢٠

(٣) قال (قد) في الوافي : أراد (ع) بما استوعره المترفون يعني المتنعمين رفض الشهوات البدنية وقطع التعلقات الدنيوية وملازمة الصمت والسهر والجوع والمراقبة والاحتراز عما لا يعني ونحو ذلك ، وانما يتيسر ذلك بالتجافي عن دار الغرور والترقي الى عالم النور والانس بالله والوحشة عما سواه وصيرورة الهموم جميعاً هماً واحداً » الخ »

(٤) نهج البلاغة :ص٤٩٧حكمة ١٧٤ (٥)الكافي : ج٢ص٢٤٢ح١ (٦) الكافي : ج٢ص٢٤٢ح٢

حافظ

غـلام هـمّت آنم كـه زيـر جـرخ كـبـود زهـرچـه رنـك تـعلق پـذيـرد آزاد است

همتشان عالی ودلشان از غير دوست خالی وچون أكثر منسوبـان بعلم واتباع ايشـان ابنای دنيا وپر ستاران جهل وهوا ميباشند خصوصا آنهائی كه پيشوائی عوام دردماغشان جاكـرفته بـا اين قوم كه اهل آخرت واصحاب معرفتند وبا اين علم كه وراى افهام پست وبر تراز ادراك محسـوس پـراست ايشا نست بجهـة ضدّ يت وتنـاكر جنسيت وتبـاين طـريق وتخـالف سعت وضيق دشمنی نموده طريقه اين قوم را منكـر ميشمار نـد واين علمرا بكفـر وزندقـه موسـوم ميكردانـنـد ، الناس أعداء لما جهلوا .

شعر

آنـكس كـه زشـهـر آشـنـائـيـسـت دانـد كـه مـتـاع مـا كـجـائـيـسـت

حافظ

سـاقـي بـيـار بـاده وبـا مـدعـی بـگـو انكـار مـا مكن كـه چنين جام جم نـداشت

كلمة

بها يجمع بين الاراء المختلفة في المسائل الدينية

قال الله سبحانه : **﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هنّ ام الكتاب واخر متشابهات فأمّا الذين في قلوبهم زيغ[1] فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم﴾**[2] .

وهـذا نهي صريـح عن تأويـل المتشـابـه لغيـر الـراسخين في العلم فيجب علينـا أن نؤمن بالمتشابه ونصدقه على مراد قائله حتى يصل إلينا تأويله ، وعن الرضا (ع) (من رد متشابه القرآن إلى محكمه هدي إلى صراط مستقيم ثم قال (ع) : وفي اخبارنا متشابه كمتشابه القـرآن ومحكماً كمحكم القرآن فردوا متشابهها إلى محكمها ولا تتبعوا متشابهها دون محكمها فتضلوا)[3] .

وعن الصادق (ع) (إنما الامور ثلاثة : أمر بيّن رشده فيتبع ، وأمر بيّن غيّه فيجتنب ، وأمـر

(١) الزيغ : الميل عن الاستقامة كذا في المفردات وقال في مجمع البحرين : الزيغ : الميل عن الحق « الى أن قال » والزيغ الشك والحول والعدول عن الحق

(٢) سورة آل عمران : الآية٧ (٣) عيون اخبار الرضا :ج٢ص٢٢٦ح٣٩

مشكل يرد علمه إلى الله ورسوله ، قال رسول الله (ص) : حلال بيّن ، وحرام بيّن ، وشبهات بين ذلك فمن ترك الشبهات نجى من المحرمات ومن أخذ بالشبهات ارتكب المحرمات وهلك من حيث لا يعلم)[١] ، وفي رواية اخرى (ومن حام حول الحمى أوشك ان يقع فيه[٢])[٣] .

وهذا الحديث النبوي (ص) رواه الصادق (ع) مع استفاضته بين أهل الاسلام ومطابقته للقرآن وموافقته للوجدان نصّ في تثليث الأحكام وبه يكاد يرتفع الخلاف بين الفقهاء ويحصل الخلاص عما نهينا عنه من القول بالرأي والاجتهاد وما لا يجوز عليه الاعتماد لا بها مناما أبهم الله وسكوتنا عمّا عنه سكت الله ، وكما أن تارك الشبهات ليس كالهالك من حيث لا يعلم فكذلك الهالك من حيث لا يعلم ليس كالهالك من حيث يعلم .

فالنّاس ثلاث فرق مترتّبين ولما كان ذلك كذلك وارتفع الحاجة إلى القطع في جميع الاحكام فصحّ القول بلا ادري الذي هو نصف العلم صحّ النهي عن التدين بما لا يعلم بالبرهان وعن القول بالرأي من غير استيقان كما ورد في اخبار كثيرة سواء تعلق بالاعتقاد او العمل لأن التشابه في المتشابه محكم ما لم يصل إلينا تأويله من أهله وكذا الشبّهة في المشتبه ، فالجاهل بما لا سبيل له إلى القطع فيه معذور وباعترافه بالجهل مأمور ليس له أن يجتهد رأيه ويعمل به ولا أن يقلده في غيره ويثق به بل يحتاط فيما لم يرد فيه نصّ يعتمد عليه ويتخير فيما اختلفت الرّواية فيه كما ورد عنهم (ع) فكل ما نضطرّ إلى العلم به فلنا طريق إلى العلم به ، كلّ ما لا طريق لنا إلى العلم به فلا نضطرّ إلى العلم به ولله الحمد على ذلك .

وقال امير المؤمنين (ع) : (ان الله حدّ حدوداً فلا تعتدوها وفرض فرايضَ فلا تنقصوها وسكت عن أشياء لم يسكت عنها نسيانا لها فلا تتكلفوها رحمة من الله لكم فاقبلوها)[٤] وقال (ع) : في ذم اختلاف العلماء في الفتيا : ترد على أحدهم القضية في حكم من الأحكام فيحكم فيها برايه ثم ترد تلك القضية بعينها على غيره فيحكم فيها بخلاف قوله ، ثم يجتمع القضاة بذلك عند امامهم الذي استقضاهم فيصوب آراءهم جميعاً والههم واحد وكتابهم واحد ونبيّهم واحد .

أفأمرهم الله سبحانه بالاختلاف فأطاعوه ؟ أم نهاهم عنه فعصوه ؟ أم أنزل الله سبحانه ديناً

---

(١) الكافي : ج١ص٦٧ح١٠ (٢) أي من قارب المعاصي ودنا منها قرب وقوعه فيها . م .
(٣) احياء علوم الدين : ج٣ص٣١
(٤) نهج البلاغة : ص٤٨٧ حكمة١٠٥ (باختلاف بسيط)

ناقصاً فاستعان بهم على إتمامه ؟ أم كانوا شركاء له فلهم أن يقولوا وعليه أن يرضى أم أنزل الله ديناً تامّاً فقصّر الرّسول عن تبليغه وأدائه والله سبحانه يقول. ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾[1] ، ﴿وفيه تبياناً لكل شيء﴾[2] وذكر أن الكتاب يصدّق بعضه بعضاً وأنه لا اختلاف فيه فقال سبحانه : ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾[3] وأن القرآن ظاهره انيق[4] وباطنه عميق[5] لا تفنى عجايبه ولا تنقضي غرايبه ولا تنكشف الظلمات إلاّ به)[6] .

وقال (ع) :(اعلموا عباد الله أن المؤمن يستحلّ العام ما استحلّ عاما أوّل ويحرّم العام ما حرّم عاما اوّل وان ما احدث النّاس لا يحلّ لكم شيئاً ممّا حُرِّم عليكم ، ولكن الحلال ما أحلّ الله والحرام ما حرم الله)[7] .

وقال (ع) (يا معشر شيعتنا والمنتحلين ولايتنا إيّاكم وأصحاب الرأي فانهم أعداء السّنن تفلتت منهم الأحاديث ان يحفظوها ، واعيتهم[8] السنة ان يعوها[9] ، فاتخذوا عباد الله حولا وماله دولا فذلت لهم الرقاب واطاعهم الخلق أشباه الكلاب ونازعوا الحق وأهله وتمثلوا بالأئمة الصّادقين وهم من الجهال الملاعين ، فسئلوا عمّا لا يعلمون ، فانفوا أن يعترفوا بأنّهم لا يعلمون ، فعارضوا الدين بآرائهم فضلوا وأضلوا اما لو كان الدين بالقياس لكان باطن الرّجلين أولى بالمسح من ظاهرهما)[10].

وعن الباقر (ع) (من افتى الناس برأيه فقد دان الله بما لا يعلم ، ومن دان الله بما لا يعلم فقد ضاد الله حيث أحد وحرّم فيما لا يعلم)[11].

وعن الصّادق (ع) (أنّه سئل ما حق الله على خلقه ؟ فقال : أن يقولوا ما يعلمون ويكفّوا

---

(١) سورة الانعام : الآية٣٨ (٢) سورة النحل : الآية٨٩ (٣) سورة النساء : الآية٨٢

(٤) اي حسن معجب بأنواع البيان وأصنافه ، وغرابة الاسلوب وحسنه ؛ وايتلاف النظم وانساقه .

(٥) شرح الخوئي لاشتماله على أنواع الحكم من أمر بحسن ونهي عن قبيح وخبر عن مخبر صدق ودعاء الى مكارم الاخلاق وحث على الخير والزهد واشتماله على تبيان كل شيء وعلى ما كان وما يكون وما هو كاين .

(٦) نهج البلاغة : ص٦٠ خطبة١٨ (٧) نهج البلاغة : ص٢٥٤ خطبة١٧٦

(٨) قوله تعالى أفعيينا بالخلق الاول اي أفأعجز بالخلق الاول حين أنشأناكم يقال : عيا من باب تعب عجز عنه ولم يهتد لوجه مراده وفي حديث الأئمة (ع) فان اعيانا شيء تلقانا به روح القدس وفي المفردات الاعياء عجز يلحق البدن من المشي ، والعي عجز يلحق من تولى الامر والكلام .

(٩) الوعي حفظ الحديث ونحوه قال تعالى : وتعيها اذن واعية وفي الحديث عن النبي (ص) هي اذنك يا علي

(١٠) البحار : ج ٢ ص ٨٤. (١١) الكافي : ج١ص٥٧ح١٧

عمّا لايعلمون)[1] وعنه(ع)(أنه قيل له تـرد علينا أشيـاء لا نعرفهـا في كتاب ولا سنـة فننظر فيهـا ؟ قال : لا أما أنك لو أصبت لم توجر ، وإن أخطأت كذبت على الله)[2] .

والاخبار في هذا المعنى عنهم (ع) أكثـر من أن تحصى فما اشتهـر بين أهل الاجتهـاد ان من اجتهد فاصاب فله أجران ومن اجتهد فاخطأ فله أجر واحـد ، فهو خبـر عامي لا يفيـد ظنّا ، وإن صح فهو محمول على الاجتهاد في متعلقات الأحكام مثل الاجتهاد في القبلة ودخول الوقت وفقر آخذ الزكاة إلى غير ذلك إذا لم يتيسّر العلم به دون نفس الحكم الشرعي ، فان ذلك تشريع لا يصحّ إلا بالوحي قال الله تـعـالـى :﴿فسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمـون﴾[3] وأهل الـذكر هم الأئمة المعصومون من أهل بيت النبوة والوحي المنصوبون لنجاة الخلق .

وقال الصّادق (ع) :(أمـا أنه شـر عليكم ان تقولـوا بشيء ما لم تسمعـوه منـا)[4]، وقـال (ع) :(اذا أردت العلم الصحيـح فخذ عن أهـل البيت فانـا رويناه واوتينـا شرح الحكمـة وفصل الخطاب ان الله اصطفانا واتانا ما لم يؤت أحداً من العالمين)[5] ، وقـال (ع) (احتفظوا بكتبكـم فـانكم سوف تحتـاجـون اليهـا)[6]، وقـال (ع) : لمفضـل بن عمـر : (اكتب وبثّ علمـك في اخـوانك فـان مت فاورث كتبـك بنيك فـانه يـأتي على النـاس زمـان حـرج لا يأنسون فيـه إلا بكتبهم)[7] .

شعر

ان آثـارنـا تـدلّ عـلينـا فـانـظروا بـعـدنـا إلـى الآثـار

كلمة

في معنى المحكم والمتشابه والتاويل

المحكم ما اتفق عليه الافهام ، والمتشابه ما اختلف فيه ، وقد يكـون المتشابـه عند قـوم محكما عند آخـرين ولهذا قـال الصادق (ع) :(المتشـابـه مـا اشتبه على جـاهله والتأويـل تعميم المعنى المتبـادر من اللفظ بحيث يشمل معـاني اخر تشتـرك معه في المفهـوم فيحمـل على غيـر المتبادر من تلك المعاني وبـه يرتفـع التناقض فيمـا خص من الالفاظ تـارة بهذا المعنى واخـرى بذلك)[8] .

وتحقيق القول في التأويل يقتضي الاتيان بكلام مبسوط من جنس اللباب ، وفتح بـاب من

---

(١) الكافي : ج١ص٥٠ح١٢ (٢) الكافي : ج١ص٥٦ح١١(٣) سورة النحل : الآية٤٣ (٤) الكافي : ج٢ ص٤٠٢ ذيل ح١ .(٥) المحجة : ج١ ص٢٠١ راجع البصائر الباب الثامن عشر من الجزء العاشر . (٦) الكافي : ج١ص٥٢ ح١٠ (٧) الكافي : ج١ص٥٢ح١١ (٨) انظر الوسائل : ج١٨ص١٤٨ نقله عن رسالة المحكم والمتشابه .

العلم ينفتح منه لأهله ألف باب فنقول وبالله التوفيق .

إن لكـل معنى من المعاني حقيقـة وروحا ولـه صورة وقـالب وقد يتعـدّد الصّور والقـوالب لحقيقة واحدة ، وانما وضعت الالفاظ للحقايق والأرواح ولوجودهما في القوالب يستعمل الألفاظ فيها على الحقيقة لاتحاد ما بينهما .

مثـلا لفظ القلم إنما وضـع لآلة نقش الصّـور في الألواح من دون ان يعتبـر فيها كـونها من قصب أو حديد أو غير ذلك ، بل ولا أن يكون جسمـاً ، ولا كون النقش محسـوسا أو معقـولا ، ولا كون اللوح من قرطاس أو خشب ، بل مجـرد كونـه منقوشـا فيه ، وهـذا حقيقة اللوح وحـده وروحه فان كان في الوجود شيء يتسطر بواسطته نقش العلوم في ألواح القلوب فاخلق « كذا » به أن يكون هو القلم فان الله علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم بل هو القلم الحقيقي حيث وجد فيه روح القلم وحقيقته وحدّه من دون ان يكون معه ما هو خارج عنه .

وكذلك الميزان مثلا فانه موضوع لمعيار يعرف بها المقاديـر وهذا معنى واحـد هو حقيقتـه وروحه وله قوالب مختلفة وصور شتى بعضها جسمـاني وبعضها روحـاني كما يـوزن به الأجـرام والأثقال ، مثل ذي الكفتين والقبان وما يجري مجراهمـا ، وما يـوزن به المـواقيت والارتفاعـات كالاسطر لاب ، وما يوزن به الدواير والقسّي كالفرجار وما يوزن به الأعمدة كالشّاقول ، وما يوزن به الخطوط كالمسطر ، وما يوزن بـه الشعر كـالعروض ، ومـا يوزن بـه الفلسفة كـالمنطق ، ومـا يـوزن به بعض المـدركات كـالحس والخيال ، ومـا يوزن بـه العلوم والأعمال كمـا يوضـع ليـوم القيامة ، وما يوزن به الكل كالعقل الكامل إلى غير ذلك من الموازين .

وبالجملة ميزان كل شيء يكون من جنسه ولفظة الميزان حقيقة في كـل منها بـاعتبار حـدّه وحقيقته الموجودة فيه ، وعلى هذا القياس كلّ لفظ ومعنى وأنت إذا اهتديت إلى الأرواح صـرت روحانيا وفتحت لك أبواب الملكوت وأهلت لمرافقة الملأ الأعلى وحسن اولئك رفيقا .

فمـا من شيء في عـالم الحس والشهـادة إلا وهـو مثـال وصـورة لأمـر روحـاني في عـالم الملكـوت هو روحـه المجرد وحقيقتـه الصرفـة وعقول جمهـور الناس في الحقيقـة أمثلة لعقـول الأنبيـاء والأولياء فليس لـلأنبياء والأوليـاء أن يتكلمـوا معهم إلا بضـرب الأمثـال لانهم امـروا أن يكلموا الناس على قدر عقولهم وقـدر عقولهم أنهم في النـوم بالنسبـة إلى تلك النّشأة والنـايم لا ينكشف له شيء في الأغلب إلا بمثل .

ولهذا من كان يعلم الحكمة غير أهلها رأى في المنام أنّه يعلق الدّر في أعناق الخنازيـر ،

ومن كان يؤذن في شهر رمضان قبل الفجر رأى أنه يختم على أفـواه الناس وفـروجهم وعلى هذا القياس .

وذلك لعلامة خفية بين النشآت، فالناس نيام فاذا ماتـوا انتبهوا وعلمـوا حقايق مـا سمعوه بـالمثال وعـرفوا أرواح ذلـك وعقلوا أن تلك الأمثلة كانت قشـوراً قال الله سبحـانـه :﴿انـزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السَّيل زبداً رابيا[١]﴾[٢] .

فمثل العلم بالماء والقلوب بالأودية والضّلال بالزّبد ثم نبّه في آخرها فقال ﴿كذلك يضرب الله الامثال﴾[٣] ، فكل مـا لا يحتمل فهمـك فان القـرآن يلقيه اليـك على الوجـه الذي كنت في النوم مطالعا بروحك للّوح المحفوظ ليمثل لك بمثال مناسب ، وذلك يحتاج إلى التعبير .

فالتأويل يجري مجرى التعبير ، فالمفسّر يدور على القشر ، ولما كان الناس انما يكلمـون على قدر عقولهم ومقاماتهم فما يخاطب به الكل يجب أن يكون للكل فيه نصيب ، فالقشرية من الـظاهر بين لا يـدركون إلا المعـاني القشريـة كما أن القشـر من الانسان وهـو ما في الاهـاب[٤] والبشرة من البدن لا ينال إلا قشر تلك المعاني وهو ما في الجلد والغلاف من السواد والصّور .

وأما روحها وسرّها وحقيقتها فلا يدركها إلا اولو الألباب ، وهم الـراسخون في العلم وإلى ذلـك أشار النبي (ص) في دعـائـه لبعض أصحـابـه حيث قـال (اللّهم فقهـه في الـدين وعلمـه التـأويل)[٥] ولكـلّ منهم حظ قلّ ام كثـر ، وذوق نقص أو كمل ، ولهم درجـات في الترقي إلى اطوارها وأغوارها وأسرارها وأنوارها .

وأمـا البلوغ للاستيفـاء والوصـول إلى الأقصى فلا مـطمع لأحـد فيه ولـو كان البحـر مداداً

---

(١) الوادي سفح الجبل العظيم المنخفض الذي يجتمع فيه مـاء المطر ، والقدر اقتران الشيء بغيره من غير زيادة ولا نقصان والوزن يزيد وينقص فاذا كان مساوياً فهو القدر ؛ والاحتمال رفع الشيء على الظهر بقوة الحامل له ويقال علا صوته على فلان فاحتمله ولم يعصِه ، والزبد قذر الغليان وهو خبث الغليان ومنه زبـد القدر وزبـد السيل ، ورابياً أي طافياً عالياً فوق الماء .

شبه سبحانه الحق والاسلام بالماء الصافي النافع للخلق ، والباطل بالزبد الذاهب باطلا وقيل : انه مثل للقرآن النازل من السماء ثم تحتمل القلوب حظها من اليقين والشك على قدرها فالماء مثل اليقين والزبد مثل الشك كذا في مجمع البيان (٢) سورة الرعد : الآية١٧ (٣) سورة الرعد : الآية١٧

(٤) الاهاب ككتاب : الجلد ويقال ما لم يدبغ وربما استعير لجلد الانسان . م .

(٥) احياء علوم الدين : ج١ص٣٨

لشرحه والاشجار أقلاما ﴿قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربّي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً﴾[١] .

ومما ذكر يظهر سبب اختلاف ظواهر الآيات والاخبار الواردة في اصول الدين وذلك لأنه ممّا خوطب به طوايف شتى وعقول مختلفة ، فيجب أن يكلم كل على قدر فهمه ومقامه ومع هذا فالكل صحيح غير مختلف من حيث الحقيقة ولا مجاز فيه أصلا ، واعتبر ذلك بمثال العميان والفيل وهو مشهور .

وعلى هذا فكل من لم يفهم شيئاً من المتشابهات من جهة أن حمله على الظاهر كان مناقضاً بحسب الظاهر لاصول صحيحة دينيّة وعقايد حقة يقينية عنده فينبغي أن يقتصر على صورة اللفظ ولا يبدلها ويحيل العلم به إلى الله والراسخين في العلم ، ثم يترصّد لهبوب رياح الرحمة من عند الله ويتعرض لنفخات أيام دهره الآتية من قبل الله ، لعل الله يأتي له بالفتح أو امر من عنده ، ويقضي الله أمراً كان مفعولاً ، فان الله سبحانه ذمّ قوما على تأويلهم المتشابهات بغير علم إذ قال : ﴿فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم﴾[٢] .

كلمة

بها يتبين مراتب الايمان والكفر

قال الله سبحانه : ﴿يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي انزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضلّ ضلالا بعيداً﴾[٣] ومرجع الايمان إلى العلم ، وذلك لأن الايمان هو التصديق بالشيء على ما هو عليه ولا محالة هو مستلزم لتصوّر ذلك الشيء كذلك وهما معنى العلم ، والكفر ما يقابله وهو بمعنى السّتر والغطاء ، ومرجعه إلى الجهل ، وللعلم والايمان درجات مترتبة في القوة والضعف والزيادة والنقصان بعضها فوق بعض .

عن الصادق (ع) (للايمان حالاتٍ ودرجات وطبقات ومنازل ، فمنه التام المنتهي تمامه ، ومنه الناقص البيّن نقصانه ، ومنه الراجح الزايد رجحانه)[٤] .

---

(١) سورة الكهف : الآية١٠٩ (٢) سورة آل عمران : الآية٧
(٣) سورة النساء : الآية ١٣٦ (٤) الكافي : ج١ص٣٨ح٧

وعن الباقر (ع) (إن المؤمنين على منازل ، منهم على واحدة ، ومنهم على اثنين ومنهم على ثلاث ، ومنهم على أربع ، ومنهم على خمس ؛ ومنهم على ست ، ومنهم على سبع ، فلو ذهبت تحمل على صاحب الواحدة ثنتين لم يقو ، وعلى صاحب الثنتين ثلاثاً لم يقو ـ وساق الحديث ، ثم قال : ـ وعلى هذه الدّرجات)[1] ، وزاد في رواية (ولو علم الناس أن الله خلق هذا الخلق على هذا لم يلم أحد احداً)[2] .

أقول : وذلك لأن الايمان إنما يكون بقدر العلم الذي به حياة القلب ، وهو نور يحصل في القلب بسبب ارتفاع الحجاب بينه وبين الله جل جلاله **﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾**[3]، **﴿أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها﴾**[4] .

وهذا النور قابل للقوة والضعف والازدياد والنقص كساير الانوار **﴿وإذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا﴾**[5] ، **﴿وقل ربّ زدني علماً﴾**[6] كلما ارتفع حجاب ازداد نور فيقوى الايمان ويتكامل إلى أن ينبسط نوره ، فينشرح صدره ، ويطلع على حقايق الاشياء ويتجلى له الغيوب ويعرف كل شيء في موضعه .

فيظهر له صدق الأنبياء في جميع ما اخبروا عنه اجمالاً وتفصيلا على حسب نوره بمقدار انشراح صدره ، وينبعث من قلبه داعية العمل بكل مأمور ، والاجتناب عن كل محذور « محظور » ، فيصاب إلى نور معرفة أنوار الأخلاق الفاضلة والملكات الحميدة ، يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم ، نور على نور ، وكل عبادة تقع على وجهها تورث في القلب صفاء تجعله مستعداً لحصول نور فيه وانشراح ومعرفة ويقين ، ثم ذلك النور والمعرفة واليقين تحمله على عبادة اخرى واخلاص آخر فيها يوجب نوراً آخر وانشراحاً أتم ومعرفة اخرى ويقينا أقوى ، وهكذا إلى ما شاء الله .

ومثل ذلك مثل من يمشي بسراج في ظلمة فكلما أضاء له من الطريق قطعة مشى فيها فيصير ذلك المشي سبباً لاضاءة قطعة اخرى منه وهكذا في الحديث النبوي (ص) (من علم وعمل بما علم ورّثه الله علم ما لم يعلم)[7] .

---

(١) الكافي : ج١ص٤٥ح٣ (٢) الكافي : ج١ص٤٤ح١(٣) سورة البقرة : الآية ٢٥٧
(٤) سورة الانعام : الآية١٢٢(٥) سورة الانفال : الآية٢
(٦) سورة طه : الآية ١١٤(٧) البحار : ج٤٠ص١٢٨ والحياة : ج١ص٩٩ح١

فأوائل درجات الايمان تصديقات مشوبة بـالشكوك والشبهـة على اختلاف مـراتبها ويمكن معه الشرك ومـا يؤمن أكثرهم بـالله إلا وهـم مشركـون ، وعنها تعبّـر بالاسـلام في الأكثر **﴿قـالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم﴾** (1) .

وأواسـطها تصـديقـات لا يشـوبهـا شـك ولا شبهـة ، **﴿الـذين آمنـوا بـالله ورسـولـه ثم لم يرتابوا﴾** (2) ، واكثر اطلاق الايمان عليها خاصّة **﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً وعلى ربّهم يتوكلون﴾** (3) .

وأواخرها تصديقات كذلك مع كشف وشهود وذوق وعيان ومحبة كـاملة لله سبحانـه وشوق تام إلى حضرته المقدسة **﴿يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهـدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضـل الله يؤتيه من يشـاء﴾** (4) وعنها العبـارة تارة بـالاحسان الاجسان أن تعبد الله كانك تراه ، والاخرى بالايقان ، **﴿وبالاخرة هم يوقنون﴾** (5) .

وإلى المراتب الثلاث الاشارة بقوله عز وجلّ : **﴿ليس على الذين آمنوا وعملوا الصّالحـات جناح فيما طعموا إذا ما اتقـوا وآمنوا وعملوا الصّـالحات ثم اتقـوا وآمنوا ثم اتقـوا وأحسنوا والله يحب المحسنين** (6) **﴾** (7) .

ولما كان الكفر في مقابلة الايمان فله أيضاً درجات ومراتب لا يمكن الخروج منها جميعـاً إلا بعـد طي مراتب الايمـان جميعاً ولمـا كان الايمـان الكامـل الخـالص هـو التسليم لله تعـالى والتصديق بما جاء به النبي (ص) لسانا وقلبا على بصيرة مـع امتثال جميـع الأوامر والنـواهي كما هي .

فمن لم تصل إليه الدعوة النبوّية ولو في بعض الأمور لعدم سماعه أو عدم فهمـه فهو كـافر

---

(1) سورة الحجرات : الآية١٤ (2) سورة الحجرات : الآية١٥ (3) سورة الانفال : الآية٢

(4) سورة المائدة : الآية٥٤ (5) سورة البقرة : الآية٤

(6) قال الطبرسي (قد) في مجمع البيان : « ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح » اي اثم وحرج « فيما طعموا » من الخمر والميسر قبل نزول التحريم ، وفي تفسير أهل البيت (ع) فيما طعموا من الحـلال ، وهذه اللفظة صالحة للاكل والشرب جميعا « اذا ما اتقوا » شربها بعد التحريم « وآمنوا » بالله « وعملوا الصالحات » أي الطاعات « ثم اتقوا » أي دامو على الاتقاء « وآمنوا » أي داموا على الايمان ؛ « ثم اتقوا » بفعل الفرايض « وأحسنوا » بفعل النوافل وذكر (ره) فيه وجوهاً اخر فراجع « والله يحب المحسنين » أي يريد ثوابهم واجـلالهم واكرامهم وتبجيلهم .

(7) سورة المائدة : الآية ٩٣

بحسبه كفر جهالة ، وهو أهون الكفار عذاباً بل أكثرهم لا يرون عذاباً واليهم الاشارة بقوله سبحانه : **﴿الا المستضعفين من الرّجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا﴾**(١) .

ومن وصلت إليه الدعوة فلم يسلّم ولم يصدق ولو ببعضها إما لاستكبار وعلوّ أو لتقليد للأسلاف وتعصّب لهم أو غير ذلك فهو كافر بحسبه كفر جحود وعذابه عظيم وإليهم الاشارة بقوله سبحانه : **﴿إن الذين كفروا سواء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم﴾**(٢) .

ومن وصلت إليه الدعوة فصدقها بلسانه وظاهره لعصمة ماله ودمه أو غير ذلك من الأغراض وأنكرها بقلبه وباطنه لعدم اعتقاده بها فهو كافر كفر نفاق ، وهو أشدهم عذاباً وعذابه اليم واليهم الاشارة بقوله سبحانه : **﴿ومن الناس من يقول آمنّا بالله وباليوم الاخر وماهم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون﴾**(٣) إلى قوله : **﴿إن الله على كل شيء قدير﴾**(٤) .

ومن وصلت إليه الدّعوة فاعتقدها بقلبه وباطنه لظهور حقيتها لديه وجحدها أو بعضها بلسانه ولم يعترف بها حسداً أو بغياً وعتواً وعلواً أو تقليداً أو تعصّبا أو غير ذلك فهو كافر كفر تهوّد ، وعذابه قريب من عذاب المنافق وإليهم الاشارة بقوله عز وجلّ : **﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون﴾**(٥) وقوله تعالى : **﴿فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين﴾**(٦) وقوله : **﴿إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البيّنات والهدى من بعدما بيّناه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون﴾**(٧) .

ومن وصلت إليه الدعوة فصدّقها بلسانه وقلبه ولكن لا يكون على بصيرة من دينه أو لسوء فهمه مع استبداده بالرأي أو عدم متابعته للامام أو نائبه المقتفى أثره حقا وإما لتقليد وتعصّب للاباء والاسلاف المستبدين بآرائهم مع سوء أفهامهم أو غير ذلك فهو كافر كفر ضلالة ، وعذابه على قدر ضلالته وما يضل فيه من أمر الدين وإليهم الاشارة بقوله عز وجل : **﴿قل يا أهل الكتاب**

---

(١) سورة النساء : الآية ٩٨ (٢) سورة البقرة : الآية ٦ ـ ٧ (٣) سورة البقرة : الآية ٨ ـ ١٠
(٤) سورة البقرة : الآية ٢٠ (٥) سورة البقرة : الآية ١٤٦ (٦) سورة البقرة : الآية ٨٩
(٧) سورة البقرة : الآية ١٥٩

لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق﴾[1] حيث قالوا عزير ابن الله والمسيح ابن الله وقوله : **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحرّموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾**[2] وبقول نبيّنا (ص) حيث اخبر عن زمان يأتي بعده اتخذ الناس رؤساء جهّالا فسئلوا فافتوا بغير علم فضلوّ وأضلوا[3] .

ومن وصلت إليه الدّعوة فصدّقها بلسانه وقلبه على بصيرة واتباع للامام أو نائبه الحق إلا أنه لم يمتثل جميع الأوامر والنواهي بل أتى ببعض دون بعض بعد أن اعترف بقبح ما يفعله ولكن لغلبة نفسه وهواه عليه فهو عاص ، والعصيان لاينافي أصل الايمان ، ولكن ينافي كماله وقد يطلق عليه الكفر وعدم الايمان إذا أتى بالكبائر كما في قوله عز وجل : **﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين﴾**[4] وقول النبي (ص) (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن)[5] .

وذلك لأن ايمان مثل هذا لا يدفع عنه استحقاق أصل العذاب ودخول النار وإن دفع عنه استحقاق الخلود فيها فحيث لا يفيده في جميع الأحوال فكأنه مفقود أو نقول : يسلب عنه الايمان ما دام على بطنها ثم يعود إليه كما في رواية اخرى .

إذا تقرر هذا فاعلم أن كل من جهل أمراً من امور دينه بالجهل البسيط فله عرق من كفر الجهالة ، وكل من أنكر حقّا واجب التصديق لاستكبار أو هوى أو تعصّب فله عرق من كفر الجحود ، وكل من أظهر بلسانه ما لم يعتقد بباطنه وقلبه لغير غرض ديني كالتقية في محلّها أو نحو ذلك أو عمل عملا اخروية لغرض دنيويّ فله عرق من النفاق ، وكل من كتم حقّا بعد عرفانه أو أنكر مالم يوافق هواه وقبل ما يوافقه فله عرق من التهود ، وكل من استبدّ برأيه ولم يتبع امام زمانه أو نائبه الحق أو من هو أعلم منه في أمر من امور دينه فله عرق من الضلالة ، وكل من أتى حراما أو شبهة أوتوانى في طاعة مصرّاً على ذلك فله عرق من الفسوق والعصيان .

ومن أسلم وجهه لله في جميع الامور من غير غرض وهوى واتبع إمام زمانه أو نائبه الحق آتيا بجميع أوامر الله ونواهيه في غير تواني ولا مداهنة فإن أذنب ذنباً استغفرَ من قريب وتاب أو زل قدمه استقام وأناب ، فهو المؤمن الكامل الممتحن ، ودينه هو الدّين الخالص وهو الشيعي

(١) سورة النساء : الآية ١٧١ (٢) سورة المائدة : الآية٨٧
(٣) احياء علوم الدين : ج١ص١٥ (٤) سورة آل عمران : الآية ٩٧
(٥) العوالي : ج١ص٤٠ ح٤٢وص١٦٧ح١٨٤

حقّا والخاصي صدقا بل هو من أهل البيت إذا كان عالما بأمرهم متحمّلا لسرّهم كما قالوا : (سلمان منّا أهل البيت)[1] .

المقالة العاشرة

في البرزخ وما يتعلق به ﴿ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون﴾ المؤمنون / ١٠٠ .

كلمة

فيها اشارة الى معنى البرزخ

البرزخ هي الحالة التي تكون بين الموت والبعث وتكون الروح في هذه المدة في بدنها المثالي الذي يرى الانسان نفسه فيه في النوم وفي الحديث النبوي (ص) : (النوم أخ الموت)[2] كما تنامون تموتون وكما تستيقظون تبعثون ، وقال الله سبحانه : **﴿الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها﴾**[3] .

روي بإسناده عن الكاظم (ع) انه قال في قصة لمنكري المعاد من الامم الماضية : (فاحدث الله فيهم الأحلام ولم يكن قبل ذلك ، فأتوا نبيّهم فأخبروه بما رأوا وما أنكروا من ذلك فقال (ع) إن الله تعالى أراد ان يحتج عليكم بهذا هكذا تكون أرواحكم إذا متم وإن بليت أبدانك تصير الأرواح إلى عقاب حتى يبعث الله الأبدان)[4] .

وباسناده الصحيح عن الصادق (ع) (انه قيل له : يروون ان ارواح المؤمنين في حواصل طيور خضر حول العرش فقال : لا ، المؤمن اكرم على الله من ان يجعل روحه في حوصلة طير ولكن في ابدان كابدانهم)[5] .

وفي رواية اخرى عنه (ع) (فاذا قبضه الله صيّر تلك الروح في قالب كقالبه في الدنيا فيأكلون ويشربون ، فاذا قدم عليهم القادم عرفوه بتلك الصّورة التي كانت في الدنيا)[6] .

وفي خبر آخر (ان الأرواح على صفة الاجساد في شجرة في الجنة تتعارف وتتساءل ، فاذا قدمت الروح على الأرواح يقول : دعوها فانها قد أفلتت من هول عظيم ثم يسألونها ما فعل

---

(١) عيون أخبار الرضا (ع) : ج٢ص٦٤ ح٢٨٢ (٢) العوالي : ج٤ص٧٣ح٤٧
(٣) سورة الزمر : الآية ٤٢ (٤) الكافي : ج٨ ص٩٠ح٥٧
(٥) الكافي : ج٣ص٢٤٤ ح١ (٦) الكافي : ج٣ص٢٤٥ ذيل ح٦

فلان وما فعل فلان فان قالت لهم : تركته حيّـا ارتجوه ، وإن قـالت لهم : قد هلك قـالوا : قـد هوى هوى[1])[2] وزاد في بعضها يقولون : (ربّنا أقم لنا الساعة وانجز لنا ما وعدتنا والحق آخرنا بأولنا)[3] .

وسئل عن أرواح المشركين فقال : (في النار يعذبون يقولون : ربنـا لا تقم لنا السـاعة ولا تنجز لنا ما وعدتنا ولا تلحق آخرنا بأولنا)[4] .

وباسناده (ان الميت يزور أهله [5] في كل يوم أو يومين أو ثلاثة أو جمعـة أو شهر أو سنـة على قـدر منزلتـه وعمله ، فينظر إليهم ويسمـع كلامهم ، ويـرى المؤمن ما يحب ويستـر عنه مـا يكره ، ويرى الكافر ما يكره ويستر عنه ما يحب)[6] .

كلمة

فيها اشارة الى ان الصورة البرزخية هي الطينة التي خلق منها الانسان

يشبه أن يكون الكناية عن هذه الصورة البرزخية الباقية بعد الموت ما عبر عنـه بالـطينة أو بعجز الذنب في الأخبار فعن الصادق (ع) (أنه سئل عن الميت هل يبلى جسده قال: نعم حتّى لا يبقى له لحم ولا عظم إلا طينته التي خلق منها فانها لا تبلى تبقى في القبر مستديـرة حتى يخلق منها كما خلق أوّل مرة[7])[8] .

---

(١) قال في مجمع البحرين : وقولهم هوى هوى أي هلك هلك ومنه كم من دنف نجا وصحيح قد هوي أي مات وهلك وقال في الوافي : هوى : سقط الى اسفل .

(٢) الكافي : ج٣ص٢٤٤ح٣ (٣) الكافي : ج٣ص٢٤٤ح٤ (٤) الكافي : ج٣ص٢٤٥ح١

(٥) قال بعض الاعلام من المعاصرين ايده الله : جمع بعض علماء السنة في عصرنا وهو فريـد وجدي ممـا ذكره حكما الافرنج قصصا كثيرة في زيارة ارواح المـوتى لاهله مع قـرائن كثيرة تـدل على صحة تلك القصص ودلالتها على بقاء الروح بعد فناء الجسد وعنوان هذا الكتاب « على اطلال المذهب المادي » وهو كتاب ممتع خدم به مصنفه اهل الدين .

(٦) كما في الكافي : ج٣ص٢٣٠و٢٣١باب أن الميت يزور اهله :

قال في الوافي : لعل المراد بطينته التي خلق منها بدنها المثالي البرزخي اللطيف الذي يرى الانسان نفسه فيه في النوم ، وقال العلامة المجلسي (قد) في الجزء الثالث من البحار : مستديرة أي بهيئة الاستدارة أو متبدلة متغيرة في أحوال مختلفة ككونها رميماً وتراباً وغيـر ذلك فهي محفـوظة في كـل الاحوال وهـذا يؤيد مـا ذكره المتكلمون من ان تشخص الانسان انما هو بالاجزاء الاصلية ولا مدخل لساير الاجزاء والعوارض فيه .

(٧) الكافي : ج٣ص٢٥١ح٧

وكأن استدارتها كناية عن انتقالها من حال إلى حال من الدوران بمعنى الحركة وإنما لا تبلى لأنها لا تقبل البلى .

وفيه عن السجاد (ع) (وإن الله خلق النبيّين من طينة عليين قلوبهم وأبدانهم وخلق قلوب المؤمنين من تلك الطينة وجعل خلق أبدان المؤمنين من دون ذلك ، وخلق الكفار من طينة سجّين قلوبهم وأبدانهم فخلط بين الطينتين فمن ذلك يلد المؤمن الكافر ويلد الكافر المؤمن ، ومن هنا تصيب المؤمن السّيئة ومن هنا تصيب الكافر الحسنة وقلوب المؤمنين تحنّ الى ما خلقوا منه وقلوب الكافرين تحنّ إلى ما خلقوا منه)(١) .

أراد بعليين ما يعم الملكوتين ، فان قلوب النبيّين من الملكوت الأعلى أعني عالم العقول والأرواح ، وأبدانهم من الملكوت الأسفل أعني عالم النفوس والأشباح وأراد بسجّين عالم الملك وإنما لم يتعرض لذكر الأبدان العنصرية للنبيين لأنه لا علاقة لهم بها فكأنهم وهم في جلابيب من هذه الأبدان قد نقضوها وتجرّدوا عنها لعدم ركونهم إليها وشدة شوقهم إلى النشأة الاخرى .

وإنما نسب خلق أبدان المؤمنين إلى ما دون ذلك لانها مركبة من هذه ومن هذه لتعلّقهم بهذه الابدان العنصرية ما داموا فيها ، وإنما نسب خلق قلوب الكفار إلى سجّين لأنهم لشدة ركونهم إلى العالم الادنى الذي هو بمنزلة السجن واخلادهم إلى الارض بشراشرهم ، كأنهم ليس لهم من الملكوت نصيب لاستغراقهم في الملك .

والخلط بين الطينتين إشارة إلى تعلق الارواح البرزخية بالابدان العنصرّية بل نشؤها منها شيئاً فشيئاً فكل من النشأتين غلبت عليه صار من أهلها فيصير مؤمنا حقيقيا أو كافراً حقيقياً أو بين الامرين على حسب مراتب الايمان والكفر .

وفي الحديث النبويّ (ص) (ينشؤ الله النّشأة الاخرة على عجز الذنب الذي يبقى من هذه النشأة الدنيا) ، فعليه تركب النشأة الاخرة .

ولعل الوجه في هذه الكناية أن الصّورة البرزخية بكمالاتها آخر ما يكتسب من البدن العنصري فيصح التعبير عنها بعجز الذنب الذي هو مؤخّر البدن وعليه يقوم البدن .

وفي رواية اخرى (كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب)(٢) ، وفي تفسير أبي محمّد

(١) بصائر الدرجات : ص٣٥ح٥والكافي :ج٢ ص٢ح١ (٢) صحيح مسلم : ج٤ ص٢٢٧١ .

العسكري (ع) (عند قوله تعالى : ﴿فقلنا اضربوه ببعضها﴾ (١)، قال أخذوا قطعة وهي عجز الذنب الذي خلق منه ابن آدم وعليه يركب إذا اعيد خلقا جديداً) (٢).

وإلى هذا نظر من أول عجز الذنب بالنفس ومن كنيّ عن الباقي بعد الموت بالجوهر الفرد الذي لا يتجزى نظر إلى تجرّد هذه الصورة عن المادة .

كلمة

فيها اشارة الى سؤال القبر ونعيمه وعذابه

روي عن أمير المؤمنين (ع) (أن ابن آدم إذا كان في آخر يوم من ايام الدنيا وأوّل يوم من أيام الآخرة مثل له ما له وولده وعمله ، فيلتفت إلى ماله فيقول : والله إني كنت عليك حريصاً شحيحاً فمالي عندك ! فيقول : خذ مني كفنك قال : فيلتفت إلى ولده فيقول : والله إني كنت لكم محبّا وإني كنت عليكم محامياً فما لي عندكم ؟ فيقولون : نودّيك إلى حفرتك فنواريك فيها ، قال : فيلتفت إلى عمله فيقول : والله إني كنت فيك لزاهداً وإن كنت عليّ لثقيلا فما لي عندك ؟ فيقول : أنا قرينك في قبرك ويوم نشرك حتّى اعرض أنا وأنت على ربّك .

قال : فان كان لله وليّا أتاه أطيب الناس ريحا واحسنهم « احبّهم خ ل » منظراً واحسنهم رياشا(٣) فقال : ابشر بروح وريحان وجنة نعيم ومقدمك خير مقدم فيقول له : من أنت؟ فيقول : أنا عملك الصالح ارتحل من الدنيا إلى الجنّة ، وإنه ليعرف غاسله ويناشد حامله ان يعجّله .

فاذا ادخل قبره أتاه ملكا القبر يجرّان أشعارهما ويخدّان الارض بأقدامهما وأصواتهما كالرعد القاصف(٤) وأبصارهما كالبرق الخاطف(٥) فيقولان له : من ربّك وما دينك ومن نبيّك ؟ فيقول : الله ربّي وديني الاسلام ونبيّي محمّد (ص) فيقولان له : ثبّتك الله فيما يحب ويرضى وهو قول الله تعالى : ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ (٦) ثم يفسحان له في قبره(٧) مدّ بصره ، ثم يفتحان له بابا إلى الجنة ، ثم يقولان له : نم قرير العين

---

(١) سورة البقرة : الآية٧٣ (٢) البرهان : ج١ص١٠٩.

(٣) الريش والرياش واحد وهو ما ظهر من اللباس الفاخر . م . (٤) رعد قاصف في صوته تكسر المفردات .

(٥) خطف الشيء : استلبه بسرعة البرق البصر : ذهب به . السمع : استرقه المنجد . (٦) سورةابراهيم :الآية٢٧

(٧) وعن المجلسي اعلى الله درجته في مرآت العقول : لعل المراد بالقبر عالم البرزخ كما مر ، ويقال فسح له يفسح بالفتح فيهما اي وسع له ، والفسحة بالضم : السعة : والمراد بمد البصر مداه وغايته التي ينتهي اليها.

نوم الشاب الناعم فان الله تعالى يقول : ﴿أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلا﴾ (١).

قال واذا كان لربه عدوا فانه يأتيه أقبح من خلق الله زياً ورياً وأنتنه ريحاً فيقول : ابشر بنزل من حميم وتصلية جحيم ، وانه ليعرف غاسله ويناشد حملته أن يحبسوه ، فاذا ادخل القبر أتاه ممتحنا القبر فالقيا عنه اكفانه ثم يقولان له : من ربك وما دينك ومن نبيّك ؟ فيقول لا أدري فيقولان : لا دريت ولا هديت فيضربان يا فوخه بمرزبة (٢) معهما ضربة فما خلق الله تعالى من دابة إلا وتذعر (٣) لها ما خلا الثقلين ثم يفتحان له بابا إلى النار ثم يقولان له نم بشر حال فيه من الضيق مثل ما فيه القنا من الزّج (٤) حتى أنّ دماغه ليخرج من بين ظفره ولحمه ويسلط الله عليه حيّات الأرض وعقاربها (٥) وهوامها فتنهشه حتى يبعثه الله من قبره ، وأنه ليتمنى قيام الساعة مما هو فيه من الشرّ) (٦) وفي كثير من الاخبار أنه يسأل عن امامه أيضاً .

وعنه (ع) (والله لا يبغضني عبد أبداً يموت إلاّ رآني عند موته حيث يكره ، ولا يحبني عبد أبداً فيموت على حبّي إلاّ رآني عند موته حيث يحب) (٧) .

وفي رواية عن الباقر (ع) (ورسول الله (ص) باليمين) (٨) وعن الصادق (ع) (في الميت تدمع عيناه عند الموت قال : ذلك عند معاينة رسول الله فيرى ما يسرّه (ثمّ قال: اما ترى الرجل يرى ما يسرّه وما يحبّه فتدمع عينه لذلك ويضحك) (٩) (وفي خبر آخر فيقول له رسول الله (ص): أمّا ما كنت ترجو فهوذا امامك وأما ما كنت تخاف فقد امنت منه) (١٠) .

حافظ

شب رحلت هم از بستر روم تا قصر حور العين أگر در وقت جان دادن تو باشى شمع بالينم

(١) سورة الفرقان : الآية ٢٤ .

(٢) الارزبة والمرزبة مشددتان أو الاولى فقط عصية من حديد واليافوخ هو حيث التقى عظم مقدم الرأس ومؤخره كذا في القاموس . وفي « المنجد » اليافوخ الموضع الذي يتحرك من رأس الطفل وهو فراغ بين عظام جمجمته في مقدمتها وأعلاها لا يلبث ان تلتقي فيه العظام .

(٣) الذعر بالضم الخوف ذعر كعنى فهو مذعور وبالفتح التخويف كالاذعار والفعل كجعل وبالتحريك الدهش وكصدر الامر المخوف . ق.

(٤) الزج بالضم : الحديدة التي في اسفل الرمح ويقابله السنان . والقنا : الرمح جمع قناء كجبل وجبال المنجد .

(٥) وعن العلامة المجلسي في مرآة العقول : الحيات والعقارب اما مثالية تلدغ الاجساد المثالية أو هي المتولدة من القبر تلدغ الجسد الاصلي وتتألم الروح بذلك ونقل بعد ذلك عن الشيخ البهائي « ره » : فلعل عدد هذه الحيات بقدر عدد الصفات المذمومة من الكبر والرياء والحسد وساير الاخلاق والملكات الردية فانها تتشعب وتتنوع أنواعاً كثيرة وهي بعينها تنقلب حيات في تلك النشأة .

(٦) الكافي : ج٣ ص٢٣١ ح١

(٧) الكافي : ج٣ ص١٣٢ ح٥ (٨) الكافي : ج٣ ص١٣٢ ذيل ح٥ . (٩) الكافي : ج٣ ص١٣٣ ح٦ (١٠) الكافي : ج٣ ص١٣٣ ح

وفي كثير من الروايات عبّر عن الملكين بالمنكر والنكير ، ويخطر بـالبال أن المنكـر عبارة عن جملة الأعمال المنكرة التي فعلهـا الانسان في الـدنيا فتمثلتـا في الآخرة بصـورة مناسبـة لها مأخوذ ممّا هو وصف الافعال في الشرع أعني المذكور في مقابلة المعروف .

والنكيـر هو الانكـار لغة ولا يبعـد أن يكون الانسـان إذا رأى فعله المنكـر في تلك الحـال أنكـره ووبخ نفسـه عليه فتمثـل تلك الهيئة الانكـارية او مبـدؤها من النّفس بمثـال مناسب لتلك النشأة فانّ قوى النّفس ومبادي آثارها كالحواس ومبادي اللمم تسمى في الشرع بالملائكة .

ثمّ إن هذا الانكار من النفس لذلك المنكـر يحملها على أن تلتفت إلى اعتقـاداتها وتفتش عنها أهي صحيحة حسنة حقة أم فاسدة خبيثة باطلة ؟ ليظهر نجاتها وهلاكها ويطمئن قلبها .

وذلك لأن قبول الأعمال موقوف على صحة الاعتقاد بل المـدار في النجاة على ذلـك كما هو مقرّر ضـروريّ من الدين ، وإليـه اشير بقـوله (ص) : (حبّ عليّ حسنـة لا تضرّ معهـا سيئة وبغض عليّ سيئة لا تنفع معها حسنة)(١) .

ثم قد ثبت أن صور تلك النشأة وموجوداتها كلها حيّة مـدركة ولاميّـة فيها وكـلّ حيّ مدرك يحب نفسه ويحب أن يكون مقبولا غير مردود فكان المفتش عن الاعتقاد إنّما هـو الملكان حيث صار ذلك غرضاً لهما بهذا الاعتبار .

وأيضـاً فان النفس أقـرب إلى الاعتقاد من العمـل إليه فكـأنها عـالمة بـه فينبغي أن يكـون مسؤولة عنه لما بينه وبينها من الاتحاد ، والملكان سائلين لما بينهما وبينه من المباينة ويؤيّـد هذا سكوته (ع) عن العمل المنكر واقتصـاره على ذكر العمـل الصالـح وتسميته الملكين في الاخبـار بقعيدي القبر حيث يشعر بالمصـاحبة وعـدم السؤال إلاّ عن المؤمن المحض والكافـر المحض ، فانّ من لا يهتم بالدّين فهو بمعزل عن ذلك إلى غير ذلك من الاشارات .

وأمّـا أشعارهمـا التي أحاطت بهمـا ، وجرّا بهـا الأرض فيشبه أن يكـون كنايـة عن ظلمـة المنكر التي تعلوه وتلازمه ، وخدّهما الأرض باقدامهما كأنه كناية عن انتـزاعهما من أرض البـدن بهيبة وسطوة ، والرّعد القاصف كناية عن الصوت العايل (الهـايل خ ل) الـذي يعتري الانسـان حين يفجأه هول عظيم ويهجم عليه داهية غير مامولة ، والبرق الخاطف كناية عن النور الـذي به يبصران ما يبصران من ذلك ويميزان الحق من الباطل فيما هنالك .

---

(١) العوالي : ج٤ ص٨٦ ح١٠٣ .

كلمة

فيها اشارة الى معنى الروح الباقية بعد البدن وانها تُسأل

قد تبيّن من تضاعيف ما ذكر أن الرّوح الباقيـة بعد مـوت البدن العنصـري هي التي تكون في قالبه البرزخي أو هي عين القالب البرزخي ذلك لتخصص السـابقين بروح القـدس التي هي فوق البرزخ كما مرّ في الثالثة من الرابعة .

وهذا القالب البرزخي هو الذي يتصرف فيه الروح في هذه النشأة العنصرية أيضـاً وبتوسـطه في هذا البدن المحسوس أو هو الروح بعينه ، وعلى التقديرين فحياته ذاتية وهو متـولد من هـذه الأجسام الترابية ، وهذا البدن العنصري بمنـزلة قشـر وغلاف لـه ، فاذا نـزل الانسان من مـركبه الكثيف المحلول الفاني ركب البدن المكتسب اللطيف الباقي عريًا عن لباس هـذه النشأة منتبهـا عن نومه فيسأل فيجيب .

فان كان من السّعداء سار في بساتين الملكوت قـائلا ربنـا أتمم لنا نـورنا واغفـر لنا ، وإن كان من الأشقياء وقع في الهاوية والبرهوت قائلا : ربّنا سمعنا وابصرنا فارجعنا نعمل صالحاً غيـر الذي كنا نعمل ، ومن لم يكن من السعداء ولا من الاشقياء ترك في سكراته حتى يبعث من غيـر سؤال .

فعن الصّـــادق (ع) قـــال :(لا يســـأل إلا من محض الايمـــان محضـــاً أو محض الكفـــر محضاً)(١) وفي رواية اخرى(والآخرون يلهون عنهم(٢))(٣) وفي لفظ آخر (لا يعبؤ بهم)(٤) .

محض الايمان أي اخلصه عن شوائب الشرك باكمالـه واتقانـه والاهتمام بشـرايطه وأركـانه والسعي في تربيته وتقويته طول عمره ، واستكشاف أسراره وتنميته أيام دهره فان من هذا شأنه لا يموت إلا والايمان أكبر همّه والدّين أجلّ شـأنه فـاذا سئل عنهمـا أجاب بـالصواب فيفتـح له إلى الجنّة باب .

وكذلك من محض الكفر وأخلصه عن شوايب الايمان واهتم به وسعى في تربيتـه وتقويتـه بجداله أهل الحقّ طول عمره ونصبه العداوة لأئمة الـدين أيام دهـره ، فانـه لا يموت إلا والكفـر

---

(١) الكافي : ج٣ص٢٣٦ح٤

(٢) اي لا يلتفت اليهم يقال : لهى عن الشيء اذا سلى عنه وترك ذكره وأضرب عنه ، الوافي

(٣) الكافي : ج٣ص٢٣٥ ح١ (٤) الكافي : ج٣ص٢٣٧ح٨

أكبر همّه والنفاق أعظم مهمه فاذا سئل عن الايمان وهو أعداء أعدائه وأعداء أهله تلجلج لا محالة لسانه فتقطع (فتتعتع خ ل) عن الجواب فيفتح له إلى النار باب .

وإنّما لا يلتفت إلى الباقين لأنّهم ليسوا بأهل لمثل هذا السؤال ، فانّ من لم يكن اهتم بأمر دينه ما عاش ، بل كان اهتمامه مقصوراً في أمر المعاش وغرّته الحياة الدنيا عن الآخرة فهو حريّ بأن تدهشه سكرات الموت وتذهله غمرات الفوت إلى أن يجعل الله له مخرجاً .

وممّا يدلّ على بقاء الرّوح بعد مفارقتها البدن قوله عزّ وجلّ : **﴿ولا تحسبنّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربّهم يرزقون فرحين بما أتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾**(1) .

ونادى النبيّ (ص) (الأشقياء المقتولين يوم بدر : يا فلان يا فلان قد وجدت ما وعدني ربّي حقا فهل وجدتم ما وعد ربّكم حقا ، ثم قال : والذي نفسي بيده إنهم لا سمع لهذا الكلام منكم إلا أنّهم لا يقدرون على الجواب)(2)، ومثله عن أمير المؤمنين (ع) في قتلى وقعة جمل .

عن الصادق (ع) (أن الرّوح مقيمة مكانها روح المؤمن في ضياء وفسحة ، وروح المسيء في ضيق وظلمة ، والبدن يصير ترابا)(3) ، وروي أنه قال : وبها يؤمر البدن وينهى ، ويثاب ويعاقب ، وقد تفارقه ويلبسها الله تعالى غيره كما تقتضيه حكمته .

عنه (ع) (مثل المؤمن وبدنه كمثل جوهرة في صندوق إذا اخرجت الجوهرة منه طرح الصّندوق ولم يعبأ به ، وقال : إن الارواح لا تمازج البدن ولا تداخله وإنما هي كالكلل للبدن محيطة به)(4) .

عنه (ع) (أنه سئل عن الرّوح قال : هي من قدرته من الملكوت)(5) وفي الحديث النبوي (ص) (الارض لا تأكل محل الايمان)(6) وفي حديث آخر (انكم خلقتم للبقاء لا للفناء)(7) . وفي لفظ آخر (خلقتم للابد وإنما تنقلون من دار إلى دار(8))(9) .

---

(1) سورة آل عمران : الآية ١٦٩ ـ ١٧٠ (٢) سيرة ابن هشام : ج ٢ ص ٦٣٩ .
(٣) الاحتجاج : ج٢ص٩٨ (٤) بصائر الدرجات : ص٤٨٣ ح١٢
(٥) تفسير العياشي : ج ٢ ص٣١٧ . (٦) علم اليقين : ج٢ ص٨٣٦ (٧) عن الاعتقاد ص ٧٥ كما في البحار : ج ٦ ص ٢٤٩
(٨) قال العلامة المجلسي اعلا الله مقامه في الثالث من البحار : اعلم ان الذي ظهر من الايات الكثيرة والاخبار
(٩) عن الاعتقاد ص ٧٥ كما في البحار : ج ٦ ص ٢٤٩ .

مثنوى

از جـمـادى مـردم ونـامـى شـدم / وز نـمـا مـردم ز حـيـوان سـر زدم
مـردم از حـيـوانـى وآدم شـدم / پس جـه تـرسـم كى زمـردن كـم شـدم
حـمـلهٔ ديـگـر بـمـيـرم از بـشـر / تـا بـر آرم از مـلايـك بـال وبـر
از مـلـك هـم بـايـدم جـسـتـن زجـو / كـلّ شـيء هـالـك إلا وجـهـهُ
بـارديـكـر از مـلـك قـربـان شـوم / آنـچـه انـدروهـم نـايـد آن شـوم
پس عـدم كـردم عـدم چـون از غـنـون / گـويـدم كـانـا إلـيـه راجـعـون

كلمة

فيها اشارة الى معنى الصور والنفخ

قد ورد في الحديث النبوي (أنه قرن من نور يلتقمه إسرافيـل ووصفه بسعـة وضيق وورد أن فيه ثقبا بعدد الارواح)[1] .

قال بعض أهل المعرفة إنه كناية عن الحفرة البرزخية التي ينتقل إليها الارواح بعـد الموت فـان القرن واسـع ضيق ولا شيء أوسع من الخيـال لحكمه على كـل شيء وعلى ما ليس لشيء فانه يتصور العدم المحض ولا شيء أضيق منه إذ ليس في وسعه أن يتخيـل أمراً إلا بصـورة ولم يسعه ان يجرد المعاني عن المواد اصلا فيرى العلم في صورة لبن ، والشرع في صـورة قيد إلى غير ذلك مما يرى في النوم وغيره .

وأما كونـه من نور فـان النّور سبب الكشف والـظهور جعـل الله هذا الخيـال نوراً يـدرك به تصـوير كـل شيء فنوره لا يشبـه الأنوار وبـه يدرك التجليـات وهو نـور عين الخيـال لا نـور عين الحسّ .

= المستفيضة والبراهين القاطعة هو ان النفس باقية بعد الموت اما معذبة ان كان ممن محض الكفر ، أو منعمة ان كان ممن محض الايمان ، او يلهى عنه ان كان من المستضعفين ويرد اليه الحياة في القبر اما كامـلا أو الى بعض بدنه كما مر في بعض الاخبار ويسأل بعضهم عن بعض العقايد وبعض الاعمال ويثاب ويعاقب بحسب ذلك ، وتضغط اجساد بعضهم وانما السؤال والضغطة في الاجسـاد الاصلية « الى ان قـال » ثم تتعلق الروح بالأجساد المثالية اللطيفة الشبيهة بأجسام الجن والملائكة المضاهية في الصورة للأبدان الأصلية فينعم ويعذب فيها ولا يبعد أن يصل إليه الآلام ببعض ما يقع على الأبدان الأصلية لسبق تعلقه بها ، وبذلك يستقيم جميع ما ورد في ثواب القبر وعذابه واتّساع القبر وضيقه وحركة الروح وطيرانه في الهواء وزيارته لأهله الخ .

(١) لئالي الأخبار: ج ٥ ص٥٣ .

قـال: إذا قبض الله الأرواح من هذه الأجسام الطبيعيّة حيث كانت أودعها صوراً جسدية هي مجموع هذا القرن النوري فجميع ما يدركه الانسان بعد الموت في البرزخ من الامور إنما يدركه بعين الصّورة التي هو فيها في القرن ، وهو إدراك حقيقي ومن الصور هناك ما هي مقيدة عن التصرف ومنها ما هي مطلقة كارواح الانبياء كلهم وارواح الشهداء ومنها ما يكون لها نظر إلى عالم الدنيا ومنها ما يتجلى للنايم في هذا الدار في حضرة الخيال التي هي فيه وهو الذي يصدّق رؤياه.

قال : وأعلاه الضيق وأسفله الواسع وكذلك خلقه الله فانه يتصور الحق فمن دونه من العالم ولا شك أن الحقّ يتسع ويتكثر بقدر ما تنزل إلى أن يصل إلى الاشخاص .

وقال : والنفخة نفختان نفخة تطفي النّار ونفخة تشعلها ونفخ في الصور فصعق من في السّماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون ، فبالنفخة الاولى تموت الاجساد وتحيى الأرواح ، وبالنفخة الثانية يقوم قياما بالحق لا بذواتها ، وأشرقت الأرض بنور ربها ، والنفخة من قبل الحقّ وان كانت واحدة لاحاطته بجميع ما سواه لكنها بالنّسبة الى الخلايق نفخات متعدّدة حسب تعدّد الاشخاص كما أن الازمنة والأوقات المتمادية ههنا إنّما هي ساعة واحدة بالقياس إليه وما أمر الساعة إلا واحدة ، ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة .

قال : إنّ الميت يجد في البرزخ اللذات والآلام التي يستصحبها الصور الحاصلة له من العلم والعمل في الخير والشر وتصير فيه محكمة ذاتية ، فحاله في هذه المدة كحال النطفة في الرّحم والبذر في الأرض ينتب ويثمر ويختلف عليه أطوار النشأة إلى أن يتولد يوم القيامة بالنفخة الاسرافيلية ويفيق من صعقته ويخرج من هيئته المحيطة به كما يخرج الجنين من القرار المكين ﴿**لتركبن طبقا عن طبق**﴾(١) فالموت ابتداء البعث(٢) .

---

(١) سورة الانشقاق : الآية ١٩ .

(٢) قال الطبرسي (ره) في مجمع البيان في تفسير سورة الكهف : واختلف في الصور فقيل : هو قرن ينفخ فيه ، وقيل : هو جمع صورة فان الله سبحانه يصور الخلق في القبور كما صورهم في أرحام الامهات ثم ينفخ فيهم كم نفخ وهم في ارحام امهاتهم ؛ وقيل أنه ينفخ اسرافيل الصور ثلاث نفخات : فالنفخة الاولى نفخة الفزع ، والثانية نفخة الصعق التي يصعق من في السماوات والارض بها فيموتون ، والثالثة نفخة القيام لرب العالمين فيحشر الناس بها من قبورهم .

وقال العلامة المجلسي (قد) في الجزء الثالث من البحار : وأما الصور فيجب الايمان به على ما ورد في النصوص الصريحة وتأويله بأنه جمع للصورة كما مر من الطبرسى وقد سبقه الشيخ المفيد فهو خروج عن ظواهر

المقالة الحادية عشرة

في نشؤ الأخرة من الاولى ﴿ولقد علمتم النّشأة الأولى فلو لا تذكرون﴾ الواقعة / ٦٢ .

كلمة

بها يتبين كيفية هذا الانتشاء

قال أهل المعرفة إن الانسان إنما يتكـون وينمو ويتم خلقتـه باستحـالات وانقلابـات نظراً على مادته ولا يمكن ذلك إلا بحرارة غريزية محللة وتلك الحرارة مستفـادة من حركـات الأجرام الفلكية المسخرة بـأمر ربّهـا واشعتها كمـا ثبت في مقامـه ثم إن استكمال نفس الانسـان بحسب كلتي قوتيه النظرية والعملية إنما يتم بالحركات البدنية والفكرية والحركة تحتاج إلى الحرارة فهما متصاحبتان لا ينفك إحداهما عن الاخرى ، وكما أن جميع الحـركات في هـذا العالم ينتهي إلى حركات الأفلاك سيّما الفلك الأقصى ، فكذلك جميع الحرارات الغريزية والاسطقسيّـة ينتهي إلى أضواء الكواكب بسيّما ضوء الشمس كما يظهر عند التفتيش والاعتبار والاستقراء .

ثم ان كل مادة متصورّة بصورة أدنى إذا انتقلت إلى أن تلبس صورة أعلى فذلك إنما يكون بان يحصل لها بصورتها الاولى شبه التعفن والهضم والانكسار كالحبة المدفونة في الأرض ، فما لم تضعف صورتها الجمـادية ولم تتعفّن بـاستيلاء الحـرارة عليها لم تقبـل صورة نباتية ، وكـذا القياس في انتقالات النطفة في أطوارها النباتية والحيوانية ، وهكذا الحكم في الترقيـات الواقعـة في النفس فانها مسبوقة بانكسارات وانهضامات نفسانية ومنشؤها الحركات البدنية والنسك الدّينية والحركات الفكرية في النسك العقلية والكل منوط بحركات الأفلاك والكواكب بأضوائها .

فالكمالات العلمية والعملية للنفـوس التي بها تحصـل حياتهـا الاخرويـة وبها يتم نعيمهـا وغذاؤها وطعامها وشرابها في الجنة إنما تحصل بحرارة الطبيعة الـدنيويـة ، وكذلـك النقصانـات والانحرافات التي تحصل لنفوس أهل النار بالعرض ، فهذا العالم بمنزلة مطبخ تنضج فيه أطعمة أهل الجنة وأهل النار وتصلح ماكولاتهم بحرارة الحركات السماوية وأشعة الكواكب ، فان أعمال بني آدم هي مواد أغذيتهم التي بها نشؤ نفوسهم وأبدانهم الاخروية .

الايات بل صريحها واطراح للنصوص الصحيحة الصريحة من غير حاجة ، وقد قال سيدا الساجدين صلوات الله عليه في الدعاء الثالث من الصحيفة الكاملة : واسرافيل صاحب الصور الشاخص الذي ينتظر منك الاذن وحلول الامر ، فينبه بالنفخة صرعي رهائن القبور .

فكلما كانت أعمال أهل الجنة في هذه الدنيا أتم اعتدالا وأكثر نضجاً من جهة الرياضات الدنيوية والمتاعب البدنية في سبيل الله كانت أغـذيتهم وفواكههم وأشـربتهم النفسانيـة الاخرويـة أوفق وأتم صلوحا وأشد تقوية للحياة الباقية وكلما كـانت أعمال أهـل النار هنـا أشد انحـرافا عن العدالة ومنهج الشريعة كانت أغذيتهم وفواكههم وأشربتهم النّفسانية الاخرويـة أشد ايـلاما وأكثـر تعذيباً .

وكما أن انحراف المزاج عن الاعتدال في الـطبيعة يـورث حرارة الحمى الشـديدة كـذلك الانحراف عن العدل في الأخلاق والأعمال والعلوم يورث حرارة نار جهنم وليس لنار جهنم هـذا الاشراق والتلألؤ الذي نراه في هذه النار الدنيوية ، لأن هذه ليست ناراً محضة بـل هي نار ونـور وأما النار المحضة فتمامها أنّها محرقة موذية نزاعة .

وقد تبين ممّا ذكرنا أن الجنّـة والنار انمـا تنشئآن من النفس الانسـانية ، وهمـا حالتـان في مـوضوعهـا وحالتـان لها وتحـدثان لكـلّ نفس بحدوثهـا وبلوغها سن التميـز وتعمران بـأعمـالهـا ومدركاتها وأخلاقها وملكانها التي تحصل لها من أول العمر إلى آخره .

روي (ان النبيّ (ص) كان قاعدا في المسجد فسمعوا هدّة عـظيمة فـارتاعـوا ، فقال النبي (ص) : أتعرفون ما هذه الهدة ؟ قالـوا : الله ورسولـه أعلم ، قال : حجـر القي من أعلى جهنم منذ سبعين سنة الآن وصل إلى قعرها فكان وصوله إلى قعرها وسقوطه فيهـا هذه الهـدة فما فـرغ من كلامه إلا والصّراخ في دار منافق من المنافقين قد مات وكان عمره سبعين سنة فقـال (ص) : الله أكبر فعلمت علماء الصحابة أن هـذا الحجر هـو ذلك المنـافق وأنه منـذ خلقه الله يهوي فى جهنم وبلغ عمره سبعين سنة ، فلما مات حصل في قعرها)[١] ، قال الله تعالى : **﴿إن المنافقين في الدّرك الأسفل من النار﴾**[٢] .

وممّا ذكرنـا ظهر أيضـاً أنّ الجنّة والنـار مشهودتـان لنا اليـوم من حيث المحل لا من حيث الصّورة فنحن في احداهما نتقلب على الحال التي نحن عليهـا ولا نعلم أننا فيهـا ، لأنّ الصّورة الدّنيوية تحجبنا عن الاخروية التي تجلّت لنا فيها قال الله سبحانه : **﴿كلا لـوْ تعلمون علم اليقين لترون الجحيم ثمّ لترونّها عين اليقين﴾**[٣] وقال عزّ وجلّ : **﴿ويستعجلونـك بالعـذاب وإنّ جهنم لمحيطة بالكافرين﴾**[٤] وقـال جلّ ذكـره **﴿ان الابرار لفي نعيم وإنّ الفجـار لفي حجيم يصلونها**

---

(١) الترغيب والترهيب : ج ٤ ص٤٧٦ ح ٤٤ (قريب منه) . وعلم اليقين : ج٢ ص١٠٠٢ .
(٢) سورة النساء :الآية ١٤٥ . (٣) سورة التكاثر : الآية ٥ ـ ٧ (٤) سورة العنكبوت : الآية ٥٤

يوم الدين وما هم عنها بغائبين﴾[1] يعني في الدنيا ، فان الأمر بالعكس وانها هي الغائبة عنهم وهم فيها من حيث المحل لا من حيث الصّورة .

وقال تعالى :﴿الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً﴾[2] وفي الحديث النبوي (ص) (الذين يشربون في آنية الذهب والفضة إنما يجرجر في بطونهم نار جهنم)[3] .

وفي كلام السّجاد (ع) (اعلموا أنّ من خالف أولياء الله ودان بغير دين الله واستبدّ بامره دون أمر ولي الله كان في نار تلتهب تأكل أبدانا قد غابت عنها أرواحها وغلبت عليها شقوتها ، فهم موتى لا يجدون حر النار ولو كانوا أحياء لوجدوا مضض حر النّار فاعتبروا يا اولى الابصار واحمدوا الله على ما هداكم)[4].

عن الصّادق (ع) ، قال، إن رسول الله (ص) صلّى بالناس الصّبح فنظر إلى شاب في المسجد وهو يخفق ويهوي برأسه مصفرا لونه . نحف جسمه وغارت عيناه في رأسه فقال له رسول الله (ص) كيف اصبحت يا فلان ؟ قال : أصبحت يا رسول الله موقنا ، فعجب رسول الله (ص) من قوله ، وقال : إنّ لكلّ يقينٍ حقيقة فما حقيقه يقينك ؟ فقال : إن يقيني يا رسول الله هو الذي أحزنني وأسهر ليلي وأظمأ هواجري فعزفت نفسي عن الدّنيا وما فيها حتى كأنّي أنظر إلى عرش ربي وقد نصب للحساب وحشر الخلايق لذلك وأنا فيهم وكأني أنظر إلى أهل الجنّة يتنعّمون في الجنّة ويتعارفون على الأرائك متكئون ، وكأني أنظر إلى أهل النار وهم فيها معذّبون مصطرخون ، وكأني الآن أسمع زفير النار يدور في مسامعي .

فقال رسول الله (ص) لأصحابه : هذا عبد نور الله قلبه بالايمان ، ثم قال له : الزم ما أنت عليه فقال الشاب ادع الله لي يا رسول الله أن ارزق الشهادة معك ،فدعا رسول الله (ص) فلم يلبث أن خرج في بعض غزوات النبي (ص) فاستشهد بعد تسعة نفر وكان هو العاشر[5] [6]

---

(١) سورة الانفطار : الآية ١٣ ـ ١٦ (٢) سورة النساء : الآية١٠

(٣) الغوالي : ج٢ص٢١١ح١٣٩ (٤) تحف العقول: ص١٨٣ .

(٥) قال المصنف (قد) في الوافي في شرح الحديث : « الخفقة » بالخاء المعجمة والفاء والقاف تحريك الرأس بسبب النعاس « والهاجرة » اشتداد الحر نصف النهار « والعزوف » عن الشيء الزهد فيه « والاصطراخ » الاستغاثة وهذا التنويز الذي اشير به في الحديث انما يحصل بزيادة الايمان وشدة اليقين فانهما ينتهيان بصاحبهما الى ان يطلع على حقايق الاشياء محسوساتها ومعقولاتها فينكشف له حجبها واستارها فيعرفها بعين

وفي رواية (انه كان حارثة بن مالك بن النعمان الانصاري)[1] .

وقد تبين من هذه الكلمة أن لبدن الانسان وروحه حركة طبيعية ذاتية من لدن نشؤه ووجوده ومبدئه إلى آخر بعثه ولقاء بارئه ومعاده ، وإليه الاشارة بقوله تعالى : ﴿**يا أيها الانسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه**﴾[2] وبقوله عز وجل : ﴿**يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة**﴾[3] إلى قوله : ﴿**وانبتت من كل زوج بهيج ذلك بان الله هو الحقّ وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير وأنّ الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور**﴾[4] إلى غير ذلك من نظايره من الايات .

كلمة

فيها اشارة الى صحايف الاعمال والميزان

كل ما يدركه الانسان بحواسه يرتفع منه اثر إلى روحه ويجتمع في صحيفة ذاته وخزانة مدركاته ، وكذلك كل مثقال ذرّة من خير أو شر يعمله يرى أثره مكتوبا ثمة سيّما ما رسخت بسببه الهيئآت وتأكدت به الصفات وصار خلقا وملكة ، فان ذلك مما يوجب خلود الثواب والعقاب ، فكل انسان نفسه صحيفة أعماله وهو كتاب منطو اليوم عن مشاهدة الابصار ، وإنما ينكشف بالموت ورفع ما توردة الشواغل الحسّية المعبّر عنه بقوله تعالى : ﴿**وإذا الصّحف نشرت**﴾[5] .

فاذا حان حين ذلك وهو يوم تبلى السرائر صار الغيب شهادة والسّر علانية والخبر عيانا فيقال : ﴿**لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد**﴾[6] ، ﴿ **هذا كتابنا ينطق عليكم بالحقّ إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون**﴾[7] .

= اليقين على ما هي عليه من غير وصمة ريب أو شائبة شك فيطمئن لها قلبه ويستريح بها روحه ، وهذه هي الحكمة الحقيقية التي من اوتيها فقد اوتي خيراً كثيراً الخ .

وقال العلامة المجلسي اعلى الله مقامه في البحار على ما في البحار على ما في السفينة : « فعجب رسول الله (ص) » اي تعجب منه لندرة مثل ذلك أو اعجبه وسر به « أسهر ليلي » لحزن الاخرة أو للاستعداد لها أو لحب عبادة الله ومناجاته « عجبا للمحب كيف ينام) والاستناد مجازي اي أسهرني في ليلي وكذا « اظمأ هواجري » أي أظمأني عند المهاجرة وشدة الحر للصوم في الصيف .

(١) الكافي : ج٢ص٥٣ ح٢ (٢) كما في الكافي : ج٢ ص٥٤ح٣
(٣) سورة الانشقاق : الأية٦ (٤) سورة الحج : الأية٥(٥) سورة الحج : الأية ٥ ـ ٧
(٦) سورة التكوير : الأية ١٠ (٧) سورة ق : الأية٢٢ (٨) سورة الجاثية : الأية ٢٩

فمن كـان في غفلة من حساب سـرّه فاذا وقـع بصره على ذلـك والتفت إلى صفحة بـاطنة وصحيفة قلبه يقول : **﴿ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا احصاها﴾** (١)

ثم من كان من أهل السعادة وأصحاب اليمين وكانت معلوماته اموراً قدسيّة واعماله صالحة واخلاقه حسنة فقد اوتي كتابه بيمينه من جهة عليّين ، **﴿إن كتاب الابرار لفي علّيين وما أدريك ما عليّون كتاب مرقوم يشهده المقربون﴾** (٢)، وذلك لأن كتابه من جنس الألـواح العاليـة والصحف المكـرّمة المـرفوعـة المطهـرة بأيـدي سفرة كـرام بـررة ، فليس عليـه سـوى العـرض كمـا قـال سبحـانه : **﴿فـاما من اوتي كتـابه بيمينـه فيقول هـاؤم اقـرؤا كتـابيـه﴾** (٣) إلى قـولـه : **﴿في الأيـام الخالية﴾** (٤).

ومن كان من الأشقياء المردودين وكانت معلوماته مقصـورة على الجرميّـات وأعمالـه خبيثة وأخلاقه سيئة فقد اوتي كتـابه بشمـاله من جهـة سجّين ، **﴿كلا إن كتـاب الفجار لفي سجين ومـا أدريك ما سجين كتاب مرقـوم ويل يـومئذ للمكـذبين﴾** (٥) ، وذلك لأن كتـابه من جنس الأوراق السفلية والصحايف الحسية القابلة للاحراق ، فلا جرم يعذب بالنار كما قال سبحانـه : **﴿وأما من اوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه ولم أدر ما حسابيه﴾** (٦) إلى قولـه : **﴿لا ياكله إلا الخاطؤن﴾** (٧) .

وامّا من اوتي كتابه وراء ظهره فهم الـذين اوتوا الكتـاب فنبذوه وراء ظهـورهم واشتروا بـه ثمنا قليلا فقيل لهم ارجعوا وراءكم فالتمسوا نـورا ؛ فانـه حين نبذه وراء ظهـره ظن أن لن يحور فسـوف يدعـو ثبوراً ويصلى سعيـراً ، وميزان كـل شيء هو المعيـار الـذي يعـرف بـه قـدر ذلـك الشيء(٨) فميـزان يوم القيـامة مـا يوزن بـه قدر كـل انسـان وقيمتـه على حسب عقيـدتـه وخلقـه وعمله ، **﴿لتجزى كل نفس بما كسبت﴾** (٩) .

وليس ذلك إلا الامام المعصوم ، إذ به وباقتفاء آثاره وترك ذلك والقرب عن طريقته والبعد عنها يعرف مقدار الناس وقدر حسناتهم وسيئآتهم ، فميزان كـل امّة نبي تلك الامـة ووصي نبيّها والشريعة التي أتى بها **﴿فمن ثقلت موازينه فاولئـك هم المفلحون ومن خفت مـوازينه فـاولئك**

---

(١) سورة الكهف : الآية ٤٩ (٢) سورة المطففين : الآية ١٨ ـ ٢١ (٣) سورة الحاقة : الآية ١٩

(٤) سورة الحاقة : الآية ٢٤ (٥) سورة المطففين : الآية ٧ ـ ١٠

(٦) سورة الحاقة : الآية ٢٥ ـ ٢٦ (٧) سورة الحاقة : الآية ٣٧

(٨) قد تقدم من المصنف (قد) في الرابعة من التاسعة تفصيل ذلك فراجع . (٩) سورة الجاثية : الآية ٢٢

الذين خسروا انفسهم[1]﴾[2] .

روي عن هشام بن سالم قال :(سألت أبا عبد الله (ع) عن قول الله عز وجل :**﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً﴾**[3]قال : هم الأنبياء والأوصياء)[4] ، وفي رواية اخرى عنهم (ع) (نحن الموازين القسط ليوم القيامة)[5] ، وما ورد انه يوزن به الصّحف فالمراد بالصحف النفوس الانسانية كما دريت ، وما ورد أن له لسانا وكفتين فتمثيل للمعنى بالصورة كما ورد في ساير نظائره .

عن الصادق (ع) انه قيل له :(أوليس توزن الأعمال ؟ قال : لا ، لأن الاعمال ليست أجساما وإنما هي صفة ما عملوا وإنما يحتاج إلى وزن الشيء من جهل عدد الاشياء ولا يعرف ثقلها أو خفتها ، وان الله لا يخفى عليه شيء ، قيل : فما معنى الميزان ؟ قال : العدل قال : فما معناه في كتابه فمن ثقلت موازينه ؟ قال : فمن رجّح عمله)[6] .

عن أمير المؤمنين (ع) (في قوله تعالى :**﴿فأما من ثقلت موازينه . . . ومن خفت موازينه﴾**[7] قال : الحسنات ثقل الميزان والسيئآت خفة الميزان)[8] .

---

(١) قال الطبرسى أعلى الله مقامه في تفسير قوله تعالى : « والوزن يومئذ الحق » من سورة الاعراف ما ملخصه : ذكر فيه اقوال : « احدها » ان الوزن عبارة عن العدل في الاخرة وانه لا ظلم فيها على أحد « وثانيها » ان الله ينصب ميزانا له لسان وكفتان يوم القيامة فتوزن به اعمال العباد « ثالثها » ان المراد بالوزن ظهور مقدار المؤمن في العظم ومقدار الكافر في الذلة فمن اتي بالعمل الصالح الذي يثقل وزنه اي يعظم قدره فقد أفلح ومن اتي بالعمل السيء الذي لا وزن له ولا قيمة فقد خسر

وقال في كيفية الوزن : واختلفوا في كيفية الوزن لان الاعمال اعراض لا تجوز عليها الاعادة ولا يكون لها وزن فقيل : توزن صحايف الاعمال وقيل : تظهر علامات للحسنات وعلامات للسيئآت في الكفتين فتراها الناس وقيل : تظهر للحسنات صورة حسنة وللسيئآت صورة سيئة وقيل : توزن نفس المؤمن والكافر قال : يؤتى بالرجل العظيم جثة فلا يزن جناح بعوضة .

وقال العلامة المجلسي أعلى الله مقامه في آخر كلامه في باب الميزان من البحار : فنحن نؤمن بالميزان ونرد علمه الى محلة القرآن ولا نتكلف علم ما لم يوضح لنا بصريح البيان والله الموفق وعليه التكلان .

(٢) سورة الاعراف : الآية ٨ ـ ٩ وسورة المؤمنون : الآية ١٠٢ ـ ١٠٣

(٣) سورة الانبياء : الآية ٤٧ (٤) معاني الاخبار : ص٣١ح١ (٥) علم اليقين : ج٢ص٩٤٤ .(٦)الاحتجاج:ج٢ص٩٨

(٧) سورة الاعراف : الآية ٨ ـ ٩ وسورة المؤمنون : الآية ١٢٠ ـ ١٠٣

(٨) التوحيد : ص٢٦٨ في الرد على الثنوية . .

كلمة
في المظالم والشفاعة

عن السجاد (ع) (أنه يطرح عن المسلم من سيئآته بقدر ماله على الكافر فيعذب الكافر بها مع عذابه بكفره عذابا بقدر ما للمسلم قبله من مظلمة ، فاذا كانت المظلمة للمسلم عند مسلم يؤخذ للمظلوم من الظالم من حسناته بقدر حق المظلوم فتزاد على حسنات المظلوم ، فان لم يكن للظالم حسنات فان كان للمظلوم سيئآت يؤخذ من سيئآت المظلوم فيزاد على سيئآت الظالم)[1] .

إن قيل : ما معنى طرح السيئآت وأخذ الحسنات والنقايص فيها والزيادات ، وهل هي عبارة إلا عن أعمال وحركات قد انقضت وفنيت وغايتها أن تبقى آثارها في النفوس بعدما ترسخت ولزمت فكيف تنقل من نفس إلى اخرى ؟

قلنا : هذا النقل واقع في الدنيا عند جريان الظلم لكنّه ينكشف في القيامة فيرى الانسان طاعات نفسه في ديوان غيره وما لم ينكشف ذلك له بعد فكأنه ليس بموجود له وإن كان موجوداً في نفسه ، فاذا انكشف له وعلمه صار موجوداً له وكأنه وجد الآن في حقّه .

ثم المنقول ليس نفس الحسنات والسيئآت بل الأثر الذي يترتب عليهما من تنوير القلب وإظلامه ، وإنما عبّر بهما عن الأثر لأنه المقصود والغاية منهما وبين آثارهما تعاقب وتضاد ، ولذلك قال الله تعالى : ﴿إن الحسنات يذهبن السيئآت﴾[2] وفي الحديث النبوي (ص) : (اتبع السيئة بالحسنة تمحها)[3] (والالام تمحيصات للذنوب)[4]، ولذلك قال النبي (ص) : (إن الرّجل ليثاب حتى بالشوكة تصيب رجله)[5] ، وقال : (الحدود كفارات لأهلها)[6] .

فالظالم يتبع شهوته بالظلم وفيه ما يقسى قلبه ويسوده فيمحو أثر النور الذي في قلبه من طاعته وكأنّه أحبط طاعته والمظلوم يتألم وتكسر شهوته ويستنير به قلبه وتفارقه الظلمة والقسوة التي حصلت له من اتباع الشهوات وقد كان قلب الظالم مستنيرا فكانه انتقل النّور من قلب الظالم إلى قلب المظلوم .

وهذا وإن لم يكن نقلا حقيقيا بل هو بطلان أمر من موضع وحدوث مثله في موضع آخر

(١) الكافي : ج٨ص١٠٦ (٢) سورة هود : الاية ١١٤ (٣)احياء علوم الدين : ج ٤ ص ١١ (٤) كما في البحار : ج ٦٤ ص ٢٣٦ وفيه : لا يزال البلاء في المؤمن والمؤمنة في جسده وماله وولده ، حتى يلقى الله وما عليه من خطيئة » وانظر ميزان الحكمة : ج ١ ص ٤٩٠ موضوع « البلاء تمحيصات الذنوب » . (٥) صحيح الترمذي : ج٤ ص١٨١ .
(٦) كما في صحيح مسلم : ج ٣ ص ١٣٣٣

إلا أنّ إطلاق النقل على مثل ذلك استعارة شايعة كما يقال انتقل الظلّ أو نور الشمس من موضع الى موضع أو ولاية القضاء من فلان إلى فلان .

ويقرب من هذا معنى الشفاعة فانها أيضاً إنما تقع في الدّنيا وذلك لأن من استحكم نسبته إلى بعض مقربي حضرة الله في الدنيا لشدة محبته له في الله أو كثرة المواظبة على الاقتداء به أو كثرة الذّكر له بالصّلاة والتسليم عليه ، أو تالمه بفقدانه أو نحو ذلك فانّ ذلك كله يصير سببا لتنوير قلبه وقربه من الله عزّ وجلّ ، وهما بعينهما مغفرة للذّنوب وزيادة في الدّرجات وإنما حصلتا بوسيلة ذلك الشفيع بل بوسيلة قربه من الله عزّ وجلّ وهذا معنى الاذن من الله في الشفاعة فما لم تكن هذه المناسبة لم يتحقق الاذن فلا تحصل الشفاعة .

عن الرضا (ع) قال : (قال رسول الله (ص) : من لم يؤمن بحوضي فلا أورده الله حوضي ، ومن لم يؤمن بشفاعتي فلا أناله شفاعتي ثم قال إنما شفاعتي لاهل الكبائر من امتي ، فامّا المحسنون فما عليهم من سبيل قيل للرّضا (ع) : يا بن رسول الله فما معنى قول الله عزّ وجلّ ﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾[1] قال : لا يشفعون إلا لمن ارتضى الله دينه)[2] .

وعن النبي (ص) (إن من امتي من يدخل الجنّة بشفاعته أكثر من مضر[3])[4] .

كلمة

فيها اشارة الى الصراط والسياق

قد دريت أنّ لكل انسان من ابتداء حدوثه إلى منتهى عمره انتقالات جبلية وحركات

---

(١) سورة الانبياء : الآية ٢٨ (٢) امالي الصدوق : ص١٦ ح٤ وعيون اخبار الرضا : ص١١٢ح٣٥

(٣) قال العلامة المجلسي (قد) في البحار في باب الشفاعة ما ملخصه : قال المحقق الطوسي (قد) والحق صدق الشفاعة فيهما اي لزيادة المنافع واسقاط المضار وثبوت الثاني له (ع) بقوله : ادخرت شفاعتي لاهل الكباير من امتي ، وقال النووي في شرح صحيح مسلم قال القاضي عياض : مذهب اهل السنة جواز الشفاعة عقلا ووجوبها سمعاً بصريح الايات وبخبر الصادق وقد جاءت الاثار التي بلغت بمجموعها التواتر بصحة الشفاعة في الاخرة لمذنبي المؤمنين واجمع السلف الصالح ومن بعدهم من أهل السنة عليها لكن الشفاعة خمسة أقسام « اولها » مختصة بنبينا « ص » وهو الازاحة من هول الموقف وتعجيل الحساب « الثانية » في إدخال قوم الجنة بغير حساب وهذه أيضاً وردت لنبينا (ص) « الثالثة » الشفاعة لقوم استوجبوا النار فيشفع فيهم نبينا (ص) ومن يشاء الله « الرابعة » فيمن دخل النار من المؤمنين وقد جاءت الأحاديث باخراجهم من النار بشفاعة نبيّنا (ص) والملائكة واخوانهم من المؤمنين ثم يخرج الله تعالى كل من قال لا إله إلا الله كما جاء في الحديث لا يبقى فيها الا الكافرون « الخامسة » الشفاعة في زيادة الدرجات في الجنة لأهلها .

(٤) البحار : ج٨ ص٣٤ .

طبيعية ، فلا يزال ينتقل من صورة إلى صورة حتى يتصل بالعـالم العقلي ويلحق بالملأ الأعلى إن ساعده التوفيق وكان من الكاملين ، أو باصحاب اليمين إن كان من المتوسّطين ، أو يحشر مع الشياطين والحشرات في عالم الظلمات إن ولاّه الطبع أو الشيطان وقارنه الخذلان

وهـذا معنى الصراط المستفهم منـه ما إذا سلكـه أوصله إلى الجنة وهـو مـا يشتمـل عليـه الشرع ، وأنك لتهدى إلى صراط مستقيم ، صراط الله ، وهو صراط التوحيد والمعرفـة والتوسط بين الأضداد في الأخلاق والتزام صوالح الأعمال ، وبالجملة صورة الهـدى الذي أنشأه المؤمن لنفسه ما دام في عالم الطبيعة وهو أدق من الشعر ، وأحدّ من السّيف ، وأظلم من الليل كما ورد في الخبـر لا يهتدي إليـه إلا من جعل الله لـه نوراً يمشي بـه في الناس يسعى الناس على أقـدار أنوارهم .

وروي عن الصـادق (ع)(أنه سئـل عن الصراط ، فقـال : هو الـطريق إلى معرفـة الله عز وجلّ وهما صراطان : صراط في الدنيا وصراط في الاخرة ، وأما الصـراط الذي في الـدنيا فهـو الامام المفترض الطاعة من عرفه في الدّنيا واقتدى بهداه مر على الصّراط الـذي هو جسـر جهنم في الاخـرة ومن لم يعـرفـه في الـدّنيـا زلت قـدمــه على الصـراط في الاخـرة فتـردّى في نــار جهنم)[1] .

وعن الزّكي (ع)[2] قال :(الصراط المستقيم صراطان صراط في الدنيا وصراط في الاخرة فأما الطريق المستقيم في الدّنيا فهو ما قصر عن الغلو وارتفع عن التقصير واستقام فلم يعدل إلى شيء من الباطل ، والطريق الاخر طـريق المؤمنين إلى الجنّة وهـو مستقيم لا يعدلـون عن الجنّة إلى النار ولا إلى غير النار سوى الجنّة)[3] .

وعن الصـادق (ع) (الصراط المستقيم أميـر المؤمنين (ع))[4] ، وعنـه (ع) (إن الصّـورة الانسانية هي الطريق المستقيم إلى كل خير والجسر الممدود بين الجنّة والنار) .

أقول فالصّراط والمار عليه شيء واحد في كل خطوة يضع قدمه على رأسه أعني يعمل على مقتضى نور معرفته التي هي بمنزلة رأسه بل ويضع رأسه على قدمـه أي يبني معرفتـه على نتيجة

---

(١) معاني الاخبار : ص ٣٢ح١

(٢) المراد منه هو أبو محمد العسكري (ع) والحديث مذكور في تفسيره كما نقله في الوافي .

(٣) عن تفسير الامام العسكري (ع) كما عن البحار : ج٨ص٦٩ح١٨ وفي معاني الأخبار ص٣٣ح٤

(٤) معاني الاخبار : ص٣٢ص٢

عمله الذي كان بناؤه على المعرفة السابقة حتى يقطع المنازل ويصل إلى الله وإلى الله المصير .

عن الصادق (ع) (أن الناس يمرّون على الصراط طبقات ، والصراط أدق من الشعر وأحدّ من السّيف فمنهم من يمرّ مثل البرق ومنهم من يمرّ مثل عدو الفرس ، ومنهم من يمر حبوا[١] ، ومنهم من يمر مشياً ، ومنهم من يمرّ معلقا قد يأخذ النار منه شيئاً ويترك شيئاً)[٢] ، وروي (أن مرورهم على الصراط على قدر نورهم)[٣] .

وفي خبر آخر (ان الصراط يظهر يوم القيامة للابصار على قدر المارين عليه فيكون دقيقا في حق بعض ، وجليلا في حق آخرين ، وأنهم يعطون نورهم على قدر أعمالهم ، فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل العظيم يسعى بين يديه ، ومنهم من يعطى نوره أصغر من ذلك ومنهم من يعطى نوره مثل النّخلة بيمينه ، ومنهم يعطى نوره أصغر من ذلك حتى يكون أخرهم رجلا يعطى نوره على ابهام قدمه فيضيء مرّة ويطفىء مرة فاذا أضاء قدام قدمه مشى وإذا طفى قام)[٤] .

ولما كان الصراط ممدوداً على النّار فلا بد لكل أحد من ورود النار كما قال سبحانه : ﴿وان منكم إلا واردها كان على ربّك حتما مقضيّا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيّا[٥]﴾[٦] وسئل بعض أئمتنا عن شمول الاية لهم فقال : (جرناها وهي خامدة) .

والسياق عبارة عن تكميل الملائكة النفوس الانسانية باذن الله وقضائه وقدره شيئاً فشيئاً من ابتداء حدوثها إلى أن تبلغ إلى الكمال اللايق بحالها ، فمن يقربها منهم إلى الرحمة والرّضوان فهم ملائكة الرحمة ومن يبعد عن ذلك فهم ملائكة العذاب قال الله عز وجلّ ﴿وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا﴾[٧] الآيات وقال عز وجل : ﴿وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد﴾[٨] ورد سائق يسوقها إلى محشرها وشهيد يشهد عليها بعملها .

---

(١) من حبا الولد أي زحف على يديه وبطنه . (٢) امالي الصدوق : ص١٤٩ ح٤

(٣) مستدرك الحاكم ، ج ٤ ص ٥٩٠ . (٤) مستدرك الحاكم : ج ٤ ص ٥٩٠

(٥) اي على الركب لا يستطيعون القيام بما هم فيه وتلك جلسة المخاصم والمجادل وفي حديث علي (ع) أنا اول من يجثو على الخصومة ، اي يجلس على الركب وأطراف الاصابع عند الحساب ؛ كذا في مجمع البحرين ، وقال في المفردات : جثى على ركبتيه يجثو جثواً وجثيا فهو جاث وجمعه جثي نحو باك وبكي ، وقوله عز وجل : ونذر الظالمين فيها جثيا يصح أن يكون جمعاً نحو بكي وأن يكون مصدراً موصوفاً به .

(٦) سورة مريم : الآية ٧١ ـ ٧٢ (٧) سورة الزمر : الآية ٧١ (٨) سورة ق : الآية ٢١

كلمة

فيها اشارة الى ابواب الجنة والنار

قال المحقق نصير الملة والدين الطوسي قدس سرّه : مشاعر حيواني كه بدان اجزاى عالم ملك ادراك كننه هفت است پنج ظاهر وآن حواس خمس است ودو باطن وآن خيال ووهم سات كه يكى مدرك صور تست وديكر مدرك معانى ، چه مفكره وحافظه وذاكره از مشاعر نيستند بلكه أعوان ايشانند وهر نفس كه متابعت هوا كند وعقل رادر متابعت هوا سمخر كرداند ، أفرأيت من اتخذ الهه هواه ، هريكي از اين مشاعر حيواني سببي باشد از اسباب هلاك او ، وأضله الله على علم تا حالش اين بود كه **﴿فامّا من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي المأوى﴾** .

پس هر يكى از اين مشاعر بمثابه دريدناز درهاى دوزخ ، لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزؤ مقسوم ، واكر عقل كه مدرك عالم ملكوتست ورئيس آن مشاعر رئيس مطاع باشد ونفس راز هواى او منع كندتا بهر يكى از مشاعر مطالعة آيتى از كتاب الهي در عالم خلقى كه ادرا كش بآن مشعر خاص باشد بتقديم رساند ، وبعقل نيز استماع آيات كلام الهى را از عالم امرى تلقى كند بخلاف آن قوم كه ، لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في أصحاب السّعير ، آن مشاعر مشت كانه بمثابة در بهشات باشد **﴿وامّا من خاف مقام ربه ونهى النّفس عن الهوى فان الجنّة هي المأوى﴾** [1] .

وقال بعض أهل المعرفة : وللنار أمثلة جزئية هي طبيعة كل احد وهواه في اولاه واخراه ، وبها أبواب ومشاعر وهي سبعة وهي عين أبواب الجنّة ، فانها على شكل الباب الذي إذا فتح إلى موضع انسدّ به موضع آخر ، فعين غلقه لموضع عين فتحه لمنزل آخر .

وهذه الأبواب مفتوحة على الفريقين أهل النار والجنّة إلا باب القلب فانه مطبوع على أهل النار لا تفتح لهم أبواب السمآء ولا يدخلون الجنّة حتى يلج الجمل في سم الخياط ، لأن صراط الله أدق من الشعر فيحتاج من يسلكه إلى كمال التلطيف والتدقيق وأنى يتيسر للحمقاء الجاهلين خصوصاً مع الاغترار والاستبداد برأيهم من غير تسليم وانقياد ، فابواب الجحيم سبعة وأبواب الجنة ثمانية ، والباب الذي لا يفتح لهم هو في سور باطنه فيه الرّحمة وظاهره من قبله العذاب .

---

(١) سورة النازعات : الآية ٤٠

المقالة الثانية عشر

في البعث والحشر ﴿ثم انكم يوم القيمة تبعثون﴾ المؤمنون / ١٦ .

كلمة

فيها اشارة الى البعث والحشر وفنون الحشر

في تفسير الامام أبي محمّد العسكري (ع) (ان الله ينزل بين نفختي الصّور بعد ما ينفخ النفخة الاولى من دوين السماء من البحر المسجور الذي قال الله : **﴿والبحر المسجور﴾**(١) وهي منيّ كمنيّ الرّجال فيمطر ذلك على الأرض فيلتقي الماء المني مع الأموات البالية فينبتون من الأرض ويحيون)(٢) .

• وروي عن الصادق (ع) (أنه قال إذا أراد الله أن يبعث الخلق أمطر السّماء على الأرض أربعين صباحا فاجتمعت الأوصال ونبتت اللحوم)(٣) .

كانهما (ع) اشارا إلى الاطوار البرزخية التي يتم بها البعث والاعادة المشار إليه بقوله عزّ وجلّ : **﴿لتركبن طبقا عن طبق﴾**(٤) كالاطوار الحمليّة التي للجنين في بطن امّه التي بها يتم الخلق أول مرّة ، ولهذا شبّه بالمني في الحديث الأوّل ، فقس الاخرة بالاولى فما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة قال الله تعالى : **﴿ ياايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة﴾**(٥) إلى قوله : **﴿وان الله يبعث من في القبور(٦)﴾**(٧) .

---

(١) سورة الطور : الآية٦ (٢) عن تفسير الامام العسكري كما في البحار : ج٦ص٣٢٩ح١٣

(٣) امالي الصدوق: ص١٤٩ح٥ (٤) سورة الانشقاق : الآية١٩ (٥) سورة الحج : الآية ٥

(٦) لا يخفى أن المعاد الجسماني مما يجب الاعتقاد به ويكفر منكره ، قال العلامة المجلسي (قد) في الجزء الثالث من البحار : اعلم أن القول بالمعاد الجسماني مما اتفق عليه جميع المليين وهو من ضروريات الدين ، ومنكره خارج عن عداد المسلمين ، والايات الكريمة في ذلك ناصة لا يعقل تأويلها والاخبار فيه متواترة لا يمكن ردها ولا الطعن فيها .

وقال في كيفيته ولنعم ما قال (٧) : الاحوط والاولى التصديق بما تواتر في النصوص وعلم ضرورة من ثبوت الحشر الجسماني وساير ما ورد فيها من خصوصياته ، وعدم الخوض في امثال ذلك اذ لم نكلف بذلك وربما افضى التفكر فيها الى القول بشيء لم يطابق الواقع ولم نكن معذورين في ذلك ؛ والله الموفق للحق والسداد ، في المبدأ والمعاد .

(٨) سورة الحج : الآية٧

قال بعض اهل المعرفة : النفخة نفختان نفخة تطفىء النار ونفخة تشعلها فاذا تهيّأت صور الخلايق كانت قبيلة استعدادها كالحشيش المحترق وهو الاستعداد لقبول الأرواح كاستعداد الحشيش النار التي كمنت فيه لقبول الاشتعال والصور البرزخيّة كالسرج مشتعلة بالأرواح التي فيها فينفخ إسرافيل نفخة واحدة فتمر على تلك الصّور فتطفىء وتمرّ النفخة التي تليها وهي الاخرى على الصور المستعدة للاشتعال وهي النشأة الاخرى فتشتعل بأرواحها فاذا هم قيام ينظرون .

فتقوم تلك الصّور احياء ناطقة بما ينطقها الله ، فمن ناطق بالحمد لله ، ومن ناطق يقول : من بعثنا من مرقدنا ، ومن ناطق بالحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور ، وكل ينطق بحسب علمه وحاله وما كان عليه ونسي حاله في البرزخ ويتخيّل أن ذلك منام كما يتخيّله المستيقظ وقد كان عند موته وانتقاله إلى البرزخ كالمستيقظ هناك وأن الحياة الدنيا كانت له كالمنام ، وفي الاخرة يعتقد أمر الدنيا والبرزخ أنه منام في منام .

وليعلم أن الرّوح الانساني إنّما أوجده الله مدّبراً لصورة طبيعية متبدلة سواء كان في الدّنيا أو في البرزخ أو في الدار الاخرى ، وحيث كان فالصّورة الاولى هي التي اخذ فيها عليه الميثاق ، ثم حشر إلى هذه الصورة الحسيّة الدّنياوية فاذا مات يحشر في صورة اخرى ثم بحشر في الصّورة التي يسأل فيها ، ثم بعد السؤال إلى صورة اخرى في البرزخ ينتقل من طور الى طور ثم يحشر في الصّورة التي يدخل بها الجنّة أو النار .

فاذا دخل الجنّة ورأى فيها من الصور فايّ صورة رآها واستحسنها يحشر فيها ولا يستحسن منها إلاّ ما يناسب صورة التجلي الذي يكون له في المستقبل لأن تلك الصّورة هي كالاستعداد الخاص لذلك التجلي ، ومن هنا يمكنك أن تعرف أنك الآن كذلك تحشر في كل نفس إلى صورة الحال التي أنت عليها ، ولكن يحجبك عن ذلك رؤيتك المعهودة وإن كنت تحسّ بانتقالك في أحوالك ولكن لا تعلم أنها صور لروحك تدخل فيها في كلّ آن وتحشر فيها .

والسرّ فيه أن إدراك الشيء إنما يكون بتصور المدرك بصورة المدرك حين إدراكه له سواء كان بطريق الاحساس أو التخيّل أو التعقل ، وذلك لأن الادراك لا بدّ فيه من نيل المدرك لذات المدرك ، فلو لم يتحدا فينله إما بخروجه من ذاته إلى ان يصل إليه او بادخاله ايّاه في ذاته وكلاهما محال .

مثنوى

اي برادر تو همين انديشهٔ ما بقى تو استخوان وريشهٔ

گـر بـودانـديـشــه ات گـل گـلشـنــى وربـود خــارى تـو هـيـمـه گـلخـنـى
بس تـوآن هـو شى وبـاقى هـوش بـوش خـويشـتن راكـم مـكـن يـاوه مـكـوش

ولله در القائل حافظ

هر دم از روى تو نقشى زندم راه خيال با كه گويم كه در اين پرده چه ها مى بينم

ثم إن حشر الخلايق في الآخرة على أنحاء مختلفة حسب أعمالهم وأخلاقهم، فلقوم على سبيل الوفد ﴿يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفداً﴾(١) ولقوم على سبيل التعذيب ﴿ويوم يحشر أعداء الله الى النار فهم يوزعون﴾(٢) ولقوم ﴿﴿نحشر المجرمين يومئذ زرقا﴾(٣) ولقوم ﴿ونحشره يوم القيمة أعمى﴾(٤)

وبالجملة لكلّ أحد إلى غاية سعيه وعمله وما يحبه حتى أنه لو احب حجراً لحشر معه ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم﴾(٥) فان تكرّر الأفاعيل يوجب الملكات، فكل ملكة يغلب على الانسان في الدّنيا يتصور في الاخرة بصورة يناسبها ﴿قل كل يعمل على شاكلته﴾(٦) ولا شك أن أفاعيل الاشقياء المدبرين إنما هي بحسب هممهم القاصرة النازلة في مراتب البرازخ الحيوانية وتصوراتهم مقصورة على أغراض بهيمية أو سبعيّة أو شيطانية تغلب على نفوسهم، فلا جرم يحشرون على صور تلك الحيوانات ﴿ وإذا الوحوش حشرت﴾(٧).

وفي الحديث النبوي (ص) (يحشر بعض الناس على صور يحسن عندها القردة والخنازير)(٨) (وفيه أيضاً يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف ركبانا، ومشاتا، وعلى وجوههم)(٩).

والسّر في ذلك أنّ لكل خلق من الاخلاق المذمومة والهيئآت الردّية المتمكنة في النفس صورة نوع من أنواع الحيوانات وبدن يختص بذلك كصور ابدان الاسود ونحوها لخلق التكبر والتهور مثلا، وأبدان الثعالب وأمثالها للخبث والروغان(١٠)، وأبدان القرد ونحوها للمحاكات والسخرية، والخنازير للحرص والشهوة إلى غير ذلك.

وربما كان لشخص واحد من الانسان عدد كثير من الأخلاق الردّية على مراتب متفاوتة فبحسب ذلك تخلف الصور الحيوانية في الاخرة قال الله عز وجلّ: ﴿شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون﴾(١١).

---

(١) سورة مريم : الآية ٨٥. (٢) سورة فصلت : الآية ١٩. (٣) سورة طه : الآية ١٠٢ (٤) سورة طه : الآية ١٢٤.
(٥) سورة الانبياء : الآية ٩٨. (٦) سورة الاسراء : الآية ٨٤. (٧) سورة التكوير : الآية ٥.
(٨) لئالي الاخبار : ج ٥ ص ١٠٦. (٩) احياء علوم الدين : ج ٤ ص ٤٦٧.
(١٠) راغ روغانا الصيد : ذهب ههنا وههنا . الرجل عن الطريق ؛ حاد عنه وذهب هكذا وهكذا مكراً وخديعة ، راوغه صارعه وخادعه . المنجد . (١١) سورة فصلت : الآية ٢٠

كلمة

فيها اشارة الى القيامة ومواقفها وشأن اهلها

عن الصادق (ع) قال في حديث (فحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا عليها ، فان للقيامة خمسين موقفا كل موقف مقام ألف سنة ثم تلا : **﴿في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾**(١))(٢) وسئل رسول الله (ص) عن طول ذلك اليوم فقال : (والذي نفسي بيده إنه ليخفّ على المؤمن حتى يكون أهون عليه من الصّلاة المكتوبة يصليها في الدّنيا)(٣) .

عن أمير المؤمنين (ع) (إذا كان يوم القيامة بعث الله تعالى الناس من حفرهم عزلا بهما جرداً مرداً(٤) في صعيد واحد يسوقهم النّور وتجمعهم الظلمة حتى يقفوا على عقبة في المحشر فيركب بعضهم بعضا ويزدحمون دونها فيمنعون من المضي فيشتدّ أنفاسهم ويكثر عرقهم ويضيق بهم امورهم ويشتدّ ضجيجهم ويرتفع أصواتهم)(٥) الحديث .

وعن الصادق (ع) (مثل الناس يوم القيامة إذا قاموا لربّ العالمين مثل السهم في القرب ليس له من الأرض إلا موضع قدمه كالسّهم في الكنانة(٦) لا يقدر أن يزول ههنا ولا ههنا)(٧) .

وفي كتاب الحسين بن سعيد الأهوازي عن الباقر (ع) (إذا كان يوم القيامة وحاسب الله عبده المؤمن أوقفه على ذنوبه ذنبا ذنباً ثم غفرها له لا يطلع على ذلك ملكا مقربا ولا نبيّا مرسلا)(٧) .

قال بعض أهل المعرفة إذا مات الخلايق كلهم على اختلاف أنواع موتهم وفنون فنائهم وأصناف هلاكهم على حسب مراتبهم وتوجّهاتهم إلى ما فوقهم وحركاتهم إلى غاياتهم ووصولاتهم إلى نهاياتهم ورجوع كل إلى أصله من الاملاك والافلاك والأرواح والنفوس ، واجتمعوا جميعاً على صعيد واحد دفعة واحدة بالنفخة الاسرافيلية كما قال سبحانه : **﴿ان كانت إلا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون﴾**(٩) .

فعند ذلك قامت القيامة الكبرى وظهر نور الأنوار وانكشف ضوؤه الحقيقي وتجلى جمال

---

(١) سورة المعارج : الايه٤ (٢) الكافي : ج٨ص١٤٣ح١٠٨ (٣) مجمع الزوائد: ج١٠ ص٣٣٧ .
(٤) قال المصنف (قد) في الشافي : « عزلا » لاسلاح لهم « بهماً » ليس معهم شيء « جرداً » لاثياب معهم « مرداً » ليس لهم لحية ، وهذه كلها كناية عن تجردهم عما يباينهم ويغطيهم ويخفي حقايقهم مما كان معهم في الدنيا . (٥) الكافي : ج ٨ ص ١٠٤ ح ٧٩ . (٦) كنانة السهام بالكسر جعبة من جلد لاخشب فيها أو بالعكس ق . (٧) الكافي : ج ٨ ص ١٤٣ ح ١١٠ . (٨) روضة الواعظين : ص ٥٠٢ . (٩) سورة يسَ : الآية ٥٣

الأحدّية ولم يبق لأنولر الكواكب عنده ظهور فهي مطموسة الأنوار مطوية السّماوات بيمين الحقّ **﴿يوم نطوي السماء كطيّ السجلّ للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده﴾**[1] فالتحق كل فرع إلى أصله وكل مستفيض مع مفيضه وكل مستنير مع المنير وجمع الشمس والقمر واتّحدت النفوس بالارواح وزالت المباينة بين الارواح والاشباح ورجعت السّماوات والارض إلى ما كانتا عليه قبل انفتاقهما من الرتق فعادتا إلى مقام الجمعيّة المعنوية من هذه التفرقة الطبيعية .

وكذا العناصر كلها تنقلب ناراً واحدة غير هذه النار الاسطقسيّة وتصير الهيولى كلها بحراً مسجوراً ويتصل البرّ بالبحر ويتحد الفوق والتحت وانشقت السماء وانتشرت النجوم وتزول الابعاد والاحجام ويرتفع الحواجز والحوايل ويتحد ذو النور مع النّور والفعل بالفاعل فلم يبق من القوى والحواس تأثر ولا للمحسوس بما هو محسوس عين ولا أثر .

﴿لا يرون فيها شمساً ولا زمهريرا﴾[2] **﴿وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة﴾**[3] وتشاهد الجبال كالعهن المنفوش لضعف وجودها ، ثم تنسف نسفاً **﴿فيذرها قاعاً صفصفا لا ترى فيها عوجاً ولا أمتا﴾**[4][5] وتبدّل الارض غير الارض فتمدّ مدّ الاديم وتبسط على قدر تسع الخلايق كلها وبرزوا لله الواحد القهار والمتخلصون عند ذلك عن البرازخ يتوجهون إلى الحضرة الربوبية **﴿فاذا هم من الاجداث الى ربّهم ينسلون﴾**[6] فعدمت عند ذلك الآجال وزالت السّنون والساعات ، ولا يبقى إلا الواحد القهّار الذي إليه مصير جميع الامور بلا وقت ولا زمان ولا حيّز ولا مكان .

فلا قبل يومئذ ولا بعد ولا هنا ولا هنالك ولا ستر ولا حجاب لان ذلك من لوازم الزمان المقتضي للتغيّر والمكان الموجب للتكثّر فاذا ارتفعا ارتفع الحجاب وجمع الخلايق دفعة واحدة كلمح البصر أو هو اقرب في أوسع مكان ذلك يوم مجموع له النّاس وذلك يوم مشهود ، مع أنه يوم الفصل لامتياز الحق من الباطل فيه بخلاف الدنيا لتشابههما فيها يوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون ، ليميز الله الخبيث من الطيّب ، وهذا الفصل يقتضي ذلك الجمع ، هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين .

---

(١) سورة الانبياء : الآية ١٠٤ . (٢) سورة الانسان : الآية ١٣ (٣) سورة الحاقة : الآية ١٤ (٤) سورة طه : الآية ١٠٦ ـ ١٠٧

(٥) قال الطبرسي (قد) في تفسير آية : ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا « الخ » أي ويسألك منكر والبعث عند ذكر القيامة « عن الجبال » ما حالها « فقل » يا محمد « ينسفها ربي نسفاً » أي يجعلها بمنزلة الرمل ثم يرسل عليها الرياح فيذريها كتذرية الطعام من القشور والتراب فلا يبقى على وجه الارض منها شيء « فيذرها » أي فيدع أماكنها من الارض اذا نسفها « قاعاً » أي أرضاً ملساء « صفصفاً » أي أرضاً مستوية ليس للجبل فيها أثر « لا ترى فيها عوجا ولا أمتاً » أي ليس فيها منخفض ولا مرتفع ، قال الحسن : العوج ما انخفض من الأرض والامت ما ارتفع من الروابي وقيل : لا ترى فيها واديا ولا رابية . (٦) سورة يس : الآية ٥١ .

ومن اطلق الله حقيقته عن قيد الزمان والمكان يعرف أن مجموع الزمان وما يطابقه كساعة واحدة هي شأن واحد من شؤون الله مشتمل على شؤون التجلّيات الواقعة كل يوم وساعة إذ كل يوم هو في شأن ، ولا يشغله شأن عن شان مع أنه من جهة المخلوقات واختلاف قوابلها واستعداداتها مقداره خمسون ألف سنة .

وكذا مجموع الامكنة الواقعة في كل وقت وآن كنقطة يشتمل على الجميع فكما اتصلت الانات في نظر شهوده واتصلت الامكنة التي في كل آن فعلى هذا القياس اتصلت الأرض الموجودة له الآن مع الأراضي الموجودة في الازال والاباد وهكذا تصير الاراضي كلها ارضا واحدة فيها الخلايق كلها ووضع الكتاب وجيء بالنبيّين والشهداء وقضي بينهم بالحقّ ويثابون ويعاقبون .

والذين اتخذت آخرتهم بدنياهم في دار الدّنيا كما أخبر عنه أمير المؤمنين (ع) بقوله :(لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً)[1] فثوابهم عين عملهم أعبد الله لا لرغبة ولا لرهبة بل لأنه أهل لأن يعبد وإني أهل لأن أعبد فلا انتظار لهم للقيامة والبعث والثواب ، بل هم عين القيامة والبعث والثواب ههنا ،(بعثت أنا والساعة كهاتين)[2] ، وجمع بين سبّابتيه بل هم في الجنّة من حيث المحل وإن لم يكونوا فيها من حيث الصورة عالمين بها وذلك لقيامهم بذواتهم الفانية عن أنفسهم الباقية بالحق تعالى شانه .

مثنوى

زادهٔ ثانيست أحمد در جهان صد قيامت بود او اندر عيان
زو قيامت را همى پرسيده اند كى قيامت تا قيامت راه چند
با زبان حال ميگفتى بسى كه زمحشر حشررا پرسد كسى
بهرآن گفت آن رسول خوش پيام رمز موتوا قبل موت يا كرام
همچنا نكه مرده ام من قبل موت زان طرف آورده ام اين صيت وصوت
پس قيامت شو قيامت را ببين ديدن هر چيز را شر طست اين

وأما أهل الحجاب والارتياب فلا يمكنهم الجمع بين المعرفة بطي السماوات وما يتبعها من الازمنة والحركات يوم القيامة وبين المعرفة بنشرها ههنا والعجب أنهم كما لم يؤمنوا بذلك الطي في هذه الدّنيا لاشتغالهم بأحوال الدنيا فكذلك إذا بعثوا في الآخرة أنكروا زمان مكثهم في الدنيا ونشر الحركات فيها لاشتغالهم بأهوال القيامة كما قال الله عز وجلّ : ﴿ويوم تقوم الساعة

(١) غرر الحكم : ص٣٩١ح٧٦٥٠ (ط . الوفاء)
(٢) صحيح مسلم : ج٤ ص٢٢٦٩ ح١٣٥ ونوادر الراوندي : ص٣٦ح٣ث . البلاغ . (ط . البلاغ) .

يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون ، وقال الذين اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون﴾[1] .

ومما ينبّه على بعض ما ذكر ما في تفسير علي بن إبراهيم (عن أبي الحسن الرضا (ع) قال : إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله تجريان بامره مطيعان له ضوؤهما من نور عرشه وحرّهما من جهنم وإذا كانت القيامة عاد الى العرش نورهما وعاد إلى النار حرّهما فلا يكون شمس ولا قمر)[2] .

كلمة

فيها اشارة الى ميراث الدرجات والدركات وتبديل السيئات والحسنات

قال بعض أهل المعرفة : إن درجات الجنة على عدد دركات النار فما من درج في الجنة إلا يقابله درك من النار ، وذلك ان الانسان لا يخلو إلا أن يعمل بأمر أولا يعمل ، فان عمل كان له في الجنّة درجة معينة لذلك العمل الخاص وفي موازنة هذه الدّرجة المخصوصة لهذا العمل الخاص إذا تركه الانسان درك في النّار لو سقطت حصاة من تلك الدّرجة لوقعت على خط استواء على ذلك الدّرك ، فاذا سقط الانسان من العمل بما امر فلم يعمل كان ذلك الترك لذلك العمل عين سقوطه إلى ذلك الدّرك .

قال الله تعالى : **﴿فاطلع فرآه في سوآء الجحيم﴾**[1] فان الاطلاع على الشيء إنما يكون من أعلى إلى أسفل والسواء حدّ الموازنة على الاعتدال فما رآه إلا في ذلك الدّرك الذي في موازنة درجته ، فان العمل الذي نال به هذا الرّجل تلك الدرجة تركه هذا الرّجل الاخر الذي كان قرينه في الدّنيا بعينه ، فانظر هذا العدل الالهي ما أحسنه .

ولما كان الموحّد منعه التوحيد ان يكون من أهل النار ، والمشرك قطع به الشرك من دار الكرامة ، فان الجنّة خير لا شر فيها ، فجميع جزاء علم المشرك وعمله وقوله الذي لو كان موحّداً جوزي عليه في الجنّة بحسبه يعطي للموحّد الجاهل بذلك العلم المفرط في ذلك العمل التارك لذلك القول .

وجميع جزاء جهل الموحّد وتفريطه وتركه لذلك القول الذي لو كان مشركا لحصل له في النار يعطي لذلك المشرك الذى لا حظ له في الجنة .

---

(١) سورة الروم : الآية٥٥ ـ ٥٦ (٢) تفسير القمي : ج٢ص٣٤٣ (١) سورة الصافات : الآية٥٥

فاذا رأى المشرك ما كان يستحقه لو كـان سعيداً يقـول : يا ربِّ هـذا لي وهو جـزاء عملي فيقول الله تعالى قد جازيتك على ذلك كله بما أنعمت به عليك من كذا وكـذا فيقرر عليـه جميع ما أنعمه عليه في الدّنيا جزاء لمكارم أخلاقه والقول بهـا والتحريص عليهـا والعلم بمواقعهـا دون نعمه الممتنة عليه في خلقه المبتدأة التي ليست بجزاء فيزنها المشـرك هنالـك بما كشف الله لـه من علم الموازنة فيقول : صدقت فيقول الله تعالى له فما نقضت لـك من جزائـك شيئاً والشـرك قطع بك من دخول دار الكرامة فتزلّ « فتنزل خ » فيها على مـوازنة هـذه الأعمال ولكن انـزل من النار على دركات من نزل على درجات تلك الأعمال فان صاحبها منعه التوحيد أن يكون من أهل هذه الدار فهذا هو من الميراث الذي بين أهل الجنة والنار .

أقول : أشار بالميراث الـذي بين الفريقين إلى مـا ورد في الآيات والأخبـار فقد روي عن النبيّ (ص) (في قوله سبحانه : ﴿اولئك هم الوارثون الذين يـرثون الفـردوس[1]﴾[2] قال : مـا منكم إلا ولـه منزلان منـزل في الجنّة ومنـزل في النار فـان مات ودخـل النـار ورث أهـل الجنـة منزله)[3] .

إن قيل : كيف يعطى المشرك جزاء معصية الموحّد ويعطى الموحّد جزاء طاعة المشرك ؟ وكيف هذا يليق بالعدل ؟

قلنـا : ذلك لأن المشـرك بحسب مقتضى طينته الخبيثـة إنمـا يحنّ وينـزع إلى المعـاصي بـطبعه وسجيّتـه وضميره معقـود على فعلها دائمـا إن تيسّر لـه لأنه من أهلهـا كما قـال الله تعالى فيهم : ولـو ردّوا لعادوا لمـا نهوا عنـه ، والأعمال الحسنـة غريبـة منه ليس صـدورهـا من طينتـه الأصلية .

وهذا بخلاف المؤمن فانه بحسب مقتضى طينته الطيبـة إنما يـرتكب القبيح بكـره من عقله ووجل من قلبه وخوف من ربه لأن صدوره منه غـريب من سجيّته وطبعـه الأصلي إذ ليس هو من أهله ولهذا لا يعاقب عليه بل يثاب بما لم يفعـل من الخيرات لحنينـه إليها وحـرصه عليهـا وعقد ضميره على فعلها دائماً إن تيسّر له فان الأعمال بالنيات وإنما لكل امرء ما نوى وإنما ينوي كلما

---

(١) الفردوس اسم من أسماء الجنة ؛ وقيل هو اسم لرياض الجنة ، وقيل هو جنة مخصوصة ، وقال الجبائي معنى الوراثة هنا ان الجنة ونعيمها يؤول إليهم من غير اكتساب كما يؤول المال الى الوارث من غير اكتساب . مجمع البيان « اقول » وأورد « ره » قبل هذا بقليل ما رواه المصنف (قد) في المتن عن النبي (ص) .

(٢) سورة المؤمنون : الآية ١٠ ـ ١١ (٣) سنده ابن ماجة : ج٢ص١٤٥٣ح٤٣٤١

يناسب طينته الأصلية ويقتضيه جبلّته التي خلق عليها قال الله تعالى : **﴿قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو اهدى سبيلا﴾** (١) .

وفي الحديث المعصومي (إنما يجمع الناس الرضا والسخط)(٢) فمن رضي شيئاً فكأنما أتى به وإن لم يفعله ، ومن سخط شيئاً فكأنما لم يأت به وإن فعله ، وكما يجازى المشرك بحسناته في الدّنيا بالنعم الدنيوية كذلك الموحّد يجازى بسيّئآته في الدنيا بما يصيبه من الآلام فيها ، ثم بتشديد الموت عليه ، ثم بعذاب البرزخ إن بقي من الجزاء بقية حتى يلقى الله طاهراً مطهّراً كما ورد في الايات والاخبار .

حافظ

هست اميدم كه على رغم عدو روز جزاء فيض عفوش ننهد بار گنه بر دوشم

ويدلّ على ما ذكرناه كله ما رويناه عن أبي إسحاق الليثي عن الباقر (ع) في حديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة قال « اعلم خ » : (ان الله عز وجل خلق أرضا طيبة طاهرة وفجّر فيها ماء عذبا زلالا فراتاً سائغاً ، فعرض عليها ولايتنا أهل البيت فقبلها فاجرى عليها ذلك الماء سبعة أيام ثم نضب(٣) عنها ذلك الماء بعد السابع فأخذ من صفوة ذلك الطين طيناً فجعله طين الائمة (ع) ، ثم أخذ جلّ جلاله ثقل ذلك الطين فخلق منه شيعتنا ومحبّونا من فضل طينتنا ، فلو ترك طينتكم يا إبراهيم كما ترك طينتنا لكنتم أنتم ونحن سواء .

قلت : يابن رسول الله ما صنع بطينتنا ؟ قال : مزج طينتكم ولم يمزج طينتنا .

قلت : يابن رسول الله وبما مزج طينتنا ؟ قال (ع) : خلق الله عزّ وجلّ أيضاً أرضاً سبخة خبيثة منتنة وفجر فيها ماء اجاجاً مالحاً آسناً(٢) ثم عرض عليها جلت عظمته ولاية أمير المؤمنين صلوات الله عليه فلم يقبلها ، وأجرى ذلك الماء عليها سبعة أيام ثم نضب ذلك الماء عنها ثم أخذ من كدورة ذلك الطين المنتن الخبيث وخلق منه أئمة الكفر والطغاة والفجرة ، ثم عمد إلى بقية ذلك الطين فمزجه بطينتكم ولو ترك طينتهم على حاله ولم يمزج بطينتكم ما عملوا أبداً عملا صالحاً ولا أدوا أمانة إلى أحد ولا شهدوا الشهادتين ولا صاموا ولا صلوا ولا زكوا ولا حجّوا ولا شبهوكم في الصّورة أيضاً .

---

(١) سورة الاسراء : الآية ٨٤ (٢) نهج البلاغة : ص٣١٩ خطبة ٢٠١ (٣) اي نزح ماؤها ونشف

(٤) يقال : اسن الماء يأسن اذا تغير ريحه تغيرا منكرا . المفردات .

يا إبراهيم ليس شيء أعظم على المؤمن ان يرى صورة حسنة في عدوّ من أعداء الله عز وجلّ ، والمؤمن لا يعلم أن تلك الصّورة من طين المؤمن ومزاجه .

يا إبراهيم ثم مزج الطينتان بالماء الاول والماء الثاني فما تراه من شيعتنا ومحبّينا من رباً وزنا ولواطة وخيانة وشرب خمر وترك صلاة وصيام وزكاة وحج وجهاد فهي كلها من عدونا الناصب وسنخه ومزاجه الذي مزج بطينته ، وما رأيته من هذا العدو الناصب من الزهد والعبادة والمواظبة على الصّلاة وأداء الزكاة والصوم والحج والجهاد وأعمال البر والخير فذلك كله من طين المؤمن وسنخه ومزاجه ، فاذا عرض أعمال المؤمن وأعمال الناصب على الله يقول الله عزّ وجلّ أنا عدل لا أجور ومنصف لا أظلم ، وعزتي وجلالي وارتفاع مكاني ما اظلم مؤمناً بذنب مرتكب من سنخ الناصب وطينته ومزاجه ، هذه الأعمال الصالحة كلها من طين المؤمن ومزاجه والأعمال الردّية التي كانت من المؤمن من طين العدوّ الناصب ويلزم الله تعالى كل واحد منهم ما هو من أصله وجوهره وطينته ، وهو أعلم بعباده من الخلايق كلهم أفترى ههنا يا إبراهيم ظلماً وجوراً وعدواناً ثم قرأ (ع) : ﴿**معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده إنا إذاً لظالمون**﴾[1] .

يا إبراهيم إن الشمس إذا طلعت وبدا شعاعها في البلدان كلها أهو باين من القرصة أم هو متّصل بها شعاعها يبلغ في الدنيا في المشرق والمغرب حتى إذا غابت يعود الشعاع ويرجع إليها أليس ذلك كذلك ؟ قلت : بلى يابن رسول الله ، قال : فكذلك كل يرجع إلى اصله وجوهره وعنصره .

فإذا كان يوم القيامة ينزع الله تعالى من العدوّ الناصب سنخ المؤمن ومزاجه وطينته وجوهرهَ وعنصره مع جميع أعماله الصالحة ويردّه إلى المؤمن ، وينزع الله تعالى من المؤمن من سنخ الناصب ومزاجه وطينته وعنصره مع جميع أعماله السيئة الردية ويردّه إلى الناصب عدلا منه جلّ جلاله وتقدست أسماؤه ويقول للناصب لا ظلم عليك هذه الأعمال الخبيثة من طينتك ومزاجك وأنت اولى بها ، وهذه الأعمال الصّالحة من طين المؤمن ومزاجه وهو اولى بها اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب أفترى ههنا ظلما وجورا ؟ قلت : لا يابن رسول الله بل أرى حكمة بالغة فاضلة وعدلا بيّنا واضحاً .

ثم قال (ع) : أزيدك بياناً في هذا المعنى من القرآن ؟ قلت : بلى يابن رسول الله ، قال (ع) : أليس الله عزّ وجلّ يقول : ﴿**الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين**

(١) سورة يوسف : الآية ٧٩

والطّيبون للطيبات اولئك مبرؤن ممّا يقولون لهم مغفرة ورزق كريم﴾[1] وقال عز وجلّ : ﴿والذين كفروا إلى جهنّم يحشرون ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعاً فيجعله في جهنم اولئك هم الخاسرون﴾[2] قلت : سبحان الله العظيم ما أوضح ذلك لمن فهمه وما أعمى قلوب هذا الخلق المنكوس عن معرفته .

ثم قال (ع) بعد كلام من هذا القبيل : يا إبراهيم أزيدك في هذا المعنى من القرآن ؟ قلت بلى يابن رسول الله قال (ع) : قال الله تعالى : ﴿يبدل الله سيئآتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً﴾[3] يبدّل الله سيّئآت شيعتنا حسنات وحسنات أعدائنا سيئآت يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد لا معقب لحكمه ولا رادّ لقضائه لا يُسأل عمّا يفعل وهم يسألوني ، هذا يا إبراهيم من باطن علم الله المكنون ومن سرّه المخزون)[4] .

وفي تفسير أبي محمّد العسكري عن الصادق (ع) في حديث طويل (إن المؤمن يوقف بازائه ما بين مأة وأكثر من ذلك إلى مأة ألف من النّصاب فيقال له : هؤلاء فداؤك من النار فيدخل هؤلاء المؤمنون إلى الجنّة واولئك النصاب إلى النار)[5]

كلمة
فيها اشارة الى الجنة والنار

الجنة جنتان جنة روحانية للمقرّبين ، وهي إنما تنشأ من العلوم الحقّة والمعارف اليقينية

---

(١) سورة النور : الآية ٢٦ (٢) سورة الانفال : الآية ٣٦ ـ ٣٧ (٣) سورة الفرقان : الآية ٧٠

(٤) هذا الحديث بطوله نقله العلامة المجلسي أعلا الله مقامه في الجزء الثالث من البحار في باب الطينة والميثاق عن كتاب علل الشرايع وقال في آخره : ثم اعلم ان هذا الخبرو امثاله مما يصعب على القلوب فهمه وعلى العقول ادراكه ويمكن أن يكون كناية عما علم الله تعالى وقدره من اختلاط المؤمن والكافر واستيلاء أئمة الجور وأتباعهم على أئمة الحق وأتباعهم ، وعلم أن المؤمنين انما يرتكبون الآثام لاستيلاء أهل الباطل عليهم وعدم تولي أئمة الحق بسياستهم فيعذرهم بذلك ويعفو عنهم ويعذب أئمة الجور وأتباعهم بتسبيبهم لجرائم من خالطهم مع ما يستحقون من جرائم أنفسهم .

« اقول » وكم من اختلاف في الفاظ الحديث بين ما نقله المصنف (قد) هنا وما نقله المجلسي (ره) في البحار وقال المصنف في الوافي في باب طينة المؤمن والكافر : وقد اطلعت على حديث مبسوط في الطينات وبدء الخلايق جامع لاكثر مقاصدهما تأبى نفسي الا ايراده في هذا المقلم لتضمنه فوايد جمة ولايضاحه لمهمات هذا الباب ، ثم يورد الحديث بطوله ويقول في آخره : وهذا الحديث رواه الصدوق طيب الله ثراه أيضاً في علل الشرايع على اختلاف ألفاظه ، فعلم من ذلك أن مصدر المصنف غير مصدر البحار والاختلاف نشأ من هذا .وفي تفسير نور الثقلين : ج٤ ص٣٨ . (٦) عن تفسير الامام العسكري (ع) كما عن البحار : ج٨ ص٤٤ ح٤٥ .

الحاصلة للانسان ههنا ، فان المعرفة في هذه الدنيا بذر المشاهدة في الاخرة واللذة الكاملة موقوفة على المشاهدة فان الوجود لذيذ وكماله ألذّ فالمعارف التي هي مقتضى طباع القوة العاقلة من العلم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الأخر إذا صارت مشاهدة للنفس كانت لها لذة لا يدرك الوصف كنهها ، ولذا ورد في الحديث (لا عيش إلا عيش الآخرة)[1] .

عن الصادق (ع) (لو يعلم الناس ما في فضل معرفة الله تعالى ما مدوا أعينهم إلى ما متع به الأعداء من زهرة[2] الحياة الدنيا ونعيمها ، وكانت دنياهم أقل عندهم ممّا يطأونه بأرجلهم ولنعموا بمعرفة الله وتلذذوا بها تلذذ من لم يزل في روضات الجنان مع أولياء الله)[3] .

عن نصر بن قابوس (قال : سألت أبا عبد الله (ع) عن قول الله عز وجل : ﴿**وظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة**﴾[4] قال : يا نصر والله ليس حيث ما يذهب النّاس إنما هو العالم وما يخرج منه)[5] .

وجنة جسمانية لهم أيضاً ولأصحاب اليمين وهي إنما تنشأ من الأخلاق الفاضلة والأقوال الصادقة والأعمال الصّالحة بابداع النفس الانسانية المتصفة بها الصّور الملذة من الحور والقصور والغلمان واللؤلؤ والياقوت والمرجان في عالمها وصقعها .

فان للنفس اقتداراً على ذلك باذن الله تعالى ولكنها ما دامت في هذه النشأة لا يترتب عليها آثارها لضعفها واشتغالها بالمحسوسات فاذا قويت وصفت وزالت الشواغل وانحصرت القوى كلها في قوة واحدة ذات تخيّل حتى صارت عينا باصرة للنفس ،وقدرة فعّالة لها وانقلب العلم مشاهدة فلا يخطر بالبال شيء تميل إليه النفس إلا ويوجد بالحال باذن الله تعالى أي يوجد بحيث يراه رؤية عيان ويحس به إحساساً قوياً لا أقوى منه .

وإليه الاشارة بقوله (ص) : (إنّ في الجنة سوقا يباع فيه الصّور)[6] ، والسّوق عبارة عن اللّطف الالهي الذي هو منبع القدرة على اختلاف الصور بحسب المشية ونيلها بالحسن .

وفي الحديث القدسي (يابن آدم خلقتك للبقاء وأنا حي لا أموت أطعني فيما أمرتك به

---

(١) احياء علوم الدين : ج٤ص٩٧

(٢) الزهرة : البهجة والنضارة « الوافي » وفيه بعد قوله : (ع) اولياء الله هكذا ان معرفة الله انس من كل وحشة ، وصاحب من كل وحدة ؛ ونور من كل ظلمة ، وقوة من كل ضعف ، وشفاء من كل سقم « الخ » (٣) الكافي : ج٨ص٢٤٧ح٣٤٧ (٤) سورة الواقعة : الآية ٣١ (٥) بصائر الدرجات : ص٥٢٥ح٣ (٦) جامع الاخبار : ص ١٧٠

وانته عما نهيتك عنه أجعلك مثلي حيّا لا تموت ، أنا الذي أقول لشيء كن فيكون أطعني فيما أمرتك به أجعلك مثلي إذا قلت لشيء كن فيكون)[1]، فلا يقول أحد من أهل الجنة لشيء كن إلا ويكون ، وفيه (أعددت لعبادي الصّالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر)[2] ، وفي القرآن : **﴿فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون﴾**[3] .

والنار ناران : نار روحانية تطلع على الأفئدة للمنافقين والمتكبرين والمكذبين وهي إنما تنشأ بوسيلة عالم العقل بسبب فقدان المعارف والكمالات العقلية إما بانكارها وجحودها أو بالحرمان عنها بعد إدراكها والشوق إليها بحسب حصول أضدادها بالجهل المركب وفقدان القوة الهيولانية وحصول فعليّة الشيطنة والاعوجاج ورسوخ العقايد الباطلة في الوهم وهي مؤلمة جداً واما النقص بحسب الغريزة فلا الم بسببه بل هي بمنزلة الموت والزمانة في الأعضاء من غير شعور بمولم وكلاهما مشتركان في عدم الانجبار في الاخرة إلا أن البلاهة أدنى إلى الخلاص من فطانة تبرّء ، « بتراء خ » فالعذاب لهؤلاء عظيم ولاولئك أليم .

ونار محسوسة لهم ولأهل الكباير على قدر أعمالهم وهي إنّما تنشأ بتبعيّة هذه النشأة الدنياوية بسبب فقدان متاعها بعد حصول الالف له والتعلق به والاخلاد إليه وارتكاب الأعمال السّيئة والأقوال الكاذبة والأخلاق الردّية فان النفس بسبب ذلك تنشيء في عالمها صور مؤذية مناسبة لها من الحيات والعقارب والسّموم واليحموم وغيرها فتأذى بها ولا تقدر على عدم إنشائها .

كما أنها إذا أصابتها في الدّنيا مصيبة فكلما يخطر ببالها اغتمت بها وتأذّت ولا يمكنها أن تخطرها ولكنها في الدّنيا تغفل عنها إحيانا بسبب الشواغل بخلاف الآخرة فانّها لا تغفل عنها لعدم الشاغل وصفاء المحل وقوته وصيرورة القوى كلها قوة واحدة ذات تخيّل فلا يزال يريد مالا يجده ويشتهي ما يضرّه ويفعل ما يكره ويختار ما يعذبه ويهرب عمّا يصحبه قائلا : يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين .

إلا أن هذه الهيئآت لما كانت غريبة عن جوهر النفس وكذا ما يلزمها فلا يبعد أن تزول في مدة من الدهر متفاوتة حسب تفاوت العلايق في رسوخها وضعفها وكثرتها وقلتها إنشاء الله فيخرج من النار من في قلبه مثقال ذرة من الايمان ، **﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال**

(١) عدّة الداعي : ص٣١٠. (٢) العوالي : ج٤ص١٠١ح١٤٨ (٣) سورة السجدة : الآية ١٧

ذرة شراً يره﴾[1] ، ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾[2] .

وفي اعتقادات الصّدوق (ره) (روي أنه لا يصيب أحداً من أهل التوحيد ألم في النار إذا دخلوها وإنما تصيبهم الالام عند الخروج منها ، فتكون تلك الالام جزاء بما كسبت أيديهم وما الله بظلام للعبيد)[3] .

وبإسناده عن ابن عباس قال : (قال النبي (ص) : والذي بعثني بالحقّ بشيراً لا يعذب الله بالنار موحداً أبداً وإن أهل التوحيد يشفعون فيشفعون)[4] .

عن الصادق (ع) عن آبائه (ـِ (قال : قال رسول الله (ص) : من وعده الله على عمل ثوابا فهو منجّز له ، ومن أوعده على عمل عقابا فهو فيه بالخيار)[5] .

عن أمير المؤمنين (ع) قال : (ما من شيعتنا أحد يقارف[6] أمراً نهيناه عنه فيموت حتّى يبتلي ببلية يمحص بها ذنوبه إما في مال أو ولد وإما في نفسه حتّى يلقى الله محبّنا وماله من ذنب ، وإنه ليبقى عليه شيء من ذنوبه فيشدّد عليه موته فتمحص ذنوبه)[7].

وفيه عن عبد الله بن سنان قال :(سمعت أبا عبد الله (ع) يقول : الحمى رائد الموت وهي سجن الله في أرضه وهي حظ المؤمن من النار)[8] .

وعن عمر بن يزيد قال :(قلت لأبي عبد الله (ع) : إني سمعتك وأنت تقول : كل شيعتنا في الجنّة على ما كان منهم ، قال : صدقتك كلهم والله في الجنة ، قال : قلت : جعلت فداك إن الذّنوب كثيرة كبار ، فقال : أما في القيامة فكلكم في الجنّة بشفاعة النبي المطاع أو وصي النّبي ولكني والله اتخوف عليكم في البرزخ ، قلت : وما البرزخ قال : القبر حين موته إلى يوم القيامة)[9] .

عفو الهى بكند كار خويش   مژدهٔ رحمت برساند سروش
لطف خدا بيشتر از جرم ماست   نكتهٔ سر بسته چه گوئى خموش

قال بعض أهل المعرفة : إن جهنم ليست بدار حقيقية متأصّلة لأنها صورة غضب الله كما

---

(١) سورة الزلزلة : الآية ٧ ـ ٨ (٢) سورة النساء : الآية ١١٦ (٣)عن اعتقادات الصدوق كما في تفسير نور الثقلين ج٣ ص ٣٥٤ ح١٣٥ (٣) التوحيد : ص٢٩ ح٣١ (٤) ألتوحيد: ص٤٠٦ ح٣ (٥) قرف الذنب واقترف : عمله ، وقارف الذنب وغيره إذا أدناه ولاصقه وان شئت قلت اذا أتاه وفعله م . (٢) الخصال : ص٦٣٥ في حديث الأربعمائة
(٣) الكافي : ج٣ ص١١١ ح٣ . (٤) الكافي : ج٣ ص٢٤٢ ح٣ .

أن الجنة صورة رحمة الله ، وقد ثبت أن رحمة الله ذاتية واسعة كل شيء والغضب عارضي وكذا الخيرات صادرة بالذات والشرور واقعة بالعرض ، فعلى هذا لا بدّ أن تكون الجنة موجودة بالذات وجهنم مقدّرة بالعرض والتبع .

وأصل جهنم من الدّنيا فان مادتها هي تعلق النفس بامور الدنيا من حيث هي الدّنيا ، وصورتها هي صورة الهيئآت المؤلمة والاعدام والنقايص فهي ليست بدار خالصة بل هي مكدّرة مشوبة بهذا العالم ، فكأنما هي هذا العالم انساق إلى الاخرة بسائق القهرمان وزمام التسخير .

وفي الكافي عن النبي (ص) (أخبرني الروح الأمين إن الله لا إله غيره إذا وقف الخلايق وجمع الأولين والاخرين أتي بجهنم تقاد بألف زمام أخذ بكل زمام مأة ألف ملك من الغلاظ الشداد ، ولها هدّة وتحطم وزفير وشهيق أنها لتزفر الزفرة فلولاً أن الله تعالى أخرها إلى الحساب لأهلكت الجميع ، ثم يخرج منها عنق يحيط بالخلائق البر منهم والفاجر ، فما خلق الله عبداً من عباده ملك ولا نبي إلا وينادي يا ربّ نفسي نفسي وأنت تقول : يا ربّ امّتي امتي)[1] الحديث .

وإنما تقاد بألف زمام لأنها عالم التضاد فلا يجتمع أجزاؤها إلا بأزمة التسخير بأيدي ملائكة غلاظ شداد .

كلمة

فيها اشارة الى الاعراف

الاعراف إن كان اشتقاقها من المعرفة فالأنبياء والأولياء هم العارفون والمعروفون، والمعروفون للنّاس في هذه النشأة ، وإن كان من العرف بمعنى المكان العالي المرتفع فهم الذين من فرط معرفتهم وشدة بصيرتهم كأنهم في مكان عال مرتفع ينظرون إلى ساير الناس في درجاتهم ودركاتهم ، ويميّزون السّعداء عن الأشقياء على معرفة منهم بهم وهم بعد في هذه النشأة كما أشار إليه أمير المؤمنين (ع) بقوله : (اقسم بربّ العرش العظيم لو شئت أخبرتكم بآبائكم وأسلافكم أين كانوا وممن كانوا وأين هم الآن وما صاروا إليه)[2] .

عن الاصبغ بن نباتة قال : (كنت عند أمير المؤمنين (ع) جالساً فجاءه رجل فقال له : يا

---

(١) الكافي : ج٨ص٣١٢ ح٤٨٦ (٢) المحجة : ج٤ ص٢٠٢ .

أمير المؤمنين ﴿وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم﴾[1] فقال له علي (ع) : نحن الأعراف نحن نعرف أنصارنا بسيماهم ، ونحن الأعراف الذين لا يعرف الله إلا بسبيل معرفتنا ، ونحن الأعراف نوقف يوم القيامة بين الجنّة والنار فلا يدخل الجنّة إلا من عرفنا وعرفناه ، ولا يدخل النار إلا من أنكرنا وأنكرناه ، وذلك بان الله تبارك وتعالى لو شاء لعرف الناس حتى يعرفوه ويوحدوه ويأتوه من بابه ، ولكن جعلنا أبوابه وصراطه وسبيله وبابه الذي يؤتى منه)[2] .

وبإسناده الصحيح عن الباقر (ع) (أنه سئل عن هذه الآية فقال انزلت في هذه الامة ، والرجال هم الأئمة من آل محمّد (ع) قلت : فمن الأعراف ؟ قال : صراط بين الجنّة والنار ، ومن شفع له الأئمة منّا من المؤمنين المذنبين نجى ومن لم يشفعوا له هوى)[3] .

وفي رواية اخرى عنه (ع) (قال : نحن اولئك الرجال الأئمة منا يعرفون من يدخل النار ومن يدخل الجنة كما تعرفون في قبائلكم الرجل منكم يعرف من فيها من صالح أو طالح)[4] .

وأما ما في رواية اخرى عنه (ع) (أنهم قوم استوت حسناتهم وسيئآتهم فقصرت بهم الأعمال وأنهم لكما قال الله)[5] وزاد في رواية :(فان أدخلهم الله النّار فبذنوبهم وإن أدخلهم الجنة فبرحمته)[6]، فلا ينافي ما قدمناه من الأخبار ، لأن هؤلاء القوم يكونون مع الرجال الذين على الاعراف وهم مذنبوا أهل زمانهم العارفون وكلاهما أصحاب الاعراف .

يدل على هذا صريحاً ما ورد في رواية اخرى عنه (ع) قال :(الاعراف كثبان[7] بين الجنّة والنّار يوقف عليها كل نبي وكل خليفة نبي مع المذنبين من أهل زمانه كما يقف صاحب الجيش مع الضعفاء من جنده ، وقد سبق المحسنون إلى الجنة فيقول ذلك الخليفة للمذنبين الواقفين معه : انظروا إلى إخوانكم المحسنين قد سيقوا إلى الجنّة فيسلّم عليهم المذنبون ، وذلك قوله : ونادوا أصحاب الجنة ان سلام عليكم ثم اخبر سبحانه انهم لم يدخلوها وهم يطمعون أن يدخلهم الله إياه بشفاعة النبي (ص) والامام (ع) فينظر هؤلاء إلى النار فيقولون ربّنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ، وينادي أصحاب الاعراف وهم الانبياء والخلفاء رجالا من أهل النار ورؤساء

---

(١) سورة الأعراف : الآية ٤٦ (٢) بصائر الدرجات : ص٥١٦ح٦

(٣) بصائر الدرجات : ص٥١٦ح٥ (٤) بصائر الدرجات : ص٥١٥ح١

(٥) البرهان في تفسير القران : ج٢ص١٧ح٣ « في تفسير اية ٤٦ »

(٦) البرهان في تفسير القرآن : ج٢ص١٧ح٢ « في تفسير آية ٤٦ »

(٧) الكثيب : التل من الرمل ، جمع كثب وكثبان واكثبه . المنجد .

الكفار يقولون لهم مقرعين : ما اغنى عنكم جمعكم واستكباركم أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة إشارة لهم إلى أهل الجنة الذين كانوا الرؤساء يستضعفونهم ويحتقرونهم بفقرهم ويستطيلون عليهم بدنياهم ويقسمون إن الله لا يدخلهم الجنة يقول أصحاب الاعراف لهؤلاء المستضعفين عن أمر من أمر الله عزّ وجلّ لهم بذلك : ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون)[١] ، أي لا خائفين ولا محزونين ، رواها الشيخ الطبرسي في تفسيره المسمى بالجوامع وروى علي بن إبراهيم في تفسيره ما في معناه[٢] .

خاتمة

قد روي عن النبي (ص) أنه قال : (افترقت امّة موسى (ع) على احدى وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة وهي التي اتبعت وصيّة يوشع ، وافترقت امة عيسى (ع) على اثنتين وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة وهي التي اتبعت وصيّة شمعون ، وستفرق « ستفترق ظ » امتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النّار إلا واحدة وهي التي يتبع وصيي علياً)[٣] .

وشكى در اين نيست كه انبياء واوصياء سلام الله عليهم بجهت هدايت خلق ونجات ايشان مبعوث شده اند ، پس هر كه شيعۀ ايشان باشد يعنى پيروى ايشان كند وسخن ايشان شنود لأجرم او مهتدى وناجى خواهد بود چنانكه امام حسن عسكري (ع) فرموده : (وشيعتنا الفرقة الناجية)[٤] ، وهر كه از متابعت ايشان در باز زند وبراههاى ديكر رود ضال وهالك ، وحقيقت اين سخن هويد است .

ليكن جمعى كما قيل افسار تقليد از سر بيرون انداخته فطرت اصلى را سر نگون ساخته

---

(١) البرهان في تفسير القرآن : ج٢ص٢٠ح١٩ (في تفسير الآية ٤٦) وفي مجمع البيان : المجلد٣ الجزء الثامن ص٦٦

(٢) قال الصدوق (ره) في العقايد كما في البحار : اعتقادنا في الاعراف انه سور بين الجنة والنار عليه رجال يعرفون كلا بسيماهم ، والرجال هم النبي واوصياؤه (ع) لا يدخل الجنة الا من عرفهم وعرفوه ولا يدخل النار الا من انكرهم وانكروه ، وعند الاعراف المرجون لامر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم .

وقال العلامة المجلسى (قد) ما ملخصه : الذي يظهر لي من الايات والاخبار هو أن الله تعالى بعد خرق السماوات وطيها ينزل الجنة والعرش قريباً من الارض فيكون سقف الجنة العرش وتتحول البحار نيراناً فيوضع الصراط من الارض الى الجنة . والاعراف درجات ومنازل بين الجنة والنار وبهذا يندفع كثير من الاوهام والاستبعادات التي تخطر في اذهان أقوام في كثير مما ورد في أحوال الجنة والناروالصراط ومرور الخلق عليه ودخولهم الجنة بعده واحضار العرش يوم القيامة و أمثالها .

(٣) المحجة البيضاء : ج١ ص١٩٩ وانظرسند ابن ماجة ج٢ ص١٣٢٢ ح٣٩٩٢ و٣٩٩٣ وانظر الخصال : ج٢ ص٥٨٤ ح١٠ وكما في العوالي : ج٤ ص٦٥ ح٢٣ . (٤) المحجة البيضاء : ج١ ص١٩٩ وكما في العوالي : ج٤ ص٦٥ ذيل ح٢٣ .

اند ، بظواهر نبوت وتوابع آن قانع نباشند واز خود سخن چند بيهوده تراشند ، نه طبعشان گذارد كه بأثر تقليد روند نه توفيقشان باشد كه بوى تحقيق شنوند ، **﴿مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء﴾** (١)

رباعى

از بهر فساد وجنگ جمعى مردم كردند بكوى گمرهى خود راگم
در مدرسه هر علم كه آموخته اند في القبر يضرهم ولا ينفعهم

وبشومى اين قوم اختلاف درامم پديد آمد وباعث حيرت مردمان شد . أما بحمد الله ما را ميزانى در دست هست كه بآن حق را از باطل جدا توانيم نمود ، وآن كتاب خداست وأوصياى پيغمبر (ص) وعليهم خلفا بعد سلف كه تا قيام قيامت باقيند چنانچه آن حضرت فرمود :

(إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي كتاب الله وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتّى يردا علي الحوض)(٢) ، ومعنى عدم افتراقهما أن علم الكتاب إنما هو عند العترة ، فمن تمسك بهم فقد تمسّك بهما ، والمرجع في زمن خفائهم وغيبتهم إنما هو إلى أحاديثهم المضبوطة في الاصول المعتمد عليها فمن تمسك بها حينئذ فهو الناجي وإنما أوجب الله سبحانه مودّة ذوي القربى على الامة وجعلها أجراً على تبليغ الرّسالة ليتولاهم الامة فيتبعوهم بطيب نفوسهم فتحصل بذلك نجاتهم في الآخرة ولكن اكثر الناس لا يشكرون .

قال أمير المؤمنين (ع) : (الناس ثلاثة فعالم رباني ومتعلّم على سبيل النجاة وهمج(٣) رعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجئوا إلى ركن وثيق)(٤) .

وقال الصادق (ع) : (يغدو الناس على ثلاثة أصناف : عالم ، ومتعلم ، وغثاء(٥) فنحن

---

(١) سورة النساء : الآية ١٤٣ (٢) إكمال الدين : ص ٢٣٧ح٥٤

(٣) الهمج بالتحريك جمع همجة : وهي ذباب صغير كالبعوض يسقط على وجوه الغنم والحمير وأعينها ، والرعاع : الاحداث الطغام من العوام والسفلة وأمثالهم ، والنعيق : صوت الراعي بغنمه ويقال لصوت الغراب أيضاً ، والمراد انهم لعدم ثباتهم على عقيدة من العقايد وتزلزلهم في أمر الدين يتبعون كل داع ويعتقدون بكل مدع ويخبطون خبط العشواء من غير تميزبين محق ومبطل ، والركن الوثيق : هو العقايد الحقة البرهانية اليقينية التي يعتمد عليها في دفع الشبهات ودفع مشقة الطاعات ، كذا في البحار الجزء الاول منه .

(٤) الغثاء بضم المعجمة والثاء المثلثة ما يحمله السيل من الزبد والوسخ اريد به اراذل الناس وسقطهم . الوافي .

(١) نهج البلاغة : ص٤٩٦ حكمة١٤٧ .

العلماء ، وشيعتنا المتعلمون ، وساير الناس غثاء)[1] .

وقال (ع) : (اغد[2] عالما أو متعلما أو مستمعا أو محبّا لهم ولا تكن الخامس فتِهلك)[3] .

فالفرقة الناجية هم المتعلمون على سبيل النجاة ومن الحق بهم من المستمعين والمحبّين لهم فان من أحب قوماً فهو منهم ويحشر معهم وأما العالم الرباني فهو فوق الناجي والمراد بمحبّة من يحب وبغض من يبغض محبّة حقيقة ومقامه وبغضهما كما أن تصوّره في نفسه دون شخصه الجزئي .

يدل على ذلك ما روي عن الباقر (ع) قال : (لو أن رجلا أحبّ رجلا لله لأثابه الله على حبّه اياه وإن كان المحبوب في علم الله من أهل النار ولو أن رجلا أبغض رجلا لله لأثابه الله على بغضه إياه وإن كان المبغض في علم الله من أهل الجنة)[4] .

وفيه عنه (ع) (إذا أردت أن تعلم أن فيك خيراً فانظر إلى قلبك فان كان يحب أهل طاعة الله ويبغض أهل معصيته ففيك خير والله يحبّك ، وان كان يبغض أهل طاعة الله ويحب أهل معصيته فليس فيك خير والله يبغضك والمرء مع من أحبّ)[5] .

وفيه عن الصادق (ع) قال : (إن الرجل ليحبّكم وما يعرف ما أنتم عليه فيدخل الله الجنة بحبكم وان الرّجل ليبغضكم وما يعرف ما أنتم عليه فيدخله الله ببغضكم النار)[6] .

ولا يخفى أن الحب والبغض من جهة الطاعة والمعصية يرجع إلى محبة المقام والحقيقة وبغضهما دون الشخص الجزئي ولا سيّما إذا لم ير المحب والمبغض محبوبه ومبغوضه وإنما سمع بصفاته وأخلاقه ومن هنا نحكم بنجاة كثير من المخالفين الواقعين في عصر خفاء إمام الحق المحبّين لأئمتنا صلوات الله عليهم وإن لم يعرفوا قدرهم وإمامتهم .

كما يدل عليه قول أمير المؤمنين (ع) في حديث أشعث بن قيس في كلام طويل قال (ع) (وأما الثلاثة أبو ذر والمقداد وسلمان فثبتوا على دين محمّد وملته وملة إبراهيم حتى لقوا الله

---

(١) الكافي : ج١ص٣٤ح٤

(٢) اغد من الغد وبالضم بمعنى سيرأول النهار نقيض الرواح واهمال العين كما ظن تصحيف . الوافي .

(٣) العوالي : ج٤ص٧٥ح٥٨ (٤) الكافي : ج٢ص١٢٧ح١٢

(٥) الكافي : ج٢ص١٢٦ ح١١ (٦) الكافي : ج٢ص١٢٦ح١٠

يـرحمهم الله فقال الأشعث : إن كـان الأمر كمـا تقول لقـد هلكت الامة غيـرك وغير شيعتـك ، قـال : فـان الحق والله كمـا أقـول ومـا هلك من الامـة إلا المنـافقين المكـابـرين المجـاهــدين المعاندين ، فامّا من تمسك بالتوحيد والاقرار بمحمد (ص) ولم يخرج من الملة ولم يظاهر علينا الظلمة ويشك في الخلافة ولم يعرف أهلها وولاتها ولم ينكر لنا ولايـة ولم ينصب لنا عـداوة فان ذلك مسلم ضعيف يرجى له الرحمة من ربه ويتخوف عليه ذنوبه) .

عن الصـادق (ع) (قيل لـه أرايت من صام وصلى واجتنب المحـارم وحسن ورعه ممن لا يعرف ولا ينصب فقال : ان الله يدخل اولئك الجنة برحمته)(١) .

وعن الحسن بن علي (ع) أنـه قال في كـلام له : (فمن أخـذ بما عليـه أهل القبلة الـذي ليس فيه اختلاف ورد علم ما اختلفوا فيه إلى الله سلم ونجى من النار ودخـل الجنة ، ومن وفقـه الله ومن عليه واحتج عليه بأن نوّر قلبه بمعرفة ولاة الأمر من أئمتهم.ومعدن العلم أين هو فهو عند الله سعيد ولله ولي) (٢) .

ثم قال (ع) بعد كلام :(إنما الناس ثلاثة : مؤمن يعرف حقنـا ويسلم لنا ويـأتم بنا فـذلك ناج محبّ لله وليّ ، وناصب لنا العداوة يتبرأ منا ويلعننا ويستحل دماءنا ويجحد حقنا ويـدين الله بالبراءة منّا فهذا كافر مشرك فاسق ، وإنما كفر وأشرك من حيث لا يعلم كما يسبّوا الله عدواً بغير علم ، ورجل أخذ بما لا يختلف فيه ورد علم ما أشكل عليـه إلى الله تعالى مـع ولايتنا ولا يأتم بنا ولا يعادينا ولا يعرف حقنا فنحن نرجو أن يغفر الله له ويدخله الجنّة فهذا مسلم ضعيف)(٣) .

وقـال رجل للصـادق (ع) :(إنما نتبرأ من قوم لا يقـولون مـا نقول ، فقـال : يتولـونا ولا يقولون ما تقولون ؟ قال : نعم ، قال : وهوذا عندنا ما ليس عندكم فينبغي لنا أن نتبرأ منكم قال وهو ذا عند الله ما ليس عندنا افتراه أطرحنا ؟ ثم قال : فتولـوهم ولا تبروا منهم إن من المسلمين من لـه سهم ، ومنهم من له سهمـان ، ومنهم من له ثـلاثة أسهم)(٤) الحـديث بـطولـه رواه في الكافي وقد مر ما في معناه في كلمة مراتب الايمان والكفر .

والـدّليـل على هــذا من كتـاب الله عــز وجـل قــولـه تعــالى :﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾(٥)، و ﴿لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها﴾(٦)، ﴿وما كان الله ليضل قومـا بعد إذ هـداهم

---

(١) المحاسن : ج١ص١٥٨ كتاب الصفوة والنور ح٩٤.
(٤) الاحتجاج : ج٢ص٦ (١) الاحتجاج : ج٢ص٧ (٢) الكافي : ج٢ص٤٢ح٢
(٤) سورة البقرة : الآية ٢٨٦ (٦) سورة الطلاق : الآية٧

حتى يبيّن لهم ما يتقون﴾ [1]

قال الصّادق (ع) : (ما حجب الله علمه عن العباد فهو موضوع عنهم) [2] وسئل (ع) من لم يعرف شيئاً هل عليه شيء ؟(قال:لا) [3] وهذا واضح بحمد الله فمن ليس له سبيل إلى التحقيق فعليه بالتقليد وبه نجاته وعليه محياه ومماته وليس له الخوض فيما لا يعنيه ولا التعمق فيما لا يهديه .

قال حجة الفرقة الناجية نصير الملة والدين محمّد بن الحسن الطوسي طاب ثراه في بعض رسائله : اعلم أيدك الله أيها الأخ العزيز إن أقل ما يجب اعتقاده على المكلف ما هو ترجمة قول لا إله إلا الله محمّد رسول الله (ص) : ثم إذا صدّق الرّسول فينبغي أن يصدّقه في صفات الله واليوم الاخر وتعيين الامام المعصوم كل ذلك بما يشتمل عليه القرآن من غير مزيد وبرهان ، أما في الاخرة فبالايمان بالجنة والنار والحساب وغيره وأما في صفات الله فبأنه حي قادر عالم مريد متكلم لبس كمثله شيء وهو السّميع البصير .

ولا يجب عليه أن يبحث عن حقيقة هذه الصفات وأن الكلام والعلم وغيرهما حادث أو قديم ، بل لو لم يخطر هذه بباله ومات مات مؤمنا ولا يجب عليه تعلم الأدلة التي حررها المتكلمون ، بل مهما خطر في قلبه تصديق الحق بمجرد الايمان من غير دليل وبرهان فهو مؤمن ، ولم يكلف رسول الله العرب بأكثر من ذلك وعلى هذا الاعتقاد المجمل أكثر العرب وأكثر الناس إلا من وقع في بلدة يقرع سمعه فيها هذه المسائل كقدم الكلام وحدوثه ومعنى الاستواء والنّزول وغيره فهو إن لم يأخذ ذلك بقلبه وبقي مشغولا بعبادته وعمله فلا حرج عليه وإن أخذ ذلك بقلبه فانّما الواجب عليه ما اعتقده السّلف .

يعتقد في القرآن الحدوث كما قال السّلف : القرآن كلام الله مخلوق ، ويعتقد أن الاستواء حق والايمان به واجب والسؤال عنه مع الاستغناء عنه بدعة والكيفية غير معلومة ، ويؤمن بجميع ما جاء به الشرع ايمانا مجملا من غير بحث عن الحقيقة والكيفية وإن لم يعتقد ذلك وغلب على قلبه الشك والاشكال فان أمكن إزالة الشك بكلام قريب من الافهام ازيل : وإن لم يكن قويا عند المتكلمين ولا مرضيّا فذلك كاف ولا حاجة إلى تحقيق الدّليل ، فان الدّليل لا يتم إلا بذكر الشبهة والجواب ومهما ذكرت الشبهة لا يؤمن أن يتشبث بالخاطر والقلب فيظنها حقة لقصوره عن إدراك جوابها إذ الشبهة قد تكون جبلية والجواب دقيقا لا يحمل عقله

---

(١) سورة التوبة : الآية١١٥ (٢) الكافي : ج١ص١٦٤ح٣ (٣) الكافي : ج١ص١٦٤ح٢

ولهذا زجر السّلف عن البحث والتفتيش وعن الكلام فيه ، وإنما زجروا ضعفاء العوام وأما ائمة الدين فلهم الخوض في غمرة الاشكالات ومنع العوام عن الكلام يجري مجرى منع الصّبيان عن شاطىء الدّجلة خوفا عن الغرق ، ورخصة الأقوياء فيه تضاهي رخصة الماهر في صفة السّباحة إلا أنّ ههنا موضع غرور ومزلة قدم ، وهو :

أن كل ضعيف في عقله يظنّ أنّه يقدر على إدراك الحقايق كلها وأنه من جملة الأقوياء ، فربما يخوضون ويغرقون في بحر الجهالات من حيث لا يشعرون ، والصواب منع الخلق كلهم إلا الشاذ النادر الذي لا تسمح الأعصار إلا بواحد منهم أو إثنين ، من تجاوز سلوك مسلك السّلف في الايمان للرسل.والتصديق المجمل بكل ما أنزل الله تعالى وأخبر به رسول الله (ص) فمن اشتغل بالخوض فقد أوقع نفسه في شغل شاغل إذ قال رسول الله (ص) حيث رأى أصحابه يخوضون بعد أن غضب حتى احمرت وجنتاه : أفبهذا امرتم ؟ تضربون كتاب الله بعضه ببعض انظروا فما أمركم الله به فافعلوا وما نهيكم عنه فانتهوا .

فهذا تنبيه على منهج الحق واستيفاء ذلك شرحناه في كتاب قواعد العقايد فاطلبه منه انتهى كلامه رحمه الله .

وفي نهج البلاغة (قال رجل لأمير المؤمنين (ع) صف لنا ربنا لنزداد له حبّا وبه معرفة : فغضب (ع) ثم صعد المنبر فخطب خطبة جليلة قال فيها : فانظر أيّها السّائل فما دلّك القرآن عليه من صفته فائتم به واستضىء بنور هدايته ، وما كلفك الشيطان علمه مما ليس في الكتاب عليك فرضه ولا في سنة النبي (ص) وأئمة الهدى اثره فكل علمه إلى الله سبحانه فان ذلك منتهى حق الله عليك ، واعلم أن الراسخين في العلم هم الذين أغناهم الله عن اقتحام السّدد المضروبة دون الغيوب ، فلزموا الاقرار بجملة ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب فمدح الله اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علماً ، وسمى تركهم التعمق فيما لم يكلفهم البحث عن كنهه رسوخا[١] فاقتصر على ذلك ولا تقدر عظمة الله سبحانه على قدر عقلك فتكون من الهالكين)[٢] .

أشار (ع) في كلامه هذا إلى قوله عزّ وجلّ : ﴿يقولون آمنا به كل من عند ربّنا﴾[٣] .

---

(١) هذا الحديث رواه العلامة المجلسي أعلى الله مقامه في الجزء الثاني من البحار عن تفسير العياشي بتفاوت يسير الى قوله رسوخا وقال في شرحه : الاقتحام : الهجوم والدخول مغالبة ، والسدد جمع السدة وهي الباب المغلق « الخ »

(٢) نهج البلاغة : ص١٢٤ خطبة٩١ (٣) سورة آل عمران : الآية٧

شعر

قـدم برون منـه از جهـل يـاز خـاصـان شـود   كـه كر ميـانه كـزينى سراب وتشنـه لبى است

ولنختم الكتاب حامدين لله مصلين على خاتم النّبيين وأهل بيته المعصومين وسايـر الأنبياء والأولياء وملائكة الأرض والسماء أجمعين .

لمـا كان ينبغي أن تكـون الكلمات المشتمـل عليها مقـالات هذا الكتـاب المسمى « بقرة العيون » مضنونـا بها على غيـر أهلها نـاسب أن تقلب « نلقب خ » المقالات بمكنـونة الكلمـات الذي هو تاريخ تأليفها سنة ١٠٨٨ ثمان وثمانون بعد ألف من الهجرة النبوية (ص) .

وفرغ من تصحيحه وتذييله العبد : « السيد ابراهيم الميانجي »عفي عنه وعن والـديه في أواخـر شهر محرم الحرام سنة ١٣٧٩

والحمد لله رب العالمين

٣ مِصْبَاحُ الأَنْظَارِ

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب مجموع فيه كلام الناصح العالم والوافد الصالح وهو يسمّى مصباح الأنظار ومن عمل بما فيه أمن من عذاب النار ورضي عنه الجبار وصلى الله على سيّدنا محمّد المختار وآله وأصحابه الأخيار .

وروي بالإسناد الصّحيح أن وافداً وفد على عالم من علماء امة رسول الله (ص) فلما نظر الوافد إليه رأى رجلا جسمه لا يشبه اسمه فسلّم عليه فرد السّلام ، فأطال الوافد الوقوف وأطال العالم السكوت فقال الوافد : إنّ لكل طالب حاجة فقال العالم : ولكلّ حديث جواب ، فقال الوافد : صدقت لأن الله تعالى يقول﴿ فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون﴾[1] ، فعلم العالم أن الوافد يريد منه علما فقال إن العلم بحر عميق ، فقال : ولكلّ بحر سفينة ينجو بها راكبها ، قال العالم : وما سفينة بحر العلوم ؟ فقال الوافد : المعرفة ، فقال العالم : المعرفة اسم أو رسوم ؟ فقال الوافد : اسم ورسوم فقال العالم : كم رسوم المعرفة ؟ قال الوافد : تعرف نفسك وتعرف ربك وتعرف دينك وتعرف دنياك وتعرف آخرتك فاذا عرفت ذلك فلا حاجة لك إلى غيره .

قال العالم : كيف تعرف نفسك ؟

فقال الوافد : أعرف حدثها وأعرف ضعفها وأعرف فاقتها وأعرف عجزها وجهدها في طاعة ربّها وأحملها على الخوف كي ارى خوفها واحتمالها للأذى بأرضها وأحثها على الطلب لما فيه نجاتها وأصرفها من الكذب إلى الصّدق ومن الطمع إلى الورع ومن الشك إلى اليقين ومن الشرك إلى الاخلاص واخرجها من محبوبها في الدنيا واربطها في الفقر حتى تنال كرامة الله تعالى في الآخرة .

قال : فكيف تعرف ربك ؟

(١) سورة الانبياء : الآية٧

قال : أعرف بما عرف به نفسه من الوحدانية ولا اشبهه بشيء من البرية لا يحدّ بالحدود ولا يوصف بالصّفات إذ هو سبحانه وتعالى خالق كلّ صفة وموصوفات .

قال : فكيف تعرف دينك ؟

قال الوافد : أعرفه بالشريعة التي سنّها رسول الله (ص) وبالمحكم من التنزيل وشهادة علانية العقول وهي على ثلاثة وجوه واعتقادها وسبيلها واضح وطالبها رابح قد بهر دليلها وشهد لها بالصدق من ذوي العلم عقولها فتذكرنا مؤنة الطلب بهذا الاحتجاج وقطع عنا علايق الاعوجاج حتى ما بقي في ذلك ميل ولا اختلاج لقصدت عند ذلك بينة صحيحة حتى عرفت الأصل والفرع فوجدت ذلك واضحاً مبيّنا وفي كتبهم مشروحا معيّنا كلاما مبرهنا قد حملوا رضاء الله عنهم عبو ذلك ونقله حافظين فيه الامانة وأوضحوا فرع ذلك وأصله مجتنبين الغش والخيانة قد شيدوا بنيانه وعظموا سلطانه واثبتوا في العقول برهانه ؛ فليس لأحد من بعدهم مطلب ، ولا لمسترشد من دونهم مذهب ، ولا عاقل في غير مذهبهم يرغب .

فقال : فكيف تعرف دنياك ؟

قال الوافد : أعرف فناها وتقلبها في غرورها وخدعها وخزيتها ونظرت وميزت فاذا الدنيا تغر طالبها وتقتل صاحبها وتفرق ما جمع وتغيّر ما صنع وعرفت أنها تفعل بي مثل ما فعلت بالاولين . قال : فكيف عرفت الآخرة ؟

قال : عرفت أنها دار باقية فيها الحساب والعقاب والمجازاة والثواب يبلغ أمدها ويطيل أبدها فريق في الجنة وفريق في السعير ، فمن كان في أصحاب الجنة فشاب لا يكبر ، وغني لا يفتقر وقادر لا يعجز وعزيز لا يذلّ وحيّ لا يموت في دار القرار في نعيم وسرور وقصور وحور راضية وقطوف دانية ، وأنهار جارية وملك لا يزول ونعيم لا تحصى صفته ، ومن كان من اهل النار فحمل ثقيل، ومقام طويل، وبكاء وعويل، وخشوع ضفيف ، وقلب خفيف، في دار جهد وبلية وهمّ وغمّ ورزيّة ، وعذاب لا ينقطع حيث السلاسل والاغلال ، وقيود الاكبال ، والضرب والصياح والعوال ، وأكل الزقوم وشرب الحميم ، ونفحات السموم وظهور المكتوم ، ولباس القطران ، وزفرات النيران ، والخزي والهوان داخلها محسور وواردها مضرور ، وساكنها مدحور وصاحبها مقهور واللابث فيها مهجور .

قال العالم : كيف يصنع من وعد بهذين الدارين إن نظر إلى النار ونظر ما وعد الله فيها لأهلها ، ثم ينظر إلى الجنة وقصورها وما أوعد الله فيها من النعيم المقيم والفواكه والأزواج من

الحور الحسان ، والأكاليل والتيجان ، والأنهار الجارية ، والأثمار الدانية ، والسرر المصفوفة ، والزرابي المبثوثة ولباسها وفرشها وحجراتها وطعامها وشرابها ودوام ذلك فيها ، فيخاف أن لا يكون من أهلها فهنالك تتتابع زفراته ، وتكثر حسراته وتفيض عبراته ، ويطيع ربّه ويعصي هواه ، ويترك دنياه ويطلب آخرته ويعلم يقيناً أن إلى الله المصير .

قال : فلما انتهى الكلام منهما إلى هذا الحد وعلم العالم أنه ذو فطنة ونباهة ونبالة ، ونظر وتميز ، ورغب في طلب منالته سأله لينظر معرفته .

قال العالم : من أين ؟

قال الوافد : من فوق الأرض ومن تحت السماء ، قال العالم : كم لك ؟ قال : كذا وكذا سنة قال له العالم : ما ترى ؟ قال : أرى أرضاً وسماء وما بينهما ، قال : فما ترى في السماء ؟ قال : أرى شمسا تحرق ، وقمراً يشرق ، ونجوما تظهر ، وماء يهبط ورياحا تذري وسحابا يجري ، وطيراً يهوي ، وليلا ونهاراً ، وآيات البريات .

قال العالم : فما ترى في الارض ؟ قال الوافد : أرى بحراً وأبحاراً ، وسهولا وأوعاراً وترابا وأحجاراً وأثماراً وأنهاراً وقراراً .

قال العالم : فكم الدنيا ؟ قال الوافد : ليل ونهار ، قال العالم فكم الخلق ؟ قال : ذكر واناث قال العالم ! فكم الناس ؟ قال الوافد : الناس اربعة : واحد فيه خير وشر والثاني شرّ بلا خير والثالث خير بلا شر والرابع لا خير فيه ولا شر .

قال العالم فكم الناس وما هم بعد ذلك ؟ قال الوافد : نبل وسفل ، فلا النبل لهم قدر عند السفل ولا السفل لهم قدر عند النبل ، قال العالم : فكم الكلام ؟ قال الوافد : اربعة : خطاب ، وجواب ، وخطأ ، وصواب .

قال العالم : فيمن العجب ؟ قال الوافد : في سبعة قال العالم : من هم ؟ قال الوافد : عبد عرف الله وعصاه ، ومن عرف الشيطان واطاعه ، ومن عرف الدنيا فجمع لها ؛ ومن ذكر الموت فطابت نفسه ، ومن عرف الاخرة فبغضها ، ومن عرف الجنة فلم يرغب إليها ، ومن عرف النار فلم يرهبها .

قال العالم : فما خير الأشياء ؟ قال الوافد : خير الأشياء الايمان بالله وملائكته والكتاب والنبيّين قال العالم : كم شهود الايمان ؟ قال الوافد : أربعة شهود محكم الكتاب ، ومحكم

السنّة ، وحجة العقول ، واجماع الامة قال العالم : وما هو ؟ قال الوافد : عمل وقول واعتقاد ، قال العالم فكيف ذلك ؟ قال الوافد : قول باللسان واعتقاد بالجنان ، وعمل بالأركان ، قال العالم : فما ضدّ الصّدق ؟ قال : الكذب قال : فما ضد العمل ؟ قال : النفاق ، قال : فما ضد الإعتقاد؟ قال : التشبيه .

قال العالم : فما أعظم الأشياء ؟ قال : معرفة الله على حقيقته وهي التوحيد والتفريد والتصديق .ذكر الله على كل حال في الليل والنهار قال العالم : فما أفضل الأشياء ؟ قال الوافد : طلب العلم من العلماء حين يعرف الطلب فيعمل به فمن أظهر مصباح الهدى في قلبه أخلص النية والعمل لرّبه وأنطق لله بالحكمة .

قال العالم : فما أخبث الأشياء ؟ قال الوافد : الجهل لأن في الجهل الهلاك والعطب وأن الجاهل إذا أراد أن يصلح شيئاً أفسده بجهله وقلة علمه ، وهو يجلب الافات ويتولد منه الكبر والطمع والحرص والشهوة والجهل والبخل والسّخرية .

قال العالم : فما أقبح الاشياء ؟ قال الوافد : اللغو والغيبة والنميمة والخيانة والكذب والزنا والرياء وحب المزاح وحب الفاسق وصحبة المنافق والتهمة والسّوء للخلق والظن .

قال العالم : فما أدنس الاشياء ؟ قال الوافد : السؤال للنّاس ، ومقاربة الانجاس ، والثقة بكل الناس ، وتقرع الاكياس .

قال العالم : فما أنفع الاشياء : قال الوافد حسنة يكون بها عشر أمثالها ، قال العالم : وما هذه الحسنة ؟ قال الوافد : تطعم أخاك المؤمن من جوع أو تكسيه من عري أو تقضي عنه دينا أو تفرج عنه غمّا أو تكشف عنه همّا ، فمن فعل هذا لاخيه المؤمن جاء يوم القيامة ولوجهه نور يضيء كنور القمر وتتلقاه الملائكة بالمسرّة وتدخله الجنّة آمنا ، وأعطاه الله من الثواب ما لا يصفه واصف ولا يحيط به عارف .

قال العالم : فما أضرّ الأشياء ؟ قال الوافد : سيئة تتبعها سيّئة قال العالم : فما أطيب الأشياء ؟ قال الوافد : العافية مع المعرفة ووضع الأشياء في مواضعها وفي مجالسة العلماء ومدارسة الحكماء وحضور مجلس الذكر والتفكر في الصنع والمبادرة في أعمال البر وإصلاح ذات البين والتجهيز للرحلة والاستعداد للموت .

قال العالم : فما أهون الأشياء ؟ قال الوافد : إذا نفخ في الصور وبعثر ما في القبور

واجتمعت الخلايق للموقف المتضايق فهنالك الفزع العظيم ، والخطب الجسيم كل انسان يقول نفسي نفسي لا يسأل ذلك اليوم والد عن ولده ولا أخ عن أخيه كل نفس بما كسبت رهينة .

فلما انتهى الكلام منهما إلى ههنا عرف العالم أن الوافد حسن المعرفة جيّد الفطنة صحيح اليقين متين الورع كثير الفزع أقبل عليه العالم بوجهه وقال : أيّها الوافد الصّالح والتاجر الرّابح والخليل الصّالح : اسأل عما بدا لك يرحمك الله .

فقال الوافد أيها العالم الحكيم الناطق الشفيق الصادق انشر عليّ من مكنون حكمتك علماً ، وزدني من معرفتك نوراً ما ازداد به فهما ، فلعل الذي على قلبي أن يخلص ببركتك وينجلي عني بجود صحبتك .

قال العالم : اجر لك الصّلاح ، ووفق لك الفلاح ، وتيسّر لك النجاح ، وعليك بسبعة أشياء الزمها : أوّلها المعرفة بالمعروف فهو الله عز وجل والايمان والاسلام والطاعة والعلم والعمل ثمّ تعرف المعرفة ما هي إذا صرت عارفاً وزدت المعرفة إلى المعرفة فلحقت من المعرفة ما قدرت عليه ، ثم تعرف الايمان ما هو وكيف هو حتى اذا صرت مؤمنا أسلمت للذي آمنت به حتى إذا صرت مسلما احتجت أن تطيع للذي أسلمت إليه حتى إذا صرت مطيعاً احتجت إلى علم تطيع به ، وتعرف العلم ما هو وكيف هو حتى إذا صرت عالما احتجت أن تعمل بما علمت ، ثم تعرف العلم ما هو وكيف هو وما ثمرته وإلى ما يوصلك وما عايدت نفعه .

قال الوافد : أيّها العالم بين لي العمل (المعرفة خ) ما هو وكيف هو ؟

قال العالم : أما ما هو فاصابة الأشياء بأعيانها ووضعها في مواضعها ومعرفتها على حقايقها ؛ وأما كيف هو فاصابة المعاني فما من شيء إلا له معنا يرجع إليه فاصابة الأشياء بالنظر والتميز والسمع والبصر ، وإصابة المعاني بالتفكر والاعتبار والعقل .

قال الوافد : فما معرفة الله تعالى ؟

قال العالم : هو أن تعلم أن الله سبحانه وتعالى لا تدركه الأبصار ولا يحوي به مكان ، ولا يحيط به علم ، ولا يتوهمه جنان ، ولا يحويه الفوق ، ولا التحت ، ولا الخلف ، ولا الأمام ، ولا اليمين ، ولا الشمال ، فتعالى الله عن ذلك علوا كبيراً ، لا يعلم كيف هو إلا هو ، فتعرفه بهذه المعرفة فيما تفهّمه قلبك ، وذلك قوله في محكم كتابه العزيز لنبيّه (ص) **﴿قل هو الله أحد الله الصّمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد﴾**(١) ، فتقول كما امرت وتعمل كما علمت

---

(١) سورة الإخلاص: الآية ١ ـ ٤

وتشهد كما علمت وتعمل كما شهدت أن الله الواحد القهار الملك الجبار المحيي المميت الحي الذي لا يموت خالق كل شيء وهو على كل شيء قدير ومالك كلّ شيء الكائن قبل كل شيء الباقي بعد فناء كلّ شيء وهو على كلّ شيء قدير فهذه معرفة الله تعالى بالذكر .

وأما المعرفة بالتفكر والنظر بالقلوب والتميز بالالباب في أعظم قدرة الله تعالى وارتفاعه وعلوه وبقائه وانفاذ أمره وبيان حكمته وحياطة علمه وكثرة خلقه وسعة رزقه وقرب رحمته وجود كرمه وحسن رأفته وجميل ستره وطيب عافيته فلله الحمد على ذلك كثيراً .

قال الوافد : فما وراء ذلك يرحمك الله؟ .

قال العالم : الايمان بالله ورسوله وبما جاء به من عند الله تعالى ، واتّق في جوارحك حتى لا تستعملها في شيء ممّا يكرهه منك خالقها ، فتكون قد امنتها من عذاب النار ، ومن الايمان أن تأمن الناس من يدك ولسانك وظنون قلبك ، فاذا فعلت ذلك فأنت مؤمن ، ومن الايمان الرضاء بالقضاء والشكر على العطاء والصبر على البلاء ، ومن الايمان المحافظة على الفرايض والمبادرة بالنوافل والفضائل .

ومن الايمان تعلم أن الله حق ، وقوله حق والجنّة حق ، والنار حق ، والبعث حق ، والثواب حق ، والحشر حق ، والقيامة والعرض حق ، والحساب حق ، وأن الله على كلّ شيء قدير ، وأنك منتقل من هذه الدار الفانية إلى الاخرة الباقية ، مسؤول عن أعمالك ، موقوف على فعالك ، منكشف سرك واعلانك ، فتجد ما فعلت قد احضر إليك وأنت اليوم في دار المهلة ومكان الفسحة ، فلا تذهب أيامك سدى ، واعمل فيها بطاعة ربّك وعلق قلبك في ملكوت إلهك واجعل دليلك الايمان ، وقرينك التفكر وهمتك الحساب ، وسعيك الثواب ، وجليسك الكتاب وأملك الرجاء وسريرتك الوفاء ، وسيرتك الحياء ، وفاقتك الرّحمة ، وعملك الطاعة ، وطلبك النجاة ، وسؤالك المغفرة ، وسبيلك الرضاء ، وخوفك العقاب ، ورغبتك الثواب ، وخلقك العفاف ، وعزيمتك الكفاف ، فمن سلك هذه الطريقة سبق ، ومن تكلم بمثل هذه صدق ، وهي عروة فمن تعلق بها استوثق والحمد لله ربّ العالمين .

قال الوافد : فما وراء ذلك يرحمك الله ؟

قال العالم : الاسلام ، وهو أن تسلم للّذي آمنت به ، ومن الاسلام أن تسلم أعمال الطاعات ، فاذا علمت ذلك سلمت من النّار ، وسلم الخلق منك ويكون إسلامك بالظاهر والباطن حتى لا يخالف قولك فعلك ولا فعلك يخالف قولك ، فيكون ظاهرك باطنك وباطنك

ظاهرك ، وكون موقنا بالوحدانية ، مقرّاً بالربوبية ، معترفا بالعبودية ، مجلّلا بالعظمة ، هائبا للجلالة، فرحا بالسكون ، محبّا للطاعة ، طالبا للرضا ، خائفا للغضب ، راغبا في الجزاء ، راهباً للعذاب ، مؤدّيا للشكر ، مداوما على الذكر ، معتصما بالصّبر ، عاملا بالفكر فهذا عمل الباطن .

وأما عمل الظاهر : الاجتهاد في أداء الفرايض والسنة والفضايل والنوافل ، والنهي عن المنكر وقراءة القرآن ، ومن السنة الختان ، وصلاة العيدين ، وحلق العانة ونتف الابطين وتقليم الاظفار ، وقص الشارب والسواك ، ومن الفضائل صيام رجب وشعبان وأيام البيض ويوم عاشنورا ويوم عرفة والخميس .

قال الوافد : ما وراء ذلك يرحمك الله ؟

قال العالم : وراء ذلك المواصلة والمعاونة والمواساة والمواخاة في الله والمحبة لأولياء الله تعالى ، والبغضة لأعداء الله ، وصلة الرحم ، والرجمة لليتيم ، ومعاونة الضعيف ، وتعليم الأولاد ، وانصاف الزوجة فيما لا تنالك عنه وهي ناظرة إليك وفي تعليمها والامر لها فيما لا بدّ لها منه والنهي لها فيما لا حاجة لها فيه ، والزامها لمنزلها وطول الحجاب ، وتفصيل الأبواب وتعليم الحكمة والصواب ، مع لزوم العفاف ، والرضا بالكفاف ، والصّيانة لها عن التبرّج والعوج والأبواب ، والشوق إلى دور المسلمات ، فويل لهاتكات الستّور ، ولجات كل محظور الناقلات الكلام الزور ، الجالبات للفحشاء والفجور ، المبغضات للنعمة ، والمدخلات على المسلمين التهمة ، والمفرقات للالفة ، والداعيات للكشفة .

ولقد روي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) قال : إن اجد إلى منزلي مأة لصّ يسرقونه أهون عليّ أن أجد فيه عجوزاً ما أعرفها ، ومن ذلك انصاف الخادم فيما لا يقدر عليه ، والرفق به والنهي له عن ما لا حاجة له به ، وصيانة الدابة فيما تحتاج إليه ، والرفق بها فيما لا تقدر عليه ، فهذا الأمر بالمعروف .

وأما النّهي عن المنكر فمن المنكر الفعل السيّء ؛ وقول الفواحش ، والكذب والنميمة ، ومن الفعل القتل والزنا ، ومن النية الرياء والكبر والحسد والبغضاء والفحشاء ، ومن الفعل أخذ أموال الناس سرّاً وجهراً ، ومن القول الغيبة والنميمة وشهادة الزّور .

قال الوافد : بيّنها لي يرحمك الله تعالى حتى أعرفها وأعمل بها .

قال العالم الطاعة اتباعك لما أمر الله به ، واجتنابك لما نهاك الله عنه ، وذلك على

وجهين شيء لم تعرفه ، وشيء قد عرفته ، تعرف مالك وما عليك فيما نهاك الله عنه ، فعليك فيما قد علمت التوبة والرّجوع والانابة والتضرع ، ولك في ذلك المعرفة فانك إذا خفت من ربك تبت إليه وتعلم الايمان ما هو وكيف هو .

قال الوافد : ما هو يرحمك الله ؟

قال العالم : أما « ماظ » هو فمعرفة الذنب وشهادة الرّب وأما كيف هو فوجل القلب ودمع العين فان لم تكن كذلك فلست بخايف فيما قد علمت ، وأما الذي لم تعلمه فعليك منه الرهبة والتقوى وإذا اتقيت الله لم يجدك حيث نهاك وإذا خفته لم يفقدك حيث أمرك ، فان الله يراك ويعلم سرّك ويسمع كلامك ، فهنالك ترهبه وتخافه حتى كأنك تراه .

قال الوافد : فما وراء ذلك يرحمك الله ؟

قال العالم : وراء ذلك التقوى ، قال : وما التقوى ؟ قال : تحفظ لسانك وعينك ويدك وفرجك وظنون قلبك ، فلا تنظر بعينك إلى ما لا يحل لك فانّ النظرة الواحدة تزرع في القلب الشهوة وهي سهم من أسهم إبليس ، وتحفظ لسانك عن الكلام فيما لا يعنيك فان اللسان سبع إذا أطلقته أكلك ، وهلاكك في طرف لسانك فلا تقل ما لا يحل لك فان لم تفعل ذلك فما اتقيت الله تعالى ، ولك في ذلك المغفرة والرحمة وذلك قوله سبحانه وتعالى **﴿واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى﴾** [1].

قال الوافد : فما وراء ذلك يرحمك الله ؟

قال العالم : القيام بمُا أمرك الله به حتى تعرف عملك وتضع كلّ شيء منك في موضعه ، وتعرف خطأه وصوابه ويكون العمل تابعا للعلم مطيعاً له ويكون فيه الرّغبة واليقين والاخلاص والمحبة والحياء والاستقامة ، وتعرف الرّجاء ما هو وكيف هو ومن ترجو .

قال الوافد : بين لي ذلك يرحمك الله ؟

قال العالم : هو أن يكون رجاك الله في كل امورك لدنياك وآخرتك ولا يكون رجاك للناس أكثر من رجاك لله فتحبط أعمالك ويبطل أجرك فانّ الله تعالى يقول وقوله الحق : **﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربّه أحدا﴾** [2] فتقوم كما أمرك الله سبحانه وتعالى به ظاهراً وباطنا ، فان الظاهر الجلي يدلك على الباطن الخفي ، ويكون قلبك متعلقا

---

(١) سورة طه : الآية ٨٢ . (٢) سورة الكهف : الآية ١١٠ .

بمن ناصيتك بيده ، ورزقك عليه ، ورخاك وشدتك وعافيتك وبلواك ومحياك ومماتك ودنياك وآخرتك ، فترجو للشدة كما ترجو للرخاء ، وترجو للآخرة كما ترجو للدّنيا ، وتخاف رّبك كما تخاف من الموت والفقر .

قال الوافد : فما وراء ذلك يرحمك الله ؟ قال : الرغبة تعرف ما هي وكيف هي .

قال : بيّنها لي يرحمك الله تعالى ، قال : إن الرغبة في التطوع بعد الوفاء بما أمرك الله به فانّك إذا رغبت ازددت الخير خيراً ، وان لم ترغب لم تزدد وأنت متطوع ولست براغب ، وأما كيف هي فالتضرع عند الدعاء ، فانك إذا تضرعت ولم ترغب كان دعاؤك بلا رغبة ، وذلك قوله عز وجلّ : ﴿ادعوا ربكم تضرّعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين﴾[1] فمن خاف وتضرع رحمه الله وأجابه .

قال الوافد : فما وراء ذلك يرحمك الله ؟

قال العالم : وراء ذلك اليقين ، قال : وما اليقين ، قال : صاحب اليقين يعلم أن العلم متّصل بالنية ، فكلما حضر قلبه علم أن الله قد علمه فيلحقه الخوفُ ويسارع بالتوبة قبل أن يعمل الذنب ، فتوبته مقبولة ، وذنبه غير مكتوب ، وإنّما يكتب ذنبه المواظب عليه ولم يتب منه .

قال الوافد : فما وراء ذلك يرحمك الله ؟

قال العالم : الاخلاص في الدين ، وهو في القول والعمل والاعتقاد قول خير وعمل خير واعتقاد خير أما سمعت قال الله تعالى : ﴿ألا لله الدّين الخالص﴾[2] قال : بين لي ذلك يرحمك الله ، قال العالم : هو أن يعلم العبد أنه بين يدي الله عز وجلّ ، يراه ويسمع كلامه ويعلم ما في نفسه ويجعله أمله ، ويكون الطاعة عمله ، ولا يغيب مشاهدته زالت الدنيا من عينه وتعلقت الاخرة في قلبه ، فقيامه طاعة ، وقوله تفقه وسكوته فكرة ، قد قطع قوله بعمله ، وقطع أمله بأجله ، وخرج من الشك إلى اليقين ، فقلبه وجل ، ودمعه عجل، وصوته ضعيف ، وكلامه لطيف ، وثقله خفيف ، وحركته احسان ، وتقلبه ايمان ، وسكوته امان .

قال الوافد : فما وراء ذلك يرحمك الله ؟

---

(١) سورة الاعراف : الآية ٥٥ (٢) سورة الزمر : الآية٣

قال العالم : حبّ الحقّ وبغض الباطل ، فان حب الباطل يدخل النار ، وحبّ من أحب الله قريباً كان أو بعيداً .

قال الوافد : وما حبّ من أحب الله قريباً كان أو بعيدا ؟ قال العالم : يسوؤك ما يسوؤه ، ويضرّك ما يضرّه ، ويسرّك ما يسرّه ، ويدخل السرور عليه ، فان كان أعلم منك تعلمت منه ، وإن كنت أعلم منه فعلّمه واحفظ حضرته وغيبته وواسيته وأعنته وجعلت ذلك لله وفي الله ولا تكن من ذلك متى وإلى متى .

قال الوافد : فما وراء ذلك يرحمك الله : قال العالم : الحياء ، قال : بيّنه لي ، قال العالم : ذلك على ثلاثة وجوه، وهو :

أن يعلم العبد أنّ طاعة الله عليه واجبة وأن رزقه على الله أفلا يستحيي العبد أن يراه حريصاً على رزقه كسلانا عن طاعته ، يمر على قوم أجسامهم معافا ، وعقولهم ثابتة ، وقلوبهم آمنة ، ونفوسهم طيّبة ، قد أحسن الله لهم أفلا ينظرون إلى شيء من قدرة الله ولا إلى نعمه فيشكرون ، ولا إلى من كان من قبلهم فيعتبرون ، ولا إلى ذنوبهم فيستغفرون ، ولا إلى ما وعدهم الله في الآخرة فيحذرون أفلا يستحيي من آمن بالله أن يراه الله مع اولئك مقيما، لابثاً ساكناً ومؤانسا حاضراً مجالساً .

وامّا الثاني فان الله أعطى ورضي يعطي وهو راض أفلا يستحيي العبد أن يرضى برضاء ربه عند عطاه لا يرضى برضاه عند العطاء .

وأما الثالث فان الله يرضى لعبده الجنّة ويأمره بالعمل الصّالح لما يصلح له من الخير ، فيعمل العبد ما لا يرضى الله له ويكره ما يرضيه الله له من الجنّة ولا يترك المعاصي والشرور ويرضى ما لا يرضى له ، ويكون له ولد يحبه ويريد له الدّنيا وربما قبضه الله اليه وهو له وليّ أفلا يرضى العبد برضاء الله كما رضي أو لا بعطاء الله وهو يعلم أن موت ولي الله خير من حياته في هذه الدنيا الفانية المحشوة هموماً وغموما وبغضاً وغصصاً وشروراً .

قال الوافد : فما وراء ذلك يرحمك الله ؟

قال العالم : الاستقامة أما سمعت قول الله عز وجل : ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾[1] .

---

(١) سورة الاحقاف : الآية١٣

قال الوافد : بيّن لي ذلك يرحمك الله .

قال العالم : الاستقامة هي أن ترى الدنيا قيامة ، فلا تلتفت إليها كرامة ولا تبالي فيها بالملامة ، الاستقامة تؤدي صاحبها إلى السلامة المستقيم صادق ، وبالاخلاص ناطق ، وعمله في خضوع ، وقلبه في خشوع ، وروحه في رجوع ، وسروره في نزوع ، وجسمه سقيم ، وقلبه سليم مقيم بلا التفات يداوم على المراقبات ، ملازم على الاجر مدمن على الزجر ، تارك للهوى ، مقيم على الوفاء ، حريص على التقى ، مجتهد في الصفا ، ليله قائم ، ونهاره صائم ، ألف مؤالف صابر عاكف ، تام الصّحبة دائم المحبة ، مجيب غير مغيب ، معوض غير متعوّض ، مطيع غير مذيع ، طالب راهب ، مسلم متسلم ، مقر لا منكر ، محتقر متواضع غير مستكبر ، مقبل غير مدبر .

وعلامة المستقيم أن يستقيم به كل معوج ، ويسلك به خير منهج ، ويكون عالما يهتدي به ودليلا يقتدي به ، ولا يكون ممن يعبدالله على حرف فان أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والاخرة ذلك هو الخسران المبين .

قال الوافد : فما وراء ذلك يرحمك الله ؟ قال : أما علمت أن الدّنيا شدة ورخاء قال : بلى ، قال : فليكن حالك في الشدة كحالك في الرخاء .

قال : بين لي ذلك يرحمك الله ، قال : أليس في الرخاء حساب ؟ قال : بلى قال أيهما أحب إليك الثواب أم الحساب ؟ قال : بل الثواب ، قال : أما علمت بأنك في وقت الشدة ترجو الرّخاء وفي وقت الرخاء تخاف الشدة ، وذلك قوله تعالى : ﴿ان مع العسر يسراً﴾[1] فتعرف حدّ الشدة فتكون راجيا للرخاء ، وتعرف حدّ الرّخاء فتكون خائفا عن الشدة فالشدة والرخاء يعتقبان فاعتد إلى الحالين جميعا ولست أعني لك شدة الدنيا ولا رخائها إنما اعنيك بذلك الآخرة ، الدنيا سجن المؤمنين وجنة الكافرين .

قال الوافد : فما وراء ذلك يرحمك الله ؟

قال العالم : الرضاء بالقضاء ، والصبر على الأذى ، والشكر على العطاء .

قال الوافد : وما الشكر ؟

قال العالم : الشكر سبعة أشياء ، قال : وما هي ؟ قال : الخلق ، والملك ، والرزق ،

---

(١) سورة الشرح : الآية٦

والعافية ، والعلم ، والقـدم ، والقدرة ، فتنـظر إلى اثبات عقلك وتمـام خلقك فتحمـد الله على ذلك كثيراً .

ثم تنظر إلى الملك كم من زوج غيره الله والله مالك كل شيء وأنت مالك فتحمد الله على ذلك كثيراً .

ثم تنـظر إلى مالـك وولدك وطعـامك وشـرابك ولبـاسك ونـومك وإيقـاظـك ، وتنـظر الى اختلاف الليل والنهار كيف يقربان البعيد ويقلبان الجديـد ، ثم تنظر إلى العـافية والى كـل شيء تخاف على نفسك في ليلك ونهارك مما تراه ومما لا تراه أنه لا يدفع ذلك ولا يصرفه ولا يكفيك ما تراه وما لا تراه إلا الله سبحانه وتعالى فتحمد الله على ذلك كثيراً .

ثم تنـظر إلى المصائب التي تصيب بهـا الناس في ابـدانهم المـركبـة عليهم فتعلم أن في تركيبك مثل ما في تركيبهم فتحمد الله الذي ستر عليك مما ظهر على غيرك من العلل والآفات .

ثم تنظر إلى من كان من قبلك وإلى من هو كاين في دنياك وآخرتك .

ثم تنظر إلى القدم فتعلم أنه قديم لم يـزل ولا يزول ، ثم تنـظر إلى القدر فتعلم أنـه قادر سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً ، ثم تنظر إلى العلم فتعلم أن الله قد علم ما هو كاين قبل أن يكـون ، ثم تنظر إلى مـا سخر لـك الله من جميـع الخلق وذرأ وبرأ من السمـاء التي زيّنهـا بالكواكب والشمس والقمر وأجرى ذلك المنافع للخلق ، وما جعل في الرياح والسحاب وما جعل من ذلك في الارض الحيوان المسخر المقهور المنقاد إلى المنافع فتحمد الله على ذلك كثيراً .

قال الوافد : فما وراء ذلك يرحمك الله ؟

قال العالم : الصبـر على قضاء الله ومـا جآء من عنـد الله حمدت الله على ذلـك وسلمت الامر لله ورضيت بقضاء الله وحمدت الله عليه ولم تسخط ذلك

قال الوافد : فما وراء ذلك يرحمك الله ؟

قال العالم : تنظر من بعد ذلك إلى نفسك وتعلم أن الله سبحانه وتعـالى خلق الانسان من نطفة تقع في رحم مظلم فتقيم في الـرحم أربعين يومـا يجعلها علقـة ، ثم يجعلها ذكـرا أو انثى فتكون فيه لتسعة وتسعين يوماً ، ثم يخلق الله العروق والعظام والعصب ثم يصيره الله تعـالى بعد ذلك التمام مائة وسبعين يوماً ، وذلـك أربعة آلاف ومـائة واثنين وخمسين سـاعة ، فجمـع حمل الولد التمام حمل امه كاملة أشهره وأيامه وساعاته .

أما أشهره تسعة أشهر كل شهر ثلاثون يوما ، وأيامه مائتان وسبعون يوماً ، وساعاته ستة آلاف وأربع مائة وثمانون ساعة فهذه أيام الولد كاملة أشهره وأيامه وساعاته في تركيبه الحرارة والبرودة واليبوسة واللين ، والدم حارليّن، والمرة الصفراء حارة يابسة ، والمرّة السوداء باردة يابسة ، والبلغم بارد رطب .

وتركيب الانسان اثني عشر وصلة وله مائتان وثمانون وأربعون عظما وله ثلاث مائة وستون عرقا ، فالعروق تسقي الجسد ، والعظام تمسكها ، والعصب يشدّها ، ولكل يد أحد وأربعون عظما ، والعضد عظم ، والترقوة ثلاثة أعظم ، وللرجل ثلاثة وأربعون عظما ، للقدم من ذلك خمسة وثلثون عظماً ، وللساق عظمان ، وللركبة ثلاثة عظام ! وللورك عظمان ، وكذلك الرّجل الاخرى .

وللصلب ثمانية عشر عظما ، ولكل جنب سبعة أضلع ، وللرقبة ثمانية أعظم ، وللرأس ستة وثلثون عظما ، للاسنان من ذلك اثنان وثلثون عظما .

وطول الأمعاء سبعة أذرع ، فسبحان خالق الانسان خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث ذلكم الله ربّكم لا إله إلا هو حتى إذا جاء أوان خروجه من بطن امّه إلى الأرض لم يقدر أحد على خروجه أبداً ولو اجتمعت الانس والجن ما أحسنوا ذلك ، فسبحان الذي أخرجه سويّا لا يُعرف أحدا ، وأسال رزقا وجعل الله رزقه في صدر امّه لبنا يغذيه به لضعفه وقلة بطشه .

حتى إذا جل عظمه وكبر لحمه وقطع سنه وطحن ضرسه وبطشت يده ومشى على قدميه وعلم أن الله خالقه وأنه أوصل اليه رزقه في بطن امّه وبعد خروجه من مهده نسي ذلك وجحده وجعل يطلب رزقه من مخلوق مثله قتل الانسان ما أكفره ، وما علم أن الذي رزقه في ضعفه هو يرزقه في وقت قوته أما سمع ما قال الله تعالى في كتابه لنبيه (ص) : **﴿لا نسئلك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى﴾**[1] أما سمعت قول الله تعالى : قال عزّ من قايل : **﴿وفي السماء رزقكم وما توعدون فوربّ السماء والأرض انّه لحق مثل ما أنّكم تنطقون﴾**[2] .

أما سمع قول رسول الله (ص) حيث قال : « لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها » ، وقال : « كم من هرب من رزقه كما تهرب من الموت لادركه رزقه كما يدركه الموت » وقيل لأمير المؤمنين علي (ع) (يا أمير المؤمنين من أين يأتي الرزق إلى الانسان قال : من حيث يأتيه الموت) .

---

(١) سورة طه : الآية ١٣٢ (٢) سورة الذاريات : الآية٢٢ ـ ٢٣

قال الوافد : أيّها العالم الحكيم أخبرني ما افضل ما أعطي العبد ؟

قـال : العقل الـذي يعرف بـه نعمة الله ويقيمـه على شكرهـا ، وقام بخـلاف الهوى حتى عرف الحق من الباطل والضرّ من النّفع والحسن من القبيح .

قال الوافد : فما وراء ذلك يرحمك الله ؟

قال العالم : الايمان ، وحقيقة الايمان الاخلاص بصدق النية حتى إذا عملت عملا صالحا لم تحبّ أن تذكره وتعظم من أجل عملك ولا تطلب ثواب عملك إلا من الله ، فهذا هو اخلاص عملك ، فان عملت عمل واجب واحببت ان تذكره وتعظم من أجله فقد تعجل ثواب من غير الله لم يبق لاخرتك منه شيء .

قال الوافد : فما تقول في المناجاة ؟

قـال العالم : لا تكن المنـاجاة إلا على الـرجـاء والمصـافـاة ، بقلب سليم من الافـات ، والظنون والغيبـات ، ثم يقول إلهي إن لم أكن لحقـك راعياً لم أكن لغيـرك داعياً ، وإن لم أكن في طاعتك سابقا لم أكن لأعدائك مطابقا ، وإن لم اكن لك عابداً لم أكن لاياتك معانـداً ، وإن لم أكن لك واجداً لم أكن لغيـرك ساجـداً وإن لم أكن للخيرات مسـارعاً لم أكن لبـاب الخطايـا قـارعاً ، وإن لم أكن لحـدودك حـافـظاً لم أكن بكـلام السّـوء نـاطقـا ، وإن لم أكن في سبيلك مجاهداً لم أكن لدليلك جاحداً .

الهي كيف يصـافيك من لا يـأتيك ، وكيف يـرجوك من لا يتقـرب اليك أنـا المتخلف عن أقراني ، أنا الضعيف في اركاني أنا الفريد بحفرتي عن اخواني سيدي قد أتيتك بفاقتي ، وجئت اليك لما عدمت طاقتي أنت العـالم بجرمي المـطلع على ظلمي ، المحصي خطيئتي ، الشـاهد على كربتي الناظر اليّ في خلوتي .

الهي كسدت طاعتي وحسـرت بضاعتي ، وخسـرت تجارتي ، ولم اتـزود من حياتي وقـد قربت وفاتي .

إلهي إن لم تقبلني فـأين الملجأ وإن لم تغفـر لي فـأين الملتجأ للعبـد إلا مـولاه ذهبت أيامي ، وبقيت آثامي ابتداني بتفضيله ، واكرمني بطوله .

مـا الحيلة اعضائي ذليـل ما الحيلة حـزني طويـل ، ما الحيلة احسـاني قليل ، مـا الحيلة وليس لي سبيل .

لا حيلة غير الرّجوع ، والتضرع والخضوع ، والاقبال والاياب ، وتعفير الوجه في التراب ، والتّذلل عند الباب وقراءة آيات الكتاب ، والسجود لربّ الارباب ، وترك الاشتغال بالاشغال ، والاقبال على مقدر الارزاق والاجال ، وترك المعارضة ورفض المناقضة ، وحنين وحرقات ، وانين وزفرات ، وله سهر دايم ، وليل قايم ونهار صائم ، وقلب هايم ، ووعظ لايم ، فرار بلا قرار ، فراق كل محبوب ، والبين عن كلّ مسلوب .

الحيلة أن تخضع حتّى تسمع ، ويخاف القلب ويخشع ، وتعبر العين وتدمع ، اقرع الباب يأتيك الجواب .

قال الوافد : لقد سمعت لذيذ المناجاة كيف يصنع ذلك وقد تمكن في قلبي حتى اقلعه واحسمه .

قال العالم : من أوجعته علته أظهر عند الطبيب زلته ، وابدا إليه شكيته ، من عدم مراده ، قلق فؤاده ومن قلق فؤاده بان منه رقاده ، ارفع خواطر القلب إلى الرّب فهو يجلي الكرب ، ويغفر الذنب ارفع حوائجك إلى ربّك كما ترجوه بغفران ذنبك اكتب قصّة الاعتذار ، بقلم الافتقار امش إلى باب الجبار بقدم الاضطرار ، في وقت الأسحار وارفع يديك بالاستغفار .

قال : فما تقول في البكاء .

قال العالم : لأن تبكي وأنت سليم خير من أن تبكي وأنت سقيم ، وفي النار مقيم بين اطباق الجحيم والشيطان لك قرين وخصيم .

واعلم أنك دخلت الدنيا عند خروجك من بطن امك وانت باكيا عابساً ، فاجتهد أن تخرج منها ضاحكا مستبشراً ان تبكي في الطريق خير من أن تبكي وانت في الحريق ، البكاء مع السّلامة خير من البكاء مع الملامة ، اليوم ينفع البكاء لو بكيت ندما وغداً لا ينفع البكاء لو بكيت وانشد يقول :

ادم البكاء قبل المعاينة   خير من البكاء يوم المعاينة

ابك لضعف فاقتك إبك لقلة طاقتك ، ابك لكثرة معاصيك ، ابك لعظم مساويك ، ابك لافلاسك ، ابك لبعد اناسك ، ابك لقلة عمرك ، ابك لقلة حيلتك ، ابك لعدم وسيلتك ، ابك

لكثرة وزرك ، ابك لثقل ظهرك ، ابك لفساد أمرك ، ابك لظلام قبرك ، ابك لقسوة قلبك ، ابك لمضي دهرك ، ابك لانقطاع حياتك ، ابك لغربتك في لحدك ، ابك لتوديع دارك ، ابك لاستقبال أهوالك .

قال الوافد : كيف اصنع إذا لم استطع البكاء ولم تدمع العين ؟

قال العالم : ما جمود العين إلا بقساوة القلب ، وما قساوة القلب إلا بكثرة الذّنوب ، وما كثرة الذنوب إلا برضا العيوب ، وما رضا العيوب إلا بكثرة الذنوب . جمود العين من قلة الدين وقال في ذلك يقول بعد الصّلاة على الرّسول :

تزّود من حياتك للممات	ولا تغترّ في طول الحياة
اترقدوا لمنايا طارقات	كأنك قد امنت من البيات
أتضحك أيّها العاصي وتلهو	ونار الله تضرم للعصات
فيا قلبي فلم تزدد رجوعاً	واعراض عن عصاة ذوي العصات

ثم قال : تبتغي صفات الفؤاد مع بقاء المراد ، تضيع الاصول بتركيب الفصول ، ثم تطمع بالوصول ، وأنت لا تتبع ما جاء به الرسول تطلب الزاد مع كثرة الرقاد ، وقلة الاجتهاد ، تطلب المساعدة ، مع قلة المجاهدة ، إن هذا من علامات المباعدة ، لن تنال الاماني إلا بترك الفاني ، لا بالكسل والتواني ، أسهر العيون ، تصبح غير مغبون ، لن تنال الجنان إلا بصفاء الجنان ، وخالص الايمان ، وقراءة القرآن ، وتوحيد الرحمن ، واطعام الطعام ، ورحمة الأيتام ، وكثرة القيام ، وطول الصيام ، من طالت مناجاته ارتفعت درجاته ، وقلت في القيامة فزعاته .

قال الوافد : بما ينال العبد جنة الخلود ؟

قال العالم : بحفظ الحدود ، وبذل الركوع والسجود ، ومن اراد الامان فليخلص الايمان ، ويفعل الاحسان ، ويقرأ القرآن ، لن ينال جنة النعيم إلا من أتى الله بقلب سليم ، لن ينال من الله المزيد إلا من يصدق بالتوحيد ، وكثرة التمجيد للواحد الحميد ، من أراد البر فلا يكتسب الوزر ، ومن أراد العطاء صبر على الأذى والبلاء .

لن تنال شهوات الآخرة إلا بترك شهوات الدنيا ، لن تنال النعيم إلا بترك النعيم ، لن تنال معانقة الحور إلا بصلاح الامور ، ومجانبة الشرور ، ورفض المحذور ، لن ينال الشفاعة إلا من قام لأخيه المؤمن النفاعة ، وحافظ على صلاة الجماعة ، وطعام الايتام في المجاعة ، من أحبّ

الشرب من حوض الرسول فيترك كلام الفضول ، ويثبت فيما يقول ، فانّه لا بد مسؤول.

قال الوافد : صف لي الحياء ، .

قال العالم : من عمل برياء فقد منه الحياء ، وحجب الضياء ، وتنكّرت عليه الدنيا ، وعاش في الدنيا يهودياً ، وحشر مجوسيّاً .

قال الوافد : كيف أنال حلاوة الطاعة ؟

قال العالم : بترك الحلاوة ، ولا ينال حقايق المعاني إلا بترك الأماني ، ولا يتمكن في قلبك الخوف والوجل إلا برفض الدنيا وقصر الأمل ، واخلاص العمل وترك الكسل .

قال الوافد : صف لي الورع .

قال العالم : لن تنال الورع إلا بكثرة الخوف والفزع ، واختيار الجوع على الشبع ، وترك الشهوات والطمع ، وصفا عند ذلك قلبك ونلت السهر والقيام ، وقربت من ذي الجلال والاكرام ، وملكت نفسك ، واوقفت نفسك ، ورضي عنك الرب ، وغفر لك الذنب .

واعلم أنك لا تنال من الله البرّ والسلامة إلا بالصبر والاستقامة ، ولا تنال حقايق الرجاء إلا بالانقطاع إلى الله والالتجاء ولا تنال الكرم والتفضيل إلا بالدوام والتذليل ، ولا تنال الراحة في الآخرة إلا بترك الراحة في الدنيا وكثرة البكاء والنياحة ، ولا تنال الرياسة إلا بالحراسة والعيانة ، ولا تنال مجاورة الأبرار في دار القرار إلا بترك الأوزار ، ولا يخشع القلب ويلين إلا بالتفكر والتبيين ، ولا تأمن الخوف إلا بترك عسى وسوف ، ولا تنال الفضل إلا باهمال الشغل ، ولا ينقى القلب مع بقاء شيء من الذنب ، ولا يدرك صفى الهم من في قلبه من الدنيا هم ، ولا يزول عنك الهم ما دام لك في الدنيا خصم ،

من انفق مما يحبّ فهو حق المحبّ ، من ترك ما كان مالكا دخل الجنة وثوابه مضاعف ، من عمل بما أقول شفع له الرسول ، من عمل بغير ما أقول لم يكن عمله مقبولا ، من لم يندم على معصيته أخذته زبانية النار بناصيته ، من قصر الطاعات حرم الصالحات ، من نافس في الخيرات ارتقى الدرجات ، من اعتبر بالليل فجمع بالنهار ومن سهى بالنهار فجمع بالليل ، من ركب الظنّ غبن أيّ غبن ، من ركب فرس الاماني عثر في ميدان التواني ، التاجر بمال غيره مفلس .

قال الوافد : كيف المجاهدة في المباعدة والوحدة والصبر على المحنة والشدة ؟

قال العالم : من لاعبادة له لا زاد له ولا عقبى له ، اقرع الباب يأتيك الجواب ، من أمل العظيم وهب الجسيم ، من أراد الجود أدام السجود ، من لا سجود له لا جود له ، من لاندامة له لا كرامة له من لا خير فيه لا خير عنده ، خير البضاعة الطاعة ، من همّ بالطاعة نجى ، من فزعات الساعة ، لا بد من سهر الاسحار ، وقيام الليل وصيام النهار .

إذا أردت الجنة فاسجد وتضرع ، واظمأ وتجوّع ، واسهر وتطوّع ، وتذلل وتخشع ، وتفرّد وتوحّد ، واضجع وتجرّد ، اذا أردت أن تنال فضل الواحد الأحد اترك الآثام تأمن الصولة ، واعمل صالحا تكن صاحب الدولة ، واهجر الحرام تصل وأنت سالم ، من اكثر النحيب لم يكن عليه رقيب ، ومن دعا اجيب وكان له من كل خير نصيب ، من رغب إلى الله أعطاه ، ومن اكتفى به كفاه ، ومن استغنا به اغناه ومن لجأ اليه آواه .

قال الوافد : كيف اكون ذاكراً وأنا لا أسلم من الغفلة ؟

قال العالم : لا تقع العلة إلا فيمن اكثر الغفلة ، من غفل وقع في الزلل ، إذا أردت السعادة فودّع الوسادة ، وجالس أهل الزهادة ، وأكثر العبادة ، عجباً ممن يستريح وقد بان وباله ، وجميع ما كان في الله تلفه كان على الله خلفه ، اجتهد تجد ، واخلص تخلص ، اتبع الرسول وابشر بالوصول ، من اتصل وصل ، ومن اكثر الجدال نال خير منال ، وكفي الشدة والاهوال ، من خالف هواه كانت الجنة مأواه .

قال الوافد : فما حيلة من دنى من الباب فمنعوه الحجّاب فلم يصل إلى الاحباب ؟

قال العالم : حيلته ملازمة القلق والاكتياب ، والحزن والانتحاب ، والفرق والانتداب ، حتى يأذن له الاحباب ، ويفتحوا له الباب ، اذا اردت في الجنة الوقوف فاكثر في المساجد العكوف ، فانك تأمن من كل مخوف ، كم من متردّد لا يؤذن له ، وطارق لا يفتح بابه ، وكم من طامع في ثوابه ، هو من أهل عذابه .

قال الوافد : فكيف الوصول ؟

قال العالم : تصل الليل بالنهار ، وتتضّرع في غسق الاسحار ، وتسبّح بالعشيّ والابكار ، وتتعود النّدم والاستغفار ، لعل الله يخفف عنك ثقل الاوزار ، ويحرم بدنك على النار .

قال الوافد : كنا صبيان فلعبنا ، فصرنا شبّان فسكرنا ، فصرنا كهولا فكسلنا ، فصرنا شيوخاً فعجزنا وضعفنا فمتى نعبد الله ربّنا ، عطلنا الشباب بالجهالة ، وأذهبنا العمر في البطالة فأين الحجة والدلالة ؟

قال العالم : من غفل في وقت شبابه ندم في وقت خضابه « خطابه خ ل » الشاب لا يصبر على الصّواب ، ويندم عند الخضاب « الخطاب خ ل » ما أحسن الشـاب في المحراب إلى متى العصيـان ، إلى متى متـابعـة الشيـطان ، إلى متى التجـري على الـرحمن إلى محضـر لبـاس القطران ، وتهدّد مالك الغضبـان ، وضرب الـزبانيـة والاعوان ، ألا تفـر من يوم الفـاني إلى يوم الباقي وتتخلّص من الهوان واللوام .

أيّها المغرور بشبابه المسرور باصحابه المحتال بأثـوابه ، أمـا تحذر يـوم عذابـه ، وتخاف شـديد عقـابه ، كم من وجـه صبيح ، وخـدّ مليح ، وبـدن صحيح ، ولسـان فصيـح أصبـح في العذاب يصيح ، بين أطباق النار لا يستريح .

وكم من شباب ينظر الحبيب ، عـاجله الموت وأحـل به النحيب ، كم من مسـرور بشبابـه عاجله الموت من احبابه إلى قبره وترابه ، أيّها الشاب الجهول إلى التراب منقول ، وعلى النعش محمول ، وعن اعمالك مسؤول ، ما لك لا ترجع ، ما لك لا تفزع ، ما لـك لا تخضع ، اه من يوم يقول فيـه المولى : عبـدي شبابـك فيم أبليته ، وعمـرك فيما افنيتـه ، فلا تنـظر إلى الشباب وطراوته ، ولا تغتر في حسنه وملاحته ، ولكن انظر صرعته وندامته .

ما أحسن الاناب بالشباب ، وما أقبح الخضاب بمن قد شاب وما تاب ، ما بقاء الشيخ في الدّهر الا كبقاء الشمس على القصر في وقت العصر ، الشيب داعي الموت وناعي الفوت الشيب يأذن بالفراق ، ويخبر بالتلاق ، الشيب ظاهره وقار ، وباطنه ازدجار ، الشيب يكدر المنا ، ويكثر العناء ، الشيب كسل في كسل ، وعلل في علل وملل في ملل ، وخلل في خلل ، وآخره تقريب الأجل ، وقطع الأمل .

فلما بلغ كلام الوافد إلى هذا الحد قـال له العـالم : ما أسوأ عبد أقـرب منه الأجـل وهو يسيء العمل ، ما أسوأعبد ظهر فيه الخجل وهو يكثر الزلل ، من شابت ذوائبه خفّت حبايبـه ، أين الاستعداد ، أين تحصيل الزاد ، وانت للذنوب تعتـاد ، وقد نـاداك المناد ، أين الـرجع الى الله أين المشتـري نفسه من الله ، أين النـادم من ذنبه ، اين البـاكي على أمسـه ، أين المستعـدّ لرمسه ، أين الطالب للثواب ، أين الخايف للعذاب .

ألا ترجعون إلى الهدى ألا تقبلون إلى الله ، ألا تخافون من عذاب الله ، ألا تـطمعون في ثواب الله ، ألا تقتدون بأولياء الله ، ألا تتوبون من الذّنوب . الا ترجعون عن العيوب ألا تندمون على ما أسلفتم ، ألا تعرفون لما تقترفون ، ألا تستغفرون لما اجرمتم .

أما للقلوب أن تخشع ، أما للعيون أن تدمع ، أما للصّدور أن تجزع ، أما للعاصي أن يفزع من الذّنوب ، أما للخاطي أن يرجع عن العيوب ، أما تعلم أيّها العاصي أنه لا تخفى خافية على علام الغيوب أما تعلم أنك مأخوذ مطلوب ، ومتعتع في النار مسحوب ، أما تعلم أنك مفارق لكل صديق ودمعك على خدك مسكوب ، أما تخاف وانت عن رحمته محجوب ، وعلى وجهك في النار مكبوب ، فيا له من جسد متعوب ، ودمع مسكوب وقلب وعقل مرعوب .

قال الوافد : كيف الاحتيال في الخلاص ؟

قال العالم : أما تعتبر أما تزدجر ، أما تستغفر ، أما لك فيمن مضى عبرة ، أما في احد ثلك فكرة إلى متى هذه الجفوة والفترة إني أخاف عليك من القسوة والحسرة ، فكم هذه الغفلة الـ امرة ، والقسوة الحاضرة ، أما تغتنم أيامك ، أما تمحو آثامك أما تكفر أجرامك ، أما تحذر ما قدامك ، أنسيت ما أمامك ، أما تنتبه من رقادك ، أما تتأهب لمعادك ، أنسيت اللحد وضيقه ، أغفلت عن البعث والنشور يوم يظهر كل مستور ، ويحصل ما في الصّدور .

إلى متى تعلل بالأيمان الكاذبة ، وتضيع الحقوق الواجبة ، أفنسيت الأحباء فلم تعتبر ، وغيبتهم المقابر فلم تزدجر . ما للناس لا يرجعون ، يوعظون فلا يعقلون ، ينهون فلا ينتهون ، ينادون فلا يسمعون ، استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله اولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون ، يقولون ما لا يفعلون يأملون مالا يبلغون ، وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون ، وإذا امروا بالطاعة لا يطيعون ، ويجمعون مالا ياكلون ولا يلبسون ، بل هم يكذبون ويسرفون ، وينافقون ويحلفون ويخالفون ويراؤون ويبخلون فبأي حديث بعد القرآن يؤمنون ويجمعون ما لا يأكلون ويبنون ما لا يسكنون ، لا من الله يخافون ، ولا عند المعاصي يستحيون ، ينامون نوم البهايم ثم شربه ، ويأخذون فيه بالجرايم ثم يصبحون على خلاف ما يسمعون ، همومهم دنيّة ، وأعمالهم ردّية ، وأحوالهم غير مرضية .

قال الوافد : كيف يصنع من أصبح مع هؤلاء ؟

قال العالم : يرضى صاحباً ، ويعتزل عنهم جانباً ، ويل لمن له ذنب وثناء مشهور ، وهو عند الله مثبور ، ظاهره بالخير معروف ، وباطنه بالدّنيا مشعوف وهو عن باب الله مصروف ، وثيابه أبيض من الحليب ، وقلبه مثل قلب الذيب ، باطنه من التقوى خراب ، وهو يطمع في الثواب ، وهو في الدّنيا سكران من غير شراب ، ظاهره فيه سيماء الصّالحين ، وباطنه فيه سيماء الجاحدين ، مقالته مقال الأبدال ، وأفعاله فعال الجهّال ، فاولئك من المطرودين عن باب ربّ

العالمين ، يسوّفون التوبة ، ويلبسون ثياب الزاهدين ، ويضمرون أسرار الظالمين

ألا وإن أبعد الناس من الله من نظر الى عيب أخيه المسلم ولم ينظر إلى عيب نفسه إن رأي لأخيه المسلم حسنة سترها ، وإن رأى سيئة نشرها ، فذلك جزاؤه جهنم وبئس المصير ، من لم يميز بين الحلال والحرام اسرعت إليه أسهم الانتقام ، من تأسف على شيء من الدنيا لم تفته كثرة نزعته عند موته .

قال الوافد : صف لي الهالك المشق .

قال العالم : هو الذي يتأسف على رزق لم يأته ، وينتظر مالا وربّما لا يستوفيه ، يخاف شره ، ولا يرجى خيره ، يظهر خيره ، ويكتم شرّه ، وهو مرتبط بالنفاق ، معانق بالشقاق ، شين الاخلاق ، قليل السؤال ، قرين المحال كثيره قليل رضي بالقليل ولا سلك طريق النجاة ، ولا يخاف المفاجاة ظاهره مع أهل الدين ، وباطنه مع المنافقين قد باين الفرقان ، وأغضب الرّحمن ، فقلبه لا يخشع ، وعينه لا تدمع ، ونفسه لا تشبع قد اثر العمى على الهدى ، وبدل الدّين بالدّنيا ، وفي ذلك يقول بعد الصّلاة على الرسول:

مضى عمري وقد حصلت ذنوب   وعزّ عليّ اني لا أتوب
يطهر للجمال لنا ثياب   وقد صدئت لقسوتها القلوب
وأعربنا الكلام فما لحنا   ونلحن في الفعال فلا نصيب

قال الوافد : اسأل الله تعالى سلوك طريق الأخيار ومجانبة طريقة الفجار .

قال العالم : إن الله سبحانه وتعالى قد تبيّن لعباده طريق الهدى ، وحذّرهم المخاوف والردى بعث إليهم رسولاً ، وجعل القرآن لهم دليلا ، وركب فيهم عقولا ، أمرهم ونهاهم وخيّرهم ومكنهم وأعدّ لهم ثوابا وعقاباً ، فمن أطاع أوفاه ثوابه ، ومن عصاه فله عقابه ، وإيّاك والظلم والعدوان ، والاقدام على الزور والبهتان ، وعليك بالعدل والانصاف ، والتذلل والألطاف ، ولا تظلم أحداً فان الظالم نادم ، الظلم يخرب الدار ، ويفرد الجار ، من أكبر المصايب والخسرات ، المأخوذ يوم القيامة بالتبعات يوم لا شفيع يشفع ، ولا دعاء يرفع ، ولا عمل ينفع ، لا ينفع الظالم ندمه ، وقد زل به قدمه ، وقد شهدت عليه جوارحه ، يا حسرة الظالم يا ويحه .

قال الوافد : كيف الاعتبار ؟

قال العالم : انظر إلى أهل الدنيا جمعوا كثيراً ، وأملوا طويلاً ، وعاشوا قليلا هل تسمع لهم حسّا ، أو ترى لهم في القبور انسا ، سكنوا في التراب وتغايبوا عن الاحباب ، ولم يسلموا من العقاب ، حملوا ثقيلا ، وعاينوا وبيلا ، وصارت النار لهم منزلا ومقيلا ، ومضت عليهم جهنم بكرة وأصيلاً ، لا يطيقون قبيلا ، ولا يسمعون جميلاً ، ولا يرجون تحويلا ، ولا يملون عويلا ، أين الذين شيّدوا العمران ، وشرّفوا البنيان ، وعانقوا النسوان ، وفرحوا بالاولاد ، وجمعوا الديوان ، وتملكوا البلاد ، وغلقوا الابواب فأقاموا الحجاب .

أما رأيت كيف دارت عليهم الدوائر ، وخلت منهم المكاسر ، وتعطلت منهم المنابر ، وضمّتهم المقابر ، وغيّبتهم الحفاير ، وتمزّقت جلودهم ورجفت قلوبهم ، قصورهم خراب واجسادهم تراب ، أين ملوكهم ، اين خيلهم ، أين مواليهم ، أين أنصارهم ، أين عددهم أين وزراؤهم ؛ أين ندماؤهم ، أين أموالهم أصبح غنيهم فقيراً ، وأميرهم حقيراً .

هل بقي الذكر إلا لمن أطاع مولاه ، ورفض في رضاء الله دنياه ، وخالف من خوف الله هواه وقدم الخير لعقباه ، فدخل دار السرّور ، وكفاه الله كلّ محذور ، دار فيها الأمان ، والحور الحسان ، والاكاليل والتيجان ، والوصائف والغلمان ، والانهار الجارية ، والاثمار الدانية ، والنعمة الوافية ، والسّرر المصفوفة ، والموائد المعروفة : والفرش المفروشة ، والاكواب الموضوعة والخيام المضروبة ، والقصور المنصوبة ، تلك دار اليقين ، ومحل الصّالحين ، ومأوى المؤمنين ، وذلك شعر يقول :

تنام ولم تنم عنك المنايا ... تنبه للمنية يا ظلوم
وحقّ الله إنّ الظلم شؤم ... وما زال المسيء هو الملوم
إلى الدّيان يوم الدين نمضي ... وعند الله تجتمع الخصوم
سل الايام عن امم تفانت ... فتخبرك المنازل والرّسوم
تروم الخلد في دار المنايا ... وكم قد رام قبلك ما تروم

قال أيضاً في ذلك شعر تقول بعد الصّلاة على الرّسول :

اعادك ما له لتقوم فيه ... بطاعته وتعرف فضل حقّه
فلم تشكر لنعمته ولكن ... قويت على معاصيه برزقه
تبارزه بها يوما وليلة ... وتستحيي بها من شر خلقه

ثمّ قال : ما أسوأ حال من يصلي ويصوم ، ويسهر ويقوم ، ثمّ يحفر لأخيه المسلم بئراً ،

ولا يدري أنه يقع فيه قال : اغتنم ركعتين زلفا إلى الله إذا كنت فارغا مستريحا وإذا هممت بأمور الباطل فاجعل مكانه تسبيحا .

قال الوافد : كيف التواضع ؟

قال العالم : عجبا ممن خلقه الله من نطفة ، ورزقه من غير كلفة ، كيف لا يلزم التواضع والعفة ، وعجباً ممن خلق من ماء مهين ، كيف يغتر بمال وبنين ، وعجباً ممّن أصله من التراب والطين ، كيف لا يتواضع للفقراء والمساكين ، كيف يضحك ويعجب ، ويلهو ويطرب ، ويفتخر ويلعب ، والقبر منزله ، والتراب وسادته لا يعتبر ولا يستغفر ، بعد الغنى الفقر ، وبعد العمارة الخراب ، كيف من أوّله من تراب ، وأوسطه ريح في جراب ، وآخره ميتة في خراب ، كيف يفرح بالمنى من هو عرض للفناء ، كيف يطمع بالسّرور من تعجّلته المنية للقبور ، وكيف يفرح بمضاجعة النواهد من يضاجع الدود غداً في الملاحد .

أيّها المعتجب بالدنيا وشبابه ، المختال في مراكبه وثيابه ، المفتخر بأهله وأصحابه ، انظر إلى المنقول من أترابه إلى ظلمة اللحد وترابه ، أيها المفتخر برجاله وأمواله ، المعتجب بأحواله وأشغاله ، انظر المقبور وتفكر في حاله ، أيها المتطاول بعشايره وأحبابه ، المسرور بعلمه وآدابه ، انظر إلى المنغص في شبابه المختطف من بين أحبابه ، هل منع عنه حجابه ، أو تبعته أصحابه .

أيّها الجامع أنواع العلوم ، هل تعلم ما سبق لك في المعلوم ، أتدري مقبول أنت أم محروم ، محمود عند ربك أم مذموم ، يا صاحب العلم والافادة . أمعك خبر من الشّقاوة والسعادة ، أيّها الناظر في الدقايق ألك أمان من البوايق ، هل علمت بالحقايق ، حتّى رضي عنك الخالق ، ما حيلتك إن هتك سترك غداً ففي هذا شهد الخلايق .

قال الوافد : اخبرني (من ظ) المكين في ذلك اليوم ؟

قال العالم : المكين في ذلك اليوم من أخذ من هذا اليوم لذاك اليوم العظيم ، المكين من اتى الله بقلب سليم ، المكين من عرف الحق المبين ، القوي الشجاع من عرف الملك المطاع .

قال الوافد : فمن الحقير في ذلك اليوم ؟

قال العالم : الحقير من كان من رحمة الله فقير ، ومن هو للذنوب أسير ، الخاسر البائس

من هو من رحمة الله ايس ، السقيم من هو في النار مقيم ، الحزين من كان له الشيطان قرين ، يا صاحب الحسن والجمال ، والذخاير والأموال يا كثير الاشتغال كأني بقلبك كم هذا العجز والضّلال ، كيف تطيق السّلاسل والاغلال ، ما أسوأ حالك إذا لم تقدم لنفسك في حياتك ، يا صاحب الاموال الكثيرة ، كأني بك قد صرت فقيراً ، يا ذا العزّ والمملكة كيف بك في دار المهلكة ، يا ذا العساكر والجنود كيف تصنع بنار الوقود .

قال الوافد : من المالك في ذلك اليوم الهويل ؟

قال العالم : من رضي عنه الجليل ، الطريف من هو عن الحرام عفيف ، العاقل من لم يكن عن الله غافل يستقبح من المؤمن كبره ويستحسن من المؤمن فقره حقيق بالتواضع من يموت ، وبالبذل ما يقوت ، والمؤمن من دنياه تقوت ومعاشه قوت ، قال في ذلك شعر يقول بعد الصلاة على الرّسول :

صنيع مليكنا حسن جميل فما أرزاقنا عنا تفوت

وشعر اخر

فيا هذا سترحل عن قريب إلى قوم كلامهم السّكوت

قال الوافد : كيف هنأنا بالعيش في هذه الدنيا ، وهذا أفعالها في أهلها .

قال : بناؤنا للخراب ، وأعمارنا للذهاب ، ودهرنا إلى انقلاب ، والموت يتبدد الاحباب ، ويفرق الاصحاب ، وينزل الملوك من القصور والقباب إلى القبور والتراب كل ما عملنا معدود عليه حفظه أعمالنا محفوظة ، وأنفسنا مقبوضة ، وسيئآتنا على عقولنا معروضة ، لنا من كاسات الموت شراب ، ولنا من بعده سوء الحساب .

طوبى لمن له في الطاعة اكتساب حتى ينال في الاخرة الثّواب ، والويل لمن له العقاب والحساب والعذاب الموت يدخل باب أخرجه الموت فرداً إذ لم يكن له باب ، اه واغفلتاه من اكتساب الخيرات ، ولم نستعد للممات ، لا بد لنا من الحساب ، لا بد لنا من العقاب ، لا بد لنا من العرض على ملك الجبار .

غفلنا عن الانتخاب ، غفلنا عن الاكتياب ، غفلنا عن الازفة ، غفلنا عن الواقعة ، غفلنا عن القارعة ، لم نذكر الندامة ، لم نذكر القيامة ، لم نخف الطامة ، ما أغفلنا عن الزلزلة ، ما أجرأنا على الخالقة ، ما اكفرنا بالرازق ، يا ويل كلّ منافق ، انا راجعون ومسؤولون وموقوفون ،

فهل لنا مفر ، هل لنا مستقر ، لا ملجأ لنا من الله ، لا مهـرب لنا من الله ، العـاقل يتـرك الهوى وفي ذلك يقول بعد الصّلاة على الرّسول :

لـو ان عـيـنـا وهـمـتـهـا نـفـسـهـا ان الـمـعـاد مـصـوّر لـم يـطرف
حـتـم الـفـنـاء عـلى الـبـرّيـة كـلـهـم والـنّـاس بـيـن مـقـدم ومـخـلـف

قال الوافد : صف لي الراغب ؟

قال العالم : أقل الرّاغب ، واترك الواجب ، ما لله طالب ، ولا للعباد راهب ، ولا طالب في ثوابه راكب ، ولا عن الـذنوب تـائب ، ولا فتى نفسه لله واهب ، بـل مدمـع كاذب ، فـانك للخلق مجـانب ، مهمل السنـة والواجب ، معـانق الخـلايق مـواهب ، امـا البكـاء على أمثـالنـا فواجب ، قبلْ الـوقوع في العـذاب الواصب ، بين الحيـات والعقارب نفس عن البـاب طريـد ، وقلب من النشاط بريـد ، وعمل من المـريد بعيـد ، كان الفؤآد صخرة أو حـديد ، أيهـا القلب الشريد ؛ أما يكفيك الزجر والتّهديد ، أما سمعت الوعد والوعيد ، ليلك عطالة ، ونهارك غفلة ، ودهرك مهلة ، ليس لك من الجهل نقلة أما تخاف موقف الذلة ، أما عرفت فعلك كله ، أي ليلة لك ، أي يوم لك ، أي صلاة لك أي صوم لـك ، إلى كم الغفلة والنّوم ، إلى كم تتبـع عادات القوم ، إلى كم تحوم في المعاصي حوم ، كأني وقد أوقفت في مـوقف الكوم ، على أي عهـد أوفيت ، على أي وعـد الله قمت ، على أي توبـة وصلاح لله رمت ، هـل صليت لله مخلصـاً أو صمت ، هل قعدت في رضاء الله أو قمت .

كـأني بك قـد ندمت على بـطالتك ، وتـأسّفت على تزك طـاعتـك ، وبكيت عنـد هجـوم ساعتك ، وخسرت في تجارتك وبضاعتك ، ولم تنتفع بفصاحتك وبراعتك ، وذهبت منك قوتك وشجاعتك .

قال الوافد : وعدنا الله الرحمة في كتابه .

قال العالم · حمة الله قريب من المحسنين إذا عملت بالرضـا عفى عنك مـا مضى وحرم لحمك على الدود 'النـار ، إذا نظر ستـر ، وإذا رحم غفر ، عـظيم فضله ، صادق قـوله ، عليم رحيم بالكرم موصوف ، وبالرحمة معروف ، العبد ينشره ، والرّب يستره ، يكافي ريعافي ويشفي عبده ، ويوفي وعده ، كم قبيح فعلناه ستره ، وكم رزق لنا يسره أفرغ تحت جوابه ، إقرأ كتابه ، ارجع اليه يمن بالقبول ، واقرب إليه يحسن بالوصول.

ما ضاع من قصده ، وما جاع من عبده ، ولا خاب من أمله ، ولا خسر من عمل له ، بابه لا يغلق ، وحكمه لا يسبق ، وجاره لا يغرق ، القلوب من خوفه تبرأ ، والصّدور من هيبته تقلق ، والرجاء بعفوه يعلق .

من ناجاه انجاه ، ومن اتقاه وقاه ، من التجأ إليه نصره ، ومن استغنى به ستره ، ومن قصده قبله ، ومن طلبه وجده ، ومن عبده فضله ، ومن تاجره اربحه ، ومن امده فرحه ، ومن سأله منحه ، ومن شكره ذكره ، ومن استهداه وفقه ، ومن توكل عليه رزقه ، ومن سأله أعطاه ، ومن توالاه والاه ، ومن استأنس لذكره لم يخب ومن تخلى لطاعته نال ما يحب، إليه المفر ، وعنده المستقر ، من للفقير والغني ، والضعيف والقوي ، من للذليل والعزيز ، من للعبد إلا سيّده ، وأين يوجد إلا عنده .

قال الوافد : كأني بالقيامة قد قامت .

قال العالم : كأني بالشاب المليح ، وهو بالنار يصيح ، طريح بمقامعها ، كم شيخ كبير في العذاب المستطير لم ترحم شيبته ، ولم تكشف ولم تقبل معذرته ، قد اطعم الضريع وسقي الحميم ، وعري وجاع وقرب للعذاب ومدد ، وضرب بالمقلمع وهدد ؛ وغلق بالسّلاسل وجلد ، ونزل في ادراك النار واقرد ، واطرد من الرحمة وبعد ، وسطل في النّار ومهد ، وغلظ عليه العذاب وجدد .

فويل له من توابيت النّيران ، وغضب مالك الغضبان ، هذا جزاء من زينت وعصيت ، وأخطأت وتعدّيت وتوانيت ، ألم تنته من العيب ، ألم تتعظ بالشيب ، بالمعاصي جاهدت، وبنفسك خاطرت ، ما صلاح أظهرت ، وللفساد والنفاق أسررت .

هذا جزاء من أساء وظلم العباد ، هذا جزاء من ترك صلاته وأطال الرقاد ، هذا جزاء من أضاع الصّلاة ولم يهتم بها في الاوقات ، هذا جزاء من تركها وتبع الشهوات هذا جزاء من عصى في الخلوات .

قال الوافد : كيف يستريح بالدنيا من وعد بهذه المصائب ؟

قال العالم : من ارتكب المحارم واكتسب المآثم دخل هذه الدار وخلّد في عذاب النار ، يا من عصى الملك العلام ، واختلى بالمعاصي في الظلام ، يا من ذنوبه لا تحصى ، وعيوبه لا تنسى ، وذنبه لا يعفى ، اخسأ فيها يا مطلوب يا مكروب ، يا كثير الذنوب ، افسدت في الدّنيا

دينك ، وضيّعت فيها حظك ، يا كثير القبايح ، يا كثير الرياء، يا قليل الحياء، يا مغبون يا مثبور يا من اطمأن بدار الغرور ، يا من قدم مغرور ما حجتك في يوم النشور ، ما تركن في صلاحك ، ما أغفلك عن أخذ زادك ، مهلا عن التفريط ، مهلا عن التخليط ، مهلا اقبل البين والفراق ، يوم التفت الساق بالساق قبل حمل ما لا يطاق .

قال الوافد : عجبا من هذه الدّنيا ما امكرها ، ما أخدعها ، ما أجورها ، ما أدبرها ، ما أقل نفعها ، ما أكثر ضرّها إلى كم اغتر بمالي ما أغفلني عن أعمالي ، ما أقبح أفعالي ، إلى كم خوف ولا اخاف ، كم اغرق اصر على الذنوب ولا انصرف ، كم يمهلني ربّي ولا اعتبر ، والى متى توبتي أسوف ، غفلت عن الطاعة ، وكفرت بالنعمة نسيت الجريمة واستعملت النميمة .

قال العالم : اعترف بذنبك ، وارجع إلى ربّك ، واندم على فعلك ، ولا تستقل القليل ، ولا تنم الطوّيل ، فان أظلم النّاس من ظلم نفسه ، وأضيع النّاس من ضيّع يومه وأمسه وأسرف الناس من أسرف في « واسرق الناس من سرق عن ظ » صلاته، وأبخل النّاس من امنن بركاته ؛ اذل النّاس من أساء عمله في خلوته ، أجد النّاس من غلب شهوته، اغفل النّاس من ضيع حياته، أندم الناس من ضيّع ساعته ، من أمل الله أعطاه ، من سأل الله بلغ سؤاله،أحمد النّاس من حمد ذكره ، وأكثر شكره ، من رضي بالقضاء ، تسلى عما مضى كيف لا يهتم ولا يغتم من لا يدري العمل بما يختم ، كيف يهنأ برقاده ، كيف يتوسد وساده كيف يسكن نفسه وفؤاده ، وهو لا يدري من أهل الشقاوة أم من أهل السعّادة .

قال العالم: لا تقصر في عمل الأخيار ، ولا تسلك سبيل الفجار ، ولا تكسب الاوزار ، واطمع ربك باللّيل والنّهار ، ولا تجوع ولا تشبع وتورع ولا تطمع ، وخف واحذر ، فمنزلك القبر ، وثوبك الكفن ، كيف يلهو بالملاهي من بين يديه الدواهي ، كيف يكسب الآثام من وكل به الملائكة الكرام ، وكيف يفرح من غداً عليه يصرح والدود والهوام يطرح ؛ كيف يفرح ويسر من يموت ويقبر .

قال الوافد : ما لي لا اخفف حملي ، ما لي لا احقق شغلي ، ما لي لا اترك جهلي ما لي لا اتبع عقلي ، ما لي لا اجتهد ، ما لي لا احذر ، ما لي لا أحرم إلى متى أقول غداً أو بعد غد ، اما أعلم أن مسكني اللحد ما اقسى فؤادي نسيت معادي ، ما أقل زادي ما اقرب سفري ، وكتب خطري .

الآن ينزل الموت ، الآن ينقطع الفوت ، الآن أسمع الصوت ، الآن يغلق الباب ، الآن

افارق الاحباب ، الآن انقل إلى التراب ، الآن احضر إلى الحساب ، الآن اخطر الى البلاء ، ما لي لا انتهي عن الهوى ، ما لي لا اتبع الهدى ، لا بد من سفر ، لا بد من خطر ، لا بد من موت ، لا بد من فوت ، لا بد من عرض الملك الفرد ، لا بد من القبر ، لا بد من الحشر ، لا بد من النشر ، لا بد من حسرة ، لا بد من عبرة ، لا بد من زوال ، لا بد من ارتحال ، لا بد من الجزاء على الأفعال .

خنت بالعينين ، اصغيت بالاذنين ، أخذت الحرام باليدين ، مشيت الى المعاصي بالرجلين ، حركت بالكذب الشفتين ، قطعت الرّحم وعقت الوالدين ، أعرضت عن مولاي واتبعت هواي ونسيت ما بين يدي ، عطفت عما اساق إليه ، لم اذكر من أعرض عليه ، كأني وقد منعت الخطاب بلساني ، وسلبت القوى من اركاني ، ونزع روحي وادرجت في اكفاني فويل لي منْ ملائكة يشهدون عليّ بما ضيعت ، ويحفظون ما صنعت ، فيا كربتاه ، ويا غمتاه ، ويا حزناه ، واغصّتاه ، واسوأ حالتاه . وانشد يقول :

والصحيح اضحى يعود سقيماً	وهو ادنى من الامور البعيد
وصبيّ من بعدهم لحقوهم	ضلّ عنهم نزولهم والصعد
اين اهل الدّيار من قوم نوح	ثم عاد من بعدهم وثمود
بين ماهم على النمارق والد	بابيج صاروا إلى تراب اللحود
ثم لم ينقص الحديث ولكن	بعد ذاك الوعد ثم الوعيد

قال فاجابه العالم يقول بعد الصلاة على الرّسول :

افنيت عمرك ادباراً واقبالا	لا تتقي النفس تبغي الاهل والمالا
فالموت هول فكن ما عشت ملتمسا	من هوله حيلة ان كنت محتالا
املت بالجهل عمراً ليس تدركه	والعمر لا بد ان يفنى ولو طالا
كم من ملوك مضاريب الزمان بهم	فاصبحوا عبرا فينا وامثالا

قال الوافد : جد في الصّلاة يرحمك الله .

قال العالم : الصّلاة صلة بين العبد والرّب ، وستر للعيب وكفارة للذّنب ، الصّلاة صلة بلا مسافة وطهارة كل خطيئة ، الصّلاة مواصلة ومصافاة وامر ومناجاة المصلي يقرع باب الله ويطمع في ثوابه وهو على بساط الله عز وجلّ .

إذا كبر العبد تكبيرة الاحرام تساقطت الاوزار ، واذا توجّه العبد إلى القبلة فقد بدا من نفسه الخضوع والذلة ، واتبع الشرع والملة ، واذا فرغ العبد من الصّلاة كفر الله عنه سيّئآته وخطيئته ، واجزل عطيته ، إذا خلص العبد من القراءة والتلاوة سطع في قلبه النور والحلاوة وإذا قرأ الفاتحة أدرك الصفقة الرابحة ، وإذا اتبعها بالسورة كثر في الاخرة سروره ، وكفاه الله محذوره ، وإذا انحنى للركوع فقد أظهر لله الخضوع ، وإذا قام لـلاعتدال نفى عنه الاشتغال ، وإذا هوى للسجود فقد خرج من الجحود ، واستحق من الله الجود ، وإذا انهدم على التمام سلمت عليه الملائكة الكرام وبشّروه بدار السّلام .

الصّلاة شرح الصّدور وفرج من جميع الامور ، الصّلاة نور في الفؤاد وسرور يوم المعاد ، الصّلاة للقلوب منهاج وللارواح معراج ، الصّلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ويؤمن صاحبها من نكير ومنكر ، الصلاة تغني الافلاس وتلبس العبد الاناس ، الصّلاة قرة العين وجلاء الدّين ، المصلي على بساط المولى يناجي الملك الاعلى .

الصّلاة ضياء في الصّدور ، وفسحة في القبور ، ورفيقه في الحشر والنشور ، الصّلاة تجوز على الصراط وتورث صاحبها النشاط ، الصّلاة تنزع فساد القلوب وتكفر الذنوب ، الصّلاة تسهل العسير وتمحو الذنب الكبير ، الصّلاة توسع الأرزاق وتطيب الاخلاق ، الصّلاة تقرب العبد إلى المولى ويؤمن من البلوى ، من لزم المحراب قرع الباب ، ومن قرع الباب أتاه الجواب ، صحة الودادة ، لزوم المساجد للعبادة .

الصّلاة تخفف الأوزار وتوقي صاحبها من النار ، أقرب ما يكون إلى ربّه من سجده وقام ، وصلاه وصام ، لو علم المصلي لمن يناجي لما التفت في صلاته ، من سهى في صلاته فقد ضيّع اشرف أوقاته ، اخضع لربّك في الصّلاة ذليلا واذكر وقوفك في الحساب طويلاً ، لو علمت بين يدي من تقوم ، كنت تلازم على بابه وتدوم .

عجباً لمن يناجي القاهر كيف يخطر في قلبه الخواطر ليس للمؤمن من صلاته إلا ما عقل ، وترد إذا غفل ، عفر وجهك في التراب فلعله يفتح لك الباب احضر في الصّلاة باطنك كما تحضر ظاهرك ، طهر قلبك كما تطهر ثيابك .

عجباً ممّن يسأل الخلق وباب مولاه مفتوح لكل سائل . عجباً ممّن يتذلل للعبيد وله عند سيّده ما يريد ، من أطال القيام أزال الله عنه الأوزار والآثام ، من أخر الصّلاة في الأوقات من غير علّة من العلات حرم الخيرات والصّالحات ، من ترك الصّلاة إلى الليل جلّ به الويل ، من

حافظ على الصّلوات تتابعت إليه الخيرات ، ورفعت له الدّرجات ، وصرفت عنه النقمات .

من لم تكن الصّلاة من باله وعزمه ، لم يبارك له في رزقه ، وتركه الله بهمّه، من ضيّع صلاته لم تقبل حسناته ، وكثرت عند الموت سكراته ، من غفل عن الصّلاة والذكر ضيّق عليه في القبر ؛ الصّلاة عماد الدّين ، وتمامها صحّة اليقين .

قال الوافد : ما للذي يقوم الليل صف لي ثوابه .

قال العالم : من قام الليل وسهر نجاه الله من الأمر العسير ، من خاف البليات لم تغلبه السيئآت ، من حذر الحمام شرّد عنه المنام ، من اغتنم الليالي والأيام لم يقطعها بالبطالة والمنام ، من ألف الوطا والمهاد ، خرج إلى الاخرة بغير زاد ، من تعود للوسادة بحودّ « كذا » حق العبادة ، من خاف اللحد لم ينم على الخد ، من عصى مولاه كانت الجحيم مأواه ، من فزع من يوم القصاص تضرع إلى ربّه بالاخلاص ، من علم ان الى ربه مرجعه هجر في الليل نومه ومضجعه ، من غلب على قلبه الحزن منع من عينيه الوسن ، من تحقق الافلاس شرد عنه النعاس ، من علم أن الله من يدعوه لم يزل يخافه ويرجوه ، فان الله تعالى يقول :

هل من داع فاجيب ، هل من مطيع فاثيب ، هل من متقرب فاني منه قريب، هل من تائب فاني تائب عليه ، هل من متوكل فأسوق الرزق إليه ، هل من مستغفر فاغفر له ، هل من مستعين فأعينه ، هل من مستجير فأجيره .

يا أهل الليل ابشروا بالسرور والحمد يا أهل الليل كفيتكم جميع الأهوال يا أهل الليل تقرّ اعينكم عند انقضاء الاجال ، يا أهل الليل اكثروا التضرع والابتهال فقد اطلع عليكم الكبير المتعال ، يا أهل القرآن تهجدوا بالقرآن ، يا أهل القرآن معكم التنزيل والبيان ، من سهر بالليل وقام وتجوع وصام كان مقامه بالقيامة خير مقام .

يا أهل الليل قد غلقت الملوك أبوابها وطاف عليها حجابها ، وطلبت كل صحبة أصحابها ، وارخى أهل المعاصي استارها ، والملك الجبار يقول يا عبادي يا أهل ودادي ابشروا بودادي والثواب في معادي .

قال الوافد : ما اجرأ العباد على المعاصي فلم يخافوا الأخذ بالنّواصي كم تغفل وتنام ، وتظلم الايتام ، كأني بك قد عجلك الحمام ، وأنت غافل في المنام يا من هو مقيم على القبائح والاثام ، أما تخاف انقطاع الايام وحلول الحمام ، وشهادة الملائكة الكرام .

وقال العالم : في الليل يقرع باب الوهاب في الليل خلوة الأبواب في الليل تقبل توبة من تاب ، في الليل يستغفر من كذب واغتاب ، في الليل يعمر القلب الخراب في الليل يأتي الجواب . الليل لأهل الصّلاة والمحراب ، يا أهل الاسحار لكم الأنوار فاقبلوا على الاستغفار ، في صلاة الليل النجاة من الويل ، في المناجاة نجاة هلموا فهو ذو الاجابة ، اقبلوا فهو ذو الانابة ؛ اعملوا بالصّواب ، يفتح لكم الباب .

اسألوا الأمان يا أهل الايمان ، تضرعوا إلى الحبيب فهو من المتضرعين قريب ارجعوا إليه يكن لكم من كل خير نصيب ، عليكم بالسّهر فانكم على سفر الادلاج يا صاحب المنهاج ، البكورْ البكور ، يا من يريد السّرور ، الاسحار يا كثير الاوزار .

قال الوافد : صف لي فضل الصيام والقل من الطعام .

قال العالم : من اكثر الصّيام تقل عنه الآثام ، قال الطعام تسبق إلى القيام ، من شبع من الطعام غلب عليه المنام ، ومن غلب عليه المنام قعد من القيام ، الشبع يظهر الرّوح ، ويترك القلب مقروح الجايع عفيف خفيف ، والشبعان عاكف على الكنيف من كان شابعا كان للشيطان متابعاً ، الشبع يكسب الوجع ، ويذهب الورع ، ويكثر الطمع ألا إن الصّوم جنة من النار ، ورضاء للجبار ، من أطاع ضرسه أضاع نفسه التجوّع في الفؤاد نور ، وفي المعاد سرور ، من استعمل القصد استغنا عن الفصد ، من قنع شبع ، ومن شبع طمع ؛ من اشفق على نفسه لم يتبع ضرسه ، من اطاع اسنانه هدم اركانه ، كم من قناعة اتت بخير بضاعة ، لا مجاعة مع القناعة .

قال الوافد : صف لي المراقب ؟

قال العالم : من راقب الله في الخلوات أجاب له الدعوات ؛ بالمراقبة توثر المحاسبة ، راقب مولاك في الليل إذا دجاك ، وفي النهار إذا اضاك ، يعصمك عن هواك ، أكثر نظر الله اليك ولا تنس الطاعة عليك ، أما تعلم أن الرّب إليك ناظر وعليك في كل الأمور قادر ، أما تعلم أن مولاك يراك ويسمع نداك ونجواك ، ويعلم منقلبك ومثواك ، أرخيت عليك الاستار ، واخفيت ذنوبك عن الجبار ، وبارزته بالمعاصي الكبار ، وجمعت الذّنوب والاوزار ، وشهد عليك الليل والنهار والملائكة الحضّار .

اما تخاف الخلود في النار إلى كم تستتر عن أعين الناظرين ويشاهدك أقدر القادرين ، كم تخاف من المخلوق وتستخفي ، ولا تخاف من الخالق ولا تستحيي كم تنقض العهود وتستخف

بالسجود وتجتري على المعبود ، كم رآك الله على المعاصي وستر ، واطلع منك القبايح وما نشر ، وغطى عليك وما تشهر ، أما تذكر صالح أمرك أنسيت فضايح سرّك ، أما تخاف من ذنوبك ، أما تزدجر عن عيوبك ؛ أغفلت عن الداهية ، ولم تخف الهاوية ؛ أمنك من لا تخفى عليه خافية ، وقد اطلع عليك مناراً ، واسبل عليك أستاراً .

لو شاء لأمطر عليك الحجارة من الهواء ، وسلب منك العطاء ، وكشف عنك الغطاء وشهرك لعباده ، وضيق عليك بلاده ، وبدل اسمك ، وغير جسمك ، لكنه ستر عليك في الدنيا ، ماذا تعتذر إليه في الاخرة هب أنه تجاوز وعفى ، وقد نقضت ما عاهدك عليه ، ووفى ، ألم تستحيي من خالق الأرض والسماء ، ألم تستحيي من الحفظة الكرام ، ألم تخف من الإنصاف والايظام وفي ذلك يقول بعد الصّلاة على الرّسول :

يا من شكى حافظات خلوته حين خلاء العباد ما فطنوا
لهم يهتك الستر إذا خلوت به

قال الوافد : صف لي فضل الانفاق وقبح البخل .

قال العالم : ما لك من مالك إلا ما لبست فأبليت ، وأكلت فأفنيت ، وتصدّقت فأبقيت ، من حبس درهمه جمع في القلب همه ، البخل ادواء الداء والكرم انفع الدواء ، ما يثقل الميزان إلا الاحسان إلى الاخوان ، والنجاة في قراءة القرآن ، ما احبط العمل ، فمنكم التغافل والكسل ، من لزم السماحة لم يعدم الراحة ، البخيل في الدنيا مذموم ، وفي الاخرة محروم ، تملك البلاد بالفرسان ، وتملك القلوب بالاحسان ، من بذل ماله نال آماله ، من جاد بكسرته فقد بلغ مروته ، من أخرج فضل الأموال نجى في الاخرة من الأهوال .

قال الوافد : كيف أصنع بالنفس حتى ترجع عن شرّ عادتها ؟

قال العالم : لا ترجع النفس عن عادتها أبداً أبداً وليس منها اقلاع ولا رجوع إلاّ بالقهر والغلب والجهاد والخوف ، وبالعلم والمعرفة والزهد تحبس النفس عن شرّ عادتها ، ولا يدرك ذلك منها إلا بصدق الارادة والصبر والمعالجة وكثرة الخوف والعمل بالصّواب ، فاذا ظفرت بها حتى تردها إلى طاعة الله ورضائه وقضيت لذلك فاشكر الله ، واعترف له بالطاعة إذ جعل ذلك بتوفيقه لك .

فينبغي لك من بعد ذلك أن تقطع عين الهوى وتصّم اذنك وتخرج التخاليط والافات من

امكنه أهدى لها عنه وتغلب هواك وتحذر الغلط والنسيان ووسوسة الشيطان ، وتحذر التواني والعجز واعلم يقينا أنك لا تظفر بذلك من نفسك إلا بالقهر وتمنعها الرّغبة والحرص والكبر والرياء والحسد والرياسة والبخل وطول الامل والتقلب في طلب الشهوات ومحبّة الدنيا ، والتصنّع للنّاس والمحمدة منهم واترك الغش والخيانة وخوف الفقر والطلب لما في أيدي الناس ، ولا تنسى الموت واترك الغفلة والشحّ والسّفاهة .

فاذا ظفرت على ذلك واتقنته عن نفسك فاشكر الله كثيراً فقد شكر سعيك ، فعند ذلك تصحّ أعمالك غير أن النفس لا تصلح حتى تكدها وتقهرها وتجهدها لأنها أمارة بالسوّء والفحشآء والشر والفتنة والافات ، وهي خزانة إبليس منها خرج وإليها يعود ، وهي تريد لصاحبها تسعة وتسعين بابا من أبواب الطاعات تظفر به في كمال المأة فكيف يسدّ السّبيل العريض من لا يغرق مجراه ، وكيف يعرف من ذلك من لا يعرف عدوه ودنياه ، وكيف يعرف عدوه ودنياه من لا يختلف إلى العلماء ، ولا يخاطب الحكماء ، ولا يجالس الصّالحين .

فاذا اردت النجاة فتعلم العلم من العلماء ، وخذ الحكمة من الحكماء ، ولا تنشد على نفسك مرة وترجى اخرى ، ولكن اقبل إليها بعزم صحيح ، وورع شحيح ، وصبر ثخين ، واثر متين ، حتى تمنعها عن شهواتها ، وتردّها عن شر عاداتها .

ثم اجمع المرافك إلى وسط يعني القلب فان القلب يحكم على الجوارح ولا تحكم الجوارح على القلب ، ولا يتم لك عمل ولا يخلص لك إلا بهذه الصفة .

فالعين تغمضها عن الحرام فانها جاسوس القلب ، ثم الاذنان تمنعهما ان يوعيان الشر والخنا والنمايم والكذب ، ثم اللسان خاصة تنزهه عن الكذب والغيبة والمجادلة والفضول والمقاولة والشبهات فانها معدن أقذار النفس وهو ترجمان القلب . ثم البطن احفظها ان تدخلها الحرام والسّحت والشبهة فان القلب نور وصفاه من طيب ذلك وأما الفرج فما دمت حابساً لبطنك من الامتلاء والشبع فانت قادر على حفظها .

قال الوافد : كيف يكون المزيد للعبادة .

قال : يكون يجوز في الملكوت الأعلى ثم يمنع نفسه عن شر عاداتها وشهواتها فان لم يكن كذلك فانه مغرور فيما هو فيه وعين يستحق لما يدعي ، ومحال أن يطير الطاير في الهوى وهو مربوط بحجر ثقيل ، كذلك القلب أن يصعد في الملكوت الأعلى وهو مربوط في الافات ،

محفوف بالرغب في الدّنيا ، مشعوف بحبها وقلة الخوف لما هو آت .

واعلم أن مقام أولياء الله لا يقوم به إلا الصّالحون ، والحمد لله ربّ العالمين ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً إلى يوم الدّين ، والحمد لله ربّ العالمين آمين .

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب فيه خبر العالم وما جرى له مع الامام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

روي عن عليّ بن أبي طالب (ع) قال : كنت جالساً ذات يوم في جامع الكوفة وإذا بصيحة عظيمة عالية قد ارتفعت فقال الامام (ع) لقنبر يا قنبر امض واتني من هذه الصحية بالخبر ، فمضى قنبر وغاب ساعة ثم اقبل إلى الإمام (ع) وقال : يا مولاي هذا عالم قد نصب له كرسيّ وحوله مأة وستين محبرة يكتبون عن لسان جبرائيل عن ربّ العالمين فقال : يا قنبر امض اليه وقل له : أنت عالم ، فمضى قنبر فأخبره بما قال الإمام (ع) فسكت ساعة ورفع رأسه وقال : نعم أنا عالم ولكن مثل الذي انفذك لا ، قال : فرجع قنبر إلى الإمام (ع) وأخبره بما قال العالم قال : صدق العالم امض إليه وقل له : بأي شيء تعرف رجليك من قدميك ؟ قال قنبر : فمضيت إلى العالم وأخبرته بما قال مولاي قال العالم : أعرف رجلي من قدمي بقوله عزّ وجلّ : ﴿يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنّواصي والاقدام﴾[1] يؤخذ الرّجل بلحيته والامرأة بشعرها .

قال قنبر : فمضيت إلى مولاي (ع) فأخبرته بما قال العالم ، قال : صدق العالم امض إليه وقل له : أخبرني عن اذنك على أي شيء مركبه ، وعينك على أي شيء هي مركبه ، والقلب على أيّ شيء هو مركبه ، والأنف على أي شيء هو مركبه ؟

قال قنبر : فمضيت إلى العالم وأخبرته بما قال مولاي (ع) ، قال : الاذن مركبه على الكبد تسمع الاذن ويعاد الكبد ، والعين مركبه على القلب تنظر العين ما يشتهي القلب ، والأنف مركبه على الرّوح يشتم الانف ما تشتهي الرّوح .

قال قنبر : فرجعت إلى مولاي وأخبرته بما قال العالم ، قال (ع) : صدق العالم امض إليه وقل له : أين موضع العقل منك ، وأين موضع الحشمة منك ، وأين موضع الحلاوة منك ، وأين

---

(١) سورة الرحمن : الآية ٤١

موضع التواضع منك ، وأين موضع الضحك منك ، وأين موضع الخفة منك ، وأين موضع الغضب منك ، وأين موضع الضعف منك ، وأين موضع الرّيحة منك ، وأين موضع الفصاحة منك ، وأين موضع القوة منك .

قال قنبر : فمضيت إلى العالم وحدثته بما قال مولاي (ع) ، فقال : أمّا العقل في الدماغ ، وأما الحشمة والحس في العين ، وأما الريحة في الأنف ، وأما الفصاحة في اللسان ، وأمّا التواضع في العقل ، وأما الحلاوة في الحلق ، وأمّا الضحك في الطحال ، وأمّا الخفة في الرية ، وأمّا الغضب في الكبد ، وأمّا الرحمة في القلب وأمّا القوة في الكتفين ، وأمّا الضعف في الساقين .

قال قنبر : فرجعت إلى مولاي فأخبرته بما قال العالم ، قال صدق : العالم امض إليه وقل له أخبرني عن شيء ونصف شيء وكل شيء ولا شيء ، قال قنبر : فمضيت إلى العالم وقلت له ما قال مولاي (ع) قال : فأمّا الشيء الرجل المؤمن ، وأما نصف شيء فالمنافق ، وأمّا الذي لا شيء فالكافر ، واما كلّ شيء قوله تعالى : ﴿وجعلنا من الماء كلّ شيء حيّ﴾(١) وهو زينة كلّ شيء .

قال قنبر : فرجعت إلى مولاي (ع) فأخبرته بما قال العالم ، قال : صدق العالم امض إليه وقل له ما اوطا وطا وما ادفا غطا وما خير زاد .

قال قنبر : فرجعت إلى العالم وأخبرته بما قال مولاي (ع) ، قال العالم : أمّا اوطا وطا فهو الأمن ، وأما ادفا غطا فهو موضع يجد القلب فيه راحة ، وأما خير الزاد التقوى لقوله تعالى : ﴿فان خير الزاد التقوى﴾(٢) .

قال قنبر : فرجعت إلى مولاي فأخبرته بذلك فقال (ع) : صدق العالم امض إليه (وقل ظ) ما شيئآن قائمان ، وشيئآن ساعيان ، وشيئآن مختلفان ، وشيئآن متباغضان ؟

قال قنبر : فمضيت إلى العالم وأخبرته بما قال مولاي (ع) ، فقال العالم : أما الشيئآن القايمان فهما السّماوات والأرض ، وأمّا الشيئآن الساعيان فهما الشّمس والقمر ، وأمّا الشيئآن المختلفان فهما اللّيل والنهار ، وأما الشيئآن المتباغضان فهما الدنيا والاخرة .

قال قنبر : فرجعت إلى مولاي وأخبرته بما قال العالم ، قال : صدق العالم امض اليه وقل

---

(١) سورة الانبياء : الآية ٣٠ (٢) سورة البقرة : الآية ١٩٧

له : أخبرني عن شيء ما ولد وله ولد ؟

قال قنبر : فمضيت إلى العالم وأخبرته بما قال مولاي (ع) ، قال : هي ناقة صالح خلقها الله تعالى من جبل وخلق لها فصيل من ذاك الجبل فعادت تمضي إلى الحي فتسقيهم اللبن فعقرها قداره وثمود لعنهم الله ، فأتى الفصيل إلى صالح (ع) وقال : يا نبي الله امي قتلها قداره وثمود لعنهم الله تعالى ، ثم دخل الجبل الذي خرج منه فهي الذي لم تولد ولها ولد .

قال قنبر : فرجعت إلى مولاي (ع) وأخبرته بما قال العالم ، قال : صدق العالم امض إليه وقل له : أخبرني عن شيء خلقه الله واحتاج إليه ، وعن شيء خلقه الله وسأل عنه ،وعن شيء خلقه الله واشتراه ، وعن شيء خلقه الله وأنكره .

قال قنبر : فمضيت إلى العالم وأخبرته بما قال مولاي (ع) ، قال أما الّذي خلقه الله واحتاج إليه قوله تعالى : ﴿وما خلقت الجنّ والانس إلّا ليعبدون ما اريد منهم من رزق وما اريد أن يطعمون﴾(١) ، وأمّا الذي خلقه الله واشتراه فأنفس المؤمنين قوله تعالى : ﴿إنّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنّة﴾(٢) وأمّا الذي خلقه الله وسأل عنه فهي عصا موسى (ع) لقوله تعالى : ﴿وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب اخرى﴾(٣) وأما الذي خلقه الله فانكره فقوله تعالى : ﴿إنّ انكر الاصوات لصوت الحمير﴾(٤) .

قال قنبر : فمضيت إلى العالم وأخبرته بما قال مولاي (ع)(٥) ، قال : صدق العالم امض إليه وقل له أي شيء يصلح الدين ، وأي شيء يفسد ، وأي شيء أحسن في الدّنيا وأي شيء اوحش في الدّنيا .

قال قنبر : فمضيت إلى العالم وأخبرته بما قال مولاي (ع) ، قال : يصلح الدّين الورع ، ويهلك الدّين الطمع ، وأحسن ما خلق الله ابن آدم وهو حيّ ، وأوحش ما يكون إذا مات .

قال قنبر : فرجعت إلى مولاي (ع) وأخبرته بما قال العالم ، قال : صدق العالم امض إليه وقل له : أخبرني عن واحد ليس له ثان ، وعن ثان ليس له ثالث ، وعن ثالث ليس له رابع ،

---

(١) سورة الذاريات : الآية ٥٦ - ٥٧

(٢) سورة لقمان : الآية ١٩ (٣) سورة التوبة : الآية١١١ (٤)سورة طه : الآية ١٧ - ١٨

(٥) كذا في النسخة والظاهر ان تكون هكذا : قال قنبر فرجعت الى مولاي (ع) وأخبرته بما قال العالم (الخ)

وعن رابع ليس له خامس ، وعن خامس ليس له سادس ، وعن سادس ليس له سابع ، وعن سابع ليس له ثامن ، وعن ثامن ليس له تاسع ، وعن تاسع ليس له عاشر ، وعن عاشر ليس له حادي عشر ، وعن حادي عشر ليس له ثاني عشر وعن ثاني عشر ليس له ثالث عشر ؟

قال قنبر : فمضيت إلى العالم وأخبرته بما قال مولاي (ع) ، فوثب قائماً على قدميه ، وقال : اصبر عليّ ساعة وقال : يا أهل الكوفة من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فانا اعرفه بنفسي ، فأنا أحمد بن الأزرق قرأت في الكتب سبعين عاما وما سئل عن هذه المسائل إلا نبي أو وصي ، ثمّ قال : سأبيّن لك يا قنبر وأسير معك إلى صاحبك .

فأمّا الأوّل الذي ليس له ثان فهو الله عزّ وجلّ ، وأمّا الثاني الذي ليس له ثالث آدم وحوّا ، وأمّا الثالث الذي ليس له رابع فالطلاق ، وأمّا الرّابع الذي ليس له خامس فهم الملائكة الموكلين بالعرش ، وأمّا الخامس الذي ليس له سادس فهي الخمس صلوات ، وأما السادس الذي ليس له سابع فهو الستّة أيّام الذي خلق الله السّماوات والأرض ، وأمّا السابع الذي ليس له ثامن فهي السّبع سماوات ، وأما الثامن الذي ليس له تاسع فهي الثمان الذي دعا فيها موسى (ع) ، وأمّا التاسع الذي ليس له عاشر فهي التسع آيات التي انزلت على بني اسرائيل ، وأمّا العاشر الذي ليس له حادي عشر فقوله تعالى والشفع والوتر ، وأمّا الحادي عشر فهم اخوة يوسف وأمّا الثاني عشر فهم الأئمة ، وإن شئت أشهر السنة .

ثمّ نزل من أعلى المنبر وأتى مع قنبر إلى أمير المؤمنين (ع) ، فانكب على قدميه وقبلها وقال : يا مولاي لو علمت أنك في هذا المكان ما جئت إليه ثم صلى صلاة الظهر مع الامام وقال : يا مولاي ادع إلي ربك أن يقبض روحي في هذه الساعة فرفع الامام رأسه إلى السّماء وقال : الهي أنت العالم بما قال عبدك العالم ، فسجد العالم سجدة فأطال فيها السّجود فحركوه وإذا هو قد مات .

فغسله أمير المؤمنين (ع) وكفنه وصلى عليه ، والحمد لله ربّ العالمين تمّ بالخير .

كتاب فيه خبر الاصمعي

قال : خرجت إلى الحاج إلى بيت الله الحرام وإلى زيارة النبيّ (ص) فبينما أنا أطوف حول الكعبة ،وكانت ليلة مقمرة وإذا بصوت أنين وحنين وبكاء ، فتبعت الصوت وإذا أنا بشاب

حسن الوجه ظريف الشمايل ، وعليه ذوايب وهو متعلق بأستار الكعبة وهو يقول :

يـا سيّدي ومـولاي قد نـامت العيـون ، وغـارت النجـوم ، وأنت حيّ قيـوم ، إلهي غلقت الملوك أبوابها وقام عليها حجابها ، وحراسها ، وبابك مفتوح للسائلين ، فهـا أنا ببـابك ، انـظر برحمتك يا أرحم الرّاحمين ، ثمّ أنشأ يقول :

يـا من يجيب دعـا المضـطر في الـظلم ... وكـاشـف الضّـر والبلوى مـع السّـقـم
قـد نـام وفـدك حـول البيـت وانتبـهـوا ... وأنـت يـا حـي يـا قـيـوم لـم تـنـم
أدعـوك ربّـي حـزيـنـا دائـمـاً قـلـقـا ... فـارحـم بكـائي بحق البيـت والحـرم
إن كـان عـفـوك لا يـرجـوه ذو سـرف ... فـمن يـجـود على العـاصين بـالنّـعـم

ثمّ قال : رفع رأسه إلى السماء وهـو ينادي إلهي وسيـدي أطعتك بمشيئتـك فلك الحجة علي باظهار حجتـك إلاّ ما رحمتني وعفـوت عنّي ولا تخيبني يا سيّدي، ثم قال: الهي وسيّـدي الحسنات تسرك والسّيئآت ما تضرّك ، فاغفر لي وتجاوز عني في ما لا يضركّ ثمّ أنشأ يقول :

ألا أيّـهـا الـمـأمـول فـي كـلّ حـاجـة ... شكـوت إليـك الضّـر فـارحم شكـايتي
ألا يـا رجـائي أنت كـاشـف كـربتـي ... فـهب لي ذنـوبي كـلهـا واقض حـاجتي
فـزادي قـلـيـل لا أراه مـبـلـغـي ... عـلى الـزاد أبكي أم على بعـد سفـرتي
أتـيـت بـأعـمـال قـبـاح ردّيـة ... فـمـا في الـورى عـبـد جنى كجنـايتي
أتـحـرقـني بـالـنـار يـا غـايـة المـنى ... فـأيـن رجـائي مـنـك وايـن مـخـافـتي

قال الأصمعي : وكان يكرر هذه الأبيات حتّى سقط مغشياً عليه فدنوت منه لأعرفه فاذا هو زين العابدين ابن الحسين بن عليّ (ع) .

قال الأصمعي : فأخذت رأسه ووضعته في حجري وبكيت فقطرت قطرة من دموعي على خدّه ففتح عينيه وقال : من هذا الذي أشغلني عن ذكر ربّي ؟قلت: يا مولاي عبدك وعبد أجدادك الأصمعي فما هذا الجـزع والفزع والبكـاء والانين وأنت من أهل بيت النبـوّة ، ومعدن الـرّسالـة وقوله تعالى ﴿إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾[1] .

قـال : فاستـوى قاعـداً وقال : هيهـات هيهات يـا اصمعي إنّ الله تعالى خلق الجنـة لمن

(١) سورة الأحزاب : الآية٣٣

أطاعه ولو كان عبداً حبشياً ، وخلق النار لمن عصاه ولو كان سيّداً قرشيـاً أما سمعت قـوله تعـالى ﴿فإذا نفخ في الصّور فلا أنساب بينهم﴾(١) قال الاصمعي : فتركته على حاله يناجي ربّه (٢).

قد تم طبع الكتاب بعون الله الملك الوهاب في المطبعة المباركة الاسلامية بـطهران وتم تصحيحه بيد العبد : « السيد ابراهيم الميانجي » عفي عنه وعن والديه ، في شهر صفـر المظفـر ١٣٧٩ والحمد لله كما هو أهله .

---

(١) سورة المؤمنون : الآية١٠١

(٢) المناقب لابن شهراشوب : ج٤ ص١٥٠ .

الفهرس

المقالة الثانية

في مساوي الاخلاق وتهذيبها وفيها اربعة ابواب :

المقالة الثالثة

في ذم الدّنيا والاغترار بها وفيها خمسة أبواب :

المقالة الرابعة

المقالة الخامسة

في العبادات وأسرارها وفيها سبعة أبواب :

المقالة السادسة